

تاريخ الطبعة

تاريخ الزسل والملوك

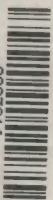
الجزء الخامس



دار المعارف



Bibliotheca Alexandrina



0023216

تاريخ الطب

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبرك

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الخامس

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الرابعة



دار المغارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورليس النيل - القاهرة ج.م.ع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٧٤/١

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث وموادة الحرب بين عليّ ومعاوية

فكان في أول شهر منها - وهو المحرم - موادة الحرب بين عليّ ومعاوية ،
قد توادعا على ترك الحرب فيه إلى انقضائه طمعاً في الصلح ، فذكر هشام
ابن محمد ، عن أبي مسخنف الأزدي ، قال : حدثني سعد أبو المجاهد الطائي ،
عن المحيل بن خليفة الطائي ، قال : لما توادع عليّ ومعاوية يوم صفين ،
اختلف فيما بينهما الرّسل رجاء الصلح ، فبعث عليّ عدى بن حاتم ويزيد
ابن قيس الأرجسي وشبث بن ربعي وزباد بن خصمة إلى معاوية ، فلما
دخلوا حميد الله عدى بن حاتم ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنّا أتيناك ندعوك إلى
أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأمتنا ، ويعقن به الدماء ، ويؤمن به السبل ،
ويصلح به ذات اليمين . إن ابن عمك سيّد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها
في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له الناس ، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذي
رأوا ، فلم يبق أحد غيرك وغير من مملكتك ، فأنته يا معاوية لا يبصلك الله
وأصحابك يوم مثل يوم الجمل . فقال معاوية : كأنك إنما جئت متهدداً ،
لم تأت مصلحاً ! هيهات يا عدى ، كلا والله إني لابن حرب ، ما يوقع لي
بالشأن ، أما والله إنك لمن المهلبين على ابن عفان رضي الله عنه ، وإنك لمن
قتلته ، وإنني لأرجو أن تكون ممن يقتل الله عزّ وجلّ به . هيهات يا عدى
ابن حاتم ! قد حلبت بالساعد الأشد . فقال له شبث بن ربعي وزباد بن
خصمة - وتنازعا جواباً واحداً : أتيناك فيما يصلحنا وإيّاك ، فأقبلت تضرب
لنا الأمثال ! دع ما لا يستفيع به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يعمئنا وإيّاك
نفعه . وتكلم يزيد بن قيس ، فقال : إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك ،
ولنؤدّي عنك ما سمعنا منك ، ونحن على ذلك لم ندع أن ننصح لك ، وأن
نذكر ما ظننا أن لنا عليك به حجة ، وأنك راجع به إلى الألفة والجماعة .

٢٢٧٥/١

إنّ صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ؛
إنّ أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلى ، ولن يميلوا بينك وبينه ، فأتى الله
يا معاوية ، ولا تخالف علياً ، فإننا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعملّ بالقوى ،
ولا أزهّد في الدنيا ، ولا أجمع لحصال الخير كلّها منه .

فحمّد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم دعوتكم إلى الطاعة
والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فعنا هي ، وأما الطاعة لصاحبكم فإننا
لا نراها ؛ إن^(١) صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرّق جماعتنا ، وآوى ثأرنا وقتلنا ،
وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لا نردّ ذلك عليه ، أرأيتم قتلة صاحبنا ؟
ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فليقتلهم^(٢) به ، ثم
نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

٢٢٧١/١

فقال له شبّث : أيسرك يا معاوية أنك أمكنت من عمّار تقتله !
فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ! والله لو أمكنت من ابن سمية ما قتلتها
بعثمان ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان . فقال له شبّث : وإله الأرض
وإله السماء ، ما^(٣) عدلت معتدلاً ، لا والذي لا إله إلا هو لا تصل إلى عمّار
حتى تتدرّ الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء^(٤) عليك برحبها .
فقال له معاوية : إنه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيق .

وفترّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خصفة
التيمنى ، فخلاً به ، فحمّد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد يا أخا ربيعة ، فإن
عليّاً قطع أرحامنا ، وآوى قتلة صاحبنا ، وإنّي أسألك النصر عليه بأسرتك
وعشيرتك ، ثم لك عهد الله جلّ وعزّ وميثاقه أن أولئك إذا ظهرت أئ
المصريّن أحببت .

قال أبو مخنف : فحدثني سعد أبو المجاهد ، عن المحيل بن خليفة ،
قال : سمعت زياد بن خصفة يحدث بهذا الحديث ، قال : فلما قضى

(١) ابن الأثير والنويري : « لأن » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « ولتقتلهم » .

(٣) ط : « أمّا » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ابن الأثير : « والفضاء » .

معاوية كلامه حمدت الله عز وجل وأثبت عليه، ثم قلت: أما بعد، فإني على بيثة من ربّي وبما أنتم على، فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ثم قمت .
 فقال معاوية لعمر بن العاص - وكان إلى جنبه جالساً - ليس يكلّم رجل منا رجلاً منهم فيجيب إلى خير. ما لم يحضهم^(١) الله بشر! ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد .

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي^(٢) راشد الأزدي، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبي الكنود، أن معاوية بعث إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري وشريحيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده، فحمد الله حبيب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهدياً، يعمل بكتاب الله عز وجل، ويؤتي إلى أمر الله تعالى، فاستسلم حياته، واستيطم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه؛ فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به، ثم احتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم، يولّي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم . فقال له عليّ بن أبي طالب: وما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر! اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل له! فقام وقال له: والله لترينني يحث تكره . فقال عليّ: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك إلا أبى الله عليك إن أبقيت عليّ؛ أحقره وسوءاً! اذهب فضوب وصعد ما بدا لك .

وقال شريحيل بن السمط: إني إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به؟ فقال عليّ: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبت به . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
 أما بعد، فإن الله جلّ ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق، فأنقذ به من الضلالة، وانتاش به من المهلكة^(٣)، وجمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه صلى الله عليه وسلم، ثم استخلف الناس أبا بكر

(١) في الحان: «الضب: القطع، وتدعو العرب على الرجل تنقول: ماله ضبه الله! يدمون عليه يقطع يده ورجله» .

(٢) انتاش به من الملكة، أي أنقذ .

(٣) ساقطة من ...

رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر رضي الله عنه ، فأحسننا السيرة ،
 وعدلنا في الأمة ، وقد وجدنا عليهما أن توليا علينا — ونحن آل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم — ففقرنا ذلك لهما ، وولى عثمان رضي الله عنه فعمل بأشياء
 عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم ،
 فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا
 بك ، وإننا نخاف إن لم تفعل أن يفترق^(١) الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعني
 إلا شقاق رجلين قد بايعاني ، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عز وجل
 له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق ابن طليق ، حزب
 من هذه الأحزاب ، لم يزل لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
 عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين ، فلا غرو^(٢) إلا خلافاً معه ،
 وانقياداً لكم له ، وتدعون آل نبيكم صلى الله عليه وسلم الذين لا ينبغي لكم
 شقاقهم ولا خلافتهم ، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً . ألا إني أدعوكم
 إلى كتاب الله عز وجل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإمامة الباطل ، وإحياء
 معالم الدين^(٣) ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ولكل مؤمن ومؤمنة ،
 وسلم وسلمة .

٢٢٧٩/١

فقالا : اشهد أن عثمان رضي الله عنه قُتل مظلوماً ، فقال
 لهما : لا أقول إنه قُتل مظلوماً ، ولا إنه قتل ظالماً ، قالوا : فمن لم يزعم أن
 عثمان قتل مظلوماً فنحن منه برآء ، ثم قاما فانصرفا . فقال علي : ﴿ إِنَّكَ
 لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْعَمَى الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمِدَّ بِرَيْنَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِي
 الشَّعْبِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤)
 ثم أقبل علي على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالكم منكم
 بالجد في حقكم وطاعة ربكم .

قال أبو مخنف : حدثني جعفر بن حذيفة ، من آل عامر بن جؤين ،

(١) ابن الأثير والنويري : « يفترق » . (٢) لا غرو : لا عجب .

(٣) ابن الأثير والنويري : « إحياء الحق وسالم الدين » .

(٤) سورة النمل ٨٠ ، ٨١ .

أنَّ حَازِلَ بْنَ قَيْسٍ الْحِزْمِيَّ^(١) وَابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَاتِمٍ فِي الرَّأْيَةِ بَصِيفَتَيْنِ - وَكَانَتْ حِزْمَرُ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي عَبْدِ رَهْطِ حَاتِمٍ - فَوُثِبَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِيَّ الْبَوْلَانِيَّ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: يَا بَنِي حِزْمَرِ، عَلِيٌّ^(٢) عَدِيٌّ تَوَثُّبِيْنَ! وَهَلْ فِيكُمْ مِثْلَ عَدِيٍّ أَوْ فِي آبَائِكُمْ مِثْلَ أَبِي عَدِيٍّ! أَلَيْسَ بِحَامِي الْقَرْيَةِ^(٣) وَمَنْعِ الْمَاءِ يَوْمَ رَوِيَّةٍ؟ أَلَيْسَ بِابْنِ ذِي الْمِرْبَاعِ^(٤) وَابْنِ جَوَادِ الْعَرَبِ؟ أَلَيْسَ بِابْنِ الْمُنْشَبِ مَالِهِ، وَمَنْعِ جَارِهِ؟ أَلَيْسَ مَنْ لَمْ يَغْدُرْ وَلَمْ يَفْجُرْ، وَلَمْ يَجْهَلْ وَلَمْ يَبْخُلْ، وَلَمْ يَمْنُنْ وَلَمْ يَجِينْ؟ هَاتُوا فِي آبَائِكُمْ مِثْلَ أَبِيهِ، أَوْ هَاتُوا فِيكُمْ مِثْلَهُ. أَوَلَيْسَ أَفْضَلُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ! أَوَلَيْسَ وَافِدُكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! أَلَيْسَ بِرَأْسِكُمْ يَوْمَ النَّخِيلَةِ وَيَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَيَوْمَ الْمَدَائِنِ وَيَوْمَ جَلَوْلَاءِ الْوَيْقَعَةِ وَيَوْمَ نِهَاوَنْدٍ وَيَوْمَ تُسْتَرٍّ؟ فَمَا لَكُمْ وَلَهُ! وَاللَّهِ مَا مِنْ قَوْمٍ كُمْ أَحَدٌ يَطْلُبُ مِثْلَ الَّذِي تَطْلُبُونَ. فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: حَسْبُكَ يَا بَنِي خَلِيفَةَ، هَلَمْ أَتَيْهَا الْقَوْمَ إِلَى، وَعَلَى بَيْمَاعَةِ طَيْئِي، فَأَتَوْهُ جَمِيعًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: مَنْ كَانَ رَأْسُكُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ؟ قَالَتْ لَهُ طَيْئِي: عَدِيٌّ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ خَلِيفَةَ: فَسَلِّمْهُمْ^(٥) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسُوا رَاضِينَ مُسْلِمِينَ لِعَدِيٍّ الرِّيَاسَةِ؟ ففَعَلَ، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُمْ: عَدِيٌّ أَحَقُّكُمْ بِالرَّايَةِ. فَسَلَّمُوهُا لَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ - وَضَجَّتْ بَنُو الْحِزْمِ -: إِنِّي أَرَاهُ رَأْسُكُمْ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَلَا أَرَى قَوْمَهُ كُلَّهُمْ إِلَّا مُسْلِمِينَ لَهُ غَيْرَكُمْ، فَأَتْبَعَ فِي ذَلِكَ الْكَثْرَةَ. فَأَخَذَهَا عَدِيٌّ، فَلَمَّا كَانَ أَزْمَانُ حُجْرٍ بَنِي عَدِيٍّ طَلِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلِيفَةَ لِيُتْبِعَتْ بِهِ مَعَ حُجْرٍ^(٦) - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ - فَسَبَّرَ إِلَى الْجَبَلَيْنِ، وَكَانَ عَدِيٌّ قَدْ مَنَاهُ أَنْ يَرِدَهُ، وَأَنْ يَطْلُبَ فِيهِ، فَطَالَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ:

وَتَسْتَوْنِي يَوْمَ الشَّرِيعَةِ وَالْقَتَا بَصِيفَتَيْنِ فِي أَكْتَافِهِمْ قَدْ تَكْسَرَا

(١) ابن الأثير: «الحزري».

(٢) ابن الأثير: «أهل».

(٣) ابن الأثير: «القرية».

(٤) المرباع: ربع النخبة وهو الذي كان يأخذه الرئيس في المحاطة.

(٥) ابن الأثير: «سلم».

(٦) ابن الأثير: «طلب زياد عبد الله بن خليفة لبيته مع حجر».

٢٢٨١/١ جَزَى رُبُّهُ عَنِّي عَذِيٍّ بِنَ حَاتِمٍ
 أَتَمَسَى بِلَاثٍ سَادِرًا يَابِنَ حَاتِمٍ
 بَرَفَضِي وَخِذْلَانِي جَزَاءَ مُوقَرَا
 عَشِيَّةً مَا أَغْنَتْ عَدِيكَ حِرْمَا
 فَدَأَقْتُ عَنْكَ الْقَوْمَ حَتَّى تَخَذَلُوا
 وَكُنْتُ أَنَا الْخَطْمُ الْأَلَدُ الْمَذُورَا^(١)
 فَأُولُوا وَمَا قَامُوا مَقَامِي كَأَنَّمَا
 رَأَوْنِي لَيْثًا بِالْأَبَاءَةِ مُخْذِرَا^(٢)
 نَصَرْتُكَ إِذْ خَامَ الْقَرِيبُ وَأَبْطَطَا^(٣)
 بَعِيدُ وَقَدْ أَفْرَدْتُ نَصْرًا مُؤَزَّرَا^(٤)
 فَكَانَ جَزَائِي أَنْ أَجْرَدَ بَيْنَكُمْ^(٥)
 سَجِينًا ، وَأَنْ أُولَى الْمَوَانِ وَأَوْسَرَا
 وَكَمْ عِدَّةٍ لِي مِنْكَ أَنْتَكَ رَاجِي
 سَجِينًا ، وَأَنْ أُولَى الْمَوَانِ وَأَوْسَرَا
 فَلَمْ تُفْنِ بِالْمِيَادِ عَنِّي حَبِيرَا

تكتيب الكتابات وتميئة الناس للقتال

قال : ومكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ الهرم أمر على مَرْتَدِ بْنِ
 الحارث الجُشَسِيِّ فنادى أهل الشام عند غروب الشمس : **أَلَا إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ**
 يقول لكم : **إِنِّي قَدْ اسْتَمَعْتُكُمْ لِرَاجِعُوا الْحَقَّ وَتُشَبِّهُوا إِلَيْهِ ، وَاحْتَجَجْتُ عَلَيْكُمْ**
 بكتاب الله عز وجل ، فصدوكم إليه ، فلم تنهتوا عن طغيان^(١) ، ولم نجيبوا
 إلى حق^(٢) ، وإني قد نبذت إليكم على سواء ، **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ .**
 ففزع أهل الشام إلى أمراءهم ورؤسائهم ، وخرج معاوية وعمر بن العاص
 في الناس يكتبان الكتابات ويعبين الناس ، وأوقدوا النيران ، وبات على ليلته
 كلها يعبى الناس ، ويكتب الكتاب ، ويدور في الناس يحرقهم .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي ، عن أبيه ،
 أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَأْمُرُنَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَقِينَا فِيهِ مَعَهُ عَدُوًّا فَيَقُولُ : لَا تَقَاتِلُوا الْقَوْمَ

(١) المذور : الصبب الخلق الشديد النفس .

(٢) الأباة : الأجمة . والاسد المخضر والحادر أيضا : المقيم في الأجمة أو العرين .

(٣) خام : تكس وجين . وأبطط : أي أبعد .

(٤) ابن الأثير : « أجرد بينكم » .

(٥) ابن الأثير : « طغيانكم » . التنوير : « الطغيان » .

(٦) ابن الأثير والتنوير : « الحق » .

حتى يبدؤكم ، فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة ، وترككم لأنهم حتى يبدؤكم حجة أخرى لكم ، فإذا قاتلتموهم فهزمتوهم فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمشلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهاكموا سراً ، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضعاف القوى والأنفوس .

قال أبو مخنف : حدثني إسماعيل بن يزيد ، عن أبي صادق ، عن الحضرى ، قال : سمعت علياً يحرّض الناس في ثلاثة مواطن : يحرّض الناس يوم صيقتين ، ويوم الحمل ، ويوم النهر ، يقول : عباد الله ، اتقوا الله ، وغضّوا الأبصار ، واخفّضوا الأصوات ، وأقلّوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاعة والمبارزة^(١) ، والمناضلة والمجالسة^(٢) ، والمعانقة والمكادمة والملازمة ، فائتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . اللهم ألهمهم الصبر ، وأنزل عليهم النصر ، وأعظم لهم الأجر .

فأصبح على من الغد ، فبعث على الميمنة والميسرة والرجالة والخيال . قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج الكندي أن علياً بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالة أهل الكوفة عمار بن ياسر ، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد وهاشم ابن عتبة ومعه رايته ، وميسر بن قنكس التميمي على قرأه أهل البصرة ، وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بديل وعمار بن ياسر .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن يزيد بن جابر الأزدي ، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ، أن معاوية بعث على ميمته ابن ذى الكلاع الحميري ، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى مقدّمته يوم أقبل من دمشق

(١) ابن الأثير : « المنازلة » . (٢) ط : « والمجالسة » .

أبا الأحرور السلمي - وكان على خيل أهل دمشق - وعمرو بن العاص على
خيول أهل الشام كلها ، وسلم بن عقبة المرّي على رجالة أهل دمشق ،
والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلها . وبايع رجال من أهل الشام على
الموت ، فقتلوا أنفسهم بالعمائم ، فكان المعتلون خمسة صفوف ، وكانوا يخرجون
ويصفون عشرة صفوف ، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفًا ، فخرجوا أول
يوم من صفين فاقتلوا . وعلى من خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى
أهل الشام حبيب بن مسلمة ، وذلك يوم الأربعاء ، فاقتلوا قتالا شديداً جُلَّ
النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، ثم خرج هاشم بن عتبة
في خيل ورجال حسن عددها وعدتها ، وخرج إليه أبو الأحرور ، فاقتلوا
يوستهم ذلك ، يحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، ثم انصرفوا وقد
كان القوم صبر بعضهم لبعض . وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر ، وخرج
إليه عمرو بن العاص ، فاقتل الناس كأشد القتال ، وأخذ عمار يقول : يا أهل
العراق ، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدتهما ، وبني
على المسلمين ، وظاهر المشركين ، فلما رأى الله عز وجل يرضى دينه ويظهر
رسوله أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وهو فيها نرى رآه غير راغب ،
ثم قبض الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فواجه إن زال بعده معروفًا
بعداوة المسلم ، وهؤلاء المجرم . فاثبتوا له وقائليه فإنه يظن نور الله ، ويظهر
أعداء الله عز وجل .

فكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل ، فأمره أن يحمل في
الخيل ، فحمل ، وقتله الناس وصبروا له ، وشد عمار في الرجال ، فأزال
عمرو بن العاص عن موقفه . وبارز يومئذ زياد بن النضر أخًا له لأمه
يقال له عمرو بن معاوية بن المتفق بن عامر بن حنظل - وكانت أمهما امرأة
من بني يزيد^(١) - فلما اتفقا تارفاً فزاحما ، ثم انصرف كل واحد منهما عن
صاحبه ، وتراجع الناس .

فلما كان من الغد خرج محمد بن علي وعبيد الله بن عمر في جميعين
عظيمين ، فاقتلوا كأشد القتال . ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى ابن الحنفية :

(١) م. أمة - أو أسة - بنت يزيد بن عبد المدان - (الإصابة رقم ٦٥١٤) .

أن اخرج إلىّ ، فقال : نعم ، ثم خرج يمشي ، فصرّبه أمير المؤمنين فقال : منّ هذان المبارزان ؟ قيل : ابن الحنفية وحيد الله بن عمر ، فحرك دابته ثم نادى حمداً ، فوقف له ، فقال : أمسك دابتي ، فأمسكها ، ثم مشى إليه علىّ فقال : أبرز لك ، هلم إلىّ ، فقال : ليست لي في مبارزتك حاجة ، فقال : بلى ، فقال : لا ، فرجع ابن عمر . فأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه : يا أبت ، لم منعتني من مبارزته ؟ فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله ، فقال : لو بارزته لرجوت أن تقتله ، وما كنت آمن أن يقتلك ، فقال : يا أبت أوتبرز لهذا القاصي ! والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبت بك عنه ، فقال علىّ : يا بني ، لا تكمل في أيه إلا خيراً . ثم إن الناس تحاجزوا وتراجعوا .

قال : فلما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عباس والوليد بن عتبة فاقتلوا قتالا شديداً ، ودنا ابن عباس من الوليد بن عتبة ، فأخذ الوليد يسبّ بني عبد المطلب ، وأخذ يقول : يا ابن عباس ، قطعتم أرحامكم ، وقطم إمامكم ، فكيف رأيتم الله صنع بكم ؟ لم تعطوا ما طلبتم ، ولم تدرّ كما ما أمتم ، والله إن شاء مهلككم وناصر عليكم . فأوصل إليه ابن عباس : أن أبرز لي ، فأبى . وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً ، وفشّى الناس بنفسه .

ثم خرج قيس بن سعد الأنصاري وابن ذى الكلاع الحميري فاقتلوا قتالا شديداً ، ثم انصرفا ، وذلك في اليوم السادس .

ثم خرج الأشتر ، وعاد إليه حبيب بن مسلمة اليوم السابع ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، ثم انصرفا عند الظهر ، وكلّ غير غالب ، وذلك يوم الثلاثاء .

قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أحيان الجهمي ، عن زيد بن وهب ، أن علياً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ! فقام في الناس عشية الثلاثاء ، ليلة الأربعاء بعد العصر ، فقال : الحمد لله الذي لا يبرم ما نقص ، وما أبرم لا ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد القضيول ذاق الفضل فضله ، وقد ساقنا هؤلاء القوم الأعداء ، فلفّت بيننا في هذا المكان ، فحنن من ربنا بما رأى وسمع ، فلو شاء جعل النعمة ، وكان منه الخير ، حتى

يَكْذِبُ اللهَ الظَّالِمَ، وَيَعْلَمُ الْحَقُّ أَيْنَ مَصِيرُهُ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْأَعْمَالِ ،
وَجَعَلَ الْآخِرَةَ عَنْدهِ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى . أَلَا إِنَّكُمْ لَأَهْلُو الْقَوْمِ غَدًا ، فَاطْلُبُوا اللَّيْلَةَ الْقِيَامَ ، وَأَكْثَرُوا
تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وَسَلُّوا اللهَ عِزًّا وَجَلًّا لِلنَّصْرِ وَالصَّبْرِ ، وَالْقَوِّمِ بِالْجِدَّةِ وَالْحَرَمِ ،
وَكُونُوا صَادِقِينَ . ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَوَثِبَ النَّاسُ إِلَى سِيوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ وَنَبَاحِهِمْ
يَصْلَحُونَهَا ، وَرَمَوْا بِهِمْ كَعَبَ بَنِ جُعَيْلٍ التَّغْلِبِيِّ وَهُوَ يَقُولُ :

٣٢٨٧/١

أَضْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمَلِكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
قُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ

قال : فلما كان من الليل خرج على فُجَيْئِ النَّاسِ لَيْلَتُهُ كُلُّهَا ، حَتَّى إِذَا
أَصْبَحَ زَحَفَ بِالنَّاسِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَخَذَ عَلَى يَقُولِ :
مَنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ ؟ وَمَنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ ؟ فَسُبَّتَ لَهُ قِبَاطِلُ أَهْلِ الشَّامِ ، حَتَّى إِذَا
عَرَفَهُمْ وَرَأَى مَرَاكِزَهُمْ قَالَ لِلأَزْدِ : اكْضُفْنِي الْأَزْدَ ، وَقَالَ لَخَثْمِ : اكْضُفْنِي
خَثْمِ . وَأَمَرَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنْ تَكْفِيَهُ أَخْتَهَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ قَبِيلَةً لَيْسَ مِنْهَا بِالشَّامِ أَحَدٌ فَيَصْرِفُهَا إِلَى قَبِيلَةٍ أُخْرَى تَكُونَ بِالشَّامِ ، لَيْسَ
مِنْهُمْ بِالْعِرَاقِ وَاحِدٌ ، مِثْلَ بَنِي جَلْدَةَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ بِالشَّامِ إِلَّا عِدَّةٌ قَلِيلٌ ، فَصَرَفَهُمْ
إِلَى لَخْمِ . ثُمَّ تَنَاهَضَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا نَهَارَهُمْ كُلَّهُ ،
ثُمَّ انْصَرَفُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ وَكُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ غَدَاةَ الْخَمِيسِ صَلَّى
عَلَى بَشَكْسَ .

٣٢٨٨/١

قال أبو غنم : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَنْطَبِ الْأَزْدِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :
مَا رَأَيْتُ عَلِيًّا غَلَسَ بِالصَّلَاةِ أَشَدَّ مِنْ تَغْلِيصِهِ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ خَرَجَ بِالنَّاسِ إِلَى
أَهْلِ الشَّامِ فَرَحَفَ إِلَيْهِمْ ، فَكَانَ يَدْعُوهُمْ فَيَسِيرُ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا رَأَوْهُ قَدْ زَحَفَ
إِلَيْهِمْ اسْتَقْبَلُوهُ بِوَجْهِهِمْ .

قال أبو غنم : حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَمِيئَةَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبِ الْجُهَنِيِّ ،
أَنْ عَلِيًّا خَرَجَ إِلَيْهِمْ غَدَاةَ الْأَرْبَعَاءِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ رَبِّ السَّقْفِ
الْمَرْفُوعِ ، الْمَحْضُوطِ الْمَكْرُوفِ ، الَّذِي جَعَلَ مَتْنَفِيسًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَجَعَلَ

فيه مجرى الشمس والقمر ونازل النجوم، وجعلت سكانه سبيطاً^(١) من الملائكة، لا يسأون العبادة. وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، والحوام والأنعام، وما لا يحصى مما لا يرى وما يرى من خلقك العظيم. وربّ القللك التي تجرى في البحر بما يتفع الناس، وربّ السحاب المسخّر بين السماء والأرض، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم، وربّ الجبال الرأسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق متاعاً؛ إن أظهرتنا على عدونا فجنبتنا البغي، وسدّدنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصم بقية أصحابي من الفتنة.

قال: وازدلف الناس يوم الأربعاء فاقتتلوا كأشدّ القتال يومهم حتى الليل، لا يتصرف بعضهم عن بعض إلا للصلاة، وكثرت القتل بينهم، وتحاجزوا عند الليل وكلّ غير^٢ غالب، فأصبحوا من الغد، فصلّى بهم على^٣ ٢٢٨٩/١ غداة الخميس، ففلس بالصلاة أشدّ التغليس، ثم بدأ أهل الشام بالخروج، فلما رأوه قد أقبل إليهم خرجوا إليه بوجوههم، وعلى ميمته عبد الله بن بدّيل، وعلى ميسرته عبد الله بن عباس، وقرأ أهل العراق مع ثلاثة نفر: مع عمّار ابن ياسر، ومع قيس بن سعد، ومع عبد الله بن بدّيل، والناس على أياتهم ومراكزهم، وعلى^٤ في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة وأهل البصرة، وعظم من معه من أهل المدينة الانتصار، ومعه من خزاعة عدد حسن، ومن كثافة وغيرهم من أهل المدينة.

ثم زحف إليهم بالناس، ورفع معاوية قبة عظيمة قد ألقى عليها الكرايس^(١) وبايعه عظم الناس من أهل الشام على الموت، وبعث خيل أهل دمشق فاحتاطت بقيته، وزحف عبد الله بن بدّيل في المينة نحو حبيب بن مسلمة، فلم يزل يحوز^(٢)، ويكشف خيلته من الميسرة حتى اضطروهم إلى قبة معاوية عند الظهر^(٣).

(١) السبط هنا: الأمة.

(٢) الكرايس: ضرب من الثياب؛ فارسيّ مرّب.

(٣) يحوز، أي يبلده ويهيمه.

(٤) الخبر في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٢٦٩ - ٢٦٣.

قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أمية ، عن زيد بن وهب الجهني ، أن ابن بُدَيْل قام في أصحابه فقال : **أَلَا إِنَّ مَعَاوِيَةَ ادَّعَى مَا لَيْسَ أَهْلُهُ ، وَنَازَعَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ لَيْسَ مِثْلِهِ ، وَجَادَلَ بِالْبَاطِلِ لِيُحْيِيَ بِهِ الْحَقَّ ، وَصَالَ عَلَيْكُمْ بِالْأَعْرَابِ وَالْأَحْزَابِ ، قَدْ زَيَّنَ لِمَنْ الضَّلَالَةَ ، وَزَرَعَ فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ ، وَزَادَهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ ، وَأَتَمَّ عَلَى نَوْرِ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَبَرِهَانَ مِنْ .** فقاتلوا الطغاة الجفاة ، ولا تخشَوْهم ، فكيف تخشونهم وفي أيديكم كتاب الله عز وجل طاهراً مبروراً^(١) ! **﴿ اُنْخَشَوْهُمْ قَاغَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيُنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُلُوبَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾**^(٢) ، وقد قاتلناهم مع النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) مرة ، وهذه ثانية ، والله ما هم في هذه بأثني ولا أركي ولا أرشد ، قوموا إلى عدوكم بارك الله عليكم ! فقاتل قتالا شديداً هو وأصحابه^(٤) .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، عن أبيه ومولى له ، أن علياً حرض الناس يوم صفين ، فقال : **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تَجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ^(٥) ، تُشْفِي^(٦) بَكُمْ عَلَى الْخَيْرِ : الْإِيمَانُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةَ الذَّنْبِ ، وَمَسَاكِنَ طَيْبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ . ثُمَّ أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بَنِيانُ مَرْصُوصٍ ، فَصُورُوا صَفُوفَكُمْ كَالْبَنِيانِ الْمَرْصُوصِ ، وَقَدَّمُوا الدُّارِعَ ، وَأَخَّرُوا الْحَاسِرَ ، وَصَفَّتُوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أُنْبِئِيَ السُّيُوفَ عَنِ الْمَامِ^(٧) ، وَالتَّوَارِ**

(١) صفين : ظاهر مجرور .

(٢) سورة التوبة : ١٣ ، ١٤ .

(٣) صفين : وقد قاتلهم مع النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الخبر في صفين : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٥) صفين : من العذاب .

(٦) شفي ، أي تشرف .

(٧) أنبي : أيه . والمأم : الرصاص .

في أطراف الرماح، فإنه أصون^(١) للأسته. وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش،
 وأسكن القلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرَد للفشل، وأولى بالوقار. راياتكم^(٢)
 فلا تميلوها ولا تزيّلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، فإن المانع للذمار،
 والصابر عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم ويكتفونها^(٣)؛
 يضربون حفايفها خلفها وأمامها، ولا يضحونها. أجزأ امرؤ وقد قيرته^(٤) -رحمكم
 الله^(٥) - وآسى أخاه بنفسه، ولم يكيل قيرته إلى أخيه، فيكسب بذلك لائمة،
 ويأتي به دفاة. وأنى لا يكون هذا هكذا ! وهذا يقاتل اثنين، وهذا بمسك
 بيده يدخل قرنه على أخيه هارباً منه، أو قائماً ينظر إليه ! من يفعل هذا
 يحقته الله عز وجل، فلا تعرضوا لقت الله سبحانه فلما مردكم إلى الله، قال الله
 عز من قائل لقوم : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ
 وَإِذَا لَا تَتُومُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٦). وإيم الله لن سلمن من سيف العاجلة
 لا تسلمون من سيف الآخرة. واستعينوا بالصديق والصبر، فإن بعد الصبر
 يُنزل الله النصر^(٧).

• • •

الجد في الحرب والقتال

قال أبو مخنف: حدثني أبو روق الهمداني، أن يزيد بن قيس الأرحبي حرض
 الناس فقال: إن المسلم السليم من سليم ديثمورأيه، وإن هؤلاء قوم والله إن يقاتلونا^(٨)

-
- (١) صفين : « فإنه أمور للأسته » ، وأمور ، تفصيل من المورد وهو الاضطراب والمجيء
 واللعاب . (٢) صفين : « راياتكم » .
 (٣) صفين : « ويكتفونها » .
 (٤) وقد قرنه : ضرب به ضرباً شديداً .
 (٥) صفين : « رحمه الله » .
 (٦) سورة الأحزاب : ١٦ .
 (٧) الخبر في صفين : ٢٦٤ ، ٢٦٥ بروايته عن عمر بن سعد ، عن عبد الرحمن بن
 عبد الرحمن ، عن أبيه .
 (٨) إن هنا معنى لئني ، وفي صفين : « ما إن يقاتلونا » .

٣٢٩٢/١ على إقامة دين رأونا ضيغناه، وإحياء حق رأونا امتنناه، وإن يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ليكونوا جبارة فيها ملوكاً ، فلو ظهوروا عليكم - لأراهم الله ظهوراً ولا سروراً - لزموكم^(١) بمثل سعيد والوليد^(٢) وعبد الله^(٣) بن عامر السفيه الضال، يخبر^(٤) أحدهم في مجلسه بمثل ديبته ودية أبيه وجدّه^(٥)، يقول: هذا لي ولا لثم على^(٦)، كأنما أعطى ترائه عن أبيه وأمه، وإنما هو مال الله عز وجل^(٧)، أفاءه علينا بأسياقتنا وأرماحتنا، فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين، الحاكين بخير ما أنزل الله، ولا يأخذكم في جهادهم لوم لثم^(٨)، فإنهم إن يظهروا عليكم يُفسدوا عليكم دينكم ودنياكم، وهم من قد عرفتم وخبرتم، وإيم الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شراً .

وقاتلهم عبد الله بن بُدَيْل في الميمنة قتالا شديداً حتى انتهى إلى قبة معاوية . ثم إن الذين تبايعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية ، فأمرهم أن يصعدوا لابن بُدَيْل في الميمنة ، وبعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة ، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم ، وانكشف أهل العراق من قبيل الميمنة حتى لم يبق منهم إلا ابن بُدَيْل في مائتين أو ثلثمائة من القراء ، قد أسند بعضهم ظهوره إلى بعض ، وانجفل^(٩) الناس ، فأمر على سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة ، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة ، فاحتلتهم حتى ألحقتهم بالميمنة ، وكان في الميمنة إلى موقف على في القلب أهل اليمن، فلما كشفوا^(١٠) انتهت الهزيمة إلى على ، فأنصرف يمتشى نحو الميسرة ، فانكشفت عنه مفر من الميسرة ، وثبتت ربيعة^(١١) .

قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أحيى الجهمي ، عن زيد بن وهب

(١) صفين : « أوزموكم » . (٢) يعني سعيد بن الناس والوليد بن عتبة .

(٣) صفين : « حبيب الله » .

(٤-٥) صفين : « يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت » .

(٥) صفين : « لومة لاثم » .

(٦) انجفلوا : ذهبوا سريعاً .

(٧) يقال : كشف القوم ، أي أوزموا . وفي صفين : « انكشفوا » .

(٨) صفين : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، برواية عن عمرو ، عن أبي روق الهذلي .

الجهنمي، قال: مر على معه بنوه نحو الميسرة، [ومعه ربيعة وحدها] ^(١)، وإنني لأرى النبل يمر بين عاتقه ومنكبه ^(٢)، وما من بنه أحد إلا يقيه بنفسه، [فيكره عليّ ذلك] ^(٣)، فيتقدم [عليه] ^(٤)، فيحول بين أهل الشام وبينه، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه أو من ورائه، فيصر به أحمر - مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أمية - فقال [عليّ] ^(٥): ورب الكعبة، قتلى الله إن لم أقتلك أو تقتلني! فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى عليّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية ^(٦)، ويتنزهه عليّ، فيقع بيده في جيب درعه، فيجلبه، ثم حمله على عاتقه ^(٧)، فكأنني أنظر إلى رجليتيه، تختلفان على عتق عليّ ^(٨)، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه ^(٩) وعصديه، وشدّ ابنا عليّ عليه: حسين ومحمد، فضرباه بأسياهما، [حتى برد] ^(١٠)، فكأنني أنظر إلى عليّ قائماً وإلى شيليه يضربان الرجل، حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما، والحسن قائماً قال له: يا بني، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كفتاني يا أمير المؤمنين. ثم إن أهل الشام دنوا منه والله ما يزيده قريبهم منه سرعة في مشيه، فقال له الحسن: ما ضرك لو سميت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك من أصحابك؟ فقال: يا بني، إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عند السعي، ولا يعجل به إليه المشي، إن أباك والله ما يبالي أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه ^(١١).

٣٢٩٤/١

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، عن مولى للأشتر، قال: لما انهزمت ميمنة العراق وأقبل عليّ نحو الميسرة، مرّ به الأشتر يركض نحو الفراع قبل الميمنة، فقال له عليّ: يا مالك، قال: لبّيك،

(١) من صفين.

(٢) صفين: منكبه.

(٣ - ٤) صفين: «وشالط عليا ليشربه بالسيف، فأنزله عليّ، فقع يده في جيب درعه، فجلبه ثم حمله على عاتقه، فكأنني أنظر إلى رجليه تختلفان على عتق عليّ».

(٥) ابن الأثير والتهري: «منكبه».

(٦) صفين: ٢٨٠ - ٢٨٣.

قال : اتت هؤلاء القوم قتل لم : أين فراركم من الموت الذى لن تُعجزوه ، إلى الحياة التى لن تبقى لكم ! ففزعوا فاستقبل الناس منهُم ، فقال لم هذه الكلمات التى قالها له على^(١) . وقال : إلى أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظن أنه بالأشتر أعرف فى الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إلى أيها الناس . فأقبلت إليه طائفة ، وهبت عنه طائفة ، فنادى : أيها الناس ، عضيضتم بهن آياتكم ! ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيها الناس ، اخلصوا إلى ملجأ ، فأقبلت إليه ملجج ، فقال : عضيضتم بهم الجنادل ! ما أرضيتهم ربكم ، ولا نصحتهم له فى عدوكم ، وكيف بملك وأنتم أبناء الحرب ، وأصحاب الثارات ، وفتيان الصباح ، وفرسان الطراد ، وخوف الأقران ، وملجج الطعان ، الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم ، ولا تطل دمايهم ، ولا يعرفون فى موطن بخصف ، وأنتم حد^(٢) أهل مصركم ، وأحد^(٣) حى فى قلوبكم ، وما فعلوا فى هذا اليوم ، فإنه ماثور بعد اليوم ، فاقفوا ماثور الأحاديث فى غد^(٤) ، واصدقوا عدوكم القاء فإن الله مع الصادقين . والذى نفس مالك بيته ما من هؤلاء - وأشار بيته إلى أهل الشام - رجل على مثال جناح بعوضة من محمد صلى الله عليه وسلم . أنتم ما أحسنتم القيراع^(٥) ، اجلئوا سواد وجهي يرجع فى وجهي دى . عليكم بهذا السواد الأعظم ، فإن الله عز وجل لو قد فضه تبعه من يمانيه كما يتبع مؤخر السيل مقدمه .

٢٢٩٥/١

قالوا : خذ بنا حيث أحببت . وصمد نحو عظمهم فيما بلى المينة ، فأخذ يزحف إليهم ، ويرد هم ، ويستقبله شباب من همدان - وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ - وقد انهزموا آخر الناس ، وكانوا قد صبروا فى المينة حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل ، وقتل منهم أحد عشر رئيساً ، كلما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر ، فكان الأول كريب بن شريح ، ثم شرحبيل ابن شريح ، ثم مرتد بن شريح ، ثم هيرة بن شريح ، ثم يريم بن شريح ،

٢٢٩٦/١

(١) صفين : « انتهى أمره على يدي » .

(٢) صفين : « أحد » . (٣) أحد ، أى أكثر عدداً .

(٤) ماثور الحديث : ما يكثر ويرى ويغير الناس به بعضهم بعضاً .

(٥) صفين : « ما أحسنتم اليوم » .

ثم مُسْتَبِرٍ بِنِ شَرِيح^(١)، قَتِلَ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ السَّتَّةَ جَمِيعًا. ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَفِيَّانَ ابْنَ زَيْدٍ، ثُمَّ عَبْدَ بْنَ زَيْدٍ، ثُمَّ كُرَيْبَ بْنَ زَيْدٍ، قَتَلَ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ الثَّلَاثَةَ جَمِيعًا، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَمِيرَةَ بْنَ بِشِيرٍ^(٢)، ثُمَّ الْحَارِثُ بْنُ بِشِيرٍ^(٣)، قَتَلَا، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ وَهَبُ بْنُ كُرَيْبٍ أَخُو الْقَلْبُوسِ^(٤)، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَقْبَلَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ: انصَرَفَ بِهِذِهِ الرَّايَةَ-رَحِمَكَ اللَّهُ- فَقَدْ قُتِلَ أَشْرَافُ قَوْمِكَ حَوْلَهَا، فَلَا تَقْتُلْ نَفْسَكَ وَلَا مِنْ بَقِيَ مِنْ قَوْمِكَ، فَاَنْصَرِفُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: لَيْتَ لَنَا عِدَّتَنَا مِنَ الْعَرَبِ بِحَالِفُونَا عَلَى الْمَوْتِ، ثُمَّ نَسْتَقْدِمُ نَحْنُ وَهُمْ فَلَا نَنْصَرِفُ حَتَّى نَقْتُلَ أَوْ نَنْظُرَ^(٥). فَرُفُّوا بِالْأَشْتَرِ وَهُمْ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ، فَقَالَ لَهُمُ الْأَشْتَرُ: إِلَى أَنَا أَحَافِظُكُمْ وَأَعَاذُكُمْ عَلَى الْآلِ نَرْجِعُ أَبَدًا حَتَّى نَنْظُرَ أَوْ نَهْلِكَ. فَأَتَوْهُ فَوَقَفُوا مَعَهُ، فَفِي هَذَا الْقَوْلِ قَالَ كَعْبُ بْنُ جَعْفَلٍ التَّغْلِبِيُّ:

• وَهَذَانُ زُرُقٌ تَبَتَّنِي مِنْ تَحَالِفٍ^(٥) •

وزحف الأشتر نحو الميمنة، وثأب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياة والوفاء، فأخذ لا يصمد لكتيبة إلا كشفها، ولا لجمع إلا حازه وردّه، فإنه لكللك إذ مرّ بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر، فقال: مَنَ هذا؟ فقيل: زياد بن النضر، استلحم^(٦) عبد الله بن بديل وأصحابه في الميمنة، فتصدّم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته، فصبروا، وقاتل حتى صُرع، ثم لم يمكنوا إلا كَلَّاشِيءَ حَتَّى مَرَّ بِيَزِيدَ بْنِ قَيْسِ الْأَرْحَجِيِّ مَحْمُولًا نَحْوَ الْعَسْكَرِ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ: مَنَ هَذَا؟ فَقَالُوا: يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ، لَمَّا صُرعَ زِيَادُ ابْنِ النَّضْرِ رَفَعَ لِأَهْلِ الْمِيْمَنَةِ رَايَتَهُ، فَقَاتَلَ حَتَّى صُرعَ، فَقَالَ الْأَشْتَرُ: هَذَا وَاللَّهِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ، وَالْفَعْلُ الْكَرِيمُ، أَلَا يَسْتَحْيِ الرَّجُلُ أَنْ يَنْصَرِفَ لَا يَقْتُلَ

(١) سفين: «شمر بن شريح».

(٢) صفين: «بشر».

(٣) سفين: «أبو القلوس».

(٤) صفين: «نظر»؛ «من الظهور»؛ وهو النظر.

(٥) أي زرق الميمنة؛ وهو عتيم كناية عن القوم.

(٦) استلحم، أي احشوه العدو في القتال.

ولا يُقتل ، أو يُشفى به على القتل (١) !

قال أبو غنف : حدثني أبو جَنَاب الكلبي ، عن الحرّ بن الصَّبَّاح التَّخَمي ، أن الأَشتر يومئذ كان يقاتل على فرس له في يده صفيحة يمانية ، إذا طأطأها خيلت فيها ماء منصّباً ، وإذا رفعها كاد يُعشي (٢) البصر شعاعها ، وجعل يضرب بسيفه ويقول :

• الفَرَاتِ ثُمَّ يَنْجِلِينَا (٣) •

قال : فبصر به الحارث بن جُهمان الجُفَعي والأشتر متقنع في الحديد ، فلم يعرفه ، فلما منه فقال له : جزاك الله خيراً منذ اليوم عن أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين ! فعرفه الأشتر ، فقال [يا] (٤) بن جهمان ، مثلك (٥) يتخلف عن مثل موطنى هذا الذى أنا فيه ! فنظر إليه ابن جُهمان فعرفه ، فكان من أعظم الرجال وأطولاه (٦) — وكان في لحية خيفة قليلة (٧) — فقال : جعلت فداك ! لا والله ما علمت بمكانك إلا الساعة ، ولا أفارقك حتى أموت . قال : وراه منقذٌ وحَمِير ابننا قيس الناعِطِيّان ، فقال منقذ لحمير : ما في العرب مثل هذا ، إن كان ما أرى من قتاله [على نيته] (٨) ، فقال له حمير : وهل النية إلا ما تراه يصنع ! قال : إني أخاف أن يكون يحاول مُلكاً (٩)

٢٢٩٨/١

• • •

قال أبو غنف : حدثني قُصَيْيل بن خَلْدِيَج ، عن مولى للأشتر ، أنه

(١) الخبر في صفين: ٢٨٢ - ٢٨٩ .

(٢) كذا في أصول الطبري ، والنشا: ضعف الإيصار ؛ وفي صفين : ينشئ البصر . بالعين ، أى يذهب به .

(٣) من رجز لأغلب العجل ؛ وروايته في المبدائي ٢ : ٥٨ • الفَرَاتِ ثُمَّ يَنْجِلِين • قال في شرح المثل : • يضرب في أحوال الأمور العظام • .

(٤) من صفين .

(٥) صفين : • أمثك • .

(٦) وأطولاه ؛ أى من أطول من وجد من الرجال ، وحده للقصير ذهاباً إلى المعنى . قال ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٦٧ : • وهو كثير في العربية من ألصق الكلام • .

(٧) صفين : • إلا أن في لحه خفة قليلة • .

(٨) من صفين • . (٩) صفين: ٢٨٧ • ٢٨٨ .

لما اجتمع إليه عظيم من كان انهزم عن المينة حرّضهم ، ثم قال : عَضُّوا على التَّوْاجِد من الأضراس ، واستقبلوا القوم بهامِك ، وشَدُّوا شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتَرِينَ ثَاراً بِأَبَانِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِينَاً عَلَى حُلُومِهِمْ ، قَدْ وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ كَيْلَا يُسَبِّقُوا بِوَتَرٍ ، وَلَا يَلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَاراً ، وَإِمْ اللهُ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَوْتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ لِيُصَيِّتُوا السَّنَّةَ ، وَيُحْيُوا الْبَلَدَةَ ، وَيَعْلُوكُمْ فِي ضَلَالَةٍ قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ . فَطَيَّبُوا عِبَادَ اللهِ أَنْفُساً بِدِمَائِهِمْ دُونَ دِينِكُمْ ، فَإِنْ ثَوَابِكُمْ عَلَى اللهِ ، وَاللهُ عِنْدَهُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . وَإِنْ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ فِيهِ السُّلْبُ لِلْعَزِّ ، وَالْغَلَبَةُ عَلَى الْيَاءِ ، وَذَلَّ الْحَيَا وَالْمَمَاتُ ، وَعَارُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَحَمَلَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى كَشَفَهُمْ ، فَأَلْحَقَهُمْ بِصُفُوفٍ مَعَاوِيَةٍ بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ ، وَانْتَهَى إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ بُدَيْلٍ وَهُوَ فِي عَصْبَةٍ مِنَ الْقُرَاءِ بَيْنَ الْمَاتَتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ ، وَقَدْ لَصِقُوا بِالْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ جُنَّا^(١) فَكَشَفَ عَنْهُمْ أَهْلَ الشَّامِ ، فَأَبْصَرُوا إِخْوَانَهُمْ قَدْ دَنَوْا مِنْهُمْ ، فَقَالُوا : مَا فَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالُوا : حَتَّى صَالِحٌ فِي الْمِيسِرَةِ ، يَقَاتِلُ النَّاسَ أَمَامَهُ ، فَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَدْ كُنَّا ظَنَنَّا أَنْ قَدْ هَلَكَ^(٢) . وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُدَيْلٍ لِأَصْحَابِهِ : اسْتَقْدِمُوا بِنَا ، فَأَرْسَلَ^{٢٩٩/١} الْأَشْثَرُ إِلَيْهِ : أَلَا تَفْعَلُ ، اثْبَتْ مَعَ النَّاسِ . فَقَاتِلَ ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَّهُمْ وَأَبْقَى لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ . فَأَبَى ، فَضَى كَمَا هُوَ نَحْوُ مَعَاوِيَةَ ، وَحَوْلَهُ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ ، وَفِي يَدِهِ سَيْفَانِ ، وَقَدْ خَرَجَ فَهُوَ أَمَامَ أَصْحَابِهِ ، فَأَخَذَ كُلُّمَا دَنَا مِنْهُ رَجُلٌ ضَرْبَهُ فَقَتَلَهُ ، حَتَّى قَتَلَ سَبْعَةَ ، وَدَنَا مِنْ مَعَاوِيَةَ فَهَضَّ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَأُحِيطَ بِهِ وَبَطَاقَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَقُتِلَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَرَجَعَتْ طَائِفَةٌ قَدْ جَرَحُوا مِنْهُمْ زَيْن^(٣) ، فَبَعَثَ الْأَشْثَرُ ابْنَ جَسْمَانَ الْجَعْفَى فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَنْ نَجَا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ بُدَيْلٍ حَتَّى نَفَسُوا عَنْهُمْ ، وَانْتَهَوْا إِلَى الْأَشْثَرِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَلَمْ يَكُنْ رَأْيِي لَكُمْ خَيْراً مِنْ رَأْيِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ! أَلَمْ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَثْبِتُوا مَعَ النَّاسِ ! وَكَانَ مَعَاوِيَةُ قَالَ لِابْنِ بُدَيْلٍ وَهُوَ

(١) الْخِشَا : جَمْعُ جَنْثَةٍ ، وَهِيَ الْكَبِيَّةُ مِنَ التَّرَابِ . (٢) التَّوْبَرِيُّ وَابْنُ الْأَثِيرِ :

« ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ » . (٣) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَرَجَعَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَجْرَحِينَ » .

يضرب قُدُمًا : أترونه كبش القوم ! فلما قُتِلَ أُرسل إليه ، فقال : انظروا مَنْ هو ؟ فنظر إليه ناس من أهل الشام فقالوا : لا نعرفه ، فأقبل إليه حتى وقف عليه ، فقال : بلى ، هنا عبد الله بن بُدَيْل ، والله لو استطاعت نساء خُرَاعة أن تقاتِلنَا فضلا على رجالها^(١) لقتلنَا، مدَّوه ، فدَّوه ، فقال : هنا والله كما قال الشاعر :

أخو الحرب إن عَصَتْ به الحرب عَصًا وإن شَعَرَتْ يوماً به الحرب شَعْرًا^(٢)

والبيت لحاتم طيئ . وإن الأشتر زحف إليهم فاستقبله معاوية بعك^{٣٢٠٠/١} والأشعرين ، فقال الأشتر للذحيج : اكفونا عكنا ، ووقف في همدان وقال ليكنلة : اكفونا الأشعرين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول : إنما هم عكك ، فاحملوا عليهم ، فيجئون على الركب ويرتجزون : يا ويل أم مذحج من عكك هاتيك أم مذحج تُبَكِّي^(٣)

فقاتلهم حتى مساء . ثم إنه قاتلهم في همدان وناس من طوائف الناس ، فحمل عليهم فأزالهم من مواقعهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية ، ثم شدَّ عليهم شدة أخرى فصرع الصفوف الأربعة ، — وكانوا معقلين بالعمائم — حتى انتهوا إلى الخامس الذي حول معاوية ، ودعا معاوية بفرس فركب — وكان يقول : أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن الإطنابة من الأنصار — كان جاهلياً ، والإطنابة امرأة من بكفتين :

أبت لي عفتي وحياله نفسي وإقداي على البطال المشيح^(٤)
وإعطائي على المكروه مالي وأخذني الحمد بالتمن الربيع
وقولي كلما جشأت وجلشت مكانك تحدى أو تسرعي
فنعني هذا القول من القرار .

(١) ابن الأثير : « من رجالنا » . (٢) ديوانه ١٢١ . (٣) صفين ٢٥٦ ، ويطه :

نصكهم بالسيق أي عكك فلا رجال كرجال عكك

(٤) صفين ٤٤٩ والكامل ٤ : ٦٨ مع اختلاف في الرواية . والمشح : الجدة

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعيان الجهنقي، عن زيد بن وهب، أن علياً لما رأى ميمته قد عادت إلى مواقعها ومصافها وكشفت من يلائها من علوها حتى صار يوم في مواقعهم وبراكرهم، أقبل حتى انتهى إليهم فقال: إني قد رأيت جثثكم وانحيازكم عن صفوفكم، يجوزكم^(١) الطغاة الخلفاء وأعراب أهل الشام، وأنتم لتهايمم العرب، والسنام الأعظم، وعمار الليل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون، فلولاً إقبالكم بعد إدباركم، وكرهكم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دبره، وكنتم من المالكين، ولكن هون وجدى، وشفى بعض أحاح نفسي^(٢)، أنى رأيتم بأختره حزنهم كما حازوكم، وأزلتهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحسّنهم بالسيوف، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطردة [اليهم]^(٣)، فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة، وثبتكم الله عز وجل باليقين، ليعلم المنهزم أنه مسخبط ربه، ومويق نفسه، إن في القرار موجبة الله عز وجل عليه، والذلّ اللازم، والعار الباقي، واعتصار القيء من يده، وفساد العيش عليه. وإن الفار منه لا يزيد في عمره، ولا يرضى ربه، ففوت المرمه مُحققاً قبل إتيان هذه الحاصل، خير من الرضا بالتأيس لها^(٤)، والإقرار عليها^(٥).

قال أبو مخنف: حدثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر الأحمسي، أن رؤية بجيلة بصفين كانت في أحسن بن الفوث بن أنمار مع أبي شداد — وهو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن علي ابن أسلم بن أحسن بن الفوث — وقالت له بجيلة: خذ رايثنا؛ فقال: غيري خير لكم مني، قالوا: ما فريد غيرك، قال: والله لن أعطيتنونيها لا أنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب^(١) قالوا: اصنع ما شئت، ٢٧/١

(١) يجوزكم: ينحكم.

(٢) الأحاح: اشتداد الحزن والتهبط. (٣) من صفين، والهم: السلاش.

(٤) صفين: بالتطيس بها. (٥) صفين: ٢٨٩، ٢٩٠.

(٦) بعدها في صفين: وجل رأس معاوية وجل قائم به ترس ملهب يسره من الشمس.

فأخذها ثم زحف ، حتى انتهى بهم إلى صاحب الترس المدهب - وكان في جماعة عظيمة من أصحاب معاوية ، وذكروا أنه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي - فاقتل الناس هناك قتالا شديداً ، فشدّ بسيفه نحو صاحب الترس ، فتعرض له روي ، مولى^(١) لمعاوية فيضرب قدّم أبي شدّاد فيقطعها ، ويضربه أبو شدّاد فيقتله ، وأشرعت إليه الأمّنة فقتل ، وأخذ الرّاية عبد الله ابن قِلْع الحمصي وهو يقول :

لَا يَبْعِدُ اللَّهُ أَبَا شَدَّادٍ حَيْثُ أَجَابَ دَعْوَةَ الْمُنَادِي
وَشَدَّ بالسيف على الأعادي نِعمَ الفتي كان لدى الطرادِ
• وفي طمان الرجل والجلاذ •

فقاتل حتى قُتِل ، فأخذ الرّاية أخوه عبد الرحمن بن قِلْع ، فقاتل حتى قُتِل ، ثم أخذها عتيق بن لباس ، فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس ، وقتل حازم بن أبي حازم الأحمسي - أخو قيس بن أبي حازم - يومئذ ، وقتل نعيم بن صهيب بن العليّة البجليّ يومئذ ، فأبى ابن عمه وسميه نعيم بن الحارث ابن العليّة معاوية - وكان معه - فقال : إن هذا القتل ابن عمي ، فبه لي أذنه ، فقال : لا تدفنه فليس لذلك أهلاً ، والله ما قدرنا على دفن ابن عفّان رضي الله عنه إلا سراً . قال : والله لتأذنن في دفنه أو لألحقن بهم ولأدعنك . قال معاوية : أترى أشياخ العرب^(٢) قد أحالتهم أمورهم^(٣) ، فأنت تسألني في دفن ابن عمك ! ادفنه إن شئت أو دعه . فلففته^(٤) .

قال أبو مخنف : حدثني الحارث بن حصيرة الأزدي ، عن أشياخ من الثمّير من الأزدي ، أن ميخنف بن سليم لما نُسبت الأزد للأزد ، حمّد الله وأبني عليه ثم قال : إن من الخطأ الجليل ، والبلاء العظيم ، أننا صرّفنا إلى قومنا وصرّفوا إلينا ، والله ما هي إلا أيدينا نقطعها بأيدينا ، وما هي إلا أجنحتنا نجدّها بأسافنا ، فإن نحن لم نؤاسر جماعتنا ، ولم نفاصح صاحبنا ككفرنا ، وإن

(١) صفين : من دونه . (٢-٣) صفين : لا نؤادهم .

(٤) صفين ٢٩١ و ٢٩٢ .

نحن فعلنا فخرنا أبجنا ، وفارنا أنعمدنا ، فقال له جندب بن زهير : والله لو كنّا آباهم وولدهم - أو كنّا أبناءهم وولدهم - ثم خرجوا من جماعتنا ، وطعنوا على إمامنا ، وإذا هم الحاكون بالجور على أهل ملتنا. وذهبتنا ، ما افرقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عنا هم عليه ، ويلخطوا فينا ندعوم إليه ، أو تكثر القتل بيننا وبينهم .

فقال له غنم - وكان ابن خالته : أعز الله بك النية ^(١) ، والله ما علمت صغيراً وكبيراً إلا مشؤماً ، والله ما ميلنا ^(٢) الرأى قط أيهما نأى أو أيهما اندخ - في الجاهلية ولا بعد أن أسلمنا - إلا اخترت أصرها وأنكدتها ، اللهم إن تعافى أحب إلينا من أن تبغلي ، فأعط كل امرئ منا ما يسألك .

٣٣٠/١

وقال أبو بريدة بن عوف : اللهم احكم بيننا بما هو أرضى لك . يا قوم إنكم تبصرون ما يصنع الناس ، وإن لنا الأسوة بما عليه الجماعة إن كنا على حق ، وإن يكونوا صادقين فإن أسوة في الشر - والله ما علمنا - ضرر في الحميا والممات .

وتقدم جندب بن زهير ، فبارز رأس أزد الشام ، فقتله الشامي ، وقتل من رעה عجل وسعد ابنا عبد الله من بني ثعلبة ، وقتل مع ميخنف من رעה عبد الله وخالد ابنا ناجد ، وعمر وهاجر ابنا عويف ، وعبد الله بن الحجاج وجندب بن زهير ، وأبو زنب بن عوف بن الحارث ، وخرج عبد الله بن أبي الحصين الأزدي في القراء الذين مع عمار بن ياسر فأصيب معه ^(٣) .

قال أبو غنم : وحدني الحارث بن حصيرة ، عن أشياخ النمر ، أن عقبة بن حديد النمرى قال يوم صفين : ألا إن مرعى الدنيا [قد] ^(١) أصبح هشيماً ، وأصبح شجرها خضيداً ، وجديدها سمسلاً ، وحلوا مر المذاق . ألا وإني أنبشكم نأ امرئ صادق : إني قد ستمت الدنيا وعزفت نفسى عنها ،

(١) صفين : وأعزبك الله في التيه .

(٢) التميل : الترجيع .

(٣) صفين ٢٩٧ ، ٢٩٨ . (٤) من صفين .

وقد كنت أتمنى الشهادة ، وأعرض لها في كل جيش^(١) وظارة ، فأبى الله عز وجل إلا أن يبلغني هذا اليوم . ألا وإنّي متعرض لها من ساعتى هذه ، قد طمعت ألا أحرّمها ، فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادي الله ؟ خوفاً^(٢) من الموت القادم عليكم ، الذاهب بأنفسكم لا محالة ، أو من ضربة كف بالسيف ! تستبدلون الدنيا بالنظر في وجه الله عز وجل وواقعة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار القرار ! ما هنا بالرأى السليد . ثم مضى فقال : يا إخوتي ، قد بعثت هذه النار بالي أمامها ، وهذا وجهي إليها لا يرح وجوهكم ، ولا يقطع الله عز وجل رجاءكم . فبجّه إخوته : عيّد الله وعوف وبالك ، وقالوا : لا نطلب رزق الدنيا بعدك ، فبجّه الله العيش بعنك ! اللهم إنا نحسب أنفسنا عنك ! فاستقموا فقاتلوا حتى قُتِلوا^(٣) .

قال أبو مخنف : حدثني صلة^(٤) بن زهير النهدي ، عن مسلم^(٥) بن عبد الله الضبابي ، قال : شهدت سيفين مع الحنّ ومعنا شمر بن ذى الجوشن الضبابي ، فبارزه أدهم بن عمرز الباهلي ، فضرب أدهم وجه شمر بالسيف ، وضربه شمر ضربة لم تضربه ، فرجع شمر إلى رحله فشرّب شربة . وكان قد ظمى . ثم أخذ الرمح ، فأقبل وهو يقول :

إني زعيم لأخي باهلة بطمئة إن لم أصب عاجلة
أوضربة تحت القنا والوعى^(٦) شبيهة بالقتل أو قاتلة
ثم حمل على أدهم فصرعه ، ثم قال : هذه بتلك^(٧) .

قال أبو مخنف : حدثني عمرو بن عمرو بن عوف بن مالك الجشمي أن بشر بن عيصمة المُرقي كان لحق بمعاوية ، فلما اقتتل الناس بصيفين بصّر

-
- (١) صفين : ح . جين . . (٢) صفين : « أخوف الموت القادم عليكم ! .
(٣) صفين : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٤) ط : « ملّة » ، وفي صفين : « الصلت » ، وانظر الطبري ٢ : ٦٣٥ (طبع ليدن) .
(٥) ط : « من أبي مسلم » ، وانظر القهري .
(٦) صفين : « وضربة تحت القنا فأسله » .
(٧) صفين : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

بشر بن عيصمة بمالك بن العتد يسموه مالك بن الجلاح الجحشي، ولكن^(١) العتدية غلبت عليه فراه بشر وهو يقرى في أهل الشام فرياً حبياً، وكان رجلاً مسلماً شجاعاً، ففاظ بشرأ ما رأى منه، فحمل عليه فلعته فصرعه، ثم انصرف، فندم لعلته لئلا جباراً، قال:

وإني لأرجو من ملكي تجاوراً ومن صاحب للوسوم في الصدور حاجس^(٢)
دلفت له تحت النبار بطننة على ساعة فيها الطلن نخالس^(٣)
فلغت مقالته ابن العتدية، قال:

ألا أبلغا بشر بن عيصمة أني شئت وألهاني الذين أمارس
فصادفت مني غيرة وأصبتها كذلك والأبطال ماض وخالس

ثم حمل عبد الله بن الطفيل البكائي على جمع لأهل الشام، فلما انصرف حمل عليه رجل من بني تميم يقال له قيس بن قرة، تمتحن بماوية من أهل العراق - فبضع الرمح بين كتي عبد الله بن الطفيل، ويعرضه يزيد ابن معاوية، ابن عم عبد الله بن الطفيل، فبضع الرمح بين كتي التميمي، فقال: والله لئن طعنته لأطمنتك، قال: عليك عهد الله وميثاقه لئن رفعت السنان على ظهر صاحبك لرفعن سنانك حتى أقال له: نعم، لك بذلك عهد الله، فرفع السنان عن ابن الطفيل، ورفع يزيد السنان عن التميمي، فقال: بمن أنت؟ قال: من بني عامر، قال له: جعلني الله فداكم! أينما^(٤) أنتمكم ألقكم كراماً، وإني لحادي عشر رجلاً من أهل بيني ورملي فقتلهم اليوم، وأنا كنت آخرهم. فلما رجع الناس إلى الكوفة حب على يزيد بن الطفيل في بعض ما يعب فيه الرجل على ابن عمه، قال له:

ألم ترني حاتيتك منك مناصحاً بصفين إذ خلأك كل حميم
وتنهت عنك الخنظل وقد آتى على ساج ذي مية وعزيم^(٥)

(١) الموسوم: اسم فرس. (٢) ط: و أبنا، وفي الأصل: و ألبنا، وكلاهما تصحيف.
(٣) صليحة: ٣٠٥، ٣٠٦ مع تصرف ولفظة واختصار.

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه عبد الرحمن بن عمرز الكندي ، ثم الطمحي^(١) ، فتجاولا ساعة . ثم إن عبد الرحمن حمل على الشامي فطمنه في ثغرة^(٢) نحره فصصره ، ثم نزل إليه فسلبه درعه وصلاحه ، فإذا هوحشي^(٣) ، فقال : إنا لله ! لمن أخطرت نفسي ! لعبد أسود^(٤) ! وأخرج رجل من عك يسأل المبارزة ، فخرج إليه قيس بن فهذان الكِنَاني ، ثم البديكي ، فحمل عليه المكّي فضربه واحتمله أصحابه فقال قيس بن فهذان :

لَقَدْ عَلِمْتَ عَكَ بِصِفَتِ أَتْنَا إِذَا التَقَتِ الْخِلَالُ نَطَمْنَهَا غَرَزًا
وَنَحْمِلُ رَايَاتِ الطَّامِنِ بِحَقِّهَا فَنُورِدُهَا يَضَاوُ نُصْدِرُهَا حُرًا^(٥)

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج أن قيس بن فهذان كان يحرص أصحابه فيقول : شدوا إذا شددتم جميعاً ، وإذا انصرفتم فأقبلوا معاً ، وعضضوا الأبصار ، وأقلبوا اللفظ ، واعتوروا الأقران ، ولا يؤتبن من قبلكم العرب . قال : وقتل نهيك بن عزيير - من بني الحارث بن عدى وعمر بن يزيد من بني ذهل ، وسعيد بن عمرو - وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فر إلى معاوية من علي ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه أخوه أبو العَصْرَة بن يزيد ، فتعارفا ، فتواقفا وانصرفا إلى الناس ، فأخبر كل واحد منهما أنه لقي أخاه .

قال أبو مخنف : حدثني جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جويان الطائي ، أن طيئاً يوم صفين قاتلت قتالا شديداً ، فعبّيت لهم جموع كثيرة ، فجامعهم حمزة بن مالك الهذلي ، فقال : ممن أنتم ، قال عبد الله ابن خليفة البولاني^(٦) - وكان شيعياً شاعراً خطيباً : نحن طيئ السهل ، وطيئ

(١) ط : « الطمحي » تحريف ، وطبع : بطن من كتنة ، وانظر القاموس والاشتقاق .

(٢) ثغرة النحر : فقرته .

(٣) صفين : « أسود » .

(٤) صفين : « فقال : يا الله ! لقد أخطرت نفسي لعبد أسود » .

(٥) صفين ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٦) صفين : « الطائي » ، ويولان : [سند قتيال طيئ] .

الرمل ، وطبيع الجبل ، المنوع ذى النخل ؛ نحن حُماة الجبلين ؛ إلى ما بين
العذيب والعيتين ، نحن طبيع الرياح ، وطبيع النطاح^(١) ، وفُرسان الصباح .
فقال حمزة بن مالك : بخر بخر ! إنك لحسن التناء على قومك ؛ فقال :

إِنْ كُنْتُ لَمْ تَشْعُرْ بِنَجْدَةِ مَعْشَرٍ فَأَقْدِمْ هَلَيْنَا وَيَبَّ غَيْرِكَ تَشْعُرُ^(٢)
ثم اقتل الناس أشد القتال ، فأخذ يناديهم ويقول : يا معشر طبيع ،
فِدَى لَكُمْ طَارِفِي وَتَالِدِي ! قَاتِلُوا عَلَى الْأَحْصَابِ ، وأخذ يقول :

أَنَا الَّذِي كُنْتُ إِذَا الدَّاعَى دَعَا مَضْمَمًا بِالسَّيْفِ نَدْبًا أَرْوَعًا^(٣)
فَأَنْزَلَ الْمُسْتَلْتِمَ الْمُقَنَّمَا وَأَقْتَلَ الْمُبَالِطَ السَّمِيدَا
وقال بشر بن العسوس الطائي ثم الملقطى :

يَا طَيْمُ السُّهُولِ وَالْأَجْبَالِ أَلَا انْهَدُوا بِالْبَيْضِ وَالْعَوَالِ
وَبِالْكُمَاةِ مِنْكُمْ الْأَبْطَالِ فَقَارِعُوا أُنْمَةً الْجُهَالِ
• السَّالِكِينَ سُبُلَ الضَّلَالِ^(٤) •

فَفُتِّتَ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ ابْنِ الْعَسُوسِ ، فقال في ذلك :

أَلَا لَيْتَ عَيْنِي هَذِهِ مِثْلُ هَذِهِ فَلَمْ أَمْشِ فِي الْأَنْبَاسِ إِلَّا بِقَائِدِ^(٥)
وَيَالَيْتَنِي لَمْ أَتُبَّ بَعْدَ مُطَرِّفٍ وَسَعْدٍ وَبَعْدَ الْمُسْتَشِيرِ بْنِ خَالِدٍ
فَوَارِسَ لَمْ تَفْذُ الْحَوَاضِنُ مِنْهُمْ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ خَدَامِ الْخُرَائِدِ^(٦)

(١) سفين وابن الأثير : « البطاح » .

(٢) سفين : « ويل غيرك » .

(٣) رواية الرجز في سفين :

يَا طَيْمُ الْجِبَالِ وَالسُّهْلِ مَا إِنَّا إِذَا دَاعَرَ دَعَا مَضْطَجِعَا
نَدْبُ السَّيْفِ دِيمَا أَرْوَعَا فَتَنْزِلُ الْمُسْتَلْتِمَ الْمُقَنَّمَا
وَهَقَّتْ الْمَنَازِلَ السَّمِيدَا •

(٤) سفين : « الجهال » .

(٥) سفين : « ولم أَمْشِ بين الناس » .

(٦) الحواضن : الأمهات . والخدَام : السقَّان ، واحدها حمة .

وباليت رجلي تم طئت ينصفها^(١) وباليت كفى تم طاحت يساعدي^(٢)

قال أبو مخنف : حدثني أبو الصلت التيمي ، قال : حدثني أشياخ عمار ، أنه كان منهم رجل يقال له خنجر بن عبيدة بن خالد^(٣) ، وكان من أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يوم صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ، فأخذ ينادي : يا معشر قيس ، أطاعة الشيطان آثر عندكم من طاعة الرحمن !
القرار فيه معصية الله سبحانه وسخطه ، والصبر فيه طاعة الله عز وجل ورضوانه ، فتختارون سخط الله تعالى على رضوانه ، ومعصيته على طاعته ! فإنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً لنفسه . وقال :

لَا وَأَلَتْ نَفْسُ امْرِئٍ وَلَّى الدُّبُرَ^(٤) أَنَا الَّذِي لَا يَنْتَقِي وَلَا يَنْفِرُ
وَلَا يُرَى مَعَ الْمَازِلِ النُّدُرُ^(٥) .

فقاتل حتى ارتث . ثم إنه خرج مع الحمالة الذين كانوا اعتزلوا مع فزوة بن نوفل الأشجعي ، فتلوا بالأسكرة والبسندنجين ، فقاتلت النخع يومئذ قتلاً شديداً ، فأصيب منهم يومئذ بكر بن هوزة وحيان بن هوزة وشعيب بن نعيم من بني بكر النخع ، وريعة بن مالك بن وهليل ، وأبي بن قيس أخو حلقة بن قيس الفقيه ، وقطعت رجل حلقة يومئذ ، فكان يقول : ما أحب أن رجلي أصبح ما كانت ، وإنها لما أرجو به حسن الثواب من رب عز وجل . وقال : لقد كنت أحب أن أرى في نومي أخى أو بعض إخواني ، فرأيت أخى في النوم قلت : يا أخى ، ماذا قدمتم عليه ؟ فقال لي : إنا التينا نحن والقوم ، فاحججنا عند الله عز وجل ، فحججناهم ، فما سررت منذ عقلت سرورى بتلك الرؤيا^(٦) .

(١) طئت : قطعت وقطعت .

(٢) صفين : ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٣) صفين : « خنجر بن عبيدة بن خالد » .

(٤) وألت : نجت ، وق صفين : « ولت دبر » .

(٥) المازيل : جمع مزال ، وهو الذي لا صلاح له .

(٦) صفين : ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

قال أبو مخنف : حدثني سُويد بن حبة الأسدي، عن الحُفَين
ابن المنذر ، أنَّ أناساً كانوا أتوا علياً قبل الواقعة فقالوا له : إنا لا نرى
٣٣١١/١ خالد بن المعمر إلا قد كاتب معاوية ، وقد خشينا أن يتابعه . فبعث إليه
على وإلى رجال من أشرافنا ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أما بعدُ
يا معشر ريعة ، فأنتم أنصارى وبميو دَعَوَى مِن أَوْقَى حَى فِي العرب فِي
نَفْسِي ، وقد بَلَغَنِي أَنَّ معاوية قد كاتب صاحبكم خالد بن المعمر ، وقد
أَتَيْتُ بِهِ ، وجمعتكم لأشهدكم عليه وتسمعوا أيضاً ما أقوله . ثم أقبل عليه ،
فقال : يا خالد بن المعمر ، إن كان ما بلغني حقاً فإني أشهد الله ومن
حَضَرَنِي من المسلمين أَنَّكَ آمِنٌ حَتَّى تَلْحَقَ بِأَرْضِ العراقِ أَوْ الْحِجَازِ أَوْ
أَرْضِ لَا سُلْطَانَ لِمَعَاوِيَةِ فِيهَا ، وَإِنْ كُنْتَ مَكْلُوباً عَلَيْكَ ، فَإِنَّ صَلَواتِنَا
تَطْمَئِنُّ إِلَيْكَ . فحلف باقهما فعل ، وقال رجال منا كثير : لو كنا نعلم أنه
فعل أمثلناه^(١) ، فقال شقيق بن نُوْر السَّلَوى : ما وَفَّقَ خالد بن المعمر
أَنْ نَصَرَ^(٢) معاوية وأهل الشام على عليٍّ وريعة ، فقال زياد بن خُصَفة
الْتِمِيَّ : يا أمير المؤمنين ، استوثق من ابن المعمر بالآيمان لا يفدرتك .
فاستوثق منه ، ثم انصرفنا . فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من قِبل
الميمنة ، فجاءنا على حَتَّى انتهى إلينا ومعه بنوه ، فنادى بصوت عالٍ جهوري ،
كفیر المَكْرُوثِ لِمَا فِيهِ النَّاسُ : لِمَنْ هَذِهِ الرِّايَاتُ ؟ قلنا : رايَاتُ رِيعَةٍ ، فقال :
بل هي رايَاتُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، عصم الله أهلها ، فصبرهم ، وثبت أقدامهم .
ثم قال لي : يا فتى ، أَلَا تُدْعِي رايَتَكَ هَذِهِ ذِرَاعاً ؟ قلت : نعم والله وعشرة^(٣)
أُذْرُعُ ، فقامت بها فأدْبِثْتُهَا ، حَتَّى قال : إِنَّ حَبيبَكَ مَكَانَكَ ، فبُتَّ حَيْثُ
أمرني ، واجتمع أصحابي^(٤) .

• • •

قال أبو مخنف : حدثنا أبو الصلت التيمي ، قال : سمعتُ أشياخَ الحِمْيَ

(١) صلين وابن الأثير : « لقتلناه » .

(٢) صلين : « حين نصر » .

(٣) صلين : ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

من تيم الله بن ثعلبة يقولون : " إن راية ربيعة ، أهل كوفتها وبصرتها ، كانت مع خالد بن المعمر " من أهل البصرة . قال : ومخبرهم يقولون : إن خالد ابن المعمر وسفيان بن ثور [السوسي] (١) اصطالحا على أن وليا راية بكرين وقال من أهل البصرة الحفصيين بن النضر الأدهلي ، وتنافس في الراية ، وقالا : هذا شيء منا له حسب ، فجهلها له حتى نرى من رأينا .

ثم إن علياً ولي خالد بن المعمر بعد راية ربيعة كلها . قال : وضرب معاوية لحسبهم على ثلاث قبائل ، لم تكن لأهل العراق قبائل أكثر عدداً منها يوشد : على ربيعة وسنلان وملحج ، فوقع سهم حنجر على ربيعة ، وقال ذو الكلاع : قبحك الله من سهم كرهت القتراب ! فقليل ذو الكلاع في حنجر ومن تعلقها ، وسهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب في أربعة آلاف من قرناء أهل الشام ، وحل ميستهم ذو الكلاع ، فحملوا على ربيعة ، وهم ميسرة أهل العراق ، وهم ابن حباس ، وهو على الميسرة ، فحمل عليهم ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر حملة شديدة بخيلهم ورجلهم ، ففرضعت رايات ربيعة إلا قليلا من الأخيار والأبطال (٢) . قال : ثم إن أهل الشام انصرفوا ، فلم يمكنوا إلا قليلا حتى كروا ، وعبيد الله بن عمر يقول : يا أهل الشام ، إن هذا الشيء من أهل العراق قلة عشان بن عفان رضى الله عنه ، وأنصار على بن أبي طالب ، وإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم في عشان وهلك على بن أبي طالب وأهل العراق ، فشدوا على الناس شدة (٣) ، فثبتت لم ربيعة ، وصبروا صبرا حسناً إلا قليلا من الضعفاء والفسقة ، وثبت أهل الرايات وأهل الصبر منهم والحفاظ ، فلم يزولوا ، وقتلوا قتالا شديداً . فلما رأى خالد بن المعمر ناساً من قومه انصرفوا انصرف ، ولمأ رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا ورجع وصاح بمن انهزم ، وأمرهم بالرجوع ،

٣٣١٣/١

(١ - ١) صفين : « كانت راية ربيعة كوفتها وبصرتها مع خالد بن المعمر .

(٢) من صفين .

(٣) صفين : من الأخشام والأبطال . والأشام : الاتباع .

(٤) بدلنا في ابن الأثير والنويري : « عطية » .

فقال : مَنْ أراد من قومه أن يتهمه ، أراد الانصراف . فلما رأنا قد ثبتنا رجح إلينا وقال هو : لا رأيت رجالاً منا انهزموا رأيتُ أن أستقبلهم وأردم إليكم ، وأقبلت إليكم فيمن أطاعني منهم ، فجاء بأمر مشبه^(١) .

قال أبو خنief : حدثني رجل من بكر بن وائل ، عن محرز بن عبد الرحمن العجلي ، أن خالد^(٢) قال يومئذ : يا معشر ربيعة ، إن الله عز وجل قد أتى بكل رجل منكم من منيته وسقيط رأسه ، فجمعكم في هذا المكان جمعاً لم يجمعكم مثله منذ نشركم في الأرض ، فإن تمسكوا بأيديكم^(٣) ، وتكفلوا عن عدوكم ، وتزولوا عن مصافكم^(٤) لا يرض الله فعلكم ، ولا تقدّموا من الناس صغيراً أو كبيراً إلا يقول : فضحت ربيعة الذمار ، وحاصت عن القتال^(٥) ، وأبيت من قبلها العرب ، فلما كنتم أن يتشامكم بكم العرب والمسلمون اليوم . وإنكم إن تمضوا مقبلين مقدمين ، وتصيروا محشين فلان الإقدام لكم عادة ، والصبر منكم سجية ، واصبروا ونيستكم [صادقة]^(٦) أن توحشروا ، فإن فواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً .

فقام رجل [من ربيعة]^(٧) فقال : ضاع والله أمر ربيعة حين جعلت إليك أمورها ! تأمرنا ألا نزل ولا نحول حتى تقتل أنفسنا ، وتسفك دماعنا ! ألا ترى الناس قد انصرف جلّهم ! فقام إليه رجال من قومه فتهروه وتناولوه بالسبّهم^(٨) . فقال لم خالد : أخرجوا هذا من بينكم ، فإن هذا إن بقي فيكم

(١) صفين ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، وفيها : « فجاء بأمر مشبه » .

(٢) صفين : « خالد بن المصير » . (٣) صفين : « أيديكم » .

(٤) صفين : « وتزولوا عن مصافكم » .

(٥ - ٥) صفين : « لا يرض الرب فعلكم ، ولا تقدّموا صغيراً ، يقول : فضحت ربيعة الذمار وحاصت عن القتال » .

(٦) من صفين .

(٧) صفين : « فتناولوه بقسهم وكثروا بأبهم » .

ضركم^(١) ، وإن خرج منكم لم ينتقصكم ، هنا الذي لا ينقص العدد ، ولا يملأ البلد ، برحك^(٢) الله من خطيب قوم كرام ! كيف جنبّت السداد ! واشتد قتال ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتل^(٣) ، فقتل سمير بن الريان بن الحارث الصجل^(٤) ، وكان من أشد الناس بأساً^(٥).

قال أبو غنف : حدثني جعفر بن أبي القاسم العبدى ، عن يزيد بن علقمة ، عن زيد بن بدر العبدى ، أن زياد بن خصفة أتى عبد القيس يوم صيفين وقد حبّبت قبائل حمير مع ذى الكلاع - وفيهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب - ل بكر بن وائل ، قتلوا^(٦) قتالاً شديداً ، خافوا فيه الهلاك . فقال زياد بن خصفة : يا عبد القيس ، لا بكر بعد اليوم^(٧) . فركبنا الخيول ، ثم مضينا فواقفناهم ، فما لبثنا إلا قليلاً حتى أصيب ذو الكلاع ، وقتل عبيد الله بن عمر رضى الله عنه ، فقالت همدان : قله هاني بن خطاب الأرجسي ، وقالت حنظل موت : قله مالك بن عمرو التثني^(٨) ، وقالت بكر ابن وائل : قله محرز بن الصبح من بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، فأخذ به معاوية بالكوفة بكر بن وائل ، فقالوا : إنما قله رجل منا من أهل البصرة ، يقال له : محرز بن الصبح ، فبعث إليه بالبصرة فأخذ منه السيف ، وكان رأس النسيم بن قاسط عبد الله بن عمرو من بني تيم الله بن النسيم^(٩) .

-
- (١) صلين : « أنصركم » . (٢) برحك الله : أى ملكه . (٣) بعدنا فى صلين : وحمل عبيد الله بن عمر ، فقال : أنا الطيب ابن الطيب ، قالوا : أنت الخبيث ابن الخبيث .
(٤) صلين : « شر بن الريان بن الحارث » .
(٥) صلين ٣٢٨ - ٣٣٠ : وزاد فيه : « ثم خرج نحو من خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب علي » ، حل ريوهم البيض يوم غاصصين فأخذوا لا يرى منهم إلا الخلق ، وخرج إليهم من أهل الشام نعيم بن العبد ، فالتقوا بين الصفين ولتاس تحت راياتهم ، فلم يرجع من هؤلاء هؤلاء غير ، لا عراق ولا شام ، قتلوا جميعاً بين الصفين .
(٦) صلين : « قتلوا » .
(٧) بعدنا فى صلين : « إن ذا الكلاع وعبيد الله أبدا ربيعة ، فانهضوا معهم وإلا هلكوا » .
(٨) صلين : « السبي » .
(٩) صلين ٣٣٤ - ٣٣٦ : يقتل أكبر .

قال هشام بن محمد : الذي قتل عبّيد الله بن عمر رضى الله عنه عمرز بن الصّحبح ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، سيف عمر ، فى ذلك قول كعب بن جعيل التّغلبى :

أَلَا إِنَّمَا تَبْكِي السُّيُونَ لِقَارِيَسٍ بِصَفِينٍ أَجَلَتْ خَيْلُهُ وَهُوَ وَاقِفُ
يُبْدِلُ مِنْ أَسْمَاءِ أَسَافٍ وَائِلٍ وَكَانَ قَى لَوْ أَخْطَأَتْهُ التَّمَاتِفُ
تَرْكُنْ عَبِيدَ اللَّهِ بِالْقَاعِ مُسَدَّدًا ^(١) تَمُجُّ دَمَ الْخِرْقِ الرُّوقُ الذَّوَارِفُ

وهى أكثر من هذا ^(٢) . وقُتل منهم يومئذ يشر بن مرة بن شرّحيل ، والحارث بن شرّحيل ، وكانت أسماء ابنة عطارذ بن حاجب التميمى تحت عبّيد الله بن عمر ، ثم خُلف عليها الحسن بن على .

قال أبو مخنف : حدثنى ابن أخى غياث بن لقيط البكرى أن علياً ^{٢٣١٦/١} حيث انتهى إلى ربيعة ، تبارت ربيعة بينها ، فقالوا : إن أصيب على فيكم وقد بلغنا إلى رايتمكم اقتضضم . وقال لم شقيق بن ثور : يا معشر ربيعة ، لا علم لكم فى العرب إن وُصِلَ إلى على فيكم وفيكم رجل حتى ، وإن منعتموه فجدّ الحياة اكتسبتموه . فقاتلوا قتالاً شديداً حين جامعهم على لم يكونوا قاتلوا مثله ، ففى ذلك قال على :

لَيْنَ رَايَةَ سَوْدَاهُ يَحْتَفِقُ ظِلْمًا إِذَا قِيلَ قَدَمَاهَا حُضَيْنُ قَدَمًا ^(٣)
يُقَدِّمُهَا فِي الْمَوْتِ حَتَّى يُزِيرَهَا حَيَاسُ النَّيَا تَقَطُرُ لِلْوَتِ وَالْدَمَا ^(٤)
أَذَقْنَا ابْنَ حَرْبٍ طَمَعَنَا وَضِرَابَنَا بِأَسَافَا حَتَّى تَوَلَّى وَاحْبَا
جَزَى اللَّهُ قَوْمًا صَابِرُوا فِي قَلْبِهِمْ لَدَى الْمَوْتِ قَوْمًا مَا أَغْفَ وَأَكْرَمًا ^(٥)

(١) صفين : « مسلماً » ، أى متروكاً .

(٢) تسعة أبيات ؛ أوردها نصر فى صفين ٣٣٦ .

(٣) الأبيات لحسين بن النضر ؛ وفى رواية صفين : « أقبل الحسين بن النضر - وهو يومئذ غلام - يزحف برأيه ؛ وكانت سمراء ، فأعجب علياً زخفه وشبانه فقال وأورد الأبيات .

(٤) صفين : « حتى يذيرها . . . حيام الناي . . .

(٥) صفين : « لى قلبس حراً . .

وَأُطِيبَ أَخْبَرًا وَأُحْرِمَ شَيْئًا إِذَا كَانَ أَصَوْتُ الرَّجُلِ تَنَفُّسًا^(١)
وَيَمَّةٌ أَيْ أَنَّهُمْ أَهْلُ تَجْدَةِ وَأَيْسَ إِذَا لَقُوا جَبِيحًا حَرَمَرَمًا^(٢)

• • •

مقتل عمار بن ياسر

قال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي ، أن عمار بن ياسر خرج إلى الناس ، فقال : اللهم إني لو أعلم أن رضاك في أن أقتل بنفسي في هذا البحر لعلته ، اللهم إني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبئة سني في صدري ثم أنحن عليها حتى تتخرج من ظهري لعلت ، وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضي لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم أن عملاً من الأعمال هو أرضي لك منه لعلته .

قال أبو مخنف : حدثني الصنّعب بن زهير الأزدي ، قال : سمعت عماراً يقول : والله إني لأرى يوماً يضربنيكم ضرباً يرتاب منه البطالون ، وإم الله لو ضربونا حتى يملأوا بنا سمكات^(٣) هجر لعلنا أنا حل الحق ، وأنهم حل الباطل^(٤) .

حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، قال : حدثنا مسلم الأحمور ، عن جبة بن جؤين العمري ، قال : انطلقت أنا وأبوسعد إلى حذيفة بالمدائن ، فدخلنا عليه ، فقال : مرحباً بكما ، ما خلغتما من قبائل العرب أحداً أحب إلي منكما . فأستندت إلى أبي مسعود ، قلنا : يا أبا عبد الله ، حدثنا فلان نخاف الفتن ، فقال : عليكما بالفته إلى فيها

(١) رواية مسلم .

وأحرم صبراً حين تدعى إلى الوقي إذا كان أصوات الكلمة تنفّسا

(٢) الخبر في الصحيحين ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، رواية في رواية الأبيات .

(٣) السمك : وهو جريد النخل ، قال في البيان ١١ : ٥٢ . وإما غير جريد النخل

في المسألة : ولأنها موصوفة بكثرة التفتل . (٤) صحيح ٢٦٣ - ٢٦٥ .

ابن ماجة ، إلى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وقتله الله بالبغية
التاكية عن الطريق ، وإن آخر رزقه ضياع^(١) من لبن . قال حبة : فشهدته
يوم صيفين وهو يقول : اتنى بأخبر رزقي من الدنيا ، فأبى بضياع من
لبن في قلدح أروح^(٢) له حلقة حمراء ، لما أعطاه حذيفة مقياس شجرة ،
فقال :

اليوم أتى الأحبة عمداً وحزبه

وأنه لو ضربونا حتى يملأوا بنا سمحات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم
على الباطل ، وجعل يقول : الموت تحت الأسفل ، والبجنة تحت البارقة^(٣) .

حدثني محمد ، عن خلف ، قال : حدثنا منصور بن أبي نويرة ، عن
أبي ميخنف . وحدثت عن هشام بن الكلبي ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني
مالك بن أحين البلهسي ، عن زيد بن وهب البلهسي ، أن حماد بن ياسر
رحمه الله قال يومئذ : أين من يتبلى رضوان الله عليه ، ولا يتوب إلى مال ولا
ولد ! فأنته عصابة من الناس ، فقال : أيها الناس ، اقصوا بنا نحو هؤلاء
الذين يهرون دم ابن عفان ، ويذمونه أنه قليل مظلوم ، والله ما طلبتهم بدمه ،
ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرعوها وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال
بينهم وبين ما يمتدحون فيه من دنياهم ، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام
يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم ، فخذعوا أتباعهم أن قالوا : إمامنا
قليل مظلوم ، ليكولوا بذلك جباية ملوكنا ، فلك مكيدة يملأوا بها ما ترون ،
ولولا هي ما تبهم من الناس وجلان . اللهم إن تنصروا لظالمنا نصرت ، وإن
تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحلفوا في عبادك العذاب الأليم . ثم مضى ،
ومضت تلك العصابة التي أجاهاه حتى دفا من حمرو فقال : يا حمرو ، بعت
دينك بمصر ، تبأ لك تبأ طامع يفتي في الإسلام حيوجاً . وقال لعبيد الله
ابن حمز بن الخطاب : صرتك الله ابعت دينك من علو الإسلام وابن علوه ،

(١) الضياع بالفتح : الجبن الرقيق الكثير الماء .

(٢) أروح ، أي فيه سعة .

(٣) صلين ، ٢٨٦ - ٢٨٨ مع اختلاف في الرواية .

قال : لا ، ولكن أطلب بدم عيان بن عفان رضى الله عنه ، قال له : أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجهه الله عز وجل ، وإنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً ، فانظر إذا أعطى الناس على قدر نيّاتهم ما نيّتك .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : أخبرنا حبيد بن الصباح ، عن عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت عمار بن ياسر بصيفين وهو يقول لعمرو بن العاص : لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أنقى .

حدثنا أحمد بن محمد ، قال : حدثنا الوليد بن صالح ، قال : حدثنا عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، قال : قال أبو عبد الرحمن السلمي : كنا مع عليّ بصيفين ، فكان قد وكلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما خفلة يحمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انتهى سيفه ، فألقاه إليهم ، وقال : لولا أنه انتهى ما رجعت - فقال الأعمش : هذا والله ضرب غير مراتب ، فقال أبو عبد الرحمن : سمع القوم شيئاً فأدّوه وما كانوا بكذا آيين^(١) - قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صيفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ورأيت أنه جاء إلى المير قال هاشم بن حنبل وهو صاحب راية عليّ ، فقال : يا هاشم ، أعوراً وجنباً ! لا خير في أعور لا يمشي البأس ، فإذا رجل بين الصفيين قال : هذا والله ليخلطن إمامه ، وليخلطن جنته ، وليصيرن جهده ، اركب يا هاشم ، فركب ، ونفى هاشم يقول :

أَعُورُ يَبْنِي أَهْلَهُ مَحْكَأً قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ

• لَا بَدْءَ أَنْ يَقُولَ أَوْ يَقْلَأَ • (٣)

(١) ابن الأثير : « يكافئين » .

(٢) يقل ، أى يطلب .

وعمار يقول : تقدّم يا هاشم ، الجفنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسل ، وقد فتحت أبواب السماء ، وتزينت الحور العين .
اليوم أتى الأحبة عمداً وحربة

فلم يرجعا وقتلا قال : يفيد لك علمهما من كان هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهما كانا عكما - فلما كان الليل قلت : لأدخلن إليهم حتى أعلم : هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ! وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم ، فركبت فرسي وقد هدأت الرجل ، ثم دخلت فإذا أنا بأربعة يشايرون : معاوية ، وأبو الأحرور السلمي ، وعمر بن العاص ، وعبد الله بن عمرو - وهو خير الأربعة - فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشقيين ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبت ، قتل هذا الرجل في يومكم هذا ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ! قال : وما قال ؟ قال : ألم تكن معنا ونحن نبنى المسجد ، والناس يتقلون حجراً حجراً وليتة لينة ، وعمار ينقل حجرين حجرين وليتين ليتين ، فنشئ عليه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : ويحك يا ابن مبيعة ! الناس يتقلون حجراً حجراً ، وليتة لينة ، وأنت تنقل حجرين حجرين وليتين لبنتين رغبة منك في الأجر ! وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفتنة الباغية ! . فلبغ عمرو صدر فرسه ، ثم جلب معاوية إليه ، فقال : يا معاوية ، أما تسمع ما يقول عبد الله ! قال : وما يقول ؟ فأخبره الخبر ، فقال معاوية : إنك شيخ أخرق ، ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بؤلك ^(١) ! أو نحن قتلنا عماراً ! إنما قتل عماراً من جاء به . فخرج الناس من فساطيطهم وأخيبتهم يقولون : إنما قتل عماراً من جاء به ، فلا أدري من كان أحب ؟ هو أو هم !

قال أبو جعفر : وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال على لريبعة ومندان : أنتم درعى ورعى ، فانتلب له نحو من اثني عشر ألفاً ، وتقدمهم على على بغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف

(١) في السان : وفي حديث معاوية ، قال لابن عمرو : لا تزال تأتيان بنة تدحض بها في بؤلك ، أي تترلق .

إلا انتفض ، وقتلوا كل من انتهوا إليه ، حتى بلغوا معاوية ، وعلى يقول :

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَىٰ معاوية الجاحِظَ البَيْنَ العَظِيمَ الحَلَوِيَّةَ^(١)

ثم نادى معاوية ، فقال على : علامَ يُقْتَلُ^(٢) الناس بيننا اهلهم أحاكمك إلى الله ، فأبينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو : أنصفك الرجل ، فقال معاوية : ما أنصف ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله ، قال له عمرو : وما يجعل بك إلا مبارزته ، فقال معاوية : طمعت فيها بعدي .

٢٢٢٢/١

قال هشام ، عن أبي غنief : قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حمزة ، عن سليمان الحضرمي ، قال : قلت لأبي حمزة : ألا تراهم ، ما أحسن هيئتهم ! يعني أهل الشام ، ولا تراثنا ما أتبع رجيتنا ! قال : عليك نفسك فأصليها ، ودع الناس فإن فيهم ما فيهم .

• • •

خبر هشام بن عتبة المرقال وذكر ليلة المرو

قال أبو غنief : وحدثني أبو سلمة ، أن هشام بن عتبة الزهري دها الناس عند النساء : ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فلن ، فأقبل إليه فأس كثير ، فشد في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً ، فليس^(٣) من وجه يحمل عليه إلا صبر له وقاتل فيه قتالا شديداً^(٤) ، فقال لأصحابه

(١) فيه في صفين : ٤٥٤ إلى الأثر في هذه الرواية :

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَىٰ معاوية الأَخْزَرَ البَيْنَ العَظِيمَ الحَلَوِيَّةَ
هَوَتْ بِرِي الثَّارِ أُمُّ هَاوِيَةٍ جَاوَزَهُ فِيهَا كَلَابٌ عَالِيَةٌ
أَعْرَىٰ طَلْعًا لَأَخَذَتْهُ حَالِيَةٌ •

(٢) الحميري : « قتل » .

(٣-٢) صفين : « ليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له وقاتل فيه قتالا شديداً » .

لا يهولنكم ما ترون من صيرهم ، فوافقه ما ترون فيهم إلا حبة العرب وصبراً تحت راياتها ، وعند مراكزها ، وإنهم لعل الضلال ، وإنكم لعل السوء . يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى علونا على عودة رويداً ، ثم البتوا ففانصروا ، واذكروا الله ، ولا يسأل^(١) رجل أناء ، ولا تكثروا الالتفات ، واصمدوا صمدتهم ، وجاهدوهم محسنين ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

ثم إنه مضى في حصاية معه من القراء ، فقاتل قتالا شديداً هو وأصحابه عند المساء حتى رأوا بعض ما يسرون به ، قال : فلأنهم لكللك إذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول :

أنا ابنُ أربابِ الملوكِ هَـنَـانُ والدائنُ اليومَ بدينِ هَـنَـانِ
إني أتاني خبرٌ فأشجانُ^(٢) أنْ علياً قَتَلَ ابنَ هَـنَـانِ

ثم يشد فلا يثنى حتى يضرب بسيفه ، ثم يشتم ويلعن ويكثر الكلام ، فقال له هاشم بن حبة : يا جده الله ، إن هذا الكلام ، بعده الخصاص ، وإن هذا القتال ، بعده الحساب ، فأتى الله فأنك راجع إلى الله فساللك عن هذا الموقف وما أردت به . قال : فإني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلح كما ذكر لي ، وأنتم لا تصلون أيضاً ، وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا ، وأنتم أردتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن هنان ! إنما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقرأه الناس ، حين أحدث الأحداث ، وتحالف حكم الكتاب ، وهم أهل الدين ، وأولى بالنظر في أمور الناس منك ومن أصحابك ، وما أظن أمر هذه الأمة وأمر هذا الدين^(٣) أهمل طريقة حين^(٤) . فقال له : أجل ، والله لا أكذب ، فإن الكذب يضرك ولا ينفع . قال^(٥) : فلان أهل هذا الأمر أعلم به ؛ فخله وأهل العلم به . قال : ما أظنك والله إلا نصحت لي ، قال^(٦) : وأما

(١) صلين : ولا يسأل رجل أناء .

(٢) صلين : أنا أنا لقولنا بما كان .

(٣-٢) صلين : هناك طريقة حين قتله .

(٤) صلين : فقال له هاشم .

(٥) صلين : وقال له هاشم .

٢٣٢٤/١

قوله: «إن صاحبنا لا يصلي، فهو أول من صلى، [مع رسول الله]»^(١) وألقته خلق الله في دين الله، وأولى بالرسول. وأما كل من ترى ممي فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجداً، فلا يفويتك من دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون. فقال النبي: يا عبد الله، إني أظنك امرأ صالحاً، فتخبرني: هل تجد لي من توبة؟ فقال: نعم يا عبد الله، تُسب إلى الله يتب عليك، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب المتطهرين. قال: فجسر^(٢) والله الفقي الناس واجماً، فقال له رجل من أهل الشام: خدحك العراق، خدحك العراق، قال: لا، ولكن نصح لي. وقاتل هاشم قتالا شديداً هو وأصحابه، وكان هاشم يُدعى الميرقال، لأنه كان يرقب في الحرب، فقاتل هو وأصحابه حتى أبروا على من يليهم، وحتى رأوا الظفر، وأقبلت إليهم^(٣) عند المغرب كتيبة تتنوخ فشدوا على الناس، فقاتلهم وهو يقول:

أعور يميني أهله محلاً^(٤) قد عالج الحياة حتى ملاً
• يتلهم بذى الكُوب تلاً •

فزعوا أنه قتل يومئذ تسعة أو عشرة. وحمل عليه الحارث بن المنذر التميمي فطعنه فسقط، وأرسل إليه على: أن قدم لواءك، فقال لرسوله: انظر إلى بطني، فإذا هو قد شق، قال الأنصاري الحجاج بن غزية:

فلن تغفروا بآب البذيل وهاشم ففحن قتلنا ذا الكلاع وحوشاً^(٥)
ومن تركنا بعد معرك القبا أخاكم عبيد الله لعمراً ملعباً

٢٣٢٥/١

(١) من صفين.

(٢) جسر الناس، أي تركهم وتبادلهم، وقد ابن الأثير: «فرج الفقي».

(٣) ابن الأثير: «عليهم».

(٤) بعده في ابن الأثير: «لا بد أن يقل أو يفلا».

(٥) من قصيدة طويلة أوردتها صاحب صفين مع الخبر رقم ٤٠٣-٤٠٤.

وَمَنْ أَحْطَا بِالْمَسِيرِ وَأَهْلِهِ وَمَنْ سَقَيْنَاكُمْ سِقَانًا مُقَشَّبًا

هشام، عن أبي مخنف، قال : حدثني مالك بن أحيين الجُهني، عن زيد ابن وهب الجُهني، أن علياً مرَّ على جماعة من أهل الشام فيها الوليد بن عقبة، وهم يشتمونه، فخبَّر بذلك، فوقف فيمن يليهم من أصحابه فقال : انهم لنا إليهم، عليكم السكينة والوقار، وقار الإسلام، وسيا الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل قائلهم ومؤذنيهم^(١) معاوية وابن النابتة^(٢)، وأبو الأهور السلمي وابن أبي ميثب شارب الخمر المجلود حدًّا في الإسلام، وهم أولى من يقومون فينقصوني ويحذبنوني^(٣)، وقبل اليوم ما قاتلوني، وأنا إذ ذاك أدعوم إلى الإسلام، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، الحمد لله، قد دُعيّا حاداني القاسقون فميدهم الله ألم يُقْبِحُوا^(٤) ! إن هذا هو الخطب الجليل، إن فساقاً كانوا غير مرضيين، وعلى الإسلام وأهله متخوفين، خدعوا شطر هذه الأمة، وأشربوا قلوبهم حب الفتنة، واستأثروا أهواءهم بالإفك والبهتان، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نورا لله عز وجل، اللهم فافضض خدعتهم^(٥)، وثبَّت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم^(٦) فإن لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت^(٧).

قال أبو مخنف : حدثني عمير بن وعلة، عن الشعبي، أن علياً مرَّ بأهل راية فرائم لا يزولون عن موقفهم، فحرض عليهم الناس، وذكر أنهم ضنَّان، فقال : إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دَرَاك يخرج منهم ٢٢٢٦/١ النسم، وضرب بقلبي منه الهام، ويطيح بالعظام، وتسقط منه المعاصم والأكف، وحتى تُصلح جباههم بصمد الحديد، وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان. أين أهل الصبر، وطلاب الأجر ! فتاب إليه عصابة من

(١) صفين : ٥ و٦ ج ٥ .

(٢) ابن النابتة عمرو بن العاص، وأمه النابتة، امرأة من حنزة .

(٣) يحيى بن أبي يحيى، وفطح يحيى بن يحيى : تحريف .

(٤) ألم يقبحوا : أي ألم ينجسوا ! وفي القرآن الكريم : « وكانوا من المقبحين » .

(٥) فضر الله خدمتهم، أي فرقها بعد اجتماعها، وأصل الخسة سير غليظ مثل الحلقة .

(٦) أبسلهم : أهلكتهم .

(٧) صفين : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

المسلمين ، فلما ابته محمداً ، فقال : امش نحو أهل هذه الزاية مشياً رويداً على هيبتك ، حتى إذا أشرعت في صدورهم الريح ، فأمسك حتى يأتيك رأيي . ففعل ، وأعد على مثلهم ، فلما دنا منهم فأشرع بالريح في صدورهم أمر على الذين أعد فشدوا عليهم ، وأنهض محمداً بمن معه في وجوههم ، فزالوا عن مواضعهم ، وأصابوا منهم رجلاً ، ثم اقتتل الناس بعد المغرب قتالاً شديداً ، فما صلى أكثر الناس إلا إجماعاً^(١) .

قال أبو مخنف : حدثني أبو بكر الكندي ، أن عبد الله بن كعب المرادي قيل يوم صفين ، فر به الأسود بن قيس المرادي ، فقال : يا أسود ، قال : لبيك ! وعرفه وهو بأخر رمق ، فقال : عز والله على مصرعك^(٢) ، أما والله لو شهدتك لأسيتك ، ولداقتك ، ولو عرفت الذي أشعرك^(٣) لأحييت إلا يترايل^(٤) حتى أقتله أو ألحق بك . ثم نزل إليه فقال : أما والله إن كان جارك ليأمن بوائحك ، وإن كنت لأمين للذاكرين الله كثيراً ، أوصني رحمة الله ! فقال : أوصيك بتقوى الله عز وجل ، وأن تناصح أمير المؤمنين ، وتقاتل معه المجتدين حتى يظهر أو تلحق بالله . قال : وأبلغه عنى السلام ، وقل له : قاتل عن المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك ، فإنه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره كان العالى ، ثم لم يلبث أن مات ، فأقبل الأسود إلى علي فأنخبره ، فقال رحمه الله : جاهد فينا صلواتك في الحياة ، ونصح لنا في النجاة^(٥) .

٢٣٢٧/١

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن إسحاق مولى بني المطلب ، أن عبد الرحمن ابن حنبل الجمحي ، هو الذي أشار على علي بهذا الرأي يوم صفين .

• • •

قال هشام : حدثني عروة ، قال : جعل ابن حنبل يقول يومئذ :
إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَنَا أَيْنُ حَنْبَلٍ أَنَا الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِيمَكُمُ نَحْلٌ

• • •

(١) صفين : ٤٤٥ ، ٤٤٦ . (٢) كلما في صفين ، وفي ط : ولمصرعك .

(٣) أشعرك : أي خالفك بقتاله .

(٤) يترايل : ولا يترايلي . (٥) صفين : ٢٠٠ .

رجع الحديث إلى حيث أتى مختلف : قال أبو غنم : قاتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح ، وفي ليلة القري ، حتى هضمت الرماح وضل السبل ، وصار الناس إلى السيف ، وأخذ على يسر فيا بين الميعة والميسرة ، ويأمر كل كتيبة من القراء أن تقدم على التي تليها ، فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى أصبح والمركة كلها خست ظهره ، والأشر في ميعة الناس ، وابن عباس في الميسرة ، وعلى في القلب ، والناس يقتلون من كل جانب ، وذلك يوم الجمعة ، وأخذ الأشر يرحل بالميت ويقاتل فيها ، وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الفصحى ، وأخذ يقول لأصحابه : انزعوا قيد هذا الرمح ، وهو يرحل بهم نحو أهل الشام ، فإذا فعلوا قال : انزعوا قاذ (١) هذا القوس ، فإذا فعلوا سلم مثل ذلك ، حتى مل أكثر الناس الإقدام ، فلما رأى ذلك الأشر قال : أعيكم بالله أن ترضوا الغنم سائر اليوم ، ثم دعا بفرسه ، وترك رايته مع حيّان بن هذيل النخعي ، وخرج يسير في الكتاب ويقول : من يشترى نفسه من الله عز وجل ، ويقاتل مع الأشر ، حتى يظهر أو يلحق بالله ! فلا يزال رجل من الناس قد خرج إليه ، وحيّان بن هذيل . قال أبو غنم : عن أبي جناب الكلبي ، عن حمارة بن ربيعة الجعفي ، قال : مررتي والله الأشر فأقبلت معه ، وجميع إليه قاس كثير ، فأقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان به الميعة ، فقام بأصحابه ، فقال : شدوا شدة ، سجدى لكم عتي وخال - تُرضون بها الرب ، وتُعزّون بها الدين ، إذا شددت فشدوا ، ثم نزل ففرب وجه دابته ، ثم قال لأصحاب رايته : قدم بها ، ثم شدة على القوم ، وشدة معه أصحابه ، ففرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى حسكرهم ، ثم إنهم قاتلوه عند الحسكر قتالا شديداً ، قتل صاحب رايته ، وأخذ على - لما رأى من الظفر من قبكه - يمدّه بالرجال (٢) .

• • •

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان

(١) القوي : وقد قيل : « قد وقيد » ، متاهل .

(٢) صفين : ٥٤٤ .

قال حدثني عبد الله ، عن جويرية ، قال : قال عمرو بن العاص يوم صفين لوزدان : ^١ « تدرى ما مثلى ومثلك ! مثل الأشقر » إن تقدم حنجر ، وإن تأخر نحر ، لئن تأخرت لأضربن حنقك ، التفتي بقيد ، فوضعه في رجليه فقال : أما والله يا أبا عبد الله لأوردنك حياض الموت ، ضح يذك على عاتق ، ثم جعل يقدم وينظر إليه أحياتا ، ويقول : لأوردنك حياض الموت .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . فلما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتد ، وخاف في ذلك الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أخريضة عليك لا يزيدنا اجتاهاً ، ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ قال : نعم ، قال : نرفع المصاحف ثم نقول : ما فيها حكمٌ بيننا وبينكم ، فإن أبي بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : بلى ، ينبغي أن تقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم ، وإن قالوا : بلى ، تقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين . فرفعوا المصاحف بالرمح وقالوا : هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم ، من ثغور أهل الشام بعد أهل العراق بعد أهل العراق ! فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت ، قالوا : فجيء إلى كتاب الله عز وجل ونبيب إليه .

• • •

ما روى من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي ، عن أبيه أن علياً قال : عباد الله ، امضوا على حكم وصديقكم قتال ^٢ عدوكم ، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي مخط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح

(١ - ١) ابن الأثير والنويري : « تدرى ما مثله ومثلك ومثل الأشقر ؟ قال : لا ،

قال : كالأشقر » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « قتال » .

والضحاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم،
 قد صحبتهم أطفالا، وصحبهم رجالا، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال،
 ويحكمهم^(١) إنهم ما رفعوها، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها^(٢)، وما رفعوها لكم
 إلا خديعة^(٣) وذهن^(٤)، ومكيدة، فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب
 الله عز وجل فنأبى أن نقبله، فقال لهم: فإنني إنما قاتلتهم ليدنيوا بحكم هذا
 الكتاب، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فبما أمرهم ونسوا عهده، ونبدوا
 كتابه. فقال له مسعر بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم
 السنبسي، في عصابة معهما من القرءاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي،
 أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه، وإلا ندفعك برؤسك إلى
 القوم، أو نفعل كما فعلنا بآبن عفان^(٥)؛ إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز
 وجل فقبلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك. قال: فاحفظوا عني نهى إياكم،
 واحفظوا مقاتلكم لي، أمّا أنا فإن تعليموني تقتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا
 ما بدا لكم! قالوا له: إمّا لا فابعث إلى الأشتر فليأتك^(٦).

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي، عن رجل من
 النخع، أنه رأى إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير، قال:
 كنت عند علي حين أكرهه الناس على الحكومة، وقالوا: ابعث إلى الأشتر
 فليأتك، قال: فأرسل علي إلى الأشتر يزيد بن هاشم السبيعي: أن اتني،
 فأتاه فبلغه، فقال: قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلي فيها
 عن موقي، إني قد رجوت أن يفتح لي، فلا تعجلني. فرجع يزيد بن هاشم
 إلى علي فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا، فارتفع الرّهج، وعلت الأصوات
 من قبيل الأشتر، فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل، قال:
 من أين ينبغي أن تروا ذلك! رأيتوني ساررته؟ أليس إنما كلمته على رموسكم

(١-٢) كذا وردت العبارة في ط، وفي صفين: «إنهم والله ما رفعوها، إنهم يعرفونها ويعلمونها».

(٢) يقال: دمن الرجل؛ إذا ناق. في ابن الأثير: «وهنا».

(٣) صفين: «ولا قتلنا كما قتلنا آبن عفان».

(٤) صفين: «٦٠٠، ٦١٠ مع تصرف واختصار».

علاجية ، وأنتم تسمعونى اقالوا : فابعث إليه قلياتك ، وإلا والله ^(١) احترناك . قال له : ونحكك يا يزيد اقل له : أقبل إلى فلان الفتنة قد وقعت ، فأبانه ذلك ، فقال له : أليغ المصاحف ؟ قال : نعم ، قال : لما والله قد طلعت حين رُفعت أنها ستوقع اختلافاً وفُرقة ، إنها مشورة ابن العاصرة ^(٢) ، ألا ترى ما منع الله لنا ! ابني أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم ! وقال يزيد بن حاتم : قتلت له : أحب أنك ظفرت ما هنا ، وأن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يُخرج عنه أو يسكن ؟ قال : لا والله ، سبحانه الله ! قال : فإني قد قالوا : لتوسلن إلى الأشتر غيائيتك أو لثقتك كما فعلنا ابن عفان . فأقبل حتى انتهى إليهم فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الذك^٣ ولهم من ، أحين طوتم القوم ظهراً ، وظنوا أنكم لم قاهرون ، رفضوا المصاحف يهجونكم إلى ما فيها ! وقد والله تركوا ما أمراه عز وجل^٤ به فيها ، وستة من أثرت عليه صلى الله عليه وسلم ، فلا تجيئهم ، أمهلنى ^(٥) عدو القرس ، فإني قد طمعت في النصر ! قالوا : إذا تدخل منك في خطيتك ، قال : فعدوني عنكم ، وقد قتل أمائلكم ، وبنى أولادكم ، متى كنتم محقين ! أحين كنتم هائلون ونياركم يُخطون ! فأنتم الآن إذ أسكنتم عن القتال مبللون ، أم الآن أنتم محقون ، فتشاكلتم الذين لا تتكبرون فضلتهم فكانوا غيركم في النار إذا ! قالوا : دعنا منك يا أشتر ، فالتكناهم في الله عز وجل^٦ ، ونُدع قتلهم لله سبحانه ، إنا لنا مُطيعيك ولا صاحبك ، فاجتئنا ، قال : خذهم والله فانهضهم ، ودعهم إلى وضع الحرب فأجبتهم . يا أصحاب الجباه السود ، كنا نظن صلواتكم زعادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله عز وجل^٧ ، فلا أرى فيراكم إلا إلى الدنيا من الموت ، ألا حباً يا أشباه أنبياء الجلالة ! وما أنتم برأين بعدها عزاً أبداً ، فابتعدوا كما يبعد القوم الظالمون ! فنبؤ ، فسيهم ، فضرىوا وجهه حابته بياطهم ، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دولتهم ، وصاح بهم على

(١) صغين : والله .

(٢) صغين : إنها من مشورة ابن العاصرة - بنى عمرو بن العاص .

(٣-٤) صغين : أمهلنى فوفاً فإني قد أحسست بالفتح والفرق : ما بين

فكفّوا ، وقال للناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً ، فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال له : ما أرى الناس إلا قد رضوا ، وصرّهم أن يجيئوا القوم إلى ما دعّوهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئت أثبت معاوية فسألته ما يريد ، فنظرت ما يسأل ، قال : الله إن شئت فسكنه ، فأتاه فقال : يا معاوية ، لأى شيء رفعتم هذه المصاحف ؟ قال : لترجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به في كتابه ، تبعثون منكم رجلاً ترضون به ، ونبعث منا رجلاً ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدّونه ، ثم نبيع ما اتفقا عليه ، فقال له الأشعث بن قيس : هذا الحقّ ، فانصرف إلى عليّ فأخبره بالذى قال معاوية ، فقال الناس : فلما قد رضينا وقبلنا ، فقال أهل الشام : فلما قد اخترنا عمرو بن العاص ، فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج بعد : فلما قد رضينا بأبي موسى الأشعريّ ، قال عليّ : فلأنكم قد عصيتموني في أول الأمر ، فلا تعصوني الآن ، إني لا أرى أن أولىّ أبا موسى . فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائيّ وسعر بن فديك : لا نرضى إلاّ به ، فإنه ما كان يحدّثنا منه وقعا فيه ، قال عليّ : فإنه ليس لي بهقة ، قد فارقت ، وخلّ الناس عني ثم هرب مني حتى آمنت به بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك ، قالوا : ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس إلا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر ، فقال عليّ : فلنّ أجعل الأشتر ^(١) .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جنتاب الكلبيّ ، أن الأشعث قال : وهل سحر الأرض غير الأشتر ؟

• • •

قال أبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه : إن الأشعث قال : وهل نحن إلا في حكم الأشتر ؟ قال عليّ : وما حكمه ؟ قال : حكمه أن يتضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتى يكون ما أردت وما أريد ، قال : فقد أبىتم إلاّ أبا موسى ! قالوا : نعم ، قال : فاصنعوا ما أردتم ، فبشوا إليه

وقد احتل القتال، وهو بعرض، فأتاه موسى له، فقال: إن الناس قد اصطلموا؛ فقال: الحمد لله رب العالمين! قال: قد جعلوك حكماً؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر حتى أتى علياً فقال: أليزني بعمر بن العاص، فوالله الذي لا إله إلا هو، لئن ملأت حفي منه لأقتلته؛ وجاء الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد رُميت بحجر الأرض، وبمن حارب الله ورسوله أنف الإسلام، وإني قد عجمت هذا الرجل وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة، قريب القعر، وإنه لا يصلح هؤلاء القوم إلا رجل يندو منهم حتى يصير في أكتفهم، ويعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً، فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها، ولن يحمل عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها. فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب؛ فقال الأحنف: فإن أبيتم إلا أبا موسى فأدفعوا ظهره بالرجال. فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تخاصى عليه علي أمير المؤمنين.... فقال عمرو: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم فأما أميرنا فلا، وقال له الأحنف: لا تمنح اسمه وإمارة المؤمنين، فإني أخوف إن عوتها ألا ترجع إليك أبداً، لا تمنحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً؛ فأبى ذلك علي ملياً من النهار، ٢٢٢٠/١ ثم إن الأشعث بن قيس قال: امع هذا الاسم برحه الله! فحسني وقال: علي: الله أكبر، سنة بسنة، ومثل بمنزل، والله إني لكتاب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية إذ قالوا: لست رسول الله، ولا تشهد لك به، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فكتبه، فقال عمرو بن العاص: سبحان الله! ومثل هذا أن نشبه بالكفار ونحن مؤمنون! فقال علي: يا بن النابغة، متى لم تكن لفاسقين ولياً، والمسلمين عدواً! وهل تشبه إلا أملك التي وضعت بك! فقام فقال: لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم؛ فقال له علي: وإني لأرجو أن يظهر الله عز وجل مجلسي منك ومن أشباهك. وكتب الكتاب (١).

حدثني علي بن مسلم الطوسي ، قال : حدثنا حبان ، قال : حدثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : أخبرني الأحنف ، أن معاوية كتب إلى علي أن امح هذا الاسم إن أردت أن يكون صلح ، فاستشار - وكانت له قبة يأذن لبني هاشم فيها ، ويأذن لى معهم - قال : ما ترون فيها كتب به معاوية أن امح هذا الاسم ؟ قال مبارك : يعنى أمير المؤمنين - قال : برحمة الله ! فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وادع أهل مكة كتب : «محمد رسول الله» ، فأبوا ذلك حتى كتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فقلت له : أيها الرجل مالك وما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ! إنا والله ما حاجبتناك ببعضنا ، وإنا لو علمنا أحدا من الناس أحق بهذا الأمر منك لباعناه ، ثم قاتلناك ، وإني أقسم بالله لئن محوت هذا الاسم الذى بايعت عليه وقاتلتهم لا يعود إليك أمدأ . قال : وكان والله كما قال . قال : قلما وزن رأيه برأى رجل إلا رجح عليه .

• • •

• رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . وكتب الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي أهل الكوفة^(١) ومنهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، إنا نزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ، ولا يجمع^(٢) بيننا غيره ، وإن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نحبي ما أحميا ، ونحبت ما ألمات ، فما وجد الحكماء في كتاب الله عز وجل - وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي - تحيلا به ، وما لم يتجدد آ في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة . وأخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجند من العهد والميثاق^(٣) والشفقة من الناس ، أنهما آمانان على أنفسهما وأهليهما ، والأمة لما أنصار علي الذى يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنا علي

(١) صفين : « العراق » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « ولا يجمع » .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « والمواثيق » .

٢٣٢٧/١

ما في هذه الصحيفة ، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين ، لأن الأمن والاستقامة
 ووضع السلاح بينهم أيما ساروا على أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، وشاهدتهم
 وغالبهم ، وعلى عبد الله بن قيس وعمر بن العاص عهد الله وميثاقه أن
 يحكمًا بين هذه الأمة ، ولا يتردّ أها في حرب ولا فُرقة حتى يحصيا ، وأجل
 القضاء إلى رمضان . وإن أحبّا أن يؤخرا ذلك أخرّاه على تراخس منهما ، وإن
 توفى أحد الحاكمين فإن أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألو من أهل المحلة
 والقيط ، وإن مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل
 الكوفة وأهل الشام ، وإن رضيا وأحبّا فلا يحضرهما فيه إلا من أَراد ، ويأخذ
 الحاكمان من أَراد من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة ،
 وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحاداً وظلماً .
 اللهم إنا نستصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة ^(١) .

٢٣٢٨/١

شهد من أصحاب علي الأشعث بن قيس الكندي ، وعبد الله بن عباس ،
 وسعيد بن قيس الحمداي ، وورقاء بن سميّ البجلي ، وعبد الله بن مهمل
 الميجلي ، وسجبر بن حنّ الكندي ، وعبد الله بن الطفيل العامري ، وعقبة
 ابن زياد الخزرجي ، ويزيد بن حجة التيمي ، ومالك بن كعب الحمداي . ومن
 أصحاب معاوية أبو الأحرار السلمي عمرو بن سفيان ، وحبيب مسلمة القهيري ،
 والمخارق بن الحارث الزبيدي ، وزميل بن عمرو العلوي ، وحزمة بن مالك
 الحمداي ، وعبد الرحمن بن خالد الخزرجي ، وسُبح بن يزيد الأنصاري ،
 وعاطقة بن يزيد الأنصاري ، وعُتبة بن أبي سفيان ، ويزيد بن الحر العباسي ^(٢) .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جتاب الكلبي ، من حمارة بن ربيعة البجلي ،
 قال : لما كتبت الصحيفة دُعي لها الأشتر فقال : لا صحبتي بي ،
 ولا تفعتني بعدها شيئا ^(٣) ، إن غطّ لي في هذه الصحيفة اسم على صلح

(١) يندى في صلين : وأراد فيها إلحاداً وظلماً .

(٢) صلين : ٥٨٤ - ٥٨٦ .

(٣) صلين : القيل .

ولا مودة. أوكست على بيته من ربي ، ومن ضلال عدوى^(١) ! أولست قد رأيتم الظفر لو لم تُجمِعوا على الجور^(٢) ! قال له الأشعث بن قيس : إنك والله ما رأيته ظفراً ولا جوراً^(٣) ، هلم إلينا فإنه لا رغبة بك هنا ؛ قال : بلى والله لرغبة بي عندك في الدنيا والآخرة والآخرة ، ولقد صفك الله عز وجل بسيفي هذا دماء رجال ما أنت على خير منهم ، ولا أحرم دماً ؛ قال عُمارة : فنظرتُ إلى ذلك الرجل وكأنما قُصع على أفقه الحُصم^(٤) - يعني الأشعث^(٥) .

قال أبو مخنف ، عن أبي جَنَاب ، قال : خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ، ويعرضه عليهم ، فيقرؤنه ، حتى مرَّ به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدية ، وهو أخو أبي بلال ، فقرأه عليهم ، فقال عروة ابن أدية : تحكّمون في أمر الله عز وجل الرجال ! لا حكم إلا لله ؛ ثم شدَّ بسيفه فضرب به عجز حابته ضربة خفيفة ، وانلغمت الدابة ، وصاح به أصحابه ، أن امك يملك ، فرجع ، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن ، فثبى الأخنف بن قيس السعدي ومقبل بن قيس الرياحي ، وميسرة بن قديس ، وناس كثير من بني تميم ، فتنصّلوا إليه واحترّوا ، فقبيل وصقح .

قال أبو مخنف : حدثني أبو زيد جليله الأودي ، أن رجلاً من أود كان يقال له عمرو بن أوس ، قاتل مع علي يوم صفين ، فأمره معاوية في أسارى كثيرين ، فقال له عمرو بن العاص : اقلهم ، فقال له عمرو بن أوس : إنك خالي ، فلا تقتلني ، وقامت إليه بنو أود فقالوا : هب لنا أخانا ، فقال : دعوه ، لعمري لئن كان صادقاً فلنستغني عن شفاعتك ، ولئن كان كاذباً لثأرتن

(١) صفين : « ويقع من ضلال عدوى » .

(٢) صفين : « الجور » .

(٣) صفين : « جوراً » .

(٤) القصع : القرب لذلك ، والحصم : الرباد والضم وكل ما استوق ؛ واحته حصة .

(٥) صفين ٥٨٧ .

شفاعتكم من ورائه ، فقال له : من أين أنا خالك ! فوالله ما كان بيننا وبين
أود مصاهرة ، قال : فإن أخبرتك فمرقتة فهو أمانى عندك ؟ قال : نعم ،
قال : ألت تعلم أن أم حبيبة ابنة أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؟
قال : بلى ، قال : فلأت ابنها ، وأنت أخوها ، فأنت خالي ، فقال معاوية :
فله أبوك ! ما كان في هؤلاء واحد يقطع لها غيره . ثم قال للأوديين :
أستغنى عن شفاعتكم ! خلكوا سبيله ^(١) .

قال أبو مخنف : حدثني ثُمَيْم بن وَحْلَةَ المِمْداني ، عن الشعبي ، أن
أسارى كان أسرهم على يوم صفين كثير ، فخلّى سبيلهم ، فأثروا معاوية ، ٢٢٤٠/١
وإن عمر يقول - وقد أسر أيضاً أسارى كثيرة : اقتلهم ، فما شعروا إلا
بأسرائهم قد خلّى سبيلهم ، فقال معاوية : يا عمرو ، لو أطلعناك في هؤلاء
الأسرى وقمنا في قبيع من الأمر ، ألا ترى قد خلّى سبيل أساراننا ! وأمر بتخليه
سبيل من في يديه من الأسارى ^(٢) .

قال أبو مخنف : حدثني إسماعيل بن يزيد ، عن حميد بن مسلم ،
عن جندب بن عبد الله ، أن علياً قال للناس يوم صفين : لقد فعلتم فحلة
ضعفت قوة ، وأسقطت منة ، وأوهنت وأورثت وهناً وذلة ، ولما كنتم
الأهلين ، وخاف عدوكم الاجتياح ، واستحز بهم القتل وجعلوا ألم الجراح ،
رفضوا المصاحف ، ودعوكم إلى ما فيها ليفشوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب فيما
بينكم وبينهم ، ويربصوا بكم ^(٣) ريب المنون خديعة ومكيده ، فأعطيتهم ما
سالوا وأبیتهم إلا أن تذهبوا وتجاوزوا ^(٤) وإيما الله ما أظنكم بعدها توافقون رشداً ،
ولا نصيون باب حزم .

• • •

قال أبو جعفر : فكتب كتاب القضية بين علي ومعاوية - فيما قيل - يوم

(١) صفين : ٥٩٤ - ، ٥٩٥ .

(٢) صفين : ٥٩٥ .

(٣) من ابن الأثير .

(٤) ابن الأثير : « تذهبوا وتجاوزوا » .

الأربعاء ثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، على أن يوافي على معاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان ، مع كل واحد منهما أربعائة من أصحابه وأتباعه .

فحدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان بن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، قال : قال صمصمة بن صوحان يوم صيفين حين رأى الناس يتبارون : ألا اسمعوا واعقلوا ، تعلمن والله لئن ظهر على ليكونن مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وإن ظهر معاوية لا يقير لقاتل بقول حق .

قال الزهري : فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم ، ودعوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراق ، فعند ذلك حكموا الحكمين ، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري ، واختار أهل الشام عمرو بن العاص ، ففترق أهل صيفين حين حكم الحكمان ، فاشترط أن يرفع ما رفع القرآن ، ويخفيض ما خفض القرآن ، وأن يختارا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنتهما يجتمعا بدومة الجندل ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح^(١) .

فلما انصرف على خالفت الحروية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فأذنوه بالحرب ، وردوا عليه : إن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل ، وقالوا : لا حكم إلا لله سبحانه ! وقالوا ، فلما اجتمع الحكمان بأذرح ، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس ، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير ، ووافي معاوية بأهل الشام ، وأبى على أهل العراق أن يوافقوا ، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوى الرأي من قريش : أترون أحدا من الناس برأى ينتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يفرقان ؟ قالوا : لا نرى أحدا يعلم ذلك ، قال : فوالله لأنى لأظن أننى سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما . فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال : يا أبا عبد الله ، أخبرنى عما أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزلة ، فلما قد شككنا في الأمر الذى تبين لكم من هذا القتال ، ورأيتنا

٣٣١٢/١ الحكمان أم يفرقان ؟ قالوا : لا نرى أحدا يعلم ذلك ، قال : فوالله لأنى لأظن

(١-١) ابن الأثير : « واتفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة جندل أو بأذرح في شهر رمضان » .

أَنْ نَسْتَأْذِنَ وَتُحْبِثَ حَتَّى تَجْمَعَ الْأُمَّةُ ! قَالَ : أَرَأَيْكُمْ مَعْشَرَ الْمُعْتَرِثَةِ تَحْتَلِفُ
الْأَبْرَارُ ، وَأَمَامَ الْمُتَحْجِرِ ! فَانصَرَفَ الْمَغْيِرَةُ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ ، حَتَّى دَخَلَ
عَلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِعَمْرُو ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : أَرَأَيْكُمْ أُثْبِتَ
النَّاسَ رَأْيًا ، فَيَكُمُ بَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، فَانصَرَفَ الْمَغْيِرَةُ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ غَيْرِ ذَلِكَ ،
فَلَقِيَ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ مَا قَالَ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : لَا يَجْتَمِعُ هَذَانِ
عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْحُكَّامَانِ وَتَكَلَّمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : يَا أَبَا مُوسَى ،
رَأَيْتَ أَوَّلَ مَا تَقْضَى بِهِ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَقْضَى لِأَهْلِ الْوَفَاءِ بِوَفَائِهِمْ ، وَعَلَى أَهْلِ
الْفُتُورِ بِفُتُورِهِمْ ، قَالَ أَبُو مُوسَى : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ
وَأَهْلَ الشَّامِ قَدْ وَقَفُوا ، وَقَدِمُوا لِلْمَوْعِدِ الَّذِي وَاعَدْتَاهُمْ لِيَأْهُ ؟ قَالَ : بَلَى ،
قَالَ عَمْرُو : اكْتُبْهَا ، فَكُتِبَ أَبُو مُوسَى ، قَالَ عَمْرُو : يَا أَبَا مُوسَى ، أَلَسْتَ
عَلَى أَنْ نَسْمِيَ رَجُلًا يَلْبِي أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ فَسَمَّاهُ لِي ، فَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى أَنْ أَتَابِعَكَ
فَلِكَ عَلَى أَنْ أَتَابِعَكَ ، وَإِلَّا فَلْيَبِ عَيْلِكَ أَنْ تَتَابِعَنِي ! قَالَ أَبُو مُوسَى : اسْمِي
لَكَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَانَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ مَعْتَدٍ ، قَالَ عَمْرُو : إِنِّي اسْمِي
النَّاسُ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : إِنِّي وَجَدْتُ مِثْلَ عَمْرُو مِثْلَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ وَاتْلُ هَٰؤُلَاءِ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْتَبَحَ مِنْهَا ﴾ ^(١) ،
فَلَمَّا سَكَتَ أَبُو مُوسَى تَكَلَّمَ عَمْرُو فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ وَجَدْتُ مِثْلَ أَبِي مُوسَى
كَمِثْلِ الَّذِي قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مِثْلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثَّوْرَةَ فَمَنْ لَمْ يُحْمَلْ بِهَا
كَمِثْلِ الْحِمَارِ يُحْمَلُ أَثْقَارًا ﴾ ^(٢) ، وَكُتِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثْلَهُ
الَّذِي ضَرِبَ لَصَاحِبِهِ إِلَى الْأَمْصَارِ .

٢٣٤٣/١

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : قَامَ مَعَاوِيَةُ حَشِيَّةً فِي النَّاسِ ، فَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ جَلَّ
تَنَافُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ ، لِمَنْ كَانَ مِثْلًا فِي الْأَمْرِ فَلْيُطْلَعْ لَنَا
قَرْنَتُهُ ، قَالَ ابْنُ عَمْرِو : فَأَطْلَقْتُ حَبْرَتِي ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ قَوْلًا يَتَكَلَّمُ فِيهِ رِجَالٌ
قَاتِلُوا أَبَائَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تَفَرِّقُ الْجَمَاعَةَ ، أَوْ
يُسْفِكُ فِيهَا دَمٌ ، أَوْ أَحْمِلُ فِيهَا عَلَى غَيْرِ رَأْيٍ ، فَكَانَ مَا وَعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

في الجحان أحب إلى من ذلك . فلما انصرف^(١) إلى المنزل جاعى حبيب بن مسلمة فقال : ما منعك أن تكلم حين سمعت الرجل يتكلم ؟ قلت : أردت ذلك ، ثم خشيت أن أقول كلمة تُفَرِّق بين جميع ، أو يُسَفِّك فيها دم ، أو أحمل فيها على غير رأى ، فكان ما وعد الله عز وجل من الجحان أحب إلى من ذلك . قال : قال حبيب : قد حُصِنَتْ .

• • •

• رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف : قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج الكندي ، قال : قيل لعل بعد ما كُتِبَت الصحيفة : إن الأشتر لا يُقَرَّبُ بما في الصحيفة ، ولا يرى إلا قتال القوم ؛ قال علي : وأنا والله ما رضى ولا أحببت أن ترضوا ، فإذا أيسم إلا أن ترضوا فقد رضى ، فإذا رضى فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ، ولا التبديل بعد الإقرار ، إلا أن يعصى الله عز وجل ويُعَدَّى كتابه ، فقاتلوا من ترك أمر الله عز وجل . وأما الذي ذكرتم من تركه أمرى وما أنا عليه فليس من أولئك ، ولست أخافه على ذلك ، ياليت فيكم مثله اثنين ! ياليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوى ما أرى ، إذا خلعت على متوكتكم ، ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم ، وقد نهيتكم عما أتيت فمعيتموني ، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن^(٢) :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشذ غزية أرشذ
فقال طائفة ممن معه : ونحن ما فعلنا يا أمير المؤمنين إلا ما فعلت ،
قال : نعم ، فلم كانت إجابتكم إياهم إلى وضع الحرب حناً ! ولما القضية
قد استوفقتا لكم فيها ، وقد طمعت ألا تفضلوا إن شاء الله رب العالمين .
فكان الكتاب في صقر والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر ، إلى أن يلتقى
الحكمان . ثم إن الناس دفنوا قتلاهم ، وأمر على الأخور قتادى في الناس
بالرحيل .

(١) ابن الأثير : انصرف . (٢) هو دود بن الصمة ، من أمهات أرواحها صاحب الحلة - ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٩ شرح التلخيص .

٢٢٤٥/١

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ، قال : لما
انصرفنا من صفين أخذنا غير طريقنا الذي أقبلنا فيه ، أخذنا على طريق البر
على شاطئ القرات ، حتى انتهينا إلى هيت ، ثم أخذنا على صندوقاء ، فخرج
الأنصاريون بنو سعد بن حرام ، فاستقبلوا علينا ، فعرضوا عليه التزول ، فبات
فيهم ثم غدا ، وأقبلنا معه ، حتى إذا جئنا النخيلة ، ورأينا بيوت الكوفة ، إذا نحن
بشيخ جالس في ظل بيت على وجهه أثر المرض ، فأقبل إليه على ونحن معه
حتى سلم عليه وسلمنا معه ، فردّ أرحمنا ظننا أن قد عرفه ، قال له على :
أرى وجهك متكففاً فينّ مه ؟ أمين مرض ؟ قال : نعم ، قال : فلعلك
كرهته ، قال : ما أحبّ أنه بغيري ، قال : أليس احتساباً للخير فيما
أصابك منه ؟ قال : بلى ، قال : فأبشر برحمة ربك وغفران ذنبيك . من
أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا صالح بن سلم ، قال : ممن ؟ قال : أما
الأصل فين سلاسان طيبي ، وأما الجوار والدعوة في بني سليم بن منصور ،
فقال : سبحان الله ! ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم أديائك واسم من
اعتزيت إليه ! هل شهدت معنا غزائنا هذه ؟ قال : لا ، والله ما شهدتها ،
ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر لحب^(١) الحمى خزلني عنها ، فقال :
﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ
خَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢)
خبرني ما تقول الناس فيما كان بيتنا وبين أهل الشام ؟ قال : فيهم
المسرور فيما كان بينك وبينهم - وأولئك أغشياء الناس - وفيهم المكبوت
الأسف بما كان من ذلك - وأولئك نصحاء الناس لك - فذهب لينصرف
فقال : قد صدقت ، جعل الله ما كان من شكوكك خطاً لسيئاتك ، فإن
المرض لا أجر فيه ، ولكنه لا يدع على العبد ذنباً إلا حطّه ، وإنما أجر
في القول باللسان والعمل باليد والرجل ، وإن الله جلّ ثناؤه ليخل
بصدق النية والسريرة الصالحة حالماً جمّاً من عباده الخلة . قال : ثم

٢٢٤٦/١

(١) حب الحمى : مزاحاً .

(٢) سورة النحمة : ٩١ .

مضى على غير بعيد ، فلقبه عبد الله بن ودِيمة الأنصاري ، فخلدنا منه ، وسلم عليه وسأيره ، فقال له : ما سمعت الناس يقولون في أمرنا ؟ قال : منهم المَجَبُّ به ، ومنهم الكاره له ، كما قال عز وجل : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِيفِينَ ۚ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ ۖ ﴾^(١) . فقال له : فما قول ذَوِي الرَّأْيِ فيه ؟ قال : أما قولهم فيه فيقولون إِنَّ عَلِيًّا كَانَ لَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ فَفَرَّقَهُ ، وكان له حِصْنٌ حَصِينٌ فَهَدَمَهُ ، فَحَتَّى مَتَى يَبْنِي مَا هَلُم ، وَحَتَّى مَتَى يَجْمَعُ مَا فَرَّقَ ! فلو أَنَّهُ كَانَ مَضَى بَيْنَ أَطَاعِهِ — إِذْ عَصَاهُ مِنْ عَصَاهُ — قَاتِلٌ حَتَّى يَظْفَرَ أَوْ يَهْلِكَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْحَزْمُ . فقال عليٌّ : أَنَا هَلَمْتُ أَمْ هُمْ هَلَمُوا ! أَنَا فَرَّقْتُ أَمْ هُمْ فَرَّقُوا ! أما قولهم : إِنَّهُ لَوْ كَانَ مَضَى بَيْنَ أَطَاعِهِ إِذْ عَصَاهُ مِنْ عَصَاهُ فَقَاتِلٌ حَتَّى يَظْفَرَ أَوْ يَهْلِكَ ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْحَزْمُ ، فَوَاللَّهِ مَا غَشِيَ عَنْ رَأْيِي^(٢) ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتُ لَسَخِيًّا بِنَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا ، طَلَبَ النَّفْسَ بِالْمَوْتِ ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِالْإِقْدَامِ عَلَى الْقَوْمِ ، فَظَنَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ قَدْ ابْتَدَرَا نِي — يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ — وَظَنَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ قَدْ اسْتَقْلَمَانِي — يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ — فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَيْنِ إِنْ هَلَكَا انْقَطَعَ نَسْلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَكَرِهْتُ ذَلِكَ ، وَأَشْفَقْتُ عَلَى هَذَيْنِ أَنْ يَهْلِكَمَا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَوْلَا مَكَانِي لَمْ يَسْتَقْلَمَا — يَعْنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ — وَإِيمُ اللَّهِ لَنْ لَقِيَتْهُمُ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا لَأَلْقَيْتُهُمْ وَلَيْسُوا مَعِيَ فِي عَسْكَرٍ وَلَا دَارٍ . ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا جَرَّزْنَا بَنِي عَوْفٍ إِذَا نَحْنُ عَنْ أَيْمَانِنَا بِقُبُورِ سَبْعَةٍ أَوْ ثَمَانِيَةٍ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا هَذِهِ الْقُبُورُ ؟ فَقَالَ قُدَامَةُ بْنُ الْمَجْلَانِ الْأَزْدِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ خَبَابَ ابْنِ الْأَرْتِ تَوَفَّى بَعْدَ مَخْرَجِكَ ، فَأَوْصَى بِأَنْ يُدْفَنَ فِي الظُّهْرِ ، وَكَانَ النَّاسُ إِذَا يُدْفَنُونَ فِي دُورِهِمْ وَأَفْنِيَتِهِمْ ، فُدْفِنُوا بِالظُّهْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَدَفِنَ النَّاسُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا ، فَقَدْ^(٣) أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجِرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مَجَاهِدًا ، وَابْتَلِيَ فِي جَسَمِهِ أَحْوَالًا ! وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

٢٤٧/١

(١) سورة هود: ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) ابن الأثير : « مَا غَشَى هَذَا » .

(٣) ابن الأثير : « فَقَدْ » .

علاً . ثم جاء حتى وقف عليهم فقال : السلام عليكم يا أهل الله يار الموحشة ،
والحال الفقيرة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات . أنتم لنا سكّاف
فارط ، ونحن لكم تبع ، بكم عمّا قليل لاحقون . اللهم اغفر لنا ولم ، وتجاوز
بمفوك عنا وعنهم ! وقال : الحمد لله الذى جعل منها خلقكم ، وفيها معادكم ،
منها يبعثكم ، وعليها يحشركم ، طوبى لمن ذكر المعتاد ، وعمل للحساب ،
وقنع بالكفاف ، ورضى عن الله عز وجل ! ثم أقبل حتى حاذى سكة
الثورين ، ثم قال : خُشُّوا ، ادخلوا بين هذه الآيات ^(١) . ٢٣٤٨/١

قال أبو غنم : حدثني عبد الله بن عاصم الفاشي ، قال : مرّ على
بالثورين ^(٢) ، فسمع البكاء ، فقال : ما هذه الأصوات ؟ قيل له : هذا
البكاء على قتلى صفين ، فقال : أما إننى أشهد لمن قُتل منهم صابراً محتسباً
بالشهادة . ثم مرّ بالفائزين ، فسمع الأصوات ، فقال بمثل ذلك ،
ثم مضى حتى مرّ بالشّاميين ، فسمع رجة شديدة ^(٣) ، فوقف ، فخرج إليه
حرب بن شرحبيل الشّبّاء ، فقال على : أبغليكم نساؤكم ! ألا تنهونهم عن
هذا الرّتين ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً
قد رنا على ذلك ، ولكن قُتل من هذا الحى ثمانون ومائة قتيل ، فليس دار إلا
فيها بكاء ، فأما نحن معشر الرجال فإننا لا نهكى ، ولكن نفرح لهم ، ألا نفرح
لهم بالشهادة ! قال على : رحم الله قتلاكم وموتاكم ! وأقبل يمشى معه وعلى
راكب ، فقال له على : ارجع ، ووقف ثم قال له : ارجع ، فإن مشى
مِثْلِكَ مع مثل فتنة لولّى ، وصدّة للمؤمن . ثم مضى حتى مرّ بالنّاهضين -
وكان جلّهم عمانية - فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن يزيد ، من
بنى عبّيد من النّاهضيين يقول : والله ما صنع على شيئا ، ذهب ثم العرف
في غير شيء ! فلما نظروا إلى على أبلسوا ^(٤) ، فقال : وجوه قوم بما رأوا الشّام

٢٣٤٩/١

(١) صفين : ٦١٠ ، ٦١١ .

(٢) بدعها في صفين : « بنى ثور عدنان » .

(٣) صفين : « ثم مرّ بالشّاميين فسمع رجة شديدة » .

(٤) أبلسوا : انقلبت وجوههم وسكروا . وفي صفين : « فلما نظروا إلى على أبلسوا » .

العام . ثم قال لأصحابه : قوم فارقناهم آتفا خير من هؤلاء ، ثم أنشأ يقول :

أخوك الذي إن أجرتك مِلْمَةٌ من اللغو لم يبرح ليترك واجعا^(١)
وليس أخوك بالذي إن تشعبت^(٢) عليك الأمور ظل يلحاك لائما
ثم مضى ، فلم يزل يذكر الله عز وجل حتى دخل القصر^(٣) .

• • •

قال أبو مخنف : حدثنا أبو جنتاب الكلبي ، عن حمارة بن ربيعة ، قال : خرجوا مع علي إلى صفين وهم متوادون أحياء ، فرجوا متباغضين أعداء ، ما برحوا من صكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم ، ولقد أقبلوا يتنافعون الطريق كله ويتشائمون ويضطربون بالسياط ، يقول الخوارج : يا أعداء الله ، أدهنتم في أمر الله عز وجل وحكمكم ! وقال الآخرون : فارقم إمامنا . وفرقم جماعتنا . فلما دخل على الكوفة لم يخلوا معه حتى أتوا حروراء ، فترل بها منهم اثنا عشر ألفا ، وناذى مناديهم : إن أمير القتال شببت بن ربيعة التميمي . وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري ، والأمر شورى بعد الفتخ ، والبيعة لله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

• • •

بعث علي جده بن هبيرة إلى خراسان

وفي هذه السنة بعث علي جعلة بن هبيرة ليا ليل إلى خراسان .

• ذكر الخبر عن ذلك :

٢٢٥٠/١

ذكر علي بن محمد ، قال : أخبرنا عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شجيرة ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : بعث علي بعد ما رجع من صفين

(١) أجرتك : أفسدتك ، وفي صفين : أحرقتك ، أي أفتت بك كل الخلاء .

(٢) صفين : لأن قُتِلَتْ .

(٣) صفين : ٦١١ ، ٦١٢ .

جَعَلَهُ بَنَ هَيْبَةَ الْخَزَوِيِّ إِلَى خُرَّاسَانَ ، فَأَتَتْهُ إِلَى أَبَرْشَهْرَ ، وَقَدْ كَفَرُوا
وَأَمْتَحُوا ، فَقَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ . فَبَعَثَ خُلَيْدُ بْنُ قُرَّةَ الْيَرْبُوعِيَّ ، فَحَاصِرَ أَهْلَ
نِيسَابُورَ حَتَّى صَالَحُوهُ ، وَصَالَحَهُ أَهْلُ مَرْوَ ، وَأَصَابَ جَارِيتَيْنِ مِنْ أَبْنَاءِ
الْمَلُوكِ نَزَلْنَا بِأَمَانٍ ، فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى عَلِيٍّ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ وَأَنْ يَزُوجَهُمَا ،
قَالَتَا : زَوْجْنَا ابْنَيْكَ ، فَأَبَى ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الدَّهَّاقِينَ : ادْفَعِيهِمَا إِلَيْ ،
فَإِنَّهُ كَرَامَةٌ تُكْرِمُنِي بِهَا ، فَلَدَفَعَهُمَا إِلَيْهِ ، فَكَانَتَا عَنْدهُ ، يَفْرَشُ لهما الدِّيْبَاجَ ،
وَيُطْعِمُهُمَا فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ ، ثُمَّ رَجَعَتَا إِلَى خُرَّاسَانَ .

• • •

اعتزال الخوارج علياً وأصحابه ورجعوا بعد ذلك

وفي هذه السنة اعتزل الخوارج علياً وأصحابه، وحكمتوا، ثم كلّمهم على*
فرجعوا ودخلوا الكوفة .

• ذكر الخبر عن اعتزالهم علياً :

قال أبو مخنف في حديثه عن أبي جنتاب ، عن مُحَمَّارِ بْنِ رَبِيعَةَ ، قَالَ :
وَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الكُوفَةِ وَفَارَقَتْهُ الْخَوَارِجُ ، وَثَبَتْ إِلَيْهِ الشَّيْعَةُ فَقَالُوا : فِي أَهْنَانَا
بَيْعَةٌ ثَانِيَةٌ ، نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مِنَ وَالَيْتِ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ ؛ فَقَالَتِ الْخَوَارِجُ :
اسْتَبَقْنَا أَنْتُمْ وَأَهْلُ الشَّامِ إِلَى الْكُفْرِ كَقَرَسَى رَهَانَ ، بَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مَعَاوِيَةَ
عَلَى مَا أَحَبُّوا وَكَرَهُوا ، وَبَايَعْنَا أَنْتُمْ عَلِيًّا عَلَى أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَى وَأَعْدَاءُ
مَنْ عَادَى ؛ فَقَالَ لَهُمُ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ : وَاللَّهِ مَا بَسَطَ عَلَى يَدِهِ فَبَايَعَنَاهُ قَطْرًا إِلَّا
عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْكُمْ لَمَّا خَالَفْتُمُوهُ
جَاءَتْهُ شَيْعَتُهُ ، فَقَالُوا^(١) : نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَيْتَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ ؛
وَنَحْنُ كَنْزُكَ ، وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى ، وَمَنْ خَالَفَهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ . وَبَعَثَ
عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَيْهِمْ ، قَالَ : لَا تَعْجَلْ إِلَى جَوَابِهِمْ وَخُصُومَتِهِمْ حَتَّى آتِيَكَ .
فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى أَتَاهُمْ ، فَأَقْبَلُوا يَكْلِمُونَهُ ، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى رَاجِعَهُمْ ، فَقَالَ :
مَا فَتَنْتُمْ مِنَ الْحَكَمَيْنِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنْ يَرِئُنَا إِصْلَاحًا يَوْفَقُ

٣٣٥١/١

(١) ابن الأثير : وقالوا له .

اللهُ بَيْنَهُمَا»^(١) فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم! فقالت الخوارج : قلنا : أمّا ما جعل حكمه إلى الناس ، وأمر بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به ، وما حكمتم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ؛ حكمكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا . قال ابن عباس : فإن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢) ، فقالوا : أو تجعل الحكم في الصبيد ، واتخذت يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين ! وقالت الخوارج : قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أعدك عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا ! فإن كان عدلاً فلسنا بعدول ونحن أهل حربه . وقد حكمتم في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله عزّ وجلّ حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك ما دعوناكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينه^(٣) كتاباً ، وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة ، وقد قطع عزّ وجلّ الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة ، إلا من أقر بالخرية .

وبعث على زياد بن النضر إليهم فقال : انظر بأيّ رموسهم هم أشدّ إطاعة ، فنظر فأخبره أنه لم يرمهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس . فخرج على في الناس حتى دخل إليهم ، فأتى فسطاط يزيد بن قيس ، فدخله فتوضأ فيه وصلى ركعتين ، وأمره على إصبعان والرّوى ، ثم خرج حتى انتهى إليهم ويم يخاصمون ابن عباس ، فقال : انته عن كلامهم ، ألم أنهك رحمتك الله ! ثم تكلم فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ثم قال : اللهم ! إن هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفلاح يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً . ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء . قال علي : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومتكم يوم صفيين . قال : أنشدكم بالله ، أنعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف قتلتم : نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم : إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين

(١) سورة النساء : ٣٥ . (٢) سورة المائدة : ٩٥ .

(٣) ابن الأثير والتهذيب : « وبينهم » .

ولا قرآن، إني صبيحتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال. امضوا على حقكم وصدقكم، فلما رفع القوم هذه المصاحف خديعةً ودهناً وسكيلة. فرددتم على رأى، وقلتم: لا، بل نقبل منهم. فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم لرأى، فلما أبيتم إلا الكتاب اشتطت على الحكّمين أن يحييّا ما أحيا القرآن، وأن يُحييتنا ما أمات القرآن، فإن حكماً يحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن، وإن أبيّا فنحن من حكمهما برآء. قالوا له: فخبّرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكّما الرجال، إنا حكّما القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطّ مسطور بين دفتين، لا ينطق، إنما يتكلّم به الرجال، قالوا: فخبّرنا عن الأجل، لم جعلته فيا بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعل الله عزّ وجلّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة. ادخلوا مصركم رحمكم الله! فدخلوا من عند آخريهم.

٢٢٥٣/١

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدى، عن أبيه بمثل هذا.

وأما الخوارج فيقولون: قلنا: صدقت، قد كنا كما ذكرت، وفعلنا ما وصفت، ولكنّ ذلك كان منا كفراً، فقد تُبِّنا إلى الله عزّ وجلّ منه، فنبّ كما تُبِّنا نبايعك، وإلا فنحن مخالفون. فبايعتنا على وقال: ادخلوا فلنمكث سنة أشهر حتى يجيئ المال، ويسمّن الكُراع، ثم نخرج إلى عدونا. ولنا نأخذ بقولهم؛ وقد كذبوا^(١).

وقدم معن بن يزيد بن الأحنس السلمي في استبطاء إمضاء الحكومة وقال لعلّ: إن معاوية قد وقى، ففَ أنت لا يكتفيتك عن رأيك أعرابُ بكر وتميم. فأمر على بإمضاء الحكومة، وقد كانوا افرقوا من صفتين على أن يقدم الحكّمان في أربعمئة أربعمئة إلى دومة الجندل.

وزعم الواقدي أن سعداً قد شهد مع من شهد الحكّمين، وأن ابنه عمر لم يدعه حتى أحضره أذرح، فنتم، فأحرم من بيت المقدس بعمره.

٢٢٥٤/١

(١) ابن الأثير: «قد كذب الخوارج فيما زعموا».

اجتماع الحكمين بدومة الجندل

وفي هذه السنة كان اجتماع الحكمين .

• ذكر الخبر عن اجتماعهما :

قال أبو غنم : حدثني المبالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن زياد بن النضر الحارثي ، أن علياً بعث أربعمائة رجل ، عليهم ^(١) شريح بن هاني الحارثي ، وبعث معهم عبد الله بن عباس ، وهو يصلي بهم ، ويولي أمورهم ، وأبو موسى الأشعري معهم . وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام ، حتى توافوا بدومة الجندل بأذرح ، قال : فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذبح لا يدرى بما جاء به ، ولا بما رجع به ، ولا يسأله أهل الشام عن شيء ؛ وإذا جاء رسول عليّ جاءوا إلى ابن عباس فسألوه : ما كتب به إليك أمير المؤمنين ؟ فإن كتبهم ظنوا به الظنون فقالوا : ما نراه كتب إلا بكذا وكذا . فقال ابن عباس : أما تعقلون ! أما ترون رسول معاوية يبعث لا يعلم بما جاء به ، ويرجع لا يعلم ما رجع به ، ولا يسمع لم صباح ولا لفظ ، وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون !

قال : وشهد جماعتهم تلك عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبوجهم بن حذيفة العدوي والمغيرة بن شعبة الثقفي ، وخرج عمر بن سعد حتى أتى أباه على ماء لبني سليم بالبادية ، فقال : يا أبت ، قد بلغك ما كان بين الناس بصفتين ، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الشورى ، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة ، فاحضر فإنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه تكون فتنة ، خير الناس فيها الحق التقي ، ^(٢) والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً .

(١) صفين : وبعث عليهم .

(٢-٢) صفين : وهذا أمر لم أشهد لولاه فلا أشهد آخره .

والتقى الحكيمان ، فقال عمرو بن العاص : يا أبا موسى ، ألسنت تعلم أن
 عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً ؟ قال : أشهد ، قال : ألسنت تعلم أن معاوية
 وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : بلى ، قال : فإن الله عز وجل قال :
 ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ
 كَانَ مَنْصُوراً ﴾ ^(١) ، فما يمنعك من معاوية وليي عثمان يا أبا موسى ،
 وبيتته في قريش كما قد علمت ؟ فإن تخوفت أن يقول الناس : ولي معاوية
 وليست له سابقة ، فإن لك بذلك حجة ، تقول : إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم
 والطالب بدمه ، الحسن السياسة ، الحسن التدبير ، وهو أخو أم حبيبة زوجة
 النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد صحبه ، فهو أحد الصحابة . ثم عرض له
 بالسلطان ، فقال : إن وكلي أكرمك كرامة لم يسكرها خليفة . فقال أبو موسى :
 يا عمرو ، اتق الله عز وجل ! فأما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا
 ليس على الشرف يولاه أهله ، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل
 أبرهة بن الصبح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أني لو كنت معطية
 أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب . وأما قولك : إن معاوية ولي
 دم عثمان فولته هذا الأمر ، فإني لم أكن لأوليته معاوية وأدع المهاجرين
 الأولين . وأما تعريضك لي بالسلطان ، فوالله لو خرج لي من سلطانه
 كله ما وليته ، وما كنت لأرتشي في حكم الله عز وجل ، ولكنك إن شئت
 أحيينا اسم عمر بن الخطاب ^(٢) .

٣٣٥٦/١

قال أبو مخنف : حدثني أبو جتناب الكلبي ، أنه كان يقول : قال
 أبو موسى : أما والله لئن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 فقال له عمرو : إن كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف
 فضله وصلاحه ! فقال : إن ابنك رجل صديق ، ولكنك قد غمسته في
 هذه الفتنة ^(٣) .

(١) سورة الإسراء: ٣٣ .

(٢) صفين ٦١٣-٦٢٢ مع تصرف واختصار .

(٣) صفين: ٦٢٣ .

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن إسحاق ، عن نافع مولى ابن عمر ، قال : قال عمرو بن العاص : إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له خير^(١) يأكل ويعلم ، وكانت في ابن عمر غفلة ، فقال له عبد الله بن الزبير : اظن ، فانتبه ، فقال عبد الله بن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً ، وقال : يابن العاص ، إن العرب أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيف ، وتناجرت بالرماح ، فلا تردّتهم في فتنة^(٢) .

٢٢٥٧/١

قال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح العبسي ، قال : كنت مع شريح بن هانئ في غزوة سجستان ، فحدثني أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص ، قال : قل له إذا أنت لقيته : إن علياً يقول لك :^(٣) إن أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه وكرهه ، من الباطل وإن حن إليه وزاده^(٤) ، يا عمرو ، والله إنك لتعلم أين موضع الحق ، فلم تتجاهل^(٥) ؟ إن أوتيت طمعاً يسيراً كنت به لله وأولياؤه عدواً ، فكان والله ما أوتيت قد زال عنك ، ويحك ! فلا تكن للخائنين خصيماً ، ولا للظالمين ظهيراً . أما إنني أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم ، وهو يوم وفاتك ، تمنى أنك لم تظهر مسلماً عداوة ، ولم تأخذ على حكم رشوة . قال : فبلغته ذلك ، فتمعر وجهه^(٥) ، ثم قال : متى كنت أقبل مشورة على أو أنتهى إلى أمره ، أو أعتد برأيه ! فقلت له : وما يمنعك يابن النابغة أن

(١) القريس : الرجل المحرب ، مثل المفسر .

(٢) كذا ورد الخبر هنا مبتوراً ؛ وفي صفين ٦٢٣ بروايته عن نافع عن ابن عمر ، قال : « قال أبو موسى لمرو : إن شئنا ولينا هذا الأمر الطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر ، فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح له إلا رجل له خير ، يأكل ويعلم ؛ وإن عبد الله ليس هناك - وكانت في أبي موسى غفلة . فقال ابن الزبير لعبد الله بن عمر : اذهب إلى عمرو بن العاص فارش ، فقال عبد الله بن عمر : لا والله ما أرشو عليها أبداً ما عشت ؛ ولكنه قال له : ويحك يابن العاص ! إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تضاربت بالسيف ، وتناجرت بالرماح ؛ فلا تردهم في فتنة واتق الله . (٣ - ٢) صفين : « إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه ، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده » .

(٤) صفين : « تتجاهل » .

(٥) صفين : « قال شريح : فأبلغته ذلك فتمعر وجه عمرو ؛ وتمعر وجهه ، أى تغير .

تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيتهم مشورته ! فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه ، ويعملان برأيه ، فقال : إن مثلي لا يكلم مثلك ، قلت له : وبأى أبويك ترغب عني ! بأبيك الوشيط أم بأمك النابتة ^(١) ! قال : فقام عن مكانه وقمت معه ^(٢) . ٣٣٠٨/١

قال أبو مخنف: حدثني أبو جتاب الكلبي أن عمراً وأبا موسى حيث التقيا بدومة الجندل ، أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام ، يقول : إنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أسن مني ، فتكلم وأتكلّم . فكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في كل شيء ، اغترى ^(٣) بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلق علي . قال : فنظر في أمرهما وما اجتماعهما عليه ، فأراده عمرو على معاوية فأبى ، وأراده على ابنه فأبى ، وأراد أبو موسى عمراً على عبد الله ابن عمر فأبى عليه ، فقال له عمرو : خبرني ما رأيك ؟ قال : رأي أن نخرج هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا . فقال له عمرو : فلان الرأي ما رأيته ، فأقبلنا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال: يا أبا موسى ، أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق ، فتكلم أبو موسى فقال: إن رأي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عز وجل به أمر هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبر ، يا أبا موسى ، تقدم فتكلم . فتقدم أبو موسى ليتكلم ، فقال له ابن عباس: ويحك ! والله إني لأظنه قد خدحك. إن كنتما قد اتفقتما على أمر ، فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلم أنت بعده ، فلن عمراً رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت في الناس خالفك - وكان أبو موسى مغفلاً - فقال له : إننا قد اتفقنا . فتقدم أبو موسى فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إننا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح

٣٣٠٩/١

(١) الوشيط : الخسيس والناج . والثابتة لقب أم عمرو بن العاص ، واسمها سلمى بنت حرملة سبية من بني جلدان بن حنزة .

(٢) صفين: ٦٢٣ ، ٦٢٤ .

(٣) اغترى : قصد ، وفي صفين : « وإنما اغتره بفلك ليقمه » ، وفي ابن الأثير : « أراد » .

لأمرها ، ولا أُلِّمَ لَشَعَثِهَا من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأى عمرو عليه ؛ وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولتوا منهم مَنْ أَحَبُّوا عليهم ، وإلى قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولتوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ؛ ثُمَّ تَنَحَّى . وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : إنَّ هذا قد قال ما سمعتم نخلع صاحبه ، وأنا أنخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبتُ صاحبي معاوية ، فإنه وليَّ عثمان بن عفان والطلال بدله ، وأحقُّ الناس بمقامه . فقال أبو موسى : ما لك لا وقتك الله ، غدرت وفجرت ! إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . قال عمرو : إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً . وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقتله بالسوط ، وحمل على شريح ابنُ لعمرو فضربه بالسوط ، وقام الناس فحجزوا بينهم . وكان شريح بعد ذلك يقول : ما نلتُ على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ألا أكون ضربه بالسيف آتياً به الدَّهرُ ما أتى . والتمس أهلُ الشامُ أبا موسى ، فركب راحلته وعلق بمكة . قال ابن عباس : قبَّح الله رأى أبي موسى ! حدَّ رته وأمرته بالرأى فما عَقَلَ . فكان أبو موسى يقول : حدَّ رنى ابنُ عباس غَدْرَةَ الفاسق ، ولكني اطعانت إليه . وظننت أنه لن يؤثر شيئاً على نصيحة الأمة . ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية ، وسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى عليٍّ ، وكان إذا صلى الغداة يتقنَّت فيقول : اللهمَّ العن معاويةً وعمراً وأبا الأحرور السُّلَميَّ وحبيباً وعبد الرحمن بن خالد والضحَّاك بن قيس والوليد . فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا قَنَّت لعنَّ علياً وابن عباس والأشتر وحُسَيْناً^(١) .

وزعم الواقدي أن اجتماع الحكَّامين كان في شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة .

• • •

ذكر ما كان من خبر الخوارج عند
توجيه على الحكم للحكومة وخبر يوم النهروان

قال أبو مخنف : عن أبي المغفل ، عن عون بن أبي جحيفة ، أن علياً لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة ، أتاه رجلان من الخوارج : زُرْعَةُ بْنُ الْبُرْجِ الطَّائِيّ وَحُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ ، فدخلا عليه ، فقالا له : لا حكم إلا لله ، فقال عليّ : لا حكم إلا لله ، فقال له حُرْقُوصُ : ثُبْ مِنْ خَطِيئَتِكَ ، وارجع عن قضيتك ، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال لهم عليّ : قد أردتكم على ذلك فصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً ، وشرطنا شروطاً ، وأعطينا عليها عهداً وميثاقاً ، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) . فقال له حُرْقُوصُ : ذلك ذنب ينبغي أن تورب منه ؛ فقال عليّ : ما هو ذنب ، ولكنه حَجَرٌ من الرأي ، وضعف من الفعل ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتكم عنه . فقال له زُرْعَةُ بْنُ الْبُرْجِ : أما والله يا عليّ ، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك ؛ أطلب بذلك وجه الله ورضوانه ، فقال له عليّ : يؤسأ لك ، ما أشفاك ! كأني بك قتيلاً تسفسي عليك الريح ؛ قال : وددت أن قد كان ذلك ؛ فقال له عليّ : لو كنت محققاً كان في الموت على الحقّ تنزية عن الدنيا ، إن الشيطان قد استهواكم ، فاتقوا الله عز وجل ؛ إنه لا خير لكم في دُنيا تقاتلون عليها ؛ فخرجوا من عنده يحكمّان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الملك بن أبي حرّة الحنفيّ ، أن علياً خرج ذات يوم يخطب ، فإنه لم يسمع خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد ، فقال عليّ : الله أكبر ! كلمة حق يراد بها باطل ! إن سكتوا عمعنهم ، وإن تكلموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم . فوثب يزيد بن حاصم

المخاري، فقال: الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه. اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا، فإن إعطاء الدنية في الدين إذهان في أمر الله عز وجل، وذل راجع بأهله إلى سخط الله. يا علي، أباقتل تخوفنا! أما والله إني لأرجو أن تضربكم بها عما قليل غير مصفات، ثم لتعلمن أيتنا أولى بها صلياً. ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم، فأصيبوا مع الخوارج بالشهر، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالثخيلة.

قال أبو مخنف: حدثني الأجلع بن عبد الله، عن سلمة بن كهيل، عن كثير بن بهز الحضرمي، قال: قام علي في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدة رجال يحكمون، فقال علي: الله أكبر، كلمة حتى يلتمس بها باطل! أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتونا: لا تمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا تمنعكم النية ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تلبسونا؛ ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته.

قال أبو مخنف: وحدثنا عن القاسم بن الوليد، أن حكيم بن عبد الرحمن بن سعيد البكائي كان يرى رأى الخوارج، فأتى علياً ذات يوم وهو يخطب، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١)، فقال علي: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّنَا الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ﴾^(٢).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت إسماعيل ابن سميع الحنفي، عن أبي رزين، قال: لما وقع التحكيم ورجع علي من صفين رجعوا مبائنين له، فلما انتهوا إلى الشهر أقاموا به، فدخل علي في الناس الكوفة، ونزلوا بحروراء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس، فرجع ولم يصنع شيئاً، فخرج إليهم علي فكلّمهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم، فلدخوا

(١) سورة الزمر: ٦٥.

(٢) سورة الروم: ٦٠.

الكوفة ، فأتاه رجل فقال : إن الناس قد تحدّثوا أنك رجعت لهم عن كفرِكَ .
 فخطب النَّاسَ في صلاة الظهر ، فذكر أمرهم فعابه ، فوثبوا من
 نواحي المسجد يقولون : لا حُكْمَ إلا الله . واستقبله رجل منهم وأضبع لإصبعيه
 في أذنيه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
 أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، فقال على :
 ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

حدّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدّثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليث بن
 أبي سليم يذكر عن أصحابه ، قال : جعل على يقلب يديه يقول يديه هكذا
 وهو على المنبر ، فقال : حُكِّمُ الله عز وجل يُتَنَظَّرُ فيكم مرتين ، إن لكم
 عندنا ثلاثاً : لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد ، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا
 الشيء ما كانت أيديكم مع أبلدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقتالونا .

قال أبو مخنف عن عبد الملك بن أبي حرّة : إن علياً لما بعث أبا موسى
 لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن
 وهب الراسبي ، فحميد الله عبد الله بن وهب وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ،
 فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، وينيبون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه
 الدنيا ، التي الرضا بها والركون بها والإيتار لإياها عناء وتبّار ، آثرت عندهم من
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق ، وإن من وضُرَّ فإنه
 من يمن ويضُرَّ في هذه الدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل
 والخلود في جنّاته . فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالِمِ أهلها إلى بعض
 كُور الجبال أو إلى بعض هذه المدن ، منكرين لهذه البدع المضلة .
 فقال له حرقوص بن زهير : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها
 وشيك ، فلا تدعوا نكمت زيتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تفتنكم عن طلب
 الحق ، وإنكار الظلم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . فقال حمزة

ابن سنان الأسدي : يا قوم ، إن الرأي ما رأيتم ، فولتوا أمركم رجلاً منكم ،
فإنه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها ، وترجعون إليها . فعرضوها
على زيد بن حصين الطائي فأبى ، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ،
وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فأبى ، وعرضوها على عبد الله
ابن وهب ، فقال : هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها فرقة
من الموت . فبايعوه لعشر خلون من شوال — وكان يقال له ذو الشفئات^(١) —
ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي ، فقال ابن وهب : اشخصوا بنا
إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله ، فإنكم أهل الحق . قال شريح :
نخرج إلى المدائن فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ، ونخرج منها سكانها ، ونبعث
إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا . فقال زيد بن حصين : إنكم إن
خرجتم مجتمعين اتبعتكم ، ولكن اخرجوا وحداً مستخفين ، فأما المدائن
فلأن بها من يمنعكم ، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر الشهران ، وتكاتبوا
إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرأي .

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ،
ويحثهم على اللحاق بهم ، وسير الكتاب إليهم ، فأجابوه أنهم على اللحاق به .
فلما عزموا على المسير تعبداً ليلتهم — وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة —
وساروا يوم السبت ، فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى :
﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا
تَوَجَّهَ تَلَفَّأَ مَذِينٌ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهَيِّئَ لِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾^(٢) .
وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي ، فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه ، فانهى
إلى المدائن ثم رجع ، فلما بلغ ساباط لقيته عبدة الله بن وهب الراسي في نحو عشرين
فارساً ، فأراد عبد الله قتله ، ففقه عمرو بن مالك التبهاني وبشر بن زيد
البولاني . وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل على المدائن يحذره

(١) في اللسان : « اللغظة وكبة البحر » وقيل لعبد الله بن وهب الراسي رئيس الخوارج : ذو

الشفئات ؛ لأن طول السجود كان أثر في ثغفاته-١١.

(٢) سورة القصص: ٢١ ، ٢٢ .

أمرهم ، فحذّر ، وأخذ أبواب المدائن ، وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد ، صار في طلبهم ، فأخبر عبد الله بن وهب خبره فرأى طريقه^(١) ، صار على بغلداذ ، ولحقهم سعد بن مسعود بالكرك في خمسمائة فارس عند المساء ، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارساً ، فاقتتلوا ساعة ، وامتنع القوم منهم ؛ وقال أصحاب سعد لسعد : ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر ؟ خلّتهم فليذهبوا ، واكتب إلى أمير المؤمنين ، فإن أمرك باتّباعهم اتّبعتهم ، وإن كفّا كهّم غيرك كان في ذلك عافية لك . فأبى عليهم ، فلما جنّ عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب فعبّر دجلة إلى أرض جَوْحَى ، صار إلى النهر وان ، فوصل إلى أصحابه وقد أيسر منه ، وقالوا : إن كان هلك وليّنا الأمر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير ، صار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم ، فردّهم أهلهم كرهاً ؛ منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي ، وبلغ علياً أن سالم بن ربيعة البهمي يريد الخروج ، فأحضره عنده ، ونهاه فانتهى .

٣٣٦٧/١

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا : نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت ، فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاهه ربيعة بن أبي شدّاد الخثعمي - وكان شهد معه الجمل وصيفين ، ومعه راية خضتم - فقال له : بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال ربيعة : على سنة أبي بكر وعمر ؛ قال له عليّ : ويلك ! لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شيء من الحق ، فبايعه ، فنظر إليه عليّ وقال : أما والله لكأن بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت ، وكأنك بك وقد ولت الخيل بموافرها ، فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل ، وجعلوا عليهم ميسر ابن فدك التميمي ، فعلم بهم ابن عباس ، فأتبعهم أبا الأسود الدؤليّ ،

(١) يقال : رابت فلاناً ؛ حذّره واتقته .

فلحقهم بالجسر الأكبر ، فواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدلى ميسر بأصحابه ، وأقبل يعترض الناس وعلى مقدّمته الأشرسُ بنُ عوف الشيباني ، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر . فلما خرجت الخوارجُ وهرب أبو موسى إلى مكة ، وردَّ على ابن عباس إلى البصرة ، قام في الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى الدهرُ بالخطب الفادح ، ولحدّثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ؛ أما بعد ، فإن المعصية تورث الحسرة ، وتُعقب الندم ، وقد كنتُ أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكمة أمرى ، ونَحَسْتُكم رأى ، لو كان لقصيرٍ أمر ! ولكن أبيهم إلا ما أردتم ، فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمرتُهُمُ أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشدَ إلا ضحى القدي^(١)
إلا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمتين قد نبذّا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحيّا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله ، فحكمتما بغير حجة بينة ، ولا سنة ماضية ، واختلعا في حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ، فبرئ اللهُ منهما ورسولُهُ وصالحُ^(٢) المؤمنين . استعِدّوا وتأهبوا للمسير إلى الشام ، وأصبحوا في معسكرهم إن شاء الله يوم الاثنين . ثم نزل .

وكتب إلى الخوارج بالنهر : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس . أمّا بعد ، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله ، واتبعا أهواءهما بغير هدى من الله ، فلم يعملّا بالسنة ، ولم يتفكرا للقرآن حكماً ، فبرئ الله ورسولُهُ منهما والمؤمنون ! فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فلإنّا سائرّون إلى علوّنا وعدّوكم ، ونحن على الأمر الأوّل الذى كنا عليه . والسلام .

(١) للرواية الصفة ؛ ويعد :

فلما عصوتى كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأننى غير مُتهدٍ
ومّا أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

(٢) التنوين : « وصالح المؤمنين » .

وكتبوا إليه : أما بعد ، فإنك لم تغضب لربك ، إنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابك ذاك على سواء إن الله لا يحب الخائنين . فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاتهم فيناجرهم .

قال أبو مخنف ، عن المعلّى بن كليب الممداني ، عن جبر بن نوف أبي الودّاء الممداني : إن علياً لما نزل بالنخيلة وأيس من الخوارج ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه من ترك الجهاد في الله وأدّاهن في أمره كان على شفا هلكه^(١) إلا أن يتداركه الله بنعمة ، فاتقوا الله ، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاول أن يطلع نور الله ، قاتلوا الخاطئين الضالين ، القاسطين المجرمين ، الذين ليسوا بقرّاء للقرآن^(٢) ، ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء في التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام ، والله لو ولّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهيرقل ، تيسروا وتهيؤوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقبضوا عليكم ، فإذا قد موا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣٣٧٠/١

وكتب عليّ إلى عبد الله بن عباس مع عتبة بن الأحنس بن قيس ، من بني سعد بن بكر : أما بعد ، فإذا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة ، وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ، فاشخص بالناس حتى يأتيتك رسولاً ، وأقم حتى يأتيتك أمري . والسلام .

فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخص مع الأحنف ابن قيس ، فشخص معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقبلهم عبد الله بن عباس ، فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل البصرة ، فإنه جاءني أمر أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالتغير إليه مع الأحنف بن قيس ، ولم يشخص معكم إلا ألف وخمسمائة ،

(١) ابن الأثير : « هلكه » .

(٢) النويري وابن الأثير : « القرآن » .

وَأَنْتُمْ سَتُونَ أَلْفًا سِوَى أَبْنَائِكُمْ وَعِبْدَانِكُمْ وَمَوَالِيكُمْ ! أَلَا اقْتَرَبُوا مَعَ جَارِيَةِ بِنْتِ قَدَامَةَ السَّمْدِيِّ ، وَلَا يَحْطِئَنَّ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا ، فَلَنِي مَوْقِعٌ بِكُلِّ مَنْ وَجَدْتُهُ مُتَخَلِّفًا عَنْ مَكْتَبِهِ ، عَاصِيًا لِإِمَامِهِ ، وَقَدْ أَمَرْتُ أَبَا الْأَسْوَدَ الدَّؤْلِيَّ بِمُحَرِّقِكُمْ ، فَلَا يَلْتَمُ رَجُلٌ جَعَلَ السَّبِيلَ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا نَفْسَهُ .

فَخَرَجَ جَارِيَةُ فَعَسَكَرَ ، وَخَرَجَ أَبُو الْأَسْوَدَ فَحَشَرَ النَّاسَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَى جَارِيَةِ أَلْفٌ وَسَبْعُمِائَةٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى وَاثَقَهُ عَلَى النَّخِيلَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِالنَّخِيلَةِ حَتَّى وَاثَقَهُ هَذَانِ الْجَيْشَانِ مِنَ الْبَصْرَةِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَمِائَتَا رَجُلٍ ، فَجُمِعَ إِلَيْهِ رَعُوسُ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَرَعُوسُ الْأَسْبَاعِ ، وَرَعُوسُ الْقِبَالِ ، وَوَجُوهُ النَّاسِ . فَحَمِيدُ اللَّهِ وَأُثْنَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَنْتُمْ لِإِخْوَانِي وَأَنْصَارِي ، وَأَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ ، وَصَحَابَتِي عَلَى جِهَادِ عَدُوِّي الْمُحَلِّينَ بِكُمْ ، أَضْرَبَ الْمَذْبُورَ ، وَأَرْجُو تَمَامَ طَاعَةِ الْمُقْبِلِ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَاسْتَفَرَّتْهُمْ إِلَيْكُمْ ، فَلَمْ يَأْتَنِي مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَمِائَتَا رَجُلٍ ، فَأَعِيزْنِي بِمَنَاصِحَةِ جَلِيلَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْفُتَى ، إِنَّكُمْ (١) مَخْرَجَنَا إِلَى صَفْتَيْنِ ، بَلِ اسْتَجْمَعُوا بِأَجْمَعِكُمْ ، وَإِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ يَكْتُبَ لِي رَئِيسُ كُلِّ قَوْمٍ مَا فِي عَشِيرَتِهِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَأَبْنَاءِ الْمُقَاتِلَةِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْقِتَالَ وَعِبْدَانِ عَشِيرَتِهِ وَمَوَالِيهِمْ ، ثُمَّ يَرْفَعُ ذَلِكَ إِلَيْنَا .

فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِي ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَمِعْنَا وَطَاعَةٌ ، وَوَدَّاءٌ وَنَصِيحَةٌ ، أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ جَاءَ بِمَا سَأَلْتَ ، وَبِمَا طَلَبْتَ . وَقَامَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ ، وَقَامَ عَلِيُّ بْنُ حَاطَمٍ وَزِيَادُ بْنُ خَصْفَةِ وَحُجْبَرُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَشْرَافُ النَّاسِ وَالْقِبَالِ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ .

ثُمَّ إِنَّ الرُّعُوسَ كَتَبُوا مَنْ فِيهِمْ ، ثُمَّ رَفَعُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَمَرُوا أَبْنَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ وَمَوَالِيَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ ، وَالْأَ يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ عَنْهُمْ أَحَدٌ ، فَرَفَعُوا إِلَيْهِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، وَسَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْأَبْنَاءِ مِنْ أَدْرَكِ ، وَثَمَانِيَةَ آلَافٍ مِنَ مَوَالِيهِمْ وَعَبِيدِهِمْ ، وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا مَنْ عِنْدَنَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَأَبْنَاءِ الْمُقَاتِلَةِ مَنْ قَدْ بَلَغَ الْحُلُمَ ، وَأَطَاقَ الْقِتَالَ ، فَقَدْ رَفَعْنَا إِلَيْكَ مِنْهُمْ ذَوِي الْقُوَّةِ وَالْجَسَدِ ، وَأَمْرَانَاهُمَا بِالشَّخْصِ مَعَنَا ، وَمِنْهُمْ ضَعْفَاءٌ ، وَهُمْ فِي ضِيَاعَانَا وَأَشْيَاءَ مِمَّا يُصْلَحُنَا .

(١) هُنَا سَقَطَتْ كَلِمَاتٌ مِنْ أَسْوَدَ ط ، وَأَغْلَقَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ وَالْعَوْدِيُّ .

وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة ، ومن مواليهم ومواليهم ثمانية آلاف ، وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفاً ، وثلاثة آلاف ومائتي رجل من أهل البصرة ، وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفاً ومائتي رجل .

قال أبو ميخنف ، عن أبي الصلت التيمي : إن علياً كتب إلى سعد ابن مسعود الثقفي وهو عامله على المدائن : أما بعد ، فإني قد بعثت إليك زياد ابن خصمة فأشخص معه من قبيلك من مقاتلة أهل الكوفة ، وعجل ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

قال : وبلغ علياً أن الناس يقولون : لو سار بنا إلى هذه الحروية^(١) فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحلين^(٢) أقام في الناس فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه قد بلغني قولكم : لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلين ، وإن غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين ملوكاً ، ويتخللوا عباد الله نحولاً .

فتنادى الناس من كل جانب : سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت . قال : فقام إليه صفى بن فسيل^(٣) الشيباني فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نعادي من هاديت^(٤) ، ونشايح من أناب إلى طاعتك ، فسر بنا إلى عدوك ، من كانوا وأينا كانوا ، فإنك إن شاء الله لن تؤتني من قلّة عدد ، ولا ضعف نيّة أتباع . وقام إليه محرز بن شهاب التميمي من بني سعد فقال : يا أمير المؤمنين ، شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع^(٥)

(١) الحروية من الخوارج ، منسوبون إلى حروراء : موضع بظاهر الكوفة ؛ نسبوا إليه لأنه كان أول اجتماعهم به .

(٢) أهل : الذي نقض حده . وفي ابن الأثير والنويري : « إلى قتال المحلين »

(٣) ابن الأثير : « فسيل » ، النويري : « نصيل » .

(٤) ابن الأثير والنويري : « هاداك » .

(٥) النويري : « الإجماع » .

على نصرتك ، والجدة في جهاد عدوك ، فأبشِرْ بالنصر، وسِرْ بنا إلى أَى
الفریقین أحببت ، فإنّا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك
صالح الثواب ، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال .

حدثني يعقوب ، قال : حدثني إسماعيل ، قال : أخبرنا أيوب ، عن
حميد بن هلال ، عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم ،
قال : دخلوا قرية ، فخرج عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ذعيراً يجر
رداءه ، فقالوا : لم ترع ؟ فقال : والله لقد ذعرتهم ! قالوا : أنت
عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قالوا :
فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها
خير من الساعي ؟ قال : فإن أدركتم ذلك فكن يا عبد الله المقتول — قال
أيوب : ولا أعلمه إلا قال : ولا تكن يا عبد الله القتال — قال : نعم ، قال :
فقد موه على ضفة النهر ، فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنه شراك نعل ، وبقرُوا
بطن أم ولده عما في بطنها . ٣٣٧٤ / ١

قال أبو مخنف عن عطاء بن عجلان ، عن حميد بن هلال : إن
الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر ، فخرجت
عصاة منهم ، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار ، فعبروا إليه ، فدعوه
فتهددوه وأزعروه ، وقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض — وكان
سقط عنه لما أزعروه — فقالوا له : أفرعناك ؟ قال : نعم ، قالوا له : لا روع
عليك ! فحدثنا عن أبيك بحديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ، لعل
الله يثمننا به ! قال : حدثني أبي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن فتنة
تكون ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه ، يمسي فيها مؤمناً ويصبح
فيها كافراً ، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً ، فقالوا : لهذا الحديث
سألناك ، فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأنشئ عليهما خيراً ، قالوا : ما تقول

في عَمَانٍ في أوَّلِ خِلاَفِهِ وَفِي آخِرِهَا ؟ قَالَ : إِنَّهُ كَانَ مُحَقًّا فِي أَوَّلِهِ وَفِي
 آخِرِهِ ، قَالُوا : فَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ قَبْلَ الْحَكِيمِ وَبَعْدَهُ ؟ قَالَ : إِنَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ
 مِنْكُمْ ، وَأَشَدُّ تَوَقُّيًّا عَلَى دِينِهِ ، وَأَقْنَدُ بَصِيرَةً . قَالُوا : إِنَّكَ تَتَّبِعُ الْهَوَى ، وَتُوَالِي
 الرِّجَالَ عَلَى أَسْمَانِهِمَا لَا عَلَى أَعْمَالِهِمَا ^(١) ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكَ قِتْلَةً مَا قَتَلْنَاهَا أَحَدًا ،
 فَأَخَذُوهُ فَكَتَفُوهُ ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ وَبِامْرَأَتِهِ وَهِيَ حَبْلَى مُتَمِّمٌ ^(٢) حَتَّى نَزَلُوا تَحْتَ نَخْلٍ
 مَوَاقِرَ ^(٣) ، فَسَقَطَتْ مِنْهُ رِبْطَةٌ ، فَأَخَذَهَا أَحَدُهُمْ فَقَذَفَ بِهَا فِي فَهٍ ، فَقَالَ
 أَحَدُهُمْ : بَغِيرَ حِلْيَتِهَا ، وَبَغِيرَ ثَمَنِ ! فَلَنَقْطَعُهَا وَأَلْقَاهَا مِنْ فَهٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ
 فَأَخَذَ بِمِئْتِهِ ، فَرَّ بِهِ خَتَرِيْرٌ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ فَضَرَبَتْهُ بِسَيْفِهِ ، فَقَالُوا : هَذَا فَسَادٌ
 فِي الْأَرْضِ ، فَأَتَى صَاحِبَ الْخَتَرِيْرِ فَأَرْضَاهُ مِنْ خَتَرِيْرِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ
 ابْنُ خُبَّابٍ قَالَ : لَئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَا أَرَى فَمَا عَلَى مَنْكُمْ بِأَسٍّ ، إِنِّي لَمُسْلِمٌ ،
 مَا أَحْدَثْتُ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا ، وَلَقَدْ أَمْتَمْتُنِي ، قَلَمٌ : لَا رَوْعَ عَلَيْكَ !
 فَجَاءُوا بِهِ فَأَضْجَعُوهُ فَذَبَحُوهُ ، وَصَالَ دَمُهُ فِي الْمَاءِ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى الْمَرْأَةِ ،
 فَقَالَتْ : إِنِّي إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ ، أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ ! فَيَقْرَءُوا بَطْنُهَا ، وَقَتَلُوا ثَلَاثَ
 نِسْوَةٍ مِنْ طَيْفٍ ، وَقَتَلُوا أُمَّ سَيْنَانَ الصِّيدَاوِيَّةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَتْلِهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خُبَّابٍ ، وَاعْتَرَضَهُمُ النَّاسُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ
 الْحَارِثَ بْنَ مَرْثَةَ الْعَبْدِيِّ لِيَأْتِيَهُمْ فَيَنْظُرَ فِيمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ ، وَيَكْتُبَ بِهِ إِلَيْهِ عَلَى
 وَجْهِهِ ، وَلَا يَكْتُمَهُ . فَخَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرِ لِيُسَالِلَهُمْ ، فَخَرَجَ الْقَوْمُ
 إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَتَى الْحَبِيْرُ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّاسُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، فَقَالُوا :
 يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَامَ تَدْعَ هَؤُلَاءِ وَرَاعَانَا يَخْلِفُونَنَا فِي أُمُورِنَا وَعِيَالِنَا ! سِرُّ
 بَنَانِ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا فَرَعْنَا مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سِرْنَا إِلَى عَدُوِّنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ .
 وَقَامَ إِلَيْهِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ فَكَلَّمَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَكَانَ النَّاسُ
 يَتَرَوْنَ أَنَّ الْأَشْعَثَ يَتَرَى رَأْيَهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ صِفْتَيْنِ : أَنْصَفْنَا
 قَوْمَ يَلْحِقُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَمَرَ عَلِيًّا بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ عَلِمَ النَّاسُ
 أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَرَى رَأْيَهُمْ . فَأُجْمِعَ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَدَاى بِالرَّحِيلِ ،

(١) مَا بَيْنَ الْمَلَاحِيْظِ زِيَادَةٌ مِنْ ابْنِ الْأَثِيْرِ وَالْقَوْدِيْرِ .

(٢) يُقَالُ : امْرَأَتُهُمْ ، الْحَبْلَى إِذَا شَافَتْ الرِّجْلَ .

(٣) أَهْرَتْ النَّخْلَةَ : إِذَا كَثُرَ حِلْيَتُهَا ، وَنَخْلَةٌ مَوْقَرٌ وَاجْمَعُ مَوَاقِرَ .

وخرج فعَبَّرَ الجسرَ فصَلَّى ركعتين بالقنطرة ، ثم نزل ديرة عبد الرحمن ، ثم دير أبي موسى ، ثم أخذ على قرية شامى ، ثم على دبابها ، ثم على شاطئ القرات ، فلقبته في مسيره ذلك منجم ، أشار عليه بسير^(١) وقت من النهار ، وقال له : إن مرت في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضرراً شديداً . فخالقه ، وسار في الوقت الذى نهاء عن السير فيه ، فلما فرغ من النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : لو سرنا في الساعة التى أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون : سار في الساعة التى أمره بها المنجم فظفر .

قال أبو مخنف : حدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن حوف ، قال : لما أراد على المسير إلى أهل النهر من الأنبار ، قدّم قيس بن سعد بن عبادة وأمره أن يأتى المدائن فيترلها حتى يأمره بأمره ، ثم جاء مقبلاً إليهم ، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفى بالنهر ، وبعث إلى أهل النهر : ادفعوا إلينا قتيلاً إخواننا منكم تقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فلمل الله بقلوبكم ، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أرمكم . فبعثوا إليه ، فقالوا : كلنا قتلناهم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن حصيرة ، عن عبد الرحمن بن عبيد^(٢) ٢٢٧٧/١
أبي الكنود ، أن قيس بن سعد بن عبادة قال لهم : عباد الله ، أخرجوا إلينا طليبتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذى منه خرجتم ، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم ، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشرك ، والشرك ظلم عظيم ، وتسفكون دماء المسلمين ، وتعدونهم مشركين ! فقال عبد الله بن شجرة السلمي : إن الحق قد أضاء لنا ، فلست نتابعكم^(٣) أو تأتونا بمثل عمر ، فقال : ما نعلمه فينا غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم ؟ وقال : فشدتكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها ، فإني لأرى الفتنة قد غلبت عليكم !

(١) ابن الأثير : « أنيسر » ..

(٢) ساقط من ط . (٣) ابن الأثير : « تابعكم » .

وخطبهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، فقال: عباد الله، إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقاتلوننا؟ فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكمتم غداً. قال: فلأني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنه العام مخافة ما يأتي في قابل.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعيّين، عن زيد بن وهب، أن علياً أتى أهل النهر فوقف عليهم فقال: أيتها العصابة التي أخرجتها عداوة الميراء والنجاجة، وصداها عن الحق الهوى، وطمع بها التزقي، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم، إني نذير لكم أن تصبحوا تليفكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط، بغير بيعة من ربكم، ولا برهان يبين. ألم تعلموا أنني نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أن طلب القوم إرثها منكم دهن ومكيلة لكم! وفيأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأني أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالاً ورجالا، فهم أهل المكر والغدر، وأنكم إن فارقتهم رأيت جانبهم الحزم! فصبيتوني، حتى أقررت بأن حكمت، فلما فعلت شرطت واستوثقت، فأخذت على الحكمين أن يُعيّيا ما أحيا القرآن، وأن يُميّتا ما أمات القرآن، فاحكمتما وخالفتما حكم الكتاب والسنة، فبذلنا أمرهما، وضحنا على أمرنا الأول، فما الذي بكم؟ ومن أين أنتم! قالوا: إنا حكمنا، فلما حكمنا أثمنا، وكنا بذلك كافرين، وقد ثبتنا فلان ثبت كما تبنا فنحن منك ومعك، وإن آيت فاحتزلنا فلانا منابذك على سواء إن الله لا يحب الخائنين. فقال علي: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وإبر^(١) أبعد إغاني برسول الله صلى الله عليه وسلم ومهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على قضي بالكفر! لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. ثم انصرف عنهم.

قال أبو مخنف: حدثني أبو سلمة الزهري—وكانت أمه بنت أنس ابن مالك—أن علياً قال لأهل النهر: يا هؤلاء، إن أنفسكم قد سولت

(١) يقال: ما بالمار ظاهر، أي ما بها أحد.

لکم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لما كاره ، وأنبأتکم أن القوم سألوکم سؤها مكيدة ^(١) وذهبت ^(٢) ، فأبیت علی إباء المخالفین ، وعدلت عنی عدول النکداء العاصین ، حتی صرفت رأی إلى رأیکم ، وأنتم والله معاشر أخفاء الهام ، سفهاء الأحلام ، فلم آت - لا أبا لکم - حراماً . والله ما خبلتکم عن أمورکم ، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنکم ، ولا أوطأتکم عشوة ، ولا دنتت لکم الضراء ، وإن کان أمرنا لأمر المسلمین ظاهراً ، فأجمع رأی ملسکم علی أن اختاروا رجلین ، فأخذنا علیهما أن یحكما بما فی القرآن ولا یعدوا ، فتأھا وترکا الحق وهما یبصیرانه ، وكان الجور هواهما ، وقد سبق استیثاقنا علیهما فی الحكم بالعدل ، والصدق للحق ^(٣) سوء رأیهما ، وجور حکهما . والثقة فی أیدینا لأنفسنا حين خالفا سبیل الحق ، وأتیا بما لا یعرف ، فبیئنا لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروج من ^(٤) جماعتنا ، إن اختار الناس رجلین أن تضعوا أسیافکم علی عواتکم ، ثم تستعرضوا الناس ، تضربون رقابهم ، وتسفکون دماءهم ! إن هذا هو الخسران المبین . والله لو قتلتم علی هذا دجاجة لعتظمت عند الله قتلها ، فكیف بالنفس التي قتلها عند الله حرام !

فتنادوا : لا تخاطبوم ، ولا تكلّموم ، وتهیثوا للقاء الرب ، الرواح الرواح إلى الجنة ! فخرج علی فعباً الناس ، فجعل علی میمته حُجر بن عدی ، وعلى میسرته شَبَث بن رِبْنی - أو معقل بن قیس الریاحی - وعلى الخیل أبا أيوب الأنصاری ، وعلى الرّجاله أبا قتادة الأنصاری ، وعلى أهل المدينة - وهم سبعمئة أو ثمانمئة رجل - قیس بن سعد بن عبادة .

قال : وعبات الخوارج ، فجعلوا علی میمتهم زید بن حصین الطائی ، وعلى المیسرة شریح بن أوفی العبسی ، وعلى خیلهم حمزة بن سنان الأسدی ، وعلى الرّجاله حرقوص بن زهير السعدي .

(١) دعاء : عداً ، وفي ابن الأثير : « وروى » .

(٢) ط : « بسوء » ، والصواب ما أتبعه من نهج البلاغة ١ : ٤٢٢ .

(٣) ابن الأثير : « من جماعتنا » .

قال : وبعث على الأسود بن يزيد المرادى فى ألقى فارس ، حتى أتى حمزة بن سنان وهو فى ثلثة فارس من خيلهم ، ورفع على راية أمان مع أبى أيوب ، فناداهم أبو أيوب : من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو أمين ، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو أمين ، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم فى سفك دمائكم . فقال فروة بن نوفل الأشجعى : والله ما أدرى على أى شىء نقاتل علياً ! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لى بصيرى فى قتاله أو اتباعه . وانصرف فى خمسة فارس ، حتى نزل البند نجين والدسكرة ، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة ، وخرج إلى على منهم نحو من مائة ، وكانوا أربعة آلاف ، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة ، وزحفوا إلى على ، وقدّم على الخليل دين الرجال ، وصف الناس وراء الخليل صفين ، وصف المرامية أمام الصف الأول ، وقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدوكم ، فإنهم لو قد شدوا عليكم - وجلتهم رجال - لم ينتهوا إليكم إلا لاغبين وأنتم رادون حامون . وأقبلت الخوارج ، فلما أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس ، فكان يزيد بن قيس على إصبهان . فقالوا : يا يزيد بن قيس ، لا حكم إلا لله ، وإن كرهت إصبهان ! فناداهم عباس ابن شريك وقبيصة بن ضبيعة البسيان : يا أعداء الله ، أليس فيكم شريح ابن أوفى المسرف على نفسه ؟ هل أنتم إلا أشباهه ! قالوا : وما جئتكم على رجل كانت فيه فتنة ، وفيها توبة ! ثم نادوا : الرواح الرواح إلى الجنة ! فشدوا على الناس والخليل أمام الرجال ، فلم تثبت خيل المسلمين لشدتهم ، وافترت الخيل فرقتين : فرقة نحو الميمنة ، وأخرى نحو الميسرة ، وأقبلوا نحو الرجال ، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل ، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فواجه ما لبثوهم أن أناموهم . ثم إن حمزة بن سنان صاحب خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه أن اتزلوا ، فلهبوا ليتزلوا فلم يتزلوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادى ، وجاءتهم الخيل من نحو على ، فأهملوا فى الساعة .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الملك بن مسلم بن سلام بن ثُمالة الحنفي ،
عن حكيم بن سعد ، قال : ما هو إلا أن لقينا أهل البصرة ، فما لبثناهم ،
فكأنما قيل لهم : مؤنوا ، فأتوا قبل أن تشتد شوكتهم ، وتظم نكايتهم .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جنتاب ، أن أبا أيوب أتي علياً ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، قتل زيد بن حصين ، قال : فما قلت له وما قال لك ؟
قال : طعنته بالرمح في صدره حتى نجم من ظهره ، قال : وقلت له : أبشر
يا همدان بالله بالنار ! قال : ستم أئناً أولى بها صلياً ، فسكت على عليها .

قال أبو مخنف ، عن أبي جنتاب : إن علياً قال له : هو أولى لها صلياً .
قال : وجاء عائد بن حملة التميمي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قتل كلاباً ،
قال : أحسنت ! أنت محي قتل مبطل . وجاء هاني بن خطاب الأرحبي
وزياد بن خصصة محتجان في قتل عبد الله بن وهب الراسبي ، فقال لهما :
كيف صنعنا ؟ فقالا : يا أمير المؤمنين ، لما رأينا عرقناه ، وابتدنا فطعنناه
برمحينا ، فقال علي : لا تختلفا ، كلاكما قاتل . وشد جيش بن ربيعة
أبو المعتمر الكتافي على حرقوص بن زهير فقتله ، وشد عبد الله بن زحر
الحوطاني على عبد الله بن شجرة السلمى فقتله ، ووقع شريح بن أوفى
إلى جانب جدار ، فقاتل على ثلثة فيه طويلاً من نهار ، وكان قتل ثلاثة
من همدان ، فأخذ يرتجز ويقول :

قد علمت جارية عبسية ناعمة في أهلها مكفية

• أنى سألني ثلثي العسبة •

٢٣٨٣/١

فشد عليه قيس بن معاوية الدهني فقطع رجله ، فجعل يقاتلهم ،
ويقول :

• القمر يخمي شوكه مقولاً •

ثم شد عليه قيس بن معاوية فقتله ، فقال الناس :

اقتلت همدان يوماً ورجل اقتلوا من غدة حتى الأصل

• فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُمَا دَانَ الرَّجُلَيْنِ

وقال شُريح :

أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أَرَى أَبَا حَسَنٍ ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَطْمَأَنَّ

وقال :

أَضْرِبُهُمْ وَلَوْ أَرَى عَلِيًّا أَلْبَسْتُهُ أَبْيَضَ مَشْرِقِيًّا

قال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرّة ، أن عليًّا خرج في طلب ذى الشّدّة ومعه سليمان^(١) بن ثُمّامة الحنفيّ أبو جَبْرِ ، والريان بن صبرة ابن هُوْدَة ، فوجده الريّان بن صبرة بن هُوْدَة في حُفْرَة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً . قال : فلما استخرج نظر إلى عَصْفِدِه ، فإذا لحم مجتمع على منكبيه ككبدى المرأة ، له حلّمة عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذى طول يده الأخرى ، ثم ترك فتعود إلى منكبه ككبدى المرأة ، فلما استخرج قال عليّ : الله أكبر ! والله ما كذبت ولا كذبت ، أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل ، لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرًا في قتالهم ، عارفًا للحقّ الذى نحن عليه . قال : ثم مرّ بهم صرعى فقال : بؤسًا لكم ! لقد ضربكم من غركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، من غركم ؟ قال : الشيطان ، وأنفس بالسوء أمارة ، غرّهم بالأمانيّ ، وزينت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون . قال : وطلب من به رمى منهم فوجدناهم أربعمائة رجل ، فأمر بهم على فدّفعوا إلى عشائهم ، وقال : احملوهم معكم فداوؤهم ، فإذا برّيتوا فوافوا بهم الكفّة ، وخذلوا ما في عسكرهم من شيء .

قال : وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين ، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه حين قدم رده على أهله . وطلب عدى بن حاتم ابنه طرفة فوجده ، فدفعته ، ثم قال : الحمد لله الذى ابتلاني بيومك على حاجتي إليك . ودفع رجالًا من الناس قتلهم ،

(١) ابن الأثير : « سلم » .

فقال أمير المؤمنين حين بلغه ذلك : ارتحلوا إذا ، أقتلونها ثم تدفنونهم !
فارتحل الناس .

قال أبو مخنف عن مجاهد ، عن المحجل بن خليفة : أن رجلا منهم
من بني سديس يقال له العيزار بن الأخص كان يرى رأى الخوارج ، خرج
إليهم ، فاستقبل وراء المدائن عدى بن حاتم و معه الأسود بن قيس والأسود بن
يزيد المراديان ، فقال له العيزار حين استقبله : أسلم غام ، أم ظلم أتم ؟
فقال عدى : لا ، بل سلم غام ، فقال له المراديان : ما قلت هذا إلا لشر
في نفسك ، وإنك لتعرفك يا عيزار برأى القوم ، فلا تفارقنا حتى نذهب بك
إلى أمير المؤمنين فنخبره خبرك . فلم يكن بأوشك أن جاء على فأخبراه خبره ،
وقالا : يا أمير المؤمنين ، إنه يرى رأى القوم ، قد عرفناه بذلك ، فقال : ما
يحجل لنا دمه ، ولكننا نجسه ، فقال عدى بن حاتم : يا أمير المؤمنين ، ادفعه
إلى وأنا أضمن ألا يأتيك من قبله مكروه . فدفعه إليه .

قال أبو مخنف : حدثني عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، عن
عبد الرحمن بن جندب بن عبد الله ، أنه لم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة .
قال أبو مخنف ، عن حمير بن علة اليناعي^(١) ، عن أبي درداء ، قال :
كان علي لما فرغ من أهل النهروان حميد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله
قد أحسن بكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من قوركم هذا إلى عدوكم . قالوا :
يا أمير المؤمنين ، ففدت نبالنا ، وكنت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا ،
وعاد أكثرها قيصد^(٢) ، فارجع إلى مصرنا ، فلنستعد بأحسن عدتنا ،
ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من هلك منا ، فإنه أوفى^(٣) لنا على
عدونا . وكان الذي تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس ، فأقبل حتى نزل
النخيلة ، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطئوا على الجهاد أنفسهم ، وأن
يقلوا زيارة نساءهم وأبنائهم حتى يسروا إلى عدوهم ، فأقاموا فيه أياما ، ثم

(١) ط : السامي ، وانظر المشبه : ١٠٥

(٢) قصدا ، أي قطعاً منكسرة ، الراحة قصدة . (٣) ابن الأثير والثيري : ه أنقى .

تسللوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجالا من وجوه الناس قليلا ، وترك العسكر خاليا ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رأيه في المسير . ٣٣٨٦/١

قال أبو مخنف عمن ذكره ، عن زيد بن وهب : إن عليا قال للناس — وهو أول كلامه — قاله لم بعد الظهر :

أيها الناس ، استعدوا للمسير إلى عدا^(١) في جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده . حيارى في الحق ، جفاة عن الكتاب ، نكب عن الدين ، يعمسون في الظناني ، ويحسسون في غمرة الضلال ، فأعيدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، وتوكلوا على الله ، وكفى بالله وكيفا ، وكفى بالله نصيرا !

قال : فلا هم نفروا ولا تيسروا ، فتركهم أياما حتى إذا آيس من أن يفعلوا ، دعا رؤساءهم ووجهتهم ، فسألم عن رأيهم ، وما الذي ينظرون^(٢) ، فنههم المعتل^(٣) ، ومنهم المكره ، وأقلتهم من تشيط . فقام فيهم خطيبا ، فقال :

عباد الله ، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اتاقلتم إلى الأرض ! أَرْضَيْتُمُ بالحياة الدنيا من الآخرة ، وبالدّل والهوان من العِزِّ ! أَوْ كَلِمَا نَدْبَتْكُمْ إِلَى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة ، وكان قلوبكم مألوسة^(٤) فأنتم لا تعقلون ! وكان أبصاركم كمنه فأنتم لا تبصرون . لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى في الدعة ، وثعالب رَوَاغَة حين تُدْعَوْنَ إلى البأس . ما أنتم لى بشفقة سَجِيس^(٥) الليالى^(٦) ، ما أنتم بركب يُصَالُ بكم ، ولا ذى عِزٍّ يُعْتَمَدُ إليه . لَعَمْرُ اللَّهِ ، لبس حُشَّاش الحرب أنتم^(٧) ! إنكم تُكَادُونَ ولا تُكَيِّدُونَ ، ويتنص أطرافكم ولا تتحاشون ، ولا يُتَامُ عنكم وأنتم في غفلة ساهون ؛ إن أُنْحَا الحِزْبُ اليَقْظَان ذو عقل ، وبات لذلّ من وادّع ، وغلب المتجادلون ، والمغلوب مقهور وسلوب . ثم قال : أما بعد ، فإنّ لى عليكم

٣٣٨٧/١

(١) ابن الأثير : « عداؤهم » . (٢) ابن الأثير : « يعطونهم » .
(٣) مألوسة : من الألس وهو ذهاب العقل . (٤) مجس الليال ؛ أى الدهر كلّ .
(٥) حشاش تحرب ، من حش النار ، إذا أشعلها .

حقاً ، وإن لكم على حقاً ، فأما حكمكم على فالتصبيحة لكم ما صحبتكم ،
وتوفير فبشركم عليكم ، وتعليمكم كما لا تجهلوا ، وتاديبكم كما تعلموا ،
وأما حتى عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح لى فى الغيب والمشهد ، والإجابة حين
أدعوكم ، والطاعة حين أمركم ، فإن يرد الله بكم خيراً فافزعهم عما أكرهه ،
وتراجعوا إلى ما أحب ، تناولوا ما تطلبون ، وتذر كما تأملون .

وكان غير أبى مخنف يقول : كانت الوقعة بين على وأهل النهر سنة ثمان
وثلاثين ، وهذا القول عليه أكثر أهل السير .

ومما يصححه أيضاً ما حدثنى به حمارة الأسدى ، قال : حدثنا عبيد الله بن
موسى ، قال : أخبرنا نعيم ، قال : حدثنى أبو مریم أن شبث بن ربعى وابن
الكوأ خرجا من الكوفة إلى حروراء ، فأمر على الناس أن يخرجوا بسلاحهم ،
فخرجوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم ، فأرسل إليهم : بنس ما صنعتم حين
تدخلون المسجد بسلاحكم ! اذهبوا إلى جبانة مراد حتى يأتىكم أمرى .

٣٣٨٨/١

قال أبو مریم : فانطلقنا إلى جبانة مراد فكنّا بها ساعة من نهار ، ثم بلغنا
أن القوم قد رجعوا وهم زاحفون . قال : فقلت : أنطلق أنا حتى أنظر إليهم ، فانطلقت
حتى أتخلل صفوفهم ، حتى انتهيت إلى شبث بن ربعى وابن الكوأ وهما
واقفان متوركان على دابتيهما ، وعندهما رسل على وهم يناشداؤهما الله لما
رجعا بالناس ! ويقولون لهم : نعيدكم بالله أن تعجكوا بفئة العام خشية عام قابل .
فقام رجل إلى بعض رسل على فعقر دابته ، فقتل الرجل وهو يسترجع ، فحمل
سرجه ، فانطلق به وهم يقولون : ما طلبنا إلا منايدتهم ، وهم يناشداؤهم الله ،
فكنّا ساعة ، ثم انصرفوا إلى الكوفة كأنه يوم فطر أو أضحى .

قال : وكان على يحدثنا قبل ذلك أن قوماً يخرجون من الإسلام يسرقون من
الدين كما يسرق السهم من الرمية ، علامتهم رجل مخدج اليد . قال : وسمعت
ذلك منه مراراً كثيرة ، قال : وسمعه نافع « المخدج » أيضاً - حتى رأيت يتكره
طعامهم كثرة ما سمعه ، يقول : وكان نافع معنا يصل فى المسجد بالنهار وببيت
فيه بالليل ، وقد كنت كسوته برئساً ، فلقيته من الغد ، فسألته : هل كان

خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حرّوراء ؟ فقال : خرجت أريدُهم حتى إذا بلغت إلى بني سعد ، لقيتُ صبياناً فنزَعوا سلاحي ، وتلعبوا بي ، فرجعت حتى إذا كان الحولُ أو نحوه خرج أهل النهر ، وسار على إليهم ، فلم أخرج معه وخرج أخى أبو عبد الله . قال : فأخبرني أبو عبد الله أن علياً سار إليهم حتى إذا كان حذاءهم على شطّ النهر وان أُرسل إليهم يناشدُهم الله ويأمرهم أن يرجعوا ، فلم تزل رسلُهُ تخلف إليهم ، حتى قَتَلوا رسولَهُ ، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتلَهُم حتى فرغ منهم ، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المحدثَ ، فالتمسوه ، فقال بعضهم : ما نجدُهُ ، حتى قال بعضهم : لا ، ما هو فيهم . ثم إنه جاء رجل فبشّره وقال : يا أُمير المؤمنين ، قد وجدناه تحت قَتيلين في ساقية . فقال : اقطعوا يدَهُ المحدثَ ، وأتوني بها ، فلما أُتي بها أخذها ثم رَفَعَهَا ، وقال : والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ .

٢٣٨٩/١

قال أبو جعفر : فقد أنبأ أبو مريم بقوله : فرجعت حتى إذا كان الحولُ أو نحوه ، خرج أهل النهر ، أن الحرب التي كانت بين عليٍّ وأهل حرّوراء كانت في السنة التي بعد السنة التي كان فيها إنكار أهل حرّوراء على عليٍّ التحكيم ، وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وثلاثين على ما قد ثبت قبلُ ، وإذا كان كذلك ، وكان الأمر على ما روينا من الخبر عن أبي مريم ، كان معلوماً أن الوقعة كانت بينه وبينهم في سنة ثمان وثلاثين .

وذكر عليٌّ بن محمد ، عن عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شُجيرة ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : بعث عليٌّ بعد ما رجع من صفين جُمُعة ابن هبيرة المخزومي ، وأمّ جمعة أمّ هانئ بنت أبي طالب — إلى خراسان ، فأنهى إلى أبرشهر وقد كَفَرُوا وامتنعوا ، فقدم على عليٍّ ، فبعث خُلَيد بن قرة البربوعي فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه ، وصالحه أهل مرو .

٢٣٩٠/١

. . .

وحجّ بالناس في هذه السنة — أعني سنة سبع وثلاثين — عبيد الله بن عباس ، وكان عامل عليٍّ على اليمَن ومخالفها . وكان على مكة والطائف قُثم بن

العبّاس ، وعلى المدينة سهل بن حُنَيْف الأنصاريّ ، وقيل : كان عليها تمام
ابن العباس . وكان على البصرة عبد الله بن العباس ، وعلى قضائها أبو الأسود
الدُّؤْلِيّ ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ، وعلى خُرَاسانَ خَليد بن قرّة اليربوعيّ .
وقيل : إن عليّاً لما شخص إلى صِفِّين استخلف على الكوفة أبا مسعود
الأنصاريّ ، حدّثني أحمد بن إبراهيم الدُّورقيّ ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن
إدريس ، قال : سمعتُ ليثاً ذكر عن عبد العزيز بن رُفَيع ، أنه لما خرج علىّ إلى
صِفِّين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ عقبه بن عمرو . وأمّا الشام
فكان بها معاوية بن أبي سُفْيَان .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها مقتل محمد بن أبي بكر بمصر ، وهو عامل عليها ، وقد ذكرنا سبب تولية علي إياه مصر ، وعزل قيس بن سعد عنها ، ونذكر الآن سبب قتله ، وأين قتل ؟ وكيف كان أمره ؟ ونبدأ بذكر من تمة حديث الزهري الذي قد ذكرنا أوله قبل ، وذلك ما حدثنا عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : لما حدثت قيس بن سعد بمجيء محمد بن أبي بكر ، وأنه قادم عليه أميراً ، تلقاه وخلّاه به ونجاه ، فقال : إنك جئت من عند امرئ لا رأي له ، وليس عزّلكم إيتائي بما نعى أن أنصح لكم ، وأنا من أمركم هذا على بصيرة ، وإني في ذلك على الذي كنت أكايده به معاوية وعمراً وأهل خيرتنا ، فكأيدهم به ، فإنك إن تكأيدهم بغيره تهلك . ووصف قيس ابن سعد المكابدة التي كان يكأيدهم بها ، واغتنشه محمد بن أبي بكر ، وخالف كل شيء أمره به . فلما قدم محمد بن أبي بكر وخرج قيس قبيل المدينة بعث محمد أهل مصر إلى خيرتنا ، فاقتتلوا ، فهزم محمد بن أبي بكر ، فبلغ ذلك معاوية وعمراً ، فساروا بأهل الشام حتى افتتحوا مصر ، وقتلوا محمد بن أبي بكر ، ولم تزل في حيز معاوية ، حتى ظهر . وقدم قيس بن سعد المدينة ، فأخافه مروان والأسود بن أبي البختري ، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يقتل ركب راحلته ، وظهر إلى علي . فكتب معاوية إلى مروان والأسود يتنيط عليهما ويقول : أمددتما علياً بقيس بن سعد ورأيه ومكاييدته ، فوالله لو أنكما أمددتماه بمائة ألف مقاتل ما كان بأغيظ إليّ من إخراجكما قيس بن سعد إلى علي . فقدم قيس بن سعد على علي ، فلما باثته الحديث ، وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر ، عرف أن قيس بن سعد كان يوازي أموراً عظماً من المكابدة ، وأن من كان يشير عليه بعزل قيس بن سعد لم ينصح له .

وأما ما قال في ابتلاء أمير محمد بن أبي بكر في مصيره إلى مصر وولايته

إياها أبو مخنف ، فقد تقدم ذكرنا له ، ونذكر الآن بقية خبره في روايته ما روى من ذلك عن يزيد بن زبنيان المسمداني ، قال : ولما قتل أهل خيرتنا ابن مضمالم الكلبي الذي وجّهه إليهم محمد بن أبي بكر ، خرج معاوية بن حديج الكندي ثم السكوني ، فدعا إلى الطلب بدم عثمان ، فأجاباه ناس آخرون ، وفلست مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ علياً وثوب أهل مصر على محمد بن أبي بكر ، واعبادهم إياه ، فقال : ما لمصر إلا أحد الرجلين ! صاحبنا الذي عزلناه عنها - يعني قيساً - أو مالك بن الحارث - يعني الأشتر . قال : وكان عليّ حين انصرف من صفين ردّ الأشتر على عمله بالجزيرة . وقد كان قال لقيس بن سعد : أقم معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ، ثم اخرج إلى أذربيجان ، فإن قيساً مقيم مع عليّ على شرطته . فلما انقضى أمر الحكومة كتب عليّ إلى مالك بن الحارث الأشتر ، وهو يومئذ بنصيبين : أما بعد ، فإنك ممن استظهرته على إقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأئيم ، وأشدت به الشغف المخوف . وكنت ولّيت محمد بن أبي بكر مصر ، فخرجت عليه بها خوارج ، وهو غلام حدث ليس بلدى تجربة للحرب ، ولا بمجرب للأشياء ، فاقدم عليّ لتنظر في ذلك فيما ينبغي ، واستخلف عليّ عمك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك . والسلام .

٣٢٩٣/١

فأقبل مالك إلى عليّ حتى دخل عليه ، فحدثه حديث أهل مصر ، وخبره خبر أهلها ، وقال : ليس لما غيرك ، اخرج رحيمة الله ! فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك . واستعين بالله على ما أمرك ، فاخلط الشدة باللين ، وارفق ما كان الرفق أبلغ ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة .

قال : فخرج الأشتر من عند عليّ فأتى رحله ، فتهيأ للخروج إلى مصر ، وأتت معاوية عينه ، فلنهبوه بولاية عليّ الأشتر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشد عليه من محمد ابن أبي بكر ، فبعث معاوية إلى الجبايستر - رجل من أهل الخراج - فقال له : إن الأشتر قد ولّى مصر ، فإن أنت كتبتني لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، فاحتل له بما قدرت عليه . فخرج الجبايستر حتى أتى القسطنطينية

وأقام به ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله
 الجليستار ، فقال : هذا مترل ، وهذا طعامٌ وعكف ، وأنا رجلٌ من أهل الخراج ،
 فتزل به الأشتر ، فأثاه الدهقان بعكف وطعام ، حتى إذا طعم أناه بشرية
 من عسل قد جعل فيها سمًا فسقاه إياه ، فلما شربها مات . وأقبل
 معاوية يقول لأهل الشام : إن عليًا وجه الأشتر إلى مصر ، فادعوا الله أن
 يكفيناكموه . قال : فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر ، وأقبل الذي
 سقاه إلى معاوية فلنجبره بمهلك الأشتر ، فقام معاوية في الناس خطيبًا ،
 فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد ، فإنه كانت لعل بن أبي طالب
 يدان يمينان ، قُطعت إحداهما يوم صفين - يعني عمار بن ياسر - وقُطعت
 الأخرى اليوم - يعني الأشتر .

٣٣٩١/١

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، عن مولى للأشتر ، قال :
 لما هلك الأشتر وجدنا في ثقله رسالة على أهل مصر :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أمة
 المسلمين الذين غصبوا له حين عصي في الأرض ، وضرب الجور بأرواقه على
 البر والقاجر ، فلا حتى يسروح إليه ، ولا منكسر يتناهى عنه . سلام
 عليكم ، فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فقد بعثت
 إليكم عبدًا من عبيد الله لا ينال أيام الخوف ، ولا يتنكل عن الأعداء
 حذارًا له واثراً ، أشد على الكفار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث
 أخو مكحج ، فاستموا له وأطيعوا ، فإنه سيف من سيوف الله ، لا نابي
 الضربية ، ولا كليل الحد ، فإن أمركم أن تقدموا فاقدموا ، وإن أمركم
 أن تنفروا فانفروا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمرى ، وقد آثرتكم به
 على نفسي لنصحه لكم ، وشدّة شكمته على عدوكم ، عصمكم الله بالهدى ،
 وبثبتم على اليقين . والسلام .

قال : ولا يبلغ محمد بن أبي بكر الذي عليه قد بعث الأشتر عليه ،
 فكتب على أبي محمد بن أبي بكر عند مهلك الأشتر ، وطلب حين بلغه
 موجهة محمد بن أبي بكر في يوم الأشتر عليه . بسم الله الرحمن الرحيم ،

٣٣٩٥/١

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر ، سلام عليك ، أما بعد ، فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشر إلى عمليك ، وإلى لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد ، ولا ازدياداً مني لك في الجلاء ، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك في المتوة ، وأعجب إليك ولاية منه . إن الرجل الذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً ، وعلى عدونا شديداً ، وقد استكمل أيامه ، ولاقى حيماته ، ونحن عنه راضون ، فرضى الله عنه ، وضاعف له الثواب ، وأحسن له المآب . اصبر لعدوك ، وشمّر للحرب ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأكثر ذكر الله ، والاستعانة به ، والخوف منه ، يكفك ما أهمك ، ويعينك على ما ولأك ، أعاننا الله وإياك على ما لا ينال إلا برحمته . والسلام عليك .

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جواب كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله على أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر ، سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره ، أما بعد ، فلإني قد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين ، ففهمته وعرفت ما فيه ، وليس أحد من الناس بأرضى مني برأى أمير المؤمنين ، ولا أجهد على عدوه ، ولا أراف بوليته مني ، وقد خرجت فعمركت ، وأمنت الناس إلا من تصب لنا حرباً ، وأظهر لنا خلافاً ، وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه ، ومتجئ إليه ، وقائم به ، والله المستعان على كل حال ، والسلام عليك .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جهم الأزدى - رجل من أهل الشام - عن عبد الله بن حوالة الأزدى ، أن أهل الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان ، فلما انصرفوا وقرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، ولم يزد إلا قوة ، واختلف الناس بالعراق على علي ، فما كان لمعاوية هم إلا مصر ، وكان لأهلها هائياً خائفاً ، لقربهم منه ، وشدتهم على من كان على رأي عثمان ، وقد كان على ذلك علم أن بها قوماً قد ساعهم قتل عثمان ، وتحالفوا عليه ، وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي ، لعظم خراجها . قال : فدعا معاوية من كان معه من قريش :

عمر بن العاص وجيب بن مسلمة ويُسْرَ بن أبي أُرْطاة والفضحك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومن غيرهم أبا الأعور عمرو بن سفيان السُّلَمي وحمزة بن مالك الهَمْداني ، وشرحيل بن السَّمط الكِندي فقال لهم : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ إنني قد دعوتكم لأمر مُهِم أحب أن يكون الله قد أعانَ عليه ، فقال القوم كلهم - أو من قال منهم : إن الله لم يُطلع على الغيب أحداً ، وما يُدريتنا ما تُريد ! فقال عمرو بن العاص : أرى والله أمرَ هذه البلاد الكثير خراجها ، والكثير عُدُدها وعدد أهلها ، أهلك أمرها ، فدعوتنا إذا لتسألنا عن رأينا في ذلك ، فإن كنتَ لذلك دعوتنا ، وله جمعتنا ، فاعزم وأقدم ، ونِعِمَ الرأي رأيت ! في افتتاحها عِزُّكَ وعِزُّ أصحابك ، وكيث عدوك ، وذلَّ أهل الخلاف عليك . قال له معاوية جيباً : أهلك يا بن العاص ما أهلك - وذلك لأنَّ عمرو بن العاص كان صالح معاوية حين بايعه على قتال علي بن أبي طالب ، على أن له مصرَ طُحمة ما بقي - فأقبل معاوية على أصحابه فقال : إنَّ هذا - يعني عمرًا - قد ظنَّ ثم حَقَّق ظنَّه ، قالوا له : لكننا لا ندري ، قال معاوية : فإنَّ أبا عبد الله قد أصاب ، قال عمرو : وأنا أبو عبد الله ، قال : إنَّ أفضلَ الظنِّون ما أشبه اليقين .

ثمَّ إنَّ معاوية حمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فقد رأيتُ كيف صنع الله بكم في حربكم عدوكم ، جاعوكم وهم لا يبرون إلا أنهم سيقضون ببيعتكم ، ويُخربون بلادكم ، ما كانوا يرون إلا أنكم في أيديهم ، فردَّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبوا ، وحاسمتناهم إلى الله ، فحكم لنا عليهم . ثم جمع لنا كلمتنا ، وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكُفر ، ويسفك بعضهم دَمَ بعض . والله إنني لأرجو أن يتمَّ لنا هذا الأمر ، وقد رأيتُ أن نُحاول أهلَ مصرَ ، فكيف ترون ارتئاناً لها ! فقال عمرو : قد أخبرتك عما سألتني عنه ، وقد أشرتُ عليك بما سمعت ، فقال معاوية : إنَّ عمرًا قد هزم وصَرَّم ، ولم يفسر ، فكيف لي أن أصنع ! قال له عمرو : فليُأْشِرْ عليك كيف تصنع ، أرى أن تبعث

٣٣٩٧/١

٣٣٩٨/١

جيشاً كبيراً ، عليهم رجلٌ حازم صارم ثامنه وثيق به ، فيأتى مصر حتى يدخلها ، فإنه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فيظاھره على من بها من عدونا ، فإذا اجتمع بها جندك ومن بها من شيعتك على من بها من أهل حربك ، رجوت أن يعين الله بنصرك ، ويظهر قُلتجك . قال له معاوية : هل عندك شيء دون هذا يعمل به فيما بيننا وبينهم ؟ قال : ما أعلمه ، قال : بلى ، فإن غير هذا عندى ، أرى أن نكتب من بها من شيعتنا ، ومن بها من أهل عدونا ، فأما شيعتنا فأمرهم بالثبات على أمرهم ، ثم امنهم قلوبنا عليهم ، وأما من بها من عدونا فنندبهم إلى صلحنا ، ونمنهم شكرنا ، ونخوفهم حربنا ، فإن صلح لنا ما قبلهم بغير قتال فذاك ما أحبنا ، وإلا كان حربهم من وراء ذلك كله . إنك يا بن العاص امرؤ بُورك لك في العجالة ، وأنا امرؤ بُورك لى في التؤدة ، قال : فاعمل بما أراك الله ، فوافقه ما أرى أمرك وأمرهم يصير إلا إلى الحرب الموان . قال : فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى وإلى معاوية بن حديج الكندي . وكانا قد خالفا علياً : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن الله قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما ، ورفع به ذكركما ، وزينكما به في المسلمين ، طلبكما بهم الخليفة المظلوم ، وغضبكما لله إذ ترك حكم الكتاب ، وجاهدتما أهل البغي والعدوان ، فأبشروا برضوان الله ، وعاجل نصر أولياء الله ، والمواساة لكما في الدنيا وسلطاننا حتى ينتهى في ذلك ما يرُضيكما ، وفؤدى به حقكما إلى ما يصير أمركما إليه . فاصبروا وصابروا عدوكما ، وادعوا للدبر إلى هنا كما وحفظكما ، فإن الجيش قد أُميلَ عليكما ، فانقش كل ما تكرهان ، وكان كل ما تهويان ، والسلام عليكما .

وكتب هذا الكتاب وبعث به مع مولى له يقال له سُبَّيع .

٢٢٩٩/١

فخرج الرسول بكتابه حتى قدم عليهما مصر ومحمد بن أبى بكر أميرها ، وقد فاصب هؤلاء الحرب بها ، وهو غير متخون بها يوم الإقدام عليه . فندفع كتابه إلى مسلمة بن مخلد وكتاب معاوية بن حديج ، فقال مسلمة : امض بكتاب معاوية إليه حتى يقرأه ، ثم اثنى به حتى أجابه حتى وصته ، فانطلق

الرسول بكتاب معاوية بن حُديج إليه، فأقرأه إياه، فلما قرأه قال: إن مسلمة ابن مخلد قد أمرني أن أردّ إليه الكتاب إذا قرأته لكي يجيب معاوية عنك وعنه. قال: قل له فليفعل، ودفع إليه الكتاب، فأثابه. ثم كتب مسلمة عن نفسه وعن معاوية بن حُديج: أما بعد، فإنّ هذا الأمر الذي بذلنا له نفسنا، واتبعنا أمر الله فيه، أمرٌ نرجوه ثواب ربنا، والنصر من خالفنا، وتعجيل النعمة لمن سعى على إمامنا، وطأطأ الركن في جهادنا، ونحن بهذا الحيز من الأرض قد تمّينا من كان به من أهل البغي، وأنهضنا من كان به من أهل القسطنطينية والعدل، وقد ذكرت المماساة في سلطانك ودنياك، وبالله إن ذلك لأمرٌ ما لته نهضنا، ولا إياه أردنا، فإنّ يجمع الله لنا ما نطلب، ويؤتينا ما تمسّينا، فإنّ الدنيا والآخرة لله رب العالمين، وقد يؤتيهما الله معاً عالماً من خلقه، كما قال في كتابه، ولا خلف لموعده، قال: ﴿فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الْدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، عجل علينا خيلك ورجلك، فإنّ عدونا قد كان علينا حرباً، وكنا فيهم قليلاً، فقد أصبحوا لنا هابيين، وأصبحنا لهم مقرنين، فإنّ يأتنا الله بمدد من قبلك يفتح الله عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليك.

٣٤٠٠/١

قال: فجاءه هذا الكتاب وهو يوشك بفلسطين، فدعا الثغر الدين بمقام في الكتاب فقال: ماذا ترون؟ قالوا: الرأي أن تبث جنداً من قبيلك، فإنك تفتحها بإذن الله. قال معاوية: فتجهّز يا أبا عبد الله إليها - يعني عمرو بن العاص - قال: فيعنه في ستة آلاف رجل، وخرج معاوية ودعاه وقال له عند وداعه إياه: أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق فإنه يضمن، وبالمهمل والتؤدة، فإنّ السجلكة من الشيطان، وبأن تقبل ممن أقبل، وأن تفور عن أدبر، فإن قبل قبيلها ونعمت، وإن أبى فإنّ السطوة بعد المعذرة أبلغ في الحجة، وأحسن في العاقبة، وادع الناس إلى الصلح والجماعة،

فلذا أنت ظهرتَ فليكن أنصارُك آثارَ الناس عندك، وكلّ الناس قائلونَ
حُسناً . قال : فخرج عمرو يسير حتى نزل أداني أرض مصرَ ، فاجتمعت
العناية إليه ، فأقام بهم ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر :
أما بعد ، فتنتحى بدمك يابن أبي بكر ، فإني لا أحب أن يصيبك مني
ظلمة ، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ، ورفض أميرك ،
ونددوا على اتباعك ، فهم مُسلموك لو قد التقت حلفتا البطان ، فخرج
منها ، فإني لك من الناصحين ، والسلام .

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه :

أما بعد ، فإنّ غبّ البغي والظلم عظيم الوبال ، وإنّ سفك الدم الحرام
لا يسلم صاحبه من النعمة في الدنيا ، ومن التبعة الموبقة في الآخرة ، وإنّا
لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً ، ولا أسوأ له ميماً ، ولا أشدّ عليه
خلفاً منك ؛ سميت عليه في الساعين ، وسفكت دمه في السافكين ، ثم أنت
تظنّ أنّي عنك نائمٌ أو ناسمٌ لك ، حتى تأتي فتأمر على بلاد أنت فيها جارى ،
وجلّ أهلها أنصارى ، يرون رأيتي ، ويرقبون قولي ، ويستصرخون عليك .
وقد بعثت إليك قوماً حناقاً عليك ، يستقون دمك ، ويتفرّبون إلى الله
بجهادك ، وقد أعطوا الله عهداً ليمثّلن بك ، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا
قتلك ما حدثتك ولا أنذرتك ، ولأحببت أن يقتلوك بظلمك وقطيعةك وعدوك
على عثمان يوم يطعن بمشاقصك بين خششائه وأوداجه^(١) ، ولكن أكره أن
أمثل بقرشي ، ولن يسلمك الله من القصاص أبداً أيّما كنت . والسلام .

قال : فطوى محمد كتابيهما ، وبعث بهما إلى عليّ ، وكتب معهما :
أما بعد ، فإنّ ابن العاص قد نزل أداني أرض مصرَ ، واجتمع إليه أهل البلد
جلّهم ممن كان يرى رأيهم ، وقد جاء في جيش لجب خرباب ، وقد رأيت
ممن قبلي بعض الفشل ، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال
والأموال ، والسلام عليك .
فكتب إليه عليّ :

(١) المشقص : فصل مريض . والكشاه : العظم اللين خلف الأذن . والأوداج : مروق النخ .

أما بعد ، فقد جأني كتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصر في جيب من جيبه خرباب ، وإن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه ، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك . وذكرت أنك قد رأيت في بعض من قبلك فشلا ، فلا تشغل ، وإن فشلوا فحسب قريبتك ، واضم إليك شيعتك ، واندب إلى القوم كنانة بن يشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس ، فإني نادب إليك الناس على الصعب والدلول ، فاصبر لعنوك ، وامض على بصيرتك ، وقاتلهم على نيتك ، وجاهدهم صابراً محسباً ، وإن كانت فتك أقل الفتين ، فإن الله قد يعز القليل ، ويخذل الكثير . وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عمرو ، المتحايين في عمل المعصية ، والمتوافقين المرتشقين في الحكومة ، المنكرين في الدنيا ، قد استمتعوا بخلافهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلافهم ، فلا يهلك لإعادتهما وإبراقتهما ، وأجبنهما إن كنت لم تجنهما بما هما أهله ، فإنك تجد مقالا ما شئت ، والسلام .

٢٤٠٢/١

قال أبو مخنف : فحدثني محمد بن يوسف بن ثابت الأنصاري ، عن شيخ من أهل المدينة ، قال : كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان جواب كتابه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه ، وتأمرني بالتحسب عليك كأنك لي فاصح ، وتخوفني المشقة كأنك شفيق ، وأنا أرجو أن تكون لي الدائرة عليكم ، فأجتاحكم في الوقعة ، وإن تؤتوا النصر ويكن لكم الأمر في الدنيا ، فكتم لعمري من ظلم قد نصرتم ، وكم من مؤمن قتلتم ومثلتم به ! وإلى الله مصيركم ومصيرهم ، وإلى الله مردد الأمور ، وهو أرحم الراحمين ، والله المستعان على ما تصفون . والسلام .

وكتب محمد إلى عمرو بن العاص :

أما بعد ، فقد فهمت ما ذكرت في كتابك يا ابن العاص ، زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظنم ، وأشهد أنك من المبطلين . وتزعم أنك لي

نصيح ، وأقسم أنك عندى ظنّين ، وتزعّم أن أهل البلد قد رفضوا رأى وأمرى ،
ونذّموا على اتّباعى ، فأولئك لك وللشيطان الرّجم أولياء ، فحبسنا الله ربّ
العالمين ، وتوكّلنا على الله ربّ العرش العظيم ، والسلام .

قال : أقبل عمرو بن العاص حتى قصد مصر ، فقام محمد بن أبى بكر
فى الناس ، فحمّد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم قال : أمّا بعد معاشرَ
المسلمين والمؤمنين ، فإنّ القوم الذين كانوا يتّهكون الحُرمة ، ويتعشّون
الضلال ، ويتشّبّون نارَ الفتنة ، ويسلّطون بالجبريّة ، قد نصبوا لكم العداوة ،
وساروا إليكم بالجنود . عباد الله ! فن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء
القوم فليجاهدْهم فى الله ، انتدّبوا إلى هؤلاء القوم رحمكم الله مع كنانة
ابن بشر .

قال : فانتدب معه نحو من ألفى رجل ، وخرج محمد فى ألفى رجل ،
واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدّمة محمد ، فأقبل عمرو نحو
كنانة ، فلما دنا من كنانة سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة ، فجعل كنانة لأتايه
كتيبة من كتائب أهل الشام إلا شدّ عليها بمن معه ، فيضربها حتى يقرّبها
لعمر بن العاص . فعزل ذلك مراراً ، فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن
حدّيج السّكوني ، فأثّاه فى مثل الدّهْم ، فأحاط بكنانة وأصحابه ، واجتمع
أهل الشام عليهم من كلّ جانب ، فلما رأى ذلك كنانة بن بشر نزل عن
فرسه ، ونزل أصحابه وكنانة يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ
اللّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَتَجْزَى الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١) . فصار بهم سيفه حتى استشهد رحمه الله .

وأقبل عمرو بن العاص نحو محمد بن أبى بكر ، وقد تفرّق عنه أصحابه
لما بلغهم قتل كنانة ، حتى بقى وما معه أحد من أصحابه . فلما رأى ذلك محمد
خرج يمشى فى الطريق حتى انتهى إلى خربة فى ناحية الطريق ، فأوى إليها ،
وجاء عمرو بن العاص حتى دخل القُسطاط ، وخرج معاوية بن حدّيج فى

طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارة الطريق ، فسألم : هل مرّ بكم أحد تنكرونه ؟ فقال أحدهم : لا والله ، إلا أني دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل فيها جالس ، فقال ابن حُدَيْج : هو هو وربّ الكعبة ؛ فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه ، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ؛ فأقبوا به نحو فسطاط مصر . قال : ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص - وكان في جنده فقال : أقتل أخى صبراً ! ابعث إلى معاوية بن حُديج فانهه ، فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ، فقال معاوية : أكذلك ! قتلتم كنانة بن بَشْر وأُخْلِي أنا عن محمد بن أبي بكر ! هيهات ، ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾^(١) . فقال لمحمد : اسقوني من الماء ، قال له معاوية بن حُديج : لاسقاه الله إن سقاك قطرة أبداً ! إنكم منعمٌ عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً مُحَرِّماً ، فتلّاه الله بالحق الخنوم ، والله لأقتلنك بآبى بكر فيسقيك الله الحميم والغساق ! قال له محمد : يابن اليهودية النّساجة ، ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت ، إنما ذلك إلى الله عز وجل - يسق أوليائه ، ويظلم أعداءه ؛ أنت وضرباؤك ومن تولّاه ، أما والله لو كان سبي في يدي ما بلغت مني هذا ؛ قال له معاوية : أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك في جوف حمار ، ثم أحرقه عليك بالنار ؛ فقال له محمد : إن فعلتم بي ذلك ، فطالما فعل ذلك بأوليائه الله ! وإني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله على برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه ، إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك - يعني معاوية ، وهذا - وأشار إلى عمرو بن العاص - بنار تُلطّي عليكم ؛ كلّما خبّست زادها الله سعيراً . قال له معاوية : إني إنما أقتلك بعثمان ؛ قال له محمد : وما أنت وعثمان ! إن عثمان عميل بالجوهر ، ونبيذ حكم القرآن ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٢) ، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه ، وحسنت

(١) سورة القمر: ٤٣ .

(٢) سورة المائدة: ٤٧ .

أنت له ذلك ونظراؤك ، فقد برأنا الله إن شاء الله من ذنبه ، وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه ، وجاعلك على مثاله . قال : فغضب معاوية فقدّمه فقتله ، ثم ألقاه في جيفة حمار ، ثم أحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جُرعت عليه جزعاً شديداً ، وقنّنت عليه في دُبُر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، ثم قبضت عيالَ محمدٍ إليها ، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها .

وأما الواقدي فإنه ذكر لي أن سُوَيد بن عبد العزيز حدثه عن ثابت ابن عجلان ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أن عمرو بن العاص خرج في أربعة آلاف ، فيهم معاوية بن حُديج ، وأبو الأعور السلمي ، فالتقوا بالمسناة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التَّجِيبِي ، ولم يجد محمد بن أبي بكر مقاتلاً ، فانهزم ، فاخْتَبَأَ عند جَبَلَةٍ بن مسروق ، فدلّ عليه معاوية بن حُديج ، فأحاط به ، فخرج محمد فقاتل حتى قُتِل .

٢٤٠٧/١

قال الواقدي : وكانت المسناة في صفر سنة ثمان وثلاثين ، وأذُرُح في شعبان منها في عام واحد .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية عند قتله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر :
أما بعد ، فإننا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموعٍ جمّة من أهل مصر ، فدعوناهم إلى الهدى والسنة وحكم الكتاب ، فرفضوا الحق ، وتورسوا في الضلال ، فجاهدناهم ، واستنصرنا الله عليهم ، فضرب الله وجوههم وأدبارهم ، ومنحونا أكتافهم ، فقتل الله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر وأماثل القوم ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليك .

* * *

وفيها قُتِلَ محمد بن أبي حُديفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

• ذكر الخبر عن مقتله :

اختلف أهل السير في وقت مقتله ، فقال الواقدي : قُتِلَ في سنة

ست وثلاثين . قال : وكان سبب قتله أن معاوية وعمراً سارا إليه وهو بمصر قد ضبطها ، فتزلا بعين شمس ، فعالجا الدخول ، فلم يقدرا عليه ، فخذعا محمد بن أبي حذيفة على أن يخرج في ألف رجل إلى العريش ، فخرج وخلف الحكم بن الصلت على مصر ، فلما خرج محمد بن أبي حذيفة إلى العريش تحصن ، وجاء عمرو فتصب المجانيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه ، فأخذوا فقتلوا . قال : وذلك قبل أن يبعث علي^١ إلى مصر قيس بن سعد . ٢٤٠٨/١

وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه ذكر أن محمد بن أبي حذيفة إنما أخذ بعد أن قتل محمد بن أبي بكر ودخل عمرو بن العاص مصر وغلب عليها ، وزعم أن عمراً لما دخل هو وأصحابه مصر أصابوا محمد بن أبي حذيفة ، فبعثوا به إلى معاوية وهو بفلسطين ، فحبسه في سجن له ، فكث فيه غير كثير ، ثم إنه هرب من السجن - وكان ابن خال معاوية - فأرى معاوية الناس أنه قد كره انفلاته ، فقال لأهل الشام : من يطلبه ؟ قال : وقد كان معاوية يحبّ فيها يرون أن ينجو ، فقال رجل من خشم - يقال له عبد الله ابن عمرو بن غلام . وكان رجلاً شجاعاً ، وكان عثمانياً : أنا أطلبه ، فخرج في حاله حتى لحقه بأرض البلقاء بمحوران وقد دخل في غار هناك ، فجاءت حُمُر تنخله ، وقد أصابها المطر ، فلما رأت الحُمُر الرجل في الغار فرعت ، فنفرت ، فقال حصّادون كانوا قريباً من الغار : والله إن لنفسر هذه الحُمُر من الغار لشأنًا . فذهبوا لينظروا ، فإذا هم به ، فخرجوا ، ووافقهم عبد الله بن عمرو بن غلام الخثعمي ، فسأله عنه ، ووصفه لهم ، فقالوا له : ها هو ذا في الغار ، قال : فجاء حتى استخرجه ، وكره أن يرجعه إلى معاوية فيخلّي سبيله . ففرض عتقه .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : وحذفتي الحارث بن كعب بن قيس ، عن جندب ، عن عبد الله بن قيس ، عم الحارث بن كعب . . . (١) يستصرخ فمن قبل محمد بن أبي بكر إلى علي - ومحمد يومئذ أميرهم - فقام علي في ٢٤٠٩/١

الناس وقد أمر فتوى: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أما بعد، فإن هذا صريح محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله، وولى من عادى الله، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً منكم على حكم هذا، فإنهم قد يدموكم وإخوانكم بالفترو، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر. عباد الله، إن مصر أعظم من الشام، أكثر خيراً، وخير أهلاً، فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم، وكسبت لعدوكم، اخرجوا إلى الجحرة بين الحيرة والكوفة، فوافوني بها هناك غداً إن شاء الله. قال: فلما كان من الغد خرج يمشى، فتزها بكرة، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك، فلم يوافيه منهم رجل واحد، فرجع. فلما كان من العشي بعث إلى أشراف الناس، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب، فقال: الحمد لله على ما قضى من أمرى، وقد رمين فعلى، وإبتلاني بكم أيّتها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرت، ولا يُجيب إذا دعوت، لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بصبركم، والجهاد على حكمكم! الموت والذل لكم في هذه الدنيا على غير الحق، فوالله لئن جاء الموت وليأتين^(١) - ليفرقن بيني وبينكم، وأنا لصحبكم قال: وبكم غير ضنين، لله أنتم! لا دين بجمعكم، ولا حمية تحميك، إذا أنتم سمعتم بعلوكم يترد بلادكم، ويشن الغارة عليكم. أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفافة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة! ويحبيونه في السنة المرتين والثلاث إلى أى وجه شاء، وأنا أدعوكم - وأنتم أولو النهى وبقية الناس - على المعونة وطائفة منكم على العطاء، فتقومون عني وتصونني، وتختلفون على! فقام إليه مالك بن كعب الحمداني ثم الأرجي، فقال: يا أمير المؤمنين، اندب الناس فإنه لا عطر بعد عروس؛ ليثل هذا اليوم كنت أدخر نفسي، والأجر لا يأتي إلا بالكرة. اتقوا الله وأجيبوا إمامكم، وانصروا دعوته،

٢٤١٠/١

وقَاتِلُوا عَدُوَّهُ ، أَنَا أُسِيرُ إِلَيْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : فَأَمْرٌ عَلَىٰ مَنَادِيَّةٍ
سَعْدًا ، فَنَادَىٰ فِي النَّاسِ : أَلَا اتَّهَبُوا إِلَىٰ مِصْرَ مَعَ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ .

ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ عَلَىٰ ، فَنَظَرَ فَلَإِذَا جَمِيعٌ مِنْ خُرُوجِ نَحْوِ أَلْفَى
رَجُلًا ، فَقَالَ : سِيرَ فَوَاللَّهِ مَا إِخَالُكَ تُدْرِكُ الْقَوْمَ حَتَّىٰ يَنْقُضِيَ أَمْرُهُمْ ؛ قَالَ :
فَخَرَجَ بِهِمْ ، فَسَارَ خَمْسًا . ثُمَّ إِنَّ الْحِجَاجَ بْنَ غَزِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّ ، ثُمَّ
النَّجَّارِيَّ قَدِيمَ عَلَىٰ عَلَىٰ مِنْ مِصْرَ ، وَقَدِيمَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْبِيبِ الْفَزَارِيَّ ،
فَأَمَّا الْفَزَارِيُّ فَكَانَ عَيْنَهُ بِالشَّامِ ، وَأَمَّا الْأَنْصَارِيُّ فَكَانَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ،
فَعَدَّتْهُ الْأَنْصَارِيُّ بِمَا رَأَىٰ وَعَايَنَ وَبِهَلَكَ مُحَمَّدٌ ، وَحَدَّثَهُ الْفَزَارِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ
مِنَ الشَّامِ حَتَّىٰ قَلِمَتْ الْبُشْرَاءُ مِنْ قَيْلٍ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ تَنْتَرِي ، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا
بَعْضًا يَفْتَحُ مِصْرَ وَقَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَتَّىٰ أَذُنَ بَقْلَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ ،
وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَلِمًا رَأَيْتُ قَوْمًا قَطْعَ أَسْرَ ، وَلَا سُرُورًا قَطْعَ أَظْهَرٍ مِنْ
سُرُورِ رَأْيَتِهِ بِالشَّامِ حِينَ أَتَاهُمْ هَلَاكُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ . فَقَالَ عَلَىٰ : أَمَا إِنَّ
حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدَرِ سُرُورِهِمْ بِهِ ، لَا يَلِيَّ يَزِيدُ أَضْعَافًا . قَالَ : وَسَرَّحَ عَلَىٰ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ شُرَيْحِ الشَّيْبَانِيِّ^(١) إِلَىٰ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ ، فَرَدَّهُ مِنَ الطَّرِيقِ . قَالَ :
وَحَزَنَ عَلَىٰ عَلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّىٰ رَأَىٰ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَتَبَيَّنَ فِيهِ ،
وَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، وَصَلَّىٰ عَلَىٰ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : أَلَا إِنَّ مِصْرَ قَدْ افْتَتَحَهَا الْفَسَجَرَةُ أَوَّلُو الْبُخُورِ وَالظُّلَمِ الَّذِينَ
صَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَبَغَوْا الْإِسْلَامَ عِوَجًا . أَلَا وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ
قَدْ اسْتَشْهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ . أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتُ لِمَنْ
يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ ، وَيَعْمَلُ الْجَزَاءَ ، وَيُبْغِضُ شَكْلَ الْفَاجِرِ ، وَيُحِبُّ هَدَى الْمُؤْمِنِ ،
إِلَى اللَّهِ مَا أَلُومَ نَفْسِي عَلَى التَّخْصِيرِ ، وَإِلَى لِمُقَاسَاةِ الْحَرْبِ لِحَدِّ خَيْرٍ ، وَإِلَى
لِأَقْدِمَ عَلَى الْأَمْرِ وَأَعْرِفَ وَجْهَ الْحَزْمِ ، وَأَقْوَمُ فِيكُمْ بِالرَّأْيِ الْمَصِيبِ ،
فَاسْتَصْرَحَكُمْ مَعْلَنًا ، وَأَنَادِيَكُمْ نِدَاءَ الْمُسْتَفِثِ مُعَرِّبًا ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ،
وَلَا تَطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّىٰ تَصِيرَ بَيْنَ الْأُمُورِ إِلَى عَوَاقِبِ الْمَسَاعَةِ ، فَأَنْتُمْ الْقَوْمُ
لَا يُدْرِكُ بِكُمْ الثَّأْرُ ، وَلَا تُنْقَضُ بِكُمْ الْأَوْتَارُ ، دَعْوَتُكُمْ إِلَىٰ غِيَاثِ إِخْوَانِكُمْ

(١) ط : « هَلْبَان » ، وانظر القاهر .

منذ بضع وخمسين ليلة فتخرجتم جرجرة الحمل الأشلق^(١) ، وتناقلتم إلى الأرض تناقل من ليس له نية في جهاد العدو ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلى منكم جنيد متلذذ كأنما^(٢) يساقون إلى الموت وهم ينظرون . فأف لكم ! ثم نزل . وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس ، سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن مصر قد افتتحت ، ومحمد بن أبي بكر قد استشهد ، فعند الله نحسبه وندخره ، وقد كنت قمت في الناس في بلدته ، وأمرتهم بنيايه قبل الواقعة ، ودعوتهم سرا وجهرا ، وعدوا وبلدا ، فمنهم من أتى كارها ، ومنهم من اعتل كاذبا ، ومنهم القاعد حالا ، أسأل الله أن يجعل لي منهم قرجا وسخرجا ، وأن يريحتني منهم عاجلا . والله لولا طمعي عند لقاء عدوى في الشهادة لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا . عزم الله لنا ولك على الرشد ، وعلى تقواه وهده ، إنه على كل شيء قدير . والسلام .

٣٤١٢/١

فكتب إليه ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله على بن أبي طالب أمير المؤمنين ، من عبد الله بن عباس . سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر ، وهلاك محمد بن أبي بكر ، فאלله المستعان على كل حال ، ورحم الله محمد بن أبي بكر وأجرك يا أمير المؤمنين ! وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيته التي ابتليت بها فرجا ومخرجا ، وأن يحرك بالملائكة عاجلا بالبصرة ، فإن الله صانع لك ذلك ، ومحرك ومجيب دعوتك ، وكاتب عدوك . أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تناقلوا ثم ينشطون ، فافرق بهم يا أمير المؤمنين ، وداجينهم ومنهم ، واستعين بالله عليهم ، كفلك الله ألتهم . والسلام .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، عن مالك بن الحور ،

(١) الأشلق : الواصل للشق . (٢) كذا في ابن الأثير والندوى وفي ط : « كثيرة »

أَنّ عليّاً قال : رحيم الله محمداً ! كان غلاماً حَدَّثَنَا ، أما والله لقد كنتُ
على أن أُولِي الميراثَ قال هاشم بن عُثْبَةَ مَصْرَ ، أما والله لو أنه وليها ما خلتى
لعمرى بن العاص وأخوانه الفَجْرَةَ المَرْصَةَ ، ولما قُتِلَ لإِيسَافِ في يده ،
لا بلا دمٍ كَمحمد . فرحم الله محمداً ، فقد اجتهد نفسه ، وقضى ما عليه .

• • •

وفي هذه السنة وجه معاوية بعد مقتل محمد بن أبي بكر عبد الله بن عمرو
٢٤١٤/١ ابن الحضرمي إلى البصرة للدعاء إلى الإقرار بحكم عمرو بن العاص فيه .
وفيها قُتِلَ أُمَيَّة بن ضبيعة المُجاشِعِي ، وكان على وجهه لإخراج ابن
الحضرمي من البصرة .

• • •

ذكر الخبير عن أمر ابن الحضرمي

وزياد وأعين وسبب قتل من قتل منهم

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حَدَّثَنَا
أبو الذَّيَّال ، عن أبي نَعَامَةَ ، قال : لما قُتِلَ محمد بن أبي بكر بمصر ، خرج
ابنُ عباس من البصرة إلى علي بالكوفة ، واستخلف زياداً ، وقدم ابنُ
الحضرمي من قبَل معاوية ، فترك في بني تميم ، فأرسل زياد إلى حُصَيْن بن
المنذر ومالك بن ميسم ، فقال : أنتم يا معشر بَكْر بن وائل من أنصار
أمير المؤمنين وثقاته ، وقد نزل ابن الحضرمي حيث ترون ، وأتاه من أتاه ، فامننوا
حتى يأتيته رأي أمير المؤمنين . فقال حُصَيْن : نعم ، وقال مالك — وكان
رأيه ماثلاً إلى بني أمية ، وكان مروانُ بلخاً إليه يومَ الجمل : هذا أمرٌ لي فيه
شركاء ، أستشير وأنظر . فلما رأى زياد تناقلاً مالك خاف أن تختلف
ربيعة ، فأرسل إلى نافع أن أشير عليّ ، فأشار عليه نافع بصيرة بن شيمان
الحُدَاقِي ، فأرسل إليه زياد ، فقال : ألا تجبرني ! وبيت مال المسلمين فأنه
فيحكم ، وأنا أمينُ أمير المؤمنين . قال : بلى إن حملته إلى فزلت داري .
قال : فلي حامله ، فحملته ، وخرج زياد حتى أتى الحُدَاقان ، ونزل في دار

صَبْرَةَ بْنِ شَيْمَانَ ، وَحَوْكَ بَيْتَ الْمَالِ وَالْمَنْبَرِ ، فَوَضَعَهُ فِي مَسْجِدِ الْحَدَّانِ ،
 وَتَحَوَّكَ مَعَ زِيَادٍ خُصُوصًا رَجُلًا ، مِنْهُمْ أَبُو أَبِي حَاضِرٍ - وَكَانَ زِيَادٌ يَصْلِي الْجُمُعَةَ
 فِي مَسْجِدِ الْحَدَّانِ ، وَيَطْعَمُ الطَّامَ - فَقَالَ زِيَادُ الْجَاهِلِيَّيْنِ بْنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ :
 يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، إِنِّي لَا أَرَى ابْنَ الْحَضَرِيِّ يَكْفُفُ ، لَا أَرَاهُ إِلَّا سَيِّقَاتِكُمْ ، وَلَا
 أُدْرِي مَا عِنْدَ أَصْحَابِكَ فَأَمِيرُهُمْ ، وَانْظُرْ مَا عِنْدَهُمْ . فَلَمَّا صَلَّى زِيَادٌ جَلَسَ
 فِي الْمَسْجِدِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ جَابِرُ : يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، نَمِمْ تَزْعُمُ
 أَنَّهُمْ هُمُ النَّاسُ ، وَأَنَّهُمْ أَصْبَرُ مِنْكُمْ عِنْدَ الْبَاسِ ، وَقَدْ بَلَغُنِي أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ
 يَسِيرُوا إِلَيْكُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا جَارَكُمْ ، وَيَخْرِجُوهُ مِنَ الْمِصْرِ قَسْرًا ، فَكَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا
 فَعَلُوا ذَلِكَ وَقَدْ أَجْرَتْكُمْ وَبَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ! فَقَالَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ - وَكَانَ
 مَفْخَمًا : إِنْ جَاءَ الْأَحْنَفُ جِثَّتْ ، وَإِنْ جَاءَ الْكُتَاتُ جِثَّتْ ، وَإِنْ جَاءَ شُبَّانُ
 قَفِينَا شُبَّانٌ . فَكَانَ زِيَادٌ يَقُولُ : إِنِّي اسْتَضْحَكْتُ وَنَهَضْتُ ، وَمَا كَلْتُ
 مَكِيدَةً قَطُّ كُنْتُ إِلَى الْفَضِيحَةِ بِهَا أَقْرَبَ مِنِّي لِلْفَضِيحَةِ يَوْمَئِذٍ ، لَمَّا غَلِبَنِي مِنَ
 الضَّحْكِ . قَالَ : ثُمَّ كَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ : إِنَّ ابْنَ الْحَضَرِيِّ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ
 فَتَزَلَّ فِي دَارِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَنَعَى عَثَانَ ، وَدَعَا إِلَى الْحَرْبِ ، وَبَايَعَتْهُ تَمِيمٌ وَجُلُ
 أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ مَنْ أَمْتَنَ بِهِ ، فَاسْتَجَرْتُ لِنَفْسِي وَلِبَيْتِ الْمَالِ
 صَبْرَةَ بْنُ شَيْمَانَ ، وَتَحَوَّلْتُ فَتَزَلْتُ مَعَهُمْ ، فَشِيعَةُ عَثَانَ يَخْتَلِفُونَ إِلَى ابْنِ
 الْحَضَرِيِّ ، فَجِئْتُ عَلَى أَعْيُنِ بْنِ ضُبَيْعَةَ الْمَجَاشِعِيِّ لِيُفَرِّقَ قَوْمَهُ عَنْ ابْنِ الْحَضَرِيِّ ،
 فَانْظُرْ مَا يَكُونُ مِنْهُ ، فَإِنْ فُرِّقَ جَمْعُ ابْنِ الْحَضَرِيِّ فَذَلِكَ مَا تُرِيدُ ، وَإِنْ تَرَقَّتْ
 بِهِمُ الْأُمُورُ إِلَى الْهَادِي فِي الْعَصِيَانِ فَانْهَضْ إِلَيْهِمْ فَجَاهِدْهُمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْ
 قِبَلِكَ تَثَاقُلًا ، وَخِفْتَ إِلَّا تَبْلُغَ مَا تُرِيدُ ، فَلِدَارِهِمْ وَطَوَائِلِهِمْ ، ثُمَّ تَسْمَعْ وَأُبْصِرْ ،
 فَكَانَ جُنُودُ اللَّهِ قَدْ أَظْلَمَتْكَ ، تَقْتُلُ الظَّالِمِينَ . فَقَدَّمَ أَعْيُنَ زِيَادًا ،
 فَتَزَلَّ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ ، وَجَمَعَ رَجَالًا وَنَهَضَ إِلَى ابْنِ الْحَضَرِيِّ ، فَلَدَاهُمْ ،
 فَشَتَمُوهُ وَنَاقَشُوهُ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ قَتَلُوهُ ، فَلَمَّا قَتَلَ أَعْيُنُ
 ابْنَ ضُبَيْعَةَ ، أَرَادَ زِيَادٌ قِتَالَهُمْ ، فَأَرْسَلَتْ بَنُو تَمِيمٍ إِلَى الْأَزْدِ : إِنَّا لَمْ نَعْرِضْ
 لِحَارِكُمْ ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَاذًا تَرِيدُونَ إِلَى جَارِنَا وَحَرِينَا ! فَكَرِهَتْ
 الْأَزْدُ الْقِتَالَ ، وَقَالُوا : إِنْ عَرَضُوا لِحَارِنَا مَنَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ يَكْفُرُوا عَنْ جَارِنَا
 كَفَفْنَا عَنْ جَارِهِمْ . فَاسْكُوا . وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَى عَلِيٍّ : أَنْ أَعْيُنَ بْنِ ضُبَيْعَةَ

٢٤١٥/١

٢٤١٦/١

قَدِمَ فجمعَ مَنْ أطاعه من عشيرته ، ثم نهض بهم يمدّ وصدق نيّة إلى ابن الحضرميّ ، فحثّهم على الطاعة ، ودعاهم إلى الكفّ والرجوع عن شقاقهم ، وواقفتهم عامّة^(١) قوم ، فهالّهم ذلك ، وتصدّع عنهم كثير ممن كان معهم ، يمتنّهم نُصرتهم ، وكانت بينهم مناوشة . ثم انصرف إلى أهله ، فدخلوا عليه فاقتالوه فأصيب ، رحم الله أعيّن ! فأردت قتالهم عند ذلك ، فلم يخفّ معي مَنْ أقوى به عليهم ، وتراسل الحيتان ، فأمسك بعضهم عن بعض .

فلما قرأ على كتابه دعا جارية بن قدامة السعديّ ، فوجّهه في خمسين رجلاً من بني تميم ، وبعث معه شريك بن الأعور - ويقال بعث جارية خمسمائة رجل - وكتب إلى زياد كتاباً يصوّب رأيه فيها صنع ، وأمره بمعوّنة جارية ابن قدامة والإشارة عليه ، فقدِم جارية البصرة ، فأبى زياداً فقال له : احتفِز^(٢) واحذر أن يصيبك ما أصاب صاحبك ، ولا تتقن بأحد من القوم . فسار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب عليّ ، ووعدهم ، فأجابه أكثرهم ، فسار إلى ابن الحضرميّ فحصره في دار سنّيبيل ، ثم أحرّق عليه الدار وعلى من معه ، وكان معه سبعون رجلاً - ويقال أربعون - وتفرّق الناس ، ورجع زياد إلى دار الإمارة ، وكتب إلى عليّ مع ظبّيان بن عُمارة ، وكان ممن قدِم مع جارية^(٣) وأنّ جارية قدِم علينا فسار إلى ابن الحضرميّ فقتله حتى اضطره إلى دار من دُور بني تميم ، في عدّة رجال من أصحابه بعد الإعذار والإنذار ، والدعاء إلى الطاعة ، فلم يُنِيبوا ولم يرجعوا ، فأضرم عليهم الدار فأحرقهم فيها ، وهُدِمَتْ عليهم ، فبعداً لمن طغى وعصى ! فقال عمرو بن العرندس العوديّ :

رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ وَجَارُ تَمِيمٍ دَخَانًا ذَقَبَ
لَحَى اللَّهُ قَوْمًا شَوَوْا جَارَهُمْ وَلِلشَّاءِ بِالرُّهْمَيْنِ الشَّصَبَ

(١) ابن الأثير : « وواقفهم نهال » .

(٢) احتفِز ، أى تهاجّر .

(٣) سقط في أصل ط .

يُنَادَى الْخِثَاءُ وَخُمَاتُهَا وَقَدْ سَمَطُوا رَأْسَهُ بِاللَّهَبِ ٢٤١٨/١
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَنَا عَادَةٌ نَحَامِي عَنِ الْجَارِ أَنْ يُغْتَصَبَ
حَمِينَاهُ إِذْ حَلَّ أَبْيَاتُنَا وَلَا يَنْتَعِ الْجَارَ إِلَّا الْحَصَبُ
وَلَمْ يَغْرِفُوا حُرْمَةً لِلْجَوَا وَإِذْ أَعْظَمَ الْجَارَ قَوْمٌ نُجِبُ
كَفِيلِهِمْ قَبْلَنَا بِالزُّبَيْرِ عَشِيَّةً إِذْ بَزَّهَ يُسْتَلَبُ
وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الْحَطَّافِيِّ:

غَدَرْتُمْ بِالزُّبَيْرِ فَمَا وَقَيْتُمْ وَفَاءَ الْأَزْدِ إِذْ مَنَعُوا زِيَادًا^(١)
فَأَصْبَحَ جَارُهُمْ بِنَجَاةٍ عِزٌّ وَجَارُ مُجَاشِعٍ أَمْسَى رَمَادًا
فَلَوْ عَاقَدْتَ حَبْلَ أَبِي سَعِيدٍ لَدَاذَ الْقَوْمِ مَحْمَلِ النَّجَادِ^(٢)
وَأَذَى الْخَيْلِ مِنْ رَهَجِ الْمَنَابِيا وَأَغْشَاهَا الْأَيْسَةُ وَالصُّعَادَا

• • •

[الخُرَيْتُ بْنُ رَاشِدٍ وَإِظْهَارُهُ الْخِلَافَ عَلَى عَلِيٍّ^(٣)]

وما كان في هذه السنة - أسمى سنة ثمان وثلاثين - لإظهار الخُرَيْتِ بْنِ رَاشِدٍ فِي بَنِي نَاجِيَةِ الْخِلَافِ عَلَى عَلِيٍّ وَفِرَاقِهِ لِإِيَّاهُ ، كَالَّذِي ذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي مُخَنَفٍ ، عَنْ الْحَارِثِ الْأَزْدِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُتَيْبٍ ، قَالَ : جَاءَ الْخُرَيْتُ بْنُ رَاشِدٍ إِلَى عَلِيٍّ - وَكَانَ مَعَ الْخُرَيْتِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ مِنْ بَنِي نَاجِيَةِ مُقِيمِينَ مَعَ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ ، قَدِمُوا مَعَهُ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَكَانُوا قَدْ خَرَجُوا إِلَيْهِ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَشَهِدُوا مَعَهُ حِيفَتَيْنِ وَالنَّهْرَوَانَ - فَجَاءَ إِلَى عَلِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَسِيرُ بَيْنَهُمْ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ : وَاقِهِ يَا عَلِيٌّ لَا أَطِيعُ أَمْرَكَ ، وَلَا أَصْلَى خُلُقَكَ ، وَإِنِّي غَدًا لَسُفَارِقُكَ . وَذَلِكَ بَعْدَ ٣٤١٩/١

(١) ديوانه: ١٤٢ .

(٢) الديوان : « ولو عاقبت » ، وهو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة .

(٣) انظر قصة الخُرَيْتِ بْنِ رَاشِدٍ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ : ١٢٨ - ١٤٨ .

تحكيم الحكمين . فقال له علي : ثكلتك أمك ! إذا تعصى ربك ، وثكلت عهدك ، ولا تضر إلا نفسك . خبرني لم تفعل ذلك ؟ قال : لأنك حكمت في الكتاب ^(١) ، وضعفت عن الحق إذ جدت الجدة ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فأنا عليك زار ، وعليهم ناقم ، ولكم جميعاً مبئان . فقال له علي : هلم أدارسك الكتاب ، وأناظرك في السنن ، وأفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك ، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكبر ، وتستبصر ما أنت عنه الآن جاهل . قال : فإني عائد إليك ، قال : لا يستهوينك الشيطان ، ولا يستخفك الجهل ، والله لئن استرشدتني واستنصحتني وقبلت مني لأهديتك سبيل الرشاد .

فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله ، فعجلت في أثره مسرعاً . وكان لي من بني عمه صديق ، فأردت أن أتي ابن عمه ذلك فأعلمه بشأنه ، ويأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته ، ويخبره أن ذلك خير له في عاجل الدنيا وآجل الآخرة . فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقني ، فقتت عند باب داره ، وفي داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على علي . قال : فوالله ما جزم شيئاً مما قال ، وما رد عليه ، ثم قال لم : يا هؤلاء ، إني قد رأيت أن أفارق هذا الرجل ، وقد فارقته على أن أرجع إليه من غد ، ولا أراي إلا مفارقة من غد . فقال له أكثر أصحابه : لا تفعل حتى تأتية ، فإن أذاك بأمر تعرفه قبلت منه ، وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه . فقال لم : فسيم ما رأيتم . قال : ثم إني استأذنت عليه ، فأذنوا لي ، فدخلت ^{٣٤٧٠/١} فقلت : أنشدك الله أن تفارق أمير المؤمنين ، وجماعة المسلمين ، وأن تجعل على نفسك سيلاً ، وأن تقتل من أرى من عشيرتك ! إن علياً لعلى الحق . قال : فأنا أغضو إليه فسمعته حجته ، وأنظر ما يعرض علي به ويذكر ، فإن رأيت حقاً ورشداً قبلت ، وإن رأيت غيياً وجوراً تركت . قال : فخلوت بابن عمه ذلك - قال : وكان أحد نقره الأدين ، وهو مذكر بن الريان ، وكان من رجال العرب - فقلت له : إن لك علي حقاً لإخاكتك وودك ذلك علي

بعد حقّ المسلم على المسلم . إن ابن عمك كان منه ما قد ذكرتك ، فأجده به ، فاردد عليه رأيه ، وعظم عليه ما أتى ، فلنى خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتله نفسه وعشيرته . قال : جزاك الله خيراً من أخ ! فقد نصحت وأشفقت ، إن أراد صاحبي فراق أمير المؤمنين فارقه وخالفته ، وكنت أشد الناس عليه . وأنا بعد فلنى خال به ، ومشير عليه بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته والإقامة معه ، وفي ذلك حظّه ورشدّه .

فقمّت من عنده ، وأردت الرجوع إلى أمير المؤمنين لأعلمه بالذي كان ، ثم اطمأنت إلى قول صاحبي ، فرجعت إلى منزلي فبت به ثم أصبحت ، فلما ارتفع الضحى أتيت أمير المؤمنين ، فجلست عنده ساعة وأنا أريد أن أحدثه بالذي كان من قوله لي على خلوة ، فأطلت الجلوس ، فلم يزد الناس إلا كثرة ، فدنوت منه ، فجلست ورامه ، فأصغى إلى بأذنيه ، فغيرته بما سمعت من الخيريت بن راشد ، وبما قلت له ، وبما ردت على ، وبما كان من مقالتي لابن عمه ، وبما ردت على ، فقال : دعه ، فإن عرفت الحق وأقبل إليه عرفتنا ذلك وقبيلنا منه ، وإن أبي طلبناه . قلت : يا أمير المؤمنين ، ولم لا تأخذ الآن وتستوثق منه وتحبسه ؟ فقال : إنا لو فعلنا هذا بكل من نتهمه من الناس ملأنا سجننا منهم ، ولا أراه — يعني الوثوب على الناس والحبس والعقوبة — حتى يظهروا لنا الخلاف . قال : فسكت عنه ، وتنحيت ، فجلست مع القوم .

ثم مكث ما شاء الله . ثم إنه قال : ادن مني ، فدنوت منه ، فقال لي مسراً : اذهب إلى منزل الرجل فاعلم لي ما فعل ، فإنه كل يوم لم يكن يأتي فيه إلا قبل هذه الساعة . فأتيت منزله ، فإذا ليس في منزله منهم دينار ، فلهوت على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه ، فإذا ليس فيها داع ولا جيب ، فرجعت . فقال لي حين رأني : وطنوا^(١) فأمنوا ، أم جنبوا فظعنوا ! قلت : بل ظعنوا فأعلنوا ، فقال : قد فعلوها ! بعداً لم كما بعيدت ثمود! أما لو قد أشرعت لهم الأسنة وصببت على هامهم السيوف ،

لقد ندموا . إن الشيطان اليوم قد استهوهم وأضلهم ، وهو غداً متبرئ منهم ، وحل عنهم .

فقام إليه زياد بن خصمة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لو لم يكن من مضرة هؤلاء إلا فراقهم إيانا لم يعظم فقدّم فتناسى عليهم ، فإنهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا ، وقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ، ولكننا نخاف أن يفصلوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليه ^(١) من أهل طاعتك ، فأذن لي في اتباعهم حتى أردّم عليك إن شاء الله . فقال له على : وهل تدري أين توجه القوم ؟ فقال : لا ، ولكني أخرج فأسأل وأتبع الأثر . فقال له : اخرجُ رحلك الله حتى تنزل دبر أبي موسى ، ثم لا تتوجه حتى يأتيتك أمري ، فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين للناس في جماعة ، فإن عمالي ستكتب إلى بذلك ، وإن كانوا متفرقين مستخفين فلذلك أخفى لهم ، وسأكتب إلى عمالي فيهم . فكتب نسخة واحدة فأخرجها إلى العمال :

أما بعد ، فإن رجلاً خرجوا هرباً ونظنتهم وجهوا نحو بلاد البصرة ، فسل عنهم أهل بلادك ، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك ، واكتب إلى بما ينتهي إليك عنهم ، والسلام .

فخرج زياد بن خصمة حتى أتى داره ، وجمع أصحابه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا معشر بكر بن وائل ، فإن أمير المؤمنين نذبنى لأمر من أمره منهم له ، وأمرني بالانكماش ^(٢) فيه ، وأنتم شيعته وأنصاره ، وأوثق حتى من الأحياء في نفسه ، فانتدبوا معي الساعة ، واعجلوا . قال : فوالله ما كان إلا ساعة حتى اجتمع له منهم مائة وعشرون رجلاً أو ثلاثين ، فقال : اكتفينا ، لا نريد أكثر من هذا ، فخرجوا حتى قطعوا الجسر ، ثم دبر أبي موسى ، فترله ، فأقام فيه بقية يومه ذلك ينتظر أمر أمير المؤمنين .

(١) ابن الأثير : « عليك » .

(٢) الانكماش في الأمر : الجذب فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت الأعور التيمي ، عن أبي سعيد
 العُقَيْلي ، عن عبد الله بن وأل التيمي ، قال : قال : والله إني لَعندَ أمير المؤمنين
 إذ جاءه فيج^(١) ، كتابٌ بيديه ، من قبِل قَرَظَة بن كعب الأنصاري :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أمّا بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أنّ خيلاً مرّت
 بنا من قبِل الكوفة متوجّهة نحو نِفَر ، وإنّ رجلاً من دهاقين أسفل الفرات
 قد صليّ يقال له : زاذان فروخ ، أقبل من قبِل أخواله بناحية نِفَر ، فعرّضوا
 له ، فقالوا : أمسلم أنت أم كافر ؟ فقال : بل أنا مسلم ، قالوا : فما قولك
 في علي ؟ قال : أقول فيه خيراً ، أقول : إنه أمير المؤمنين ، وسيّد البشر ،
 فقالوا له : كفرت يا عدو الله ! ثم حَمَلَتْ عليه عصابةٌ منهم فقتلوه ،
 وجعلوا معه رجلاً من أهل النَمَة ، فقالوا : ما أنت ؟ قال : رجل من أهل
 النَمَة ، قالوا : أمّا هذا فلا سبيلَ عليه ، فأقبل إلينا ذلك الدّمي فأخبرنا هذا
 الخبر ، وقد سألتُ عنهم فلم يخبرني أحدٌ عنهم بشيء ، فليكتب إلى
 أمير المؤمنين برأيه فيهم أنتَه إليه . والسلام .
 فكتب إليه :

أما بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ من العصابة التي مرّت بك
 فقتلت البِرَّ المسلم ، وأمينَ عندهم المخالف الكافر ، وإنّ أولئك قومٌ
 استهواهم الشيطان ففعلوا وكانوا كالذين حسبوا أنّ تكون فتنةٌ فعمّوا وصمّوا ،
 فأسمع بهم وأبصر يوم تُخبر أعمالهم . وإنّهم عملك ، وأقبل على خراجك
 فإنك كما ذكرتَ في طاعتك ونصيحتك ؛ والسلام .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو الصلت الأعور التيمي عن أبي سعيد
 العُقَيْلي ، عن عبد الله بن وأل ، قال : كتب علي عليه السلام معي كتاباً
 إلى زياد بن خصفة ، وأنا يومئذ شابٌ حدّث :

أما بعد ، فإني كنتُ أمرتك أن تنزل ديرَ أبي موسى حتى يأتيك أمرى
 وذلك لأنّي لم أكن علمتُ إلى أيّ وجه توجه القوم ، وقد بلغني أنهم أخذوا نحو
 قرية يقال لها نِفَر ، فاتبع آثارهم ، وصلّ عنهم ، فإنهم قد قتلوا رجلاً من أهل

(١) الفتح : رسول السلطان على وجهه ، فارسي معرب .

السواد مصلتيك ، فإذا أنت لحقتهم فارددهم إلى ، فإن أبوا فناجزهم ، واستعبر بالله عليهم ، فإنهم قد فارقوا الحق ، وسفكوا الدم الحرام ، وأخافوا السبيل . والسلام .

قال : فأخلفت الكتاب منه ، فضيت به غير بعيد ، ثم رجعت به ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا أمضي مع زياد بن خصصة إذا دفعته إليه كتابك إلى عدوك ؟ فقال : يابن أخى ، افعل ، فوالله لئن أرجو أن تكون من أعوانى على الحق ، وأنصارى على القوم الظالمين ؟ فقلت له : أنا واقه يا أمير المؤمنين كذلك ومن أولئك ، ولنا حيث تحب .

قال ابن وال : فوالله ما أحب أن لى بمقالة على تلك حُمر النعم . قال : ثم مضيت إلى زياد بن خصصة بكتاب على وأنا على فرس لى راع كرم ، وعلى السلاح ، فقال لى زياد : يابن أخى ، والله ما لى عنك من غناء ، ولئى لأحب أن تكون معى فى وجهى هذا ، فقلت له : قد استأذنت فى ذلك أمير المؤمنين فأذن لى ، فسر بملك .

قال : ثم خرجنا حتى أتينا نجر ، فسالنا عنهم ، فقيل لنا : قد ارتفعوا نحو جرّجرايا ، فاتبعناهم ، فقيل لنا : قد أخذوا نحو المذار ، فلحقناهم وهم نزول بالمذار ، وقد أقاموا به يوماً وليلة ، وقد استراحوا وأعطوا وهم جامون ، فأتيناهم وقد تقطعنا ولغينا وشعبنا ونصبنا ، فلما رأونا وثبوا على خيولهم فاستروا عليها ، وجثنا حتى انتهينا إليهم ، فواقفناهم ، وفادانا صاحبهم الحرير بن راشد : يا عريان القلوب والأبصار ، أمع الله أنتم وكتابه سنة نبيه ، أم مع الظالمين ؟ فقال له زياد بن خصصة : بل نحن مع الله ومن الله وكتابه ورسوله آثر عندّه ثواباً من الدنيا منذ خلقت لى يوم تفى ، أيها العمى الأبصار ، الصم القلوب والأسماع . فقال لنا : أخبرنى ما تريدون ؟ فقال له زياد - وكان عجباً رفيقاً - قد ترى ما بنا من اللغوب والسغب^(١) ، والذي جثنا له لا يصلحه الكلام علانية على رؤوس أصحابى وأصحابك ، ولكن أنزل وتزل ، ثم نخلو جميعاً فتنذكر أمرنا هذا جميعاً وننظر ، فإن

٣٤٢٥/١

(١) السغب : الجوح ، مثل السب .

رَأَيْتَ مَا جِئْتَاكَ فِيهِ حَقًّا لِنَفْسِكَ قَبِيلَتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ فِيهَا اسْمَهُ مِنْكَ أَمْراً أَرْجُو فِيهِ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلكَ لَمْ أَرُدُّهُ عَلَيْكَ . قَالَ : فَانْزِلْ بِنَا ، قَالَ : فَأَقْبِلْ إِلَيْنَا زِيَادَ فَقَالَ : انْزِلُوا بِنَا عَلَى هَذَا الْمَاءِ ، قَالَ : فَأَقْبَلْنَا حَتَّى إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى الْمَاءِ ، نَزَلْنَاهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَزَلْنَا تَفَرَّقْنَا ، ثُمَّ تَحَلَّقْنَا مِنْ عَشْرَةِ وَتِسْعَةٍ وَثَمَانِيَةِ وَسَبْعَةٍ ، يَضَعُونَ طَعَامَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَقُومُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَيَشْرَبُونَ . وَقَالَ لَنَا زِيَادُ : عَلِقُوا عَلَى خِيُولِكُمْ ، فَعَلَقْنَا عَلَيْهَا تَحَالِيَهَا، وَوَقَفَ زِيَادُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً ، ثُمَّ نَزَلُوا ، وَأَقْبَلَ إِلَيْنَا زِيَادُ ، فَلَمَّا رَأَى تَفَرَّقَنَا وَتَحَلَّقْنَا قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَنْتُمْ أَهْلُ حَرْبٍ؟ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ جَاءُواكُمْ السَّاعَةَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَا أَرَادُوا مِنْ غَيْرِكُمْ أَفْضَلَ مِنْ حَالِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا .

عَجَبُوا ، قَوْمُوا إِلَى خِيُولِكُمْ ، فَأَسْرَعْنَا ، فَتَحَشَّشْنَا^(١) أَفْتًا مِنْ يَتَنَفَّضُ ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ، وَمِنَّا مَنْ يَشْرِبُ ، وَمِنَّا مَنْ يَسْقِي فَرَسَهُ ، حَتَّى إِذَا فَرَعْنَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، أَنَا نَا زِيَادُ وَفِي يَدِهِ عِرْقُ يَنْهَشُهُ ، فَنَهَشُ مِنْهُ نَهَشَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، وَأَتَى بِأَدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ ، فَشَرِبَ مِنْهُ ، ثُمَّ أَلَى الْعَرَقِ^(٢) مِنْ يَدِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنَّا قَدْ لَقِينَا الْقَوْمَ ، وَوَاللَّهِ إِنْ عَدَّتْكُمْ كَعَدَّتْهُمْ ، وَلَقَدْ حَزَرْتَكُمْ وَإِيَّاهُمْ فَمَا أَظُنُّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ يَزِيدُ عَلَى الْآخَرِ بِخَمْسَةِ نَفَرٍ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْرَهُمْ وَأَمْرَكُمْ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَى الْقِتَالِ ، فَإِنْ كَانَ إِلَى ذَلِكَ مَا يَصْبِرُ بِكُمْ وَبِهِمُ الْأُمُورُ فَلَا تَكُونُوا أَعْجَزَ الْفَرِيقَيْنِ . ثُمَّ قَالَ لَنَا : لِيَأْخُذَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِعِصَانِ فَرَسِهِ حَتَّى أَدْنُو مِنْهُمْ ، وَادْعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ فَأَكَلِمَهُ ، فَإِنْ بَايَعَنِي عَلَى مَا أُرِيدُ وَإِلَّا فَلِذَا دَعَوْتَكُمْ فَاسْتَوُوا عَلَى مَتْنِ الْخَيْلِ ، ثُمَّ أَقْبِلُوا إِلَيَّ مَعًا غَيْرَ مُتَفَرِّقِينَ .

قَالَ : فَاسْتَقْدَمَ أَمَامَنَا وَأَنَا مَعَهُ ، فَاسْمَعُ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ يَقُولُ : جَاءَكُمْ الْقَوْمُ وَهُمْ كَالْأَوْثَانِ مَعِيُونٌ ، وَأَنْتُمْ جَائِعُونَ مَسْتَرْحُونَ ، فَتَرْكَبُونَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا وَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَاسْتَرَاوُوا ، هَذَا وَاللَّهِ سُوءُ الرَّأْيِ ! وَاللَّهِ لَا يَرْجِعُ الْأَمْرُ بِكُمْ وَبِهِمْ إِلَّا إِلَى الْقِتَالِ . فَسَكَنُوا ، وَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ ، فَدَعَا زِيَادُ بْنُ خَصِيفَةَ صَاحِبَهُمْ ، فَقَالَ : اعْتَزِلْ بِنَا فَلْتَنْظُرْ فِي أَمْرِنَا هَذَا ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا زِيَادُ فِي خَمْسَةِ ، فَقُلْتُ لَزِيَادٍ : ادْعُ ثَلَاثَةً مِنْ أَصْحَابِنَا حَتَّى نَلْقَاهُمْ فِي عَدَّتِهِمْ ، فَقَالَ لِي : أَدْعُ مَنْ

(١) التَحَشُّشُ : التَّحَرُّكُ .

(٢) الْعَرَقُ : يَتَفَضَّضُ ، يَتَفَضَّضُ .

أحببت منهم، فدعوت من أصحابنا ثلاثاً، فكتنا خمسة وخمسة. فقال له زياد: ما الذى نقصت على أمير المؤمنين وعلينا إذ فارقتنا؟ فقال: لم أرض صاحبكم إماماً، ولم أرض سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الثورى من الناس، فإذا اجتمع الناس على رجل لجميع الأمة رضا كنت مع الناس. فقال له زياد: ويحك! وهل يجتمع الناس على رجلٍ منهم ينادى صاحبك الذى فارقتك علماً بالله وبسنن الله وكتابه، مع قرائته من الرسول صلى الله عليه وسلم وسابقتيه فى الإسلام! فقال له: ذلك ما أقول لك، فقال له زياد: فقيم قتل ذلك الرجل المسلم؟ قال: ما أنا قتلته، إنما قتلته طائفة من أصحابي، قال: فادفعهم إلينا، قال: ما لى ذلك سبيل، قال: كذلك أنت فاعل؟ قال: هو ما تسمع، قال: فدعونا أصحابنا ودع أصحابه، ثم أقبلنا، فوالله ما رأينا قتالاً مثله منذ خلقى ربى، قال: اطمئننا والله بالروح حتى لم يبق فى أيدينا رُمح، ثم اضطربنا بالسيوف حتى انحنت وعقير عامة خيلنا وخيلهم، وكثرت الجراح فبنا بيننا وبينهم، وقُتل منا رجلان: مولى زياد كانت معه رايته يدعى سويداً، ورجل من الأبناء يدعى وافد بن بكر، وصرعنا منهم خمسة، وجاء الليل يحجز بيننا وبينهم، وقد والله كرهونا وكرهناهم، وقد جرح زياد وجرح.

قال: ثم إن القوم تنحوا وبشنا فى جانب، فكنوا ساعة من الليل، ثم إنهم ذهبوا واتبعناهم حتى أتينا البصرة، وبلغنا أنهم أتوا الأهواز، فتركوا بجانب منها، وتلاحق بهم أناس من أصحابهم نحو من مائتين كانوا معهم بالكوفة، ولم يكن لهم من القوة ما ينهضهم معهم حتى نهضوا فاتبعوهم فلحقوهم بأرض الأهواز، فأقاموا معهم. وكتب زياد بن خصيفة إلى على:

٣٤٢٧/١

٣٤٢٨/١

أما بعد، فإننا لقينا علو الله التاجى بالمدار، فدعوناهم إلى الهدى والحق وإلى كلمة السواء، فلم يتزلوا على الحق، وأخذتهم العزة بالإثم، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل، فقصدوا لنا، وصمدنا صمدهم، فاقتلنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظهيرة إلى دُكوك الشمس، فاستشهد منا رجلان صالحان، وأصيب منهم خمسة نفر، وخطوا لنا المعركة،

وقد فشت فينا وفيهم الجراح . ثم إن القوم لما لبسهم الليل خرجوا من تحته متنكبين إلى أرض الأهواز ، فلبسنا أنهم تولوا منها جانباً ونحن بالبصرة ننادي جراحنا ، وننتظير أمرك رحمك الله ، والسلام عليك .

فلما أتيت به بكتابه قرأه على الناس ، فقام إليه معقل بن قيس ، فقال : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ! إنما كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل رجل منهم عشرة من المسلمين ، فإذا لحقهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم ، فأما أن يلقاهم أعداؤهم فلعسى ليصبرن لهم ، هم قوم عرب ، والعدة تصبر للعدة ، وتنتصف منها . فقال : تجهز يا معقل بن قيس إليهم . وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن المغفل^(١) الأزدي . وكتب إلى ابن عباس :

أما بعد ، فابعت رجلاً من قبيلك صلياً شجاعاً معروفاً بالصلاح في أتي رجل ، فليتبع معقلاً ، فإذا مر ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقى معقلاً ، فإذا لقي معقلاً فمقل أمير الفريقين ، وليسمع من معقل وليطعمه ، ولا يخالفه ، ومُر زياد بن خصصة فليقبل ، فنعلم المرء زياد ، ونعم القليل قبيله ! قال أبو غنم : وحدني أبو الصلت الأحمور ، عن أبي سعيد العليل ، قال : كتب علي إلى زياد بن خصصة :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت من أمر الناجي وإخوانه الذين طبع الله على قلوبهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم يعمهون ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر ، فأما أنت وأصحابك فله سعيكم ، وعلى الله تعالى جزاؤكم ! فأبشر بثواب الله خير من الدنيا التي يقتل الجاهل أنفسهم عليها ، فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . وأما عدوكم الذين لقيتموهم فحسبهم بخروجهم من الهدى إلى الضلال ، وارتابهم فيه ، وردم الحق ، ولجأهم في الفتنة ، فلزمهم وما يفترون ، ودعهم في طغيانهم يعمهون ، فاستمع وتبصر ، كأنك

(١) ابن الأثير : « المغفل » .

بهم عن قليل بين أسير وقتيل . أقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين ، فقد
أطعتم وسمعتم ، وأحسنتم البلاد ، والسلام :

ونزل الناجي جائباً من الأهواز ، واجتمع إليه علوج من أهلها كثير
أرادوا كسر الخراج ، ولصوص كثيرة ، وطائفة أخرى من العرب تترى رأيه .

• • •

٣٤٣٠/١

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن علي بن مجاهد ،
قال : قال الشعبي : لما قتل علي عليه السلام أهل الثوروان ، خالفه قوم
كثير ، وانتفضت عليه أطرافه ، وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي
البصرة ، وانتفض أهل الأهواز ، وطمع أهل الخراج في كسره ، ثم
أخرجوا سهل بن حنيف من فارس ، وكان عامل علي عليها ، فقال ابن
عباس لعل : أكفك فارس بزياد ، فأمره علي أن يوجهه إليها ، فقدم ابن
عباس البصرة ، ووجهه إلى فارس في جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس ،
فأدوا الخراج .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال أبو مخنف : وحدثني
الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن فضال الأزدي ، قال : كنت أنا وأخي
كعب في ذلك الجيش مع معقل بن قيس ، فلما أراد الخروج أقبل إلى
علي فودعه فقال : يا معقل ، اتق الله ما استطعت ، فإنها وصية الله
للمؤمنين ، لا تبغ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهل الذمة ، ولا تنكبر فإن الله
لا يحب المتكبرين . فقال : الله المستعان ، فقال له علي : خير مستعان ،
قال : فخرج وخرجنا معه حتى نزلنا الأهواز ، فأقمنا ننتظر أهل البصرة ،
وقد أبطأوا علينا ، فقام فينا معقل بن قيس فقال : يأيها الناس ، إنا قد
انتظرنا أهل البصرة ، وقد أبطأوا علينا ، وليس بحمد الله بنا قلة ولا وحشة
إلى الناس ، فسيروا بنا إلى هذا العدو القليل الذليل ، فلئن أرجو أن ينصركم الله
وأن يهلكهم .

قال: فقام إليه أخى كعب بن قُصيم، فقال: أصببتَ أرشدك الله رأيك! فوالله لئن لأرجو أن يصبرنا الله عليهم، وإن كانت الأخرى فلان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا. فقال: سيروا على بركة الله؛ قال: فسيرنا ووالله ما زال معقيل لي مكروماً وأدباً، ما يعيدل بي من الجند أحداً؛ قال ولا يزال يقول: وكيف قلت: إن في الموت على الحق تعزية عن الدنيا؟ صدقت والله وأحسن ووفقت! فوالله ما سيرنا يوماً حتى أدركتنا فينج يشد بصحيفة في يده من عند عيد الله بن عباس: أما بعد، فلئن أدركت رسول بالمكان الذى كنت فيه مقياً، أو أدركت وقد شخصت منه، فلا تبرح المكان الذى ينتهى فيه إليك رسول، واثبت فيه حتى يقدم عليك بعثنا الذى وجهناه إليك، فلئن قد بعث إليك خالد بن معدان الطائي، وهو من أهل الإصلاح والدين والبأس والنجدة، فاسمع منه، وأعرف ذلك له، والسلام.

فقرأ معقل الكتاب على الناس، وحَمِدَ الله، وقد كان ذلك الوجه هالهم. قال: فاقمنا حتى قدم الطائي علينا، وجاء حتى دخل على صاحبنا، فسلم عليه بالإمرة، واجتمعوا جميعاً في عسكر واحد. قال: ثم إنا خرجنا فسرنا إليهم، فأخلوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز يريدون قلعة بها حصينة وجاءنا أهل البلد فأخبرونا بذلك، فخرجنا في آثارهم نجمعهم، فلاحقناهم وقد دنتوا من الجبل، فصفقناهم، ثم أقبلنا إليهم، فجعل معقيل على ميمته يزيد بن المغيرة، وعلى ميسرته منجابه بن راشد الضبي من أهل البصرة، وصَفَّ الحريث بن راشد الناجي من معه من العرب، فكانوا ميمنة، وجعل أهل البلد والعُلُوج ومن أراد كسر الخراج وأتباعهم من الأكراد ميسرة. قال: وسار فينا معقيل بن قيس يحرّضنا ويقول لنا: عباد الله! لاتعدلوا القوم بأبصاركم، غَضُّوا الأبصار، وأقلُّوا الكلام، ووطئوا أنفسكم على الطعن والضرب، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم، إنما تقاتلون مارقةً مرقّت من الدين، وعُلُوجاً منَعوا الخراج وأكراداً، انظروني فإذا حملتُ فشدوا شدة رجل واحد. فر في الصف كله يقول لهم هذه المقالة، حتى إذا مرّ بالناس كلهم أقبل حتى وقف وسط الصف في القلب، ونظرنا إليه ما يصنع!

فحرك رايته تحريكين ، فوافقه ما صبروا لنا ساعة حتى ولّوا ، وشدّخنا منهم سبعين عربياً من بني ناجية ، ومن بعض من اتبعهم من العرب ، وقتلنا نحواً من ثلثائة من العلوج والأكراد . قال كعب بن عُقَيْم : ونظرتُ فيمن قُتِلَ من العرب ، فإذا أنا بصليق مدرك بن الرّيان قتيلاً ، وخرج الخيريت ابن راشد وهو منهزم حتى لحق بأسياف البحر ، وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال بهم يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف عليّ ، ويبين لهم فراقته ، ويخبرهم أنّ الهدى في حربه ، حتى اتبعه منهم ناس كثير ، وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز ، وكتب إلى عليّ معي بالفتح ، وكنت أنا الذي قدمتُ عليه ، فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عليّ أمير المؤمنين ، من معقل بن قيس . سلامٌ عليك ، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنّا لقينا المارقين ، وقد استظهروا علينا بالمشركين ، فقتلناهم قتل عاد ولادم ، مع أنّا لم نعدُ فيهم سيرتك ، ولم نقتل من المارقين مدبراً ولا أسيراً ، ولم نلقف منهم على جريح ، وقد نصر الله والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين . قال : قدمتُ عليه بهذا الكتاب ، فقرأه على أصحابه ، واستشارهم في الرأي ، فاجتمع رأيُ عامتهم على قول واحد ، فقالوا له : نرى أنّ تكتب إلى معقل ابن قيس فيتبع أثر الفاسق ، فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفية ، فإنّا لا نأمن أن يفسد عليك الناس . قال : فردّني إليه ، وكتب معي :

أما بعد ، فالحمد لله على تأييد أوليائه ، وخيذلان أعدائه ، جزاك الله والمسلمين خيراً ، فقد أحسنم البلاء ، وقضيم ما عليكم ، وسكّن عن أخى بني ناجية ، فإنّ بلفك أنه قد استقرّ بيلد من البلدان فسرّ إليه حتى تقتله أو تنفيه ، فإنه لن يزال للمسلمين عدواً ، وللقاسطين ولياً ، ما بقى ، والسلام عليك .

فسأل معقل عن مستقرّه ، والمكان الذي انتهى إليه ، فنبّئ بمكانه بالأسياف ، وأنّه قد ردّ قومه عن طاعة عليّ ، وأفسد من قبيكته من عبد القيس ومن والاهم من سائر العرب ، وكان قومه قد منوا الصدقة عام صيفين ومنعوها

في ذلك العام أيضاً ، فكان عليهم عقالان ، فسار إليهم معقل بن قيس في ذلك الجيش من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فأخذ على فارس حتى انتهى إلى أسياف البحر ، فلما سمع الخبر بن راشد بمسيره إليه أقبل على من كان معه من أصحابه ممن يرى رأي الخوارج ، فأمرهم : إلى أرى رأيكم ، فإن علياً لن ينبغي له أن يحكم الرجال في أمر الله ، وقال للآخرين متدأ لهم : إن علياً حكمكم حكماً ورضي به ، فخلعه حكمه الذي ارتضاه لنفسه ، فقد رضى أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه ، وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة . وقال سراً لمن يرى رأي عثمان : أنا والله على رأيكم ، قد والله قُتل عثمان مظلوماً ، فأرضى كل صنف منهم ، وأراهم أنه معهم ، وقال لمن منع الصدقة : شدوا أيديكم على صدقاتكم ، وصلوا بها أرحامكم ، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم ، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا ، فلما اختلف الناس بينهم قالوا : والله لتديننا الذي خرجنا منه خير وأهدى من دين هؤلاء الذي هم عليه ، ما بناهم دينهم عن سفك الدماء ، وإخافة السبيل ، وأخذ الأموال . فرجعوا إلى دينهم ، فلقى الخيرية أولئك ، فقال لهم : ويحكمكم ! أتدرون حكمكم على فيمن أسلم من النصارى ، ثم رجع إلى نصرانيته ؟ لا والله ما يسمع لهم قولاً ، ولا يرى لهم علماً ، ولا يقبل منهم توبة ولا يدعهم إليها ، وإن حكمه فيهم لضرب العنق ساعة يستمكن منهم .

فما زال حتى جمعهم وخذلهم ، وجاء من كان من بني ناجية ومن كان في تلك الناحية من غيرهم ، واجتمع إليهم فاس كثير .

• • •

فحدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن سليمان ، عن عبد الملك بن سعيد بن حباب ، عن الحر ، عن عمار الدهني ، قال : حدثني أبو الطمیل ، قال : كنت في الجيش الذين بعثهم علي بن أبي طالب إلى بني نাজية ، فقال : فاتهمنا إليهم ، فوجدناهم على ثلاث فِرَق ، فقال أميرنا لفرقة منهم : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قوم نصارى ، لم نر ديناً أفضل

من ديننا ، فثبتنا عليه ، فقال لهم : احرزوا ، وقال للفرقة الأخرى : ما أنتم ؟ قالوا : نحن كنّا نصارى فأسلمنا ، فثبتنا على إسلامنا ، فقال لهم : احرزوا ، ثم قال للفرقة الأخرى الثالثة : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قوم كنّا نصارى ، فأسلمنا ، فلم نر ديناً هو أفضل من ديننا الأول ، فقال لهم : أسلموا ، فأبوا ، فقال لأصحابه : إذا مسحت رأسي ثلاث مرّات فشدوا عليهم ، فاقتلوا المقاتلة ، واسبوا الذرية . فجاء بالذرية إلى علي ، فجاء مصقلة بن هبيرة ، فاشترام بمائتي ألف ، فجاء بمائة ألف فلم يقبلها علي ، فانطلق بالدرهم ، وعند إليهم مصقلة فأعترضهم ولحق بمعاوية ، فقيل لعلي : ألا تأخذ الذرية ؟ فقال : لا ، فلم يعرض لهم .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال أبو مخنف : وحدثني الحارث ابن كعب ، قال : لما رجع إلينا معقل بن قيس قرأ علينا كتاباً من علي :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من يُقرأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، والنصارى والمردة . سلام عليكم وعلى من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت وأوفى بعهد الله ولم يكن من الخائنين . أما بعد ، فإني أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، والعمل بالحق ، وبما أمر الله في الكتاب ، فنرجع إلى أهله منكم وكف يده واحترك هذا المالك الحارِب الذي جاء يحارب الله ورسوله والمسلمين ، وسعى في الأرض فساداً ، فله الأمان على ماله ودمه ، ومن تابعه على حربنا والخروج من طاعتنا ، استعنا بالله عليه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، وكفى بالله نصيراً !

٢٤٣٦/١

وأخرج معقل رواية أمان فضعبها ، وقال : من أتاهم من الناس فهو آمن ، إلا الخيريت وأصحابه الذين حاربونا وبلغونا أول مرة . ففترق عن الخيريت جلّ من كان معه من غير قومه ، وحباً معقل بن قيس أصحابه ، فجعل

على ميمته يزيد بن المغفل الأزدي، وعلى ميسرته المنجاب بن راشد الضبي، ثم زحف بهم نحو الحيرت، وحضر معه قومه مسلموهم ونصاراؤهم ومانعة الصلقة منهم.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب، عن أبي الصديق الناجي، أن الحيرت يومئذ كان يقول لقومه: امنعوا حريمكم، وقاتلوا عن نساءكم وأولادكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسبنكم.

فقال له رجل من قومه: هذا والله ما جئته علينا يدك ولسانك. فقال: قاتلوا لله أنتم! سبى السيف العذك، إيهما والله لقد أصابت قوى داهية!

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب، عن عبد الله بن فضال، قال: سار فينا معقل فحرّض الناس فيها بين الميمنة والميسرة يقول: أبها الناس المسلمون، ما تريدون أفضل مما سيق لكم في هذا الموقف من الأجر العظيم، إن الله ساقكم إلى قوم منعوا الصلقة، وارتدوا عن الإسلام، ونكثوا البيعة ظلمًا وعدوانًا، فأشهد لمن قتل منكم بالجنة، ومن عاش فإن الله مقرر عينه بالفتح والغنيمة. ففعل ذلك حتى مرّ بالناس كلهم. ثم إنه جاء حتى وقف في القلب برايته، ثم إنه بعث إلى يزيد بن المغفل وهو في الميمنة: أن أحمل عليهم، فحمل عليهم، فثبتوا وقاتلوا قتالًا شديدًا. ثم إنه انصرف حتى وقف موقفه الذي كان به في الميمنة، ثم إنه بعث إلى منجاب ابن راشد الضبي وهو في الميسرة. ثم إن منجابًا حمل عليهم فثبتوا وقاتلوا قتالًا شديدًا طويلاً، ثم إنه رجع حتى وقف في الميسرة، ثم إن معقلًا بعث إلى الميمنة والميسرة: إذا حملت فاحملوا بأجمعكم. فحرك رايته وهزها، ثم إنه حمل وحمل أصحابه جميعًا، فصبروا ساعة لهم. ثم إن النعمان بن صُهَيْان الراسبي من جرّم بصر بالحيرت بن راشد فحمل عليه، فطعته فصرعه عن دابته، ثم نزل وقد جرّحه فأثخنه، فاخترقًا ضربتين، فقتله النعمان بن صُهَيْان، وقتل معه في المعركة سبعون ومائة، وذهبوا يمينًا وشمالًا، وبعث معقل بن قيس الخليل إلى رحالم، فسبى من أدرك منهم، فسبى رجالا

كثيراً ونساءً وصبياناً . ثم نظر فيهم ، فأما من كان مسلماً فخلّاه وأخذ يبعثه وترك له حياله ، وأما من كان ارتدّ فعرض عليهم الإسلام . فرجعوا وخلّو سبيلهم وسبيل عيالهم إلاّ شيعناً منهم نصرانياً يقال له : الرّمّاحس^(١) بن منصور ، قال : والله ما زلّكُ منذ عقلتُ إلاّ في خروجي من ديني ، دين الصّدق إلى دينكم دين السوء ، لا والله لا أدع ديني ، ولا أقرب دينكم ما حييت . فقدّمه ففُضِرَبَ عنقه ، وجمع معقل الناس فقال : أدّوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة . فأخذ من المسلمين عيالتين ، وعَمَدَ إلى النصراني وعيالهم فاحتملهم مقيلاً بهم ، وأقبل المسلمون معهم يشيعونهم ، فأمر معقل بردّهم ، فلما انصرفوا تصافحوا فبكوا ، وبكى الرجال والنساء بعضهم إلى بعض . قال : فأشهد أنّي رحمتهم رحمة ما رحمتها أحداً قبلهم ولا بعدهم .

٣٤٣٨/١

قال : وكتب معقل بن قيس إلى عليّ : أما بعد ، فإنّي أخبر أمير المؤمنين عن جُنْدِهِ وَعُلُوّه ، إنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف فوجدنا بها قِبَالَ ذات عِدّةٍ وحِدّةٍ وجِدّةٍ ، وقد جُمِعَتْ لنا ، وتحرّبت علينا ، فدعَوْنَاهم إلى الطاعة والجماعة ، وإلى حُكْمِ الكتاب والسنة ، وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين ، ورفعنا لهم رايةً أمان ، فآلَتْ إلينا منهم طائفة ، وبقيت طائفةٌ أخرى مُتَابِلَةٌ ، فقبلنا من التي أقبلت ، وصمَدْنَا صَمَدًا لَتي أدبرت ، ففُضِرَبَ الله وجوههم ونُصِرْنَا عليهم ، فأما من كان مسلماً فإنّا منّا عليه وأخذنا بيعته لأمر المؤمنين ، وأخذنا منهم الصلقة التي كانت عليهم ، وأما من ارتدّ فإنّا عرضنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلاّ قتلناه . فرجعوا غير رجل واحد ، فقتلناه ، وأما النصراني فإنّا سببناهم ، وقد أقبلنا بهم ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذمة ، لكيلا يمنوا بالجزية ، ولكيلا يمتدّوا على قتال أهل القبلة ، وهم أهل الصغار والذلل ، رحمك الله يا أمير المؤمنين ، وأوجب لك جنّات النعيم ، والسلام عليك !

٣٤٣٩/١

ثم أقبل بهم حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ ، وهو عاملٌ عليّ على أردشير خُزّه ، وهم خمسمائة إنسان ، فبكى النساء والصبيان ، وصاح

الرجال : يا أبا الفضل ، يا حامى الرجال^(١) ، وفككك العناة ، امنن علينا فاشترنا وأعتقنا ؛ فقال مصقلة : أقسم بالله لأتصدقن عليهم ، إن الله يسجى المتصدقين . فبلغها عنه معقل ، فقال : والله لو أعلم أنه قاله توجعاً لهم ، وزراء عليكم ، لضربت عنقه ، ولو كان فى ذلك تفانى تميم وبكر بن وائل . ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهل إلى معقل بن قيس فقال له : يخى بنى ناجية ؛ فقال : نعم ، أبيكم بألف ألف ، ودفعهم إليه ، وقال له : حمل بالمال إلى أمير المؤمنين ؛ فقال : أنا باعث الآن بصئر ، ثم أبعث بصدر آخر كذلك ؛ حتى لا يبقى منه شيء . إن شاء الله تعالى . وأقبل معقل بن قيس إلى أمير المؤمنين ، وأخبره بما كان منه فى ذلك ، فقال له : أحسنت وأصبحت ، وانتظر على مصقلة أن يبعث إليه بالمال ، وبلغ علياً أن مصقلة خلّى سبيل الأسارى ولم يسألم أن يُعيّنه فى فككك أنفسهم بشيء ، فقال : ما أظن مصقلة إلا قد تحمل حمالة ، ألا أراكم ستروته عن قريب ملبداً . ثم إنه كتب إليه : أما بعد ، فإن من أعظم الحيانة خيانة الأمة ، وأعظم الفيش على أهل المصر غش الإمام ، وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف ، فابعث بها إلى ساعة يأتيك رسولى ، وإلا فأقبل حين تنظر فى كتابى ، فإنى قد تقدمت إلى رسولى إليك ألا يدعك أن تقيم ساعة واحدة بعدد لومه عليك إلا أن تبعث بالمال ؛ والسلام عليك .

٢٤٤/١

وكان الرسول أبو جرة الحنفى ، فقال له أبو جرة : إن يبعث بالمال الساعة وإلا فاشخص إلى أمير المؤمنين . فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة ، فكتب بها أياماً . ثم إن ابن عباس سأله المال ، وكان عمال البصرة يحملون من كور البصرة إلى ابن عباس ، ويكون ابن عباس هو الذى يبعث به إلى على ؛ فقال له : نعم ، أنظرنى أياماً ، ثم أقبل حتى أتى علياً فأقره أياماً ، ثم سأله المال ، فأدّى إليه مائتى ألف ، ثم إنه عجز فلم يتقدر عليه .

قال أبو مخنف : وحدثنى أبو الصلت الأعور ، عن ذهل بن الحارث ،

(١) يملأ فى ابن الأثير : « وبلوى الحضب » .

قال : دعاني مَصْفَلَةٌ إِلَى رَحْلِي فَقَدِمَ عَشَاؤُهُ ، فَطَعِمْتُنَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ
 إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُنِي هَذَا الْمَالُ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ
 مَا مَضَيْتُ عَلَيْكَ جُمُعَةً حَتَّى تَجْمَعَ جَمِيعَ الْمَالِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَحْمِلُهَا
 قَوِي ، وَلَا أَطْلُبُ فِيهَا إِلَى أَحَدٍ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ ابْنَ هَنْدٍ هُوَ طَالِبُنِي
 بِهَا أَوْ ابْنُ عِفَّانٍ لَتَرَكْتُهَا لِي ، أَلَمْ تَرِ لِي ابْنَ عِفَّانٍ حَيْثُ أَطْعَمَ الْأَشْعَثَ مِنْ
 خِرَاجٍ أَذْرِييَاجَانَ مِائَةَ أَلْفٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ! فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ هَذَا لَا يَرَى هَذَا
 الرَّأْيَ ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِبَازِلٍ شَيْئًا كُنْتُ أَخَذْتُهُ ، فَسَكَتَ سَاعَةً ، وَسَكَتَ

٢٤٤١/١

عِنْدَهُ ، فَلَا وَاللَّهِ مَا مَكَثَ إِلَّا لَيْلَةً وَاحِدَةً بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ حَتَّى لَحِقَ بِمَعَاوِيَةَ .
 وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَقَالَ : مَا لَهُ بَرَحَهُ اللَّهُ ، فَعَمِلَ فِعْلَ السَّيِّدِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبْدِ ،
 وَخَانَ خِيَانَةَ الْقَاجِرِ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ أَقَامَ فَصَجَرَ مَا زِدْنَا عَلَى حَبْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدْنَا
 لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَاهُ ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَالِهِ تَرَكْنَاهُ . ثُمَّ سَارَ إِلَى دَارِهِ فَتَنَفَّضَهَا
 وَهَدَمَهَا ، وَكَانَ أَخُوهُ نَعِيمُ بْنُ هُبَيْرَةَ شَيْعِيًّا ، وَلَعَلَّ مُنَاصِحًا ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ
 مَصْفَلَةٌ مِنَ الشَّامِ مَعَ رَجُلٍ مِنَ النَّصَارَى مِنْ بَنِي تَغْلِبَ يُقَالُ لَهُ حُلُونُ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي كَلَّمْتُ مُعَاوِيَةَ فَبَكَى ، فَوَعَدَكَ الْإِمَارَةَ ، وَمَنَّاكَ الْكِرَامَةَ ،
 فَأَتَيْتُ لِي سَاعَةً يَلْقَاكَ رَسُولِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَأَخَذَهُ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرَجِيُّ ، فَسَرَّحَ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَأَخَذَ كِتَابَهُ
 فَقَرَأَهُ ، فَقَطَعَ يَدَ النَّصْرَانِيِّ ، فَمَاتَ ، وَكُتِبَ نَعِيمٌ إِلَى أَخِيهِ مَصْفَلَةٌ :

لَا تَزِيمِينَ هَذَاكَ اللَّهُ مُخْتَرِضًا بِالظَّنِّ مِنْكَ فَمَا بِأَلَى وَحُلُونًا!
 ذَلِكَ الْحَرِيصُ عَلَى مَا نَالَ مِنْ طَمَعٍ وَهُوَ الْبَعِيدُ فَلَا يُخَرِّنُكَ إِذْ خَانَا
 مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى إِزْسَالِهِ سَفَهًا تَرْجُو سِقَاطَ أَمْرِي لَمْ يُلْفَ وَتَسْنَانَا
 عَرَضَتْهُ لِيَسْلُ إِنَّهُ أَبْسَدُ بِمَشَى الْبَرَضَةِ مِنْ أَسَادِ خَفَانَا^(١)

٢٤٤٢/١ قد كُنْتُ فِي مَنْظَرٍ عَنْ ذَا وَتُسْتَمَعُ تَحْيَى الْعِرَاقِ وَتُدْعَى خَيْرَ شَيْبَانَا

(١) بِمَشَى الْبَرَضَةِ : يَعْنِي لِيَسْقِ فَيَرَى .

حَتَّى تَقَحُّنْتَ أَمْرًا كُنْتَ تَكْرَهُهُ لِلرَّاكِبِينَ لَهُ سِرًّا وَإِعْلَانًا
 لَوْ كُنْتَ أَذِنْتَ مَا لِلْقَوْمِ مُضْطَرِيرًا لِلْحَقِّ أُخِيتَ أَحْيَانًا وَمَوْتَانَا^(١)
 لَكِنْ لَحِقْتَ بِأَهْلِ الشَّامِ مُلْتَمِسًا فَضَّلَ ابْنُ هِنْدٍ ذَلِكَ الرَّأْيَ أَشْجَانًا
 فَالْيَوْمَ تَقْرَعُ بَيْنَ الْغُرَمِ مِنْ نَدَمٍ^(٢) مَاذَا تَقُولُ وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَا !
 أَصْبَحْتَ تَبْغِضُكَ الْأَحْيَاءُ قَاطِبَةً لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ بِالْبَغْضَاءِ إِنْسَانًا
 فَلَمَّا وَقَعَ الْكِتَابُ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنَّ رَسُولَهُ قَدْ هَلَكَ ، وَلَمْ يَلْبَثِ التَّغْلِيظُونَ إِلَّا
 قَلِيلًا حَتَّى يُلَاقَهُمْ هَلَاكُ صَاحِبِهِمْ حُلُوانَ ، فَأَتُوا مَصْقَلَةً فَقَالُوا : إِنَّكَ بَعَثْتَ
 صَاحِبَنَا فَأَمْلَكْتَهُ ، فَلَمَّا أَنَّ نُحْيِيهِ وَإِنَّا أَنْ تَدِيَهُ ، فَقَالَ : أَمَا أَنَّ أَحْيِيَهُ
 فَلَا أَسْتَطِيعُ ، وَلَكِنِّي سَأُورِيهِ ، فَوَاعَدَاهُ .

قال أبو مخنف : وحديثي عبد الرحمن بن جندب ، قال : حدثني
 أبي ، قال : لما بلغ عليًّا مصابُ بني ناجية وقتلُ صاحبهم قال : موت أمه !
 ما كان أنقص عقله ، وأجرأه على ربه ! فلن جانيًا جاعف مرة فقال لي :
 في أصحابك رجالٌ قد خشيتُ أن يفارقوك ، فما ترى فيهم ؟ قلت له :
 إني لا آخذ على التهمة ، ولا أعاقب على الظن ، ولا أقاتل إلا من خالفني
 وفاصبني وأظهر لي العداوة ، ولست مقاتله حتى أدهوه وأعيدوا إليه ، فلن
 تاب ورجع إلينا قبلنا منه ، وهو أخونا ، وإن أبي إلا الاعتزام على حربنا
 استمنا عليه الله ، وناجرتناه . فكف عن ما شاء الله . ثم جاعف مرة أخرى
 فقال لي : قد خشيتُ أن يفقد عليك عبد الله بنُ وهب الراسي وزيدُ بنُ
 حصين ، إني سمعتهما يذكراذك بأشياء لو سمعتهما لم تفارقهما عليهما حتى
 تقتلتهما أو تويقهما ، فلا تفارقهما من حبسك أبدًا ، قلت : إني مستشيرك
 فيهما ، فإذا تأمرني به ؟ قال : فلن آمرك أن تلحق بهما ، فضربت رقابهما ،
 فعلمت أنه لا ويرع ولا عاقل ، قلت : والله ما أغتلك وبعًا ولا عاقلاً

(١) ابن الأثير : « مال القوم » ، « ينساق » ، « مال » ، « إلى ما بعده » . وخفف « أحياها » لشر ،
 والأصل فيه « أحياها » بالهمز .

(٢) ابن الأثير : « من العجز » .

نافعاً ، والله لقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول : اتق الله ، لم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحداً ، ولم ينادوك ، ولم يخرجوا من طاعتك !

• • •

وحج بالناس في هذه السنة قُتِمَ بن العباس من قيسل على عليه السلام .
حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكان قُتِمَ يومئذ حامل على مكة ، وكان على اليمن عبيد الله بن العباس ،
وعلى البصرة عبد الله بن العباس .

واختلف في عامله على خراسان فقيل : كان خليد بن قرّة البربري ،
وقيل : كان ابن أبزي ، وأما الشام ومصر فإنه كان بهما معاوية وعماله .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

فما كان فيها من الأحداث المذكورة :

تفريق معاوية جيوشه في أطراف على

فوجه النعمان بن بشير - فيما ذكر على بن محمد بن عروة سقى ألقى^(١) رجل إلى عين التمر ، وبها مالك بن كعب مسلحة لعل في ألف رجل ، فأذن لهم ، فأتوا الكوفة ، وأتاه النعمان ، ولم يبق معه إلا مائة رجل ، فكتب مالك إلى على يخبره بأمر النعمان ومن معه ، فخطب على الناس ، وأمرهم بالخروج ، فشقوا ، وواقع مالك النعمان ، والنعمان في ألفي رجل ومالك في مائة رجل ، وأمر مالك أصحابه أن يحيطوا جدر^(٢) القرية في ظهورهم ، واقتلوا . وكتب إلى غنم بن سكين يسأله أن يمدّه وهو قريب منه ، فقاتلهم مالك ابن كعب في المصابة التي معه كأشد القتال ، وجهه إليه غنم ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً ، فانتهزوا إلى مالك وأصحابه ، وقد كسروا جفون سيوفهم ، واستقتلوا ، فلما رأهم أهل الشام وذلك عند المساء ، ظنوا أن لهم مدداً وانهمزوا ، وتبعهم مالك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ومضوا على وجوههم .

* * *

حدثني عبد الله بن أحمد بن شتويه المروزي ، قال : حدثنا أبي ، قال :

حدثني سليمان ، عن عبد الله ، قال : حدثني عبد الله بن أبي معاوية ، عن عمرو بن حسان ، عن شيخ من بني قنطرة ، قال : بعث معاوية النعمان بن بشير في ألفين ، فأتوا عين التمر ، فأغاروا عليها ، وبها حامل لعل يقال له ابن فلان الأرحي في ثلثة ، فكتب إلى على يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه ، فشقوا ، فصعد المنبر ، فأنهت إليه وقد سبكت بالشهد وهو يقول :

(١) ابن الأثير والثيري : ه ألفه . (٢) الجدر : الحائط .

يا أهل الكوفة ، كلما سمعتم بخبر من مناسر^(١) أهل الشام أظلمكم وأغلق بابيه انجحر كل امرئ منكم في بيته انجحار الضب في جحره والفسح في وجارها ، المفرور من غررقه ، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأغيب . لا أحرار عند النساء ، ولا إخوان ثقة عند التجار ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا منيت به منكم ! عى لا تبصرون ، وبكم لا تتلقون ، وصم لا تسمعون^(٢) إنا لله وإنا إليه راجعون .

• • •

رجع الحديث إلى حديث عوانة . قال : ووجه معاوية في هذه السنة سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل ، وأمره أن يأتي هيت فيقطعها ، وأن يُغير عليها ، ثم يغي حتى يأتي الأنبار والمذائن فيبيع بأهلها ، فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعل تكون خمسة رجل ، وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا مائة رجل ، فقاتلهم ، فصبوهم أصحاب على مع قتلهم ، ثم حملت عليهم الخيل والرعاة ، فقتلوا صاحب المسلحة ، وهو أشرم من حسان البكري في ثلاثين رجلاً ، واحتلوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، ورجعوا إلى معاوية . وبلغ الخبر علياً ، فخرج حتى أتى النخيلة ، فقال له الناس : نحن نكفئك ، قال : ما تكفوني ولا أنفسكم ، وسرح سعيد ابن قيس في أثر القوم ، فخرج في طلبهم حتى جاز هيت ، فلم يلحقهم فرجع .

• • •

قال : وفيها وجه معاوية أيضاً عبد الله بن مسعدة التمراري في ألف وستمائة رجل إلى تيماء ، وأمره أن يصدق^(٣) من مر به من أهل البوادي ، وأن يقتل من امتنع من عطائه صدقة ماله ، ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز ،

(١) المناسر : قلعة من الجيش تكون أمام الجيش الكبير .

(٢) ابن الأثير : « يسمرون . يعلقون . يسمون » .

(٣) الصدقة : مهر الذي يجمع الصدقات .

يفعل ذلك ، واجتمع إليه بشرٌ كثير من قومه ، فلما بلغ ذلك علياً وجه المسيّب ابن نجبة الفزاري^(١) ، فسار حتى لحق ابن مسعدة بتيّماء ، فاقتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس قتالاً شديداً ، وحمل المسيّب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات ، كلّ ذلك لا يلتبس قتله ويقول له : النجاء النجاء ! فدخل ابن مسعدة وعامة من معه الحصن ، وهرب الباقيون نحو الشام ، وانتهب الأعراب لابل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة ، وحصره ومن كان معه المسيّب ثلاثة أيام ، ثم ألقى الحطّاب على الباب ، وألقى النيران فيه ، حتى احترق ، فلما أحسوا بالهلاك أشرّفوا على المسيّب فقالوا : يا مسيّب ، قومك ! فرق لهم ، وكره هلاكهم ، فأمر بالنار فأطفئت ، وقال لأصحابه : قد جاءني عيون فأخبروني أن جنداً قد أقبل إليكم من الشام ، فانضموا في مكان واحد . فخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشام ، فقال له عبد الرحمن بن شبيب : سِر بنا في طلبهم ، فأبى ذلك عليه ، فقال له : غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم .

• • •

وفيها أيضاً وجه معاوية الضحاك بن قيس ، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة ، وأن يُغيّر على كلّ من مرّ به ممن هو في طاعة عليّ من الأعراب ، ووجّه معه ثلاثة آلاف رجل ، فسار فأخذ أموال الناس ، وقتل من لقي من الأعراب ، ومنزّ بالثعلبية فأغار على مسالح عليّ ، وأخذ أمتعتهم ، ومضى حتى انتهى إلى القطعطانة ، فأتى عمرو بن عيسى بن مسعود ، وكان في خيل لعلّ وأمامه أهله ، وهو يريد الحجّ ، فأغار على من كان معه ، وحجسه عن السير ، فلما بلغ ذلك علياً مرّح حُجّر بن عدى الكندي في أربعة آلاف ، وأعطاهم خمسين خمسين ، فلحق الضحاك بتدّمر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ، وقتل من أصحابه رجلاً ، وحال بينهم الليل ، فهرب الضحاك وأصحابه ، ورجع حُجّر ومن معه .

• • •

(١) يملأ في ابن الأثير والتويري : « في ألف رجل » .

وفيها سار معاوية بنفسه إلى دِجْلَةٍ حتى شارَفَهَا ، ثم نكصَ راجعاً ،
 ذكر ذلك ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثني ابن جريج ، عن
 ابن أبي مُلَيْكَةَ قال : لما كانت سنة تسع وثلاثين أُشْرِفَ عليها معاوية .
 وحدثني أحمد بن ثابت ، عن زكريا ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
 أبي معشر مثله .

* * *

واختلف فيمن حجَّ بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حجَّ بالناس
 فيها عبيد الله بن عباس من قبل عليّ . وقال بعضهم : حجَّ بهم عبد الله
 ابن عباس ؛ فحدثني أبو زيد عمر بن شبة ، قال : يقال إن علياً وجّه ابن عباس
 ليشهد الموسم ويصل بالناس في سنة تسع وثلاثين ، وبعث معاوية يزيد
 ابن شجرة الرهاوي .

٢٤٤٨/١

قال : وزعم أبو الحسن أن ذلك باطل ، وأن ابن عباس لم يشهد الموسم
 في عمل حتى قُتِلَ عليّ عليه السلام ، قال : والذي نازعه يزيد بن شجرة قُتِمَ
 ابن العباس ، حتى إنهما اصطلحا على شية بن عثمان ، فصلى بالناس سنة تسع وثلاثين .
 وكالذي حكيت عن أبي زيد عن أبي الحسن ، قال أبو معشر في ذلك :
 حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي ، عن زكريا ، عن إسحاق بن عيسى عنه .
 وقال الواقدي : بعث عليّ على الموسم في سنة تسع وثلاثين عبيد الله بن
 عباس ، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ليقم للناس الحج ، فلما
 اجتماعاً بمكة تنازعا ، وأتى كل واحد منهما أن يسلم لصاحبه ، فاصطلحا
 على شية بن عثمان بن أبي طلحة .

* * *

وكانت عمّال عليّ في هذه السنة على الأمصار الذين ذكرنا أنهم كانوا
 عمّالَه في سنة ثمان وثلاثين غير ابن عباس ، كان شَخْصٌ في هذه السنة
 عن عمله بالبصرة ، واستخلف زياداً — الذي كان يقال له : زياد بن أبيه —
 على الحِراج ، وأبى الأسود الدؤليّ على القضاء

[ذكر توجيه ابن عباس زياداً إلى فارس وكرمان]

وفي هذه السنة وجه ابن عباس زياداً عن أمر عليّ إلى فارس وكرمان عند منصرفه من عند عليّ من الكوفة إلى البصرة .

• ذكر سبب توجيهه إياه إلى فارس :

٢٤٤٩/١

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : لما قتل ابن الحضرميّ واختلف الناسُ على عليّ ، طمّيع أهل فارس وأهل كترمان في كسر الخراج ، فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم ، وأخرجوا عمّالهم .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو القاسم ، عن سلمة بن عثمان ، عن عليّ بن كثير ، أنّ عليّاً استشار الناس في رجل يولّيه فارس حين امتنعوا من أداء الخراج ، فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأي ، عالم بالسياسة ، كاف لِمَنَ ولي ؟ قال : من هو ؟ قال : زياد ، قال : هو لها ، فولّاه فارس وكرمان ، وجهته في أربعة آلاف ، فلوّخ تلك البلاد حتى استقاموا .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن عليّ بن مجاهد ، قال : قال الشعبي : لما انتقض أهل البهايل وطمع أهل الخراج في كسره ، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عاملاً عليها لعلّ - قال ابن عباس لعلّ : أكفيك فارس ، فقدم ابن عباس البصرة ، وجهه زياداً إلى فارس في جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس ، فأدّوا الخراج .

حدثني عمر ، قال : حدثني أبو الحسن ، عن أيوب بن موسى ، قال : حدثني شيخ من أهل إصطخر قال : سمعت أبي يقول : أدركتُ زياداً وهو أمير على فارس وهي تنصرم نارا ، فلم يزل بالمداواة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة ، لم يقف موقفاً للحرب ، وكان أهل فارس يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنو شيروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداواة والعلم بما يأتي .

قال : ولما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها ، فوعد من نصره ومنه ، وخوف قوماً وتوعدهم ، وضرب بعضهم ببعض ، ودل بعضهم على عورة بعض ، وهربت طائفة ، وأقامت طائفة ، فقتل بعضهم بعضاً ، وصفت له فارس ، فلم يلتقَ فيها جمعاً ولا حرباً ، وفعل مثل ذلك بكثير مان ، ثم رجع إلى فارس ، فسار في كورها ومنامهم ، فسكن الناس إلى ذلك ، فاستقامت له البلاد ، وأتى إصطختر فترها وحصن قلعة بها ما بين بيضاء إصطختر وإصطختر ، فكلت تسمى قلعة زياد ، فحمل إليها الأموال ، ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور الشكري ، فهي اليوم تسمى قلعة منصور.

ثم دخلت سنة أربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك توجه معاوية بـسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز .

فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عروانة ، قال : أرسل معاوية ابن أبي سفيان بعد تحكيم الحكمين بـسر بن أبي أرطاة — وهو رجل من بني عامر بن لؤي في جيش — فساروا من الشام حتى قدموا المدينة ، وعامل

٣٤٥١/١

على أهل المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري ، ففرّ منهم أبو أيوب ، فأتي علياً بالكوفة ، ودخل بـسر المدينة ، قال : فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد ، فنأدى على المنبر : يا دينار ، يا نجار ، يا زريق ، شينخي شينخي ! عهدى به بالأمس ، فأين هو ! يعني عثمان ، ثم قال : يا أهل المدينة ، والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركتُ بها محتلياً إلا قتله . ثم بايع أهل المدينة ، وأرسل إلى بني سليمة ، فقال : والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله ، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : ماذا ترين ؟ إلى قد خشيتُ أن أقتل ، وهذه بيعة ضلالة ، قالت : أرى أن تبائع ، فإني قد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع ، وأمرتُ ختنتي عبد الله بن زمة — وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله بن زمة — فأتاه جابر فبايعه ، وهدم بـسر دوراً بالمدينة ، ثم مضى حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى أن يقتله ، فقال له بـسر : ما كنتُ لأفعل بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فخلني عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمس : إن خيلاً مبعوثاً من عند معاوية تقتل الناس ، تقتل من أتى أن يقر بالحكومة . ثم مضى بـسر إلى اليمس ، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعل ، فلما بلغه سيره فرّ إلى الكوفة حتى أتى علياً ، واستخلف عبد الله بن عبد المطلب الحارثي على اليمس ، فأتاه بـسر

٣٤٥٢/١

فقتله وقتل ابنته ، ولقي بُسْر ثَقَل عبيد الله بن عباس . وفيه ابنان له صغيران ، فذبَحهما . وقد قال بعض الناس : إنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية ، فلما أراد قتلَهما قال الكناني : علامَ تَقْتُل هذين ولا ذنب لهما ؟ فلان كنت قاتِلَهما فاقْتلني ، قال : أقبل ، فبدأ بالكناني فقتله ، ثم قتلَهما ثم رجع بُسْر إلى الشام . وقد قيل : إن الكناني قاتل عن الطفليين حتى قُتِل ، وكان اسمُ أحدِ الطفليين اللذين قتلَهما بُسْر : عبد الرحمن ، والآخَر قُتِم . وقتل بُسْر في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي باليمن . وبلغ علياً خبر بُسْر ، فوجّه جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى أتى نَجْرانَ فحرق بها ، وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم ، وهرب بُسْر وأصحابه منه ، وأتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعونا ، فقالوا : قد هلك أمير المؤمنين ، فليمن نبايع ؟ قال : لمن بايع له أصحاب علي ، فثاقلوا ، ثم بايعوا . ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّي بهم ، فهرب منه ، فقال جارية : والله لو أخذتُ أبا سِنُور لضربتُ عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا الحسن بن علي ، فبايعوه وأقام يومه ، ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة ، وعاد أبو هريرة فصلّى بهم .

• • •

وفي هذه السنة - فيما ذكر - جرت بين علي وبين معاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب - على وضع الحرب بينهما ، ويكون لعل العراق ولعاقبة الشام ، فلا يخل أحدُهما على صاحبه في عمله يمشي ولا غارة ولا غزو .

٢٤٥٢/١

قال زياد بن عبد الله ، عن أبي إسحاق : لما لم يخل أحدُ الفريقين صاحبة الطاعة كتب معاوية إلى علي : أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام ، وتكف السيف عن هذه الأمة ، ولا تُهزريق دماء المسلمين ، ففعل ذلك ، وتراضيا على ذلك ، فأقام معاوية بالشام ينجيها من جنودها ، وعلى بالعراق ينجيها ويقسمها بين جنوده .

• • •

[خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة]

وفيها خرج عبد الله بن العباس من البصرة ولقى مكة في قول عامة أهل السير ، وقد أنكر ذلك بعضهم ، وزعم أنه لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قبيل أمير المؤمنين على عليه السلام حتى قُتل ، وبعد مقتل على حتى صالح الحسن معاوية ، ثم خرج حيثل إلى مكة .

• ذكر الخبر عن سبب شخوصه إلى مكة وتركه العراق :

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني جماعة عن أبي مخنف ، عن سليمان ابن أبي راشد^(١) ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ، قال : مر عبد الله بن عباس على أبي الأسود الدؤلي ، فقال : لو كنت من البهائم كنت جَمَلًا ، ولو كنت راعياً ما بلغت من المرعى ، ولا أحسنت مهنته في المشي . قال : فكتب أبو الأسود إلى علي :

أما بعد ، فإن الله جلّ وعلا جعلك والياً مؤمناً ، وراعياً مستولياً ، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ، ناصحاً للرعية ، توفّر لم فيئهم ، وتظلف^(٢) نفسك عن دنياهم ، فلا تأكل أموالهم ، ولا ترشّ في أحكامهم . وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير حيلك ، فلم يسحق كما نلّك ذلك ، فانظر رحمك الله فيها هناك ، واكتب إلى برأيك فيها أحببت أنته إليك . والسلام .

فكتب إليه علي : أما بعد ، فشك نصيح الإمام والأمة ، وأدى الأمانة ، ودل على الحق ، وقد كتبت إلى صاحبك فيها كتبت إلى فيه من أمره ، ولم أعلمه أنك كتبت ، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ، وهو حق واجب عليك ، والسلام^(٣) .

وكتب إلى ابن عباس في ذلك ، فكتب إليه ابن عباس : أما بعد ، فإن الذي بلغك باطل ، وإني ليمّا تحت يدي ضابط قائم له وله حافظ ، فلا تصدق الظنون ، والسلام .

قال : فكتب إليه علي : أما بعد ، فأعلمني ما أخلت من الجزية ،

(١) ساقط من ط . (٢) ابن الأثير : « وتكف » ، وتظلف : تمنع .

(٣) الخبر في طبقات النعمانيين والفرقون الزيدية : ٩٦ :

وَمِنْ أَيْنِ أَخَذْتَ ؟ وَفِيمَ وَضَعْتَ ؟

قال : فكذب إليه ابنُ عباس : أما بعد ، فقد فهمتُ تعظيمك مَرْزَاةَ ما بَلَغْتَ أَتَى رَزَاةُ^(١) من مال أهلِ هذا البلد ، فابعتُ إلى عملك مَنْ أَحْبَبْتُ ، فَلَيْتَ ظَاعِنٌ عَه . والسلام .

ثم دعا ابنُ عباس أخواله بنى هلال بن عامر ، فجاءه الضحَّاك بن عبد الله وعبد الله بن رَزَيْن بن أبي عمرو والمُحَلِّيان ، ثم اجتمعت معه قيس كلُّها فحمل مالا .

٢٤٥٥/١ قال أبو زيد : قال أبو عبيدة : كانت أَرْزَاقًا قد اجتمعتُ ، فحمل معه مقدار ما اجتمع له ، فبعثتُ الأَخماس كلها ، فالحقوه بالطَّعْفُ ، فتواقفوا يريدون أخذَ المال ، فقالت قيس : والله لا يُوصَلُ إلى ذلك وفيها عينٌ تَطْرِفُ . وقال صبرة بن شيان الحدَّائي : يا معشر الأَزْد ، والله إن قيسًا لإخواننا في الإسلام ، وجيراننا في النار ، وأُعوأنا على العدو ، وإن الذي يصيبكم من هذا المال لو رُدَّ عليكم لقليل ، وهم غداً خيرٌ لكم من المال . قالوا : فأتى ترى ؟ قال : انصرفوا عنهم ودَّعوهم ، فأطاعوه فانصرفوا ، فقالت بكر وعبد القيس : نعم الرَّأْيُ رَأْيُ صَبِيْرَةٍ لقومه ، فاعتزلوا أيضًا ، فقالت بنو تميم : والله لا نفارقهم ، فقاتلهم عليه . فقال الأحنف : قد ترك قاتلهم من هو أبعدُ منكم رَحِيْمًا ، فقالوا : والله لِنَقَاتِلَنَّهُمْ ، فقال : إذا لا أساعدكم عليهم ، فاعتزلتهم ، قال : فرأسوا عليهم ابنُ المُجَاعَةِ من بنى تميم ، فقاتلوهم ، وحمل الضحَّاك على ابنِ المُجَاعَةِ قطعته ، واعتنقه عبد الله بن رَزَيْن ، فسقطا إلى الأرض يعتريَ كان ، وكثرت الجراح فيهم ، ولم يكن بينهم قتيل ، فقالت الأَخماس : ما صنعنا شيئًا ، اعتزلناهم وتركناهم يتحاربون ، فضرَبوا وجوه بعضهم عن بعض ، وقالوا لبنى تميم : لنحن أسخى منكم أنفسًا حين تركنا هذا المال لبنى عَمِّكم ، وأنتم تقاتلونهم عليه ، إن القوم قد حملوا وحُمُوا ، فحكَّوهم ، وإن أحببتم فانصرفوا . ومضى ابنُ عباس ومعه نحو من عشرين رجلاً حتى قدِمَ مَكَّةَ .

وحدثني أبو زيد، قال : زعم أبو عبيدة - ولم أسمعه منه - أن ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قُتل على عليه السلام ، فشخص إلى الحسن ، فشهد الصلح بينه وبين معاوية ، ثم رجع إلى البصرة وثَقَلَهُ بها ، فحَمَلَهُ ومالاً من بيت المال قليلاً ، وقال : هي أرزاقى .

قال أبو زيد : ذكرتُ ذلك لأبي الحسن فأَنكَرَهُ ، وزعمَ أن علياً قُتل وابن عباس بمكة ، وأن الذى شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عيْدُ الله بن عباس .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل علي بن أبي طالب]

وفى هذه السنة قُتِلَ علي بن أبي طالب عليه السلام ، واختلف في وقت قتله ، فقال أبو معشر ما حدثني به أحمد بن ثابت ، قال : حدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : قُتل علي في شهر رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة خلت منه سنة أربعين ، وكذلك قال الواقدي ، حدثني بذلك الحارث ، عن ابن سعد عنه ، وأما أبو زيد فحدثني عن علي بن محمد أنه قال : قُتِلَ علي بن أبي طالب بالكوفة يوم الجمعة لإحدى عشرة . قال : ويقال : لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين . قال : وقد قيل في شهر ربيع الآخر سنة أربعين .

• ذكر الخبر عن سبب قتله ومقتله :

حدثني موسى بن عثمان^(١) بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا عبد الرحمن الحرآني أبو عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل بن راشد ، قال : كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن حيد الله وعمر بن بكر التميمي اجتمعوا ، فتذاكروا أمر الناس ، وعابوا علي ولأنهم^(٢) ، ثم ذكروا أهل النهر ، فترحموا عليهم ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً ! إخواننا الذين كانوا دُعاة الناس لعبادة ربهم ، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شَرَرْنَا أنفسنا فأَتَيْنَا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم ، فأرحمنا منهم

(٢) ابن الأثير : • حملوا عليهم • .

(١) ساقط من ط .

البلاد ، وثأرنا بهم إخواننا ! فقال ابن ملجَم : أنا أكفيكم على بن أبي طالب - وكان من أهل مصر - وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان ؛ وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فضعأتموا وتواثقوا بالله لا يتكئص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه . فأخذوا أسياقهم ، فسموها ، واتبعوها لبيع عشرة تخلو من رمضان . أن يشب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه ، وأقبل كل رجل منهم إلى الميصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب .

فأما ابن ملجَم المرادى فكان عياده في كيندة ، فخرج فلقى أصحابه بالكوفة ، وكانتهم أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره ، فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تيمم الرباب - وكان على قتل منهم يوم النهر عشرة - فذكروا قتلهم ، ولقى من يومه ذلك امرأة من تيمم الرباب يقال لها : قطام ابنة الشجن - وقد قتل أباه وأخاه يوم النهر ، وكانت فائقة الجمال - فلما رآها التيسر بمقله ، ونسى حاجته التي جاء لها ، ثم خطبها ، فقالت : لا أتزوجك حتى تشفى لي قال : وما يشفيك ؟ قالت : ثلاثة آلاف وعبد

وقية وقتل على بن أبي طالب ، قال : هو مهر لك ، فأما قتل على فلا أراك ذكرته لي وأنت تريدني^(١) ! قالت : بلى ، الشمس غرته ، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ، ويهنئك العيش معي ، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها ، قال : فوالله ما جاء بي إلى هذا الميصر إلا قتل على ، فلك ما سألت . قالت : إني أطلب لك من يسند ظهرك ، ويساعدك على أمرك ، فبعثت إلى رجل من قومها من تيمم الرباب يقال له : وردان فكلسته فأجابها ، وأتى ابن ملجَم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : قتل على بن أبي طالب ؛ قال : ثكلتك أمك ! لقد جئت شيئاً إداً ، كيف تقدر على ذلك . قال : أكنن له في المسجد ، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه قتلناه ، فإن نجونا شفيتنا أنفسنا ، وأدركنا ثأرك ، وإن قتلنا فما

٢٤٥٨/١

عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها . قال : وَيَحْك ! لو كان غير عليٍّ لكان أهون عليٍّ ، قد عرفت بلاءه في الإسلام ، وصايقته مع النبي صلى الله عليه وسلم وما أجلى أنشراح لقلته . قال : أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين ! قال : بلى ، قال : فقتله بمن قُتل من إخواننا ، فأجابه — فجاءوا قطيماً — وهى في المسجد الأعظم معتكفة — فقالوا لها : قد أجمع رأينا على قتل عليٍّ ، قالت : فإذا أردتم ذلك فأتوني ، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قُتل في صبيحتها على سنة أربعين — فقال : هذه الليلة التي واعدتُ فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه ، فدعت لهم بالحريز فقصبتهم به ، وأخذوا أسياقهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليٌّ ، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف . فوقع سيفه بعصاة^(١) الباب أو الطاق ، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف ، وهرب وردان حتى دخل منزله ، فدخل عليه رجل من بني أبيه^(٢) وهو يتزع الحريز عن صدره ، فقال : ما هذا الحريز والسيف ؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قَتَلَه ، وخرج شبيب نحو أبواب كيندة في الغكس ، وصاح الناس ، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر ، وفي يد شبيب السيف ، فأخذه ، وجثم عليه الحضرمي ، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه ، وسيف شبيب في يده ، خشي على نفسه ، فركه ، ونجا شبيب في غمار الناس ، فشدوا على ابن ملجم فأخذوه ، إلا أن رجلاً من همدان يُكنى أبا آدماء أخذ سيفه فضرب رجله ، فصترعه ، وتأخر عليٌّ ، ورفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ، فصلّى بالناس الغداة ، ثم قال عليٌّ : عليٌّ بالرجل ، فأذيع عليه ، ثم قال : أى عدو الله ، ألم أحسن إليك ! قال : بلى ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذتُه أربعين صباحاً ، وسألتُ الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال عليه السلام : لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شر خلقه .

وذكروا أن ابن ملجم قال قبل أن يضرب علياً — وكان جالساً في بني بكر — ابن وائل إذ مرَّ عليه بجنادة أيمر بن جابر العجليّ أبي حجار ، وكان نصرانياً ،

(١) عصاة الباب : الحربة المنصوبة من يمين الداخل أو شماله .

(٢) ابن الأثير والنويري : « من أهل » .

والتصارى حوله ، وأناس مع حجاب لمترله فيهم يمشون في جانب وفيهم شقيق ابن ثور - فقال ابن ملجم : ما هؤلاء ؟ فأخبر الخبر ، فأنشأ يقول :

لئن كان حَجَّارُ بَنٍ أَبَجَرَ مُسْلِمًا لقد بُوعِدَتْ منه جَنَازَةُ أَبَجَرَ
وإن كان حَجَّارُ بَنٍ أَبَجَرَ كَافِرًا فما مِثْلُ هذا من كَفُورٍ بِمُنْكَرٍ
أَتَرَضَوْنَ هذا أَنْ قَيْسًا وَمُسْلِمًا جميعاً لدى نَعِشٍ ، فَبِاقْبَحٍ مَنَظَرٍ !
فلولا الَّذِي أَنَوَى لَفَرَّقَتْ جَنَمَهُم بِأَبْيَضٍ مَصْقُولِ الدِّبَاسِ مُشْمَرٍ
ولكننى أَنَوَى بِذلكَ سِيلَةً إلى الله أو هذا فخذ ذاك أو ذَرِ

وذكر أن محمد بن الحنفية ، قال : كنت والله إلى لأصلى تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم ، في رجال كثير من أهل المِصْر ، يصلون قريباً من السدة ، ما هم إلا قيام وركوع وسجود ، وما يسمون من أول الليل إلى آخره ، إذ خرج علي لصلاة الغداة ، فجعل ينادى : أيها الناس ، الصلاة الصلاة ! فما أدري أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا ! فنظرت إلى بريق ، وسمعت : الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك ، فرأيت سيفاً ، ثم رأيت ثانياً ، ثم سمعتُ علياً يقول : لا يفوتنكم الرجل ، وشد الناس عليه من كل جانب . قال : فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل علي علي ، فدخلت فيمن دخل من الناس ، فسمعتُ علياً يقول : النفس بالنفس ، إن أنا ميت فاقطوه كما قتلنى ، وإن بقيتُ رأيت فيه رأى .

٣٤٦١/١

وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فترعين لما حدث من أمر علي ، فيبها هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه ، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكى : أي علو الله ، لا بأس علي أبى ، والله عزيرك ! قال : فعل من تبكين ؟ والله لقد اشتريته بألف ، وسمته بألف ، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المِصْر ما بقى منهم أحد .

وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فقال له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قتلناك - ولا نقتلك - فنباع الحسن ؟ فقال : ما أمركم

ولا أنهاكم ، أنتم أبصر . فردّ عليه مثلها ، فدعا حسناً وحسيناً ، فقال :
أوصيكمما بتقوى الله ، وألا تبغيا الدنيا وإن بختكما ، ولا تبكيا على
شيء زوى عنكما ، وقولاً الحق ، وإرحم اليتيم ، وأغيث الملهوف ، واصنم
للآخرة ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً ، وأعملوا بما في الكتاب ^(١) ،
ولا تأخذوا كما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى محمد بن الحنفية ، فقال : هل حفظت
ما أوصيت به أخوتك ؟ قال : نعم ، قال : فإني أوصيك بمثله ، وأوصيك
بتوقيز أخوتك ، لعظيم حقهما عليك ، فاتبع أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما .
ثم قال : أوصيكمما به ، فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمنا أن أباكما
كان يجهل . وقال الحسن : أوصيك أباي بتقوى الله ، وإقام الصلاة لوقتها ،
وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة إلا بطهور ، ولا تقبل
صلاة من مانع زكاة ، وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة
الرحيم ، والحلم عند الجهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمر ، والتمهّد
للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجتناب
الفواحش .

فلما حضرته الوفاة أوصى ، فكانت وصيته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب ، أوصى
أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ثم إن
صلاتي ونسكبي وتحياي ومآقي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت
وأنا من المسلمين ، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي الله ربكم ،
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني
سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من
عامّة الصلاة والصيام » ! انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم
الحساب ، الله الله في الآيتام ، فلا تُعنوا أفواههم ، ولا يضيعن بحضرتكم .
والله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم ، ما زال يؤمّي

٣٤٦٣/١

به حتى ظننا أنه سيورثه . والله الله في القرآن ، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ، فإنها عمود دينكم . والله الله في بيت ربكم فلا تخلطوه ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم ينظر ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في الزكاة ، فإنها تطوع غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم ، فلا يظلمن بين أظهركم ، والله الله في أصحاب نبيكم ، فإن رسول الله أوصى بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيمانكم . الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم ، يكتفيكم من أرادكم ويغنى عليكم . وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تشركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الأمر شيرانكم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتباعد ، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب . حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم . استودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله .

ثم لم ينطق إلا «بلا إله إلا الله» حتى قبض رضى الله عنه ، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين ، وغسله ابنه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وكبر عليه الحسن تسع تكبيرات ، ثم ولي الحسن ستة أشهر .

٣٤٦٤/١

وقد كان على نهى الحسن عن المشقة ، وقال : يا بني عبدالمطلب ، لا ألتفتنكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون : قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ! ألا لا يقتلن إلا قاتل . انظر يا حسن ، إن أنا ميت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل ، فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إياكم والمشقة» ولو أنها بالكلب المقور . فلما قبض عليه السلام بعث الحسن إلى ابن ملجم ، فقال للحسن : هل لك في خصلة ؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به ، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فإن شئت خلّيت بيني وبينه ، ولك الله على إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت — أن أتيك

حتى أضع يدي في يلك . فقال له الحسن : أما والله حتى تعاین النار فلا . ثم قدمه فقتله ، ثم أخذه الناس فأدرجوه في بوارى ، ثم أحرقوه بالنار .

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها على قعد معاوية ، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه ، فوقع السيف في أليته ، فأخذه ، فقال : إن عندى خيراً أسرك به ، فإن أخبرتك فنافى ذلك عندك ؟ قال :

نعم ؛ قال : إن أعألى قتل علياً في مثل هذه الليلة ، قال : فله لم يقدر على ذلك ! قال : بلى ، إن علياً يخرج ليس^(١) معه من يمرسه ، فأمر به معاوية فقتل . وبعث معاوية إلى الساعدي - وكان طيباً - فلما نظر إليه قال : اختر إحدى خصلتين : إما أن أحصى حديدك فأضعها موضع السيف ، وإما أن أسقيك شربة تنقطع منك الولد ، وتبرأ منها ، فإن ضربتك مسمومة ، فقال معاوية : أما النار فلا صبر لي عليها ، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تنفر به عني . فسقاء تلك الشربة فيراً ، ولم يولد له بعدها ، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد .

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة ، فلم يخرج ، وكان اشتكى بطنه ، فأمر خارجه بن حذافة ، وكان صاحب شرطته ، وكان من بني عامر بن لؤي ، فخرج ليصلي ، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو ، فضربه فقتله ، فأخذه الناس ، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة ، فقال : من هذا ؟ قالوا : عمرو ؛ قال : فن قتل ؟ قالوا : خارجه بن حذافة ، قال : أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجه ، فقدمه عمرو فقتله ، فبلغ ذلك معاوية ، فكتب إليه :

وقتل وأسباب المنايا كثيرة
فيا عمرو مهلاً إنما أنت عمه
نحوث وقد بل المرادى سيفه
منية شيخ من لؤي بن غالب
وصاحبه دون الرجال الأقارب
من ابن أبي شيخ الأباطيع طالibo

وبضربني بالسيف آخر مثله فكانت علينا تلك ضربة لازب
وأنت تنأى كل يوم وليلة ببضرك بيضاً كالقضاء السوارب
ولما انتهى إلى عائشة قتل على - رضى الله عنه - قالت :

فألقت عصاها واستقرت بها التوى كما قر عينا بالإياب المسافر^(١)
فن قتله ؟ قليل : رجل من مراد ، فقالت :

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب
فقالت زينب ابنة أبي سكرة : أيل تقولين هذا ؟ فقالت : إني أنسى ،
فإذا نسيت فذكروني . وكان الذى ذهب بنعيه سفيان بن عبد شمس بن
أبي وقاص الزهرى . وقال ابن أبي ميناى المرادى فى قتل على :

ونحن ضربنا يا لك الخير حيناً أبا حسن مأمومة ففطر^(٢)
ونحن خلقنا ملكه من نظامه بضربة سيف إذ علأ وتجبراً
ونحن كرام فى الصباح أعزّة إذا الموت بالموت ارتدى وتآزرا
وقال أيضاً :

٣٤٦٧/١

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة كنه قظام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغل من على وإن علأ ولا قتل إلا دون قتلي ابنو ملجم
وقال أبو الأسود الدؤلى :

ألا أبليغ معاوية بن حرب فلا قرّت عين الشاميتينا^(٣)
أنى شهر الصيام فجعثمونا بخير الناس طراً أجمعينا !

(١) البان (عسا) ، ونسب لعبد ربه السلى ؛ ويقال لسلم بن ثمامة الخن ، أو مقر بن
حار البارق . (٢) المأمومة : الشجة التى تبلغ أم الرأس . (٣) ديوانه ٣٢٧ .

قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَرَحَّلَهَا مِنْ رَكَبِ السُّفِينَا^(١)
 وَمِنْ لَيْسَ النَّعَالِ وَمِنْ حَذَاهَا وَمِنْ قَرَأَ الْمَثَانِي وَالْمُبِينَا^(٢)
 إِذَا اسْتَقْبَلَتْ وَجْهَ أَبِي حُسَيْنٍ رَأَيْتَ الْبَدْرَ رَاعٍ النَّاطِرِينَ
 لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ حَيْثُ كَانَتْ بِأَنَّكَ خَيْرُهَا حَسْبًا وَدِينًا^(٣)

وَاجْتَلِيفَ فِي سَنَةِ يَوْمَ قُتِلَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ
 وَخَمْسِينَ سَنَةً .

٣٤٦٨/١

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَقُولُ :
 قُتِلَ أَبِي وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

وَحَدَّثَنَا عَنْ بَعْضِهِمْ ، قَالَ : قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

وَحَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ
 عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو^(٤) ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : قُتِلَ عَلِيُّ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ
 وَسِتِّينَ سَنَةً . قَالَ : وَذَلِكَ أَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ .

حَدَّثَنِي عَمْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَاطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 شَرِيكٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ . قَالَ : قُتِلَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ سَنَةً .
 وَقَالَ هِشَامٌ : وَلِيَ عَلِيُّ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَأَشْهُرَ ؛ وَكَانَتْ
 خِلَافَتُهُ خَمْسَ سِنِينَ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرَ ، ثُمَّ قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ - وَاسْمُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 ابْنُ عَمْرٍو - فِي رَمَضَانَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ مَضَتْ مِنْهُ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ
 أَشْهُرَ ، وَقُتِلَ سَنَةً أَرْبَعِينَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ سَنَةً .

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ :
 قُتِلَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ سَنَةً صَبِيحَةَ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ

(١) الْبَيْوَانُ : « وَغَيْبَهَا » ؛ أَيْ ذَلَّهَا وَرَاضَهَا . (٢) الْبَيْوَانُ : « وَالْمُبِينَا » .

(٣) الْبَيْوَانُ : « غَيْرِم » .

(٤) ط : « عَمْرٍو » ، وَأَنْظُرِ التَّصَوِّيَاتِ .

عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ، ودُفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة^(١) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : ضرب علي عليه السلام ليلة^(٢) الجمعة ، فكث يوم الجمعة وليلة السبت ، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا علي بن عمر وأبو بكر السبري ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت محمد بن الحنفية يقول سنة الجحاف [حين]^(٣) دخلت سنة لإحدى وعشرين هذه ولي خمس وستون سنة ، قد جاوزت سن أبي ، قيل : يوم كانت سنه يوم قُتل ؟ قال : قُتل وهو ابن ثلاث وستين سنة^(٤) .

وقال الحارث : قال ابن سعد : قال محمد بن عمر كذلك ، وهو الثابت عندنا^(٥) .

* * *

ذكر الخبر عن قدر مدة خلافته

حدثني أحمد بن ثابت ، قال : حدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : كانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

وحدثني الحارث ، قال : حدثني ابن سعد قال : قال محمد بن عمر : كانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر^(٦) .

٣٤٧٠/١

(١) طبقات ابن سعد ٦ : ١٢ .

(٢) ف : ٥ يوم .

(٣) من طبقات ابن سعد .

(٤) طبقات ابن سعد ٢ : ٣٨ .

(٥) ف : ٥ : خلافة أربع سنين وثلاثة أشهر .

حدثني أبو زيد، قال : قال أبو الحسن : كانت ولايةُ عليٍّ أربعَ سنينَ وتسعةَ أشهرَ ، ويومًا أو غيرَ يومٍ .

* * *

ذكر الخبر عن صفته

حدثني الحارث، قال : حدثنا ابن سعد، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي قرة ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن عليٍّ ، قلت : ما كانت صفة عليٍّ عليه السلام ؟ قال : رجلٌ آدمٌ شديدٌ الأذمة ثَقِيلُ العَيْنَيْنِ عَظِيمُهُمَا ، ذو بطن ، أصلح ، هو إلى القِصرِ أَقْرَبُ^(١) .

* * *

ذكر نسبه عليه السلام

هو عليُّ بنُ أبي طالب ، واسم أبي طالب عبدُ مناف بن عبدِ المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

* * *

ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

فأولُ زوجة تزوّجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده ، وكان لها منه من الولد : الحسنُ والحسين ، ويُذكر أنه كان لها منه ابنٌ آخر يسمى مُحْسِنًا توفي صغيراً ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى .

ثم تزوّج بعدُ أمّ البنين بنت حزام — وهو أبو المجمل بن خالد بن ربيعة ابن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب — فولد لها منه العباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، قُتِلُوا مع الحسين عليه السلام بكَرْبَلَاءَ ، ولا بقية لهم غير العباس .

وتزوَّج ليلي ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعة بن سَكْمَى بن جَنْدَل

ابن نَهْشَكْل بن دَارِم بن مالِك بن حَنْظَلَة بن مالِك بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم ، فولدت له عُبَيْدُ اللَّهِ وأبَا بَكْر . فرَزَمَ هِشَام بنُ مُحَمَّدٍ أَنَهُمَا قُتِلَا مع الحُسَيْن بِالطَّلَف . وأما مُحَمَّد بن عَمْرٍو فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ عَلِيٍّ قَتَلَهُ الْخُتَار بنَ أَبِي عُبَيْدٍ بِالْمَذَار ، وزَعَمَ أَنَّهُ لَا بَقِيَّةَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ وَلَا لِأَبِي بَكْرٍ ابْنِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام .

وَتَزَوَّجَ أَسْمَاءُ ابْنَةُ مُعَيْسِ الْخُثَمِيَّة ، فولدت له — فيها حَدَّثَتْ عَنْ هِشَام بن مُحَمَّد — يَحْيَى وَمُحَمَّدُ الْأَصْغَر ، وقال : لَا عَقَبَ لهُمَا .

وأما الْوَاقِدِيُّ فَإِنَّهُ قَالَ فِيهَا حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْوَاقِدِيُّ أَنَّ أَسْمَاءَ وَلَدَتْ لَعَلِيٍّ يَحْيَى وَعَوْنًا ابْنِي عَلِيٍّ . ويقول بعضهم : مُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ لَأُمِّ وَلَدَ ، وكذلك قَالَ الْوَاقِدِيُّ فِي ذَلِكَ ، وقال : قَتَلَ مُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ مع الْحُسَيْن .

٣٤٧٢/١

وله من الصَّهْبَاء — وَهِيَ أُمُّ حَبِيبِ بِنْتِ رَيْبَعَةَ بنِ بُجَيْرِ بنِ الْعَبْدِ بنِ عُلْقَمَةَ ابْنِ الْحَارِثِ بنِ عُثْبَةَ بنِ سَعْدِ بنِ زُهَيْرِ بنِ جَثْمِ بنِ بَكْرِ بنِ حَبِيبِ بنِ عَمْرٍو ابْنِ غَثَمِ بنِ ثَقَلَبِ بنِ وَاثِلٍ ، وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ مِنَ السَّبْيِ الَّذِينَ أَصَابَهُمْ خَالِدُ ابْنِ الْوَلِيدِ حِينَ أَغَارَ عَلَى عَيْنِ التَّمَرِ عَلَى بَنِي ثَقَلَبِ بِهَا — عَمْرٍو بنِ عَلِيٍّ ، وَرَقِيَّةُ ابْنَةُ عَلِيٍّ ، فَصُمِّرَ عَمْرٍو بنِ عَلِيٍّ حَتَّى بَلَغَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، فَحَازَ نَصْفَ مِيرَاثِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام ، وَمَاتَ يَتِيمًا .

وَتَزَوَّجَ أُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِيِ بنِ الرَّيْبَعِ بنِ عَبْدِ الْعُزَّى بنِ عَبْدِ شَمْسِ ابْنِ عَبْدِ مَنَاة ، وَأُمَامَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فولدت له مُحَمَّدًا الْأَوْسَطَ .

وله مُحَمَّد بنُ عَلِيٍّ الْأَكْبَرُ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ : مُحَمَّدُ بنِ الْحَنْظِيَّة ، أُمَةُ خَدْوَلَةَ ابْنَةِ جَعْفَرِ بنِ قَيْسِ بنِ مُسْلِمَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ يَرْبُوعِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الدَّوْلِ ابْنِ حَنْظَلَةَ بنِ لُجَيْمِ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيٍّ بنِ بَكْرِ بنِ وَاثِلٍ ، تَوَفَّى بِالطَّائِفِ فَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُ حَبَّاس .

وَتَزَوَّجَ أُمُّ سَعِيدِ بِنْتُ هَرَوَةَ بنِ مَسْعُودِ بنِ مَعْتَبِ بنِ مَالِكِ الثَّقَفِيِّ ، فولدت له أُمُّ الْحَسَنِ وَهْلَةَ الْكُبَرَى .

وكان له بنات من أمهات شتى لم يسم لنا أسماء أمهاتهن ، منهن :
 أم هانئ ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورومة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى
 وفاطمة ، وأميمة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجسمانة ،
 ونفيسة بنات على عليه السلام ، أمهاتهن أمهات أولاد شتى .

وتزوج عبيدة ابنة امرئ القيس بن علي بن أوس بن جابر بن كعب
 ابن عليم من كلب ، فولدت له جارية ، هلكت وهي صغيرة . قال الواقدي :
 كانت تخرج إلى المسجد وهي جارية فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول : وه ،
 وه - تعني كلبك .

فجميع ولد علي لصلبه أربعة عشر ذكراً ، وسبع عشرة امرأة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد عن الواقدي ، قال : كان النسل
 من ولد علي خمسة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس بن
 الكلاية ، وعمر بن الخطيب .

• • •

ذكر ولاته

وكان واليه على البصرة في هذه السنة عبد الله بن العباس ، وقد ذكرنا
 اختلاف المختصين في ذلك^(١) ، وإليه كانت الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته
 كلها ، وكان يستخلف بها إذا شخص عنها على ما قد بينت قبل .

وكان على قضائها من قبل علي أبو الأسود الدؤلي ، وقد ذكرت ما كان
 من توليته زياداً عليها ، ثم إشتغافه إياه إلى فارس لحربها وبخراجه ، فقتل
 وهو بفارس ، وعلى ما كان وجهه عليه .

وكان حامله على البحرين وما يليها وإيتمن ومخاليقها عبيد القيين العباس ،
 حتى كان من أمره وأمر بسر بن أبي أوطاة ما قد مضى ذكره .
 وكان حامله على الطائف ومكة وما اتصل بملك قُتُم بن العباس .

وكان عامله على المدينة أبو أيوب الأنصاري ، وقيل : سهل بن حنيف ، حتى كان من أمره عند قدوم بئر ما قلدهُ ذِكْرٌ قبل .

• • •

ذكر بعض سيره عليه السلام

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا وهب ، قال : أخبرني ابن أبي ذئب ، عن عباس بن الفضل مولى بني هاشم ، عن أبيه ، عن جده ابن أبي رافع ، أنه كان خازنًا لمولى عليه السلام على بيت المال ، قال : فدخل يومًا وقد زينت ابنته ، فرأى عليها اللؤلؤَ من بيت المال قد كان عرفها ، فقال : من أين لها هذه ؟ لله على أن أقطع يدها ، قال : فلما رأيتُ جده في ذلك قلتُ : أنا والله يا أمير المؤمنين زينتُ بها ابنةَ أخي ، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطيها ! فسكت .

٢٤٧٥/١

حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري ، قال : حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن ناجية القرشي ، عن عمه يزيد بن حلى بن عثمان ، قال : رأيت عليًا عليه السلام خارجًا من همدان ، فرأى فتيتين ^(١) يقتتلان ، ففرق بينهما ، ثم مضى فسمع صوتًا . ياخوفاً بالله ^(٢) ! فخرج يُحضِرُ ^(٣) نحوه حتى سمعتُ خفقانَ نعله وهو يقول : أتاك الفتوتُ ، فإذا رجل يلزم رجلاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بعتُ ^(٤) هذا ثوبًا بتسعة ^(٥) دراهم ، وشرطتُ عليه ألا يعطسني مغموزًا ولا مقطوعًا - وكان شرطهم يومئذ - فأتيتُه بهذه الدرام ليبدلها ^(٦) لي فأبى ، فلزمتُه فلطمخني ، فقال : أبدله ، فقال : يستك على القلعة ، فأثاب بالبيضة ، فأقعدته ثم قال : دونك فاقصص ، فقال : إني

(١) ف : « قيسين » ، ابن الأثير : « رجلين » .

(٢) ف : « ياخوفاً ياخوفاً » .

(٣) يحضر : يسرع ..

(٤) ف : « بعت من هذا » .

(٥) ف وابن الأثير : « بيضة » .

(٦) ف : « ليبدل لي » .

قد عفوت يا أمير المؤمنين ، قال : إنما أردتُ أن أحتاط في حقك ، ثم ضرب الرجلَ تسعَ دِرَاجات ، وقال : هذا حقُّ السلطان .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الأصبهاني ، قال : حدثنا المسعودي ، عن ناجية ، عن أبيه ، قال : كنا قياماً على باب القصر ، إذ خرج عليٌّ علينا ، فلما رأيناه تنحنينا من وجهه هيبةً له ، فلما جاز صرنا خلفه ، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل يا غوثاً بالله ! فإذا رجلان يفتتلان^(١) ، فلكتز صدرَ هذا وصدرَ هذا ، ثم قال لهما : تنحياً ، فقال أحدهما : يا أمير المؤمنين ، إن هذا اشترى مني شاةً ، وقد شرطُ عليه ألا يعطيني مغموزاً ولا عهداً ، فأعطاني درهماً مغموزاً ، فرددته عليه فلطمني ، فقال للآخر : ما تقول ؟ قال : صدق يا أمير المؤمنين ، قال : فأعطه شرطه ، ثم قال ليلاطم : اجلس ، وقال ليلمكطوم : اقتص . قال : أو أضو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك إليك ، قال : فلما جاز الرجل قال عليٌّ : يا معشر المسلمين ، خلوه ، قال : فأخلوه ، فحُمِلَ على ظهر رجل كما يُحمَلُ صبيان الكتاب ، ثم ضربه خمسَ عشرةَ دِرَّةً ، ثم قال : هذا نكالٌ لما انتهكت من حرمة .

حدثني ابن سنان القرظي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سُكَيْنُ ابن عبد العزيز ، قال : أخبرنا حفص بن خالد ، قال : حدثني أبي خالد بن جابر قال : سمعتُ الحسن يقول : لما قُتِلَ عليٌّ عليه السلام وقد قام خطيباً ، فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رُفِعَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وفيها قُتِلَ يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام . والله ما سبقه أحد كان قبله ، ولا يدرُكه أحد يكون بعده ، والله إن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه في السرية وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صقراً ولا يتيصاء إلا ثمانمائة — أو سبعمائة — أرصدَها لخادمه .

ذكربيعة الحسن بن علي

وفي هذه السنة - أعني سنة أربعين - بويع للحسن بن علي عليه السلام بالخلافة ؛ وقيل : إن أول من بايعه قيس بن سعد ، قال له : ابسط يديك أبايعك على كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه ، وقال ^(١) المصلين ؛ فقال له الحسن رضي الله عنه : على كتاب الله وسنة نبيه ، فإن ^(٢) ذلك يأتي من وراء كل شرط ^(٣) ؛ فبايعه وسكت ، وبايعه الناس .

وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب المروزي ، قال : حدثنا أبي قال : حدثنا سليمان ، قال : حدثنا عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : جعل علي عليه السلام قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق إلى قبل أذربيجان ، وعلى أرضها شرطة الحميس ^(٤) التي ابتدعه من ^(٥) العرب ، وكانوا أربعين ألفاً ، بايعوا علياً عليه السلام على الموت ، ولم يزل قيس يداري ^(٦) ذلك البعث حتى قتل علي عليه السلام ؛ واستخلف أهل العراق الحسن بن علي عليه السلام على الخلافة ، وكان الحسن لا يرى ^(٧) القتال ، ولكنه يريد أن يأخذ نفسه ما استطاع من معاوية ، ثم يدخل في الجماعة ، وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافق على رأيه ، فترعه وأمر عبيد الله ^(٨) بن عباس ، فلما علم عبد الله بن عباس بالنسبة يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه ^(٩) لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها ، فشرط ذلك له معاوية .

٢/٢

(١) س : « وقال » .

(٢-٣) ابن الأثير : « بينهما يتيها على كل شرط » .

(٤) س : « الحميس » .

(٥) ط : « التي ابتدعها العرب » .

(٦) س : « يداري » ، وقف : « يداري » .

(٧) س : « يري » .

(٨) ط : « عبد الله » .

(٩) س : « يأخذ » .

وحدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد أو ابن عبد الرحمن الحراني الخزاعي أبو عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسماعيل بن راشد ، قال : بايع الناسُ الحسنَ بن عليّ عليه السلام بالخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن ^(١) ، وبعث قيسَ بن سعد على مقدمته في اثني عشر ألفاً ، وأقبل معاويةُ في أهل الشام حتى نزل مَسْكِينَ ، فبينما ^(٢) الحسن في المدائن ^(٣) إذ نادى مناد في العسكر : ألا إن قيسَ بن سعد قد قُتِلَ ، فانفروا ، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته ، وخرج الحسن حتى نزل المقصورة ^(٤) البيضاء بالمدائن ، وكان عم المختار بن أبي عبيد عاملاً على المدائن ، وكان اسمه سعد بن مسعود ، فقال له المختار وهو غلام شاب : هل لك في الغنم والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تؤثيق الحسن ، وتستأمن ^(٥) به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنةُ الله ، أئيبُ على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوثيقه ! بش الرجل أنت ! فلما رأى الحسن عليه السلام تفرق الأمر عنه ^(٦) بعث إلى معاوية يطلب الصلح ، وبعث معاويةُ إليه عبد الله بن عامر وعبد الرحمن ابن سمرة بن حبيب ^(٧) بن عبد شمس ، فقدمَا على الحسن بالمدائن ، فأعطياه ما أراد ، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة ^(٨) خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها . ثم قام الحسن في أهل العراق فقال : يا أهل العراق ، إنه سَخَى ^(٩) بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى ، وطعنكم إياى ، وانتهابكم متاعى .

٣/٢

(١) س : « بالمدائن » .

(٢) س : « فبينما » .

(٣) س : « بالمدائن » .

(٤) س : « بالمقصورة » .

(٥) ف : « وتضمن » .

(٦) ف : « عليه » .

(٧) ف : « وجناب » .

(٨) ف : « المال بالكوفة » .

(٩) ف : « يسخى » .

ودخل الناس في طاعة معاوية ، ودخل معاوية الكوفة ، فبايعه الناس
قال زياد بن عبد الله ، عن عوانة ، وذكر نحو حديث المسروقي ، عن
عثمان بن عبد الرحمن هنا ، وزاد فيه : وكتب الحسن إلى معاوية في الصلح ،
وطلب الأمان ، وقال الحسن للحسين ولعبد الله بن جعفر : إني قد كتبت إلى
معاوية في الصلح وطلب الأمان ؛ فقال له الحسين : نشدتك الله أن تصدق
أحدوث معاوية ، وتكذب أحدثه على ! فقال له الحسن : اسكُت ، فأنا
أعلم بالأمر منك . فلما انتهى كتاب الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية ،
أرسل معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة ، فقَدِمَا المدائن ،
وأعطيا^(١) الحسن ما أراد ، فكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدمته
في اثني عشر ألفاً يأمره بالدخول في طاعة معاوية ، فقام قيس بن سعد في
الناس فقال : يا أيها الناس ، اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة ، أو
القتال مع غير إمام ؛ قالوا : لا ، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة .
فبايعوا لمعاوية ، وانصرف عنهم قيس بن سعد^(٢) ، وقد كان صالح الحسن
معاوية^(٣) على أن جعل له ما في بيت ماله وخراج دارا بمجرد على ألا يُشتم
على^(٤) وهو يسمَح . فأخذ ما في بيت ماله بالكوفة ، وكان فيه خمسة
آلاف ألف .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة المغيرة بن شعبه . حدثني موسى بن عبد الرحمن ،
قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الحُزاعي أبو عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل بن
راشد قال : لما حضر الموسم - يعني في العام الذي قُتل فيه علي عليه السلام - كتب
المغيرة بن شعبه كتاباً افتعله على لسان معاوية ، فأقام للناس الحج سنة أربعين ،
ويقال : إنه عرف يوم التروية ، ونحو يوم عرفة ، خوفاً أن يقطن بمكانه . وقد قيل :
إنه إنما فعل ذلك المغيرة لأنه بلغه أن عتبة بن أبي سفيان مصبحة والياً على

(١) ف : « فأعطيا » .

(٢-٢) ف : « وكان الحسن صالح معاوية » .

(٣) س : « على ألا يشتم عليا » .

الموسم ، فصجل الحج من أجل ذلك .

• • •

وفي هذه السنة بويج معاوية بالخلافة بإبلياء ، حدثني بذلك موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن راشد - وكان قبل يدعى بالشأم أميراً - وحدثت عن أبي مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : كان عليّ عليه السلام يُدعى بالعراق أمير المؤمنين ، وكان معاوية يدعى بالشأم : الأمير ، فلما قُتل عليّ ٥/٢ عليه السلام دُعي معاوية : أمير المؤمنين .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك تسلم الحسن بن علي عليه السلام الأمر إلى معاوية ودخول معاوية الكوفة ، وبيعة أهل الكوفة معاوية بالخلافة .
* ذكر الخبر بذلك :

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : بايع أهل العراق الحسن بن علي بالخلافة^(١) ، فظنوا يشترط عليهم الحسن : إنكم سامعون مطيعون ، تساليمون من سالمته ، وتحاربون من حاربت ، فازتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط ، وقالوا : ما هذا لكم بصاحب ، وما يريد هذا القتال ، فلم يلبث الحسن عليه السلام بعد ما بایعوه إلا قليلا حتى طعن طعنة أشد^(٢) ، فازداد لم بغضا ، وازداد منهم ذعرا ، فكتب معاوية ، وأرسل إليه بشروط ، قال : إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع ، وطليك أن تني لي به . ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية ، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة يضاء ، مختم على أسفلها ، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك .

فلما أتت الحسن اشترط أضاف الشروط التي سأله معاوية قبل ذلك ، وأمسك معاوية صحيفة الحسن عليه السلام التي كتب إليه يسأله ما فيها ، فلما أتت معاوية والحسن عليه السلام ، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل التي ختم معاوية في أسفلها ، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك ، فقال : لك ما كتبت إليك^(٣) ، لو لا نسألك أن أعطيك^(٤) ، فبقي قد أعطيتك حين جئتني كتابك . قال الحسن عليه السلام : وأنا قد

١/٢

(١) س : هو ط الكوفة .

(٢) نسخة : فأكثرت ولم تصب منه .

(٣) س : أسألك .

اشرطت حين جاعني كتابك ، وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه . فاخترتكم في ذلك ، فلم يُستخِذ الحسن عليه السلام من الشروط شيئاً ، وكان حمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة قد كلم معاوية ، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ، وقال : ما تريد إلى أن يخطب^(١) الناس ! فقال حمرو : لكني أريد أن يبدؤ عيبه للناس ، فلم يزل حمرو بمعاوية حتى أظاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم أمر رجلاً فتأدى الحسن بن علي عليه السلام ، فقال : قم يا حسن فكلّم الناس ، فتشهد في بديهة أمر لم يرو فيه ، ثم قال : أما بعد ، يا أيها الناس ، فإن الله قد هداناكم بأولنا ، وحقن دماءكم بأخيرنا ، وإن لهذا الأمر مدّة ، والدنيا دُوك ، وإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ،^(٢) فلما قالها قال معاوية : اجلس ، فلم يزل ضمرماً على حمرو ، وقال : هذا من رأيك . ولحق الحسن عليه السلام بالمدينة .

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : سلّم الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية الكوفة ، ودخلها معاوية^٥ الخمس بقيّن من ربيع الأوّل ، ويقال من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين .

* * *

[ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد]

وفي هذه السنة جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد بعد امتناع قيس من بيعته .

• ذكر الخبر بذلك :

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ابن الفضل ، قال : حدثني عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : لما كتب عبيد الله بن عباس حين علم ما يريد الحسن من معاوية من طلب الأمان لنفسه^(٣) إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التي قد أصاب ،

(١) كذا في س ، وفي ط : « أعطى » . (٢) سورة الأنبياء : ١١١ .

(٣) ف : « من طلب الأمان من معاوية » .

فشرط ذلك له معاوية ، بعث إليه معاوية ابن عامر في خيل عظيمة ، فخرج إليهم عبيد الله ليلاً حتى لحق بهم ، ونزل وترك جندَه الذي هو عليه ^(١) لا أمير لهم ، فيهم قيس بن سعد ، واشترط الحسن عليه السلام لنفسه ، ثم بايع معاوية ، وأمرت شرطة الحميس قيس بن سعد على أنفسهم ، وتعاهدوا هوهم على قتال معاوية حتى يشترط الشيعة على عليه السلام ولئن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم . وما أصابوا في الفتنة ، فخلّص معاوية حين فرغ من عبيد الله ابن عباس والحسن عليه السلام إلى مكابدة رجل هو أهم الناس عنده مكابدة ، ومعه أربعون ألفاً ، وقد نزل معاوية بهم وعمره وأهل الشام ، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول : على طاعة من تقاتل ، وقد بايعني الذي أعطيتك طاعتك ؟ فأبى قيس أن يكن له ، حتى أرسل إليه معاوية بسجيل قد ختم عليه في أسفله ، فقال : اكتب في هذا السجل ما شئت ، فهو لك . قال عمرو لمعاوية : لا تعطيه هذا ، وقاتله ، فقال معاوية : على رسلك ! فإننا لا نخلّص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام ، فما خير العيش بعد ذلك ! وإلى واقه لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بداً . فلما بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعة على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالا ^(٢) ، وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومن معه في طاعته ، وكانوا يحدون دهابة الناس حين ثارت الفتنة خمسة رهط ، فقالوا : ذؤوب رأى العرب ومكيدتهم : معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد ، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي ، وكان قيس وابن بديل مع علي عليه السلام ، وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية ، إلا أن المغيرة كان معتزلاً بالطائف حتى حكّم الحكماء ، فاجتمعوا بأذرع .

وقيل : إن الصلح تم بين الحسن عليه السلام ومعاوية في هذه السنة في شهر ربيع الآخر ، ودخل معاوية الكوفة في غرة جمادى الأولى من هذه

(١) ف : : طبعه .

(٢-٢) س : شيئاً إلا أعطاه من مال .

السنة ، وقيل : دَخَلَهَا فِي شَهْرِ ربيع الآخر ، وهذا قول الواقدي .

• • •

[دخول الحسن والحسين للمدينة من الكوفة]

وفي هذه السنة دخل الحسنُ والحسينُ ابنا عليٍّ عليه السلام منصرفين من الكوفة إلى المدينة .

• ذكر الخبير بملك :

ولما وقع الصلح بين الحسن عليه السلام وبين معاوية بمسكن ، قام — فيما حَدَّثَتْ عَنْ زِيَادِ الْبَكَّائِيَّ ، عَنْ عَوَّاتٍ — خَطِيبًا فِي النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنَّهُ سَخَى بِنَفْسِي عَنْكُمْ ثَلَاثَ قَتْلِكُمْ أَبِي ، وَطَعْنُكُمْ لِإِيَّايَ ، وَانْتِهَابُكُمْ مَتَاعِي . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ خَرَجُوا بِحَشَّتِهِمْ ^(١) وَأَقَامُوا حَتَّى أَتَوْا الْكُوفَةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْهَاسَنُ وَبَرَاءُ مِنْ جِرَاحَتِهِ ، خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِ الْكُوفَةِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ وَضِيْفَانِكُمْ ، وَفِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا . فَجَعَلَ النَّاسُ يَبْكُونَ ، ثُمَّ تَحَمَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَ : وَحَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُرَاجِ دَارِ الْيَمْرِ ، وَقَالُوا : فَبَيْتُنَا ، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَلَقَّاهُ نَاسٌ بِالْقَادِسِيَّةِ فَقَالُوا : يَا مُذِلَّ الْعَرَبِ !

• • •

[ذكر خروج الخوارج على معاوية]

وفيهما خرجت الخوارجُ ^(٢) التي اعتزلت أيام عليٍّ عليه السلام بشَهْرَ زَوْرٍ عَلَى مَعَاوِيَةَ .

• ذكر خبرهم :

حَدَّثَتْ عَنْ زِيَادٍ ، عَنْ عَوَّاتٍ ، قَالَ : قَدِمَ مَعَاوِيَةُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ الْحَسَنُ ١٠/٢ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى نَزَلَ الشُّخَيْلَةَ ، فَقَالَتِ الْخُرُورِيَّةُ الْخَمْسَاءُ الَّتِي كَانَتْ اعْتَزَلَتْ

(١) س : « بِحَشَّتِهِمْ » .

(٢) س : « الْخَوَارِجَةُ » .

بشهر زور مع فتوة بن نوفل الأشجعي : قد جاء الآن ما لا شك^(١) فيه ،
فسيروا إلى معاوية فجاهلوه . فأقبلوا وعليهم فتوة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة ،
فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام ، فكشفوا أهل الشام ، فقال
معاوية لأهل الكوفة : لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بواقفكم ، فخرج
أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلهم ، فقالت لم الخوارج : ويلكم ! ما تبغون
مننا ! أليس معاوية عدونا وعدوكم ! دعونا حتى نقاتله ، وإن أصبناه كنا
قد كفيناكم حدوكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتونا ، قالوا : لا والله حتى
نقاتلكم ، فقالوا^(٢) : رحم^(٣) الله إخواننا من أهل النهر ، هم كانوا أعلم بكم
يا أهل الكوفة . وأعلنت أشجع صاحبهم فتوة بن نوفل — وكان سيد القوم —
واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحر — رجلاً من طي — فقاتلهم ، فقتلوا ،
واستعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة ، فأتاه المغيرة بن
شعبة وقال لمعاوية : استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمراً على مصر ،
فكون أنت بين لحسي الأسد ! فعزل عبد الله^(٤) ، واستعمل المغيرة بن شعبة
على الكوفة ، وبلغ عمراً ما قال المغيرة لمعاوية ، فدخل عمرو على معاوية فقال :
استعملت المغيرة على الكوفة ؟ فقال : نعم ، فقال : أجبته على الخراج ؟
فقال : نعم ، قال : تستعمل المغيرة على الخراج فينتال المال ، فيذهب فلا
تستطيع أن تأخذ منه شيئاً ، استعمل على الخراج من يخافك ويهابك^(٥)
ويتقيك . فعزل المغيرة عن الخراج ، واستعمله على الصلاة ، فلقى المغيرة عمراً
فقال : أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عبد الله ؟ قال : نعم ،
قال : هذه بظك ، ولم يكن عبد الله بن عمرو بن العاص مضى فيها بلغى إلى
الكوفة ولا أتاها .

١١/٢

* * *

- (١) س : « يشك » . (٢) ف : « قالوا » .
(٣) س : « برسم » . (٤) كذا في س ، وفي ط : « عزله عنها » .
(٥) س : « رجلاً يهابك ويظلك » .

[ذكر ولاية بسر بن أبي أرطاة على البصرة]

وفي هذه السنة ^(١) غلب حُمران بن أبان على البصرة ، فوجّه إليه معاوية بسرّاً ، أمره بقتل بني زياد .
 ذكر الخبر عما كان من أمره في ذلك ^(٢) :

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني عليّ بن محمد ، قال : لما صالح الحسن بن عليّ عليه السلام معاوية أول سنة إحدى وأربعين ، وكتب حُمران ابن أبان على البصرة ^{لأخطأ} ، وطلب عليها ، فأراد معاوية أن يبعث رجلاً من بني النقيين إليها ، فكلّمه عبيد الله بن عباس ألاّ يفعل ويبعث غيره ، فبعث بسرّاً بن أبي أرطاة ، وزعم أنه أمره بقتل بني زياد .

فحدثني مسلمة بن محارب ، قال : أخذ بعض بني زياد فحبسه - وزياد يومئذ بفارس ، كان عليّ عليه السلام بعثه إليها إلى أكراه خرجوا بها ، فطغروهم زياد ، وأقام بإصطخر - قال : فركب أبو بكره إلى معاوية وهو بالكوفة ، فاستأجل بسرّاً ، فأجله أسبوعاً ذاهباً وراجعاً ، فسار سبعة أيام ، فقتل تحت دابّتين ، فكلّمه ، فكتب معاوية بالكوفة عنهم .

قال : وحدثني بعض علمائنا ، أن أبا بكره أقبل في اليوم السابع وقد طلعت الشمس ، وأخرج بسرّاً بن زياد ينتظر بهم غروب الشمس ليقتلهم إذا وجبت ، فاجتمع الناس لذلك وأصيبتهم طائفة ينتظرون أبا بكره ، إذ رُفع علم على نجيب أو برّذون يكدّه ويجهده ، فقام عليه ، فزّل عنه ، وألّاح بوجهه ، وكبّروا وكبّروا الناس ، فأقبل يسرى على رجله ^(٣) حتى أهلك بسرّاً قبل أن يقاتلهم ، فدفع إليه كتاب معاوية ، فأطلقهم .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : خطب بسرّاً على منبر

(١) م : ١٠ وفيه .

(٢) م : ١٠ ذكر الخبر من الكتاب من أدومه .

(٣) ف : ١٠ يسرى على رجله .

البصرة ، فشتّم عليّاً عليه السلام ، ثم قال : نشدتُ^(١) الله رجلاً عليكم أنى صادق إلا صدقنى ، أو كاذب إلا كذبنى ! قال : فقال أبو بكرّة : اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً ، قال : فأمر به فختق ، قال : فقام أبو لؤلؤة الضبى فرمى بنفسه عليه ، فتمه ، فأقطعه أبو بكرّة بعد ذلك مائة جريب . قال : وقيل لأبى بكرّة : ما أردت إلى ما صنعت ! قال : أيتناشدنا بالله ثم لا نصدقه ! قال : فأقام بئس بالبصرة ستة أشهر ، ثم شخّص لا نعلمه ولّى شرطته أحداً .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن الجارود بن أبى سبرة ، قال : صالح الحسن عليه السلام معاوية ، وشخّص إلى المدينة ، فبعث معاوية بئس بن أبى أرطاة إلى البصرة في رجب سنة إحدى وأربعين وزياد متحصن بفارس ، فكتب معاوية إلى زياد : إن في يديك مالاً من مال الله ، وقد وليت ولاية فادّ ما عندك من المال . فكتب إليه زياد : إنه لم يبقَ عندي شيء من المال ، وقد صرفت ما كان عندي في وجهه ، واستودعت بعضه قوماً لتنازلة إن نزلت ، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه . فكتب إليه معاوية : أن أقبل إلى نظرك فما وليت ، وجرى على يديك ، فإن استقام بيننا أمر فهو ذاك ، وإلا رجعت إلى مأمّنك ، فلم يأت زياد ، فأخذ بئس بن زياد الأكابر منهم ، فحبسهم : عبد الرحمن ، وبيد الله ، وعباداً ، وكتب إلى زياد : لتقدم على أمير المؤمنين أو لأقتلن بنيك فكتب إليه زياد : لست بارعاً من مكاني الذي أنا به حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك ، فإن قتل من في يدك من وكلى فالصير إلى الله سبحانه ، ومن ورائنا ورائكم الحساب ، (وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب يتقلبون) فهم يقتلهم ، فأناه أبو بكرّة فقال : أخذت ولدي وولد أخى غلماناً بلا ذنب ، وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب على حيث كانوا ، فليس لك على هؤلاء ولا على أيهم سبيل ، قال : إن على أخيك أموالاً قد أخذها قامت من أدائها ، قال : ما عليه شيء ، فأكف

١٣/٢

عن يحيى أخى حمزة أتيتك بكتاب من معاوية بتخليتهم . فأجله أياماً ، قال له : إن أتيتنى بكتاب معاوية بتخليتهم وإلا قتلتهم أو يقبل زياد إلى أمير المؤمنين ، قال : فأتى أبو بكر معاوية فكلّمه فى زياد وبنيه ، وكتب معاوية إلى بسر بالكف عنه وتخليه سيولهم ، فخلّاهم .

حدثنى أحمد بن زهير^(١) ، قال : حدثنا على ، قال : أخبرنى شيخ من ثقف ، عن بسر بن عبيد الله ، قال : خرج أبو بكر إلى معاوية بالكوفة فقال له معاوية : يا أبا بكر ، أزالنا جئت أم دعيتك إلينا حاجة ؟ قال : لا أقول باطلا ، ما أتيت إلا فى حاجة . قال : تشفع يا أبا بكر ونرى لك بذلك فضلاً ، وأنت لذلك أهل ، فما هو ؟ قال : تومن أخى زياداً ، وتكتب إلى بسر بتخليه ولده وبترك التمرّض لم ، فقال : أما بنو زياد ١١/٧ فنكتب لك فيهم ما سألت ، وأما زياد فى يده مال للمسلمين ، فإذا أدّاه فلا سبيل لنا عليه ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن يكن عنده شيء فليس يحبه عنك إن شاء الله . فكتب معاوية لأبى بكر إلى بسر ألا يترّض لأحد من ولد زياد ، فقال معاوية لأبى بكر : أتعهد إلينا عهداً يا أبا بكر ؟ قال : نعم ، أتعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورحمتك ، وتعمل صالحاً فإنك قد تقلدت عظيماً ، خلافة الله فى خلقه ، فاتق الله فإن لك غاية لا تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث ، فأوشك أن تبلغ المدى ، فيلحق الطالب ، فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه ، وهو أعلم به منك ، وإعماهى محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثّر على رضا الله عز وجل شيئاً .

حدثنى أحمد ، قال : حدثنا على ، عن سلمة بن عثمان ، قال : كتب بسر إلى زياد : لئن لم تقدم لأصلين بئيك . فكتب إليه : إن تفعل فأهل ذلك أنت ، إنما بحث بك ابن آكلة الأكباد . فركب أبو بكر إلى معاوية ، فقال : يا معاوية ، إن الناس لم يعطوك ببيعهم على قتل الأطفال ، قال : وما ذاك يا أبا بكر ؟ قال : بسر يريد قتل أولاد زياد ، فكتب معاوية إلى

بُسْر: أن خلّ مَسَّ يبدك من ولد زياد .

وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل عليّ عليه السلام بتوصده .
فحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني عليّ ، عن جَبَّان بن موسى ،
عن الهالك ، عن الشعبي ، قال : كتب معاوية حين قتل عليّ عليه السلام
إلى زياد يتهلده ، فقام خطيباً فقال : العجب من ابن آكلة الأكباد ،
وكهف النفاق ، ورئيس الأحزاب ، كتب إلى يتهلّني وبني وبينه ابنا عمّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ابن عباس والحسن بن عليّ - في تسمين
ألفاً ، وأضفى سيفهم على حواشيهم ، لا يتثنون ، لأنّ خلّص إلى الأمر
ليجلفي أحمر^(١) ضرباً بالسيف . فلم يزل زياد بفارس وآلياً حتى صالح
الحسن عليه السلام معاوية ، وقدم معاوية الكوفة ، فحصد زياد في القلعة
التي يقال لها قلعة زياد .

١٥/٢

* * *

[ولاية عبد الله بن عمر البصرة وحرب سجستان وخراسان]

وفي هذه السنة ولّى معاوية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سجستان
وخراسان .

• ذكر الخبر عن سبب ولاية ذلك وبعض الكائن

في أيام عمله لمعاوية بها :

حدثني أبو زيد ، قال : حدثنا عليّ قال : أراد معاوية توجيه عتبة
ابن أبي سفيان على البصرة ، فكلّمه ابن عامر وقال : إن لي بها أموالاً
وودائع ، فإن لم توجهني عليها ذهبت . فولاه البصرة ، فقدمها في آخر
سنة إحدى وأربعين وإليه خراسان وسجستان ، فأراد زيد بن جبلة على
ولاية شرطه فأبى ، غولّي حبيب بن شهاب الشامي شرطه - وقد قيل : قيس
ابن المهيم السلمي - واستخفى عميرة بن يثرب الضبي ، أخا عمرو بن يثرب
الضبي .

حدثني أبو زيد ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : خرج في ولاية

ابن عامر لمعاوية يزيد مالك الباهل ، وهو الخَطِيم - وإنما سمي الخَطِيم لضربة أصابته على وجهه - فخرج هو وسهمُ بن غالب المجبى فاصبحوا عند البحر ، فوجدوا عبادة بن قرص الليثي أحد بني بُجَيْر - وكانت له صحبة - يصلي عند البحر ، فأنكروه قتلوه ، ثم سأله الأمان بعد ذلك ، فأمنهم ابنُ عامر ، وكتب إلى معاوية : قد جعلت لهم ذمتك . فكتب إليه معاوية : تلك ذمةٌ لو أخفرتها لا سلتَ عنها ، فلم يزالوا آمنين حتى عزل ابن عامر .

* * *

وفي هذه السنة ولد علي بن عبد الله بن عباس - وقيل : وُلد في سنة أربعين قبل أن يُقتل علي عليه السلام ، وهذا قول الواقدي .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان في قول أبي معشر ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن حماد بن عيسى ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . وأما الواقدي فإنه ذكر عنه أنه كان يقول : حجَّ بالناس في هذه السنة - أعني سنة إحدى وأربعين - عتبة بن أبي سفيان .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا المسلمون اللان ، وغزوا أيضا الروم ، فهزمهم هزيمة منكرة —
فيها ذكروا — وقتلوا جماعة من بطاريقتهم .

وقيل : في هذه السنة ولد الحجاج بن يوسف .

وولّى معاوية في هذه السنة مروان بن الحكم المدينة ، فاستغنى مروان

عبد الله بن الحارث بن نوفل . وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام ، وكان
على الكوفة من قبله المغيرة بن شعبة ، وعلى القضاء شريح ، وعلى البصرة
عبد الله بن عامر ، وعلى قضائها (١) عمرو بن يربى ، وعلى خراسان قيس بن
الميثم من قبيل عبد الله بن عامر .

وذكر علي بن محمد ، عن محمد بن الفضل العيسى ، عن أبيه ،
قال : بعث عبد الله بن عامر قيس بن الميثم على خراسان حين ولّاه
معاوية البصرة وخراسان ، فأقام قيس بخراسان ستين .

وقد قيل في أمر ولاية قيس ما ذكره حمزة بن أبي (٢) صالح السلمي ،
عن زياد بن صالح ، قال : بعث معاوية حين استقامت له الأمور قيس
ابن الميثم إلى خراسان ، ثم ضمها إلى ابن عامر ، فترك (٣) قيسا عليها .

• • •

[ذكر الخبر عن تحرك الخوارج]

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين انحازوا عمن قُتل منهم بالنهروان
ومن كان ارتبث من جرّحهم بالنهروان ، فبرموا ، وغفا عنهم على بن
أبي طالب رضى الله عنه .

(١) س : القضاء بها .

(٢) سابقة من ط .

(٣) س : غلبت .

* ذكر الخبر عما كان منهم في هذه السنة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني النضر بن صالح ابن حبيب ، عن جرير بن مالك بن زهير بن جندبة العبي ، عن أبي بن عمار العبي ، أن حيان بن ظبيان السلمي كان يرى رأي الخوارج ، وكان ممن ارتث يوم النهروان ، فعفا عنه على عليه السلام في الأربعمائة الذين كان عفا عنهم من المرتثين يوم النهروان ، فكان في أهله وحشيره ، فلبث (١) شهراً أو نحوه . ثم إنه خرج إلى الرأي في رجال كانوا يرون ذلك الرأي ، فلم يزالوا مقيمين بالرأي حتى بلغهم قتل على كرم الله وجهه ، فدعا أصحابه أولئك — وكانوا بضعة عشر رجلاً ، أحدهم سالم بن ربيعة العبي — فأتوه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الإخوان من المسلمين ، إنه قد بلغني أن أخاكم ابن ملجم أخطأ مراد قتل على بن أبي طالب عند أغياش (٢) الصبح مقابل السدة التي في المسجد مسجد الجماعة ، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجه حتى خرج عليه حين أقام المقيم الصلاة صلاة الصبح ، فشد عليه ف ضرب رأسه بالسيف ، فلم يبق إلا ليتين حتى مات ، فقال سالم بن ربيعة العبي : لا يقطع الله بيننا عتق قتالته بالسيف ، قال : فأخذ (٣) القوم يحمسون الله على قتله عليه السلام ورضى الله عنه ولا رضى عنهم ولا رحمهم !

١٨/٢

قال النضر بن صالح : فسألت بعد ذلك سالم بن ربيعة في إماره مصعب ابن الزبير عن قوله ذلك في على عليه السلام ، فأقر لي به ، وقال : كنت أرى رأيهم حيناً ، ولكن قد تركته ، قال : فكان في أنفسنا أنه قد تركه ، قال : فكان إذا ذكروا له ذلك يرّمضه . قال : ثم إن حيان بن ظبيان قال لأصحابه : إنه والله ما يبقى على الدهر باق ، وما تلبث الليالي والأيام والسنوات والشهور على ابن آدم حتى تؤديه الموت ، فيفارق الإخوان الصالحين ، ويدع الدنيا التي لا يبكي عليها إلا العجزة ، ولم تزل ضارة لمن كانت

(١) م : ه لكت .

(٢) الأغياش : جمع غياش ، وهو بقية الظلمة يتألفها بياض القمر .

(٣) م : وأخذ .

له همًّا وشَجَنًا ، فأنصرفوا بنا رحمكم الله إلى مصرنا ، فلنأت إخواننا فلندعهم
إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإلى جهاد الأحزاب ، فإنه لا عذر
لنا في القعود ، وولأئنا ظلمة ، وسنة الهدى متروكة ، وثأرنا الذين قتلوا
إخواننا في المجالس آمنون ، فإن يُظفرنا الله بهم نعيد بعد إلى التي هي
أهدى وأرضى وأقوم ، ويشفى الله بملك صلور قوم مؤمنين ، وإن نُقتل
فإن في مفارقة الظالمين راحة لنا ، ولنا بأسلافنا أسوة . فقالوا له : كلنا قاتل
ما ذكرت ، وحامد رأيك الذي رأيت ، فرد بنا المِصر فلما ملك راضون بهذا
وأمرك ، فخرج وخرجوا معه مقللين إلى الكوفة ، فلما حين يقول :

خليلٌ ما بي من عزاء ولا صبرٍ ولا إزبةٍ بعد المُصابين بالتهير
يسوى نهضات في كسائب جمّة إلى الله ما تدعوني الله ما تقرى
إذا جاوزت قسطنانة الرى بظلى فلست بسارٍ نحوها آخِر الدهر
ولكننى سارٍ وإن قلّ ناصرى قريباً فلا أخزىكما مع من يسرى

قال : وأقبل حتى نزل الكوفة ، فلم يزل بها حتى قدِم معاوية ، وبعث
المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة ، فأحب العافية ، وأحسن في الناس السيرة ،
ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم ، وكان يؤتى فيقال له : إن فلاناً يترى
رأى الشيعة ، وإن فلاناً يرى رأى الخوارج . وكان يقول : قضى الله ألا
تزالون مختلفين ، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون . فأمنه الناس ،
وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً ، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالتهور
ويرون أن في الإمامة القين والوكف ، وأن في جهاد أهل القبلة الفضل
والأجر .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح ، عن أبي بن حمزة ، أن
الخوارج في أيام المغيرة بن شعبة قزعوا إلى ثلاثة نفر ، منهم المستورد بن
عكفة ، فخرج في ثلاثة رجل مقبلاً نحو جرجرايا على شاطئ دجلة .

قال أبو مخنف : وحدثني جعفر بن حذيفة الطائي عن آل عامر بن

جُوَيْنَ ، عن الحلّ بن خفيفة ، أن الخوارج في أيام المغيرة بن شعبة فرزوا إلى ثلاثة نفر ، منهم المستورد بن علفة التيمي من تميم الرباب ، وإلى حيّان بن ظبيان السلمي ، وإلى معاذ بن جُوَيْنَ بن حُصَيْن الطائي السبسي - وهو ابن عمّ زيد بن حُصَيْن ، وكان زيد من قتلته على عليه السلام يوم النهروان ، وكان معاذ بن جُوَيْنَ هذا في الأربعمائة الذين ارتشوا من قتل الخوارج ، فعفا عنهم على عليه السلام - فاجتمعوا في منزل حيّان بن ظبيان السلمي ، فتشاوروا فيمن يؤمن عليهم . قال : فقال لهم المستورد : يا أيها المسلمون والمؤمنون ، أراكم الله ما تحبون ، ومزل عنكم ما تكرهون ، ولأولئك عليكم من أحببتم ، فواللذي يتعلم خاتمة الأعمى وما تخفي الصدور ما أبالي من كان الولي على منكم ! وما شرف الدنيا نريد ، وما إلى البقاء فيها من سبيل ، وما نريد إلا الخلود في دار الخلود . فقال حيّان بن ظبيان : أمّا أنا فلا حاجة لي فيها وأنا بك وبكل امرئ من إخواني راضٍ ، فانظروا من شتم منكم فسموه ، فأنا أول من يبايعه . فقال لهم معاذ بن جُوَيْنَ بن حُصَيْن : إذا قلنا أنها هذا وأنها سيدنا المسلمين وذو أنسابهم في صلاحكمما ودينكمما وقدركما ، فمن يرئس المسلمين ، وليس كلكم يصلح لهذا الأمر ! ولأنا ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب ، وأقتضهم في الدين ، وأشدّهم اضطلاحاً بما حصل ، وأنها بحمد الله ممن يرضى بهذا الأمر ، فليتولّه أحدكم . قال : فتولّه أنت ، فقد رضيّاك ، فأنت والحمد لله الكامل في دينك ورأيك ، فقال لهما : أنها أسنّ مني ، فليتولّه أحدكم ، فقال حيثنذ جماعة من حضرهما من الخوارج : قد رضيّا بك أيّها الثلاثة ، فولوا أبكم أحببتم ، فليس في الثلاثة رجلٌ إلا قال لصاحبه : تولّها أنت ، فإني بك راضٍ ، وإني فيها غير ذي رغبة . فلما كثرتك بينهم قال حيّان بن ظبيان ، فإن معاذ بن جُوَيْنَ قال : إني لا ألي عليكم وأنا أسنّ مني ، وأنا أقول لك مثل ما قال لي ولك ، لا ألي عليك وأنت أسنّ مني ، أبسط يدك أبايملك . فبسط يده فبايعه ، ثم بايعه معاذ بن جوين ، ثم بايعه القوم جميعاً ، وذلك في جمادى الآخرة . فاتفق القوم أن يتجهزوا ويتيسروا ويستعدوا ، ثم يخرجوا في غرة الحلال هلال

شعبان سنة ثلاث وأربعين ، فكانوا في جهازهم وعدتهم .

٢٢/٢ وقيل : في هذه السنة سار بسر بن أبي أرمطة العامري إلى المدينة ومكة واليمن ، وقتل من قتله في مسيره ذلك من المسلمين .

وذلك قول الواقدي ، وقد ذكرت من خالفه في وقت مسيره هذا السير . وزعم الواقدي أن داود بن حيان حدثه ، عن عطاء بن أبي مروان ، قال : أقام بسر بن أبي أرمطة بالمدينة شهراً يستعرض الناس ، ليس أحد من يقال هذا أمان على عيان إلا قتله .

وقال عطاء بن أبي مروان : أخبرني حنظلة بن علي الأسلمي ، قال : وجد قوماً من بني كعب وعلمانهم على بئر لم يألقاهم في البئر .

[ذكر قدوم زياد على معاوية]

وفي هذه السنة قدّم زياد - فيما حدثني عمر - قال : حدثنا أبو الحسن ، عن سليمان بن أرقم ، قدم على معاوية من فارس ، فصالحه على مال يحمّله إليه .

وكان سبب قدومه بعد امتناعه بقلعة من قلاع فارس ، ما حدثني عمر قال : حدثنا أبو الحسن ، عن مسلمة بن عمار ، قال : كان عبد الرحمن بن أبي بكر يلى ما كان لزياد بالبصرة ، فبلغ معاوية أن لزياد أموالاً عند عبد الرحمن ، وخاف زياد على أشياء كانت في يد عبد الرحمن لزياد ، فكتب إليه يأمره بإحرازها ، وبعث معاوية إلى المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد ، فقدم المغيرة ، فأخذ عبد الرحمن ، فقال : لئن كان أساء إلى أبوك لقد أحسن زياد . وكتب إلى معاوية : إني لم أصب في يد عبد الرحمن شيئاً يحل لي أخذه . فكتب معاوية إلى المغيرة أن عذّبه . قال : وقال بعض المشيخة : إنه عذّب عبد الرحمن بن أبي بكر إذ كتب إليه معاوية ، وأراد أن يعذّر ويبلغ معاوية ذلك ، فقال : احفظ بما أمرك به عمك ، فألقى على وجهه حربة ونفّسها بلاء ، فكانت تكترق بوجهه ، فغشى عليه ، فقبل ذلك

ثلاث مرّات ، ثم خلاّه ، وكتب إلى معاوية : إني عدّته ، فلم أصب عنده شيئاً ، فحفظ لزياد يده عنده .

حدثني عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن عبد الملك بن عبد الله الشَّقَقِيّ ، عن أشياخ من ثقيف ، قالوا : دخل المغيرة بن شُعْبة على معاوية ، فقال معاوية حين نظر إليه :

إِنَّمَا مَوْضِعُ سِرِّ الْمَرْءِ إِنْ بَاخَ بِالسَّرِّ أَخُوهُ لِمُتَّصِحٍّ فَلِذَا بُحِثَ بِسِرِّهِ فَلَيْلٍ نَاصِحٍ يَسْتُرُهُ أَوْ لَا تَبُحِّ

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن تستودعني تستودع ناصحاً شفيقاً^(١) ورِعاً وثيقاً ، فما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرتُ زياداً واعتصامه بأرض

فارسٍ ، وامتناعه بها ، فلم أتم ليلى ، فأراد المغيرة أن يطأطأ من زياد ، فقال : ما زياد هناك يا أمير المؤمنين ! فقال معاوية : يشس الوطء المعجز ، داهية

العرب معه الأموال ، متحصن بقلع فارس ، يدبر ويربص الحِجَل ، ما يؤمنني أن يبيع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هو قد أعاد على الحرب خُدعة

فقال المغيرة : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه ! قال : نعم ، فأنت وتلطّف

له ، فأقى المغيرة زياداً ، فقال زياد حين بلغه قُدم المغيرة : ما قدّم إلا ٢٤/٢

لأمر ، ثم أذن له ، فدخل عليه وهو في بهو له مستقبل الشمس ، فقال زياد :

أفطع رائد ! فقال : إليك ينتهي الخبر أبا المغيرة^(٢) ، إن معاوية استخفّه الوجك

حتى بعثني إليك ، ولم يكن يعلم أحداً بمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن ،

وقد بايع معاوية ، فخذ لنفسك قبل التَّوَلُّين ، فيستغنى عنك معاوية ، قال :

أشِرَّ على ، وإرم الغرض الأخصى ، ودع عنك التَّضَلُّول ، فإنّ المستشار

مؤتمن ، فقال المغيرة : في تخض الرأى بشاعة ، ولا خير في التَّدْيِق^(٣) ،

أرى أن تصلّ جبلك بجبله ، وتخصّص إليه ، قال : أرى ويقضى الله .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، عن مسلمة بن عمار ، قال :

(١) ف : « شفيقاً » . (٢) أبا المغيرة ، كنية زياد ، وانظر الإستهباب .

(٣) التَّدْيِق : البين المزوج بالله . والمخص : التّخلص ، والتّخلص على الإصطراء .

أقام زياد في القلعة أكثر من سنة ، فكتب إليه معاوية : هلام تهلك نفسك ؟ إلى فأعلمني عليم ما صار إليك مما اجبت من الأموال ، وما خرج من يديك ، وما بقي عندك ، وأنت أمين ، فإن أجببت المقام متلنا أقمت ، وإن أجببت أن ترجع إلى مأمك^(١) رجعت . فخرج زياد من فارس ، وبلغ المغيرة بن شعبة أن زياداً قد أجمع على إتيان معاوية ، ففحص المغيرة إلى معاوية قبل شحوص زياد من فارس ، وأخذ زياد من إصطخر إلى أرتجان ، فأقماه بهزافان ، ثم أخذ طريق حلوان حتى قدم المدائن ، فخرج عبدالرحمن إلى معاوية يخبره بقدم زياد ، ثم قدم زياد الشام ، وقدم المغيرة بعد شهر ، فقال له معاوية : يا مغيرة ، زياد أبعد منك بمسيرة شهر^(٢) ، وخرجت قبله وسبتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الأريب إذا كلم الأريب أفحمه ، قال : خذ حذرَكَ ، واطو عنى سيرَكَ ، فقال : إن زياداً قدم يرجو الزيادة ، وقدمت أنخوف التقصان ، فكان سيرنا على حسب ذلك ، قال : فسأل معاوية زياداً عما صار إليه من أموال فارس ، فأخبره بما حمل منها إلى على رضي الله عنه ، وما أنفق منها في الرجوع التي يحتاج فيها إلى النفقة ، فصدقته معاوية على ما أنفق ، وما بقي عنده ، وقبضته منه ، وقال : قد كنت أمين خلفائنا .

٢٠/٢

حدثني عمر ، قال : حدثنا على ، قال : حدثنا أبو مخنف وأبو عبد الرحمن الأصمعي^(٣) وسكمة بن عثمان وشيخ من بني تميم وغيرهم ممن يوثق بهم ، قال : كتب معاوية إلى زياد وهو بفارس يسأله القدوم عليه ، فخرج زياد من فارس مع المنجاب بن راشد الضبي وطرفة بن بدر الغداني ، وشرح عبد الله بن خازم في جماعة إلى فارس ، فقال : لعلك تكفى زياداً في طريقك فتأخذه . فسر ابن خازم إلى فارس ، فقال بعضهم : لقيه بسوق الأهواز ، وقال بعضهم : لقيه بأرتجان ، فأخذ ابن خازم بعين زياد ، فقال : انزل يا زياد ، فصاح به المنجاب بن راشد : تنح يا بن سؤداء ، وإلا حلفت يدك بالعنان . قال : ويقال : انتهى إليهم ابن خازم وزياد

(١) س : مأمك .

(٢) ف : ليلة بغير .

جالس ، فأغلظ له ابن خازم ، فشتَمَ المتجانب بن خازم ، فقال له زياد : ٢٦/٢
ما تريد يا بن خازم ؟ قال : أريد أن تجيء إلى البصرة ، قال : فإني آتيها ،
فانصرف ابن خازم استحياءً من زياد .

وقال بعضهم : التقى زياد وابن خازم بأرجان ، فكانت بينهما منازعة ،
فقال زياد لابن خازم قد أتاني أمان معاوية ، فأنا أريده ، وهذا كتابه إلي .
قال : فإن كنت تريد أمير المؤمنين فلا سبيل عليك ، قضى ابن خازم إلى
سابور ، ومضى زياد إلى ماه بهنزاذان ، وقدم على معاوية ، فسأله عن
أموال فارس ، فقال : دفعتها يا أمير المؤمنين في أرزاق وأعطيت وحملات ،
وبقيت بقية أودعتها قوماً ، فكث بذلك برده ، وكتب زياد كتباً إلى قوم
منهم شعبة بن القيسم : قد علمتم ما لي عندكم من الأمانة ، فتدبروا كتاب
الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ... ﴾ (١)
الآية ، فاحتفظوا بما قبلكم . وسمى في الكتب بالمبلغ الذي أقر به لمعاوية ،
ودس الكتب مع رسوله ، وأمره أن يعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية ،
فتعرض رسوله حتى انتشر ذلك ، وأخذ فأتى به معاوية ، فقال معاوية لزياد :
لئن لم تكن مكربت بي إن هذه الكتب من حاجتي . فقرأها ، فإذا هي بمثل
ما أقر به ، فقال معاوية : أخاف أن تكون قد مكربت بي ، فصالحني على
ما شئت ، فصالحته على شيء مما ذكره أنه عنده ، فحمله ، وقال زياد :
يا أمير المؤمنين ، قد كان لي مال قبل الولاية ، فوددت أن ذلك المال بي ،
وذهب ما أخذت من الولاية . ثم سأل زياد معاوية أن يأذن له في نزول الكوفة
فأذن له ، فشتخص إلى الكوفة ، فكان المغيرة يكرمه ويعظمه ، فكتب معاوية ٢٧/٢
إلى المغيرة : خذ زياداً وسليان بن صرد وحجر بن عدى وشبث بن ربعي
وابن الكواء وعمرو بن الحميق بالصلاة في الجماعة ، فكانوا يحضرون معه
في الصلاة .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي ، عن سليمان بن أرقم ، قال :
بلغني أن زياداً قدم الكوفة ، فحضرت الصلاة ، فقال له المغيرة : تقدم

فصل ، فقال : لا أفضل ، أنت أحقّ منّي بالصلاة في سلطانك . قال :
 ودخل عليه زياد وعند المغيرة أمّ أيوب بنت حمارة بن عقبة بن أبي معيط ،
 فأجلسها بين يديه ، وقال : لا تستري من أبي المغيرة ، فلما مات المغيرة
 تزوجها زياد وهي حادثة ، فكان زياد يأمر بفيل كان عنده ، فيوقف ،
 فتنظر إليه أمّ أيوب ، فسمّى باب الفيل .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان ، كذلك حدثني
 أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة بئر بن أبي أرطاة الروم ومشته بأرضهم حتى بلغ
القسطنطينية - فيما زعم الواقدي - وقد أنكر ذلك قوم من أهل الأخبار ،
فقالوا : لم يكن لبئر بأرض الروم مشي قط .

وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يوم الفطر ، وقيل كان عمل عليها لعمر
ابن الخطاب رضى الله عنه أربع سنين ، ولعمان أربع سنين إلا شهرين ،
ولعاوية ستين إلا شهراً .

وفيها ولّى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر بعد موت أبيه ،
فوكيها له - فيما زعم الواقدي - نحواً من ستين .
وفيها مات محمد بن مسلمة في صفر بالمدينة ، وصلى عليه مروان بن
الحكم .

[خبر قتل المستورد بن علفة الغارجي]

وفيها قُتل المستورد بن علفة الغارجي ، فيما زعم هشام بن محمد . وقد زعم
بعضهم أنه قتل في سنة اثنتين وأربعين .
* ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا ما كان من اجتماع بقايا الخوارج الذين كانوا ارتضوا يوم النهر ،
ومن كان منهم انحاز إلى الرئى وغيرهم إلى نفر الثلاثة الذين سميت قبل ، الذين
أحدّم المستورد بن علفة ، وذكرنا يبعثهم المستورد ، واجتماعهم على الخروج
في غرة هلال شعبان من سنة ثلاث وأربعين .

فذكر هشام ، عن أبي مخنف ، أن جعفر بن حذيفة الطائي حدثه
عن المحل بن خليفة ، أن قبيصة بن الدثون أتى المغيرة بن شعبة - وكان
على شرطته - فقال : إن شمر بن جموثة الكلابي جاعف فخبرني أن الخوارج
قد اجتمعوا في منزل حيّان بن ظبيان السلمي ، وقد اتعدوا أن يخرجوا إليك

في غرة شعبان ، قال المغيرة بن شعبه لقييسة بن النعمان - وهو حليف
لثقيف ، وزعموا أن أصله كان من حضر موت من العَدَف : سِرَّ
بالشرطة حتى تحبط بدار حيان بن ظبيان فأتاني به ، ومع لا يبرون إلا ٢٩/٧
أنه أمير تلك الخوارج . فسار قتيصة في الشرطة وفي كثير من الناس ، فلم
يشعر حيان بن ظبيان إلا والرجال معه في داره نصف النهار ، وإذا معه
معاذ بن جؤين ونحو من عشرين رجلاً من أصحابهما ، واثارت امرأته ،
أم ولد^(١) له ، فأنحلت سيفاً كانت لهم ، فالتفتها تحت القيراش ، وفزع
بعض القوم إلى ميوفهم فلم يجدوها ، فاستسلموا ، فالتفت بهم إلى المغيرة
ابن شعبه ، فقال لهم المغيرة: ما حاكمكم على ما أردتم من شق عصا المسلمين ؟
فقالوا : ما أردنا من ذلك شيئاً ، قال : بلى ، قد بلغني ذلك عنكم ، ثم قد
صدق ذلك عندي جماعتكم ، قالوا له : أما اجتمعنا^(٢) في هذا المنزل لأن حيان
ابن ظبيان أقرنا القرآن ، فتحن نجتمع عنده في منزله فقرأ القرآن عليه .
فقال : ادعوا بهم إلى السجن ، فلم يزالوا فيه نحواً من ستة ، وسمع إخوانهم بأخلم
فحذروا ، وخرج صاحبهم المستورد بن علفه فترل داراً بالحيرة إلى جنب
قصر العلميين من كُتُب ، فبعث إلى إخوانه ، وكانوا يختلفون إليه ويتجهزون ،
فلما كثرت اختلاف أصحابه إليه قال لهم صاحبهم المستورد بن علفه التيمي :
تحركوا بنا عن هذا المكان ، فإني لا آمن أن يُطَّلَعَ عليكم . فإنيهم في ذلك
يقول بعضهم لبعض : نأى مكان كذا وكذا ، ويقول بعضهم : نأى مكان ٣٠/٧
كذا وكذا ، إذ أشرف عليهم حجار بن أبجر من دار كان هوفياً وطافه
من أهله ، فلما هم بفارستين قد أقبلوا حتى دخلوا تلك الدار التي فيها القوم ،
ثم لم يكن بأسرع من أن جاء آخران فدخلوا ، ثم لم يكن إلا قليل حتى جاء
آخر فدخل ، ثم آخر فدخل ، وكان^(٣) ذلك يعني ، وكان خروجهم قد
اقرب ، فقال حجار لصاحبه الدار التي كان فيها نازلاً وهي تُرْضِع صبيّاً
لها : ويحك ! ما هذه الخيل التي أراها تسخل هذه الدار ؟ قالت : والله

(١) من : ولم يله . (٢) ف : أما جماعتنا .

(٣) من : وكل .

ما أدرى ما هم ! إلا أن الرجال يخطفون إلى هذه الدار رجلاً وفرساناً لا يقطعون ، ولقد أنكرنا ذلك منذ أيام ، ولا ندرى من هم ! فركب حجار فرسه ، وخرج معه غلام له ، فأقبل حتى انتهى إلى باب دارهم ، فإذا عليه رجل منهم ، فكلما أتى إنسان منهم إلى الباب دخل إلى صاحبه فأعلمه ، فأذن له ، فإن جاءه رجل من معروفهم دخل ولم يستأذن ، فلما انتهى إليه حجار لم يعرفه الرجل ، فقال : من أنت رحمك الله ؟ وما تريد ؟ قال : أردت لقاء صاحبي ، قال له : وما اسمك ؟ قال له : حجار بن أبيير ، قال : فكما أنت حتى أودعهم بك . ثم أخرج إليك . فقال له حجار : ادخل راشداً ! فدخل الرجل ، واتبعه حجار مسرعاً ، فأنهى إلى باب صفة عظيمة هم فيها ، وقد دخل إليهم الرجل فقال : هذا رجل يستأذن عليك أنكرته فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا حجار بن أبيير ، فسمعهم يتفرعون ويقولون : ٣١/٢ حجار بن أبيير ! والله ما جاء حجار بن أبيير بخير . فلما سمع القول منهم أراد أن ينصرف ويكتفى بذلك من الاستابة بأمرهم ، ثم أبت نفسه أن ينصرف حتى يعاينتهم ، فتقدم حتى قام بين سيجتي باب الصفة وقال : السلام عليكم ، فنظر فإذا هو بجماعة كثيرة ، وإذا سلاح ظاهر ودروع ، فقال حجار : اللهم اجمعهم على خير ، من أنتم عافاكم الله ؟ فعرفه علي بن أبي شمر ابن الحصين ، من تيم الرباب - وكان أحد الثمانية الذين انهزموا من الخوارج يوم النهير ، وكان من فرسان العرب ونسأ بهم وخيارهم - فقال له : يا حجار ابن أبيير ، إن كنت إنما جاء بك التماس الخبر فقد وجدت ، وإن كنت إنما جاء بك أمر غير ذلك فادخل ، وأخبرنا ما أتى بك ، فقال : لا حاجة لي في التحويل ، فانصرف ، فقال بعضهم لبعض : أدركوا هذا فاحبسوه ، فإنه مؤذن بكم ، فخرجت منهم جماعة في أثره - وذلك عند تظليل الشمس للإياب - فأنهتوا إليه وقد ركب فرسه ، فقالوا له : أخبرنا خبرك ، وما جاء بك ؟ قال : لم آت لشيء يروءكم ولا يهولكم ، فقالوا له : انتظر حتى ندنو منك ونكلمك ، أو تدنوا منا ؟ أخبرنا فعلك أمراً ، ونذكر حاجتنا ، فقال لهم : ما أنا بدين منكم ، ولا أريد أن يدنوا مني منكم أحد ، فقال له

علي بن أبي شمر بن الحصين : أفقستنا^(١) أنت من الإخذ بنا هذه الليلة وأنت
 مُحسن ، فإن لنا قرابةً وحققاً ؟ قال : نعم ، أنتم آمنون من قبل هذه الليلة
 وليالي الدهر كلها ، ثم انطلق حتى دخل الكوفة وأدخل أهله معه . وقال
 الآخرون بعضهم لبعض : إنا لا نأمن أن يؤخذ بنا هذا ، فخرجوا بنا من هذا
 الموضع ساعتنا هذه ، قال : فصلوا المغرب ، ثم خرجوا من الحيرة متفرقين ،
 فقال لهم صاحبهم : الحقوا بي في دار سُلَيْم بن مخلوج العبدى من بني
 سليمة ، فخرج من الحيرة ، فضى حتى أتى عبد القيس ، فأقى بني سليمة ،
 فبعث إلى سُلَيْم بن مخلوج - وكان له صهرًا - فأناه ، فأدخله وأصحاباً له
 خمسة أو ستة ، ورجع حَجَّار بن أبيجر إلى رحله ، فأخذوا ينتظرون منه أن
 يبلغهم منه ذكرٌ لهم عند السلطان أو الناس ، فاذكرهم عند أحد منهم ،
 ولا بلغهم عنه في ذلك شيء يكرهونه .

٣٢/٢

فبلغ الخبر المغيرة بن شُعْبة أن الخوارج خارجة عليه في أيامه تلك ،
 وأنهم قد اجتمعوا على رجل منهم ، فقام المغيرة بن شعبة في الناس ، فحمد الله
 وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فقد علمت أيها الناس أني لم أزل أحب لجماعتكم
 العافية ، وأكف عنكم الأذى ، وأقى والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء
 لسفهاكم ، فأما الخُلَفاء الأتقياء فلا ، وإيم الله لقد خشيت ألا أجد بداً
 من أن يُعصَّب الحليم التقي بذنب السفية الجاهل ، فكفوا أيها الناس سفهاءكم
 قبل أن يشمل البلاء عوامكم . وقد ذُكر لي أن رجالاً منكم يريدون أن
 يظهروا في مصر بالشقاق والخلاف ، وإيم الله لا يخرجون في حق من أحياء
 العرب في هذا المصر إلا أبدتْهم وجعلتْهم نكالاً لمن بعدهم ، فنظر قوم
 لأنفسهم قبل التلم ، فقد قمت هذا المقام لإزادة الحجّة والإعذار .

٣٢/٢

فقام إليه مَسْقِل بن قيس الرياحى فقال : أيها الأمير ، هل مُتمى
 لك أحدٌ من هؤلاء القوم^(٢) ؟ فإن كانوا مُتموا لك فأعلمنا من هم ؟ فإن
 كانوا منا كُفينا عنهم ، وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الطاعة من أهل

مصرنا ، فأنتك كل قبيلة بسفهاثها ، فقال : ما سُميَ لي أحد منهم ، ولكن قد قيل لي : إن جماعة يريدون أن يخرجوا بالمِصر ، فقال له معقل : أصلحك الله ! فإني أسير في قوى ، وأكفيك ما هم فيه ، فليكيفك كل امرئ من الرؤساء قومه . فترل المغيرة بن شعبة ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثم قال لهم : إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعتم ، فليكني كل امرئ من الرؤساء قومه ، وإلا فوالذي لا إله غيره لأتحولن عما كنتم تسمونون إلى ما تُنكرون ، وعما تحبون إلى ما تكرهون ، فلا يَلَمُّ لأئم إلا نفسه ، وقد أَعَذَّر من أنذر . فخرجت الرؤساء إلى عشايرهم ، فَنَاشَدُوهم الله والإسلامَ إلا دَلُّوهم على مَنْ يروون أنه يريد أن يهيج فتنة^(١) ، أو يفارق جماعة^(٢) ؛ وجاء صَعَصعة بن صُوحان فقام في عبد القيس .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني الأسود بن قيس العبدي ، عن مرة بن النعمان ، قال : قام فينا صَعَصعة بن صُوحان وقد والله جاءه من الخبر بمثل التَّيَمِّي وأصحابه في دارسليم بن ملحوج ، ولكنه كَرِهَ على فراقه إِيَّاهم وبغضه لِرأيهم ، أن يُؤْخَلُوا^(٢) في عشيرته ، وكره مساعة أهل بيت من قومه ، فقال : قَوْلًا حسنًا ، ونحن يومئذ كثيرٌ أشرافنا ، حسنٌ عددنا ، قال : ٢٤/٢
فقام فينا بعد ما صلَّى العصر ، فقال : يا معشرَ عبادالله ، إن الله - وله الحمد كثيرًا - لمَّا قسم الفضلَ بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم ، فأجبتكم إلى دين الله الذي اختاره الله لنفسه ، وارتضاه للملائكة ورُسُلِهِ ، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسولَهُ صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلف الناس بعدَهُ فبشت طائفة ، وارتدت طائفة ، وأدعت طائفة ، وتربصت طائفة ، فلزمت دينَ الله إيمانًا به ورسوله ، وقاتلت المرتدين حتى قام الدين ، وأهلك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدهم بملك خيرًا في كل شيء ، وعلى كل حال ، حتى اختلفت الأمة بينها ، فقالت طائفة : نريد طلحة والزبير وعائشة ، وقالت طائفة :

(١) ف : « الفتنة » .

(٢) ف : « أن يرحلوا » .

نريد أهل المغرب ، وقالت طائفة : نريد عبد الله بن وهب الراسبي ، راسب
الأزد ، وقلم أمم : لا نريد إلا أهل البيت الذين اجتدنا الله من قبلهم بالكروامة ،
تسديداً من الله لكم وتوفيقاً ، فلم تزلوا على الحق لازمين له ، آخذين
به ، حتى أهلك الله بهم وبمن كان على مثل هذاكم ورأيكم الناكثين يوم
الاحمل ، والملاقين يوم النهر - وسكت عن ذكر أهل الشام ، لأن السلطان
كان حينئذ سلطانهم - ولا قوم أعدى قه ولكم ولأهل بيت نبيكم ولجماعة
المسلمين من هذه المارقة الخاطئة ، الذين فارقوا إمامنا ، واستحلوا دماءنا ،
وشهدوا علينا بالكفر ، فلما كنتم أن تؤذوهم في دؤركم ، أو تكتموا عليهم ،
فلله ليس ينبغي لحى من أعياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم ، وقد
والله ذكيري أن بعضهم في جانب من الحى ، وأنا باحث عن ذلك وسائل ، ٢٥/٢
فلن كان حكي لي ذلك حقاً تقربت إلى الله تعالى بدعائهم ، فلن دماءهم
حلال . ثم قال : يا معشر عبد القيس ، إن ولانا هؤلاء هم أعرف شئ
بكم ورأيكم ، فلا تجعلوا لهم عليكم ميلاً ، فلنهم أسرع شئ إليكم وإلى
أهلكم ^(١) . ثم تنحنى فجلس ، فكل قومه قال : لئنهم الله ! وقال : برئ
الله منهم ، فلا والله ^(٢) فلا تؤذوهم ، ولئن صلينا بمكانهم لتطفنك عليهم ، غير
سليم بن عذوج ، فإنه لم يقل شيئاً ، فرجع ^(٣) إلى قومه كئيباً واجماً ،
يكره ^(٤) أن يخرج أصحابه من منزله فيلتموه ، وقد كانت بينهم مصاهرة ،
وكان لم تمة ، ويكره أن يطلبتوا في داره فيهلكوا ويهلك . وجاء فدخل
رحته ، وأقبل أصحاب المشرك يأتونه ، فليس منهم رجل إلا يخبره بما قام
به الغيرة بن شعبة في الناس وجماعهم وقصائهم ، وقاموا فيهم ، وقالوا له :
انخرج بنا ، فوالله ما نأمن أن نخضع في عشارنا . قال : فقال لهم : أما ترون
رأس عبد القيس قام فيهم كما قامت رؤساء العشائر في عشارهم ؟ قالوا :

(١) م : واهلككم .

(٢) م : والله .

(٣) ف : ورجع .

(٤) ف : يكره .

بلى والله نرى . قال : فإن صاحب منزلى لم يذكر لى شيئا ؛ قالوا : نرى والله أنه استخيا منك ، فدعاه فأتاه ، فقال : يا بن مخلوج ؛ إنه قد بلغنى أن رؤساء العشائر قاموا إليهم ، وتقدموا إليهم فى رضى أصحابى ، فهل قام فيكم أحدٌ يتذكر لكم شيئا من ذلك ؟ قال : فقال : نعم ؛ قد قام فينا صمصمة ابن صوحان ، فتقدم إلينا فى الآ نؤوى أحداً من طليبتهم ، وقالوا أقاويل كثيرة كرهت أن أذكرها لكم فتحسبوا أنه ثقل على شيء من أمركم ؛ فقال له المستورد : قد أكرمت المثنوى ، وأحسن الفيل ، ونحن إن شاء الله مُرتحلون عنك^(١) ، ثم قال : أما والله لو أرادوك فى رحلى ما وصلوا إليك ولا إلى أحد من أصحابك حتى أموت دونكم ، قال : أعاذك الله من ذلك ؛ وبلغ الذين فى محبس المغيرة ما أجمع عليه أهل الميصر من الرأى فى نفسى من كان بينهم من الخوارج وأخذهم ، فقال معاذ بن جؤين بن حصين فى ذلك :

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ	شرى نفسه لله أن يترحلا
أقمم بدار الخاطئين جهالة	وكل امرئ منكم يُصاد ليقتلا
فشلوا على القوم العداة فإنما	أفاننكم للنبح رأيا مضلا
ألا فاقصروا يا قوم للغاية إلى	إذا ذكرت كانت أبر وأعدلا
فيا ليتنى فيكم على ظهر سايح	شديد القصبى دارعا غير أغزلا
ويا ليتنى فيكم أعادى عدوكم	فيسقى كأس النينة أولا
يعز على أن تخافوا وتطرؤوا	ولا أجرد فى المحلين منصلا
ولا يفرق جمعهم كل ماجد	إذا قلت قد ولئى وأذير أقبلا
مُشيعا بنصل السيفى خمس الوغى	يرى الصبر فى بعض المواطين أمثلا
وعز على أن تضاموا وتنقصوا	وأصبح ذا بث أسيرا مكبلا

ولو أننى فيكم وقد قصدوا لكم أَثَرْتُ إِذَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ قَسْطَلَا
 فَيَارُبُّ جَمْعٌ قَدْ قَلْتُ وَغَارَةٌ شَهِدْتُ يَقْرَنُ قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلَا
 فَبِعثِ الْمُسْتَوْدِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمُ : أَخْرُجُوا مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ لَا يُصِيبُ
 أَمْرًا^(١) مُسْلِمًا فِي سَبِينَا بِغَيْرِ عِلْمٍ مَعْرُةٍ . وَكَانَ فِيهِمْ بَعْضٌ مِنْ يَرَى رَأْيَهُمْ ،
 فَاتَّعَلَوْا سُورًا ، فَخَرَجُوا إِلَيْهَا مُتَقَطِّعِينَ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةِ وَعَشْرَةٍ ، فَتَأَمَّوْا بِهَا
 ثَلَاثَةَ رَجُلٍ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى الصَّرَاةِ ، فَبَاتُوا بِهَا لَيْلَةً .

٣٧/٢

ثُمَّ إِنَّ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخْبَرَهُمْ ، فَعَدَا رُءُوسَ النَّاسِ ، فَقَالَ :
 إِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءَ قَدْ أَخْرَجَهُمُ الْحَيْنُ وَسُوءُ الرَّأْيِ ، فَمَنْ تَرَوْنَ أَيْتُ إِلَيْهِمْ ؟
 قَالَ : فَمَاقَ إِلَيْهِ عَدَى بْنُ حَاتِمٍ ، فَقَالَ : كُلُّنَا لَمْ عَدُوٌّ ، وَلِرَأْيِهِمْ مَسْفَةٌ^(٢) ،
 وَبِطَاعَتِكَ مُسْتَمْسِكٌ ، فَأَيْتَانَا شَتَّ سَارَ إِلَيْهِمْ .

فَمَاقَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تَبْعَثُ إِلَيْهِمْ أَحَدًا مِمَّنْ تَرَى حَوْلَكَ
 مِنْ أَشْرَافِ الْمِصْرِ إِلَّا وَجَدْتَهُ سَامِعًا مُطِيعًا ، وَلَمْ يَمَارِقًا ، وَلِهَلاكَهُمْ عَمِيًّا ،
 وَلَا أَرَى أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِمْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَعْدَى لَهُمْ وَلَا أَشَدَّ
 عَلَيْهِمْ مَنَى ، فَابْعَثْنِي إِلَيْهِمْ فَلَنْ أَكْفِيكَتَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَقَالَ : أَخْرِجْ
 عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، فَجَهَّزَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ رَجُلٍ .

وَقَالَ الْمَغِيرَةُ لِقَسْبِيصَةَ بْنِ الدَّمُونِ : الصَّقَى لِي بِشُعْبَةَ عَلِيٍّ ، فَأَخْرَجَهُمْ مَعَ
 مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ رَعُوسِ أَصْحَابِهِ ، فَلِذَا بَعَثَ بِشِيعَتِهِ الَّذِينَ
 كَانُوا يَمْرُقُونَ فَاجْتَمَعُوا جَمِيعًا ، اسْتَأْنَسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَتَنَاصَحُوا ، وَهُمْ
 أَشَدُّ اسْتِحْلَالًا لِلْمَاءِ هَذِهِ الْمَارِقَةِ ، وَأَجْرًا عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَقَدْ قَاتَلُوا قَبْلَ
 هَذِهِ الْمَرَّةِ .

قَالَ أَبُو خَنْفٍ : فَحَدَّثَنِي الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ ، عَنْ مَرَّةَ بْنِ مَنظِلٍ بْنِ
 النُّعْمَانِ ، قَالَ : كُنْتُ أَنَا فِيمَنْ تُدَبُّ مَعَهُ يَوْمئِذٍ ؛ قَالَ : لَقَدْ كَانَ صَحْصَحَةً
 ابْنِ صُوحَانَ قَامَ بَعْدَ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ وَقَالَ : ابْعَثْنِي إِلَيْهِمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،

٣٨/٢

فَأَنَا وَاللَّهِ لَمَّا تَمَّ مَسْجِدُكُمْ ، وَبِحَمَلِهَا مَسْجِدٌ ، قَالَ : اجْلِسْ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ خَطِيبٌ ، فَكَانَ أَحْفَظَ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ يَعْيبُ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيُكَيِّرُ ذِكْرَ عَلِيٍّ وَيُضِلُّهُ ، وَقَدْ كَانَ دَعَا ، قَالَ : إِيَّاكَ أَنْ يَبْلُغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَعْيبُ عُمَانَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَبْلُغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تُظْهِرُ شَيْئًا مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ عِلَالِيَّةً ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِذَاكَ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ شَيْئًا أَجْهَلُكَ ، بَلْ أَنَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ هَذَا السُّلْطَانُ قَدْ ظَهَرَ ، وَقَدْ أَخَذْنَا بِإِظْهَارِ عَيْبِهِ لِلنَّاسِ ، فَنَحْنُ نَدْعُ كَثِيرًا مِمَّا أَمَرْنَا بِهِ ، وَنَذْكُرُ الشَّيْءَ الَّذِي لَا نَجِدُ مِنْهُ بَدَأً ، نَدْفَعُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ أَنْفُسِنَا تَقِيَّةً ، فَإِنْ كُنْتَ ذَاكَرًا فَضْلَهُ فَادْكُرْهُ ^(١) يَبْنِيكَ وَيَبْنِي أَصْحَابَكَ فِي مِثَالِكُمْ سِرًّا ، وَأَمَّا عِلَالِيَّةٌ فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّ هَذَا لَا يَحْمِلُهُ الْخُلَيفَةُ لَنَا ، وَلَا يَعْلَمُونَا بِهِ ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ : نَعَمْ أَفْعَلْ ، ثُمَّ يَبْلُغُهُ أَنَّهُ قَدْ عَادَ إِلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا قَامَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : ابْعَثْنِي إِلَيْهِمْ ، وَجِدَ الْمَغِيرَةَ قَدْ حَقَّقَتْ عَلَيْهِ خِلَافَهُ إِيَّاهُ ، قَالَ : اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ خَطِيبٌ ، فَأَحْفَظْهُ ، قَالَ لَهُ : أَوْمًا أَنَا إِلَّا خَطِيبٌ قَطُّ ! أَجَلُ وَاللَّهِ ، إِنِّي لِلْخَطِيبِ الصَّكْبِ الرَّئِيسِ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شَهِدْتَنِي تَحْتَ رَايَةِ عَبْدِ الْقَيْسِ يَوْمَ الْجَمَلِ حَيْثُ اخْطَلَفْتَ الْقَتَا ، فَتُحْنُونَ تُفَرِّقُونِي ، وَهَامَةٌ تُخْطَلِي ، لَعَلِمْتُ أَنِّي أَنَا الْبَيْتُ الْمَرْبُورُ ، قَالَ : حَسْبُكَ الْآنَ ، لَعَمْرِي لَقَدْ أُوتِيتَ لِسَانًا فَصِيحًا ، وَلَمْ يَكُنْ قِيَمَةُ بِنِ الدَّمْعِ أَنْ أَخْرِجَ الْجَيْشَ مَعَ مَقْلٍ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ تُقَاوَةُ الشِّيعَةِ وَفُرْسَانِهِمْ .

٣٩/٢

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح ، عن سالم بن ربيعة ، قال : إِنِّي جَالِسٌ عِنْدَ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ حِينَ أَنَاهُ مَقْلٌ بِنِ قَيْسٍ يَسْلُمُ عَلَيْهِ وَيُودِّعُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَغِيرَةُ : يَا مَقْلُ بْنُ قَيْسٍ ، إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ مَعَكَ فُرْسَانَ أَهْلِ الْمَصْرِ ، أَمَرْتُ بِهِمْ فَاتَّخَبُوا اتِّخَابًا ، فَسَرُّوا إِلَيْهِ هَلْهُ الْعَصَابَةُ الْمَارِقَةُ الَّذِينَ فَارَقُوا جَمَاعَتَنَا ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِمُ بِالْكَفْرِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ ، وَإِلَى الدَّخُولِ فِي الْجَمَاعَةِ ، فَإِنْ فَعَلُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَكَفَّفْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ هُمْ لَمْ يَفْعَلُوا فَتَاجِزْهُمْ ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ .

فقال معقل بن قيس : سنلعوهم ونعذر ، وإيم الله ما أرى أن يقبلوا ، ولئن لم يقبلوا الحق لا نقبل منهم الباطل ، هل بلغت أصـلحك الله أين منزل القوم ؟ قال : نعم ، كتب إلى سمالك بن عبيد العيسى - وكان عاملاً له على المدائن - يخبرني أنهم ارتحلوا من الصرة ، فأقبلوا حتى نزلوا بهرسير ، وأنهم أرادوا أن يعبروا^(١) إلى المدينة العتيقة التي بها منازل^(٢) كسرى وأبيض المدائن ، فنعهم سمالك أن يحوزوا ، فتركوا بمدينة بهرسير مقيمين ، فخرج إليهم ، وانكمش^(٣) في آثارهم حتى تكشفهم ، ولا تدعهم والإقامة في بلد ينتهي إليهم فيه أكثر من الساعة التي تدعوهم فيها ، فإن قبلوا وإلا فناهضهم ، فإنهم لن يقيموا ببلد يومين إلا أضلوا كل من خالتهم .

٤٠/٢ فخرج من يومه فبات بسورا ، فأمر^(٤) المغيرة مولاه وراداً ، فخرج إلى الناس في مسجد الجماعة ، فقال : أيها الناس ، إن معقل بن قيس قد سار إلى هذه المارقة ، وقد بات الليلة بسورا ، فلا يتخلفن^(٥) عنه أحد من أصحابه .

ألا وإن الأمير يخرج على كل رجل من المسلمين منهم ، ويتعزم عليهم أن يبيتوا بالكوفة ، ألا وأيما رجل من هذا البعث وجئناه بعد يومنا بالكوفة فقد أحل بنفسه .

قال أبو مخنف : وحديثي عبد الرحمن بن جندب^(٦) ، عن عبد الله بن عتبة الغنوي ، قال : كنت فيمن خرج مع المستورد بن علفه ، وكنت أحدث رجل فيهم . قال : فخرجنا حتى أتينا الصرة ، فأقمنا بها حتى تامت جماعتنا ، ثم خرجنا حتى انتهينا إلى بهرسير ، فخطبناها ونذرنا سمالك بن عبيد العيسى ، وكان في المدينة العتيقة ، فلما ذهبنا لنعب الجسر إليهم قاتلنا عليه ، ثم قطعنا علينا ، فأقمنا بهرسير . قال : فدعاني المستورد بن علفه ، فقال : أنكتب يابن أخى ؟ قلت : نعم ، فدعاني برقى ودواة ، وقال : اكتب : من عبد الله

(١) ف : « يصيروا » .

(٢) ف : « منار » .

(٣) س : « وانكن » .

(٤) ف : « وأمر » .

(٥) ف : « فلا يتخلف » . (٦) ط : « حبيب » . وانظر التصريعات .

المستورِد أمير المؤمنين إلى سماك بن عبيد ، أما بعد ، فقد قِصِمْنَا على قوما
الجور في الأحكام ، وتعطيل الحدود ، والاستتار بالوء ، ولنا ندهوك إلى
كتاب الله عز وجل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وولاية أبي بكر ومروان
الله عليهما ، والبراءة من عثمان وعلى ، لإحداثهما في الدين ، وتركهما حكم
الكتاب ، فإنَّ تقبل فقد أدركت رشدك ، وإلا تقبل فقد بالغنا ^(١) في
الإعذار ^(٢) إليك ، وقد آذناك بحرب ، فتبذنا إليك على سواء ، إنَّ الله
لا يحب الخائنين . قال : فقال المستورِد : انطلق إلى سماك بهذا الكتاب فادفعه
إليه ، واحفظ ما يقول لك ، واقتنى .

قال : وكنت في حديثنا حين أدركت ، لم أجرب الأمور ، ولا علم لي
بكثير منها ، قلت : أصلحك الله ! لو أمرتني أن أستعرض دجلة فألقي
نفسى فيها ما عصيتك ، ولكن تأمن على سماك أن يتلقى بي ، فيحبسنى
حك ، فإذا أنا قد فاتنى ما أترجاه من الجهاد فبسم وقال : يابن أخى ،
إنما أنت رسول ، والرسول لا يُعرض له ، ولو خشيت ذلك عليك لم أبعثك ،
وما أنت على نفسك ^(٣) بأشفت منى عليك . قال : فخرجت حتى عبرت إليهم
في سمير ، فأبيت سلك بن عبيد ، وإذا الناس حولته كثير . قال : فلما
أقبلت نحوهم أبدؤنى أبعارهم ، فلما دنوت منهم ابتدرتني نحو من عشرة ،
وظننت والله أنَّ القوم يريدون أخذنى ، وأنَّ الأمر عندهم ليس كما ذكر لي
صاحبى ، فانتفضت سنى ، قلت : كلاً ، والذى نفسى بيده ، لا تصليون
إلى حتى أعذركم إلى الله فيكم ، قالوا : يا عبد الله ، من أنت ؟ قلت :
أنا رسول أمير المؤمنين المستورِد بن علفه ، قالوا : فلم انتفضت سيفك ؟
قلت : لا يشارككم إلى ، فخذت أن تهبطى وتغدروا بى . قالوا : فانت آمين ،
وإنما أبتك لتقوم إلى جنتك ، ونسبك بقائم سيفك ، ونظرت ما جئت له ،
وما تسأل ، قلت : ألم : ألت آميناً حتى تردنى إلى أصحابى ؟ قالوا :
بلى ، فقيمت سنى ، ثم أبيت حتى قمت على رأس سماك بن عبيد وأصحابه

(١) ط : ه أبغنا .

(٢) س : الإعذار .

(٣) س : وأخبرك نفسك .

قد التشبوا بي^(١)، فنهزم مُحمَّد بكَّاهم سبي، ومنهم ممسكٌ بعَصَدِي، فلفضتُ إليه كتابٌ صاحبي، فلما قرأه رفع رأسه إلى، قال: ما كان المستورد عندي خليقاً ليما كنت أرى من إغياته وتواضعه أن يخرج على المسلمين بسيفه يعرض على المستورد البراءة من عليّ وعثمان، ويدعوني إلى ولايته! فبئس والله الشيخ أنا إذا! قال: ثم نظر إلى فقال: يا بُنَيَّ، اذهب إلى صاحبك قل له: اتق الله وارجع عن رأيك، ودخل في جماعة المسلمين، فإن أردت أن أكذب لك في طلب الأمان إلى المغيرة فلت، فإنك ستجده سريعاً إلى الإصلاح، محباً للعافية: قال: قلت له، وإن لي فيهم يومئذ بصيرة، هيئات! إنما طلبنا بهذا الأمر الذي أخافنا فيكم في عاجل الدنيا الأمان عند الله يوم القيامة، فقال لي: يوشك لك! كيف أرحمك! ثم قال لأصحابه: إنهم خطؤا بهذا، ثم جعلوا يقرءون عليه القرآن ويتخضعون ويتباكون، فظن بهذا أنهم على شيء من الحق، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً، والله ما رأيت قوماً كانوا أظهر ضلالة، ولا أبين شوماً، من هؤلاء الذين ترون!

قلت: يا هذا إنني لم آتِكَ لأشاتمك ولا أجمع حديثك وحديث أصحابك، حدثني، أنت تجيبني إلى ما في هذا الكتاب أم لا فضع فأرجع إلى صاحبي؟ فنظر إلى ثم قال لأصحابه: ألا تمجبون إلى هذا الصبي! والله إنني لأراني أكبر من أبيه، وهو يقول لي: أتجيبني إلى ما في هذا الكتاب! انطلق يا بُنَيَّ إلى صاحبك، إنما تتقدم لو قد اكتنفتكم الخيل، وأشرعت في صدوركم الرماح، هناك تسمى لو كنت في بيت أمك! قال: فأنصرفت من عنده فعبثت إلى أصحابي، فلما دفوت من صاحبي قال: ما رد عليك؟ قلت: ما رد خيراً، قلت له: كلنا وقال لي: كلنا، فقصصت عليه القصة، قال: قال المستورد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلَنَزَلَتْهُمْ أَمْ لَمْ تُنْزِلْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم^(٢).

(١) ف: التشبوا به، س: اكتفى.

(٢) سورة البقرة ٤٦.

قال : فلبثنا بمكاننا ذاك يومين أو ثلاثة أيام ، ثم استبان لنا سير معقل ابن قيس إلينا . قال : فجمعتنا المستورد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن هذا الخرق معقل بن قيس قد وجه إليكم وهو من السبئية المفرين الكاذبين ، وهو لله ولكم عدو ، فأشيروا على برأيكم . قال : فقال له بعضنا : والله ما خرجنا نريد إلا الله ، وجهاد من عادى الله ، وقد جاءونا فأين نذهب عنهم ! بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . وقالت طائفة أخرى : بل نعتزل ونستنحي ، ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء .

٤٤/٧

فقال : يا معشر المسلمين ، إني والله ما خرجت ألتمس الدنيا ولا ذكرها ولا فخرها^(١) ولا البقاء ، وما أحب أنها لي بمخافيرها ، وأضعاف ما يشتاقس فيه منها بقبال^(٢) نعل ! وما خرجت إلا التماس الشهادة ، وأن يهديني الله إلى الكرامة بهوان بعض أهل الضلالة ، وإني قد نظرت فيما اشتريكم فيه فرأيت ألا أقيم لهم حتى يُقدِّموا على وهم بجامون^(٣) متوافرون ، ولكن رأيت أن أسير حتى أمعن ، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا ، فقتلوا وتبددوا ، فعكست تلك الحال ينبغي لنا قتالهم ، فاخرجوا بنا على اسم الله عز وجل .

قال : فخرجنا فضينا على شاطئ دجلة حتى انتهينا إلى جرجاريا ، فعبرنا دجلة ، ففضينا كما نحن في أرض جوخي حتى بلغنا المدار ، فأقمنا فيها ، وبلغ عبد الله بن عامر مكاننا الذي كنا فيه ، فسأل عن المغيرة بن شعبة ، كيف صنع في الجيش الذي بعث إلى الخوارج ؟ وكهم عيدهم ؟ فأخبر بعيدهم ، وقيل له : إن المغيرة نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتل الخوارج مع علي عليه السلام ، وكان من أصحابه ، فبعثه وبعث معه شيعة على لعلوهم لهم ، فقال : أصاب الرأي ، فبعث إلى شريك بن الأعور الحارثي - وكان يرى رأي علي عليه السلام - فقال له : اخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل^(٤) من الناس ، ثم أتبعهم حتى تخرجهم

(٢) قبال النعل : زمامها .

(١) س : « فخرها فيها » .

(٤) س : « فارس » .

(٣) ط : « جامون » تحريف .

١٥/٢ من أرض البصرة أو قتلهم . وقال له يته ويته : اخرج إلى أهداء الله بمن يستحل قتالهم من أهل البصرة ، فظنَّ شريك به إنما يقضى شيعة على عليه السلام ، ولكنه يكره أن يسميهم ، فانتخب الناس ، وألح على قُربان ربيعة الذين كان رأيهم في الشيعة ، وكان توجيه العظاماء منهم . ثم إنه خرج فيهم مقبلاً إلى المستورد بن حُلَفة بالملار .

قال أبو مخنف : حدثني حُصيرة بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : كنت في الدين خرجوا مع معقل بن قيس ، فأقبلتُ معه ، فوافقه ما فارقتُه ساعة من نهار منذ خرجتُ ، فكان أول منزل نزلناه سورا .

قال : فكنتنا يوماً حتى اجتمع إليه جُلُ أصحابه ، ثم خرجنا مسرعين مبادرين لعدونا أن يفوتنا ، فبحثنا طلبيةً ، فارتحلنا فزلنا كوثى ، فأقمنا بها يوماً حتى لحق بنا مَنْ تَخَلَّف ، ثم أدلج بنا من كوثى ، وقد مضى من الليل هزيع ، فأقبلنا حتى دوننا من المدائن ، فاستقبلتنا الناسُ فأعبرونا أنهم قد ارتحلوا ، فشق علينا واقه ذلك ، وأيقننا بالعناء وطول الطلب .

قال : وجاء معقلُ بن قيس حتى نزل باب مدينة بَهْرَسِير ، ولم يدخلها ، فخرج إليه حَمَّام بن عبيد ، فسلم عليه ، وأمر غلمانه ومواليه فأتوه بالجنزَر والشعر والفتَّة ، فجاءوه من ذلك بكل ما كفاه وكفى الجُنْد الذين كانوا معه .

١٦/٢ ثم إن معقل بن قيس بعد أن أقام بالمدائن ثلاثاً جمع أصحابه فقال : إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فنعروا على وجوههم إرادة أن تصحبوا في آفروهم ، فخطبوا وبيدوا^(١) ، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تَعَيَّم وتَصَيَّبتم ، وأنه ليس شيء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله ، فخرج بنا من المدائن ، فقدم بين يديه أبو الرواغ الشاكري في ثلثة فارس ، فأبغ آفروهم ، فخرج معقل في أثره ، فلنذ أبو الرواغ يسأل عنهم ، ويركب الوجه الذي أعطوا فيه ، حتى عبروا جسر جرابا في آفروهم ، ثم سلك الوجه

(١) ع : « فخطبوا وبيدوا » .

الذي أخلوا فيه ، فالتبهم ، فلم يزل ذلك دأبه^(١) حتى لحقهم بالملار مقيمين ، فلما دنا منهم استشار^(٢) أصحابه في لقائهم وقتلهم قبل قدوم مغل عليه ، فقال له بعضهم : أقدم بنا عليهم فلنقاتلهم ، وقال بعضهم : والله ما نرى أن تمجلك إلى قتالهم حتى يأتينا أميرنا ، ونلقاهم بجماعتنا .

قال أبو مخنف : فحدثني تليد بن زيد بن راشد الفائسي أن أباه كان معه يومئذ . قال : فقال لنا أبو الرواغ : إن مغل بن قيس حين سرخى أمات أمرني أن أتبع آثارهم ، فإذا لحقهم لم أصحلكم إلى قتالهم حتى يأتيني . قال : فقال له جميع أصحابه : فالرأي الآن بيني ، تنح بنا فلنكن قريباً منهم حتى يقدم علينا صاحبنا ، فنحنيتنا - وذلك عند المساء - قال : فبتنا ليلتنا كلها متحارسين حتى أصبحنا ، فارتفع الصبح ، وخرجوا علينا ، قال : فخرجنا إليهم وعدهم ثلثمائة ونحو ثلثمائة ، فلما اقتربوا^(٣) شدوا علينا ، ففلا والله ما ثبت لهم منا إنسان ، قال : فانهزمت ساعة ، ثم إن أباه الرواغ صاح بنا وقال : يا قريمان سوء ، قبحكم الله سائر اليوم ! الكرة الكرة ! قال : فحسك وحملنا معه ، حتى إذا دنونا من القوم كرر بنا ، فانصرفوا وكرروا علينا ، وكشفونا^(٤) طويلاً ، ونحن على خيل معلمة جيد ، ولم يصب منا أحد ، وقد كانت جراحات^(٥) يسيرة ، فقال لنا أبو الرواغ : ثكلتكم أمهاتكم ! انصرفوا بنا فلنكر قريباً منهم ، لا نزاي لهم حتى يقدم علينا أميرنا ، فما أقيح بنا أن نرجع إلى الجيش ، وقد انهزمتنا من عدونا ولم نصبر لهم حتى يشتد القتال ونكر القتلى . قال : فقال رجل منا يحميه : إن الله لا يستحي من الحق ، قد والله هزمونا ، قال أبو الرواغ : لا أكثر الله فبنا ضربك ! إننا لم نذبح الحركة فلم نهزم^(٦) ، وإننا متى عطفنا عليهم وكنا قريباً منهم فنحن على حال حسنة حتى يقدم علينا الجيش ، ولم نرجع عن وجهنا ، إنه والله لو كان يقال : انهزم أبو حمران حمير بن عبيد الحمداي ، ما باليت ، إنما

٤٧/٢

(٢) س : « آثار » .

(٤) س : « فكشفوا » .

(٦) س : « نهزم » .

(١) س : « شأنهم » .

(٣) س : « قريباً » .

(٥) س : « جراحة » .

يقال : انهزم أبو الرواغ ، هفوا قريبا ، فإن أتوكم فحجزتم عن إصاليهم فانحازوا^(١) ، فإن حملوا عليكم فحجزتم عن قتالهم فأنحزروا وانحازوا إلى حامية ، فلذا رجوا عنكم فاعطفوا عليهم ، وكونوا قريبا منهم ، فإن الجيش آتاكم إلى ساعة . قال : فأنحزرت الخوارج كلما حملت عليهم انحازوا وهم كانوا^(٢) حامية ، وإذا أنحلوا في الكثرة عليهم ففترق جماعتهم قرب أبو الرواغ وأصحابه على خيلهم في آثارهم ، فلما رأوا أنهم لا يفارقونهم ، وقد طردوهم مكلنا من ارتفاع الضحى إلى الأول . فلما حصرت صلاة الظهر نزل المستورد للصلاة ، واعتزل أبو الرواغ وأصحابه على رأس ميل منهم أو ميلين ، ونزل أصحابه فصلوا الظهر ، وأقاموا رجلين ربيعة ، وأقاموا مكانهم حتى صلوا العصر . ثم إن قتي جاءهم بكتاب معقل بن قيس إلى أبي الرواغ ، وكان أهل القرى وما يرو السيل يمرّون عليهم ويرونهم يقتلون ، فن مضى منهم على الطريق نحو الوجهة الذي يأتي من قبلة معقل استقبال معقلا فأخبره بالشقاء أصحابه والخوارج ، فيقول : كيف رأيتموه يصنعون ؟ فيقولون : رأينا الخرورية تطرد أصحابك ، فيقول : أما رأيتم أصحابي يعطفون عليهم ويقالونهم ؟ فيقولون : بلى ، يعطفون عليهم وينهزمون : فقال : إن كان ظني بأبي الرواغ صادقا لا يقدم عليكم منهزما أبدا . ثم وقف عليهم فدعا محيوز بن شهاب بن بيجر بن سفيان بن خالد بن منقر التميمي فقال له : تخلف في ضحفة الناس ، ثم سير بهم على مهل ، حتى تقدم بهم على ، ثم نادى في أهل القوة : ليتعجل كل ذي قوة معي ، اعجلوا إلى إخوانكم ، فإنهم قد لاقوا عدوهم ، وإلى لأرجو^(٣) أن يهلكهم الله قبل أن تصلوا إليهم .

٤٨/٢

قال : فاستجمع من أهل القوة والشجاعة وأهل^(٤) الخيل الجياد نحو من سبعمائة ، وسار فأسرع ، فلما دنا من أبي الرواغ قال أبو الرواغ : هذه

٤٩/٢

(١) س : « فأنحزروا » .

(٢) س : « كانوا » .

(٣) ف : « أرجو » .

(٤) ف : « والخيل » .

غَبَرَةُ الخليل ، تَقَدَّمُوا بنا إلى عَدَوِّنا حتى يَقْدِم علينا الجند ، ونحن منهم قريب ، فلا يَمُرُّونَ أُنَّا نتَحِبُّنا عنهم ولا هَيْبَتَناهم . قال : فاستقدم أبو الرواغ حتى وقف مقابل المستورد وأصحابه ، وغشيتهم معقل في أصحابه ، فلما دنا منهم غَرَبَت الشمس ، فترل فصلَّى بأصحابه ، ونزل أبو الرواغ فصلَّى بأصحابه في جانب آخر ، وصلَّى الخوارج أيضاً . ثم إنَّ معقل بن قيس أقبل بأصحابه حتى إذا دنا من أبي الرواغ دعاه فأتاه ، فقال له : أحسنت أبا الرواغ ! هكلنا الظنَّ بك ، الصبر والحفاظة . فقال : أصلحك الله ! إنَّ لمْ شَدَّات منكرات ، فلا تكن أنت تكلها بنفسك ، ولكن قدَّم بين يديك من يقاتلهم ، وكن أنت من وراء الناس رِدهً ! لمْ ، فقال : نِعمَ ما رأيت ! فوالله ما كان إلا رِيثَما قالها حتى شَدَّوا عليه وعلى أصحابه ، فلما غَشَوْهُ انجَعَلَ عنه عامةُ أصحابه ، ووثبت ونزل ، وقال : الأرض - الأرض - يا أهلَ الإسلام ! ونزل معه أبو الرواغ الشاكري وناسٌ كثيرٌ من الفُرَّسان وأهلِ الحفاظ نحو مائتي رجل ، فلما غشيتهم المستورد وأصحابه استقبلوهم بالرماح والسيوف ، وانجفلت خيلُ معقل عنه ساعة ، ثم ناداهم مسكين بن عامر بن أنثيف بن شريح بن عمرو بن عَدُس - وكان يومئذ من أشجع الناس وأشدَّهم بأساً - فقال : يا أهلَ الإسلام ، أين الفِرار ، وقد نَزَلَ أميركم ! ألا تَسْتَحْيُونَ ! إنَّ الفِرار مَخْزاةٌ وعارٌ ولؤمٌ ، ثم كَرَّ راجِعاً ، ورجعت معه خيلٌ عظيمة ، فشَدَّوا ٥٠/٧ عليهم ومعقل بن قيس يُضَارِبُهُمْ تحت رايته^(١) مع ناس نَزَلُوا معه من أهل الصبر ، ففَرَّوهم حتى اضْطَرُّوهم إلى البيوت ، ثم لم يلبثوا إلا قليلاً حتى جاءهم مُحَرِّز بن شهاب فيمن تخلف من الناس ، فلما أتوهم أنزلتهم ثم صَفَّ لهم ، وجعل مِمنةً وميسرةً ، فجعل أبا الرواغ على مِمنته ومحزَّ بن بُجَيْر بن سَفْيَان على ميسرته ومسكين بن عامر على الخيل ، ثم قال لهم : لا تَبْرَحُوا مَصَافِكُمْ حتى تصبحوا ، فإذا أصْبَحْتُمْ ثَرْنَا إلى يهيم فناجزناهم ، فوقف الناس موافقهم على مصافهم .

قال أبو غنم : وحدثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن

عِيقَةُ الْفَتَوَى ، قَالَ : لِمَا انْتَهَى إِلَيْنَا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ لَنَا الْمُسْتَوْد : لَا تَدْعُوا مَجْلِلًا جَنَى يَمَعِي لَكُمْ الْحِلِيلُ وَالرَّجُلُ ، شَدُّوا عَلَيْهِمْ شَدَّةً صَادِقَةً ، لِمَلِّ اللَّهُ يَتَصَرَّعُ فِيهَا . قَالَ : فَشَدَدْنَا عَلَيْهِمْ شَدَّةً صَادِقَةً ، فَانْكَشَفُوا فَانْفَضُّوا ثُمَّ انْجَفَلُوا وَوُثِبَ مَعْقِلٌ عَنْ فَرَسِهِ حِينَ رَأَى إِدْبَارَ أَصْحَابِهِ عَنْهُ . فَرَفَعَ رَأْيَتَهُ ، وَنَزَلَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، قَاتَلُوا طَوِيلًا ، فَصَبَرُوا لَنَا ، ثُمَّ لَانَهُمْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا ، فَمَطَفُوا عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَانْحَبَرْنَا حَتَّى جَعَلْنَا السَّيِّئَ فِي ظَهْرِنَا ، وَقَدْ قَاتَلْنَاهُمْ طَوِيلًا ، وَكَانَتْ بَيْنَنَا جِرَاحَةٌ وَقَتْلٌ يَسِيرٌ .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله ، عن أبيه أن عُمَيْرَ بْنَ أَبِي أَشَادَةَ الْأَزْدِيَّ قُتِلَ بِوُثْبٍ ، وَكَانَ فِيهِمْ نَزْلٌ مَعَ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ رَئِيسًا . قَالَ : وَكُنْتُ أَنَا فِيهِمْ نَزَلَ مَعَهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَبَيْتُ قَوْلَ عُمَيْرِ بْنِ أَبِي أَشَادَةَ وَنَحْنُ نَقْتِيلُ وَهُوَ يَضَارِيهِمْ بِسَيْفِهِ قُدُّمًا :

٥١/٢

قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي إِذَا مَا أَقْسَعُوا عَنِّي وَالثَّائِلُ الثَّامُ الْوُضْعُ^(١)

• أَخْوَسُ عِنْدَ الرُّوْعِ نَذِيءُ أَرْوَجُ^(٢) .

وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَاتَلَ مِثْلَهُ ، فَتَجَرَّحَ رِجَالًا كَثِيرًا ، وَقَتَلَ وَمَا أَدْرَى أَنَّهُ قَتَلَ ، مَا عَدَا وَاحِدًا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ اعْتَنَقَهُ ، فَخَرَّ عَلَى صَدْرِهِ فَنَظَرَهُ ، فَمَا حَزَّ رَأْسَهُ حَتَّى حَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ بِالرَّمْحِ فِي ثُغْرَةِ نَحْرِهِ ، فَخَرَّ عَنْ صَدْرِهِ ، وَانْجَدَلَ بَيْنَنَا ، وَشَدَدْنَا عَلَيْهِمْ ، وَحَزَرْنَا هُمْ إِلَى الْقَرْيَةِ ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى مَعْرِكَتِنَا ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ بِهِ رَمَتِي ، فَلِذَا هُوَ قَدْ فَتَاطَ^(٣) ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَوَقَفْتُ فِيهِمْ .

قال أبو مخنف : وَحَدَّثَنِي عَيْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ جَنْدَبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقْبَةَ

(١) س : « الرُّضْع » : جمع راضع ؛ وهو التَّمِيْعُ .

(٢) الْأَخْوَسُ : الرَّجُلُ الْبَجْرِيُّ . وَالنَّذِيءُ : الْخَلِيفُ إِلَى الْأَمْرِ . وَالْأَرْوَجُ : الرَّجُلُ الْكَرِيمُ

فَوِ الْجِسْمِ وَالْجَهَادَةِ .

(٣) فَتَاطَتْ نَفْسُهُ ، هَكَذَا ، مِثْلُ « فَانْصَحَتْ » .

الغنوى ، قال : إنا لمواقفون^(١) أولَ الليل إذ أتانا رجل كنا بعثناه أولَ الليل ، وكان بعض من يمرَّ الطريق قد أخبرنا أن جيشًا قد أقبل إلينا من البصرة ، فلم نكثرث ، وقلنا لرجل من أهل الأرض وجعلنا له جُعلًا : اذهب فاعلم هل أتانا من قِبل البصرة جيش ؟ فجاء ونحن مواقفو أهل الكوفة ، وقال لنا : نعم ، قد جاءكم شريكُ بن الأعور ، وقد استقبلت طائفة على رأس فرسخ عند الأولى ، ولا أرى القوم إلا نازلين بكم الليلة ، أو مُصْبِحِكُمْ غُدوة . فأسقط في أيدينا .
وقال المستورد لأصحابه : ماذا ترون ؟

٥٢/٢

قلنا : نرى ما رأيت ، قال : فإني لا أرى أن أقيم هؤلاء جميعًا ، ولكن^(٢) نرجع إلى الوجه الذي جئنا منه ، فإنَّ أهلَ البصرة لا يتبعونا إلى أرض الكوفة ، ولا يتبعنا حيثنَّ إلا أهلُ مِصْرُنَا ، قلنا له : ولمَ ذلك ؟ فقال : قتال أهلِ مصرٍ واحد أهون علينا من قتال أهلِ المِصْرَيْن ، قالوا : سير بنا حيث أحببت ، قال : فانزلوا عن ظهور دوابكم فأريتموها ساعة ، وأقضيتموها ، ثم انظروا ما أمركم به ، قال : فنزلنا عنها ، فأقضيتموها ، قال : وبيننا وبينهم حيثنَّ ساعة قد ارتفعوا عن القرية مخافة أن نبيتهم ، قال : فلما أرحناها وأقضيتموها أمرنا فاستويتم على متونها ، ثم قال : ادخلوا القرية ، ثم اخرجوا من ورائها ، وانطلقوا معكم بملج يأخذ بكم من ورائها ، ثم يعود بكم حتى يردكم إلى الطريق الذي منه أقبلتم ، ودعوا هؤلاء مكانهم ، فإنهم لم يشعروا بكم عامة الليل ، أو حتى تصبحوا . قال : فلخطنا القرية وأخذنا عِلجًا ، ثم خرجنا به أمامنا ، قلنا : خذ بنا من وراء هذا الصف حتى نعود إلى الطريق الذي منه أقبلنا . ففعل ذلك ، فجاء بنا حتى أقامنا على الطريق الذي منه أقبلنا ، فلزمناه واجيعين ، ثم أقبلنا حتى نزلنا جترَ جربايا .

قال أبو حنيفة : حدثني حُصَيرة^(٣) بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : إني أول من قطعت لذهابهم^(٤) ، قال : قلت : أصلحك

(١) ف : فلقين ، س : فلقين . (٢) س : بلكتا .

(٣) ف : حنين . (٤) ف : للمعالي .

٥٣/٢

الله ! لقد رايتُ أمر هذا العلوّ منذ ساعة طويلة ، إنهم كانوا مواقيين نرى سوادهم ، ثمّ لقد خفّيت على ذلك السواد منذ ساعة ، وإلى لخائف أن يكونوا زالوا من مكانهم ليكيّلوا الناس ؛ فقال : وما تخاف أن يكون من كيدهم ؟ قلت : أخاف أن يبيتوا الناس ، قال ، والله ما آمن ذلك ؛ قال : قلت له : فاستعدّ لذلك ، قال : كما أنت حتى أنظر . يا عتاب ، انطلق فيمن أحيت حتى تدنو من القرية فتنظر هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم ركزا ! وسلّ أهل القرية عنهم .

فخرج في خمّس الغزاة يركض حتى نظر القرية فأخذ لا يرى أحداً يكلّمه ، وصاح بأهل القرية ، فخرج إليه منهم ناس ، فسألهم عنهم ، فقالوا : خرجوا فلا ندري كيف ذهبوا ! فرجع إليه عتاب فأخبره الخبر ، فقال معقيل : لا آمن البّيات ، فأين مضّر ؟ فجاءت مضّر فقال : فقواها هنا ، وقال : أين ربيعة ؟ فجعل ربيعة في وجهه ونمّجا في وجهه وهمدان في وجهه ، وبقية أهل اليّسن في وجه آخر ، وكان كلّ ربع من هؤلاء في وجه وظهروه مما يلي ظهر الرّبع الآخر ، وجمال فيهم معقل حتى لم يدع رعباً إلا وقف عليه ، وقال : أيّها الناس ، لو أتوكم فبدّوا بغيركم فقاتلوهم فلا تبحّروا^(١) أنتم مكانكم أبداً حتى يأتىكم أمرى ، وليغنّ كلّ رجل منكم الوجهة الذي هو فيه ، حتى نصبح فنرى رأينا . فكثوا متحاربين يخافون بياتهم حتى أصبحوا ، فلما أصبحوا نزلوا فصلّوا ، وأثوا فأخبروا أن القوم قد رجعوا في الطريق الذي أقبلوا منه عودهم على بدلهم ، وجاء شريك بن الأعور في جيش من أهل البصرة حتى نزلوا بمقل بن قيس فلقبه ، فساء لا ساعة ، ثمّ إن معقلا قال لشريك : أنا متّبع آثارهم حتى ألحقهم لعلّ الله أن يهلكهم ، فإني لا آمن إن قصرت في طلبهم أن يكرّوا . فقام شريك فجمع رجالاته من وجوه أصحابه ، فيهم خالد بن معدان الطائي ويهّس بن صهيب الجهمي ، فقال لهم : يا هؤلاء ، هل لكم في خير ؟ هل لكم في أن تسبّروا مع إخواننا من أهل الكوفة في طلب هذا العلوّ الذي هو عدوّ لنا ولم حتى يستأصلهم

٥٤/٢

الله ثم نرجع ؟ فقال خالد بن معدان ويهس الجحرى : لا والله ، لا نفعل ، إنما أبلنا نعوهم لتفيعهم عن أرضنا ، ونمنعهم من دخولنا ، فإن كفانا الله مؤنتهم فإننا منصرفون إلى مصرنا ، وفي أهل الكوفة من يسنون بلادهم من هؤلاء الأكلب ؛ فقال لهم : ويحكم ! أطيعوني فيهم ، فإنهم قوم سوء ، لكم في قتالهم أجرٌ وحظوة عند السلطان ، فقال له يهس الجحرى : نحن والله إذاً كما قال أخو بني كنانة^(١) :

كَمْ رُضِيَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضِيْعَتْ بَيْنِيهَا قَلَمٌ تَرْقَعُ بِذَلِكَ مَرْقَمًا
أما بكتك أن الأكراد قد كفروا بيجال فارس ! قال : قد بلغني ، قال :
فأمرنا أن نطلق معك نحمي^(٢) بلاد أهل الكوفة ، ونقاتل عدوهم ، وترك بلادنا ، فقال له : وما الأكراد ! إنما يكفيه طائفة منكم ؛ فقال له : وهذا العدو الذي تسدُّنا إليه إنما يكفيه طائفة من أهل الكوفة ، إنهم لعمري لو اضطروا إلى نصرتنا لكان علينا نصرتهم ، ولكنهم لم يحتاجوا إلينا بعد ، وفي بلادنا فتقٌ مثل الفتق الذي في بلادهم ، فليغنوا ما قيلكم ، وعلينا أن نفى ما قيلنا ، ولعمري لو أنا أطعناك في اتباعهم فاتبعتهم كنت قد اجترأت على أميرك ، وفعلت ما كان ينبغي لك أن تطلع فيه رأيه ، ما كان ليحتملها^(٣) لك . فلما رأى ذلك قال لأصحابه : سيروا فارتحلوا ، وجاء حتى لقي معقلا - وكانا متحابين على رأي الشيعة متوآدين عليه - فقال : أما والله لقد جهدت بمن ممي أن يتبعوني حتى أسير معكم إلى عموكم فغلبوني ، فقال له معقل : جزاك الله من أخ خير^(٤) ! إنا لم نحتج إلى ذلك ، أما والله إنني أرجو أن لو قد جهلوا لا يقتل^(٥) منهم شخير .

قال أبو مخنف : حدثني الصفَّع بن زهير ، عن أبي إمامة عبيد الله

(١) هو ابن جلال الطمان الكنانى ، الحيوان : ١٩٧١ ، حلة البحرى : ١٧٠ ، شرح ديوان الحماة للمرزوق : ٧٣٦٠ .

(٢) س : « وضى » .

(٣) ف : « يحتملها » .

(٤) س : « جزاك الله خيراً من أخ » .

(٥) س : « لو قد اجتهلوا لا يقتل » .

ابن جنادة ، عن شريك بن الأحور ، قال : حدثنا بهذا الحديث شريك
ابن الأحور . قال : فلما قال : والله إني لأرجو أن لو جهلوا لا يعلت منهم
مسيخ^(١) ، كرهتها والله له ، وأشفقت عليه ، وحسبت أن يكون شبه كلام
البخني ؛ قال : وإيم الله ما كان من أهل البخني .

قال أبو مخنف : حدثني حُصَيرة بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن
الحارث الأزدي ، قال : لما أتانا أن المستورد بن علفه وأصحابه قد رجعوا
عن^(٢) طريقهم سرُرتنا بذلك ، وقلنا : نتبعهم ونستقبلهم بالمدائن ، وإن دنوا
من الكوفة كان أهلنا لهم ؛ ودعا معقل بن قيس أبا الرواغ فقال له :
اتبعه في أصحابك الذين كانوا معك حتى تحبسه على حتى ألحقك ؛ فقال
له : زدتني منهم فإنه أقوى لي عليهم إن هم أرادوا مناجزتي^(٣) قبل قدومك ،
فلما كنا قد لقينا منهم بَرَحًا^(٤) ، فزاده ثلثائة ، فاتبعهم في سائمة ، وأقبلوا
سراعا حتى نزلوا جَرَجَرَايا ، وأقبل أبو الرواغ في إثرهم سراعا حتى لحقهم
بجَرَجَرَايا ، وقد نزلوا ، فقتل بهم عند طلوع الشمس ، فلما نظروا إذا هم
بأبي الرواغ في المقدمة ، فقال بعضهم لبعض : إن قتلكم هؤلاء أهون من
قتال من يأتي بعدهم .

قال : فخرجوا إلينا ، فأعطوا يُخْرُجون لنا العشرة فُرسان منهم والعشرين
فارسا ، فمخرج لم مثلهم ، غطلرد الحيلان ساعة يستصيف بعضنا
من بعض ، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فشدوا علينا شدة واحدة حمدكوا فيها
الحملة .

قال : فصرفونا حتى تركنا لهم العرصة . ثم إن أبا الرواغ نادى فيهم ،
فقال : يا فُرسان السوء ، يا حُماة السوء ، بش ما قاتلم القوم ! إلى إلى !

(١) س : « لو اجتهدوا ألا يعلت » .

(٢) س : « في » .

(٣) ف : « أرادوا مناجزتها » .

(٤) ف : « برحا » .

فصالح نحواً من مائة فارس ، فعطف عليهم ، وهو يقول :

إِنَّ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مِنْ لَمْ يَهْلُ إِذَا الْجَبَانُ حَادَ عَنْ وَقَعِ الْأَمَلِ
قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي إِذَا الْبَاسُ نَزَلَ أَدْوَعُ يَوْمَ الْهَيْجِ مَقْدَامٌ بَطَلُ
ثم عطف عليهم فقاتلهم طويلاً ، ثم عطف أصحابه من كل جانب ،
فصعد قوم القتال حتى ردّوهم إلى مكانهم الذي كانوا فيه ، فلما رأى ذلك
المستورد وأصحابه نظفوا أن مقلداً إن جاءهم على تفتة^(١) ذلك لم يكن دون كلمة
لهم شيء ، فغضب هو وأصحابه حتى قطعوا دجلة ، ووقعوا في أرض بهر سير ،
وقطع أبو الرواغ في آثارهم فاتبهم ، وجاء معقل بن قيس فاتبع إثر أبي
الرواغ ، فقطع في إثره دجلة ، ومضى المستورد نحو المدينة العتيقة ، وبلغ
ذلك سيمالك بن عبيد ، فخرج حتى عبر إليها ، ثم خرج بأصحابه وبأهل
المدائن ، فصف على بابها ، وأجلس رجالاً رُمّة على السور ، فبلغهم ذلك ،
فانصرفوا حتى نزلوا ساباط ، وأقبل أبو الرواغ في طلب القوم حتى مرّ بسماك
ابن عبيد بالمدائن ، فخبّره بوجههم^(٢) الذي أخذوا فيه ، فاتبعهم حتى نزل
بهم ساباط .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عتبة
الفتنوي ، قال : لما نزل بنا أبو الرواغ دعا المستورد أصحابه ، فقال :
إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَزَلُوا بِكُمْ مَعَ أَبِي الرِّوَاغِ هُمْ حُرٌّ أَصْحَابُ مَعْقِل ، وَلَا وَاللَّهِ
مَا قَدِمَ إِلَيْكُمْ إِلَّا حُمَاتُهُ وَفُرْسَانُهُ ، وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي إِذَا بَادَرْتُ أَصْحَابَهُ
هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ أَدْرَكْتُهُ قَبْلَ أَنْ يَفَارِقُوهُ بَسَاعَةِ لِبَادَرْتُهُمْ إِلَيْهِ ، فَخُجِرْ مِنْكُمْ خَارِجٌ
فِي سَائِلٍ عَنْ مَعْقِلَ أَيْنَ هُوَ ؟ وَأَيْنَ بَلُغَ ؟ قَالَ : فَخَرَجْتُ أَنَا فَاسْتَقْبَلْتُ عَمَلُوحًا
أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدَائِنِ ، قُلْتُ لَهُ : مَا بَلُغْتُمْ عَنْ مَعْقِلَ بْنِ قَيْسٍ ؟ قَالُوا : جَاءَ
فَيْسُجُ^(٣) لِسَمَاكِ بْنِ عَبِيدٍ مِنْ قَبْلِهِ كَانَ سَرَّحَهُ لِيَسْتَقْبِلَ مَقْلًا فَيَنْظُرَ أَيْنَ انْتَهَى ؟
وَأَيْنَ يَرِيدُ أَنْ يَنْتَزِلَ ؟ فَجَاءَهُ فَقَالَ : تَرَكْتُهُ نَزَلَ دَيْلَمَايَا - وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى

(١) حل تفتة ذلك ، أي حل حبه .

(٢) س : « توجههم » .

(٣) الفيسج : الرسل .

٥٨/٢ إستان بهر سير إلى جانب دجلة ، كانت لقدامة بن العجلان الأزدى - قال : له : : كم بيننا وبينهم من هذا المكان ؟ قالوا : ثلاثة فراسخ ، ^(١) أو نحو ذلك .

قال : فرجعتُ إلى صاحبي فأخبرته ^(٢) الخبر ، فقال لأصحابه : اركبوا ، فركبوا ، فأقبل حتى انتهى بهم إلى جسر ساباط - وهو جسر نهر الملك ، وهو من جانبه الذي إلى الكوفة - وأبو الرواغ وأصحابه مما يلي المدائن ، قال : فحسبنا حتى وقفنا على الجسر ، قال : ثم قال لنا : لتزل طائفة منكم ^(٣) : قال : فنزل منا نحو من خمسين رجلاً ، فقال : اقطعوا هذا الجسر ، فتركنا قطعناه ، قال : فلما رأونا وتوقفنا على الخليل ظنوا أننا نريد أن تعبّر إليهم ، قال : ففصفوا لنا ، وتعبّوا ، واشتغلوا بذلك عنا في قطعنا الجسر . ثم إنا أخذنا من أهل ساباط دليلاً فقلنا له : احضر بين أيدينا حتى ننتهي إلى ديلميا ، فخرج بين أيدينا يسمي ، وخرجنا تلمع بنا خيلنا ^(٤) ، فكان الحبيب والوجيه ، فما كان إلا ساعة حتى أطلنا على معقل وأصحابه وهم يتحملون ، فما هو إلا أن بصر بنا وقد تفرق أصحابه عنه ، ومقدمته ليست عنده ، وأصحابه قد استقدم طائفة منهم ، وطائفة ترحل ، وهم غارون لا يشعرون . فلما رأنا نصب رأيتنه ، ونزل وفادى : يا عباد الله ، الأرض الأرض ! فنزل معه نحو من مائتي رجل ، قال : فأخذنا نحمل عليهم فيستقبلونا بأطراف الرماح جثاة على الركب فلا نغير عليهم . فقال لنا المنصور : دعوا هؤلاء إذا نزلوا وشدوا على خيلهم حتى تحولوا بينها وبينهم ^(٥) ، فإنكم إن أصبتم خيلهم فإنهم لكم عن ساعة جزر ، قال : فشددنا على خيلهم ، فحسبنا بينهم وبينها ، وقطعنا أعنتها ، وقد كانوا قركوها ، فلهبث في كل جانب ، قال : ثم ملنا على الناس المترجلين ^(٦) والمتقدمين ، فحسبنا عليهم حتى فرقنا

(١) س : « فراسخ ثلاثة » .

(٢) ف : « فغيرته » .

(٣) س : « لينزل طائفة منكم » .

(٤) س : « حتى بلغ بنا خيلنا » .

(٥) ف : « تحولوا بينهم » .

(٦) ف : « المترجلين » .

بينهم ، ثم أقبلنا إلى مقل بن قيس وأصحابه جثاة على الركب على حالم
التي كانوا عليها ، فحتمكتنا عليهم ، فلم يتحركوا ، ثم حتمكتنا عليهم
أخرى ، فقلعوا مثلها ، فقال لنا المستورد : نازلهم ، ليترل إليهم نصفكم ،
فتزل نصفنا ، ويق نصفنا معه على الخيل ، وكنت في أصحاب الخيل .
قال : فلما نزل إليهم رجالنا قاتلتهم ، وأغلنا تحيل عليهم بالخيل ، وطمعنا
والله فيهم . قال : فوالله إنا لتقاتلهم ونحن نرى أن قد عكزناهم إذ طلعت
علينا مقدمة أصحاب أبي الرواغ ، وهم حرّ أصحابه وفرسانهم ، فلما دنوا
منّا حملوا علينا ، فعند ذلك نزلنا بأجمعنا فقاتلناهم حتى أصيب صاحبنا
وصاحبهم . قال : فما علمته نجا منهم يومئذ أحدٌ غيري . قال : وإلى
أحدئهم رجلاً فيما أرى .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عتبة
الغفسي ، قال : وحدثنا بهذا الحديث مرتين من الزمن ، مرة في إمارة مصعب
ابن الزبير بياجميئراً ، ومرة ونحن مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
بديئر الجماجم . قال : فقتل والله يومئذ بديئر الجماجم ^(١) يوم المزيمة ،
ولأنه لمقبل عليهم يضاربهم بسيفه وأنا أراه ، قال : فقلت له بديئر الجماجم :
إنك قد حدثتني بهذا الحديث بياجميئراً مع مصعب بن الزبير ، فلم أسألك
كيف نجوت من بين أصحابك ؟ قال : أهدئك ، والله إن صاحبنا لما أصيب
قتل أصحابه إلا خمسة نفر أو ستة ، قال : فشددنا على جماعة من
أصحابه نحو من عشرين رجلاً ، فأنكشعوا .

قال : وانتهيت إلى فرس واقف عليه سرجه ولجامه ، وما أدري ما قصة
صاحبه أقتل أم نزل عنه صاحبه يقاتل وتركه ! قال : فأقبلت حتى
أخذت بليجامه ، وأضع رجلي في الركاب وأستوي عليه . قال : وشد والله
أصحابه علي ، فانتبهوا إلي ، وغمزت في جنب ^(٢) الفرس ، فإذا هو والله
أجود ما سخر ، وركض منهم ناس في أثرى فلم يعلقوا ^(٣) بي ، فأقبلت

(١) ف : يوم الجماجم .

(٢) ف : جانب .

(٣) س : يعلقوا .

أركض الفرس ، وذلك عند المساء ، فلما علمت أني قد فقههم وأمنت ، أخذت أسير عليه خجلاً وتقريباً^(١) . ثم إنني سرت عليه بذلك من سيره ، ولقيت حليجاً فقلت له : اسع بين يدي حتى تُخرجني الطريق الأعظم ، طريق الكوفة ، ففعل ، فوالله ما كنت إلا ساعة حتى انتهيت إلى كوثي ، فجلت حتى انتهيت إلى مكان من التهر واسع عريض ، فأقصمتُ الفرسَ فيه ، فسيرته ، ثم أقبلت عليه حتى آتني خير كعب ، فزلتُ فعقلتُ فرسي وأرجحه وهومت تهورجة . ثم إنني هيت سريعاً ، فحلت في ظهر الفرس ، ثم سيرت في قطع من الليل فاتخذت بقية الليل جملاً ، فصليت الغداة بالزاحمية على رأس فرسخين من قبين ، ثم أقبلتُ حتى أدخلت الكوفة حين متع الضحى^(٢) ، فأتني من صاحبي شريك بن نملة الحارثي ، فأخبرته خبري وخبر أصحابه . وسألته أن يركبني المغيرة بن شعبة فيأخذني منه أماناً ، فقال لي : قد أصبت الأمان إن شاء الله . وقد جئت ببشارة . والله لقد بدت الليلة وإن أمر الناس لتيهسي .

١١/٢

قال : فخرج شريك بن نملة الحارثي حتى أتني المغيرة مسرعاً فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقال : إن عندي بشرى ، ولي حلجة ، فأقض حاجتي حتى أبشرك ببشارتي ، فقال له : ففضيت حاجتك ، فهاتِ بشراك ، قال : تؤمن عبد الله بن حنيفة الغنوي ، فإنه كان مع القوم ، قال : قد آمنت . والله لقد دنت أنك أبئني بهم كلهم فآمنتهم . قال : فأبشر ، فإن القوم كلهم قد قتلوا ، كان صاحبي مع القوم ، ولم ينج منهم فإحذثي غيره . قال : فما فعل معقل بن قيس ؟ قال : أصلحك الله ليس له بأصحابنا عليم . قال : فما فرغ من منطقة حتى قدم عليه أبو الزوابع ومسكين بن عمرو بن أثينة مبشرين بالقتل ، فأنفروا أن معقل بن قيس والمستورد بن علفه مشق كل واحد منهما إلى صاحبه . يسد المستورد الرمح ويسد معقل السيف ، فالتفتيا . فأشرع المستورد الرمح في صلب معقل حتى خرج السنان من

(١) الحب والتقريب : غريبان من العدو .

(٢) مع الضحى ، أي كان قد أضاء .

ظهوره ، فغربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف أم الدماغ ، فخرأ مبتئين .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لما رأينا السورود بن علفة وقد نزلنا به ساباط أقبل إلى الجسر فقطعه ، كنا نظن أنه يريد أن يعبر إلينا . قال : فارتفعنا عن مظلم ساباط إلى الصخراء التي بين المدائن وساباط فصبنا وتهيأنا ، فقال علينا أن نراهم يخرجون إلينا . ٩٢/٢
قال : فقال أبو الرواغ : إن هؤلاء لثأنا ، ألا رجل يتعلم لنا حيل هؤلاء ؟ فقلت : أنا وهيب بن أبي أشامة الأزدي : نحن نتعلم لك حيل ذلك ، ونأتيك بخبرهم ، فقمنا على فرسينا إلى الجسر فوجدناه مقطوعا ، فظننا القوم لم يقطعوه إلا هبة لنا ورعبا منا ، فرجعنا فركض سراجا حتى انتهينا إلى صاحبنا ، فأخبرناه بما رأينا ، فقال : ما ظنكم ؟ قال : فقلنا : لم يقطعوا الجسر إلا هيبتنا ولما أدخل الله في قلوبهم من الرعب منا . قال : لعمرى ما خرج القوم وهم يريدون الفرار ، ولكن القوم قد كادوكم ، أنسمحن ! والله ما أراهم إلا قالوا : إن معقل لم يبعث إليكم أبا الرواغ إلا في حر أصحابه ، فإن استطعتم فاتركوا هؤلاء بمكانهم هذا ، وجدوا في السير نحو معقل وأصحابه ، فإنكم تجدونهم غارين آمنين إن تأتوهم ، فقطعوا الجسر لكيما يشظوكم به عن لحاقكم إياهم حتى يأتوا أميركم على غرة ، التجهاء في الطلب ! قال : فوقع في أنفسنا أن الذي قال لنا كما قال . قال : فصبنا بأهل القرية ، قال : فجاءوا سراجا : فقلنا لهم : هجئوا عقد الجسر ، واستحثناهم فالتبوا أن فرغوا منه ، ثم عتبرنا عليه ، فاتبعناهم سراجا ما قلوي على شيء ، فقلزمت آثارهم ، فوالله ما زلنا نسأل عنهم ، فيقال : هم الآن أعلمكم ، فاحتجمهم ، ما أقربكم منهم ، فوالله ما زلنا في طلبهم حيرصا على لحاقهم حتى كان أول من استقبلنا من الناس فلتهم وهم منهزمون لا يلوي أحد على أحد . فاستقبلهم أبو الرواغ ، ثم صاح بالناس : إلى ! إلى ! فأقبل الناس إليه ، فلاخوا به ، فقال : ويلكم ! ما وراءكم ؟ فقالوا : لا ندري ، لم يبرعنا إلا والقوم معنا في عسكرنا ونحن مغترقون ، فشدوا علينا ،

ففرقوا^(١) بيننا ، قال : فما فعل الأمير ؟ فقاتل يقول : نزل وهو يقاتل ، وقاتل يقول : ما نراه إلا قتل ؛ فقال لهم : أيها الناس ، ارجعوا معي ، فإن نذرك أميرنا حياً نقاتل معه ، وإن نجده قد هلك قاتلناهم ، فنحن فرسان أهل المصر المنتخبون لهذا العدو ، فلا يفسدن فيكم رأى أميركم بالمصر ، ولا رأى أهل المصر ، وإيم الله لا ينبغي لكم إن عابتموه وقد قتلوا مقلداً أن تفارقوهم حتى تبيروهم أو تباروا ، سيروا على بركة الله . فساروا وسيرنا ، فأخذ لا يستقبل أحداً من الناس إلا صباح به وردّه ، ونادى وجوه أصحابه وقال : اضربوا وجوه الناس وردوهم . قال : فأقبلنا نردّ الناس حتى انتهينا إلى العسكر ، فإذا نحن براءة معقل بن قيس منصوبة ، فإذا معه مائتا رجل أو أكثر فرسان الناس ووجوههم ليس فيهم إلا راجل ، وإذا هم يقتتلون أشد قتال سمع الناس به ، فلما طلعتنا عليهم إذا نحن بالخوارج قد كادوا يعلون أصحابنا ، وإذا أصحابنا على ذلك صابرون يحاللونهم^(٢) ، فلما رأونا كثروا ثم شدوا على الخوارج ، فارتفعت الخوارج عنهم غير بعيد ، وانتهينا إليهم ، فنظر أبو الرواغ إلى معقل فإذا هو مستقدم يلمر أصحابه ويحرضهم ، فقال له : أحي أنت فداك عمي وخالي ! قال : نعم ؛ فشدّ القوم ، فنادى أبو الرواغ أصحابه : ألا ترون أميركم حياً ، اشدوا على القوم ، قال : فتحمل وحملنا^(٣) على القوم بأجمعنا ؛ قال : فصدمتنا خيلهم صدمة منكورة ، وشدّ عليهم معقل وأصحابه ، فنزل المستورد ، وصاح بأصحابه : يا معشر الشراة ، الأرض الأرض ، فإنها والله الجنة ! والذي لا إله غيره لمن قتل صادق النية في جهاد هؤلاء الظلمة متوجيلاً^(٤) ، فتنازلوا من عند آخرهم ، فترتلنا من عند آخرنا ، ثم مضينا إليه منصلتين بالسيوف ، فاضطربنا بها طويلاً من النهار كأشد قتال اقتطه الناس قطاً ، غير أن المستورد نادى مقلداً

٦٤/٢

(١) ف : و فرقوا .

(٢) ف : و يحاللون .

(٣) س : و حملناهم .

(٤) جلاهم : مكاشفتهم بالمداورة .

فقال : يا معقل ، ابرؤ لى ، فخرج إليه معقل ، قتلنا له : نَشْتُكَ^(١) أن تَخْرُجَ إلى هذا الكلب الذى قد آيسه الله من نفسه^(٢) ! قال : لا والله لا بدعنى رجل إلى مبارزة أبداً فأكون أنا الناكل ، فشى إليه بالسيف ، وخرج الآخر إليه بالرمح ، فنادىناه أن الله يرمح مثل رمحه ، فأبى ، وأقبل عليه المستورد فطعنه حتى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقل بالسيف حتى خالط سيفه أم^١ الدماغ ، فوقع ميتاً ، وقتل معقل ، وقال لنا حين برز إليه : إن هلكت فأمركم عمرو بن حمز بن شهاب السعدى ثم المنقرى : قال : فلما هلك معقل أخذ الراية عمرو بن حمز ، وقال عمرو : إن قتلت فليكم أبو الرواغ ، فإن قتل أبو الرواغ فأمركم مسكين بن عامر بن أنيف ، وإنه يومئذ لفتى حدث ، ثم شد برايته ، وأمر الناس أن يشدوا عليهم ، فما لبثوا أن قتلهم .

١٥/٢

* * *

[ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان]

ومما كان في هذه السنة^(٣) تولية عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم^(٤) بن ظبيان خراسان وانصراف قيس بن الهيثم عنه ، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر أبو مخنف عن مقاتل بن حيان - أن ابن عامر استبطأ قيس بن الهيثم بالخراج ، فأراد أن يحزله ، فقال له ابن خازم : ولتى خراسان فأكفيكها وأكفيك قيس بن الهيثم . فكتب له عهدته أو هم بذلك ، فبلغ قيساً أن ابن عامر وجد عليه لاستخفافه به ، وإسماكه عن الهدية ، وأنه قد ولتى ابن خازم ، فخاف ابن خازم أن يشاغبه ويحاسبه ، فترك خراسان ، وأقبل فازداد عليه ابن عامر غضباً ، وقال : ضيبت الثغر ! فصر به وحبسه ، وبعث رجلاً من بني يشكر على خراسان .

قال أبو مخنف : بعث ابن عامر أسلم بن زُرعة الكلابى حين عزل قيس

(١) ف : قتلنا له : فشدك .

(٢) س : رحمه .

(٣ - ٤) س : تمام الخبر عن الكائن من الأحداث الجليقة في سنة ثلاث وأربعين .

ابن الميثم ، قال علي بن محمد : أخبرنا أبو عبد الرحمن الثقفي ، عن
أشياخه ، أن ابن عامر استعمل قيس بن الميثم على خراسان أيام معاوية ،
فقال له ابن خازم : إنك وجهت إلى خراسان رجلاً ضعيفاً ، وإلى أخاف
إن لي حرباً أن ينهزم بالناس ، فتهلك خراسان ، وتنتضح أخوالك .
قال ابن عامر : فما الرأي ؟ قال : تكتب لي عهداً : إن هو انصرف عن عدوك
قمت مقامه . فكتب له ، فجاشت جماعة من طخارستان ، فشاور قيس
ابن الميثم فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجمع إليه أطرافه ، فانصرف ،
فلما سار من مكانه مرحلة أو مرحلتين أخرج ابن خازم عهده ، وقام بأمر
الناس ، ولحق العدو فهزمهم ، وبلغ الخبر المصرين والشام فغضب القيسية^(١)
وقالوا : خدع قيساً وابن عامر ، فأكثروا في ذلك حتى شكوا إلى معاوية ،
فبعث إليه قنديل ، فاعتذر بما قيل فيه ، فقال له معاوية : قم فاعتذر إلى
الناس خدأ ، فرجع ابن خازم إلى أصحابه فقال : إني قد أمرت بالخطبة ،
ولست بصاحب كلام ، فاجلسوا حول المنبر ، فإذا تكلمت فصدقوني ،
فقام من الغد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنما يتكلف الخطبة لإمام
لا يجد منها بدءاً ، أو أحق بهم^(٢) من رأسه لا يبالى ما خرج منه ، ولست
بواحد منهما ؛ وقد علم من عرفني أنني يصير بالفرس ، وثأب عليها ، وقاف
عند المهالك ، أنفذ بالسرية ، وأقسم بالسوية ، أنشدكم بالله من كان يعرف ذلك
منى لما صدقني ! قال أصحابي حول المنبر : صدقت ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنك ممن نزلت قتل بما تعلم ، قل : صدقت .

قال علي : أخبرنا شيخ من بني نعيم يقال له معمر ، عن بعض أهل
العلم أن قيس بن الميثم قدم على ابن عامر من خراسان مراغماً لابن خازم ،
قال : فضربه ابن عامر مائة وحلقتة وجهه ، قال : فطلبت إليه أمه ،
فلما خرجت .

(١) س : القيسية .

(٢) يقول : هو القيسية .

وحجَّ بالناس في هذه السنة فيها قيل - مروانُ بن الحَكَم، وكان على المدينة،
 وكان على مكة خالدُ بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرةُ بن شعبه،
 وعلى قضائها شريح، وعلى البصرة وفارسَ وسِجِسْتانَ وخُرَّاسانَ عبد الله بن
 عامر، وعلى قضائها^(١) عُمَيْرُ بن يَرْبُوعَ.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك دخول المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن^(١)
الوليد بلاد الروم ومشتاتهم^(٢) بها ، وغزو بئر بن أبي أرطاة البحر .

[عزل عبد الله بن عامر عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة .

• ذكر الخبر عن سبب عزله :

كان سبب ذلك أن ابن عامر كان رجلاً ليناً كريماً ، لا يأخذ على
أيدي السفهاء ، ففسدت البصرة بسبب ذلك أيام عمله بها لمعاوية فحدثني
عمر بن شبة ، قال : أخبرنا يزيد الباهلي ، قال : شكنا ابن
عامر إلى زياد فساد الناس وظهور الخبيث ، فقال : جرّد فيهم السيف ،
فقال : إني أكره أن أصليحهم بفساد نفسي .

حدثني عمر ، قال : قال أبو الحسن : كان ابن عامر ليناً سهلاً ، سهل
الولاية ، لا يعاقب في سلطانه ، ولا يقطع لهما ، فقبل له في ذلك ، فقال :
أنا أنالفت الناس ، فكيف أنظر إلى رجل قد قطعت أباه وأخاه !

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا مسلمة بن عمار ، قال :

وقد ابن الكواء ، واسم ابن الكواء عبد الله بن أبي^(١) أوفى إلى معاوية ، فسأله
عن الناس ، فقال ابن الكواء : أما أهل البصرة فقد غلب عليها سفهاؤها ،
وعاملها ضعيف ، فبلغ^(٢) ابن عامر قول ابن الكواء ، فاستعمل طقي

(١) ساقط من ط .

(٢) ف : « شاتهم » .

(٣) س : « وبلغ » .

ابن عوف اليشكري على خُرَّاسان، وكان الذي بينه وبين ابن الكوَّاء متباعداً، فقال ابن الكوَّاء: «لإنَّ ابن دَجاجة^(١) لقليلُ العلم فيَّ، أَظُنُّ أنَّ ولايةَ طُفَيْل خُرَّاسانَ تسوِّعني ! لو ددَّت أَنه لم يبق في الأرض يشكركي إلاَّ عادي ، وأنه ولائم . فعزل معاوية ابن عامر ، وبعث الحارث بن عبد الله الأزدی . قال : وقال القَحْلَحِي : قال ابن عامر : أَى النَّاسِ أَشَدَّ عداوةً لابن الكوَّاء ؟ قالوا : عبد الله بن أبي شيخ ، فولاه خُرَّاسان ؛ فقال ابن الكوَّاء ما قال .

وذكر عن عمر ، عن أبي الحسن ، عن شيخ من ثقف وأبي عبد الرحمن الإصبهاني ، أنَّ ابن عامر أوفد إلى معاوية وقدأ ، فواقفوا عنده وفدَّ أهل الكوفة ، وفيهم ابن الكوَّاء اليشكري ، فسألم معاوية عن العراق وعن أهل البصرة خاصة ، فقال له ابن الكوَّاء : يا أمير المؤمنين ، إنَّ أهل البصرة أكلتهم سفهاؤهم ، وضَعُف عنهم سلطانهم ، وعَجَزَ ابن عامر وضعفهُ . فقال له معاوية : تكلمْ عن أهل البصرة وهم حضورا فلما انصرف الوفد إلى البصرة سلَّخوا ابن عامر ذلك ، فغَضِب ، فقال : أَى أَهْلِ العراق أَشَدَّ عداوةً لابن الكوَّاء ! فقليل له : عبد الله بن أبي شيخ اليشكري ، فولاه خُرَّاسان ، وبلغ ابن الكوَّاء ذلك فقال ما قال .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليٌّ ، قال : لما ضعف ابن عامر عن عمله ، وانتشر الأمر بالبصرة عليه ، كتب إليه معاوية يستريه ، قال عمر : فحدثني أبو الحسن أنَّ ذلك كان في سنة أربع وأربعين ، وأنه استخلف على البصرة قيسُ ابن الميمم ، فتقدَّم على معاوية ، فردَّه على عمله ، فلما ودَّعه قال له معاوية : إني سائلك ثلاثاً ، قل : هنَّ لك . قال : هنَّ لك وأنا ابن أمِّ حَكيم ، قال : تردَّ عليَّ علي . ولا تغضب ، قال : قد فعلت ، قال : وتهب لي مالكَ بعَرَقة ، قال : قد فعلت . قال : وتهب لي دُورَكَ بمكة ، قال : قد فعلت ، قال : واصلتكَ رَحِم ! قال : فقال ابن عامر : يا أمير المؤمنين ، إني سائلك ثلاثاً قل : هنَّ لك ، قال : هنَّ لك وأنا ابن هند ، قال : تردَّ عليَّ مالي

(١) ف : دَجاجة ، وانظر آمد النابة .

بحرقة ، قال : قد فعلت ، قال : ولا تحاسب لي عاملاً ، ولا تتبع لي أثرًا .
قال : قد فعلت ، قال : وتُنكِحني ابنتك ههنا ؟ قال : قد فعلت .

قال : ويقال : إن معاوية قال له : احضر بين أن أتبع أثرك وأحاسبك
بما ضار إليك ، وأردك إلى عمالك ، وبين أن أسوئك ما أضيت ، وتعتزل ،
فلما حار أن يسوئعه ذلك ويعتزل

* * *

[استلحق معاوية نسب زياد ابن سمية بأبيه]

وفي هذه السنة استلحق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه أبي سفيان
فما قيل .

حدثني عمر بن شبة ، قال : زعموا أن رجلاً من عبد القيس كان مع
زياد لما^(١) وفد على^(٢) معاوية ، فقال لزياد : إن لابن عامر عندي يدٌ ،
فلأن أؤت لي أثبتة ، قال : على أن تحدثني ما يجري بينك وبينه ، قال :
نعم ، فأذن له فأتاه ، فقال له ابن عامر : هيه هيه ! وابن سمية يقبض آثاري ،
ويعرض بعثالي لقد هممت أن آتي بقسامة^(٣) من قريش يحلفون أن
أبا سفيان لم ير سمية ، قال : فلما رجع سأله زياد ، فأبى أن يخبره ، فلم
يبدعه حتى أخبره ، فأخبر ذلك زياداً معاوية ، فقال معاوية لحاجبه :

٧٠/٢

لأفقه جاء ابن عامر فاضرب وجهه دابته عن أقصى الأبواب ، ففعل ذلك به ،
فأتى ابن عامر يزيد ، فشكا إليه ذلك^(٤) ، فقال له : هل ذكرت زياداً ؟ قال :
نعم ، فركب مع يزيد حتى أدخلته ، فلما نظر إليه معاوية قام فدخل ، فقال
يزيد لابن عامر : اجلس فكم عسى أن تنقذ في البيت عن مجلسه ؟ فلما
أحاطا خرج معاوية^(٥) وفي يده قضيب يقرب به الأبواب ، ويمثل :

(١) م : - - حين .

(٢) م : « الله » .

(٣) القسامة : اليمين يتسمون على التي أو يجهلون به .

(٤) م : « ذلك إليه » .

(٥) م : « قد يده » يعني يده .

لَنَا سِيَّاقٌ وَلَكُمْ سِيَّاقٌ قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ الرِّفَاقُ

ثم قعد فقال: يا ابن عامر، أنت القاتل في زياد ما قلت! أما والله لقد علمت العرب أني كنت أعزها في الجاهلية، وإن الإسلام لم يزدني إلا عزاً، وأنني لم أتكثر بزياد من قلة، ولم أتزربه من ذلة، ولكن عرفت حقاً له فوضعت موضعه، فقال: يا أمير المؤمنين، نرجع إلى ما يحب زياد، قال: إذا نرجع إلى ما تحب، فخرج ابن عامر إلى زياد فترضاه.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: حدثنا عمرو بن هاشم، عن محمد بن بشير الميموني، عن أبي إسحاق، أن زياداً لما قدم الكوفة، قال: قد جئكم في أمر ما طلبته إلا إليكم، قالوا: ادعنا إلى ما شئت، قال: تُلحِقون نسبي بمعاوية، قالوا: أما بشهادة الزور فلا، فأتى البصرة، فشهد له رجل.

وَجَّعَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَعَاوِيَةَ .

وفيها عمل مروانُ المقصورة، وعملها أيضاً فيها ذكر معاوية بالشام . وكانت العمالُ في الأمصار فيها العمال الذين ذكرنا قبل أنهم كانوا العمال ٧١/٢ في سنة ثلاث وأربعين .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

ذكر الأحداث المذكورة التي كانت فيها

فمن ذلك استعمال معاوية الحارث بن عبد الله الأزدي فيها على البصرة .
فحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : عزل معاوية ابن عامر وولّى الحارث بن عبد الله الأزدي البصرة في أول سنة خمس وأربعين ، فأقام بالبصرة أربعة أشهر ، ثم عزّله . قال : وقد قيل : هو الحارث بن عمرو وابن عبّدة حمرو ، وكان من أهل الشام ، وكان معاوية عزل ابن عامر ليولي زياداً ، فولّى الحارث كالفارس المخلّل ، فولّى الحارث شرطته عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي ، ثم عزّله معاوية وولّاها زياداً .

ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا بعض أهل العلم أن زياداً لما قدم الكوفة ظنّ المغيرة أنه قدم والياً على الكوفة ، فأقام زياد في دار سلمان بن ربيعة الباهلي ، فأرسل إليه المغيرة وائل بن حجر الحضرمي أبا هنيّدة ، وقال له : اعلم لي علمته . فأتاه فلم يقبل منه على شيء ، فخرج من عنده يريد المغيرة ، وكان زاجراً ، فرأى غريباً يتنقّ ، فرجع إلى زياد فقال : يا أبا المغيرة ، هذا الغراب يرحلك ^(١) عن الكوفة . ثم رجع إلى المغيرة ، وقدم ^(٢) رسول معاوية على زياد من يومه : أن سير إلى البصرة .

٧٢/٢

وأما عبد الله بن أحمد المروزي فحدثني ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن إسحاق - يعني ابن يحيى -

(١) ف : « يرحلك » . (٢) ف : « قد قدم » .

عن معبد بن خالد الجدليّ ، قال : قدّم علينا زيادٌ - الذي يقال له ابنُ أبي سفيان - من عند معاوية ، فترسل دارسلمان بن ربيعة الباهليّ ينتظر أمرَ معاوية . قال : فبلغ المغيرة بن شعبة - وهو أميرٌ على الكوفة - أن زياداً ينتظر أن تجيء إمارته على الكوفة ، فدعا قطن بن عبد الله الحارثي فقال : هل فيك من خير ؟ تكفي الكوفة حتى آتيك من عند أمير المؤمنين ؟ قال : ما أنا بصاحب ذا ، فدعا عتيبة^(١) بن النّهاس العجليّ ، فعرض عليه فقيل ، فخرج المغيرة إلى معاوية ، فلما قدم عليه سأله أن يعزله ، وأن يقطع له منازل بقرقيسيّا بين ظهريّ قيس ، فلما سمع بذلك معاوية خاف باتقته ، وقال : والله لترجمن إلى علك يا أبا عبد الله . فأبى عليه ، فلم يزد ذلك إلا تُهمة ، فردّه إلى عمله ، فطرقنا ليلاً ، وإني لفرّوق القصر أحرسه ، فلما قرع الباب أنكرناه ، فلما خاف أن ندليّ عليه حجراً سمى لنا ، فترتل إليه فرحبت له وسلّمت ، فتمثل :

بمثل فافزعي يا أمّ عمرو إذا ما حاجني السفرُ النُّعورُ^(٢)

أذهب إلى ابنِ سُميّة فرحلّه حتى لا يصبح إلا من وراء الجسر . فخرجنا^(٣)

فأتينا زياداً ، فأخرجناه حتى طرحناه من وراء الجسر قبل أن يصبح .

* * *

فحدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا مسلمة والمُثُلّيّ وغيرُهما أن معاوية استعمل زياداً على البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرينّ وعمان ، وقدّم البصرة في آخر شهر ربيع الآخر - أو غرة جمادى الأولى - سنة خمس ، والقيس بالبصرة ظاهر ، فاشي ، فيطلب خطبةً بترأه^(٤) كم يحمد الله فيها ، وقيل : بل يحمد الله فقال :

(١) ط : « عتيبة » ، وأظن الفهرس .

(٢) البيت لطرفة ، ديوانه ٦٥ : ٤ وروايته فيه :

ومثلي فاعلمي يا أمّ عمرو إذا ما اعتاده السفرُ النُّعورُ

(٣) ت : « فخرجت » .

(٤) قال الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٦ : « وحل أن خطابه السلف الطيب وأهل البيان والتبيين لم بإحسان » ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتمجيد ، وتضع بالتعجيد : التبراء »

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نِعَمه ، اللهم كما رزقنا نعمًا ، فألهمنا شكرًا على نعمتك علينا .

أما بعد ، فإن الجهالة الجهلاء ، والفضلالة الضمياء ، والفجر الموقد لأهله ^(١) النار ، الباقي عليهم سعيها ، ما يأتي سفهاؤكم ^(٢) ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى منها ^(٣) الكبير ، كأن لم تسمعوا بآي الله ^(٤) ، ولم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أهد ^(٥) الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرم ^(٦) الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامحه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدتم في الإسلام الحدث الذي لم تستيقوا به ^(٧) ، ^(٨) من ترككم هذه المواخير المنصوبة ^(٩) ، والضيقة المسلوقة ، في النهار المبصر ، والعدد غير قليل ! ألم تكن منكم نهاء تمنع الفتوة عن دلج ^(١٠) الليل وغارة النهار ! قرتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تحلثون بغير العذر ، وتغطون على المختلس ^(١١) ، كل امرئ منكم يلب عن سفيهه ^(١٢) ، صنيع من لا يخاف عقابا ^(١٣) ،

٧٤/٢

« ويسمون إلى لم تخش بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : الشقاء » . وقد أورد الجاحظ هذه الخطبة في البيان والبيان ٢ : ٦٦ - ٦٧ ، بروايته عن سلسلة بن محارب وأبي بكر الهذلي أيضا ، وكذلك أوردتها صاحب العقد في : ١١٠ - ١١٣ هذه الرواية أيضا .

- (١) البيان : « التي الملق بأهله على النار » .
- (٢) البيان والعقد : « ما فيه سفهاؤكم » .
- (٣) كذلك في الطبري والعقد ، وفي البيان : « ولا يتحاشى عنها الكبير ، ويتحاشى : ينفر .
- (٤) ص : « آيات الله » .
- (٥) ط : « هد » .
- (٦) العقد : « السرم » .
- (٧) البيان والعقد : « إليه » .
- (٨-٨) البيان : « من ترككم الضمير يتهرب ويخضع ماله » ، وهذه المواخير المنصوبة » .
- (٩) دلج : السير من أول الليل .
- (١٠) البيان والعقد : « وتغطون على المختلس » .
- (١١) ف : « سفيه » .

(١٢) « من لم يخش الله ولا يومه » .

ولا يرجع مصادراً . ما أنتم بالحلماة^(١) ، ولقد اتبعت السفهاء ، ولم يزل^(٢) بهم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرّم^(٣) الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً^(٤) في مكائس الرّيب . حرّم^(٥) على الطعام والشراب حتى أسويتها بالأرض هدماً وإحراقاً . إننى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح [به]^(٦) أوله ، لين في غير ضعف ، وشدة في غير جبرية وعنف^(٧) . وإنى أقسم بالله لأخذنّ الولي بالولي^(٨) ، والمقيم بالظاهن ، والمقبل بالمدير ، والصحيح منكم بالسقيم ، حتى يلتقى الرجل منكم أخاه فيقول : انجّ سعد فقد هلك سعيد^(٩) ، أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبة المنير تبقى مشهورة^(١٠) ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم مصيبي ، [وإذا سمعتموهامنى فاغتمزوها في واعلموا أن عندي أمثالها] من^(١١) بُيت منكم^(١٢) فأنا ضامن لما ذهب له . إناى ود كج الليل ، فإننى لا أوفى بمديح إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم في ذلك بقدر^(١٣) ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إلى . وإناى ود عوى^(١٤)

(١) ف : « حلماة » .

(٢) البيان : « فلم يزل » .

(٣) حرم الإسلام : ما لا يحل انتهاكه ؛ وروى الشعبي قال : « لما خطب زياد خطبة البراء بالبصرة ونزل سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ ، قالوا : إن البلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان القساق ، فيقال لها : نادى ثلاثة أصوات ، فإن أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع » .

(٤) الكنوس : جمع كناس ؛ أى مستتر ، وأصله من الظن إذا دخل في كناسه .

(٥) البيان : « حرّم » .

(٦) البيان : « صلح به أوله » .

(٧) البيان : « وشدة في غير عنف » .

(٨) العقد : « الولي بالولي » .

(٩) سعد وسعيد : ابنا ضبة بن أد ؛ خرجا في طلب إيل لأبيهما ، فوجداه سعد فردها ؛ فكان ضبة إذا رأى سواداً لحق الليل قال : سعد أم سعيد !

(١٠) البيان والعقد : « بقاء مشهورة » .

(١١) من البيان والتبيين .

(١٢) البيان : « من نقب منكم عليه » .

(١٣) البيان : « المقدار » .

(١٤) في البيان : « وقد الحديث : ما يال دعوى الجاهلية ! هي قولهم : يا فلان ، كانوا يسمون =

الجاهلية، فلاني لا أجد أحد ادعأ بها إلا قلع لسانه^(١). وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن،
وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوماً غرقته، ومن حرق^(٢) على
قوم حرقناه، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنته^(٣) فيه^(٤).
حيّاً، فكفّوا عني أيديكم وألسنتكم أكشف يدي وأذائي، لا يظهر^(٥) من
أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه.

٧٥/٢

وقد كانت بيني وبين أقوام إحسن، فجعلت ذلك دبراً أذني وتعت
قلبي، فمن كان منكم محسناً فليزدده إحساناً، ومن كان مسيئاً فليترع
عن إساءته. إني لو علمت أن أحدكم قد قلع السل من بغض لم أكشف
له قناعاً، ولم أهلك له سيراً، حتى يبئني لي صفحته، فإذا فعل لم
أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرب مبشّر بقلوبنا
سيُسرّ، ومسرور بقلوبنا سيُنبش^(٦).

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان
الله الذي أمطانا، ونلود^(٧) عنكم بقر الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع
والطاعة فيما أحيينا، ولكم علينا العدل فيما ولّينا، فاسترجعوا عدلتنا ووفيتنا
بمناصحتكم. واعلموا أني مهما قصرت عنه فلاني لا أقصر عن ثلاث :
لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابس
ريزقاً ولا عطاء عن إتيانه، ولا مجمر^(٨) لكم بعثاً. فادعوا الله بالصالح
لا تمتكم، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومنى
تصلحوا يصلحوا. ولا تشربوا قلوبكم بغضهم، فيشدّ ذلك خيطكم، ويطول

عن بعضهم بعضاً عند الأمر الحادّ الشديد، ومنه حديث زيد بن أظم : فقال قوم : يا للأصاوار !
وقال قوم : يا للمهاجرين ! فقال عليه السلام : دعوا فإنها متنة .

(١) البيان : « فلاني لا أجد داعياً بها إلا قلع لسانه » .

(٢) البيان : « ومن أرق قوماً » .

(٣) من البيان والخبيرين .

(٤) ف : « لا يظهر » .

(٥) البيان : « وسنوه » .

(٦) س : « ولقد كنتم يتقوى الله » .

(٧) تجميع الجند : أن يحسم في أرض العدو، وأن يمنهم من العودة إلى أهلهم .

له حزنكم ، ولا تُدرِ كوا حاجتكم ، مع أنه لو استجيبَ لكم كان شرًّا لكم :
 أسأل الله أن يعين كلًّا على كلِّ ، وإذا واجهوني أتقيد فيكم الأمر
 فأقبلوه على أذلاله^(١) ، وإيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كلُّ
 امرئٍ منكم أن يكون من صرّحاي .

٧٦/٢

قال : ققام عبد الله بن الأهم^(٢) قال : أشهد أيها الأمير أنك قد
 أوثيت الحكمة وفصل الخطاب ، قال : كتبت ، ذلك نبي الله داود
 عليه السلام .

قال الأحنف : قد قلت فأحسنيت أيها الأمير ، والثناء بعد البلاء ،
 والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نغنى حتى نُبتلى ، قال زياد : صدقت .
 ققام أبو بلال مِرْداس بن أدبته يهيمس وهو يقول : أنبأ الله بغير ما قلت ،
 قال الله عز وجل : ﴿ وَلِإِبْرَاهِيمَ الْإِلَهِيَّوْفَى ۚ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۚ
 وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ ﴾^(٣) ، فأوعدنا الله خيرا بما واعدت^(٤)
 يا زياد ، فقال زياد : إنا لا نجد إلى ما تريد أنت وأصحابك سبيلا حتى
 نخوض إليها اللماء^(٥) .

حدثني عمر ، قال : حدثنا خلاد بن يزيد ، قال : سمعتُ من يخير
 عن الشعبي ، قال : ما سمعتُ متكلما قطّ تكلم فأحسن إلا أحييت أن يسكت^(٦)
 خوفاً أن يسيء إلا زيادا ، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاما .

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، عن مسلمة ، قال : استعمل زياد

(١) على أذلاله ، أي على طرق وجوهه ، واحده ذل ؛ بكسر الذال ؛ وهو ما مهد وبذل من

الطريق .

(٢) نوادر القاتل ١٨٥ : « صفوان بن الأهم » .

(٣) سورة النجم : ٣٧ - ٣٩ .

(٤) س : « وأعدتنا » .

(٥) في البيان هذه الآيات : « وأنت تزعم أنك تأخذ البرى بالسقيم ، والمطيع بالماص ،
 والمقبل بالمدهر ؛ فسمه زياد ، فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك ولا أصحابك حتى نخوض إليكم
 الباطل خوفاً » .

(٦) س : « خوفاً من أن يسيء » .

على شرطته عبد الله بن حصن ، فأهمل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة ، وحاد إليه وصول الخبر إلى الكوفة ، وكان يؤخر العشاء حتى يكون آخر من يصلي ثم يصلي ، يأمر رجلاً فيقرأ سورة البقرة ومثلها ، يرثل القرآن ، فإذا فرغ أهمل بقدر ما يرى أن إنساناً يبلغ الحرّبة ، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج ، فيخرج ولا يرى إنساناً إلا قتله . قال : فأخذ ليلةً أعرابياً ، فأتى به زياداً فقال : هل سمعت النداء ؟ قال : لا والله ، قدمتُ بمكوبة لي ، وغشيتني الليل ، فاضطررتها إلى موضع ، فأقمتُ لأصيح ، ولا علم لي بما كان من الأمير . قال : أظنك والله صادقاً ، ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة ، ثم أمر به ففُرضتُ عنقه .

وكان زياد أول من شدّ أمر السلطان ، وأكّد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدّم في العقوبة ، وجرّد السيف ، وأخذ بالظنّة ، وهاب على الشبهة ، ونعاه الناس في سلطانه خوفاً شديداً ، حتى أمّن الناس بعضهم بعضاً ، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة^(١) فلا يتعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ، وتبيت المرأة فلا تخلق عليها بابها ، وساس الناس سياسة لم ير مثلاً لها ، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله ، وأدرّ العطاء ، وبني مدينة الرزق^(٢) .

قال : وسمع زياد جرساً من دار محبّر ، فقال : ما هذا ؟ قليل : عمنس^(٣) . قال : فليكنف عن هذا ، أنا ضامن^(٤) لما ذهب له ، ما أصاب من إصطخّر .

قال : وجعل زياد الشرط أربعة آلاف ، عليهم عبد الله بن حصن ، أحد بني عبيد بن ثعلبة صاحب مقبرة ابن حصن ، وأبجعد بن قيس التميمي^(٥) .

(١) س : « والمرأة » .

(٢) س : « الرق » ، وفي ياقوت : « الرزق » ، بكسر الراء وسكون الزاي - كذا ذكره ابن الفراء في تاريخ البصرة - مدينة الرزق ، إحدى صالح العمم بالبصرة قبل أن يخطها المسلمون .

(٣) ف : « عمنس » .

(٤) س : « وأنا » .

(٥) ط : « التميمي » ، وانظر القهيري .

صاحب طاقٍ الجعند ، وكانا جميعاً على شرطه ، فبينا زياد يوماً يسير وهما بين يديه سيران بحريتين ، تنازعا بين يديه ، فقال زياد : يا جعند ، ألقى الحربه ، فألقاها ، وثبت ابن حصن على شرطه حتى مات زياد .

وقيل : إنه ولّى الجعند أمرَ الفُسّاق ، وكان يتبعهم ^(١) ، وقيل ^(٢) :
لزياد : إن السُّبُلَ مَخُوفَةٌ ، فقال : لا أعاني شيئاً سوى المِصرِ ^(٣) حتى أغلب على المِصرِ وأصلحه ، فإنَّ غلبتي المِصرَ فغيره أشدَّ غلبةً ، فلما ضبط المِصرَ تكلف ما سوى ذلك ^(٤) فأحكمته . وكان يقول : لوضاع حبَلُ يَتَى وبين خُرُاسانَ علمتُ مَنْ أَخَذَهُ .

وكتب خمسمائة من مشيخة أهل البصرة في صحابته ، فرزقهم ما بين الثلاثة إلى الخمسمائة ، فقال فيه حارثةُ بن بِلَرٍ الغُدَّاني ^(٥) :

ألا من مُبْلَغٍ عَنَى زِياداً	فنعم أخو الخليفة والأمير !
فأنتَ إمامٌ مَعْدَلَةٌ وَقَصْدٌ	وحزَمٌ حينَ تَحْضُرُكَ الأمورُ
أَحْوَلُ خَلِيفَةُ اللَّهِ ابْنُ حَرْبٍ	وأنتَ وزيرُهُ ، نِعَمَ الوزيرِ
تُصِيبُ عَلَى الْهَوَى مِنْهُ وَتَأْتِي	مُحِيطٌ ما يُجِنُّ لَنَا الضَّمِيرُ
بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْصُورٌ مُعَانٌ	إذا جَارَ الرِّيمَةُ لَا تَجُورُ
يَكِيرُ عَلَى يَدَيْكَ لِمَا أَرَادُوا	من الدنيا لهم حَلَبٌ غَزِيرُ
وتقسم بالسَّوَاءِ فلا غَفَى	لِقَبِيحٍ يَشْتَكِيكَ وَلَا فَقِيرُ
وكنْتَ حَيًّا وَجِشْتَ عَلَى زَمَانٍ	غَبِيثٍ ، ظَاهِرٌ فِيهِ شُرُورُ
تَقَاسَمَتِ الرِّجَالُ بِهِ هَوَاهَا	فما تُخْفِي ضَغَائِنَهَا الصُّلُورُ

(١) س : يتبعهم .

(٢) س : وقيل .

(٣) س : ورواه هذا المِصر .

(٤) س : ورواه ذلك .

(٥) س : واليه .

ونخاف الحاضرون وكلّ بَـسَادٍ يُقِيمُ عَلَى الْمَخَافَةِ أَوْ يَمِيرُ
فَلَمَّا قَامَ سَيْفُ اللَّهِ فِيهِمْ زِيَادٌ قَامَ أَبْلَجُ مُسْتَنْبِرُ
قَوًى لَا مِنْ الْحَدَثَانِ غِرٌّ وَلَا جَزِعٌ وَلَا فَنٍ كَبِيرُ

٧٩/٢ حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: استعان زيادٌ
بعده من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منهم عمران بن الحصين الخزاعي
ولاه قضاء البصرة، والحقم بن عمرو الغيفاري ولاه خراسان، وسمرة
ابن جندب، وأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن سمرة، فاستعفاه عمران
فأعفاه. واستغفى عبد الله بن فضالة الليثي، ثم أخاه عاصم بن فضالة،
ثم زارة بن أوفى الحرثي، وكانت أخته لبابة عند زياد.

وقيل: إن زياداً أول من سیر بين يديه بالحرا ب، ومشي بين
يديه بالعمد، واتخذ الحرس رابطة خمسمائة، واستعمل عليهم شيبان صاحب
مقبرة شيبان، من بني سعد، فكانوا لا يبرحون المسجد.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: جعل زياد خراسان أربعاً،
واستعمل على مرو أمير بن أحمر اليشكري، وعلى أبر شهر خلّيد بن
عبد الله الحنفي، وعلى مرو الروذ والقارياب والطالقان قيس بن الميثم، وعلى
هراة وباذغيس وقادس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا مسلمة بن محارب وابن
أبي عمرو، شيخ من الأزد، أن زياداً عتب على نافع بن خالد الطاحي،
فحبسه، وكتب عليه كتاباً بمائة ألف، وقال بعضهم: ثمانمائة ألف،
وكان سبب موّجده عليه أنه بعث بخوان باهر^(١) قوامه منه، فأخذ نافع
قائمة، وجعل مكانها^(٢) قائمة من ذهب، وبعث بالخوان إلى زياد مع غلام
له يقال له زيد، كان قيمته على أمره كله، فسمى زيد بن نافع، وقال لزياد:

إنه قد خافك ، وأخذ قائمة من قوائم الحيوان ، وجعل مكانها^(١) قائمة من ذهب ، قال : فثنى رجال من وجوه الأزدي إلى زياد ، فيهم سيف بن وهب المصعولي ، وكان شريفاً ، وله يقول الشاعر :

اعتمد بسيف السباحة والندي واعتمد بصبرة للفعال الأعظم

قال : فدخلوا على زياد وهو يستاك ، فتمثل زياد حين رآهم :

اذكر بنا موقف أفراسنا بالجنو إذ أنت إلينا فقير

قال : وأما الأزدي فيقولون : بل تمثل سيف بن وهب أبو طلحة المصعولي

بهذا البيت حين دخل على زياد ، فقال : نعم . قال : وإنما ذكره أيام أجاره صبرة ، فلما زياد بالكتاب فحاه بسواكه وأخرج نافعاً .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي ، عن مسلمة ، أن زياداً عزل

نافع بن خالد الطاحي وخلفه بن عبد الله الحنفي وأمير بن أحمر اليشكري ،

فاستعمل الحكم بن عمرو بن مجدع^(٢) بن حذيم بن الحارث بن نعيمة بن

مليك - ونعيمة أخو غفار بن ملك - ولكنهم قليل ، فصاروا إلى غفار .

قال مسلمة^(٣) : أمر زياد حاجبه فقال : ادع لي الحكم - وهو يريد الحكم

ابن أبي العاص الثقفي - فخرج الحاجب فرأى الحكم بن عمرو الغفاري

فأدخله ، فقال : زياد : رجل له شرف وله صحبة^(٤) من رسول الله^(٥)

صلى الله عليه وسلم ، فعقد له على خراسان ، ثم قال له : ما أردت لك ،

ولكن الله عز وجل أرادك .

حدثني عمر قال : حدثنا علي : قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن الثقفي

ومحمد بن الفضل^(٦) ، عن أبيه ، أن زياداً لما ولي العراق استعمل الحكم بن

(١) ط : مكانه .

(٢) س : مجدع ، ف : غنوج .

(٣) ف : سلمة .

(٤) ف : وصبة .

(٥) س : رسول الله .

(٦) ط : الفضيل ، وانظر القهري .

تحمروا والغفاري على خراسان ، وجعل معه رجالا على كؤور ، وأمرهم بطاعته ، فكانوا على جباية الخراج ، وهم أسلم بن زُرعة ، وخُلَيْد بن عبد الله الحنفي ، ونافع بن خالد الطاحي ، وربيعة بن عسك البريحي ، وأمير بن أحمر البشكري ، وحاتم بن النعمان الباهلي ، فأتى الحكم بن عمرو ، وكان قد غزا طخارستان ، فقتل هناك كثيرا ، واستخلف أنس بن أبي أناس بن زُئيم ، وكان كتب إلى زياد : إني قد رضيته لله والمسلمين ولك ، فقال زياد : اللهم إني لا أرضاه لدينك ولا للمسلمين ولا لبي . وكتب زياد إلى خُلَيْد بن عبد الله الحنفي بولاية خراسان ، ثم بعث الربيع بن زياد الحارثي إلى خراسان في خمسين ألفا ، من البصرة خمسة وعشرين ألفا ، ومن الكوفة خمسة وعشرين ألفا ، على أهل البصرة الربيع ، وعلى أهل الكوفة عبد الله ابن أبي عقيل ، وعلى الجماعة الربيع بن زياد .

• • •

وقيل : حجج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وهو على المدينة ، وكانت الولاية والعُمال على الأمصار في هذه السنة من تخلف ذكره قبل ، المخيرة ابن شعبة على الكوفة ، وشرّيع على القضاة^(١) بها ، وزياد على البصرة ، والعُمال من قد سميت قبل .

• • •

وفي هذه السنة كان مَشْتَى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بأرض الروم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مشفى مالك بن عبد الله^(١) بأرض الروم، وقيل :
بل كان ذلك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل بل كان مالك بن هبيرة
السكوفي .

• • •

[خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه]

وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد بن الوليد من بلاد الروم إلى حمص ،
فدس ابن أثال النصراني إليه شربة مسمومة - فبها قتل - فشرى بها قتلتته .
ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

وكان السبب في ذلك ما حدثني عمر ، قال : حدثني علي ، عن مسلمة
ابن محارب ، أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام ،
ومال إليه أهلها ، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد ، ولأفئدة
عن المسلمين في أرض الروم وبأسه ، حتى خافه معاوية ، وعشى على نفسه
منه ، لئلا الناس إليه ، فأمر ابن أثال أن يحال في قتل ، وضمين له إن هو
فعل ذلك أن يضع عنه خراج ما عاش ، وأن يوليّه جباية خراج حمص ،
ظلمًا قدم عبد الرحمن بن خالد حمص متصرفًا من بلاد الروم دس إليه
ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه ، فشرى بها فأتى بيمينه ، فوطئ
له معاوية بما ضمّن له ، وولاه خراج حمص ، ووضع عنه خراجته .

قال : وقدّم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المدينة ، فجلس
يومًا إلى حرث بن الزبير ، فسلم عليه ، فقال له حرث : من أنت ؟ قال :
أنا خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ؛ فقال له حرث : ما فعل ابن
أثال ؟ فقام خالد من عنده ، وشخص متوجهًا إلى حمص ، ثم رصدها

(١) ط : عبد الله ، وانظر القتيبي .

ابن أثال ، فرآه يوماً راكباً ، فاعترض له خالدُ بن عبد الرحمن ، فضربه بالسيف ، فقتله ، فرفع إلى معاوية ، فحبسه أياماً ، وأغرمته ديتته ، ولم يقده منه . ورجع خالد إلى المدينة ، فلما رجع إليها أتى عروة فسلم عليه ، فقال له عروة : ما فعل ابن أثال ؟ فقال : قد كفيْتُكَ ابن أثال ، ولكن ما فعل ابن جرْموز ؟ فسكت عروة . وقال خالدُ بن عبد الرحمن حين ضرب ابن أثال :

أنا ابنُ سيفِ الله فاعزُّوني لم يبقَ إلا حَسْبى ودينى
• وصارِمٌ صلَّ به يمينى •

• • •

[ذكر خروج سهم والخطيم]

وفيها خرج الخطيم وسهم بن غالب المُجِيمِي ، فحكما ، وكان من أمرهما ما حدثني به عمر ، قال : حدثنا علي ، قال : لما ولَّى زياد خافه سهم ابنُ غالب المُجِيمِي والخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلي فقاما سهم فخرج إلى الأهواز فأحدث وحكم ، ثم رجع فاختفى وطلب الأمان ، فلم يؤمنه زياد ، وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه . وأما الخطيم فإن زيادا سيّره إلى البحرين ، ثم أذن له فقدم ، فقال له : الزم مصرتك ؛ وقال لمسلم ابن عمرو : اضممته ، فأبى وقال : إن بات عن بيته أعلمتكَ . ثم أتاه مسلم فقال : لم يبت الخطيم الليلة في بيته ، فأمر به فقتل ، وألقي في باهلة .
٨٤/٢ وحج بالناس في هذه السنة حُتَيْبُ بن أبي سفيان . وكان الممّال والولادة فيها الممّال والولادة في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كان مَشْتَى مالك بن هُبيرة بأرض الرّوم ، ومَشْتَى أبي عبد الرحمن
القنبيّ بأنطاكية .

[ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حُدَيج]
وفيها عُرِّل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، ووليها معاوية
ابن حُدَيج ^(١) ، وسار— فيما ذكر الواقدي — في المغرب ، وكان هُنايًّا .
قال : ومَرَّ به عبد الرحمن بن أبي بكر وقد جاء من الإسكندرية ، فقال له :
يا معاوية ، قد لَحْشَرِي أُخِلْتَ من معاوية جزاءك ، قُتِلَ محمد بن أبي بكر
لأنّ تلى مصر ، فقد وليتها . قال : ما قُتِلَ محمد بن أبي بكر إلا بما صنع
بعمّان ، فقال عبد الرحمن : فلو كنت إنما تطلب بدم عمّان لم تشرك معاوية
فيما صنع حيث صنع عمرو بن العاص بالأشعرى ما صنع ، فوثبت أول
الناس فيابعتة .

[ذكر غزو القُوز]

وقال بعض أهل السير : وفي هذه السنة وجّه زياد الحَكَم بن عمرو
الغفاريّ إلى خراسان أميرًا ، ففزا جبال القُوز وفراوند ، قهرهم بالسيف
عَتَوَةً ففتحها ، وأصاب فيها مغانم ^(٢) كثيرة وسبايا ، وسأذكر من خالف
هذا القول بعد إن شاء الله تعالى .

وذكر قائل هذا القول أن الحَكَم بن عمرو قَتَلَ مِن غَزْوَتِهِ هذه ، ٨٥/٢

(١) شبه ابن الأثير « بضم الحاء المهملة وفتح اللام المهملة وباليهم » .

(٢) ف : « غنائم » .

فَات بِمَرَّ .

وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : أَقَامَ الْحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سَعْيَانَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلِ الَّذِي حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنَسَةُ بْنُ أَبِي سَعْيَانَ .

وَكَانَتْ الْوَلَاةُ وَالْعُمَمَالُ عَلَى الْأَمْصَارِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَنَّهُمْ كَانُوا الْعَمَالِ وَالْوَلَاةَ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ذكر الأحداث التي كانت فيها

وكان فيها مَسْتَنَى أبى عبد الرحمن القَيْتِي أنطاكية ، وصائفة عبد الله
ابن قيس الفزاري وغزوة^(١) مالك بن هُبيرة السَكُونِي البحر^(٢) ، وغزوة^(١)
عُقبة بن عامر الجُهَنِي بأهل مصر البحر^(٢) ، وبأهل المدينة ، وعلى أهل
المدينة المنذر بن الزَّهير ، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .
وقال بعضهم : فيها وجه زياد غالب بن فضالة الليثي على خراسان ،
وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وحجج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم في قول عامة أهل السير ،
وهو يتوقع العزل لمَوَجدة كانت من معاوية عليه ، وارتجاعه منه فذلك ،
وقد كان وهبها له .
وكانت ولاة الأمصار وعمالها في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي
قبلها .

(١) س : « غزوة » .

(٢) س : « البحر » .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

فكان فيها مَشْتَى مالِك بن هُبيرة السَّكُونِي بأرض الروم .
وفيهَا كانت غَزْوَةُ قُضَالَةَ بن عَيْد جَرَبَةَ ، وَشَتَا بِجَرَبَةَ ، وَفُتِحَتْ
عَلَى يَدَيْهِ ، وَأَصَابَ فِيهَا سَبِيًّا كَثِيرًا .
وفيهَا كانت صَافَةُ عَبْدِ اللَّهِ بن كُرْزُ البَجَلِي .
وفيهَا كانت غَزْوَةُ يَزِيد بن شَجَرَةَ الرَّهَائِي فِي الْبَحْرِ ، فَتَحْنَا بِأَهْلِ
الشَّامِ .

وفيهَا كانت غَزْوَةُ عَقَبَةَ بن نَافِع الْبَحْرِ ، فَتَحْنَا بِأَهْلِ مِصْرَ .
وفيهَا كانت غَزْوَةُ يَزِيدَ بن معاوية الرُّومِ حَتَّى بَلَغَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَمَعَهُ
ابْنُ حَبَّاسٍ وَابْنُ عَمْرٍو ابْنُ الزَّيْبِرِ وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ .
وفيهَا عَزَلَ معاويةُ مَرْوَانَ بنَ الْحَكَمِ عَنْ الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ .
وَأَمَرَ فِيهَا سَعِيدَ بنَ الْعَاصِ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ، وَقِيلَ فِي
شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ .

وَكَانَتْ وَلَايَةُ مَرْوَانَ كُلَّهَا بِالْمَدِينَةِ لِمَعَاوِيَةَ ثَمَانِ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ .
وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْمَدِينَةِ لِمَرْوَانَ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - حِينَ عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ
الْحَارِثِ بنَ نُوفَلٍ ، فَلَمَّا وَلَّى سَعِيدُ بنَ الْعَاصِ عَزَلَهُ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَاسْتَقْضَى
أَبَا سَلَمَةَ بنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ .
وَقِيلَ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالْكُوفَةِ ، فَهَرَبَ الْمَغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ مِنْ
الطَّاعُونَ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُونَ قِيلَ لَهُ : لَوْ رَجَعْتَ إِلَى الْكُوفَةِ ! فَقَدِمَهَا
فَطُعِنَ فَمَاتَ ، وَقَدْ قِيلَ : مَاتَ الْمَغِيرَةُ سَنَةَ خَمْسِينَ ، وَضُمَّ مَعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ
إِلَى زِيَادٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ لَهُ الْكُوفَةُ وَالْبَحْرَةَ .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص .
 وكانت الولاية والعُمّال في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي قبلها ،
 إلا عامل الكُوفَة فإنَّ في تاريخ هلاك المُغيرة اختلافًا ، فقال : بعض أهل
 السَّير : كان هلاكه في سنة تسع وأربعين ؛ وقال بعضهم : في سنة خمسين .

ثم دخلت سنة خمسين ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة بئر بن أبي أرطاة وسُفْيَان بن عوف الأزدي أرضَ
الروم .

وقيل : كانت فيها غزوة فضالة بن عبيد الأنصاري البحر .

• • •

[ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة]

وفيها - في قول الواقدي والمذاقني - كانت وفاة المغيرة بن شعبة . قال
محمد بن عمر : حدثني محمد بن أبي موسى التقي ، عن أبيه ، قال : كان
المغيرة بن شعبة رجلاً طويلاً، مصاب العين ، أصيب باليرموك ،
توفي في شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة .

وأما عروانة فإنه قال - فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عنه :
هلك المغيرة سنة إحدى وخمسين .

وقال بعضهم : بل هلك سنة تسع وأربعين .

حدثني عمر بن شعبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : كان زياد على
البصرة وأعمالها إلى سنة خمسين ، فأت المغيرة بن شعبة بالكوفة وهو أميرها ،
فكتب معاوية إلى زياد بعثه على الكوفة والبصرة ، فكان أول من جمع
له الكوفة والبصرة ، فاستخلف على البصرة سمرة بن جندب ، وشخص
إلى الكوفة ، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة ، وستة أشهر بالبصرة .

حدثني عمر ، قال : حدثني علي ، عن مسلمة بن محارب ، قال : لا
مات المغيرة جمعت العراق لزياد ، فأتى الكوفة فصعد المنبر ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة ، فأردت أن أشخص

٨٨/٢

إليكم^(١) في اثنين من شُرطة البصرة ، ثم ذكرتُ أنكم أهلُ حقٍّ ، وأنَّ حكمَ ظالما دفعَ الباطلَ ، فأثبتكم في أهلِ بيتي ، فالحمد لله الذي رَفَعَ مِنِّي ما وَضَعَ الناسَ ، وحَفَظَ مِنِّي ما ضَيَّعُوا ... حتى فَرَّغَ من الخطبة ، فحَصَّبَ على المنبر ، فجلسَ حتى أَمْسَكُوا ، ثم دعا قوماً من خاصته ، وأمرهم^(٢) ، فأخْلَوْا أبوابَ المسجد ، ثم قال : لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ جليسه ، ولا يَقُولَنَّ : لا أَدْرِي مَنْ جليسي ؟ ثم أمر بكرسيٍّ فوضعَ له على بابِ المسجد ، فدعاهم أربعةَ أربعةٍ يحلفون بالله ما مِنَّا مَنْ حَصَّبَكَ ، فن حَكَّفَ خِلالَهُ ، ومن لم يَحْلِفْ حَبَسَهُ وعَزَّلَهُ ، حتى صارَ إلى ثلاثين ، ويقال : بل كانوا ثمانين ، فقطعَ أَيْدِيَهُمْ على المكان .

قال الشعبي : فَوَاقَهُ ما تعلقنا عليه بكذبة ، وما وعدنا خيراً ولا شراً إلا أنفَكَهُ .

حدثني عمر قال : حدثنا عليٌّ ، عن سلمة بن عثمان ، قال : بلغني عن الشعبي أنه قال : أولُ رجلٍ قَتَلَهُ زيادٌ بالكوفة أَوْفَى بن حصن ، بلغه عنه شيءٌ فطلبه فهورب ، فعرضَ الناسَ زياد ، فَرَبَّه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : أَوْفَى بن حصن الطائي ، فقال زياد : أَنتَكَ بِحائِثِ رِجْلَاهُ^(٣) ، فقال أَوْفَى :

إِنَّ زِيَادًا أَبَا الْمُنِيرَةِ لَا يَسْجُلُ وَالنَّاسُ فِيهِمْ عَجَلَةٌ

خِيفَتَكَ وَاللَّهُ فَاغْلَمَنَّ حَلْقِي خَوَّفَ الْحَقَاقِيثُ صَوْلَةَ الْأَصْلَةِ^(٤) ٨٩/٢

فَجِثْتُ إِذْ ضَاقَتِ الْبِلَادُ فَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا لِحَاثِي وَأَلَّهُ^(٥)

قال : ما رأيك في عثمان ؟ قال خَشِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْتِغَايِهِ ، وَلَمْ أَنْكِرْهُ ، وَلِي مَحْصُولُ رَأْيِي ، قَالَ : فَاقُولُ فِي مَعَاوِيَةَ ؟ قَالَ :

(١) س : هـ أَن آتِيَكُمْ هـ .

(٢) س : هـ فَلَمَّزَهُمْ هـ .

(٣) مثل : وأوكل من قاله المارث بن جبلة القسائي قاله الحارث بن حنبل المديني ؛ وقيل أول

من قاله حنبل بن الأبرص . وانظر الميداني ١ : ١٤ .

(٤) المغنثيث : جمع حفاث ؛ وهو حمة غصم حشم القرائن أبيض أحمر ، والأصلة جشم من الحيات هو أعينها .

(٥) الوالة يسكنون الحمز وغفها الشعر : الملجأ .

جواد حليم ، قال : فما تقول في ؟ قال : بلغني أنك قلت بالبصرة : والله
لا تخلفن البريء بالسقيم ، والمقبل بالمبسر ، قال : قد قلت ذاك ، قال :
خطبتها عشوا^(١) ، قال زياد : ليس النفاق بشر الزمرة ، فقتله ،
فقال عبد الله بن همام السلولي :

غَيْبَ اللَّهُ سَمَى أَوْفَى بْنِ حِصْنٍ حِينَ أَضْحَى قُرُوجَةَ الرُّقَاءِ
قَادَهُ الْحَيْنُ وَالشَّقَاءُ إِلَى لَيْ سِ عَرِينِ وَحَيْثُ صَمَاءِ

قال : ولما قدم زياد الكوفة أتاه محمارة بن عتبة بن أبي معيط ، فقال :
إن عمرو بن الحمق يجمع إليه من شيعة أبي تراب ، فقال له عمرو بن
حرث : ما يدعوك إلى رفع ما لا يقننه ولا تلوي ما عاقبته ؟ فقال زياد :
كلا كما لم يصيب ، أنت حيث تكلمني في هذا علانية وعمرو حين يردك عن
كلامك ، فوفا إلى عمرو بن الحمق فقالوا له : ما هذه الزرافات التي تجتمع
عندك ! من أرادك أو أردت كلامه^(٢) في المسجد .

قال : ويقال : إن الذي رفع على عمرو بن الحمق وقال له : قد أنفعل^(٣)
المصريين ، يزيد بن رويم ، قال عمرو بن الحرث : ما كان قط أقبل
على ما يتفقه منه اليوم ، فقال زياد ليزيد بن رويم : أما أنت فقد
أشطت^(٤) بدمي ، وأما عمرو فقد حتم دمه ، ولو علمت أن مخ ساقه قد سال
من بغض ما هيجته حتى يخرج علي .

واتخذ زياد المقصورة حين حصبه^(٥) أهل الكوفة .

٩٠/٢

وولّى زياد حين شتخص من البصرة إلى الكوفة سمرة بن جندب .
فحدثني عمر ، قال : حدثني إسحاق بن إدريس ، قال : حدثني محمد
ابن سليم قال : سألت أنس بن سيرين : هل كان سمرة قتل أحدا ؟ قال :

(١) في ابن الأثير : « خطبتها عشوا » .

(٢) س : « وأراد كلامك » .

(٣) أنفعل المصريين ، أي انقسم .

(٤) أشطت بدمه ، أي أهلكته .

(٥) س : « حصم » .

وهل يُحمى من قتل سمرة بن جندب ! استخلفه زياد على البصرة ،
وأى الكوفة ^(١) ، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس ، فقال له : هل
تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً ؟ قال : لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيتُ
أو كما قال .

حدثني عمر ، قال : حدثني موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا نوح بن
قيس ، عن أشعث الحُدّاني ، عن أبي سوار العلوي ، قال : قتل سمرة من
قوى في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمَعَ القرآن .

• • •

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن جعفر الصدفي ، عن
عوف ، قال : أقبل سمرة من المدينة ، فلما كان عند دُور بني أسد خرج
رجل من بعض أقرنتهم ، ففجأ أوائل الخيل ، فحمل عليه رجل من القوم
فأوجره الحربة . قال : ثم مضت الخيل ، فأثني عليه ^(٢) سمرة بن جندب ،
وهو متشحط في دمه ، فقال : ما هذا ؟ قيل : أصابته أوائل خيل الأمير ،
قال : إذا سمع بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا .

• • •

[خروج قريب وزحاف]

حدثني عمر قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جبير ،
قال : حدثنا غسان بن مضر ، عن سعيد بن زيد ، قال : خرج قريب
وزحاف ، وزباد بالكوفة ، وسمرة بالبصرة ، فخرجوا ^(٣) ليلاً ، فترلا ^(٤) بني
يشكر ، وهم سبعون رجلاً ، وذلك في رمضان ، فأتوا بني ضبيعة وهم سبعون
رجلاً ، ففروا بشيخ منهم يقال له حكاك ، فسال حين رآهم : مرحباً
بأبي الشعثاء فرآه ابن حصين ^(٥) فقتلوه ، وتفرقوا في مساجد الأزد ، وأنت فرقة

(١) ف : فأتى . (٢) س : فأتى على . (٣) ط : فخرجنا .
(٤) ط : فترلا . (٥) ط : حسن ، وانظر الفهرس .

منهم رَحْبَةُ بِنَى عَلِيٍّ ، وَرَقَّةٌ مَسْجِدَ الْمَعَادِلِ ، فُخِرَجَ عَلَيْهِمْ سَيْفُ بِنِ وَهَبٍ فِي أَصْحَابِ لَهُ ، فَتَقَتَّلَ مَنْ أَنَاءَ ، وَخُرِجَ عَلَى قَرِيبٍ وَزَحَافٍ شَبَابٌ مِنْ بِنَى عَلِيٍّ وَشَبَابٌ مِنْ بِنَى رَاسِبٍ ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ . قَالَ قَرِيبٌ : هَلْ فِي الْقَوْمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَوْسٍ الطَّلَاحِي ؟ وَكَانَ يَنَاضِلُهُ ، قِيلَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلُمَّ إِلَى الْبِرَازِ ، قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ ، وَأَقْبَلَ زِيَادٌ مِنَ الْكُوفَةِ فَجَمَلَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ طَاحِيَةٍ ، لَوْلَا أَنْكُمْ أَصَبْتُمْ فِي الْقَوْمِ لَنَفَيْتُكُمْ إِلَى السَّجْنِ . قَالَ : وَكَانَ قَرِيبٌ مِنْ زِيَادٍ ، وَزَحَافٌ مِنْ طَبِيعِيٍّ ، وَكَانَا ابْنَيْ خَالَةٍ ، وَكَانَا أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ بَعْدَ أَهْلِ النَّهْرِ .

قَالَ خَسَّانٌ : سَمِعْتُ سَجِيدًا يَقُولُ : إِنَّ أَبَا بِلَالٍ قَالَ : قَرِيبٌ لِأَقْرَبِهِ اللَّهُ ، وَابْنُ اللَّهِ لَأَنْ أَقْرَبَ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ - يَعْنِي الْإِسْتِمْرَاعَ . حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي وَهَبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ زِيَادًا اشْتَدَّ فِي أَمْرِ الْكُرُورِيَّةِ بَعْدَ قَرِيبٍ وَزَحَافٍ ، فَقَتَلَهُمْ وَأَمَرَ سَمُرَةَ بِبَلَدِكَ ، وَكَانَ يَسْتَخْلِفُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَقَتَلَ سَمُرَةَ مِنْهُمْ بِشَرِّ كَثِيرٍ .

حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عِيْنَةَ ، قَالَ : قَالَ زِيَادٌ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَنْبَرِ : يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، وَاللَّهِ لَتَسْكُفُنَّيْ هَؤُلَاءِ أَوْ لَا يَبْدَأَنَّ بِكُمْ ، وَاللَّهِ لَأَقْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ لَا تَأْخُلُونَ الْعَامَ مِنْ عَطَائِكُمْ دَرْهَمًا ، قَالَ : فَتَارَ النَّاسُ بِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ .

• • •

[ذِكْرُ إِزَادَةِ مَعَاوِيَةَ قَتْلَ الْمُتَبَرِّ مِنَ الْمَدِينَةِ]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ^(١) أَمَرَ مَعَاوِيَةَ بِمَنْعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) ، أَنْ يُحْمَلَ إِلَى الشَّامِ ، فَحَرَّكَ ، فَكَسِفَتِ الشَّمْسُ حَتَّى رُئِيَ النَّجْمُ بِأَدْنَى يَوْمِئِذٍ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَمْ أَرِدْ حِمْلَهُ ، إِنَّمَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرِضَ^(٣) ، فَظَنَنْتُ إِلَيْهِ . ثُمَّ كَسَاهُ يَوْمَئِذٍ .

٩٢/٢

(١ - ١) س : وَأَرَادَ مَعَاوِيَةَ قَتْلَ مَنْعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) يُقَالُ : أَضَيْتُ الْحَبَّةَ ، فِيهِ مَأْرُضَةٌ ، إِذَا قُضِيَ فِيهَا الْأَرْضُ وَأَكَلَتْهَا . وَالْأَرْضُ :

مَدَّةٌ يَبْغَاهُ فِيهَا النَّفْلُ تَطْهَرُ فِي أَيَّامِ الرَّيْحِ .

وذكر محمد بن عمر، أنه حدثه بذلك خالد بن القاسم، عن شعيب بن عمرو الأموي.

قال محمد بن عمر: حدثني يحيى بن سعيد^(١) بن دينار، عن أبيه، قال: قال معاوية: إني رأيت أن منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه لا يتركان بالمدينة، وهم قتلوا أمير المؤمنين عثمان وأعداؤه، فلما قدم طلب العصا وهي عند سعد القرظ، فجاءه أبو هريرة وجابر بن عبد الله، فقالا: يا أمير المؤمنين، نذكرك الله عز وجل أن تفعل هذا، فإن لنا لا يصلح، تُخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه، وتُخرج عصاه إلى الشام، فانقل المسجد، فأقصر وزاد فيه ست درجات، فهو اليوم ثمانى درجات، واحتر إلى الناس مما صنع.

قال محمد بن عمر: وحدثني سويد بن عبد العزيز، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن أبان بن صالح، عن قبيصة بن ذؤيب، قال: كان عبد الملك قدّم بالمنبر، فقال له قبيصة بن ذؤيب: أذكرك الله عز وجل أن تفعل هذا، وأن تحوله! إن أمير المؤمنين معاوية حركه فكُسفت الشمس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على منبري آثمًا فلينبأ» متعمده من النار، فخرجه من المدينة وهو مقطّع الحقوق بينهم بالمدينة! فأقصر عبد الملك عن ذلك، وكف عن أن يذكره. فلما كان الوليد حجج^{١٣/٢} هم بذلك وقال: خبرائي عنه، وما أراي إلا سأفل: فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز، قال: كلّم صاحبك يتق الله عز وجل ولا يتعرض لله سبحانه ولست خطه، فكلمه عمر بن عبد العزيز، فأقصر وكف عن ذكره، فلما حج سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان الوليد هم به وإرسال سعيد بن المسيب إليه، فقال سليمان: ما كنت أحب أن يذكر هذا عن أمير المؤمنين عبد الملك ولا عن الوليد، هذا مكابرة، وما لنا ولما! أخلنا الدنيا فهي في أيدينا، ونريد أن نعمل إلى عكس من أعلام الإسلام يوفد

(١) ابن كثير: «محمد بن سعيد».

إليه ، فنحمله إلى ما قبيكنا ! ههنا ما لا يصلح .

وفيها عزّل معاوية بن حُذَيج عن مصر ووُكّي مسلمة بن مخلد مصر وإفريقية ، وكان معاوية بن أبي سفيان قد بعث قبل أن يولي مسلمة مصر وإفريقية عتبة بن نافع الصهرى إلى إفريقية ، فافتحها ، واخطّ قيسروانها ، وكان موضعه غنيمة - فيها زم محمد بن عمر - لا ترام من السباع والحيات وغير ذلك من الدواب . فدعا الله عز وجل عليها فلم يبق منها شيء إلا خرج هارباً ، حتى إن السباع كانت تحمّل أولادها .

قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن علي ، عن أبيه ، قال : نادى عتبة بن نافع :

• إِنَّا نَازِلُونَ فَاظْلَعُوا عِزِينَ •

فخرجن من جيحرتهن هوارب .

قال : وحدثني الفضل بن فضالة ، عن زيد بن أبي حبيب ، عن رجل من جند مصر ، قال : قدّمنا مع عتبة بن نافع ، وهو أول الناس انخبطها وأظلمها للناس مساكن ودوراً ، وبني مسجدنا . فأقمنا معه حتى عزّل ، وهو خير وإل وخير أمير .

٩١/

ثم عزّل معاوية في هذه السنة - أحدى سنة خمسين - معاوية بن حُذَيج عن مصر ، وعتبة بن نافع عن إفريقية ، وولي مسلمة بن مخلد مصر والمغرب كله ، فهو أول من جمّع له المغرب كله ومصر وبرقة وإفريقية وطرابلس ، فولي مسلمة بن مخلد مولى له يقال له : أبو المهاجر إفريقية ، وعزل عتبة ابن نافع ، وكشفه عن أشياء ، فلم يسزل وإلياً عسل مصر والمغرب ، وأبو المهاجر على إفريقية من قبلكه حتى هلك معاوية بن أبي سفيان .

وفي هذه السنة مات أبو موسى الأشعري ، وقد قيل : كانت وفاة أبي موسى سنة الثنتين وخمسين .

واختلّف فيمن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بهم معاوية ، وقال بعضهم : بل حجّ بهم ابنه يزيد ، وكان الولي في هذه السنة

على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى البصرة والكوفة والمشرق وسجستان وخراس
والسند والمند زياد .

• • •

[ذكر هرب الفرزدق من زياد]

وفي هذه السنة طلب زيادُ الفرزدقَ ، واستعادت عليه بنو نهشل
وفُقيمَ ، فهرب منه إلى سعيد بن العاص - وهو يومئذ والى المدينة من قبيل
معاوية - مستجيراً به ، فأجاره .

• ذكر الخبر عن ذلك :

حدثني عمرُ بن شبة ، قال : حدثنا أبو عبيدة وأبو الحسن المدائني وغيرهما ،
أن الفرزدق لما هجا بني نهشل وبني فُقيم . لم يزد أبو زيد في إسناد خبره
على ما ذكرت ، وأما محمد بن علي فإنه حدثني عن محمد بن سعد^(١) ، عن
أبي عبيدة ، قال : حدثني أعين بن لبطة بن الفرزدق ، قال : حدثني أبي
عن أبيه ، قال : لما هاجبت الأشهب بن رُميلة والبُعيث فسقطا ، استعدت
على بنو نهشل وبني فُقيم زياد بن أبي سفيان . وزعم غيره أن يزيد بن
مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل بن نهشل استعدى
أيضاً عليه . فقال أعين : فلم يعرفه زياد حتى قيل له : الغلام الأهرابي الذي
أنهب ورقه وألقى ثيابه ، فعرفه .

قال أبو عبيدة : أخبرني أعين بن لبطة ، قال : أخبرني أبي ، عن
أبيه ، قال : بضئ أبي غالب في عير له وحكَبَ أيمهُ وأمنار له وأشترى لأهله
كُساءً ، فقدمت البصرة ، فبعت الحلب ، فأخذت ثمنه فجعلته في ثوبي
أزاوله ، إذ عرَّض لي رجل أراه كأنه شيطان ، فقال : لشدة ما تستوثق منها !
قلت : وما بمنى ! قال : أما لو كان مكانك رجل أهره ما صبر عليها ،
قلت : ومن هو ؟ قال : غالب بن صحنمة ، قال : فدعوت أهل الميريد

قلت: دُونَكُمْوَا - وَثَرْتُهُا عَلَيْهِم - قَالَ لِي قَاتِلِ : أَلْتَى رِدَاعَكَ يَا بَنِي غَالِب ،
فَالْتَبَيْتُهُ . وَقَالَ آخَرُ : أَلْتَى قَمِيصَكَ ، فَالْتَبَيْتُهُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَلْتَى عِمَامَتَكَ
فَالْتَبَيْتُهَا حَتَّى بَقِيَتْ لِي إِزَارٌ ، قَالُوا : أَلْتَى إِزَارَكَ ، قُلْتَ : لَنْ أَلْتَبَيْهَ وَأَمْشَى
مَجْرَدًا ، إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ . فَبَلَغَ الْخَبْرُ زِيَادًا ، فَأَرْسَلَ خِيَلًا إِلَى الْمَرْبِدِ لِأَتَوْهُ
بِي ، فَبَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُحْجِمِ عَلَى قَرَسٍ ، قَالَ : أَتَيْتَ فَاالنَّجَاءَ ! وَأَرْدَقَنِي
خَلْفَهُ ، وَرَكَضَ حَتَّى تَغَيَّبَ ، وَجَاعَتِ الْخَيْلُ وَقَدْ سَبَقَتْ ، فَأَخَذَ زِيَادُ
تَحْمِينَ لِي : ذَهِيلاً^(١) وَلِزَحَافٍ ابْنِي صَحْصَحَةَ - وَكَانَا فِي الدِّيَّانِ عَلَى الْفَيْنِ ١٩٢/٢
الْفَيْنِ ، وَكَانَا مَعَهُ - فَجَبَّهْمَا فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمَا : إِنْ شِئْتُمَا أَتَيْتُكُمَا ، فَبَعَثَا
إِلَيَّ : لَا تَقْرَبْنَا ، إِنَّهُ زِيَادٌ وَمَا عَسَى أَنْ يَصْنَعَ بِنَا ، وَلَمْ نَلْنَبِ ذَنْبًا أَفْكَأ^(٢)
أَيَّامًا . ثُمَّ كَلَّمْتُ زِيَادَ فِيهِمَا ، قَالُوا : شَيْخَانِ سَامِعَانِ مَطِيعَانِ ، لَيْسَ لِهَمَا
ذَنْبٌ مِمَّا صَنَعَ غُلَامٌ أَعْرَابِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، فَخَلَّى عَنْهُمَا ، قَالَا لِي : أَخْبَرْنَا
بِجَمِيعِ مَا أَمَرَكَ أَبُوكَ مِنْ مِيرَةٍ أَوْ كِسْفَةٍ ، فَخَبَّرْتُهُمَا بِهِ أَجْمَعُ ، فَأَشْتَرِيَاهُ
وَانْطَلَقْتُ حَتَّى لَحِقْتُ بِغَالِبَ ، وَحَمَلْتُ ذَلِكَ^(٣) مَعِيَ أَجْمَعُ ، فَأَتَيْتُهُ وَقَدْ بَلَغَهُ
خَبْرِي ، فَسَأَلَنِي : كَيْفَ صَنَعْتَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ ، قَالَ : وَإِنَّكَ لَتُحْسِنُ
مِثْلَ هَذَا ! وَسَمِعَ رَأْسِي . وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ يَقُولُ الشَّعْرُ ، وَإِنَّمَا قَالَ الشَّعْرُ
بَعْدَ ذَلِكَ ، فَكَانَتْ^(٤) فِي نَفْسِ زِيَادٍ عَلَيْهِ .

ثُمَّ وَقَدْ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَجَارِيَةُ بْنُ قُلْدَامَةَ ، مِنْ بَنِي رَيْمَةَ بْنِ كَعْبٍ
ابْنِ سَعْدٍ وَالْحَوْثُ بْنُ قَتَادَةَ السَّبْهَسِيُّ وَالْخَطَّاتُ بْنُ يَزِيدَ أَبُو مَنَازِلَ ، أَحَدُ
بَنِي حَوْيٍ^(٥) بَيْنَ سُبَيَّانَ بْنِ جَاشِعٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَأَعْطَى كُلَّ
رَجُلٍ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَأَعْطَى الْخَطَّاتُ سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّا كَانُوا فِي الطَّرِيقِ
سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَأَخْبَرُوهُ بِجَوَائِزِهِمْ ، فَكَانَ الْخَطَّاتُ أَخَذَ سَبْعِينَ أَلْفًا ،
فَرَجَعَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : مَا رَدَّكَ يَا أَبَا مَنَازِلَ ؟ قَالَ : فَضَحْتُ فِي بَنِي تَيْمٍ ،

(١) ف : ذَهِيلاً .

(٢) س : فَكْنَا .

(٣) س : وَوَحَلَهُ .

(٤) ف : وَكَانَتْ .

(٥) س : حَوَيْ .

أما حبي بصحيح ! أوكستُ ذا سِنٍ ! أوكستُ مطاعاً في عشيق !
 فقال معاوية : بلى ، قال : فما بالك غسست في دون القوم ! فقال : إني
 اشتريت من القوم دينهم ووككتك إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفان
 ٩٧/٢ - وكان عثمانياً - قال : وأنا فاشتر مني ديني ، فأمر له بهامِ جائزة القوم .
 وطعن في جائزته ، فحبسها معاوية ، فقال الفرزدق في ذلك :

أبوك وعمي يا معاويَ أوزنا ترأنا فيخازرُ التُّراثَ أقارِبُهُ (١)
 فما بالُ ميراثِ الحُثَّاتِ أخْلَقَهُ وميراثُ حَرْبٍ جامدٌ لك ذائِبُهُ !
 فلو كَانَ هذا الأمرُ في جاهليَّةٍ عَلِمْتَ مِنَ المِرَّةِ القليلُ حَلَابَةٍ
 ولو كان في دينٍ سوى ذَا شَيْئَتُمْ لنا حَقُّنا أو غَصَصٌ بِلِماءِ شَارِبَةٍ
 ولو كان إذ كُنَّا في الكَفِّ بَسْطَةً لَصَمَّ عَصْبُ فَيْكٍ ما ضِ مَقَارِبُهُ
 - وأنشد محمد بن علي : « وفي الكفِّ بسط » -

وقد رُمَتْ شَيْئاً يا معاويَ دَوْنَهُ خياطِفُ عِلْوَدٍ صِحابِ مراتِبُهُ
 وما كُنْتُ أُعْطِي النِّصْفَ من غيرِ قُدْرَةٍ سِوَاكَ ، ولو مالتْ عُلَى كِتابِهِ
 أَلَسْتُ أَهْزُ النَّاسَ قوماً وأَسْرَةً وأَمْنَعُهُمْ جِاراً إذا ضِيَمَ جَانِبُهُ ٩٨/٢
 وما وَلَدْتُ بَعْدَ النِّبِيِّ وآلِهِ كَيْشِلِي حِصَانٍ في الرِّجالِ بِقَارِبِهِ
 أبى غَالِبٌ والمِرَّةُ نَاجِيَةُ الَّذِي (٢) إلى صَحْصَحٍ يُنْسَى ، فَمَنْ ذَا بِمَناسِبِهِ (٣)
 وَيَتَّقِي إلى جَنْبِ الثَّرَيَّا فِئْسَاؤُهُ وَمِنْ دَوْنِهِ البَذْرُ المَغِيثُ كِوَاكِبُهُ
 أَنَا ابْنُ الجِبالِ العَصْمُ في عَدَا الحَصَى (٤) وَعَرَقُ الثَّرَى عِرْقٌ ، فَمَنْ ذَا بِحَاسِبِهِ !

(١) ديوانه ٤٩٠ ؛ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات ، وانظر التتاليف : ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

(٢) التتاليف : « مصحة الذي » .

(٣) التتاليف : « دارم ينسى » .

(٤) التتاليف : « الجبال الثم » .

أنا ابنُ الذي أحيا الويدَ وضامنُ
وكم من أبي لي يا معاويَ لم يَزَلْ
نمتهُ فروغُ المالكينِ ولم يكنْ
تراه كَنَصْلِ السَّيفِ يهتزُّ للندي
على الدهرِ إذ عَزَتْ لِدهرٍ مكاسِبةُ
أخرُ يباري الريحَ ما أزوَرُ جانبُهُ
أبوك الذي من عبدِ شمسٍ يقارِبُهُ
كرِماً يُلَاقِ المجدَ ما طرُ شارِبُهُ
قصيُ وعبدُ الشمسِ ممنْ يخاطِبُهُ
طويلُ نجادِ السيفِ مذ كان لم يكنْ

٩٩/٢ فردَ ثلاثين ألفاً على أهله ، وكانت أيضاً قد أغضبت زياداً عليه .
قال : فلما استعدت عليه نهشل وقُتِمَ ازدادَ عليه غضباً ، فطلبه فهرب ،
فأتى عيسى بنَ خُصيلةَ بنِ معتب بنِ نصر بنِ خالد البَهْزِيِّ ، ثم أحد بني
سليم ، والحجَّاج بنِ حِلَاط بنِ خالد السُّكَيْمِيِّ .

قال ابن سعد : قال أبو عبيدة : فحدثني أبو موسى الفضل بن موسى
ابن خُصيلةَ ، قال : لما طرد زياد الفرزدقَ جاء إلى عمِّي عيسى بن خُصيلةَ ليلاً
فقال : يا أبا خُصيلةَ ، إن هذا الرجل قد أخافني ، وإن صديقٍ وجميعٍ من
كنت أرجو قد لفظوني ، وإني قد أتيتك لتغيثني عندك ، قال : مَرَجاً بك !
فكان عنده ثلاث ليالٍ ، ثم قال : إنه قد بدا لي أن ألحق بالشام ، فقال :
ما أحيت ، إن أقيمتَ معي في الرحب والسعة ، وإن شئتَ فهذه ناقة
أرجية أمتعتُ بها . قال : فركب بعدَ ليلٍ ، وبعث عيسى معه حتى جاوز
البيوت ، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث ليالٍ ، فقال الفرزدق في ذلك :

١٠٠/٢ حَبَانِي بِهَا الْبَهْزِيُّ حُمْلَانٌ مَنَ أَبِي
وَمَنْ كَانَ يَا عِيسَى يَوْنَبُ ضَيْفَهُ
وَقَالَ تَعْلَمُ أَنَّهَا أَرْحَبِيَّةٌ
فَأَصْبَحْتُ وَالْمَقَى وَرَأَى وَخَبِلُ
مِنَ النَّاسِ وَالْجَانِي تَخَافُ جَرَايِمَهُ (١)
فَصَبَقْتُكَ مَجْبُورٌ هُنِي مَطَاعِمُهُ
وَأَنَّ لَهَا اللَّيْلَ الَّذِي أَنْتَ جَاشِمُهُ
وَمَا صَلَرْتُ حَتَّى عَلَا النَّجْمُ عَائِمُهُ (٢)

(١) ديوانه ٧٦٣ والتقاظ: ٦١٠ .

(٢) التقاظ : « علا الليل » .

تَزَاوَرُ عَنْ أَهْلِ الْحَضِيرِ كَأَنَّهَا ظَلِمَ تَبَارَى جَنَحَ لَيْلٍ نَعَامُهُ
رَأَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهَا دُوبَةَ وَانجَلِ لَهَا الصَّبَحُ عَنْ صَغَلِي أَسِيلٍ مَخَاطِمُهُ
كَأَنَّ شَرَاعًا فِيهِ مَجْرَى زَمَامِهَا بِدِجَلَةٍ إِلَّا خَطْمُهُ وَمَلَاغَمُهُ
إِذَا أُنْتُ جَاوَزَتِ الْفَرِيقَيْنِ فَاسْلَمِي وَأَعْرَضَ مِنْ قَلْجٍ وَرَائِي مَخَارِمُهُ

وَقَالَ أَيْضًا :

تَدَارَكُنِي أَسْبَابُ عَيْسَى مِنَ الرُّدَى وَمِنْ يَكُ مَوْلَاهُ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ^(١)
وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ .

قَالَ : وَبَلَغَ زِيَادًا أَنَّهُ قَدْ شَخَّصَ ، فَأَرْسَلَ عَلَى بْنِ زَهْدَمَ ، أَحَدَ بَنِي
نَوَّلَةَ بْنِ فُكَيْمٍ فِي طَلَبِهِ .

قَالَ أَمِيْنُ : فَطَلَبَهُ فِي بَيْتِ نَصْرَانِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا ابْنَةُ مَرَّارَ ، مِنْ بَنِي قَيْسِ
ابْنِ ثَعْلَبَةَ تَنْزِلُ قَصِيمَةَ كَاطِمَةَ ، قَالَ : فَسَلَّتهُ^(٢) مِنْ كَيْسَرِيَّتِهَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ
عَلَيْهِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ :

أَتَيْتُ ابْنَةَ الْمَرَّارِ أَهْلِي تَبْتَغِي وَمَا يُبْتَغَى تَحْتَ السُّوَيْدَةِ أَمْثَالِي^(٣)
وَلَكِنْ بُغَائِي لَوْ أَرَدْتُ لِقَاءَنَا فَفَضَاءُ الصَّحَارَى لَا ابْتِغَاءَ بِأَدْغَالِ

وَقِيلَ : إِنَّهَا رُبَيْعَةُ بِنْتُ الْمَرَّارِ بِنْتُ سَلَامَةَ الْعِجْلِيِّ أُمُّ أَبِي النُّجَيْمِ الرَّاجِزِ .

قَالَ أَبُو حُبَيْدَةَ : قَالَ مِسْمَعُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : فَاتَى الرَّوْحَاءَ ، فَتَزَلَّ فِي
بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَأَمِيْنُ ، فَقَالَ يَمْلِكُهُمْ :

وَقَدْ مَثَلْتُ أَبْنَ الْمَسِيرِ فَلَمْ تَجِدْ لِقَوْرَتِهَا كَالْحَيِّ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ^(٤)
أَعَفٌّ وَأَوْفَى نِمَةً يَغْفِلُونَهَا إِذَا وَازَنْتَ شَمَّ الذَّرَا بِالْكُوَاهِلِ

(١) ديوانه: ١٩٧ ، ١٩٨ ، التفاضل: ٦١٠ .

(٢) س : « فَسَلَّتهُ » .

(٣) ديوانه: ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، التفاضل: ٦١١ .

(٤) ديوانه: ٦٥٠ ، ٦٥١ ، التفاضل: ٦١٢ ، وفيها : « وَهَمَلْتُ » .

وهي قصيدة طويلة . ومنحهم بقصائد آخر غيرها .

قال : فكان الفرزدق إذا نزل زياد البصرة نزل الكوفة ، وإذا نزل زياد الكوفة نزل الفرزدق البصرة ، وكان زياد يتزل البصرة ستة أشهر والكوفة ستة أشهر ، فبلغ زياداً ما صنع الفرزدق ، فكتب إلى عامله على الكوفة عبد الرحمن ابن عبيد : إنما الفرزدق فعل الوحوش يرعى القفار ، فإذا ورد عليه الناس ذُعر ففارقهم إلى أرض أخرى فرجع ، فاطلبه حتى نظفر به . قال الفرزدق : فطُلبت أشد طلب^(١) ، حتى جعل من كان يؤويني يُخرجني من عنده ، فضاعت على الأرض ، فبينما أنا ملفف رأسي في كسائي على ظهر الطريق^(٢) ، إذ مرّ بى الذى جاء فى طلبى ، فلما كان الليل أتيت بعض أنحوالى من بنى ضبة وعندهم عرس - ولم أكن طعمت قبل ذلك طعاماً ، فقلت : آتيهم فأصيب من الطعام - قال : فبينما أنا قاعد إذ نظرت إلى هادى^(٣) فرسٍ وصلير رُمح قد جاوز باب الدار داخلاً إلينا ، فقاموا إلى حائط قصب فرغموه ، فخرجت منه ، وألقوا الحائط فماد مكانه ، ثم قالوا : ما رأيتاه ، وبحسب ساعة ثم خرجوا ، فلما أصبحنا جاعين فقالوا : اخرج إلى الحجاز عن جوار زياد لا يظفر بك ، فلو ظفر بك البارحة أهلكتنا ، وجمعوا ثمن راحلتين ، وكلّموا لى مقاعساً أحد بنى تميم الله ابن ثعلبة - وكان دليلاً يسافر للتجارة - قال : فخرجنا إلى بانقيبا حتى انتهينا إلى بعض القصور التى تُتْرَك ، فلم يفتح لنا الباب ، فألقينا راحلتنا إلى جنب الحائط واليلة مُعمّرة ، فقلت : يا مقاعس ، أرايت إن بعث زياد بعد ما نصبح إلى الحيق رجالاً ، يقتلونا علينا ؟ قال : نعم ، يَرصُلُوننا - ولم يكونوا جاوزوا الحيق وهو خندق كان للمجَم - قال : قلت : ما يقول العرب ؟ قال : يقولون : أمهلته يوماً وليلة ثم خطه . فارتحل ، فقال لى أخاف السباع ، فقلت : السباع أمون من زياد ، فارتحلنا لأنرى شيئاً إلا خلقناه ، ولزمتنا شخص لا يُفارقنا ، فقلت : يا مقاعس ، أترى هذا الشخص ! لم نمر

(١) س : « الطلب » .

(٢) س : « طريق » .

(٣) الحادى : البقى ، أى يهلك نفسه .

بشيء إلا جاوزناه غيره ، فإنه يسائرنا منذ الليلة . قال : هذا السبع ، قال :
فكانه فهم كلامنا ، فقدم حتى رخص على متين الطريق ، فلما رأينا ذلك
نزلنا فشدنا أيدي ناقتينا بشناطين وأعطت قوسى . وقال مقاص :
يا ثعلب ، أتعلمى بمن فررنا إليك ؟ من زياد ، فأحصب بذكره حتى غشنا
غبارُه وغشى ناقتينا ، قال : قلت : أرميه ، فقال : لا تهجه ، فإنه إذا
أصبح ذهب ، قال : فجعل يرحل ويبرق ويثير ، ومقاص يتوعد حتى
انشق الصبح ، فلما رآه ولّى ، وأنشأ الفرزدق يقول :

ما كنت أحببى جباناً بعد ما لا قيت ليلته جانيب الأتھار^(١)
ليئاً كأن على يديه رحالة شئن البرائين مؤجدة الأنظار
لما سمعت له زمازم أجهشت نفسى إلى قلت أين فرارى^(٢)
وربعت جروفاً وقلت لها اصبرى وشذت في فيقي القام لزارى
فلأنت أخون من زياد جانيباً^(٣) أقب إليك مخرم الأسفار

قال ابن سعد : قال أبو عبيدة : فعذتني أمية بن لبطة ، قال : حدثني
أبي ، عن شبيب بن ربيعة الرياحى ، قال : فأنشدت زياداً هذه الأبيات فكانه
رفق له ، وقال : لو أتاني لأمته وأعطيتُه ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فقال :

تذكر هذا القلب من شوقي ذكرنا تذكر شوقاً ليس ناسية عصرنا^(١)
تذكر عظماء التى ليس ناييسا وإن كان أدنى عهدنا حجباً عصرنا
وما مئول بالفور خور زهامة ترعى أراكا في منابيع نضرا^(٢)
من الأدم حواء المدامع ترعوى إلى رسل طفل تخال به قترا

(١) القائل : ٦١٧ .

(٢) القائل : « قلت » .

(٣) القائل : « من زياد متلفاً » .

(٤) حواره : ٢٢٥ ، القائل : ٦١٨ .

(٥) ف والقائل : « تراعى » .

فَمَا اسْتَمْسَكَتْ حَتَّى حَسِبَنْ بِهَا نَفْرًا
وَلَا مُزْنَةً رَاحَتْ غَامَتَهَا قَعْرًا
وَأَعْدَاهُ قَوْمٌ يَنْتَلُونَ هِيَ نَلْرًا
وَعَيْدِي وَقَالَتْ لَا تَقُولُوا لَهُ هُجْرًا
لَأَتِيَسُهُ مَا سَاقَ ذُو حَسْبِي وَفَرَا
رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمْ فَقْرًا
غَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةً يَكْرًا
أَدَاهِمَ سَوْدًا أَوْ مُحَدَّرَجَةً سُورًا
سُرَى اللَّيْلِ وَاسْتَعْرَضَهَا الْبَلَدُ الْقَفْرًا
إِذَا مَدَّ حِزْمًا شَرَّاسِيْفَهَا الصُّفْرًا
نَسَايَ فَنِيْقًا أَوْ تُخَالَسُهُ خَطْرًا
مِنَ اللَّيْلِ مُتَجَبِّغًا غِيَاظُهُ خَضْرًا
فَلَاةٌ تَرَى مِنْهَا مَخَارِمَهَا غُبْرًا
طَحَنَ بِهِ مِنْ كُلِّ رَضْرَاضَةٍ جَعْرًا
مَخَافَتُهُ حَتَّى تَكُونَ لَهَا جِسْرًا
إِلَى ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ جَاهًا وَلَا عُلْرًا
سَبَقَتْ يَبُورِدُ الْمَاءِ غَادِيَةً كُنْرًا
بِأَفْعِدَ قَدْ كَانَ النَّعَاسُ لَهُ سُكْرًا
أَمِيمٌ جَلَامِيدٍ تَرْكَنُ بِهِ وَقْرًا
سَقَاهُ الْكَرَى فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ خَعْرًا
يَرَى بِهَوَادِي الصُّبْحِ قَنْبَلَةً شُقْرًا

أَصَابَتْ بِوَادِي الْوُلُولَانِ حِيَالَةً
بِأَحْسَنَ مِنْ ظَلْمِيَاءِ يَوْمٍ تَعَرَّضَتْ
وَكَمْ دُونَهَا مِنْ عَاطِفٍ فِي صَرِيعة
إِذَا أَوْعَدُونِي عِنْدَ ظَلْمِيَاءِ سَاعِدَا
دَعَايَ زِيَادٍ لِلْعَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ
وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ
فَعُوذُ لَدَى الْأَبْوَابِ طُلَّابُ حَاجَةٍ
فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ
نَمِيتُ إِلَى حَرْفٍ أَغْرَضْتُ بَيْنَهَا
تَنَفَّسَ فِي بَهْوٍ مِنَ الْجَوْفِ وَاسِعِ
تَرَاهَا إِذَا صَامَ النَّهَارُ كَأَنَّمَا
تَخُوضُ إِذَا صَاحَ الصُّدَى بَعْدَ هَجْمَةٍ
فَإِنْ أَعْرَضَتْ زُورَاءُ أَوْ شَمَرَتْ بِهَا
تَعَادَيْنَ عَنْ صُهْبِ الْحَصَى وَكَأَنَّمَا
وَكَمْ مِنْ عُلُوٍّ كَاشِحٍ قَدْ تَجَاوَزَتْ
يَوْمٌ بِهَا الْمَوَاعِدُ مِنْ لَا يَرَى لَهُ
وَلَا تُعْجِلَانِي صَاحِيَّ فَرِيْمَا (١)
وَيُضْنِنَ مِنْ ظُلْمَاءِ لَيْلٍ سَرِيْتُهُ
رَمَاهُ الْكَرَى فِي الرَّأْسِ حَتَّى كَانَهُ
مِنَ السَّيْرِ وَالْإِدْلَاجِ تَخْشِبُ أَمَّا
جَرَرْنَا وَفَقِينَاهُ حَتَّى كَأَنَّمَا

١٠٥/٢

١٠٦/٢

قال : ففضينا وقد منا المدينة وسعيد بن العاص بن أمية عليها ، فكان في جنازة ، فبعثه فرجته قاعداً والميت يُلَفَّن حتى قمت بين يديه ، قلت : هذا مقام العائد من رجل لم يصيب دماً ولا مالا ! فقال : قد أجرت إن لم تكن أصبت دماً ولا مالا ؟ وقال : مَنْ أنت ؟ قلت : أنا همام بن غالب بن صعصعة ، وقد أثبتت على الأمير ، فإن رأى أن يأذن لي فأجمعه فليفعل ؛ قال : هات ، فأثبته :

وَكُومٍ تُنْعِمُ الْأَصْيَافَ عَيْنًا وَتُضَيِّحُ فِي مَبَارِكِهَا إِقْالًا^(١)
حتى أثبتت إلى آخرها ؛ قال : فقال مروان :
• قُومُوا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ •

قلتُ : والله إنك لقائم يا أبا عبد الملك .
قال : وقال كعب بن جعيل : هذه والله الرؤيا التي رأيت البارحة ؛ قال سعيد : وما رأيت ؟ قال : رأيت كافي أمشي في سكة من سكك المدينة ، فإذا أنا ببن قشرة في جحر ، فكانه أراد أن يتاولني ، فاتقيته ، قال : فقام الحليفة فشق ما بين رجلين حتى تجاوز إلى ، فقال : قل ما شئت فقد أدركت من مضى ، ولا يدركك من بقي . وقال لسعيد : هذا والله الشعر ، لا يعلل به منذ اليوم . قال : فلم نزل بالمدينة مرة وبمكة مرة . وقال الفرزدق في ذلك :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي زِيَادًا مُتَغَلِّةً يَحُبُّ بِهَا الْبَرِيدُ^(٢)
يَهْنَى قَدْ قَرَرْتُ إِلَى سَعِيدٍ وَلَا يُسْتَطَاعُ مَا يَحْمِي سَعِيدُ
فَرَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ لَيْثٍ هَزْبٍ نَفَادَى عَنْ فَرِيسَتِهِ الْأَسَدُ^(٣)
فَإِنْ شِئْتَ أَنْتَسِبْتَ إِلَى النَّصَارَى وَإِنْ شِئْتَ أَنْتَسِبْتَ إِلَى الْيَهُودِ

(١) ديوانه: ٦١٩ ، التفائض: ٦١٩ ، والبيت من شواهد الحسن (نم) ، على جواز رفع كلمة الأصيات ، ، ونسبها .
(٢) ديوانه: ١٧١ ، والتفائض: ٦١٩ ، مع اختلاف في الرواية .

وإن شئت أنتمبتُ إلى فقيرٍ وناسيتُ وناسبتُ القُروُدُ
ويُروى:

• وناسيتُ وناسبتُ اليهود •

وَأَبْغَضُهُمْ إِلَىٰ بَنِي فَقِيرٍ وَلَكِنْ سَوْفَ آتَىٰ مَا تَرِيدُ
وقال أيضاً :

أَتَانِي وَعِدٌ مِنْ زِيَادٍ فَلَمْ أَنْمِ وَسَبِيلُ اللَّوَى دُونَ فَهْضَبِ التَّهَائِمِ^(١)
فَبِتُّ كَأَنِّي مُشَرَّرٌ خَيْرِيَّةٌ سَرَتْ فِي عِظَائِي أَوْ سِهَامَ الْأَوَاقِمِ
زِيَادُ بْنُ حَرْبٍ لَنْ أَغْنَىٰكَ تَارِكِي وَذَا الضُّغْنُ قَدْ عَشِمْتُهُ غَيْرَ ظَالِمٍ
قال : وَأَنْشَدَنِيهِ عَمْرُو :

• وبالضُّغْنُ قَدْ عَشِمْتَنِي غَيْرَ ظَالِمٍ •

وقد كَانَتْ مَنَى الْمَرَاثِ قَصِيدَةً^(٢) رَجُومٌ مَعَ الْمَاضِي رَمَسَ الْمَخَارِمِ
خَفِيفَةُ أَفْوَاوِ الرُّوَاةِ ثَقِيلَةُ عَسَلٍ قُرْنُهَا نَزَالَةٌ بِالْمَوَاسِمِ
وهي طويلة . فلم نزل بين مكة والمدينة حتى هلك زياد .

• • •

وفي هذه السنة كانت وفاةُ الْحَكَمِ بْنِ تَمْرٍ وَالْغِفَارِيِّ بِمَرَّةٍ مَنْصُوفَةٍ مِنْ
غَزْوَةِ أَهْلِ جَبَلِ الْأَشْلِ . ١٠٩/٢

• • •

ذِكْرُ الْخَبَرِ

عن غزوة الحكم بن عمرو جبل الأشل وسبب هلاكه

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني حاتم بن قبيصة ، قال : حدثنا
غالب بن سليمان ، عن عبد الرحمن بن صبيح ، قال : كنتُ مع الحكم بن
عمرو ببغراسان ، فكتب زيادٌ إلى عمرو : إن أهلَ جبلِ الأشلِ سلاحهم

(١) ديوانه ٧٧٢ ، والفتاوى ٦٢٠ . (٢) الفتاوى : ج ٥ ، ص ١٠٩ .

الأيود، وآنيتهم الذهب. فغزاهم حتى توسعوا، فأخذوا بالشعاب والطرق، فأخذوا به، فمضى بالأمر، فولى المهلب الحرب، فلم يزل المهلب يحتل حتى أخذ عظيمًا من عظمائهم، فقال له: اختر بين أن أطلقك، وبين أن تُخرجتنا من هذا المضيّق، فقال له: أوقد النار حبال الطريق من هذه الطرق، وتمر بالاحتفال فلتخرجنا نحوه، حتى إذا ظن القوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلّكوه فلأنهم يستجمعون لكم، ويُعرّون ما سواه من الطرق، فبادرهم إلى غيره فلأنهم لا يدركونك حتى تخرج منه. ففعلوا ذلك، فنجوا وغنموا غنيمة عظيمة.

حدثني عمر، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: لما قتل الحكم بن عمرو من غزوة جبل الأشلّ ولّى المهلب مائتته، فسلّكوا في شعاب ضيقة، فعارضه الشوك فأخذوا عليهم بالطرق، فوجدوا في بعض تلك الشعاب رجلا يفتنى من وراء حائط بينين:

تَصَرَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى سَنَامُ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَايِرُ ١١٠/٢
كَأَنَّ فَوَادِيَّ مِنْ تَذَكَّرَى الْحِمَى وَأَهْلَ الْحِمَى يَهْفُو بِهَرِيشٍ طَائِرٍ^(١)
فَأَنَّى بِهِ الْحَكَمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ: غَايَرْتُ ابْنَ عَمٍّ لِي، فَخَرَجْتُ تَرْفَعُنِي لُؤْسُ وَتَخْفِضُنِي^(٢) أُخْرَى، حَتَّى هَبَطْتُ هَذِهِ الْبِلَادَ. فَحَمَلَهُ الْحَكَمُ إِلَى زِيَادٍ بِالْعِرَاقِ.

قال: وتخلص الحكم من وجهه حتى أتى هَرَاةَ، ثم رجع إلى مَرَوْ. حدثني عمر، قال: حدثني حاتم بن قبيصة، قال: حدثنا غالب ابنُ سليمان، عن عبد الرحمن بن صُبْح، قال: كتب إليه زياد: والله لئن بقيت لك لأطعن منك طائفتا سحابة^(٣)، وذلك أن زيادا كتب إليه لما ورد بالخبر عليه بما غم: إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أصطلي له صفراء ويضاء ولروائع^(٤) فلا تحركن شيئا حتى تخرج ذلك.

(١) ط: «الطائر». (٢) س: «وتخفي». (٣) س: «طائفتا سحابة». (٤) س: «ولروائع».

فكتب إليه الحكم : أما بعد ، فإن كتابك ورد ، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إلى أن أصطفى له كل صفراء وبيضاء والروائع ، ولا تحركن شيئاً ؛ فإن^(١) كتاب الله عز وجل قبل كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد أتى الله عز وجل جعل الله سبحانه وتعالى له مخرجاً .

وقال للناس : اغلبوا على غنائمكم ؛ ففدأ الناس ، وقد عزل الخمس ، قسم بينهم تلك الغنائم ؛ قال : فقال الحكم : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني ؛ فأت بخراسان بمرو^(٢) . ١١١/٢

قال عمر : قال علي بن محمد : لما حضرت الحكم الوفاة بمرو ، استخلف أنس بن أبي أناس ، وذلك في سنة خمسين .

(١) س : « وإن » .

(٢) ف : « بمرو من خراسان » .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمّا كان فيها مشتنى فضالة بن عبيد بأرض الروم ، وغزوة بُسْر بن أبي أُرطاة الصائفة ، ومقتل حُجْر بن عدي وأصحابه .

[ذكر مقتل حُجْر بن عدي وأصحابه]

• ذكر سبب مقتله :

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن المهالد بن سعيد ، والصبغ بن زهير ، وفصيل بن خديج ، والحسين بن عتبة المرادي ، قال : كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيها سقت من حديث حُجْر ابن عدي الكندي وأصحابه : إن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد فإن للذي الحظم قبل اليوم ما تُقرع العصا ، وقد قال المثلّس :

لِلَّذِي الْحِظْمَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقَرَّعُ الْعَصَا وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَتْلُمَا^(١)

وقد يجرى عنك الحكيم بغير التعليم^(٢) ، وقد أردت إصباحك^(٣) بأشياء كثيرة ، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويُسعد^(٤) سلطانِي ، ويُصلحُ به رعيّتي ، ولست تاركاً إصباحك بخفلة : لا تنعم^(٥) عن شتم عليّ وفضله ، والترحّم على عثمان والاستغفار له ، والعب على أصحاب عليّ ، والإقتناء لهم ، وترك الاستماع منهم ؛ وإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه ، والإدناء لهم ،

(١) من الفضيلة ٩٨ .

(٢) ف : تعليم .

(٣) ف : أن أوسيك .

(٤) س : وسعد .

(٥) لا تنعم : لا تتورع .

والاستماع منهم . قال المغيرة : قد جَرَّيْتُ وَجَرَّيْتُ ، وَعَمِلْتُ قَبْلَكَ لغيرك ، ظمَّ يَدِّمْ بِي دَفْعَ وَلَا رَفْعَ وَلَا وَضْعَ ، فَسَتَبْلُو فَحُمَيْدٌ أَوْ تُدِّمَ . قال (١) : بل نَحْمِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال أبو مخنف : قال الصقعب بن زهير : سمعتُ الشعبي يقول : ما وليتنا وال بعدد مثله ، وإن كان لاحقاً بمصالح مَنْ كان قبله من العمال .

وأقام المغيرةُ على الكوفة عاملاً لماوية سبع سنين وأشهرًا ، وهو من أحسن شيء سيرة ، وأشدَّه حبًّا للعافية ، غير أنه لا يدعَ ذمَّ على الوقوع فيه والعيب لفتنة عيَّانٍ والخن لم ، والدعاء لعَيَّانٍ بالرحمة والاستغفار له ، والتركية لأصحابه ، فكان حُجْرُ بن عدى إذا سمع ذلك قال : بل إنا كم فلنعم الله ولعن ! ثم قام فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ ﴾ (٢) ، وأنا أشهد أن من تَدْمُونُ وتَصِيرُونُ لأحقَّ بالفضل ، وأن من تَرْكُونُ وتُطْرُونُ أولى بالذمِّ فيقول المغيرة : يا حُجْرُ ، لقد رُمِيَ بسهمك ، إذ كنتُ أنا الولي عليك ، يا حُجْرُ وَيْحَكَ ! اتقِ السلطان ، اتقِ غضبه وسلوته ، فإنَّ غضبهُ السلطانُ أحيانًا مما يهلك أمثالك كثيرًا . ثم يكف عنه ويصفح .

١١٢/٢.

فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في على وعيَّان كما كان يقول ، وكانت مقاتله : اللهم ارحم عيَّانَ بْنَ عَفَّانٍ وتجاوز عنه ، وأجزره بأحسن عمله ، فإنه يحمل بكتابك ، واتبع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وجمع كلمتنا ، وحقن دماءنا ، وقُتِلَ مظلومًا ، اللهم فارحم أنصاره وأوليائه ومحبيه والمطالين بدمه ! ويدعو على قتله . فقام حُجْرُ بن عدى فتمرَّ نكرة (٣) بالمغيرة ميمتها كلَّ مَنْ كان في المسجد وخارجًا منه ، وقال : إنك لا تدري بمن تولع من هَرَمَكَ ! أيها الإنسان ، مرُّ لنا بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإنك قد حبستنا هنا ، وليس ذلك لك ، ولم يكن يطع في ذلك مَنْ كان قبلك ، وقد أصبحت مولعًا بلمِّ أمير المؤمنين ، وتحريظِ المحرِّمين . قال : فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق والله حُجْرُ وبرُّ ، مرُّ لنا

(١) كشاف ، فقط : ثم قال .

(٢) سورة النساء : ١٣٥ .

(٣) نمر : صلح صيحة شبيبة .

بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإننا لا نتضع بقولك هذا ، ولا يمدى علينا شيئا ، وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه . فترك المغيرة ، فدخل واستأذن عليه قومه ، فأذن لهم ، فقالوا : علام ترك هذا الرجل يقول هذه المقالة ، ويمرئى عليك في سلطانك هذه الجراءة ! إنك تجمع على نفسك بهنا خصلتين : أما أولهما فتحويل سلطانك ، وأما الأخرى فإن ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط^(١) له عليه . وكان أشدّهم له قولا في أمر حُجْر والتعظيم عليه عبد الله أبي عقيل الشَّعْبِيّ - فقال لهم المغيرة : إننى قد قتله ، إنه سيأتى أمير بعلى فيحسبه مثل فيصنع به شيئا بما ترونه يصنع بى ، فيأخذه عند أول وملة فيقتله شرّ قتلة ، إنه قد اقرب أجلى ، وضعف على ، ولا أحب أن أبلى أهل هذا المِصر بقتل خيارهم ، وسنمك دماهم ، فيسعلوا بذلك ولشئى ، ويعزّ فى الدنيا معاوية ، ويذل يوم القيامة المغيرة ، ولكنى قابل من محنتهم ، وعاف عن مسيئتهم ، وحامد حليمهم ، وواظم سيفيهم ، حتى يفرق بينى وبينهم الموت ، سيدكرونى لو قد جربوا المال بعلى^(٢) .

قال أبو مخنف : سمعت عثمان بن عتبة الكندى ، يقول : سمعت شيئا للحى يذكر هذا الحديث يقول : قد والله جربناهم فوجدناه خيرهم ، أحسنهم للبرى ، وأغفرهم للمسىء ، وأقبلتهم للعلم .

قال هشام : قال عوانة : فولى المغيرة الكوفة سنة إحدى وأربعين فى جمادى ، وهلك سنة إحدى وخمسين ، فجمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبى سفيان ، فأقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإننا قد جربنا وجربنا ، وسننا وساننا السائسون ، فوجدنا هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله ، بالطاعة البيت المشبه سرما بعلانيتهما ، وغيب أهلها بشاهدم ، وقلوبهم بالسهم ، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلا لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عتف ، وإنى والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيه على أدلاله^(٣) ، وليس من كلمة

(٢) المنبر فى الأغاني ١٦ : ٤ (س) .

(١) س : د : إسخطه .

(٣) أدلاله : طه .

الشاهد عليها من الله ولتأس أكبر^(١) من كذبة إمام على المنبر. ثم ذكر عثمان وأصحابه قهر ظهم ، وذكر^(٢) قتلته ولعنهم^(٣) . قام^(٤) حُجْر فقبل مِثْلَ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُ بِالْمَغِيرَةِ ، وَقَدْ كَانَ زِيَادٌ قَدْ رَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَلِوَلِيِّ الْكُوفَةِ^(٥) عَمْرُو بْنُ الْحَرِثِ ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَبَلَغَهُ أَنَّ حُجْرًا يَجْمَعُ إِلَيْهِ شَيْعَةً عَلَى ، وَيُظْهِرُونَ لِمَنْ مَعَاوِيَةَ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُ^(٦) ، وَأَنَّهُمْ حَصَّبُوا عَمْرُو بْنَ الْحَرِثِ ، فَشَخَّصَ إِلَى الْكُوفَةِ حَتَّى دَخَلَهَا ، فَأَتَى الْقَصْرَ فَدَخَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ سُدَّسٌ وَسُطْرُفٌ خَزَّ أَخْضَرٌ ، قَدْ فُرِقَ شَعْرُهُ ، وَحُجْرٌ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ أَصْحَابُهُ أَكْثَرُ مَا كَانُوا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَلَئِنْ غِيبَ الْبَغْيَ وَالْفِتْنَةَ وَخَيْمَ ، إِنَّ هَؤُلَاءَ جَمَعُوا^(٧) فَأَشِيرُوا ، وَأَمْنُونِي فَاجْتَمِعُوا عَلَيَّ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِأَدَاوِيكُمْ بِدَوَائِكُمْ ، وَقَالَ : مَا أَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعْ بَاحَةَ الْكُوفَةِ مِنْ حُجْرٍ وَأَدْعَاهُ نِكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ ! وَيْلُ أَمْكُ يَا حُجْرُ ! سَقَطَ الْمَشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانٍ ، ثُمَّ قَالَ :

أَبْلَغُ نَصِيحَةٍ أَنْ رَأَيْتُهَا إِنْ لَيْلَهَا سَقَطَ الْمَشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ^(٨)

وَأَمَّا غَيْرُ هَوَاتٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي سَبَبِ أَمْرِ حُجْرٍ مَا حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمُ بْنُ الْحَرَمِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : خُطِبَ زِيَادٌ يَوْمًا فِي الْجُمُعَةِ فَأَطَالَ الْخُطْبَةَ وَأَخَّرَ الصَّلَاةَ ، فَقَالَ لَهُ حُجْرُ بْنُ عَدَى : الصَّلَاةُ ! فَنَفَى فِي خُطْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : الصَّلَاةُ ! فَنَفَى فِي خُطْبَتِهِ ، فَلَمَّا خَشِيَ حُجْرُ قُوَّةَ الصَّلَاةِ ضَرْبَ يَدِهِ إِلَى كَفِّ مِنَ الْحَصَا ، وَثَارَ إِلَى الصَّلَاةِ وَثَارَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ زِيَادُ نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ كَبَّ إِلَى مَعَاوِيَةَ فِي أَمْرِهِ ، وَكَثَّرَ عَلَيْهِ .

١١٦/٢

فَكَبَّ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ أَنْ شُدَّ فِي الْحَلِيدِ ، ثُمَّ أَحْمَلَهُ إِلَى . فَلَمَّا أَنْ جَاءَ كِتَابُ مَعَاوِيَةَ أَرَادَ قَوْمٌ حُجْرًا أَنْ يَمْنَعُوهُ ، فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ وَطَاعَةَ ، فَشَدَّ

(١) س : و أكبر . (٢) س : و لذكره . (٣) ف : و لعنهم .

(٤) س : و قام بالكوفة سنة أشهر ثم ولاها . (٥) س : و منهم .

(٦) س : و اجتمعوا . (٧) مثل ، وأصله أن رجلا خرج يلقي المشاء ، فيقع على

ذئب فأكله ، يضرب في طلب الحاجة يلقى بها حبالا إلى التلف .

في الحديد ، ثم حُمِلَ إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال : السَّلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، فقال له معاوية : أمير المؤمنين ! أما والله لا أُقْبِلُكَ ولا أُسْتَقْبِلُكَ ، أخرجوه فاضربوا عنقه ، فأخرج من عنده ، فقال حُجْرُ للذين يَكُونُ أمره : دعوني حتى أصلي ركعتين ، فقالوا : صل ، فصلى ركعتين خففتَ فيهما ، ثم قال : لولا أن تظنوا بي غيرَ الذي أنا عليه لأُحْبِيتُ أن تكونا أطولَ مما كانتا ، ولئن لم يكن فيا مضى من الصلاة خيرٌ فاف في هاتين خير ، ثم قال لمن حضره من أهله : لا تُطْلِقُوا عني حديدًا ، ولا تغسلوا عني دمًا ، فإني ألقى معاوية غدًا على الجادة . ثم قَدَّمَ فضربتَ عنقه .

قال غُزْد : قال هشام : كان محمد إذا سئل عن الشهيد يُغَسِّلُ ، حدثهم حديثَ حُجْرٍ .

قال محمد : فُلْقِيَتْ عائشةُ أمَ المؤمنين معاوية — قال غُزْد : أظنه بمكة — فقالت : يا معاوية ، أين كان حِلْمُكَ عن حُجْرٍ ! فقال لها : يا أمَ المؤمنين ، لم يحضرني رشيد !

قال ابن سيرين : فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يُغْرِغِرُ بالصوت ويقول : ١١٧/٢ يوي منك يا حُجْرُ يومٌ طويل !

قال هشام ، عن أبي غنم ، قال : حدثني إسماعيل بن نُصَيْمِ النَّمَرِيِّ ، عن حسين بن عبد الله الحمصاني ، قال : كنت في شُرْطَ زياد ، فقال زياد : ليطلقَ بعضُكم إلى حُجْرٍ فليدعُ ، قال : فقال لي أميرُ الشُّرْطَةِ — وهو شدَّادُ ابنِ الهيثمِ الهلالي — اذهب إليه فادعُ ، قال : فأتيتُه ، فقلت : أجبِ الأميرَ ، فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامة ! قال : فرجعتُ إليه فأخبرته ، فأمر صاحبُ الشُّرْطَةِ أن يبعثَ معي رجالا ، قال : فبعثَ نفرًا ، قال : فأتيناه فقلنا : أجبِ الأميرَ ، قال : فسبَّحنا وشَتَمَونا ، فرجعنا إليه فأخبرناه الخبر ، قال : فوثبَ زيادُ بأشرافِ أهلِ الكوفة ، فقال : يا أهلَ الكوفة ، أتنشجونَ بيدٍ وتأسونَ بأخرى ! ألبانكم معي وأهواؤكم مع حُجْرٍ ! هلمَّ المَهْجَاهُجَةُ الأحقُّ المذهبُ ^(١)

(١) المَهْجَاهُجَةُ : الأحقُّ الذي لا يؤاخرُ أحداً ويركبُ وأيه ، والمذهبُ : المذهبُ .

أَنْتُمْ مَعِيَ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَعَشَائِرُكُمْ مَعَ حُجْرٍ! هَذَا وَاللهِ مِنْ دَحْشِكُمْ^(١)
وَعَشِكُمْ! وَاللهِ لَتُظْهَرَنَّ لِي بِرَأْيِ تَكُمُ أَوْلَاتِيْنَكُمْ بِقَوْمِ أَقِيمَ بِهِمْ أَوْدَكُمْ وَصَعْرَكُمْ!
فَوَكَّبُوا إِلَى زِيَادٍ، قَالُوا: مَعَاذَ اللهِ سَبَّحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَنَا فِيهَا هَذَا رَأْيٌ إِلَّا
طَاعَتَكَ وَطَاعَةَ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُلٌّ مَا ظَنَّنَا أَنْ فِيهِ رِضَاكَ، وَمَا يَسْتَبِينَ بِهِ طَاعَتَنَا
وَنَحْلَقُنَا لِحُجْرٍ فَرَّطْنَا بِهِ، قَالَ: فَلْيَقِمِ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ إِلَى هَذِهِ الْجُمَاعَةِ
حَوْلَ حُجْرٍ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَخَاهُ وَابْنَهُ وَذَا قَرَابَتِهِ وَمَنْ يَطِيعُهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ،
حَتَّى تَقِيمُوا عَنْهُ كُلٌّ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِيمُوهُ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَقَامُوا جُلًّا
مَنْ كَانَ مَعَ حُجْرٍ بِنِ عَدَى، فَلَمَّا رَأَى زِيَادٌ أَنْ جُلًّا مَنْ كَانَ مَعَ حُجْرٍ أَقِيمَ
عَنْهُ، قَالَ لَشَدَّادِ بْنِ الْحَيْثَمِ الْمَلَلَى - وَيُقَالُ: هَيْثَمُ بْنُ شَدَّادٍ أُمِيرُ شَرِطَتِهِ - انْطَلِقْ
إِلَى حُجْرٍ، فَإِنْ تَبِعَكَ فَأَتِنِي بِهِ، وَإِلَّا فَرَّ مَنْ مَعَكَ فَلْيَتَرَعَوْا عُمْدَ السُّوقِ،
ثُمَّ يَشْدُوا بِهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْتُونِي بِهِ وَيَضْرِبُوا مَنْ هَالِ دُونَهُ. فَأَتَاهُ الْمَلَلَى
فَقَالَ: أَجِبِ الْأُمَيْرَ، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ حُجْرٍ: لَا وَلَا تُعْمَةِ عَيْنٍ!
لَا نَجِيهِ. فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: شَدُّوا عَلَى عُمْدِ السُّوقِ، فَاشْتَدُّوا إِلَيْهَا، فَأَقْبَلُوا
بِهَا قَدْ انْتَرَعَوْهَا، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ يَزِيدَ الْكِنْدِيُّ مِنْ بَنِي هَنْدَسُوهُ أَبُو الْعَمْرِطَةَ:
إِنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ رَجُلٌ مَعَهُ سَيْفٌ غَيْرِي، وَمَا يَفْنَى عَنْكَ! قَالَ: فَمَا تَرَى؟
قَالَ: قُمْ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ بِمَنْعَلِكَ قَوْمُكَ. فَقَامَ زِيَادٌ يَنْظُرُ
إِلَيْهِمْ وَهُوَ عَلَى النَّبْرِ، فَنَشَا بِالْعُمْدِ، فَضْرِبَ رَجُلًا مِنَ الْحَمْرَاءِ - يُقَالُ لَهُ بَكْرُ
ابْنِ عَيْدٍ - رَأْسَ عَمْرُو بْنِ الْحَمِقِ بِعُمْدٍ فَوَقَعَ، وَأَتَاهُ أَبُو سَعْيَانَ بْنِ عُمَيْرٍ
وَالْعَجْلَانُ بْنُ رِيعةٍ - وَهَمَارِجْلَانُ مِنَ الْأَزْدِ - فَحَمَلَاهُ، فَأَتِيَا بِهِ دَارَ رَجُلٍ
مِنَ الْأَزْدِ - يُقَالُ لَهُ عَيْدُ اللهِ بْنِ مَالِكٍ - فَخَبَّاهُ بِهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا مُتَوَارِكًا
حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا^(٢).

قَالَ أَبُو مُخَنَّفٍ: فَحَدَّثَنِي يَوْسُفُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ
عُوفٍ بْنِ الْأَحْمَرِ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنْ غَزْوَةِ بَاجُصِيرَا قَبْلَ مَكْتَلِ مُصْعَبِ
بَعَامٍ، فَلَمَّا أَنَا بِأَحْمَرَى يَسِيرُنِي - وَوَاللهِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي ضُرِبَ
فِيهِ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ، وَمَا كُنْتُ أَرَى لَوْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَعْرِفَهُ - فَلَمَّا رَأَيْتُهُ ظَنَنْتُ

(١) الْحَمِي: الْقَطْمِي لِلْأَمُورِ. (٢) الْأَفْكَافُ: ١٦، ٢، ٤ (مَسِي).

أنه هو هو ؛ وذلك حين نظرنا إلى آيات الكوفة ، فكرهت أن أسأله : أنت الضارب عمرو بن الحمق ؟ فيكأبرني : قلت له : ما رأيك من اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد إلى يوم هذا ، ولقد عرفتك الآن حين رأيته ؛ فقال لي : لا تعلم بصرك ، ما أثبت نظرك ! كان ذلك أمر الشيطان ، أما إنه قد بلغني أنه كان امرأ صالحاً ، ولقد نعمت على تلك الضربة ، فاستغفر الله . قلت له : ألا ترى والله لا أفرق أنا وأنت حتى أضربك على رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت ! فناشدني الله وسألني الله ، فأبيت عليه ، ودعوت غلاماً لي يدعني وشيئاً من سبى أصبهان معه فتاة له صلبة ، فأخذتها منه ، ثم أحمل عليه بها ، فترل عن دابته ، وألحقه حين استوت قدماه بالأرض ، فأصنع بها هامته ، فخر لوجهه ، ومضيت وتركته ، فبرأ بعد ؛ فلقيناه مرتين من الدهر ، كل ذلك يقول : الله بيني وبينك ! وأقول : الله عز وجل بينك وبين حمزو بن الحمق (١) !

ثم رجع إلى أول الحديث . قال : فلما ضرب عمرًا تلك الضربة وحملته ذاك الرجلان ، انحاز أصحاب حُجْرٍ إلى أبواب كِنْدَةَ ، ويضرب رجل من جذام كان في الشرطة رجلاً يقال له عبد الله بن خليفة الطائي بعمود ، فضربه ضربة فصصره ، فقال وهو يرتجز :

قد عَلِمْتَ يَوْمَ الْهَبَاجِ خُلْتُ أُنَى إِذَا مَا فِئْتِي تَلَيْتِ
وَكُتِرَتْ عِدَاتُهَا أَوْ قُلْتُ أَنَى قَتَالَ غَدَاةَ بَلَّتِ
وَضُرِبَتْ يَدُ عَائِدِ بْنِ حَمَلَةِ التَّمِيمِ وَكُسِرَتْ نَابُهُ ، فقال :

إِنَّ تَكْثِيرَ نَابِي وَعَظَمَ سَاعِدِي فَإِنَّ فِي سُورَةِ الْمُنَاجِدِ
وَبَعْضَ شَغْبِ الْبَطْلِي الْمُبَالِدِ .

ويسترجع عموداً من بعض الشرطة ، فقاتل به وحمل حُجْرًا وأصحابه ؛ حتى خرجوا من تلقاء أبواب كِنْدَةَ ، وبطلة حُجْرٍ موقوفة ، فأتى بها أبوالمعرة إليه ، ثم قال : اركب لأب لغيرك ! فوالله ما أراك إلا قد قتلت نفسك ،

وقتلنا ملك ، فوضع حُجْرَ رَجْلِهِ فِي الرِّكَّابِ ، فلم يستطع أن ينهض ، فحملة أبو العمرطة على بقلته ، وشب أبو العمرطة على فرسه ، فإِذَا هُوَ إِلَّا أَنْ اسْتَوَى عَلَيْهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ طَرِيفِ الْمُسْلِيِّ - وَكَانَ يَغْمِزُ ^(١) - فَضْرِبَ أَبَا الْعَمْرُطَةَ بِالْعُمُودِ عَلَى فَخْذِهِ ، وَيَخْطُرُ أَبُو الْعَمْرُطَةَ سَيْفَهُ ، فَضْرِبَ بِهِ رَأْسَ يَزِيدَ بْنِ طَرِيفٍ ، فَخَرَّ لَوَجْهِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ بَرَأَ بَعْدُ ، فَلَهُ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامِ السَّلُولِيُّ :

أَلُوْمُ ابْنِ لُوْمٍ مَا عَدَا بِكَ حَايِرًا إِلَى بَطَلٍ ذِي جُرْأَةٍ وَشَكِيمٍ !
مَعَاوِدَ ضَرْبِ الدَّارِعِينَ بِسَيْفِهِ عَلَى الْهَامِ عِنْدَ الرُّوعِ غَيْرَ لَثِيمٍ
إِلَى فَارِسِ الْفَارِثِينَ يَوْمَ تَلَاقِيَا بِصَفَيْنِ قَرَمٍ خَيْرَ نَجَلٍ قُرُومٍ ^(٢)
حَسِبْتُ ابْنَ بَرَصَاءَ الْخِثَارِ قِتَالُهُ قِتَالَكَ زَيْدًا يَوْمَ دَارِ حَكِيمٍ ^(٣)
وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ أَوَّلَ سَيْفٍ ضُرِبَ بِهِ فِي الْكُوفَةِ فِي الْإِخْلَافِ بَيْنَ
النَّاسِ . وَضَعَى حُجْرًا وَأَبُو الْعَمْرُطَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِ حُجْرٍ ، وَاجْتَمَعَ
إِلَى حُجْرٍ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَخَرَجَ قَيْسُ بْنُ فَهْدَانَ الْكِنْدِيُّ عَلَى
حِمَارِهِ لِيَسِيرَ فِي جِبَالِ كِنْدَةَ ، يَقُولُ :

يَا قَوْمَ حُجْرٍ دَافِعُوا وَصَاوِلُوا وَعَنْ أُنْحِيكُمْ سَاعَةً فِقَاتِلُوا
لَا يُلْفِيَا مِنْكُمْ لِحُجْرٍ خَاذِلُ أَلَيْسَ فِيكُمْ رَامِحٌ وَنَابِلُ
وَفَارِسٌ مُسْتَلْتِمٌ وَرَاجِلُ وَضَارِبٌ بِالسَّيْفِ لَا يُزَابِلُ !
فَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ كِنْدَةَ كَثِيرٌ أَحَدٌ . وَقَالَ زِيَادُ بْنُ أَبِي الْمُنْبَرِ : لَبِقْمُ هَمْدَانَ
وَعِمِمْ وَهَوَازِنَ وَأَبْنَاءَ أَعْصُرٍ ^(١) وَمُلْحِجٍ وَأَسَدَ وَغَطَفَانَ فَلْيَأْتُوا جِبَانَةَ كِنْدَةَ ،
فَلْيَسْمُضُوا مِنْهُمْ إِلَى حُجْرٍ فَلْيَأْتُونِي بِهِ . ثُمَّ إِنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَسِيرَ طَائِفَةٌ مِنْ مَضَرَ
مَعَ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَيَقَعُ بَيْنَهُمْ شَغَبٌ وَإِخْلَافٌ ، وَتَقْسُدَ مَا بَيْنَهُمْ
الْحِمِيَّةُ ، فَقَالَ : لَتَقْمُ عِمِمْ وَهَوَازِنُ وَأَبْنَاءُ أَعْصُرٍ وَأَسَدَ وَغَطَفَانَ ، وَلَتَمَضُرَ

(١) القسر : القتل الخفيف ؛ وأصله في البداية .

(٢) الفاران هنا : الجيوشان ؛ وأصله فار .

(٣) برصاء الخثار ، يعني حلقة الدهر .

(٤) ف : « وهو يصر » .

ملحج وحمّان إلى جبّانة كيننة، ثم لينهضوا إلى حجر فليأتوني به، وليسير
سائر أهل اليمن حتى يزلوا جبّانة الصاليتين^(١) فليعضوا إلى صاحبهم ،
فليأتوني به . فخرجت الأزد وبجيلة ونخم والأنصار ونخزاعة وقضاة ،
فزّلوا جبّانة الصاليتين ، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليمن لكانهم من
كيننة ، وذلك أن دومة حضرموت مع كيننة ، فكروا الخروج في طلب
حجر^(٢) .

قال أبو مخنف : حدثني يحيى بن سعيد بن مخنف ، عن محمد بن مخنف ،
قال : إني لمع أهل اليمن في جبّانة الصاليتين إذ اجتمع رموس أهل اليمن
يشاورون في أمر حجر ، فقال لم عبد الرحمن بن مخنف : أنا مشير عليكم
برأي إن قبلتموه رجوت أن تسلموا من اللأعة والإم ، أرى لكم أن^(٣) تكبثوا قليلا
فإن سرّحان شباب حمّان وملحج يكفونكم ما تكرهون أن تلتوا من مساة
قومكم في صاحبكم^(٤) . قال : فأجمع رأيهم على ذلك ، قال : فواقه ما كان
إلا كلا ولا^(٥) حتى أتينا ، فقيل لنا : إن ملحج^(٦) وحمّان قد دخلوا
فأغسلوا كل من ودلوا من بني جبّانة^(٧) . قال : فرّ أهل اليمن في نواحي
دور كيننة مطردة^(٨) ، فبلغ ذلك زيادا ، فأثنى على ملحج وحمّان
وخم سائر أهل اليمن . وإن حجرا لما انتهى إلى داره فنظر إلى قلّة من معه
من قومه ، وبلغه^(٩) أن ملحج وحمّان زلوا^(١٠) جبّانة كتنة وسائر أهل اليمن
جبّانة الصاليتين قال لأصحابه : انصرفوا فواقه ما لكم طاقة بمن قد اجتمع
عليكم من قومكم ، وما أحب أن أمرّصكم الهلاك ، فذهبوا لينصرفوا ، فلحقهم

١٢٣/٧

(١) ابن الأثير : « الصاليتين » ، الأغانى : « الصباوين » .

(٢) الأغانى ١٦ : ٤ (ساس) .

(٣-٢) الأغانى : « أن تكبثوا قليلا حتى تكبثكم بجلة في شباب ملحج وحمدان ما تكرهون

أن يكفونكم من مساة قومكم في صاحبكم » .

(٤) أى نصر الوقت الذى يتبع فقط ولا ، ولا .

(٥) الأغانى : « شباب ملحج » .

(٦) الأغانى : « في بني بجيلة » .

(٧) الأغانى : « مطردة » .

(٨-٨) س : « فزل ملحج وحمدان » .

أوائل خيل منجج وممندان . فحلف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو البدي وعبد الرحمن بن مُحِرِز الطمحي وقيس ابن شير ، فقاتلوا معهم ، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا ، وأسير قيس بن يزيد ، وأفلت سائر القوم ، فقال لهم حجر : لا أبأ لكم ! تفرقوا لا تقاتلوا^(١) فلما أخذ في بعض السكك^(٢) . ثم أخذ طريقاً نحو بني حرب ، فسار حتى انتهى إلى دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد ، فدخل داره ، وجاء القوم في طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار ، فأخذ سليم بن يزيد سيفه ، ثم ذهب ليخرج إليهم ، فبكت بناته ، فقال له حُجْر : ما تريد ؟ قال : أريد والله أسلم أن ينصرفوا عنك ، فإن فعلوا وإلا ضاربهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدى دونك ، فقال حُجْر : لا أبأ لغيرك ! بش ما دخلت به إذا على بناتك ! قال : إني والله ما أمؤنهن ، ولا رزقهن إلا على الحى الذى لا يموت ، ولا أشتري العار بشيء أبداً ، ولا تخرج من دارى أسيراً أبداً وأنا حتى أملك قائم سبنى ، فإن قُتِلْتُ دونك فاصنع ما بدا لك . قال حُجْر : أما في دارك هذه حافظ أقتحمه ، أو خوخة^(٣) أخرج منها ، عسى أن يسلمنى الله عز وجل منهم ويسلمك ، فإذا القوم لم يتقدروا علىّ عندك لم يضروك ! قال : بلى هذه خوخة تخرجك إلى دور بنى العنبر وإلى غيرهم من قومك ، فخرج حتى مرّ بيني ذُهل ، فقالوا له : مرّ القوم أنفًا في طلبك يقتفون أثرك . فقال : منهم أهرُب ، قال : فخرج ومعه فتية منهم يتقصون^(٤) به الطريق ، ويسلكون به الأزقة حتى أفضى إلى النخع ، فقال لهم عند ذلك : انصرفوا رحمكم الله ! فانصرفوا عنه ، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخى الأشر فدخلها ، فإنه لكذلك قد ألقى له الفرش عبد الله ، وبسط له البسط ، وتلقاه ببسط الوجه ، وحسن البشر ، إذ أتى فقبل له : إن الشرط تسأل عنك في النخع . وذلك أن أمة سوداء يقال لها : آدماء ، لقيتهم ، فقالت : من تطلبون ؟

(١) الأغاني : لا تقتلوا .

(٢) الأغاني : الطريق .

(٣) الحينة : باب صغير في باب كبير .

(٤) الأغاني : يتقصون .

قالوا : نطلب حُجْرًا ؛ قالت : ها هو ذا قد رأيته في النَّخَع ، فانصرفوا نحو النَّخَع - فخرج من عند عبد الله متكرراً ، وركب معه عبد الله بنُ الحارث ليلاً حتى أتى دارَ ربيعة بن ناجد الأزدي في الأزد ، فترها يوماً وليلة ، فلما أعجزهم أن يقتلوا عليه دعا زياد بمحمد بن الأشعث فقال له : يا أبا ميثاء ، أما والله لتأتيني بحُجْرٍ أو لا أدع لك نخلة إلا قطعنها ، ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلم مني حتى أقطعك إرباً إرباً ؛ قال : أمهلني حتى أطلبه ؛ قال : قد أمهلتك ثلاثاً ، فإن جئت به وإلا عدت نفسك مع الملككي . وأخرج ١٢٥/٢ محمد نحو السجن منتفع اللون يتلّ تلاً عنيقاً^(١) ، فقال حُجْر بن يزيد الكندي لزياد : ضمنتني وخل سبيله يطلب صاحبه ؛ فإنه غلّني سريراً أخرى أن يقتل عليه منه إذا كان محبوساً . فقال أئتمننه ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله لئن حاصرتك لأزيرنك شعوب^(٢) ، وإن كنت الآن على كريمي . قال : إنه لا يفعل ، فخلّ سبيله .

ثم إن حُجْر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد ، وقد أتى به أسيراً ، فقال لهم : ما على قيس بأس ، قد عرفنا رأيته في عثان ، وبلاءه يوم صفين مع أمير المؤمنين ، ثم أرسل إليه فأتى به ، فقال له : إني قد علمت أنك لم تقا تل مع حُجْر ؛ أنك ترى رأيته ، ولكن قاتلت معه حمية قد غفرتها لك لما أعلم من حسن رأيك ، وحسن بلائك ؛ ولكن لن أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير ؛ قال : أجيئك به إن شاء الله ؛ قال : فهات من يضمنه لي ملك ، قال : هذا حُجْر بن يزيد يضمنه لك معي ؛ قال حُجْر بن يزيد : نعم أضمنه لك ، على أن تؤمنه على ماله ودمه ، قال : ذلك لك ، فانطلقا فأتيا به وهو جريح ، فأمر به فأوقر حديداً ، ثم أخذته الرجال ترفعه ، حتى إذا بلغ سرورها ألقوه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه وألقوه ، ففعلوا به ذلك مراراً ، فقام إليه حُجْر بن يزيد فقال : ألم تؤمنه على ماله ودمه أصلحك الله ؛ قال : بلى ، قد آمنت على ماله ودمه ، ولست أهرق له دماً ، ولا أخذ

(١) يخل ؛ يخذ .

(٢) حاص : عدل وحاد ، وشعوب اسم المتية .

له مالا . قال : أصلحك الله ! يُشَفِّسِي به على الموت ؛ ودنا منه وقام من كان عنده من أهل اليمن ، فدنوا منه وكلموه ، فقال : أنضمونوني لي بنفسه ، فقي ما أحدث^(١) حدثنا أتيتوني به ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وتضمنوني لي أرض^(٢) ضربة السيل^(٣) ، قالوا : ونضمنها ؛ فخلني سبيلته .

ومكث حُجْر بن عدى في منزل ربيعة بن ناجد الأزدي يوماً وليلة ، ثم بعث حُجْر إلى محمد بن الأشعث غلاماً له يدعى رشيداً من أهل إصبهان : إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد ، فلا يهولتك شيء من أمره ، فأتني خارج إليك ، أجمع نفراً من قومك ثم أدخل عليه فأسأله أن يؤمنني حتى يبعث بي إلى معاوية فيرى في رأيه .

فخرج ابن الأشعث إلى حُجْر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخى الأشتر ، فأتاهم فدخلوا إلى زياد فكلّموه وطلبوا إليه أن يؤمنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه ، ففعل ، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه أن قد أخذنا الذي تسأل ، وأمره أن يأتي ؛ فأقبل حتى دخل على زياد فقال زياد : مرحباً بك أبا عبد الرحمن ! حرب في أيام الحرب ، وحرباً وقد سالم الناس ! على أهلها تجبني براقش^(٤) . قال : ما خالعت^(٥) طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإني لأحل بيعتي ؛ فقال : هيهات هيهات يا حُجْر ! تشج بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذ أمكن الله منك أن نرضى ! كلا والله . قال : ألم تؤمنني حتى آتي معاوية فيرى في رأيه ! قال : بلى قد فعلنا ، انطلقوا به إلى السجن ، فلما قُفِيَ به من عنده قال زياد : أما والله لولا أمانته^(٦) ما برح أو يلفظ مهجة نفسه^(٧) .

قال هشام بن عروة : حدثني حواثة ، قال : قال زياد : والله لأحرصن^(٨) على قطع خيط رقبته .

قال هشام بن محمد ؛ عن أبي مخنف ، وحدثني الجبالد بن سعيد ، عن

(١) الأغاني : « متى أحدث » . (٢) الأرض : دية الجراحات .

(٣) براقش : اسم كلبة دلت بنجاحها قوياً على أربابها فهلكوا .

(٤) الأغاني : « خالعت » . (٥) في الأغاني : « الاقاعة » .

(٦) الأغاني : « ما برح حتى يلقى صبه » ؛ والخبر في ١٦ : ٤ ، « (سلي) » .

الشعبيّ وزكرياء بن أبي زائلة، عن أبي إسحاق؛ أن حُجْرًا لما قُتِيَ به من عند زياد نادى بأعلى صوته: اللهم إني على يميني، لا أقبلها ولا أستقبلها، سمح الله والناس. وكان عليه بُرُتس في غداة باردة، فحبس عشر ليال، وزيادٌ ليس له عمل^(١) إلا طلب رؤساء أصحاب حُجْر، فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا أرضَ الموصل، فأتيا جبلا فكَمِنَا فيه، وبلغ عامل ذلك الرستاق^(٢) أن رجلين قد كَمِنَا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما - وهو رجل من همدان يقال له عبد الله بن أبي بكثة - فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو بن الحمق فكان مريضاً، وكان بطئه قد سَقَى^(٣)، فلم يكن عنده امتناع، وأما رفاعة بن شدّاد - وكان شاباً قوياً - فوثب على فرس له جواد، فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما ينبغي أن تقاتل! اتجّع بنفسك إن استطعت، فحمل عليهم، فأفرجوا له، فخرج تنفير^(٤) به فرسه، ونهجت الخيل في طلبه - وكان رامياً - فأخذ لا يلحقه فارس إلا رماه فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه، وأخذ عمرو بن الحمق، فسألوه: مَنْ أنت؟ فقال: مَنْ إن تركتموه كان أسلّم لكم، وإن قتلتموه كان أضّرّ لكم، فسألوه: فأبى أن يخبرهم، فبعث به ابن أبي بكثة إلى عامل الموصل - وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي - فلما رأى عمرو بن الحمق عرقه، وكتب إلى معاوية يخبره، فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمان ابن عفان تسع طعنات بمشاقص كانت معه، وإنا لا نريد أن نعتدى عليه، فاطمنه تسع طعنات كما طعن عثمان، فأخرج فطعن تسع طعنات، فأتى في الأولى منهن أو الثانية^(٥).

١٢٨/٢

(١) الأغاني: «ما له عمل»

(٢) الرستاق؛ يمينون به كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك المدن.

(٣) الأغاني: «استقى»، والسق والاستقاء: ماء أسفر يقع في البطن من مرض.

(٤) س: «تنفر».

(٥) الأغاني ١٦: «و زاد في آخره: «وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول رأس

قال أبو مخنف : وحدّثني المجالد ، عن الشعبيّ وزكرياء بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق^(١) . قال : وجّه زياد في طلب أصحاب حجر ، فأخذوا يهرّبون منه ، ويأخذ من قدّر عليه منهم ، فبعث إلى قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسيّ صاحب الشرطة - وهو شدّاد بن المهيم - فدعا قبيصة في قومه ، وأخذ سيفه ، فأثاه ربعي بن خراش بن جحش العبسيّ ورجال من قومه ليسوا بالكثير ، فأراد أن يقاتل ، فقال له صاحب الشرطة : أنت آمن على دمك ومالك ، فلم تقتل نفسك ؟ فقال له أصحابه : قد أومنت ، فعلام تقتل نفسك وتقتلنا معك ! قال : ويحكم ! إن هذا الدّعيّ ابن العاهرة ، والله لئن وقعت في يده لا أفلت منه أبداً أو يقتلني ، قالوا : كلا ، فوضع يده في أيديهم ، فأقبلوا به إلى زياد ، فلما دخلوا عليه قال زياد : وحي عبّس تُعزّزني على الدين ، أما والله لأجعلنّ لك شاغلاً من^(٢) تلقيح الفيتن ، والتوثب على الأمراء ، قال : إني لم آتك إلا على الأمان ، قال : انطلقوا به إلى السجن ، وجاء قيس بن عباد الشيبانيّ إلى زياد فقال له : إن امرأ منا من بنى همام يقال له : صبيّ بن قسيل^(٣) من رموس أصحاب حجر ، وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه زياد ، فأتته به ، فقال له زياد : يا عدو الله ، ما تقول في أبي تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب ، قال : ما أعرفك به ! قال : ما أعرفه ، قال : أما تعرف عليّ بن أبي طالب ؟ قال : بلى ، قال : فذاك أبو تراب ، قال : كلا ، ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب الشرطة : يقول لك الأمير : هو أبو تراب ، وتقول أنت : لا ! قال : وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهدا قال له زياد : وهذا أيضاً مع ذنبك ! على بالعصا ، فأتته بها ، فقال : ما قولك [في عليّ ؟]^(٤) ، قال : أحسن قول أنا قائلة في عبد من عباد^(٥) الله [أقوله في المؤمنين ، قال : اضربوا عاتقه بالعصا

(١) ط : « ابن إسحاق »

(٢) س ، ف : « من » .

(٣) س ، ف : « قسيل » .

(٤) من الألفاظ .

(٥) الألفاظ : « عبيد » .

حتى يلقى بالأرض ، فضرب حتى لزم الأرض . ثم قال : ألقوا عنه ،
إيه ، ما قولك في علي^(١) ؟ قال : والله لو شرحتني بالمواسي^(٢) والمُدَى
ما قلت إلا ما سمعت^(٣) مني ؛ قال لتلصتنه أو لأضرين عنقك ؛ قال :
إذا تضربها والله قبل ذلك ،^(٤) فإن آيت إلا أن تضربها رضيت بالله ،
وشقيت أنت^(٥) ؛ قال : ادفعوا في رقبة ، ثم قال : أوقروه حديدًا ، وألقوه في
السجن .

ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائي - وكان شهد مع حُجر وقتلهم
قتالاً شديداً - فبعث إليه زياد بكبير بن حمران الأحمرى - وكان تبع
العمال - فبعثه في أناس من أصحابه ، فأقبلوا في طلبه فوجدوه في مسجد عدي بن
حاتم ، فأخرجوه ، فلما أرادوا أن يلعبوا به - وكان عزيز النفس - امتنع منهم
فحاربهم وقتلهم ، فشقوه ورموه بالحجارة حتى سقط ، فنادت ميثاء أخته :
يا معشر طيئ ، أسلمون ابن خليفة لسانكم وسنانكم^(٦) !

فلما سمع الأحمرى نداءها خشي أن تجتمع طيئ فيهلك ، فهرب وخرج
نسوة من طيئ فأدخلته داراً ، وينطلق الأحمرى حتى أتى زياداً ، فقال : إن
طيئاً اجتمعت إلى فلم أطيقهم ، فأتيتك ، فبعث زياداً إلى عدي - وكان في
المسجد فحبسه وقال : جئني به - وقد أخبر عدي بخبر عبد الله - فقال عدي :
كيف آتيتك برجل قد قتله القوم ؟ قال : جئني حتى أرى أن قد قتلوه ، فاعتل
له وقال : لا أدري أين هو ، ولا ما فعل ! فحبسه ، فلم يبق رجل من أهل المصر
من أهل اليمس وربيعة ومضر إلا فرع لعدي ، فأتوا زياداً فكلّموه فيه ، وأخرج
عبد الله فتغيّب في بَحْتر ، فأرسل إلى عدي : إن شئت أن أخرج حتى أضع
يدي في يدك ففعلت ؛ فبعث إليه عدي : والله لو كنت تحت قدمي ما
رفضتهما عنك . فدعا زياد عدياً ، فقال له : إني أخلى سبيلك على أن تجعل

(١) الأغانى : « فيه » .

(٢) الأغانى : « بالملى والمراس » .

(٣) الأغانى : « ما زلت عاصمت » .

(٤-٥) الأغانى : « فأسد وثقى إن شاء الله » .

(٥) الخبر إلى هنا في الأغانى ١٦ : ٦ مع اختلاف في الرواية .

لى لتفتيته من الكوفة ، ولتسير به إلى الجبلين ، قال : نعم ، فرجع وأرسل إلى عبد الله بن خليفة : اخرج ، فلو قد سكن غضبه لكلمته فيك حتى ترجع إن شاء الله ، فخرج إلى الجبلين .

وأبى زياد بكريم بن عفيف الخثمي فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا كريم ابن عفيف ، قال : ويحك ، أوويلك ما أحسن اسمك واسم أبيك ، وأسوأ عمك وأريك ! قال : أما والله إنّ عهدك برأى لمنه قريب ^(١) ، ثم بعث زياد إلى أصحاب حُجْر حتى جمع اثني عشر رجلاً في السجن . ثم إنه دعا رموس الأرباع ، فقال : اشهدوا على حُجْر بما رأيتم منه - وكان رموس الأرباع يومئذ عَمْرُو بن حُرَيْث على رُبْع أهل المدينة ، ونخالد بن عُرْفُطَة على رُبْع تيم وهَمْدَان ، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على رُبْع ربيعة وكِنْدَة ، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى على مَدْحِج وأسد - فشهد هؤلاء الأربعة أنّ حُجْرًا جمع إليه الجموع ، وأظهر شتم الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ، وزعم أنّ هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ، ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين ، وأظهر عنراً أبي تراب والترحّم عليه ، والبراءة من علوه وأهل حربه ، وأنّ هؤلاء الثفرالدين معه هم رموس أصحابه ، وعلى مثل رأيه وأمره . ثم أمر بهم ليخرجوا ، فأناه قيس بن الوليد فقال : إنه قد بلغني أنّ هؤلاء إذا أُخْرِجَ بهم عَرَضَ لهم . فبعث زياد إلى الكُنَاسَة فابتاع إبلًا صيابةً ، فشدّ عليها الحاميل ، ثم حملهم عليها في الرّحبة أوّل النهار ، حتى إذا كان العشاء قال زياد : مَنْ شاء فليعرض ، فلم يتحرك من الناس أحد ، ونظر زياد في شهادة الشهود فقال : ما أظنّ هذه الشهادة قاطعة ، وإلى لأحبّ أن يكون الشهود أكثر من أربعة ^(٢) .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن حُصَيِّرة ، عن أبي الكَنُود - وهو عبد الرحمن بن عبيد - وأبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب وسليمان بن أبي راشد ، عن أبي الكنود بأسماء هؤلاء الشهود :

(١) س : « لقريب » .

(٢) الأغانى ١٦ : ٧ (س) .

بسم الله الرحمن الرحيم . هنا ما شهد عليه أبو بريدة بن أبي موسى قد ربه العالمين ، شهد أن حَجَرَ بنَ عَدَى طَعَمَ الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع بدعهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفرته صلواته .

فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجهدنَّ على قطع خيط عتي الخائن الأحمق ، فشهد رموس الأرباع [الثلاثة الآخرون] ^(١) على مثل شهادته - وكانوا أربعة - ثم إن زياداً دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل شهادة رموس الأرباع . فقرأ عليهم الكتاب ، فقام أولك الناس عناق بن شُرَحْبِيل بن أبي دَهَم التيمي ثم الله بن ثعلبة ، فقال : يبتوا اسمي ، فقال زياد : ابدعوا بأسمي قريش ، ثم اكتبوا اسم عناق في الشهود ، ومن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالتصحية والاستقامة . فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، وموسى بن طلحة ، وإسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، ومحمدة بن عتبة بن أبي مُعَيْط ، وعبدة الرحمن ابن هناد ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وعامر بن مسعود بن أمية بن خلف ، ومحرز بن جارية بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ، وعبيد الله بن مسلم ابن شعبة الحضرمي ، وعناق بن شُرَحْبِيل بن أبي دَهَم ، ووائل بن حُجْر الحضرمي ، وكثير بن شهاب بن حصين الحارثي ، وقطن بن عبد الله بن حصين ، والسري بن وقاص الحارثي - وكتب شهادته وهو غائب في عمله - والسائب بن الأقرع الثقفي ، وشبث ^(٢) بن ربيعة ، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي ، ومصقلة بن هبيرة الشيباني ، والقعقاع بن شور الذهلي ، وشداد بن المنذر بن الحارث بن وائلة الذهلي - وكان يدعى ابن بُزْريعة ، فقال : ما لهذا أب ينسب إليه ! ألقوا هذا من الشهود ، فقيل له : إنه أخو الحضيين ، وهو ابن المنذر ، قال : فانسبوه إلى أبيه ، فنُسب إلى أبيه ، فبلغت شداداً ، فقال : ويلى على ابن الزانية ! أوليست أمه أعرف من أبيه ! والله

١٢٣/٢

ما ينسب إلا إلى أمه سمية . وحجّار بن أبي العجلى ففضبت ربيعة على هؤلاء
الشهود الذين شهدوا من ربيعة وقالوا لم : شهدتم على أوليائنا وحلفائنا ! فقالوا :
ما نحن إلا من الناس ، وقد شهد عليهم ناس من قومهم كثير - وعمرو بن
الحجاج الزبدي وليد بن عطارد التميمي ، ومحمد بن محمد بن عطارد التميمي ،
وسويد بن عبد الرحمن التميمي من بني سعد ، وأمّاء بن خارجة الفزاري -
كان يعتز من أمره - وشمر بن ذى الجشون العامري ، وشداد ومروان
ابنا الهيثم الهلاليان ، ومحمّز بن ثعلبة من عائلة قريش ، والهيثم بن الأسود
التخمي - وكان يعتز بهم - وعبد الرحمن بن قيس الأسدي ، والحارث وشداد
ابنا الأزعم الحمّديان ، ثم الوادعيان ، وكثير بن سلمة بن يزيد الجعفي ،
وعبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي ، وزحر بن قيس الجعفي ، وقدامة بن
العجلان الأزدي وعزرة بن عزرة الأحمسي - ودعا المختار بن أبي عبيد
وعروة بن المغيرة بن شعبة ليشهدوا عليه ، فراغاً - وعمر بن قيس ذى اللحية
وهاني بن أبي حية الوادعيان .

١٣٤/٢

فشهد عليه سبعون رجلاً ، فقال زياد : ألقوهم إلا من قد عرف
بحسب وصلاح في دينه ، فألقوا حتى صيروا إلى هذه العدة ، وأقيمت
شهادة عبد الله بن الحجاج التلحي ، وكتبت شهادة هؤلاء الشهود في
صحيفة ، ثم دفعها إلى وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب الحارثي ،
وبعثهما عليهم ، وأمرهما أن يخرجوا بهم . وكتب في الشهود شريح
ابن الحارث القاضي وشريح بن هاني الحارثي ، فأما شريح فقال : سألتني
عنه ، فأخبرته أنه كان صواماً قواماً ، وأما شريح بن هاني الحارثي فكان
يقول : ما شهدت ، ولقد بلغني أن قد كتبت شهادتي ، فأكتبته ولست به ،
وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأخرج القوم عشية ، وسار معهم
صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة .

فلما انتهبوا إلى جبّة عرزم^(١) نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره وهي
في جبّة عرزم ، فإذا بنائه مشرفات ، فقال لوائل وكثير : انذنا لي
فأوصي أهل ، فأذنا له ، فلما دنا منهن وهنّ يكيبن ، سكتنهن ساعة ثم

قال : اسكنن ، فسكنن ، فقال : اتقين الله عز وجل ، واصبرن ، فإني أرجو من ربّي في وجهي هذا إحدى الحسنيتين : إما الشهادة ، وهي السعادة ، وإما الانصراف إليكن في عافية ، وإن الذي كان يرزقكن ويكفي مؤنتكن هو الله تعالى - وهو حي لا يموت - أرجو ألا يضيّعكن وأن يحفظني فيكن ثم انصرف فرّ يقومه ، فجعل القوم يدعون الله له بالعافية ، فقال : إنه ليمسا يعدل عندى خطراً ما أنا فيه هلاك قومي . يقول : حيث لا ينصرونني ، وكان رجلاً أن يتخلصوه .

قال أبو غنم : فحدثني النضر بن صالح العبسي ، عن عبيد الله بن الحرّ الحمّصيّ ، قال : والله إني لواقف عند باب السريّ بن أبي وقاص حين مروا بحجر وأصحابه ، قال : قلت : لأعشرة رهط أستنقذ بهم هؤلاء ! ألا خمسة ! قال : فجعل يتلّهم ، قال : فلم يبق أحد من الناس ، قال : ففصّلوا بهم حتى انتهوا بهم إلى الغريتين ، فلحقهم شريح بن هانيّ معه كتاب ، فقال لكثير : بلغ كتابي هذا إلى أمير المؤمنين ، قال : ما فيه ؟ قال : لا تسألني فيه حاجتي ، فأبى كثير وقال : ما أحب أن آتي أمير المؤمنين بكتاب لا أدرى ما فيه ، وعسى ألا يوافقه ! فأبى به وأتلّ بن حجر فقبّله منه . ثم مضوا بهم حتى انتهوا بهم إلى مرّج عدوّاء ، وبينها وبين دمشق اثنا عشر ميلاً .

* * *

تسمية اللذين بعث بهم إلى معاوية

حُجّر بن عديّ بن جبلة الكنديّ ، والأرقم بن عبد الله الكنديّ من بني الأرقم ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصفيّ بن قبيّل ، وقبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسيّ ، وكرّم بن عفيف الخثعميّ ، من بني عامر بن شهران ثم من قحافة ، وعاصم بن عوف البجليّ ، وورقاء بن سُميّ البجليّ ، وكدام بن حيّان ، وعبد الرحمن بن حسان العنزريّان من بني هُثَم ، وعمرز بن شهاب التميميّ من بني منقرّ ، وعبد الله بن حوّة السعديّ من

بني نعيم ، فغضبوا بهم حتى نزلوا مرج عذراء ، فحبسوا بها . ثم إن زياداً أتبعهم
برجلين آخرين مع عامر بن الأسود العجلي ، بعثة بن الأخنس من بني
سعد بن بكر بن هوازن ، وسعيد بن نمران الحمصاني ثم الناعلي ، فتمتوا أربعة
عشر رجلاً ، فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكثير بن شهاب فأدخلهما ،
ونفس كتابهما ، فقرأه على أهل الشام ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن
أبي سفيان . أما بعد ، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، فكاد
له علوه ، وكفاه مؤنة من بقتى عليه . إن طواغيت من هذه الترابية^(١)
السبية ، رأسهم حُجر بن عدى خالفوا أمير المؤمنين ، وفلواكوا جماعة
المسلمين ، ونصبوا لنا الحرب ، فأظهرنا الله عليهم ، وأمكتنا منهم ، وقد دعوت
خيار أهل المِصر وأشرافهم وذوى السن والدين منهم ، فشهدوا عليهم بما رأوا
وعلموا ، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكنت شهادة صلحاء أهل
المِصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا .

١٣٧/٢

فلما قرأ الكتاب وشهادة الشهود عليهم ، قال : ماذا ترون في هؤلاء النفر
الذين شهد عليهم قوتهم بما تستمعون ؟ فقال له يزيد بن أسد البجلي : أرى
أن تفرقهم في قرى الشام فيكفيكهم طواغيتُها .

ودفع وائل بن حُجر كتاب شريح بن هانئ إلى معاوية ، فقرأه فإذا فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانئ
أما بعد ، فإنه بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجر بن عدى ،
وأن شهادتي على حُجر أنه ممن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويدم الحج
والعمرة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، حرام الدّم والمال ، فإن شئت
فاقتله ، وإن شئت فدعه . فقرأ كتابه على وائل بن حُجر وكثير ، فقال :
ما أرى هنا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم .

فحبس القوم بمرج عذراء ، وكتب معاوية إلى زياد : أما بعد ،
فقد فهمت ما اقتضت به من أمر حُجر وأصحابه ، وشهادة من قبلك
عليهم ، فظنرت في ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ،

(١) الترابية ، أي المتسبون إلى أبي تراب ، كنية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم . والسلام .

فكتب إليه زيادٌ مع يزيد بن حُجبة بن ربيعة التيمي : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيك في حُجر وأصحابه ، فنجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجةٌ في هذا المصير فلا تتردّن حَجراً وأصحابه إلى .

فأقبل يزيد بن حُجبة حتى مرّ بهم بعنراء . فقال : يا هؤلاء ، أما والله ١٣٨/٢ ما أرى براءتكم ، ولقد جئتُ بكتاب فيه الذبيح ، فرؤني بما أحبيتم مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطق به . فقال حُجر : أبلغ معاوية أننا على بيعتنا ، لا نستقبلها ولا نقبلها ، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظنءاء . فقدم يزيدُ بالكتاب إلى معاوية فقرأه ، وبلغه يزيدُ مقالة حُجر ، فقال معاوية : زياد أصدق عندنا من حُجر ، فقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفي - ويقال : عثمان بن عمير الثقفي - جُنّاذها جُنّاذها^(١) ، فقال له معاوية : لا تمنّ أبراً^(٢) . فخرج أهلُ الشام ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن ، فأتوا النعمان بن بشير فقالوا له مقالة ابن أمّ الحكم ، فقال النعمان : قتل القوم ، وأقبل عامر بن الأسود العجلى وهو بعنراء يريد معاوية ليُعلمه عليم الرجلين اللذين بعث بهما زياد ، فلما ولّى ليضئ قام إليه حُجر بن عدى يرسف في القيود ، فقال : يا عامر ، اسمع مني ، أبلغ معاوية أن دماءنا عليه حرام ، وأخبره أننا قد أومئنا وصالحناه ، فليقت الله ، ولينظر في أمرنا . فقال له نحواً من هذا الكلام ، فأعاد عليه حُجر مراراً ، فكان الآخر عرض ، فقال قد فهمت لك - أكثرت ، فقال له حُجر : إنني ما سمعتُ بعبب ، وعلى آية تلوم ! إنك والله تحبني وتُعطيني ، وإن حُجراً يقدّم ويقتل ، فلا أومك أن تستقل كلامي ، اذهب عنك ، فكانه استحيا ، فقال : لا والله ما ذلك بي ، ولا بلفظ ولا جهدن ، وكأنه يزعم أنه قد فعل ، وأن الآخر أبي .

١٣٩/٢

(١) الجُنّاذ بالفتح : فصل الشيء عن الشيء . والجُنّاذ بالضم : المقطع والمكسر . قال تمال : (فبطلهم جُنّاذاً إلا كبيراً لهم) .

(٢) يريد : لا تصبهم إصلاحاً . والأبر : إصلاح النخل . (٣) ط : « حل أنه يلوم » .

فدخل عامر على معاوية فأخبره بأمر الرجلين . قال : وقام يزيد بن أسد البجليّ فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي ابنتي عمى — وقد كان جرير بن عبد الله كتب فيها : إن امرأتين من قوى من أهل الجماعة والرأى الحسن ، سمى بهما سائر ظنين إلى زياد ، فبعث بهما في التفر الكوفيّين الذين وجه بهم زياد إلى أمير المؤمنين وهما ممن لا يحدث حديثاً في الإسلام ولا بغياً على الخليفة ، فليضعهما ذلك عند أمير المؤمنين — فلما سألهما يزيد ذكر معاوية كتاب جرير ، قال : قد كتب إلى ابن عمك فيها جرير ، محسنًا عليهماثناء ، وهو أهل أن يصدق قوله ، وتقبل نصيحته ، وقد سألتني ابنتي عمك ، فهما لك . وطلب وائل بن حجر في الأرقم فركه له ، وطلب أبو الأعور السلمي في عتبة بن الأخنس فوجه له ، وطلب حمرة^(١) بن مالك الممداني في سعيد ابن نمران الممداني فوجه له ، وكلّمه حبيب بن مسلمة في ابن حويّة ، فخلّى سبيله .

وقام مالك بن حبيّرة السكوني ، فقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، دُع لي ابن عمي حُجْرًا ، فقال : إن ابن ابن عمك حُجْرًا رأس القوم ، وأخاف إن خليت سبيله أن يُفسد على مصرى ، فيضطرنا غداً إلى أن نُشخصك وأصحابك إليه بالعراق . فقال له : والله ما أنصفتني يا معاوية ، قاتلتُ معك ابن عمك فتلقتاني منهم يوم كيوم صيفين ، حتى ظفرتُ كَفَتِكَ ، وعلا كعبك ولم تخف الدوائر ، ثم سألتك ابن عمي فسطوت وبسطت^(٢) من القول بما^(٣) لا أنتفع به ، وتخوفت فيما زعمت عاقبة الدوائر ! ثم انصرف فجلس في بيته ، فبعث معاوية هدية بن فياض التميمي من بني سلامان بن سعد والحصين ابن عبد الله الكلبي وأبا شريف البدّي ، فاتّوهم عند المساء ، فقال الخنسي حين رأى الأعور مقبلاً : يُقتل نصفنا وينجو نصفنا ؛ فقال سعيد بن نمران : اللهم اجعلني ممن ينجو وأنت عني راضٍ ؛ فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي : اللهم اجعلني ممن يُكرّم بهوانهم وأنت عني راضٍ ؛ فطالما

(١) الأغانى : « حمرة » .

(٢) س : « وبسطت » .

(٣) س : « وفيها » .

عَرَضْتُ نَفْسِي لِلْقَتْلِ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَاهُ !

فجاء رسول معاوية إليهم بتخليفة ستة وبقتل ثمانية ، فقال لهم رسول معاوية : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليٍّ واللعن له ، فإن قطعتم تركناكم ، وإن أبيت قتلناكم ، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك ، فأبرعوا من هذا الرجل نَحْلَ نَسِيلِكُمْ . قالوا : اللهم إنا لسنا فاعلي (١) ذلك . فأمر بقبورهم صفرت ، وأدنت أكفانهم ، وقاموا الليل كله يصلون ، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، لقد رأيناكم البارحة قد أطلمت الصلاة ، وأحسنتم الدعاء ، فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟ قالوا : هو أول من جاز في الحكم ، وعمل بغير الحق ، فقال أصحاب معاوية : أمير المؤمنين كان أعلم بكم ، ثم قاموا إليهم فقالوا : تبرعوا من هذا الرجل ! قالوا : بل نتولاه ونتبرأ من تبرأ منه ، فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقطعه ، ووقع قسيصة بن ضبيعة في يدي أبي شريف البدني ، فقال له قسيصة : إن الشر بين قومي وقومك (٢) أمين ، فليقتلني مواك ، فقال له : برتك رحيم ! فأخذ الحضري قتلته ، وقتل القضاعي قسيصة بن ضبيعة .

قال : ثم إن حُجراً قال لهم : دعوني أتوضأ ، قالوا له : توضأ ، فلما أن توضأ قال لهم : دعوني أصل ركعتين فأبى من الله ما توضأت قط إلا صليت ركعتين ، قالوا : لتصل ، فصللي ، ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاة قط أقصر منها ، ولولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لأجيت أن أستكثر منها . ثم قال : اللهم إنا نستمديك على أمتنا ، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمني بها لئى لأوك فارس من المسلمين هلك في واديه ، وأوك رجل من المسلمين نحتته كلاهما . فثنى إليه الأعور (٣) هدية بن فياض بالسيف ، فأرعدت خصاله (٤) ، فقال : كلا ، زعمت

(١) من : فاعلين . (٢) كذا في س ، وفي ط : « وبين قومك » .

(٣) انظر الألفاظ ١٧ : ١٥١ .

(٤) الخصال : جمع خصيلة ، وهي كل صفة فيها لم غليظ . قال جرير :

يَرْهَزُ وَهَزاً يُرْعِدُ الْخَصَائِلَا .

أنك لا تجزع من الموت؛ فأنا أدّعك فأبرأ من صاحبك، فقال: ما لي لا أجزع؟ وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفنّاً منشوراً، وسيّفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت من القتل لا أقول ما يُسخط الرب. فقَتَلَه، وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة. فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي: ابعثوا بناً إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثلاً مقاتله، فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقاتلتهما، فبعث إليهم أن آتوني بهما^(١).

١٤٢/٢

فلما دخلنا عليه قال الخثعمي: الله الله يا معاوية، فلذلك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ثم مسئول عما أردت بقتلنا، وفيهم سفكت دماءنا، فقال معاوية: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك، قال: أتبرأ من دين علي الذي كان يدّين الله به؟ فسكت، وكثره معاوية أن يحميه.

وقام شميم بن عبد الله من بني قحافة، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي ابن عمي، قال: هو لك، غير أني حاسبه شهراً، فكان يرسل إليه بين كل يومين فيكلمه، وقال له: إني لأنفس بك على العراق أن يكون فيهم مثلك. ثم إن شميمًا عاوده فيه الكلام؛ فقال: نُسِرُك على هبة ابن عمك، فدعاه فخلّى سبيله على ألا يدخل إلى الكوفة ما كان له سلطان، فقال: تخير أي بلاد العرب أحب إليك أن أسيرك إليها؛ فاختر الموصول، فكان يقول: لو قد مات معاوية قدمت الميصر، فأت قبل معاوية بشهر.

ثم أقبل على عبد الرحمن العنزي فقال: إله يا أخا ربيعة! ما قولك في علي؟ قال: دعتي ولا تسألني فإنه خير لك، قال: والله لا أدّعك حتى تخبرني عنه؛ قال: أشهد أنه كان من الذّاكرين الله كثيراً، ومن الأمرين بالحق، والعاثمين بالقسط، والعافين عن الناس؛ قال: فما قولك

(١) بهما في الأغاني: «فالتفت إلى حجير؛ فقال له العنزي: لا تبعد يا حجير، ولا يبعد شواك؛ فتم أغو الإسلام كنت! وقال الخثعمي نحو ذلك، ثم مضى بهما، فالتفت العنزي فقال: معطلا:

كَفَى بِشَفَاةِ الْقَبْرِ بُعْدًا لِهَالِكِي وَبِالْمَوْتِ قَطَاعًا لِحَبْلِ الْقَرَائِنِ

في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح باب الظلم ، وأُرتج أبواب الحق ، قال :
 قتلْت نفسك ، قال : بل إني أقتلُ ، ولا ربيعة بالوادي - يقول حين كلم
 شمس الخثعمي في كريم بن عفيف الخثعمي ، ولم يكن له أحدٌ من قومه
 يكلمه فيه - فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : أما بعد ، فإن هذا
 العنزى شرٌّ من بعثت ، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها ، واقتله شرَّ قتلة .
 فلما قدِم به على زياد بعث به زياد إلى قُسّ الناطف ، فدُفِن به حيًّا .

قال : ولما حُمِل العنزى والخثعمي إلى معاوية قال العنزى لحُجْر :
 يا حُجْر ، لا يبعدُك الله ، فيم أخو الإسلام كنت ! وقال الخثعمي :
 لا تَبْعُدْ ولا تُفْقِدْ ، فقد كنتَ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ثم ذهب
 بهما وأبهما بصره ، وقال : كَفَى بالموت قطعاً لحبل القرائن ! فذهب
 بعُتْبة بن الأخنس وسعيد بن تمران بعد حُجْر بأيام ، فخلّى سبيلهما ^(١) .

* * *

تسمية من قتل من أصحاب حُجْر رحمه الله

حُجْر بن عدى ، وشريك بن شدّاد الحضرمي ، وصَيْقِي بن فسيل
 الشيباني ، وقَيْصِصَة بن ضبيعة العبسي ، ومُحَرِّز بن شهاب السعدي ثم
 المنقري ، وكدام بن حيان العنزى ، وعبد الرحمن بن حسان العنزى ؛
 فبعث به إلى زياد فدُفِن حيًّا بقُسّ الناطف ، فهم سبعة قُتِلوا وكُفِنوا وصُلّوا
 عليهم .

قال : فزعموا أن الحسن لما بلغه قتل حُجْر وأصحابه ، قال : صلُّوا عليهم ،
 وكفّنوهم ، واستقبلوا بهم القبلة ، قالوا : نعم ؛ قال : حُجّوهم وربّ الكعبة !

* * *

تسمية من نجا منهم

كريم بن عفيف الخثعمي ، وعبد الله بن حويّة التميمي ، وعاصم بن

(١) الأغاني ١٦ : ٩ (سأى) .

صوف البَجَلَى ، وورقاء بن سُمَى البَجَلَى ، والأرقم بن عبد الله الكِنْدِي ،
وعتبة بن الأخصس ، من بني سعيد بن بكر ، وسعيد بن غمران الحمداني
فهم سبعة .

• • •

وقال مالك بن هُبيرة السَّكُونِي حين أبى معاوية أن يهبَ له حُجْرًا وقد
اجتمع إليه قومه من كِنْدَةَ والسَّكُونِ ونَاسٍ مِنَ الْيَمَنِ كثير ، فقال :
والله لنحن أغنى عن معاوية من معاوية عنا ، وإننا لنجد في قومه منه بدلًا ،
ولا نجد منّا في الناس خَلَفًا ، سيروا إلى هذا الرجل فلنُخَلِّه من أيديهم ،
فأقبلوا يسرون ولم يشكروا أنهم يَعدُّوا لم يُقتلوا ، فاستقبلتهم قَتَلَتُهُمْ
قد خرجوا منها ، فلما رأوه في الناس ظنوا أنما جاء بهم ليخلص حُجْرًا من
أيديهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ قال : تاب القوم ، وجئنا لنخبر معاوية .
فسكت عنهم ، ومضى نحو عِراء ، فاستقبله بعضُ من جاء منها فأخبره أن
القوم قد قُتِلوا ، فقال : على بالقوم ! وتبعتهُم الحيلُ وسبقوهم حتى دخلوا
على معاوية فأخبروه خبرَ ما أتى له مالكُ بنُ هُبيرة ومن معه من الناس ،
فقال لهم معاوية : اسكنوا ، فلما هي حرارةٌ يجدها في نفسه ، وكأنها قد طفت ،
ورجع مالك حتى نزل في منزله ، ولم يأت معاوية ، فأرسل إليه معاوية فأبى
أن يأتيه ، فلما كان الليل بعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : إن
أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك في ابن عمك إلا شفقة عليك وعلى أصحابك أن
يُعبدوا لكم حربًا أخرى ، وإن حُجْرَ بنِ عَدَى لو قد بقى خشيت أن
يكلفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين
ما هو أعظم من قتل حُجْرٍ ، فقبلها ، وطابت نفسه ، وأقبل إليه من غده
في جموع قومه حتى دخل عليه ورضى عنه .

١٤٥/٢

قال أبو مخنف : وحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أن عائشة
رضي الله عنها بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حُجْرٍ

وأصحابه ، قدّم عليه وقد قتلهم ، فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك حلمُ أبي سُفيان ؟ قال : غاب عني حين غاب عني مثلك من حلماء قومي ، وحملتني ابنُ مُيمية فاحتملت .

قال أبو مخنف : قال عبد الملك بن نوفل : كانت عائشة تقول : لولا أنا لم تغيّر شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيرنا قتل حُجر ، أما والله إن كان ما علمتُ لمسلماً حجاجاً معتمراً .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن نوفل ، عن سعيد المقبري^(١) ، أن معاوية حين حجّ مرّ على عائشة — رضوانُ الله عليها — فاستأذن عليها ، فأذنت له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية ، أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك ؟ قال : بيت الأمن دخلت ، قالت : يا معاوية ، أما خشيت الله في قتل حُجر وأصحابه ؟ قال : لست أنا قتلتهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم .

قال أبو مخنف : حدثني زكرياء بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ وهم يقولون : إن أولَ دُخل الكوفة موتُ الحسن بن علي وقتل حُجر بن عدي ، ودعوةُ زياد .

قال أبو مخنف : وزعموا أن معاوية قال عند موته : يومٌ لي من ابن الأدهر طويل ! ثلاث مرّات — يعني حُجراً .

قال أبو مخنف : عن الصقعب بن زهير ، عن الحسن ، قال : أربع خصال كنّ في معاوية ؛ لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت مُوبقة : انتزاعه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة ؛ واستخلافه ابنه بعده سيّئاً خميّاً ، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ؛ وادّعاؤه زياداً ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » ، وقتله حُجراً ، ويلاً له من حُجر ! مرتين .

(١) هو سعيد بن أبي سعيد ، وقى ط : « أبو سعيد » ، وانظر للنهري .

وقالت هند ابنة زيد بن عزيمة الأنصارية، وكانت تشيع ترثي حُجراً:

تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ النِّيرُ تَبْعَرُ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ^(١)
يَسِيرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
تَجَبَّرَتِ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ وَطَابَ لَهَا الْخَوَزَنْقُ وَالسَّلِيلُ^(٢)
وَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ بِهَا مُحُولًا كَأَنَّ لَمْ يُحْيِهَا مَزْنٌ مَطِيرُ
أَلَا يَا حُجْرَ حَجْرَ بَنِي عَلِيٍّ تَلَقَّتْكَ السَّلَامَةُ وَالسُّرُورُ
أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أَرَادَى عَلِيًّا^(٣) وَشَبَّخَا فِي دِمَشْقَ لَهُ زَيْرُ
يَرَى قَتْلَ الْخِيَارِ عَلَيْهِ حَقًّا لَهُ مِنْ شَرِّ أُمَّتِهِ وَزَيْرُ
أَلَا يَا بَيْتَ حُجْرٍ مَاتَ مَوْتًا وَلَمْ يُنَحَرَ كَمَا نُحِرَ الْبَعِيرُ!
فَلَا تَهْلِكْ فَكُلُّ زَعِيمٍ قَوْمٍ مِنْ الدُّنْيَا إِلَى مُلْكٍ يَبْعِيرُ

وقالت الكتبية ترثي حُجْرًا - ويقال: بل قاتلها هذه الأنصارية:

دُمُوعُ عَيْنِي دِيمَةٌ تَقَطُرُ تَبْكِي عَلَى حُجْرٍ وَمَا تَقُورُ
لَوْ كَانَتِ الْقَوْسُ عَلَى أَمْرِهِ مَا حُمِلَ السِّيفُ لَهُ الْأَعُورُ

١٤٧/٢

وقال الشاعر يحرّض بني هند من بني شيبان على قيس بن عباد حين

سعى بصنفي بن قيسيل:

دَعَا أَبْنُ فُسَيْلٍ يَالَ مَرْءَ دَعْوَةٍ وَلَا قَى ذِيَابَ السِّيفِ كَفًّا وَمَغْنَمًا
فَحَرَّضَ بَنِي هِنْدٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ وَقُلْ لِيْغَاثٍ وَابْنِهِ يَنْكَلُمَا
لِتَبْلُوكُ بَنِي هِنْدٍ قَتِيلَةً مِثْلَ مَا بَكَتْ عِرْسُ صَنْفِيٍّ وَتَبَعَتْ مَا مِمَّا

غياث بن عمران بن مرة بن الحارث بن دُب بن مرة بن ذهل بن شيبان،
وكان شريفًا، وقَتِيلَةً أخت قيس بن عباد، فعاش قيس بن عباد حتى

(١) الأغاني ١٦ : ٤١٠ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات.

(٢) الأغاني : « ترثت الجبابرة » . (٣) الأغاني : « أخاف عليك سطوة آل حرب » .

قاتل مع ابن الأشعث في موطنه ، فقال حَوْشَبُ الحجاج بن يوسف : إن منّا امرأً صاحبَ فنٍّ ووثوبٍ على السلطان ، لم تكن فتنةً في العراق قطّ إلا وثب فيها ، وهو ترابيّ ، يلعن عثمان ، وقد خرج مع ابن الأشعث فشهد معه في موطنه كلها ، يحرّض الناسَ حتى إذا أهلكهم الله ، جاء فجلس في بيته ، فبعث إليه الحجاجُ فضرب عنقه ، فقال بنو أبيه لآل حَوْشَب : إنّما سعيتمُ بنا سعيًا ، فقالوا لهم : وأنتم إنّما سعيتمُ بصاحبنا سعيًا .

١٤٨/٢ قال أبو عَنف : وقد كان عبد الله بن خليفة الطائيّ شهد مع حُجْر ابن عدى ، فطلبه زياد فتوارى ، فبعث إليه الشرط ، وهم أهل الحمراء يومئذ ، فأخلوه ، فخرجت أخته التوارى فقالت : يا معشر طييّ ، أنسلمون سناتكم ولسانكم عبد الله بن خليفة ! فشدّ الطائيّون على الشرط فضربوهم وانتزعوهم عبد الله بن خليفة ، فرجعوا إلى زياد ، فأخبروه ، فوثب على عدى ابن حاتم وهو في المسجد ، فقال : اتّبنى بعبد الله بن خليفة ، قال : وما له ! فأخبره ، قال : فهذا شيء كان في الحى لا علم لي به ؛ قال : والله لتأتينني به ؛ قال : لا ، والله لا آتيك به أبدًا ، أجيتك بابن عمّي تقتله ! والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه . قال : فأمر به إلى السجن ، قال : فلم يبق بالكوفة يمانيّ ولا ربّعيّ إلاّ أناه وكلّمه ، وقالوا : تفعل هذا بعدى بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فإني أخرجه على شرط ، قالوا : ما هو ؟ قال : يخرج ابن عمّه عنى فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان . فأتى عدى فأخبر بذلك ، فقال : نعم ، فبعث عدى إلى عبد الله ابن خليفة فقال : يا ابن أخى ، إنّ هذا قد لجّ في أمرك ، وقد أبى إلاّ إخراجك عن ميصرك ما دام له سلطان ، فالحقّ بالجلبين ، فخرج ؛ فجعل عبد الله ابن خليفة يكتب إلى عدى ، وجعل عدى يمتنيه ، فكتب إليه :

تذكّرتُ ليلي والشّيبَةَ أعصُرَا وذكرُ الصّبا بَرَحٌ على من تذكّرا
وَوَلَّى الشّبابُ فاقتقدتُ غُصُونَهُ^(١) فيالك من وجَدَ به حين أدبِرا !

١٤٩/٢ فدع عنك تذكّار الشباب وفقدته
وبكك على الخللان لما تحرّموا
دعتهن منابهن ومن حان يومه
أولئك كانوا شيعة لي وموتلاً
وما كنت أهرى بعدهم متعللاً
أقول ولا والله أنسى أذكّارهم
على أهل عذراء السلام مضاعفاً
ولاقى بها حبر من الله رحمة
ولا زال تهطل مليث ودعة
فيا حبر من للخليل تذى نخورها
١٥٠/٢ ومن صادق بالحق بعلك ناطق
فنعيم أخو الإسلام كنت وإننى
وقد كنت تعطى السيف الحرب حقه
فيا أخوتنا من همهم عصيتنا
ويا أخوى الخنلبيين أبشرا
ويا إخوتنا من حضر موت وغالب

وأثارة إذ بان منك فأقصرا^(١)
ولم يجئوا عن منهلي الموت مصلوا
من الناس فاعلم أنه لن يؤخرا
إذا اليوم ألقى ذا أحيدام مذكرا
بشيء من الدنيا ولا أن أعمرأ
سجيس الليالي أو أموت فأقبرا^(٢)
من الله وليسق الغمام الكنهورا^(٣)
فقد كان أرمى الله حبر وأعلنا
على قبر حبر أرينادى فيحشرا^(٤)
وللمليك المغزى إذا ما تغشرا^(٥)
يتقى ومن إن قيل بالجور غيرأ
لأطمع أن تؤى الخلود وتحبرا
وتعرف معروفاً وتكر منكرأ
ويسرثما للصالحات فأبشرا^(٦)
فقد كنتا حييتما أن تبشرا
وشيان لقيتم حساباً مبشرا^(٧)

(١) ابن الأثير : « وأسباه فبان منك فأجرا » .

(٢) سجيس الليالي ، أى المهر كله

(٣) مرج طوا ، هو الموضع الذى قتل فيه حبر ، والكنهور ، كسفرجل : قطع من الصحاب تشبه بالحيات .

(٤) الملك : المهر القائم .

(٥) ابن الأثير : « المغزى » . والتغشور : إتيان الأمر من غير تثبت ، أو التلطم .

(٦) ابن الأثير : « وبشرثما بالصالحات » .

(٧) ابن الأثير : « جناباً مبشراً » .

سَعَدْتُمْ فَلَمْ أَسْمَعْ بِأَصُوبَ مِنْكُمْ
سَأْبِكِيكُمْ مَا لَاحَ نَجْمٌ وَفَرَدَ الْ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَظْلَمَ أَهْوَتْ بَنَ طَيْئِهِ
مَيْلَتُمْ أَلَا قَاتَلْتُمْ عَنْ أَخِيكُمْ
فَفَرَجْتُمْ عَنِي فَعُودِرْتُ مُسْلِمًا^(١)
فَمَنْ لَكُمْ مِثْلِي لَدَى كُلِّ غَارَةٍ
وَمَنْ لَكُمْ مِثْلِي إِذَا الْحَرْبُ قُلَصَتْ^(٢)
فَهَا أَنَا ذَا دَارِي بِأَجْبَالِ طَيْئِهِ
نَفَالِي حُدُودِي ظَالِمًا عَنْ مُهَاجِرِي
وَأَسْلَمَتِي قَوِي لِفَسِيرِ جِنَايَةِ
فَلِإِنْ أَلْفَتِي دَارِ بِأَجْبَالِ طَيْئِهِ^(٣)
فَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَرَى مُتَغَرِّبًا
لِحَا اللَّهِ قَتَلَ الْحَضَرَمِيِّينَ وَاللَّا^(٤)
وَلَأَقَى الرَّدَى الْقَوْمَ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمٌ لَعْنَتِ بْنِ طَيْئِهِ

حِجَابًا لَدَى الْمَوْتِ الْجَلِيلِ وَأَصْبَرَا
حِمَامٌ يَبْطُنُ الْوَادِيَيْنِ وَفَرَقَرَا
مَنْ كُنْتُ أَخْشَى بَيْنَكُمْ أَنْ أُسَيَّرَا^(١)
وَقَدْ ذَبُّ حَتَّى مَالٍ لَمْ تَجُورَا^(٢)
كَأَنِّي غَرِيبٌ فِي إِيَادٍ وَأَعْصَرَا^(٣)
وَمَنْ لَكُمْ مِثْلِي إِذَا الْبَأْسُ أَصْحَرَا
وَأَوْضَعَ فِيهَا الْمُتَحَنِّبُتُ وَشَعَرَا
طَرِيدًا وَلَوْ شَاءَ إِلَهُ لَغَيْرَا
رَضِيتُ بِمَا شَاءَ إِلَهُ وَقَدَّرَا
كَأَن لَمْ يَكُونُوا لِي قَبِيلًا وَمَعَشَرَا
وَكَانَ مَعَانًا مِنْ عَصِيرٍ وَمَعْصَرَا^(٤)
لِحَا اللَّهِ مِنْ لَأَحَى عَلَيْهِ وَكَثُرَا
وَلَأَقَى الْفَنَاءَ مِنَ السَّنَانِ الْمَوْفَرَا^(٥)
عَلَيْنَا وَقَالُوا قَوْلَ زُورٍ وَمُنْكَرَا
لَأَنَّ دَهْرَهُمْ أَشْقَى بِهِمْ وَتَغْيِرَا

(١) س : « منكم » .

(٢) ابن الأثير : « دث » بالبناء المجهول ؛ يقال : دث الرجل دثًا ، وهو التواء في جنبه

أو بعض جسده من غير داء .

(٣) ابن الأثير : « تفرجتم » .

(٤) ابن الأثير : « من إِيَاد » .

(٥) قلصت ؛ أي قامت واشتعلت ؛ وأصله في الإبل ؛ يقال : قلصت الإبل في سبيلها ؛

أي شمرت وجهت .

(٦) س : « فإن ألقى » .

(٧) الهان : المنزل واللبنة . وصير ، تصغير مصر .

(٨) ابن الأثير : « قهيل الحضرميون » .

عليهم عَجَاجًا بِالْكُوفَةِ أَكَلُوا
جَدِيلَةَ وَالْحَبِثِينَ مَعْنًا وَيُحْتَرَا
أَلَمْ أَكُ فَيْكُمْ ذَا الْغَنَاءِ الْعَشَنُرَا ^(١) !
أَمَامَكُمْ أَلَا أَرَى الدَّهْرَ مُدِيرَا
وَقَتْلِي الْهُمَامِ الْمُسْتَمِيتِ الْمُسَوْرَا
وَيَوْمَ نِيهَاوَنَدِ الْفُتُوحِ وَتُسْتَرَا
بِصِفَتَيْنِ فِي أَكْثَافِهِمْ قَدْ تَكْسَرَا
بِرَفْعِي وَخِلْدَلَانِي جَزَاءَ مُوقِرَا
عَشِيَّةً مَا أَغْنَتْ عَلَيْكَ حِزْمَرَا ^(٢) !
وَكُنْتُ أَنَا الْخَصَمُ الْأَكْدُ الْعَلَوْرَا ^(٣)
رَأَوْنِي لَيْشًا بِالْأَبَاءَةِ مُخْلَرَا ^(٤)
بَعِيدًا وَقَدْ أُفِرِدْتُ نَصْرًا مُؤَزَّرَا ^(٥)
سَجِينًا وَأَنْ أَوْلَى الْهَوَانِ وَأَوْسَرَا
فَلَمْ تُغْنِ بِالْمِيعَادِ عَنِّي حَبْتَرَا ^(٦)
أَهْرَهْرُ إِنْ رَاعَى الشُّوَهَاتِ مَهْرَرَا ^(٧)
وَلَمْ أَتْرُكِ الْقِرْنَ الْكُمَى مُقَطَّرَا ^(٨)

فَلَمْ أَهْزُهُمْ فِي الْمُطْلَعِينَ وَلَمْ أَثَرِ
فَبَلَغَ خِلْيَ لِي أَنْ رَحَلْتُ مُشْرِقَا
وَتَبَهَّانَ وَالْأَكْنَاءَ مِنْ جِلْمِ طَيْبِي
أَلَمْ تَذْكُرُوا يَوْمَ الْعَنْبِيْبِ أَلَيْبِي
وَكُرْتِي عَلَى يَهْرَانَ وَالْجَمْعُ حَاسِرَا ^(١)
وَيَوْمَ جَلُولِهِ الْوَقِيْعَةِ لَمْ أَلَمْ ^(٢)
وَتَنْسَوْنِي يَوْمَ الشَّرِيعَةِ وَالْقَنَا
جَزَى رِيَّةً عَنِّي عَدَى بَنِ حَاتِمِ
أَتَنْسَى بِلَالِي سَائِرًا يَا بَنَ حَاتِمِ
فَدَفَاعْتُ عَنْكَ الْقَوْمَ حَتَّى تَخَاذِلُوا
فَوَلَدُوا وَمَا قَامُوا مَقَامِي كَأَنَّمَا
نَصَرْتَكُمْ لِإِفْخَامِ الْقَرِيبِ وَأَبْعَطَ الْإِ
فَكَانَ جَزَائِي أَنْ أَجْرَدَ بَيْنَكُمْ
وَكَمْ عِلَّةٌ لِي مِنْكَ أَنْكُ رَاجِعِي
فَأَصْبَحْتُ أَرَعَى النَّيْبَ طَوْرًا وَتَارَةً
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لَغَارَةً

١٠٣/٢

١٥٤/٢

(١) المشنور : العظيم الخلق .

(٢) ابن الأثير : « وألجس جالس » .

(٣) س : « لم أتم » .

(٤) كذا في ابن الأثير : وفي ط : « حطرا » .

(٥) العلور : القوي الشديد .

(٦) الأبيات : القصبة ؛ وتكون مأوى للأسود .

(٧) غام : نكس ، والإبساط : الحرب ، وفي ابن الأثير : غام ، أي نكس .

(٨) الحبتير : الثعلب .

(٩) هرهري بالفتح : دعاها إلى الشرب .

(١٠) هذا البيت والثالثان له في ياقوت ٦ : ٣٦ ، قال : « بحساس ، بكسر أوله وفتح ثانيه

وأخره سين مهمله : بلد بين ههنا وأههه » .

ولم أعتزض بالسيف خيلاً مُفيرةً
ولم أستحيث الركض في إثر عُصبة
ولم أذعر الأبلام منى بغارة
ولم أر في خيل تطاعن بالقنا^(١)
فذلك دهر زال عنى حبيبه
فلا يبعذن قومي وإن كنت غائباً^(٢)
ولا خير في الدنيا ولا العيش بعلمهم

فات بالجليكين قبل موت زياد .

١٠٠/٢

وقال عُبَيْدَةُ الكِنْدِيُّ ثم البدوي ، وهو بعير محمد بن الأشعث بخذلانه
حُجراً :

أسلمت عمك لم تُقاتِلْ دونهُ
وقتلته وإفد آل بيت محمد
لو كنت من أسد عرفت كرامتي
ورأيت لي بيت الحُباب شفيهاً
فرقاً ولولا أنتَ كان منيعاً
وسلبت أسيفاً له ودروعاً

* * *

[ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان]

وفي هذه السنة وجه زياد^١ الربيع بن زياد الحارثي أميراً على خراسان بعد
موت الحكم بن عمرو الغفاري ، وكان الحكم قد استخلف على عمله بعد
موته أنس بن أبي أناس ، وأنس هو الذي صلى على الحكم حين مات فدُفن
في دار خالد بن عبد الله أخى خُلَيْد بن عبد الله الحنفي ، وكتب بذلك الحكم
إلى زياد ، فمزل زياد^٢ أنسا ، وولّى مكانه خُلَيْد بن عبد الله الحنفي .

(١) ابن الأثير : « تطاعن مظهرها » . (٢) ابن الأثير : « وإن كنت غائباً » .

فحدثني عمر، قال : حدثني علي بن محمد، قال : لما عزل زياد أنساً وولى مكانه خُليد بن عبد الله الحنفى قال أنس :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِ زِيَادَا مُظْلَمَةٌ يَحْبُ بِهَا الْبَرِيدُ
أَتَعَزِّلِي وَتَطْعِمُهَا خُلَيْدَا لَقَدْ لَأَقَتْ حَنِيئَةً مَا تَرِيدُ
عَلَيْكُمْ بِالْيَامَةِ فَاحْرُثُوهَا فَلَوْ كُفِّمْ وَأَخْرُكُم عَيْبِدُ

١٥٦/٢

فولى خُليداً شهراً ثم عزله، وولى خُرَّاسَانَ ربيع بن زياد الحارثى في أول سنة إحدى وخمسين، فقتل الناسُ عيالاً إليهم إلى خُرَّاسَانَ، ووطنوا بها، ثم عزل ربيع .

فحدثني عمر، قال : حدثني علي ، عن مسلمة بن عمار وصيد الرحمن ابن أبان القرشي ، قالا : قدم ربيع خُرَّاسَانَ ففتح بلخ صلحاً ، وكانوا قد أغلقوها بعد ما صالحهم الأحنف بن قيس ، وفتح قهستان عتوةً ، وكانت بناحيتهما أتراك ، فقتلهم وهزمهم ، وكان ممن بقى منهم نيزك طرخان ، فقتله قتيبة بن مسلم في ولايته .

حدثني عمر، قال : حدثنا علي ، قال : غزا الربيع قطع النهر ومعه غلامه فروخ وجاريتة شريفة ، فغنم وسك ، فأعنتى فروخاً ، وكان قد قطع النهر قبله الحكم بن عمرو في ولايته ولم يفتح .

فحدثني عمر، عن علي بن محمد، قال : كان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم ، اغترف برؤسه فشرب ، ثم فاول الحكم فشرب ، وتوضأ وصلى من وراء النهر ركعتين ، وكان أول الناس فعل ذلك ، ثم قتل .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق كله زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة عميرة بن يثرب .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فزعم الواقدي أن فيها كانت غزوة سُفْيَان بن عوف الأزدي ، ومشتاه بأرض الروم ، وأنه توفي بها ، واستخلف عبد الله بن مسعدة القزاري .
وقال غيره : بل الذي شتأ بأرض الروم في هذه السنة بالناس يُسمَر بن أبي أرطاة ، ومعه سُفْيَان بن عوف الأزدي ، وغزا الصابئة في هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفي .

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بنُ العاص في قول أبي معشر والواقدي وغيرهما .
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال عليها كانوا في سنة إحدى وخمسين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مشى عبد الرحمن بن أمّ الحَكَمِ الثَّقَفِيّ بأرض الروم .

وفيها فتحت رُودُس ، جزيرة في البحر ، ففتحها جُنادة بن أبي أمية الأزدِيّ ، فتركها المسلمون - فيها ذكر محمد بن عمر - وزرعوا واتخلوها بها أموالاً ومواشيَ يترعونها حولها ، فإذا أمسوا أدخلوها الحصن ، ولم ناطور^(١) يحذّرهم ما في البحر ممن يريد بهم بكتيد ، فكانوا على حذرٍ منهم ، وكانوا أشدّ شيء على الروم ، فيعرضونهم في البحر فيقطعون سفنهم ، وكان معاوية يُدبر لهم الأرزاق والعطاء ، وكان العدو قد خافهم ، فلما مات معاوية أقفلهم يزيد بن معاوية .

* * *

وفيها كانت وفاةُ زياد بن سُمَيّة ، حدثني عمر ، قال : حدثنا زهير ، قال : حدثنا وهيب ، قال : حدثني أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن الزبير ، عن فيل مولى زياد ، قال : ملك زياد العراقَ خمسَ سنين ، ثم مات سنة ثلاث وخمسين .

١٥٨/٢

حدثني عمر ، قال ، حدثنا عليّ بن محمد ، قال : لما نزل زياد على العراق بقى إلى سنة ثلاث وخمسين ، ثم مات بالكوفة في شهر رمضان وخليفته على البصرة سمرّة بن جندب .

* * *

ذكر سبب مهلك زياد بن سُمَيّة

حدثني عبد الله بن أحمد المروزيّ ، قال : حدثنا أبي ، قال حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرني عبد الله بن شوذب ، عن كثير بن زياد ، أن زياداً كتب إلى معاوية : إني ضبعت العراقَ بشيعة ،

(١) الناطور : حافظ الزرع والتمر والكرم .

ويعني فارغة . فضم إليه معاوية العروض - وهي اليازمة وما يليها - فدعا عليه ابن عمر ، فطعن ومات . فقال ابن عمر حين بلغه الخبر : اذهب إليك ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرة أدركت .

حدثني عمر ، قال : حدثني عليّ ، قال : كتب زياد إلى معاوية : قد ضبعت لك المراق بشيالي ويعني فارغة ، فاشغلها بالحجاز ، وبعث في ذلك الميثم بن الأسود النخعي ، وكتب له عهده مع الميثم ، فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فذكروا ذلك له ، فقال : ادعوا الله عليه يكفكموه ، فاستقبل القبله واستقبلوها فدعوا ودعا ، فخرجت طاعة على أصبعه ، فأرسل إلى شريح - وكان قاضيهم - فقال : ١٥٩/٢ حدثني بي ما تترى ، وقد أمرت بقطعها ، فأشهر عليّ ، فقال له شريح : إني أخشى أن يكون الجراح على يدك ، والألم على قلبك ، وأن يكون الأجل قد دنا ، فقلقي الله عز وجل أجندم ، وقد قطعت يدك كراهية للاقاه (١) ، أو أن يكون في الأجل تأخير وقد قطعت يدك فتعيش أجندم وتغير ولدك . فتركها ، وخرج شريح فسألوه ، فأخبرهم بما أشار به ، فلاموه وقالوا : هلا أشرت عليه بقطعها ! فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المستشار مؤتمن » .

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : قال عبد الله : سمعت بعض من يحدث أنه أرسل إلى شريح يستشير في قطع يده ، فقال : لا تفعل ، إنك إن عشت صرت أجندم ، وإن هلكك إيتاك جانيها على نفسك ، قال : أنام والطاعون في لحاف ! فزعم أن يفعل ، فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وترك ذلك .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عبد الملك بن قُريب الأصمعي ، قال : حدثني ابن أبي زياد ، قال : لما حضرت زياداً الوفاة قال له ابنة : يا أبت ، قد هيأت لك ستين ثوباً أكفئك فيها ، قال : يا بني ، قد دنا من أهلك

(١) ابن الأثير : « كراهية للاقاه » .

لباس خير من لباسه هذا ، أو سلب سريح ، فأت فدُفن بالثوبة إلى جانب الكوفة ، وقد توجه يزيد إلى الحجاز والياً عليها ، فقال مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم :

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَكْتُ جِهَارًا حِينَ ودَعَسَا زِيَادُ ١٦٠/٢

وقال الفرزدق لمسكين - ولم يكن هجا زياداً حتى مات :

أَمْسِكَيْنِ أَبْكِي اللَّهُ عَيْنَكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ صَمْعُهَا فَتَحَدَّثُوا
بَكَيْتُ امْرَأً مِنْ آلِ مَيْسَانَ كَأَفْرَأَ كَكِسْرَى عَلَى عَدَانِهِ أَوْ كَقَبْصَرَا
أَقُولُ لَهُ لَنَا أَتَانِي نَيْمُهُ بِهِ لَا يَغْطِيهِ بِالصَّرْعَةِ أَغْفَرَا

فأجابه مسكين ، فقال :

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي لَسْتُ نَاطِقًا وَلَا قَاعِدًا فِي الْقَوْمِ إِلَّا أَنْتَ بَرَى لِيَا
فَجِئْنِي بِعَمٍّ مِثْلَ عَمِّي أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبِي أَوْ خَالٍ صَدَقِ كَخَالِيَا
كَمَنْزُورِ بْنِ عَمْرِو أَوْ زُرَّارَةَ وَالِدَا أَوْ الْبَشِيرِ مِنْ كُلِّ فَرَعَتِ الرُّوَابِيَا
وَمَا زَالَ بِي مِثْلُ الْقَنَازَةِ وَسَابِحِ وَخَطَّارَةِ غَيْبِ السُّرَى مِنْ عِيَالِيَا
فَهَذَا لِأَيَّامِ الْخِفَافِ وَهَلْجِي وَهَذَا عُدَّةٌ لَا رَمَحَالِيَا !

وقال الفرزدق :

١٦١/٢

أَبْلَغُ زِيَادًا إِذَا لَاقَيْتَ مَصْرَعَهُ أَنْ الْحَمَامَةَ قَدْ طَارَتْ مِنَ الْحَرَمِ
طَارَتْ فَمَا زَالَ يَنْتَبِهَا قَوْدِمُهَا حَتَّى اسْتَفَافَتْ إِلَى الْأَنْهَارِ وَالْأَجَمِ

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، عن سليمان ، قال :
حدثني عبد الله ، عن جرير بن حازم ، عن جرير بن يزيد ، قال : رأيت
زياداً فيه حفرة ، في عينه اليمنى انكسار ، أبيض الحية غروطها ، عليه
قميص مرقع ، وهو على بظلة عليها لحامها قد أرسنها .

[ذكر الخبير عن وفاة الربيع بن زياد الحارثي]

وفي هذه السنة كانت وفاة الربيع بن زياد الحارثي ، وهو عامل زياد على خُرَاسان .

ذكر الخبير عن سبب وفاته :

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : وكى الربيع بن زياد خُرَاسانَ ستين وأشهرًا ، ومات في العام الذي مات فيه زياد ، واستخلف ابنه عبد الله بن الربيع ، فولي شهرين ، ثم مات عبد الله . قال : قدم عهده من قبل زياد على خُرَاسانَ وهو يُدفن ، واستخلف عبد الله بن الربيع على خُرَاسانَ خُليد بن عبد الله الحنفي .

قال علي : وأخبرني محمد بن الفضل ، عن أبيه ، قال : بلغني أن الربيع ابن زياد ذكر يومًا بخُرَاسانَ حُجْرَ بن عدى ، فقال : لا تزال العرب تقتل صبرًا بعده ، ولو نفرت عند قتل لم يقتل رجل منهم صبرًا ، ولكنها أقرت ١٩٢/٢ فدللت ، فكث بعد هذا الكلام جمعة ، ثم خرج في ثياب يابس في يوم جمعة ، فقال : أيها الناس ، إني قد ملكت الحياة ، وإني خارج بدعوة فأمستوا . ثم رفع يده بعد الصلاة ، وقال : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً . وأمن الناس فخرج ، فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل إلى بيته ، واستخلف ابنه عبد الله ، ومات من يومه ، ثم مات ابنه ، فاستخلف خُليد بن عبد الله الحنفي ، فأقره زياد ، فمات زياد وخُليد على خُرَاسانَ ، وهلك زياد وقد استخلف على عمله على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى البصرة سمره بن جندب الفزاري .

فحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي ، قال : مات زياد وعلى البصرة سمره بن جندب خليفة له ، وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأقر سمره على البصرة ثمانية عشر شهرًا .

قال عمر : وبلغني عن جعفر بن سليمان الضبعي ، قال : أقر معاوية سمره بعد زياد ستة أشهر ، ثم عزله ، فقال سمره : لعن الله معاوية ! والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عدني أبدًا .

حدثني عمر، قال : حدثني موسى بن إسماعيل، قال : حدثني سليمان ابن مسلم العجلي، قال : سمعت أبي يقول : مررت بالمسجد، فجاء رجل إلى سمرة فأدى زكاة ماله، ثم دخل فجعل يصل في المسجد، فجاء رجل فضرب عنقه، فاذا رأسه في المسجد، وبدنه ناحية، فرأى أبو بكر، فقال : يقول الله سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى • وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (١)، قال أبي : فشهدت ذلك، فامات سمرة حتى أدخله الزمهرير، فمات شهيداً، قال : وشهدته وأتى بناس كثير وأكاس بين يديه فيقول للرجل : ما دينك ؟ فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وأنى يرى من الحرورية، فيقدم فيضرب عنقه حتى مر بضعة وعشرين .

• • •

وحيج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص في قول أبي معشر الواقدي وغيرهما .

وكان العامل فيها على المدينة سعيد بن العاص، وعل الكوفة بعد موت زياد عبد الله بن خالد بن أسيد، وعل البصرة بعد موت زياد سمرة بن جندب، وعل خراسان علقيد بن عبد الله الحنفي .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشْتَى محمد بن مالك أرض الروم ، وصاحبة مَعْن بن يزيد السُّلَمِي .

وفيهما - فيما زعم الواقدي - فَتَحْ جُنَادَةُ بن أبي أمية جزيرة في البحر قريية من قُسْطَنْطِينِيَّة يقال لها أَرُود^(١) .

وذكر محمد بن عمر أنَّ المسلمين أقاموا بها دهرًا ، فيما يقال سبع سنين ، وكان فيها مجاهد بن جَبْرِ . قال : وقال ثُبَيْج ابنُ امرأة كعب : ترون هذه الدرجة ؟ إذا انقلعت جاءت قفلتنا . قال : فهاجت ريحٌ شديدة فقلعت الدرجة ، وجاء نعي معاوية وكتاب يزيد بالقفل فقفلنا ، فلم نَعْمُرْ بعد ذلك وخربت ، وأمين الروم .

[ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان]

وفيهما عزَّل معاويةُ سعيدَ بن العاص عن المدينة ، واستعملَ عليها ١٦٤/٢ مَرْوَانَ بنَ الحَكَمِ .

* ذكر سبب عزل معاوية سعيداً واستعمال مَرْوَانَ :

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، عن جُوَيْرِ بن أسماء ، عن أشياخه ، أنَّ معاوية كان يُغْرِى بين مَرْوَانَ وسعيد بن العاص ، فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة : اهدِم دارَ مَرْوَانَ ، فلم يَهْدِ منها ، فأعاد عليه الكتابَ بهدْمها ، فلم يَفْعَلْ ، فمزَّله وولَّى مروان .

وأما محمد بن عمر ، فإنه ذكر أنَّ معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموال مَرْوَانَ كُلِّهَا فيجعلها صافيةً ، ويقبضَ فذلكَ منه - وكان

(١) م : «أرواده» .

وبعها له ، فراجعه سعيد بن العاص في ذلك ، وقال : قرأته قرية . فكتب إليه ثانية يأمره باصطفاء أموال مَرْوَانَ ، فأبى ، وأخذ سعيد بن العاص الكتائبين فوضعهما عند جارية ، فلما عزل سعيد عن المدينة فوليهما مروان ، كتب معاوية إلى مَرْوَانَ بن الحكم يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز ، وأرسل إليه بالكتاب مع ابنه عبد الملك ، فخبّره أنه لو كان شيئاً غير كتاب أمير المؤمنين لثجاقتُ ، فدعا سعيد بن العاص بالكتائبين اللذين كتب بهما معاوية إليه في أموال مَرْوَانَ يأمره فيهما بقبض أمواله ، فذهب بهما إلى مَرْوَانَ ، فقال : هوَ كان أوصلَ لنا مِنّا له ! وكفّ عن قبض أموال سعيد .

وكتب سعيد بن العاص إلى معاوية : العَجَبُ مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا ، أن يُضغِنَ بعضنا على بعض ! فأمر المؤمنين في حِلْمِهِ وصبرِهِ على ما يكره من الأجنبيّين^(١) ، وغفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء ، وتوارث الأولاد ذلك ، فوالله لو لم تكن بنى أب واحد إلّا بما جمعنا الله عليه من نصر الخليفة المظلوم ، واجتماع كلمتنا ، لكان حقاً علينا أن نرعى ذلك ، والذي أدركتنا به غير . فكتب إليه يتنصّل من ذلك ، وأنه عائد إلى أحسن ما يمهده .

١٦٥/٢

* * *

عاد الحديث إلى حديث عمر ، عن علي بن محمد ، قال : فلما ولّى مَرْوَانَ كتب إليه : اهدِم دارَ سعيد ، فأرسل الفعلة ، ورَكِبَ ليهدمها ، فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك ، أتهدم دارى ! قال : نعم ، كتب إلى أمير المؤمنين ، ولو كتب في هدم دارى لفعلت ، قال : ما كنت لأفعل ، قال : بلى ، والله لو كتب إليك لهدمتها ، قال : كلا أبا عبد الملك . وقال لغلامه : انطلق فجنّى بكتاب معاوية ، فجاء بكتاب معاوية إلى سعيد بن العاص في هدم دار مَرْوَانَ بن الحكم ، قال : مَرْوَانَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَا أبا عِثَانَ في هدم دارى ، فلم تهتم ولم تحلمنى . قال : ما كنت لأهدم دارك ، ولا أؤمن^(٢) ، عليك ، وإنما أريد معاوية أن يحرض بيننا ، فقال

(١) كلما في س ، وفي ط : الإخمين .

(٢) س : ولا آمن .

مرزبان : فإني أرى وأنت والله أكثر من ريشاً^(١) وصفتك . ورجع
مرزبان ولم يهدم دار سعيد .

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا أبو محمد بن ذكوان
القرشي ، قال : قدم سعيد بن العاص على معاوية ، فقال له : يا أبا حنّان ،
كيف تركت أبا عبد الملك ؟ قال : تركته ضابطاً لحملك ، متفدياً لأمرك . ١٦٦/٢
قال : إنه كصاحب الخبزة كُفّي نضجها فأكلها ، قال : كلاً ، والله
يا أمير المؤمنين ، إنه لمع قوم لا يحمل بهم السوط ، ولا يحمل لهم السيف ،
يتهادون كوكع النبل ، سهم لك وسهم عليك ، قال : ما بعد بينك وبينه ؟
قال : خافني على شرفه ، وخيفته على شرفي ، قال : فلماذا له عندك ؟
قال : أسرّه غائباً ، وأسرّه شاهداً ، قال : تركتنا يا أبا حنّان في هذه
الفتات ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فحملت الثقل ، وكفيت الحرم ،
وكننت قريبا لو دعوت أجبت ، ولو ذهبت رفعت .

• • •

وفي هذه السنة كان عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة ، واستعمل
عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان . فحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد
قال : عزل معاوية سمرة وولي عبد الله بن عمرو بن غيلان ، فأقره ستة أشهر ،
فولي عبد الله بن عمرو شرطته عبد الله بن حيض .

• • •

[ذكر تولية معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان]

وفي هذه السنة ولي معاوية عبيد الله بن زياد خراسان .

• ذكر سبب ولاية ذلك •

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حدثنا مسلمة^(٢) بن
هاريب وعبد بن أبنان القرشي ، قالوا : لما مات زياد وفد عبيد الله إلى معاوية
فقال له : من استخلف أعمى على عمله بالكوفة ؟ قال : عبد الله بن خالد

(١) م : و ليا .

(٢) ط : مسلمة ، وأقر القهرس .

ابن أسيد ، قال : فتن استعمل على البصرة ؟ قال : سمرة بن جندب
القرظري ، فقال له معاوية : لو استعملك أبوك استعملتك ، فقال له عبيد الله :
أنشدك الله أن يقول إلى أحد بكك : لو ولاك أبوك وعكك لويتك !

١٦٧/٢

قالا : وكان معاوية إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حَرْبِ ولّاه الطائف ،
فإن رأى منه خيراً وما يصحبه ولّاه مكة معها ، فإن أحسن الولاية وقام بما وُلّيَ
قياساً حسنًا جمع له معهما المدينة ، فكان إذا ولي الطائف رجلاً قيل :
هو في أبي جاد^(١) ، فإذا ولّاه مكة قيل : هو في القرآن ، فإذا ولّاه المدينة
قيل : هو قد حدّق .

قالا : فلما قال عبيد الله ما قال ولّاه خراسان ، ثم قال له حين ولّاه :
إني قد عهدت إليك مثل عهدي إلى علي ، ثم أوصيك وصية القرابة لخاصتك
عندي : لا تبعن كثيراً بقليل ، وخذ لنفسك من نفسك ، واكتف فيما
بينك وبين عدوك بالوفاء تخف عليك المؤونة وعلينا منك ، وافتح بابك
للناس تكن في العلم منهم أنت وهم سواء ، وإذا عزمت على أمر فأخرجه إلى
الناس ، ولا يكن لأحد فيه مطمع ، ولا يرجعن عليك وأنت تستطيع ، وإذا
لقيت عدوك فقلبك على ظهر الأرض فلا يغلبك على بطنها ، وإن احتاج
أصحابك إلى أن تؤاسيهم بنفسك فأسيهم .

حدثني عمر ، قال : حدثني علي ، قال : أخبرنا علي بن مجاهد ، عن ابن
إسحاق ، قال : استعمل معاوية عبيد الله بن زياد وقال :

• استمك القسّاس إن لم يقطع •

وقال له : اتق الله ولا تؤثرن على تقوى الله شيئاً ، فإن في تقواه عوفاً ،
وفي غيرك^(٢) من أن تُدَنّسه ، وإذا أعطيت عهداً فف به ، ولا تبعن كثيراً
بقليل ، ولا تُخرجن منك أبرأ حتى تُبرمه ، فإذا خرج فلا بُردن عليك ،
وإذا لقيت عدوك فكن أكثر من ملك ، ولا سمهم على كتاب الله ،

١٦٨/٢

(١) في أبي جاد ، أي في أهل الأمر .

(٢) ابن الأثير : « وطر مرضك » .

ولا تطعمن أحدًا في غير حقّه ، ولا تولىسن أحدًا من حقّ له . ثم ودّعته .

حدثني عمر ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا مسلمة ، قال : سارعيد الله إلى خُرَاسانَ في آخر سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وعشرين سنة من الشام وقدم إلى خُرَاسانَ مُسلمٌ بن زُرّعة الكلابيّ ، فخرج معه من الشام الجعد بن قيس التَّمَمَرِيّ يَرْجُزُ بين يديه بمِثْرِيّةٍ زياد يقول فيها :

وحدثني عمر مرة أخرى في كتابه الذي سماه كتاب وأخبار أهل البصرة ، فقال : حدثني أبو الحسن المدائنيّ قال : لما عقد معاويةٌ لعبيد الله بن زياد على خُرَاسانَ خرج وعليه عِمَامَةٌ - وكان وَضِيئًا - والجعد بن قيس يُنْشِده مِثْرِيّةَ زياد :

أَبْنِي عَلَى عَائِلِيٍّ مِنَ اللَّوْمِ	فَمَا أَزِيلْتُ نِعْمَتِي قَبْلَ الْيَوْمِ
قَدْ ذَهَبَ الْكَرِيمُ وَالظُّلُّ النَّوْمُ	وَالنَّعْمُ الْمُؤَلُّ الدُّثْرُ الْحَوْمُ
وَالْمَاشِيَاتُ مَشْيَةٌ بَعْدَ النَّوْمِ	لَيْسَتْ الْجِيَادُ كُلُّهَا مَعَ الْقَوْمِ
سُقَيْنَ مِمَّ سَاعَةً قَبْلَ الْيَوْمِ	لَأَرْيَعُ مَضِيئًا مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ

١٦٩/٢

ومنها :

يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ الَّذِي كَانَ مَضَى	يَوْمٌ قَفَى فِيهِ الْمَلِكُ مَا قَفَى
وَفَاةُ بَرٍّ مَاجِدٍ جَلْدِ الْقَوَى	حَرٌّ بِوَ نَوَالُ جَمْدٍ وَالتَّطَلَّى
كَانَ زِيَادٌ جَبَلًا صَغْبَ النَّوَى	شَهْمًا إِذَا شَتَّمْتَ نَقِصَاتِ أَبِي

• لَا يُبْعِدُ اللَّهُ زِيَادًا إِذْ تَوَى •

وبكى عبيد الله يومئذ حتى سقطت عمامته عن رأسه ، قال : وقدِمَ عبيد الله خُرَاسانَ ثم قطع النهر إلى جبال بُخَارَى على الإبل ، فكان هو أوّل مَنْ قطع إليهم جبالَ بُخَارَى في جند ، ففتح رامِيْنٌ ونُصَفٌ بَيْسَكُنْدَ - وهما من بخارى - فبينَ ثمّ أصاب البخاريّة .

قال عليّ : أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ رَشِيدٍ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : لَقِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنَ

زياد التُّركَ بِخَارِيٍّ مَعَ مَلِكِهِمْ امْرَأَتَهُ قَبِيحَ خَاتُونٍ ، فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ أَحْبَلُوها
عَنْ لَيْسَ خُفْيَتِهَا ، فَلَبِثَتْ أَحْبَلُها وَبَنَى الْآخَرُ ، فَأَصَابَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَتَوَمَّ (١)
الْجُورَبُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

١٧٠/٢ قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ ، عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بْنِ مَعْمَرٍ ،
عَنْ حُبَّادَةَ بْنِ حَصْنٍ ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ بَأْسًا مِنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ،
لَقِينَا زَحْفًا مِنَ التُّرُكِ بِخُرَّاسَانَ ، فَرَأَيْتُهُ يُقَاتِلُ فَيَحْمِلُ عَلَيْهِمْ فَيَطْلُنُ فِيهِمْ
وَيَغِيبُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْيَهُ تَكْطُرُ دُمَا .

قال عليّ : وَأَخْبَرَنَا مَسْلَمَةُ أَنَّ الْبَخَّارِيَّةَ الَّذِينَ قَتَلَ بِهِمْ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ
زِيَادٍ الْبَصْرَةَ أَلْفَانًا ، كُلُّهُمْ جَيْدُ الرَّيِّ بِالنَّشَابِ .

قال مسleme : كَانَ زَحْفُ التُّرُكِ بِخَارِيٍّ أَيَّامَ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مِنْ
زُحُوفِ خُرَّاسَانَ إِلَى تَعْدٍ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنَا الْمُهَلَّبِيُّ ، قَالَ : كَانَتْ زُحُوفُ
خُرَّاسَانَ خَمْسَةً : أَرْبَعَةٌ لَقِيَتْهَا الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، الَّذِي لَقِيَهِ بَيْنَ قَهْشْتَانَ
وَأَبْرِشَهْرٍ ، وَالزُّحُوفُ الثَّلَاثَةُ إِلَى لَقِيَتْهَا بِالْمَرْغَابِ ، وَالزُّحُوفُ الْخَامِسُ زَحْفُ
قَارِنٍ ، فَتَغَنَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُزَّازٍ .

قال عليّ : قَالَ مَسْلَمَةُ : أَقَامَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِخُرَّاسَانَ سِتِينَ .

• • •

وَجَعَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، كَذَلِكَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ
ابْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ حَدِيثِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ ، وَكَذَلِكَ
قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ
خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ عَلَيْهَا الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ غَبْلَانَ .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مشى سفيان بن عوف الأزدي بأرض الروم ١٧١/٢
في قول الواقدي .

وقال بعضهم : بل الذي كان شتاً بأرض الروم في هذه السنة عمرو
ابن عمرز .

وقال بعضهم : بل الذي شتاً بها عبد الله بن قيس الفزاري .

وقال بعضهم : بل ذلك مالك بن عبد الله .

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاه
عبيد الله بن زياد .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان

وتوليته عبيد الله البصرة

حدثني عمر ، قال : حدثنا الوليد بن هشام وعلي بن محمد - قال : واختلفا
في بعض الحديث - قالوا : خطب عبد الله بن عمرو بن غيلان على منبر
البصرة ، فحصبه رجل من بني ضبة - قال عمر : قال أبو الحسن : يدعى
جبير بن الضحاك أحد بني خزار - فأمر به فقطعت يده ، فقال :
السمع والطاعة والتسليم خبير وأخى لبني نعيم

فأنته بنو ضبة ، فقالوا : إن صاحبنا حتى ما جنى على نفسه ، وقد بالغ
الأمير في عقوبته ، ونحن لا نأمن أن يبلغ خبره أمير المؤمنين ، فيأتى من
قبله عقوبة تخص أو تتم ، فإن رأى الأمير أن يكتب لنا كتاباً يخرج

به أحدنا إلى أمير المؤمنين يُخبره أنه قطع على شُبْهَة وأمر لم يَصْصَح^(١) ، فكتب لم بعد ذلك إلى معاوية ، فأمسكوا الكتاب حتى بلغ رأس السنة - وقال أبو الحسن : لم يَزِدْ على ستة أشهر - فوجه إلى معاوية ، ووافاه الضَّبَّيْن ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه قطع صاحبنا ظلمًا ، وهما كتابُك إليك ، وقرأ الكتاب ، فقال : أما القَوَد من عمالي فلا يصح ، ولا سبيل إليه ، ولكن إن شئتم ودَيْتُ صاحبكم ، قالوا : فنده ، فوداه من بيت المال ، وعزَّل عبد الله ، وقال لم : اختاروا مَنْ تحبون أن أولى بلكم ، قالوا : يتخير لنا أمير المؤمنين ، وقد علم رأي أهل البصرة في ابن عامر ، فقال : هل لكم في ابن عامر ؟ فهو مَنْ قد عرفتم في شره وفضاله وطهارته ، قالوا : أمير المؤمنين أعلم ، فجعل يَرْدَد ذلك عليهم لِيَسْبِرَهُمْ^(٢) ، ثم قال : قد وليت عليكم ابن أخى عبيد الله بن زياد .

قال عمر : حدثني علي بن محمد ، قال : عزَّل معاوية عبد الله بن عمرو وولى عبيد الله بن زياد البصرة في سنة خمس وخمسين وولى عبيد الله أسلم ابن زُرْعَة خراسان فلم يَغْز ولم يفتح بها شيئًا ، وولى شُرطه عبد الله بن حصن ، والقضاء زُرارة بن أوفى ثم عزَّله ، وولى القضاء ابن أذينة المبدى .

* * *

وفي هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولاهما الضحَّاك بن قيس القهري .
وحجَّ بالناس في هذه السنة مروان بن الحَكَم ، حدثني بذلك أحمد بن ابن ثابت ، عن حماد ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

(١) ابن الأثير : « يَصْصَح » .

(٢) س : « لِيَسْبِرَهُمْ » . ومعجم : يَنْهِيهِمْ وَيَعْصِمُهُمْ .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مشتى جنادة بن أبي أمية بأرض الروم، وقيل : عبد الرحمن ابن مسعود .

وقيل هنا فيها في البحر يزيد بن شجرة الرهاوي ، وفي البر هياض ابن الحارث .

• • •

وحج بالناس - فيها حدثني أحمد بن ثابت عن حدثه ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر - الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .
وطيها احتسّر معاوية في رجب .

• • •

[ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد]

وفيها دعا معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد من بعده ، وجعله ولي العهد^(١) .
• ذكر السبب في ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : حدثنا أبو إسحاق الميماني وحل بن مجاهد ، قالا : قال الشعبي : قدم المنيرة على معاوية واستغفاه وشكا إليه الضعف ، فأعفاه ، وأراد أن يولي سعيد بن العاص ، وبلغ كاتب المنيرة ذلك ، فأتى سعيد بن العاص فأخبره وعنده رجل من أهل الكوفة يقال له ربيعة - أو الربيع - من خزاعة ، فأتى المنيرة فقال : يا منيرة ، ما أرى أمير المؤمنين إلا قد قتل ، رأيت ابن خنيس كاتبك عند سعيد ابن العاص يخبره أن أمير المؤمنين يولي الكوفة ، قال المنيرة : أفلا يقول كما قال الأعشى :

(١) س : و العهد .

١٧٤/٢ أَمْ غَابَ رَيْكَ فَأَخَذْتُكَ خَصَاصَةً وَلَعَلَّ رَيْكَ أَنْ يَعُوذَ مُوَيْدًا رُوَيْدًا ! ادْخُلْ جِلِّي يَزِيدُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَعَرَضَ لَهُ بِالْبَيْعَةِ ، فَأَدَّى ذَلِكَ يَزِيدَ إِلَى أَبِيهِ ، فَرَدَّ مَعَاوِيَةَ الْمَغِيرَةَ إِلَى الْكُرَّةِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَعْمَلَ فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ ، فَتَخَصَّصَ الْمَغِيرَةَ إِلَى الْكُرَّةِ ، فَأَتَاهُ كَاتِبُهُ ابْنُ خُنَيْسٍ ، فَقَالَ : وَقَدْ مَا خَشَشْتُكَ وَلَا خَشَّيْتُكَ ، وَلَا كَرِهْتُ وَلَا يَتَكُّ ، وَلَكِنْ سَعِيدًا كَانَتْ لَهُ عِنْدِي بَيْدٌ وَبِلَاءٌ ، فَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَرَضَ عَنْهُ وَأَعَادَهُ إِلَى كِتَابَتِهِ ، وَجَمِلَ الْمَغِيرَةُ فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَأَوْفَدَ فِي ذَلِكَ وَافِدًا إِلَى مَعَاوِيَةَ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عليٌّ ، عن مَسْلَمَةَ ، قال : لما أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ يَبِيعَ لِيَزِيدَ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ يَشْتِيرُهُ ، لَبِثَ زِيَادٌ إِلَى عِيْدٍ بَنِ كَعْبِ النُّمَيْرِيِّ ، فَقَالَ : إِنَّ لِكُلِّ مَشْتِيرٍ قِتَّةً ، وَلِكُلِّ سَرٍّ مَسْوَدٌ ، وَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَبْذَعَتْ ^(١) بِهِمْ خَصْلَتَانِ : إِذَاعَةُ السَّرِّ ، وَإِخْرَاجُ النَّصِيحَةِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَلَيْسَ مَوْضِعُ السَّرِّ إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ آخَرُهُ يَرْجُو ثَوَابًا ، وَرَجُلٌ دُنْيَا لَهُ شَرَفٌ فِي نَفْسِهِ وَعَمَلٌ يَصُونُ حَسَبَهُ ، وَقَدْ عَجَّيْتُهُمَا مِنْكَ ، فَأَحْدَثَ الَّذِي قَبْلَكَ ، وَقَدْ دَعَوْتُكَ لِأَمْرِ اتِّهَمْتُ عَلَيْهِ بَطُونَ الصَّحُفِ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَيَّ يَزِمُ أَنَّهُ قَدْ حَزَمَ عَلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَهُوَ يَخْشَوْفُ نَقْرَةَ النَّاسِ ، وَيَرْجُو مَطَابَقَتَهُمْ ، وَيَسْتَشِيرُنِي ، وَعِلَاقَةُ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَضَائِعُهُ عَظِيمٌ ، وَيَزِيدُ صَاحِبُ رَسَلَةٍ وَتَهَانٍ ، مَعَ مَا قَدْ أَوْلَجَ بِهِ مِنَ الصَّيْدِ ، فَالْقَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُوَيْدًا عَنِّي ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ فَعَلَاتِ يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : رُوَيْدَكَ بِالْأَمْرِ ، هَاطَمَنْ ^(٢) أَنْ يَمُوتَ لَكَ مَا تَرِيدُ ، وَلَا تَحْجَلْ فَإِنَّ دَرْكًَا فِي تَأْخِيرِ خَيْرٍ مِنْ تَحْجَلٍ عَاقِبَتُهُ الْقَوَاتُ ^(٣) . فَقَالَ عُبَيْدُ لَهُ : أَفَلَا غَيْرَ هَذَا ! قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : لَا تَقْسِدَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَأَيَّتِهِ ، وَلَا تَحْقُقْ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ ، وَأَلْقَى أَنَا يَزِيدَ سَرًّا مِنْ مَعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ عَنْكَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَشِيرُكَ فِي بَيْعَتِهِ ،

١٧٥/٢

(١) أَبْذَعَتْ بِهِمْ خَصْلَتَانِ ، أَيْ أَخْرَجَهُمَا .

(٢) سَرٌّ : غُطْلٌ .

(٣) سَرٌّ : الْمَوْتُ .

وَأَنْتَ تَخَوُّ خِلَافَ النَّاسِ لَهَنَاتٍ يَتَمِيمُونَهَا عَلَيْهِ ، وَأَنْتَ تَرَى لَهُ تَرْكُ مَا يَنْتَقِمُ عَلَيْهِ ، فَيَسْتَحْكِمُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْحِجَّةَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَسْهَلُ لَكَ مَا تَرِيدُ ، فَتَكُونُ قَدْ نَصَحْتَ يَزِيدَ وَأَرْضَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَلِمْتَ مِمَّا تَخَافُ مِنْ عِلَاقَةِ أَمْرِ الْأَمَّةِ . فَقَالَ زِيَادُ : لَقَدْ رَمَيْتُ الْأَمْرَ بِحَجَرِهِ ، اشْتَخَصْتُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِنْ أَصِيبَ فَمَا لَا يَنْكُرُ ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَغَيْرُ مُسْتَفْهِشٍ ^(١) . وَأُبْعِدُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْخَطْلِ ، قَالَ : تَقُولُ بِمَا تَرَى ، وَيَقْضِي اللَّهُ بِغَيْبِ مَا يَعْطَمُ . فَقَدِمَ عَلَى يَزِيدَ فَلَا كَرِهَ ذَلِكَ . وَكُتِبَ زِيَادُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِأَمْرِهِ بِالْوَفْدَةِ ، وَالْأَ تَعْمَلُ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةُ ، وَكَفَّ يَزِيدَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ يَصْنَعُ ، ثُمَّ قَدِمَ حُمَيْدٌ عَلَى زِيَادٍ فَأَقْلَعَهُ قَطِيعَةً .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيٌّ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَ زِيَادٌ دَعَا مُعَاوِيَةَ بِكِتَابٍ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ بِاسْتِخْلَافِ يَزِيدَ ، إِنْ حَدَّثَ بِهِ حَدَّثَ الْمَوْتَ لِيَزِيدَ وَلِيَّ عَهْدٍ ، فَاسْتَوْصَى ^(٢) لَهُ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ غَيْرَ خَمْسَةِ فَرَسٍ ^(٣) .

فَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عَرَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ بِنَخْلَةٍ ، قَالَ : بَايَعَ النَّاسُ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ غَيْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنَ عَمْرٍ وَابْنَ الزَّيْبِرِ وَجَدَّ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَابْنَ حَبَّاسٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ أُرْسِلَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : يَا بْنَ أَخِي ، قَدْ اسْتَوْصَى النَّاسُ هَذَا الْأَمْرَ غَيْرَ خَمْسَةِ فَرَسٍ مِنْ قَرِيشٍ أَنْتَ تَقُولُهُمْ ، يَا بْنَ أَخِي ، فَمَا لِرَبِّكَ إِلَى الْخِلَافِ ؟ قَالَ : أَنَا أَقُولُهُمْ ! قَالَ : نَعَمْ ، أَنْتَ تَقُولُهُمْ ، قَالَ : فَأُرْسِلُ إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ بَايَعُوا ^(٤) كَتَبْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ حَاجِلًا عَلَى بَأْمَرٍ ، قَالَ : وَتَفْعَلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَخَذَ عَلَيْهِ إِلَّا يُخْبِرَ بِحَدِيثِهِمْ ^(٥) أَحَدًا قَالَ : فَالْتَوَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَطْعَمَهُ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ وَقَدْ أَتَمَّكَ لَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ

(١) س : « غَيْرُ مُسْتَفْهِشٍ وَأَمْلَكُ » .

(٢) اسْتَوْصَى لَهُ النَّاسُ : اجْتَمَعُوا عَلَى رَأْيِهِ .

(٣) س : « فَرَسٌ خَمْسَةٌ » .

(٤) س : « بَايَعُوا » .

(٥) س : « يُخْبِرُهُمْ » .

وجلاً بالطريق قال : يقول لك أخوك ابن الزبير : ما كان ؟ فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً .

ثم أرسل بعده إلى ابن الزبير ، فقال له : قد استوصى الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ، يابن أمي ! فالإدراك إلى الخلف ؟ قال : أنا أقودهم ! قال : نعم ، أنت تقودهم ، قال : فأرسل إليهم فإن يابوا كنت رجلاً منهم ، وإلا لم تكن عجلت حلّ بأمر ، قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، قال : فأخذ عليه ألا يخبر بحديثهم أحداً ، قال : يا أمير المؤمنين ، نحن في حرم الله عز وجل ، وعهد الله سبحانه ثقيل ، فأبى عليه ، وخرج . ثم أرسل بعده إلى ابن عمر فكلّمه بكلام هو اليقين من كلام صاحبه ، فقال : إني أروى^(١) أن أدمع أمة محمد بعدى كالضأن لا راعي لها ، وقد استوصى الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ، فالإدراك إلى الخلف ؟ قال : هل لك في أمر يلعب اللحم ، ويحقن الدم^(٢) ، وتترك به حاجتك ؟ قال : ووددت ! قال : تبرز سريرك ، ثم أجيء فأبأ بك ، حلّ أتى أدخل بعدك فيها تجتمع عليه الأمة ، فوافقه لو أن الأمة اجتمعت بعدك حلّ عبد حبشيّ للخطّ فيها تلخل في الأمة ، قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، ثم نخرج فأتى منزله فأطبق بابّه ، وجعل الناس يميّثون فلا يأذن لهم . فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال : يابن أبي بكر ، بأيّ يد أو رجل تقدّم حلّ معصيّ ! قال : أرى أن يكون ذلك خيراً لي ، فقال : وافقه لقد هممت أن أقتلك ، قال : لو غطت لأتبعك الله به لمة في الدنيا ، وأدخلك به في الآخرة النار . قال : ولم يذكر ابن عباس .

١٧٧/٢

[ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن هبان]
وكان العامل على المدينة في هذه السنة سريوان بن الحكم ، وعلى الكوفة الضحّاك بن قيس ، وعلى البصرة حميد الله بن زياد ، وعلى خراسان سعيد ابن هبان .

وكان سبب ولايته خُرَاسانَ ما حدثني عمر ، قال : حدثني عليّ ، قال : أخبرني محمد بن حفص ، قال : سألت سعيد بن عثمانَ معاوية أن يستعمله على خُرَاسان ، فقال : إنَّ بها عيد الله بن زياد ، فقال : أما لقد اصطلمك أبي ورقاك حتى بلغتَ باصطناعه المدد الذي لا يُجارى إليه ولا يُسامى ، فما شكرتَ بلاءه ، ولا جازيتَ بالآله ، وقدّمت عليّ هذا - يعني يزيد بن معاوية - وبايعتَ له ، ووالله لأنا خير منه أباً وأماً ونفساً ، فقال : فقال معاوية : أما بلاءُ أهلك فقد يحقّ عليّ الجزاء به ، وقد كان من شكرى لذلك أنى طلبتُ بدمه حتى تكشفت الأنور ، ولست بلامٍ لنفسي في التشهير ^(١) ، وأما فضلُ أهلك على أبيه فأبوك والله خيرٌ مني وأقربُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما فضلُ أمك على أمه فما يَنكّر ، امرأةٌ من قريشٍ خيرٌ من امرأةٍ من كلب ، وأما فضلُك عليه فوالله ما أحبُّ أن الغُوطَةُ دُحِستَ ^(٢) ليزيدَ رجلاً مثلك . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ، ابنُ عمك ، وأنتَ أحقُّ منَ نظري في أمره ، وقد عَتَبَ عليك فأعتهبه ^(٣) ، قال : فوالله حربَ خُرَاسان ، وولى إسحاق ابنَ طلحة خراجها ، وكان إسحاق ابن خالة معاوية ، أمه أمُ أبان ابنة عُبَيْة ابن ربيعة ، فلما صار بالرّى مات إسحاق بن طلحة فولى سعيد خراج خُرَاسان وحرّبتها .

حدثني عمر ، قال : حدثني عليّ ، قال : أخبرنا مسلمة ، قال : خرج سعيد إلى خُرَاسان وخرج معه أوس بن ثعلبة التيمي صاحب قصر أوس ، وطلحة ابن عبد الله بن خكف الخزاعيّ والمهلب بن أبي صفرة وربيعة بن عيسل أحد بني عمرو بن يربوع ، قال : وكان قومٌ من الأعراب يقطعون الطريقَ على الحاجِّ يبطن فلجج ، فقتل لسعيد : إنَّها هنا قومٌ يقطعون

(١) س : « نفس بالتشهير » .

(٢) دحست ، أي ملئت ، وفي اللسان : « وفي حديث جرير أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت محصور من الناس » ، أي ملأه ؛ وكل شيء ملأه فقد دحسه . وفي ابن الأثير : « فوالله ما أحبُّ أن الغُوطَةُ ملئت رجلاً مثلك » ، والغُوطَةُ : اسم مكان واسع في قضاء دمشق وفي إحدى متونها الأربع .

(٣) أعتهبه ، أي أرضاه .

الطريق على الحاجّ ويُخيفون السبيل ، فلو أخرجتهم منك ! قال : فأخرج قوماً من بني تميم ، منهم مالك بن الربيع المازني في فتيان كانوا معه ، وفيهم يقول الراجز (١) :

الله أنجأك من القصيم ومن أبي حردبة الأثيم (٢)
ومن غوثٍ فاتح العُكُوم ومالكٍ وصيفه المسموم

قال عليّ : قال مسلمة : قدم سعيد بن عثمان ، فقطع النهر (٣) إلى سمرقند ، فخرج إليه أهل الصغد ، فتوافقوا يوماً إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال ، فقال مالك بن الربيع يلم سعيداً :

ما زلت يوم الصغد ترعد واقفاً من الجبن حتى خضت أن تتنصرا
وما كان في عثمان شيء علمته سوى نسله في رهطه حين أدبرا
ولولا بنو حرب لظلت دماءكم بطنون الظحايا من كسير وأعورا

قال : فلما كان الغد خرج إليهم سعيد بن عثمان ، وناهضه الصغد ، فقاتلهم فهزمهم وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم ، وعبر فأقام بالترمذ ، ولم يف لم ، وجاء بالفيضان الرهن معه إلى المدينة .

قال : وقدم سعيد بن عثمان خراسان وأسلم بن زُرعة الكلبي بها من قبل عبيد الله بن زياد ، فلم يزل أسلم بن زُرعة بها مقيماً حتى كتب إليه عبيد الله بن زياد يعده على خراسان الثانية ، فلما قدّم كتاب عبيد الله على أسلم طرق سعيد بن عثمان ليلاً ، فأسقطت جارية له غلاماً ، فكان سعيد

١٨٠/٢

(١) الأغاني ١٩ : ١٦٣ (سأى) .

(٢) قال صاحب الأغاني : « وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الربيع إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له ، منهم فطاط ، وهو مول لبني تميم - وكان أعينهم - وأبو حردبة أحد بني أمية بن مازن ، وغوث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة . »

(٣) س : الترمذ .

يقول : لأكلنَّ به رجلاً من بني حرب ؛ وقدم على معاوية فشكا أسلم إليه ،
 وغضبت القيسية ؛ قال : فدخل همام بن قتيبة النعمري فنظر إليه معاوية
 عمر العنين ، فقال : يا همام ، إن عيناك لخمرة ، قال همام : كانتا يوم
 صفتين أشدَّ حمرة ؛ ففهم معاوية ذلك ، فلما رأى ذلك سمع كفاً عن أسلم ،
 فأقام أسلم بن زُرعة على خراسان والياً لعبيد الله بن زياد ستين .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

وكان فيها مَشَتْى عبد الله بن قيس بأرض الروم .
وفيها صَرَف مروانُ عن المدينة في ذى القعدة في قول الواقدي؛ وقال
غيره : كان مروانُ إليه المدينة في هذه السنة .
وقال الواقدي : استعمل معاويةُ على المدينة حين صَرَف عنها مروانُ
الوليدَ بن عتبة بن أبي سفيان .
وكالذي قال الواقدي قال أبو معشر ، حدثني بذلك أحمدُ بن ثابت
الرازى ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .
وكان العامل على الكوفة في هذه السنة الضحَّاك بن قيس ، وعلى البصرة
عُبيد الله بن زياد ، وعلى خراسانَ سميد بن عثمان بن عفان .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

١٨١/٢ فيها نزع معاوية مروان عن المدينة في ذي القعدة في قول أبي معشر ، وأمر الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عليها ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . وفيها غزا مالك بن عبد الله الحنصلي أرض الروم . وفيها قتل يزيد بن شجرة في البحر في السفن في قول الواقدي . قال : ويقال عمرو بن يزيد الجهمي ، وكان الذي شتا بأرض الروم ، وقد قيل : إن اللقي غزا في البحر في هذه السنة جنادة بن أبي أمية .

• • •

وحيث بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي وغيره .

• • •

[عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أمّ الحكم]

وفي هذه السنة ولي معاوية الكوفة عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي ، وهو ابن أمّ الحكمم أخت معاوية بن أبي سفيان ، وهزل عنها الضحّاك بن قيس ، ففي عمله في هذه السنة خرجت الطائفة الذين كان المغيرة بن شعبه حبسهم في السجن من الخوارج الذين كانوا يابغوا المستورد بن علفة ، فظفر بهم فاستودعهم السجن ، فلما مات المغيرة خرجوا من السجن .

كره هشام بن محمد أن أباعنخف ، حدثه عن عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عتبة الغنوي أن حبان بن ظبيان السلمي جمع إليه أصحابه ، ثم إنه حمّد الله وأثنى عليه ثم قال لهم : أمّا بعد ، فإن لله عز

وجلّ كتب علينا الجهاد ، فنّا من قَضَى نَحْبَهُ ، مِنّا من يَسْتَرْ ، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم ، وَمَنْ يَكُن مِنّا من يَنْتَظِر فهو مِن سَلَفنا القاضين نَحْبَهُم ، السابقين بإحسان ؛ فمن كان منكم يريد اللهَ وَوَيْبَهُ فَلْيَسْلِكْ سَبِيلَ أصحابه وإخوانه يَتَّبِعِ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ واللهُ مع المحسنين .

قال معاذ بن جُوَيْن الطائي : يا أهل الإسلام ، إنا والله لو علمنا أنّنا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجور ، كان لنا به عند الله عذر ، لكان تركه أيسرَ علينا ، وأخفَ من ركوبه ، ولكنّا قد علمنا واستيقنا أنّه لا عذر لنا ، وقد جعل لنا القلوب والأسماع حتى نذكر الظلم ، ونغيّر الجور ، ونجاهد الظالمين ، ثم قال : أبسط يَدَكَ نَبِيْعَكَ ، فبايعه وبايعه القوم ، فضرَبوا على يد حِيّان بن ظَبْيَان ، فبايعوه ، وذلك في إمارة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي ، وهو ابن أمّ الحَكَم ، وكان على شرطته زائدة بن قدامة الثقفي .

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائي . فقال لهم حِيّان بن ظَبْيَان : عبادَ الله ، أشيروا برأيكم ، أين تأمروني أن أخرج ؟ فقال له معاذ : إني أرى أن تسير بنا إلى حُلُولان حتى نزلها ، فإنّها كورةٌ بين السهل والجبل ، وبين المِصر والشَّعر - يعني بالشَّعر الرّي - فمن كان يرى رأينا من أهل المِصر والشَّعر والجبال والسواد لحق بنا . فقال له حِيّان : عدوّك مُعَاجِلُكَ قبل اجتماع الناس إليك ، لَعَمْرِي لا يتركوكم حتى يجتمعوا إليكم ، ولكن قد رأيت أن أخرج معكم في جانب الكوفة والسَّبْخَة أو زُرارة والحيرة ، ثم نقاتلهم حتى نلحق برَبّنا ، فإني والله لقد علمتُ أنّكم لا تقدرون وأنتم دون المائة رجل أن تهزموا عدوّكم ، ولا أن تشدّ نكابتكم فيهم ؛ ولكن متى علم الله أنّكم قد أبجهدتم أنفسكم في جهادِ عدوّه وعدّوكم كان لكم به العذر ، وخرجتم من الإثم . قالوا : رأينا رأيك ، فقال لهم عتريس ابن حَرْقَب أبو سليمان الشيباني : ولكن لا أرى رأيَ جماعتكم ، فانظروا في رأي لكم ، إنني لا أخالفكم تَجْهَلُونَ مَعْرِفِي بالحرب ، ونجربني بالأمور ، فقالوا له : أجعل ، أنت كما ذكرت ، فما رأيك ؟ قال : ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمِصر ، إنكم قليل في كثير ، والله ما تزيلون على أن تعجزوهم أنفسكم ، وتقرّوا أعيانهم بقتلكم ، وليس مكلّا تكون المكايدة إذْ تَقرّم أن

١٨٢/٢

١٨٣/٢

تخرجوا على قومكم ، فكيلوا حلوكم ما يضرهم ، قالوا : فما الرأي ؟ قال :
تسيرون إلى الكوفة التي أشار بترؤها معاذ بن جؤين بن حصين - يعني
حلوآن - أو تسيرون بنا إلى عين التمر فتقيم بها ، فإذا سمع بنا إخواننا أتونا
من كل جانب وأوب ، فقال له حيان بن ظبيان : إنك والله لو سرت بنا
أنت وجميع أصحابك نحو أحد هذين الوجهين ما اطمأننتم به حتى يلحق
بكم خيول أهل الميصر ، فأني تشفقون أنفسكم ! فوالله ما عِدَّتكم بالكثيرة
التي ينبغي أن تطمئعوا معها بالنصر في الدنيا على الظالمين المعتدين ، فخرجوا
يخافون من ميصرهم هذا فقاتلوا عن أمر الله من خالف طاعة الله ، ولا تربصوا
ولا تتظنوا فإتكم إنما تبادرون بملك إلى الجنة ، وتخرجون أنفسكم بملك من
الفتنة . قالوا : أما إذا كان لابد لنا ^(١) فلما لن نخالفك ، فخرج حيث أحببت .

فكث حتى إذا كان آخر سنة من سني ابن أم الحكم في أول السنة -
وهو أول يوم من شهر ربيع الآخر - اجتمع أصحاب حيان بن ظبيان :
إليه ، فقال لهم : يا قوم ، إن الله قد جمعكم لخبر وعلى خير ، والله الذي لا إله
غيره ^(٢) ما سرت بشيء قط في الدنيا بعد ما أسلمت سروري لمخرجي هذا
على الظلمة الأعمى ، فوالله ما أحب أن الدنيا يخلصها لي وأن الله حرمني
في مخرجي هذا الشهادة . وإني قد رأيت أن نخرج حتى نزل جانب دار
جرير ، فإذا خرج إليكم الأحزاب ناجز تموم . فقال عثريس بن عرقوب
البكرى : أما أن نقاتلهم في جوف الميصر فإنه يقاتلنا الرجال ، وتصعد
النساء والصبيان والإماء فيرموننا بالحجارة ، فقال لهم رجل منهم : انزلوا بنا
إذا من وراء الميصر الجسر - وهو موضع زُرارة ، وإنما بنيت زُرارة بعد ذلك
إلا أبياناً يسيرة كانت منها - قبل ذلك - فقال لهم معاذ بن جؤين بن حصين
الطائي : لا ، بل سيروا بنا فلتنزل بانقياً فما أسرع ما يأتيكم حلوكم ، فإذا
كان ذلك استقبلنا القوم ببجوتنا ، وجعلنا البيوت في ظهورنا ، فقاتلناهم
من وجه واحد . فخرجوا ، فبعث إليهم جيش ، قتلوا جميعاً .

(١) س : ذلك رأيك .

(٢) س : لا إله إلا هو .

١٨٥/٢

ثم إن عبد الرحمن بن أمّ التحكم طرده أهل الكوفة ، فحدثت عن هشام ابن محمد ، قال : استعمل معاوية ابن أمّ الحكم على الكوفة فأساء السيرة فيهم ، فطردوه ، فلحق بمعاوية وهو خاله ، فقال له : أولئك خيراً منها ، ميسر ، قال : فولاه ، فوجه إليها ، وبلغ معاوية بن حديج السكوني الخبر ، فخرج فاستقبله على مرتحلين من مصر ، فقال : ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة .

قال : فرجع إلى معاوية ، وأقبل معاوية بن حديج واغداً ، قال : وكان إذا جاء قلست له الطريق - يعني ضربت له قباب الرمان - قال : فدخل على معاوية وحدثه أمّ الحكم ، فقالت : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : يخ ! هذا معاوية بن حديج ، قالت : لا مرحباً به ! تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، فقال : على رسلك يا أمّ الحكم ! أما والله لقد تزوجت لما أكرمت ، وولدت لما أنجبت ، أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ، ما كان الله ليبريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً بطلطى منه ، وإن كره ذلك الجالس . فالتفت إليها معاوية ، فقال : كفى .

* * *

[ذكر قتل عروة بن أدية وغيره من الخوارج]

وفي هذه السنة لشدّ عبيد الله بن زياد على الخوارج ، فقتل منهم صبراً جماعة كثيرة ، وفي الحرب جماعة أخرى ، ومن قتل منهم صبراً عروة بن أدية ، أخو أبي بلال مرداس بن أدية .

• ذكر سبب قتله لإمام :

حدثني عمر ، قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عيسى بن عاصم الأسدي ، أن ابن زياد خرج في رهان له ، فلما جلس ينتظر الخليل لاجتماع الناس^(١) وفيهم عروة بن أدية أخو أبي بلال ، فأقبل على ابن زياد فقال : خمس كن

١٨٦/٢

في الأم قبلنا ، قد صِرْنَا فِينَا : ﴿ اَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَسْخَرُونَ مِمَّا نَكْنُحُ لَكُم مِّلَاحًا تَتَخَلَّلُونَ . وَإِذَا يَبَسَتْكُمْ بَطَنُكُمْ جَبَارِينَ ﴾ ^(١) . وَخَصَلَيْنِ أُعْرَيْنِ لَمْ يَحْظُهُمَا جَرِيرٌ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ ظَنَّ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهُ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَامَ وَرَكِبَ وَتَرَكَ رَهَانَهُ ، قَبِيلَ لَمُرَّةٍ : مَا صَنَعْتَ ! تَعْلَمَنَّ وَأَنَّهُ لَيَقْتُلَنَّكَ . قَالَ : فَضَوَّرِي ، فَطَلَبَهُ ابْنُ زِيَادٍ ، فَأَتَى الْكُوْفَةَ ، فَأَخَذَ بِهَا ، فَقَدِمَ ^(٢) بِهِ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَمَرَ بِهِ فَتَطْلَعَتْ يَدَاهُ وَرَجُلَاهُ ، ثُمَّ دَعَا بِهِ فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنَّكَ أَفْسَدْتَ دُنْيَايَ وَأَفْسَدْتَ آخِرَتَكَ ، فَتَشَكَّلَ ، وَأُرْسِلَ إِلَى ابْنَةِ قَتَلَاهَا .

وَأَمَّا مِرْدَاسُ بْنُ أَدِيَةَ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِالْأَهْوَازِ وَقَدْ كَانَ ابْنُ زِيَادٍ قَبْلَ ذَلِكَ حَبَسَهُ - فِيمَا حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي خَلَادُ بْنُ يَزِيدَ الْبَاهِلِيُّ ، قَالَ : - حَبَسَ ابْنَ زِيَادٍ - فِيمَنْ حَبَسَ - مِرْدَاسُ بْنُ أَدِيَةَ ، فَكَانَ السَّجَّانُ يَرَى عِبَادَتَهُ وَاجْتِهَادَهُ ، وَكَانَ بِأَذْنِ لَهُ فِي اللَّيْلِ ، فَيَنْصَرِفُ ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ أَتَاهُ حَتَّى يَدْخُلَ السَّجْنَ ، وَكَانَ صَدِيقُ مِرْدَاسٍ يَسَامُرُ ابْنَ زِيَادٍ ، فَذَكَرَ ابْنُ زِيَادٍ الْخَوَارِجَ لَيْلَةً فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِمْ إِذَا أَصْبَحَ ، فَانْطَلَقَ صَدِيقُ مِرْدَاسٍ إِلَى مَازِلِ مِرْدَاسٍ فَأَخْبَرَهُمْ ، وَقَالَ : أُرْسِلُوا إِلَى أَبِي بِلَالٍ فِي السَّجَنِ فَلْيَحْمِدْ فَإِنَّهُ مَقْتُولٌ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ مِرْدَاسُ ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ صَاحِبَ السَّجَنِ ، فَبَاتَ بَلِيلَةً سَوْءَ إِشْفَاقًا ١٨٧/٢
مَنْ أَنَّ يَعْزَمُ الْخَبْرُ مِرْدَاسُ فَلَا يَرْجِعُ ، فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهِ إِذَا بِهِ قَدْ طَلَعَ ، فَقَالَ لَهُ السَّجَّانُ : هَلْ بَلَغَكَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ثُمَّ خَدِيعَةٌ ! قَالَ : نَعَمْ ، وَلَمْ يَكُنْ جَزَائِكَ مَعَ إِحْسَانِكَ أَنْ تَعَاقَبَ بِسَبِيٍّ ، وَأَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ فَجَلَّ يَكْتُلُ الْخَوَارِجَ ، ثُمَّ دَعَا بِمِرْدَاسٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ وَكَبَّ السَّجَّانُ - وَكَانَ ظَنًّا لِمَعِيدِ اللَّهِ - فَأَخَذَ بِقَدَمِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَبْ هَذَا ، وَنَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، فَوَجَّهَهُ لَهُ وَأَطْلَعَهُ .

حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عِيْدٍ ، قَالَ : خَرَجَ

(١) سُوْرَةُ الشُّعَرَاءِ : ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) س : « فَاتَى » .

ميرداس أبو بلال - وهو من بني ربيعة بن حنظلة - في أربعين رجلاً إلى الأواز ، فبعث إليهم ابنُ زياد جيشاً عليهم ابنُ حصن التميمي ، قتلوا في أصحابه وهزموه ، فقال رجلٌ من بني تميم الله بن ثعلبة :

أَلْفَا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَقْتُلُهُمْ بِأَسْكَ أَرْبَعُونَ^(١)
كَلِمَتُكُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هِيَ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ لَدَى عَلِمْتُمْ^(٢) عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُّونَا

قال عمر : البيت الأخير^(٣) ليس في الحديث ، أنشدنيته خلاد بن يزيد الباهلي .

* * *

وقيل : مات^(٤) في هذه السنة حميرة بن يثرب قاضي البصرة ، واستقضى مكاتة عليها هشام بن هيرة .

وكان على الكوفة في هذه السنة عبد الرحمن بن أمّ الحكم . وقال بعضهم : كان عليها الضحّاك بن عيسى الفهري ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح .

وحجّ بالناس الوليدُ بنُ عُتبة في هذه السنة ، كذلك قال أبو معشر والواقدي .

(١) من أبيات ذكرها ياقوت في ٥٨ : ١ ، طبعها إلّ عيسى بن فاذك الخطمي ، أحد بني تميم الله ابن ثعلبة .

(٢) ياقوت : غير ذلك .

(٣) س : الأخير .

(٤) س : ذلك .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشْتَى عمرو بن مرة الجُهَنِيّ أرض الروم في البرّ، قال الواقدي :
لم يكن حاصِلاً غزو في البحر . وقال غيره : بل غزا في البحر جُنَادَة بن
أبي أمية .

وفيها عَزِلَ عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم عن الكوفة ، واستُعمِلَ عليها
النعمانُ بنُ بشير الأنصاريّ ، وقد ذكرنا قبلُ سببَ عزل ابن أمّ الحَكَم
عن الكوفة .

• • •

[ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان]

وفي هذه السنة ولّى معاوية عبدَ الرحمن بنَ زياد بن سُمَيَّة خُراسان .

• ذكر سبب استعمال معاوية لإيَّاه على خراسان :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، قال : حدثنا
أبو عمرو ، قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : قدم عبدُ الرحمن بنُ زياد وأخذوا
على معاوية ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أنا لنا حقٌّ ؟ قال : بلى ، قال :
فإذا تولّيتني ؟ قال : بالكوفة النعمان رشيدٌ ، وهو رجل من أصحاب النبيّ
صلى الله عليه وسلم ، وعبيد الله بن زياد على البصرة وخُراسان ، وعبداد بن
زياد على سجستان ، ولست أرى عملاً يُشبهك إلا أن أشركك في عمل
أخيك عبيد الله ، قال أشركني ، فإنّ تحمله واسع يحتمل الشركة ، فوَلَّاه
خُراسان .

قال عليّ : وذكر أبو حفص الأزدّي ، قال : حدثني عمر ، قال : قدم علينا
قيسُ بنُ الميثم السُلَميّ ، وقد وجهه عبد الرحمن بن زياد ، فأخذ أسلم بن

زُرْعَة فحبه ، ثم قَدِمَ عبد الرحمن ، فأغْرَمَ أسلم بن زُرْعَة ثَلَاثَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

قال : وذكر مصعب بن حبان ، عن أخيه مقاتل بن حبان ، قال : قَدِمَ عبدُ الرحمنُ بنُ زياد خُرَّاسَانُ ، قَدِمَ رَجُلٌ سَخِيٌّ حَرِيصٌ ضَعِيفٌ لَمْ يَغْزِ غَزْوَةً وَاحِدَةً ، وَقَدْ أَقَامَ بِخُرَّاسَانَ سِتِينَ .

قال عليّ : قال عوانة : قَدِمَ عبدُ الرحمنُ بنُ زياد على يزيد بن معاوية من خُرَّاسَانَ بعد قتل الحسين عليه السلام ، واستخلف على خُرَّاسَانَ قيسَ ابن الميهم .

قال : وحدّثني مسلمة^(١) بن محارب وأبو حفص ، قال : قال يزيد لعبد الرحمن ابن زياد : كم قَلِمْتَ به معك من المال من خُرَّاسَانَ ؟ قال : عشرين أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قال : إن شئتَ حاسبناك وقبضناها منك ، ورددناك على عمالك ، وإن شئتَ سوّغناك وعزّلتناك ، وتعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قال : بل تسوّغني ما قلت ، ويسّعمل عليها غيري . وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وقال : خمسمائة أَلْفِ من قبيل أمير المؤمنين ، وخمسمائة أَلْفِ^(٢) من قبلي .

١٩٠/٢

* * *

[ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية]

وفي هذه السنة وقَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زياد على معاوية في أشرف أهل البصرة ، فعزله عن البصرة ، ثم رَدَّه عليها وجَدَّدَ له الولاية .
* ذكر من قال ذلك^(٣) :

حدّثني عمر ، قال : حدّثني عليّ ، قال : وفد عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زياد في أهل العراق إلى معاوية فقال له : ائذنْ لوفدك على^(٤) منازلهم وشرفهم ، فأذِنَ لهم ،

(١) ط : « مسلم » ، وانظر الفهرس .

(٢) س : « ألف دِرْهَمٍ » .

(٣) كذا في س ، وفي ط : « ذكر ذلك » .

(٤) س : « في منازلهم » .

ودخل الأحنف في آخرهم ، وكان سبب المتزلة من عبيد الله ، فلما نظر إليه معاوية رحب به ، وأجلسه معه على سريره ، ثم تكلم القوم فأحسنوا الثناء على عبيد الله ، والأحنف ساكت ، فقال : مالك يا أبا بخر لا تتكلم ! قال : إن تكلمتُ خالفتُ القوم . فقال : انهضوا فقد عزلته عنكم ، واطلبوا ولياً ترضونه ، فلم يبق في القوم أحد إلا أتى رجلاً من بني أمية أو من أشراف أهل الشام ، كلهم يطلب ، وقعد الأحنف في منزله ، فلم يأت أحداً ، فلبثوا أياماً ، ثم بعث إليهم معاوية فجمعهم ، فلما دخلوا عليه قال : من اخترتم ؟ فاختلفت كلمتهم ، وجمي كل فريق منهم رجلاً والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : مالك يا أبا بحر لا تتكلم ! قال : إن وليت علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحداً ، وإن وليت من غيرهم فانظر في ذلك ، قال معاوية : فإني قد أعدته عليكم ، ثم أوصاه بالأحنف ، وقبح رأيه في مباحثته ، فلما حاجت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف .

• • •

[ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بن زياد]

وفي هذه السنة كان ما كان من أمر يزيد بن مفرغ الحميري وعباد بن زياد وهجاء يزيد بن زياد .

• ذكر سبب ذلك :

حدثت عن أبي حبيدة معمر بن المثنى أن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري كان مع عباد بن زياد بسجستان ، فاشتغل عنه بحرب الترك ، فاستبطاه ، فأصاب الجند مع عباد ضيقاً في أعلاف دوابهم ، فقال ابن مفرغ :

أَلَا لَيْتَ اللَّحَى عَادَتْ حَشِيشًا فَنَطْلِفُهَا خَيُْولَ الْمُسْلِمِينَ^(١) !

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية ، فأنهى شعره إلى عباد ، وقيل : ما أراد غيرك ، فطلبه عباد ، فهرب منه ، وهجاء بقصائد كثيرة ، فكان مما هجاء به قوله :

(١) الأغانى ١٧ : ٥٣ (سأ).

إذا أودى معاوية بن حرب
فأشهد أن أملك لم تُبائِز
ولكن كان أمراً فيه لبس
وقوله :

ألا أبلغ معاوية بن حرب
أنفصب أن يقال أبوك عَفْ
فأشهد أن رَحِمَكَ من زياد
مُغْلَغَلَةٌ من الرجل الياني^(١)
وترضى أن يقال أبوك زَانِ !
كِرْخَم الغيل من وَلَدِ الأمان

١٩٢/٢ فحدثني أبو زيد، قال : لما هجا ابن مفرغ عبداً فارقه مقبلاً إلى البصرة، وعيّد الله يومئذ وفداً على معاوية ، فكتب عبداً إلى عبيد الله ببعض ما هجاه به ، فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية فأنشده إياه ، واستأذنه في قتل ابن مفرغ ، فأبى عليه أن يقطعه ، وقال : أدبُه ولا تبلغ به القتل ، وقدم ابن مفرغ البصرة ، فاستجار بالأحنف بن قيس ، فقال : إنا لا نجير على ابن سمية ، فإن شئتَ كَفَيْتَكَ شعراء بني تميم ، قال : ذاك ما لا أهلي أنْ أَسْفَاه ، فأتى خالد بن عبد الله فوعده ، وأتى أمية فوعده ، ثم أتى عمر بن عبيد الله بن معمر فوعده ، ثم أتى المنذر بن الحارود فأجاره ، وأدخله داره ، وكانت بحريّة بنت المنذر عند عبيد الله ، فلما قدم عبيد الله البصرة أخير بمكان ابن مفرغ عند المنذر ، وأتى المنذر عبيد الله مسلماً ، فأرسل عبيد الله الشرط إلى دار المنذر ، فأخلوا ابن مفرغ ، فلم يشعر المنذر وهو عند عبيد الله إلا بأبن مفرغ قد أقيم على رأسه ، فقام إلى عبيد الله وقال : أيتها الأمير ، إني قد أجرتك ، قال : والله يا منذر ليمسحتك وأباك ويهجوني أنا وأبى ، ثم تجهروا عليّ فأمر به فسق دواءً ، ثم حُمِلَ على حمار عليه إكافٌ فجعل يطاف به وهو يسلمح

(١) الأغانى ١٧ : ٥٧ (سأى) .

(٢) الأغانى ١٧ : ٦٠ (سأى) .

في ثيابه ، فيُسَرَّ به في الأسواق ، فرَّ به فارسيّ قرآه ، فسأل عنه ، فقال : لئن ١٩٣/٢
جئت^(١) ؟ ففهمها ابنُ مفرَّغ ، فقال^(٢) :

أَبْ اسْتَنْيَدَ اسْتِ عَصَارَاتِ زَيْبِ اسْتِ
• سَمِيَّةٌ وَوَسِيدَ اسْتِ^(٣) •

ثمَّ هجا المثلث ابن الجارود :

تَرَكْتُ قُرَيْشًا أَنْ أَجَاوَرَ لِيهِمْ وَجَاوَزْتُ عَبْدًا قَيْسٍ أَهْلَ الْمُشَقَّرِ^(٤)
أَنَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جَوْلُومُهمْ أَحَاصِيرَ مَنْ قَسَوِ الْبِرَاقَ الْمُبَكَّرِ^(٥)
فَأَصْبَحَ جَارِي مِنْ جُلَيْمَةٍ نَائِمًا وَلَا يَمْنَعُ الْجِيْرَانُ خَيْرُ الْمُشْتَرِ
وَقَالَ لَعْنِدَ اللَّهِ :

يَغْفِيلُ الْمَاءَ مَا صَنَعْتَ وَقَوْلِي رَاسِخُ مَنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبُولَى^(٦)
ثمَّ حملهُ عبيد الله إلى عبادِ سِجِسْتَان ، فكلَّمت البانية فيه بالشَّام معاوية ،
فأرسل رسولاً إلى عباد ، فحمل ابن مفرَّغ من عنده حتى قدَّم على معاوية ،
فقال في طريقه :

عَلَسَ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجَوْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيْقُ^(٧)
لَعْنَتِي لَقَدْ نَجَاكَ مِنْ هَوَا الرَّدَى إِمَامٌ وَجَهْلٌ لِلْأَنَامِ وَلَقِيْقُ

(١) لئن جئت ، بالفارسية منلدا : « هذا ماذا ؟ » .

(٢) وحدث هذه الأبيات الفارسية في الشعر والقصائد ٣٢٠ والبيان والبيان ١ : ١٤٣ ،
والأغاني ١٧ : ٥١ ، والمختار ٢١٠ .

(٣) أب : ماء . است فعل من أفعال الكريهة بالفارسية ، أراد أن تنبذ معاوية إلا ما هو
عصارات الزيب . سمية هي أم زياد بن أبيه . ووسيد ، أي مضمرة .

(٤) الأغاني ١٧ : ٥٧ .

(٥) الأغاني : ٥ المفسر .

(٦) من قصيدة طويلة في الأغاني ١٧ : ٥٧ : ٥٨ .

(٧) الأغاني ١٧ : ٦٠ ، الشعر والقصائد ٣٢٤ مع اختلاف في الرواية . محس : كلمة

سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ نِعْمَةٍ وَيُثَلِّ بِشُكْرِ الْمُنْعِمِينَ حَقِيقُ ١٩٤/٢

فلما دخل على معاوية بكى، وقال: ركبَ مِنِّي مَا لَمْ يَرْكَبْ مِنْ مُسْلِمٍ عَلَى غَيْرِ حَدَثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ ! قَالَ : أَوَلَسْتَ الْقَاتِلُ :

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَقَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِي !
القصيدة - قَالَ : لَأَوَلِّى عَظَمَ حَتَّى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا قُلْتُ هَذَا ، قَالَ :
أَلَمْ تَقُلْ :

فَأَشْهَدُ أَنَّ أَمْلَكَ لَمْ تُبَايِرْ أَبَا سُفْيَانَ وَاضْمَةً الْقِنَاعِ (١)

فِي أَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ هَجَوْتَ بِهَا ابْنَ زِيَادٍ ! أَذْهَبَ قَدْ عَفَوْنَا لَكَ عَنْ جُرْمِكَ ،
أَمَّا لَوْ لِيَانَا تَعَامَلْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا كَانَ شَيْءٌ ، فَانْطَلِقْ ، وَفِي أَىْ أَرْضٍ شِئْتَ فَانْزِلْ .
فَنَزَلَ الْمُوَصِّلَ ، ثُمَّ إِنَّهُ ارْتَاحَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَقَدِمَهَا ، وَدَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ
فَأَمَنَهُ .

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَلَمَّا قَالَ فِي نَزْوِلِ ابْنِ مَفْرَغٍ الْمُوَصِّلَ عَنِ الَّذِي أَخْبَرَنِي
بِهِ أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ : ذَكَرْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا قَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْقَاتِلُ :

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَقَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِي

الْأَيَّاتُ ، حَكَّفَ ابْنَ مَفْرَغٍ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ
الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ ، وَاتَّخَلَفَنِي قَرِيبَةً إِلَى هِجَاءِ زِيَادٍ ، وَكَانَ عَتَبَ عَلَيْهِ قَبْلَ
ذَلِكَ ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ وَحَرَمَهُ عَطَاءَهُ ، حَتَّى
أَضْرَبَهُ ، فَكَلَّمْتُمْ فِيهِ ، فَقَالَ : لَا أَرْضَى عَنْهُ حَتَّى يَرْضَى عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَقَدِمَ
الْعِرَاقَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَهُ :

لَأَنْتَ زِيَادَةٌ فِي آلِ حَرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِحْدَى بَنَاتِي ١٩٥/٢
أَوَاكُ أَخًا وَمَعًا وَابْنَ عَمٍّ وَلَا أَحَدِي بِقَيْبٍ مَا تَرَانِي

(١) - الألفاظ ١٧ : ١٦٨ الشعر والشعراء ٣٢٢ .

(٢) - الألفاظ ١٧ : ٦٠ (ساجي) .

قال : أراك والله شاعرَ سَوَّءٍ ! فرضى عنه ، فقال معاوية لابن مفرغ :
أَلَسْتَ الْقَاتِلَ :

فَأَشْهَدُ أَنَّ أَتْلَكَ لَمْ تُبَايِرْ أَبَا سُفْيَانَ وَاضْعَةَ الْقِنَاعِ
الأيامات ! لا تعودنَ إلى مثلها ، عَفَوْنَا عَنْكَ . فأقبل حتى نزل الموصل ،
فتزوج امرأة ، فلما كان في ليلة يَبْنَاهَا خرج حين أصبح إلى الصَّيد ، فلقى
ذَهَانًا أو حِطَّارًا على حمار له ، فقال له ابن مفرغ : من أين أقبلت ؟ قال :
من الأهواز ؛ قال : وما فعل ماءُ مُسْرُفَانَ ؟ قال : على حاله ؛ قال : فخرج
ابن مفرغ فتوجه قبيلَ البصرة ، ولم يُعْلِمِ أهلهَ بمسيره ، ومضى حتى قدم على
عبيد الله بن زياد بالبصرة ، فلخل عليه قائمته ، ومكث عنده حتى استأذنه
في الخروج إلى كَرْمَانَ ، فأذن له في ذلك ، وكتب إلى عامله هناك بالوصاة
والإكرام له ، فخرج إليها . وكان عامل عبيد الله يومئذ على كَرْمَانَ شريكُ
ابنِ الأعور الحارثي .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سُفْيَانَ ، حدثني
بذلك أحمد بن ثابت ، عَمَّنْ حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ،
وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان الولي على المدينة الوليدُ بن عُتْبَةَ بن أبي سُفْيَانَ ، وعلى الكوفة
النعمان بن بشير ، وعلى قضائها شُرَيْح ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ،
وعلى قضائها هشامُ بن هُبَيْرَة ، وعلى خُرَّاسَانَ عبدُ الرحمن بن زياد ، وعلى
سجستانَ عباد بن زياد ، وعلى كَرْمَانَ شريك بن الأعور من قبيل
عبيد الله بن زياد .

ثم دخلت سنة ستين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سُورِيَّةً ودخولُ جُنَادَةَ ابن أبي أمية رُدُس ، وهدمه مدينتها ، في قول الواقدي .

• • •

[ذكر عهد معاوية لابنه يزيد]

وفيها كان أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه ^(١) مع عبيد الله بن زياد البيعة لابنه يزيد ، وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد إليه في التفر الذين امتنعوا من البيعة ليزيد حين دعاهم إلى البيعة .

وكان عهدُ الذي عهد ، ما ذكر هشام بن محمد ، عن أبي غنم ، قال : حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن خزيمة ، أن معاوية لما مَرَضَ مرضته التي ^(٢) هلك فيها دعا يزيد ابنه ، فقال : يا بني ، إني قد كَفَيْتُكَ الرَّحْلَةَ ^(٣) . ولتُرحال ، ووطأت لك الأشياء ، وذلت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعتاق العرب ، وجمعت لك من جمع واحد ^(٤) ، وإني لا أتحوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقَّده العباد ، وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك ، وأما الحسين بن علي فلأن أهل العراق لن يَدَعُوهُ حتى يُخْرِجُوهُ ، فلأن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فلأن له رَحِمًا ماسيةً وحَقًّا عظيمًا ، وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئًا صنع مثلهم ، ليس له همة إلا في النساء والتهو ، وأما الذي يَجِئُكَ لك جُرم الأسد ، ويرأوك مراوغة ^(٥)

١٩٧/٢

(١) س : عليه . (٢) س : مرضه الذي .

(٣) س : الرحال . كتاب الحسين : الرحال .

(٤) س : جميع . ابن الأثير : جمعت لك ما لم يحصه أحد . (٥) س : ورفلان .

الغلب ، فإذا أمكنه فرصة وب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فقد رت عليه قطعته إرباً إرباً^(١) .

قال هشام : قال عوانة : قد سمعنا في حديث آخر أن معاوية لما حضره الموت - وذلك في سنة ستين - وكان يزيد غالباً ، فدعا بالضحاك^(٢) بن قيس القهري - وكان صاحب شرطته - وسلم بن عقبة المرتي ، فأوصى إليهما فقال : بلغا يزيد وصتي ، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم ، وتعاهد من غاب ، وانظر أهل العراق ، فإن سألك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ، فإن عزل عامل أحب إلى من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك ، فإن نابك شيء من عدوك فانصر بهم ، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخلوا بغير أخلاقهم ، وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة : حسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن الزبير ، فأما ابن عمر فرجل قد وقّده الدين ، فليس ملتصقاً شيئاً قبلك ، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه ، وخذلك أخاه ، وإن له رحماً مائة ، وحقاً عظيماً ، وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرت عليه فاصفعه ، فإني لو آتى صاحبه عفوت عنه ، وأما ابن الزبير فإنه حَبّ حَبّ ، فإذا شتخص لك فالبدله ، إلا أن يلتصق منك صلحاً ، فإن فعل فالقبل ، واحقن دماء قومك ما استطعت^(٣) .

• • •

[ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان]

وفي هذه السنة هلك معاوية بن أبي سفيان بدمشق ، فاختلف في وقت وفاته بعد إجماع جميعهم على أن هلاكه كان في سنة ستين من الهجرة ،

(١) الخبر في كتاب المصنفين لأبي حاتم . ١٥٥ .

(٢) م : الضحاك .

(٣) كتاب المصنفين ١٥٥ ، ١٥٦ .

وفي رجب منها ، فقال هشام بن محمد : مات معاويةٌ لَهلالِ رَجَبٍ من سنة ستين .

وقال الواقدي : مات معاويةٌ للنصف من رَجَبٍ .

وقال علي بن محمد : مات معاويةٌ بلمشق سنة ستين يوم الخميس لثمانٍ بقين من رَجَبٍ ، حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَارِثُ عَنْهُ .

• • •

ذكر الخبر عن مدة ملكه

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ إِسْحَاقَ بْنَ عِيسَى يَذْكُرُ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ ، قَالَ : بُويعَ لِمَعَاوِيَةَ بِأَذْرُوحَ ، بِأَيِّهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَتَوَلَّى مَعَاوِيَةَ فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِينَ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ .

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ بْنُ دِينَارٍ السَّعْدِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالُوا : تَوَلَّى مَعَاوِيَةَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِلنَّصَفِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سِتِينَ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا .

١٩٩/٢

وَحَدَّثَنِي عَمْرٌو ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيٌّ ، قَالَ : بَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مَعَاوِيَةَ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ حِينَ تَفَرَّقَ الْحَكَمَانُ ، وَكَانُوا قَبْلُ بِأَيُّعُوهُ عَلَى الطَّلَبِ بِسَمِ عُمَانَ ، ثُمَّ صَالَحَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَسَلَّمْ لَهُ الْأَمْرَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، لِخَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، فَبَايَعَ النَّاسُ جَمِيعًا مَعَاوِيَةَ ، فَقِيلَ : عَامُ الْجُمَاعَةِ ، وَاتَّ بِلَمَشَقِّ سَنَةِ سِتِينَ ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لَثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبٍ . وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا .

قال : ويقال : كان بين موت علي عليه السلام وموت معاوية تسع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاث ليالٍ .

وقال هشام بن محمد : يبيع معاوية بالخلافة في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، فولى تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر إلا أياماً ، ثم مات لئلال رجب من سنة ستين .

• • •

[ذكر مدة عمره]

واختلفوا في مدة عمره ، وكم عاش ؟ فقال بعضهم : مات يوم مات وهو ابن خمس وسبعين سنة .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني عمر ، قال : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : أخبرني هشام بن الوليد ، قال : قال ابن شهاب الزهري : سألت الوليد عن أعمار الخلفاء ، فأخبرته أن معاوية مات وهو ابن خمس وسبعين سنة ، فقال : بَخْر ! إن هذا لَمُتْر .

وقال آخرون : مات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .
• فذكر من قاله ذلك :

حدثني عمر ، قال : حدثني أحمد بن زهير قال : قال علي بن محمد : مات معاوية وهو ابن ثلاث وسبعين ، قال : ويقال ابن ثمانين سنة .

٢٠٠/٢

وقال آخرون : توفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة .
• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبيه ، قال : توفي معاوية وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

وقال آخرون : توفي وهو ابن خمس وثمانين سنة ، حدثت بذلك عن هشام بن محمد أنه كان يقوله عن أبيه .

• • •

[ذكر العلة التي كانت فيها وقاته]

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا أبو عبيدة ، عن أبي يعقوب الثقفي ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : لما ثقل معاوية وحدث الناس أنه الموت ، قال لأهله : احشوا عني إثمياً ، وأوسعوا رأسي دهنًا ، ففعلوا ، وبرقوا وجهه بالدهن ، ثم مهد له ، فجلس وقال : أسئلوني ، ثم قال : ائلفوا للناس فليسلموا قياماً ، ولا يجلس أحد ، فجمل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه مكتهلاً مدهناً فيقول : يقول الناس : هو لمآب ، وهو أصبح الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية :

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرِيَهُمْ أَنَّنِي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ^(١)
وَإِذَا الْمَيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْقَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفُعُ
قال : وكان به التفاتات^(٢) ، فأت من يومه ذلك .

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، عن إسحاق بن أبيوب ، عن عبد الملك بن مينا الكلبى ، قال : قال معاوية ، لا يتبه في مرضه الذى مات فيه وهما هتلبانه : تُكَلِّبانِ حَوْلًا قَلْبًا ، جمع المال من شُبِّ إلى دُبٍّ^(٣) . إن لم يدخل النار ، ثم تمثّل :

لَقَدْ سَعَيْتُ لَكُمْ مِنْ سَعْيٍ ذَى نَصَبٍ وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّطَوُّفَ وَالرَّحَلَ^(٤)
ويقال : « من جمع ذى حسب » .

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن سليمان بن أبيوب ، عن الأوزاعي وعلى بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن ميمون ، عن أبيه ، أن معاوية قال في

(١) لبي فزيب الخليل ، ديوان الخليلين : ١ : ٣٨ .

(٢) ابن الأثير : « التفاتات » .

(٣) من شُبِّ إلى دُبٍّ : أى من جمعت لذن شبيت إلى أن دبت على المعصاة وأصل المثل وأمهض

من شُبِّ إلى دُبٍّ . وانظر السان (شُبِّ) .

(٤) كتاب المسرورين : ١٥٩ ، وروايته : « وقد كفيتكم الرجال والنصب » .

عرضه الذي مات فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني قميصاً فرفعته .
وقلم أظفاره يوماً ، فأخضت قلماته فجعلتها في قارورة ، فإذا مات فألبسني
ذلك القميص ، وقطعوا تلك القلابة ، وأسحقوها وذروها في عيني ، وفي في ،
فبسى الله أن يرحمني ببركتها ! ثم قال معتملاً بشعر الأشهب بن رُميلة
النَّهْشَلِيَّ يملح به القُبَّاحُ (١) :

إذا مُتَّ ماتَ الجُرْدُ وانقطعَ النَّدَى من الناس إلا من قليلٍ مَصْرَدٍ
ورُدَّتْ أَكُفُّ المائِلِينَ وأَمْسَكُوا من الدُّنْيَا بخلفٍ مُجْدِي

فكانت إحدى بناته - أَوْغِيها : كلاً يا أمير المؤمنين ، بل يملح الله عنك !
فقال متملاً :

وإذا المنيَّةُ أُنْغِيَتْ أظفارها أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيَّةٍ لا تَنْفُغُ

ثم أغميَ عليه ، ثم أفاق ، فقال : لمن حضره من أهله : اتقوا الله عز
وجل ، فإن الله سبحانه يني من اتقاه ، ولا وافي لمن لا يني الله ، ثم قضى .
حدثنا أحمد ، عن علي ، عن محمد بن الحكم ، عن حدثه أن معاوية
لما حضر أوصى بنصف ماله أن يُرَدَّ إلى بيت المال ، كان (٢) أراد أن يتطيَّب
له الباقي ، لأن عمر قاسم عماله .

ذكر الخبر عن علي معاوية حين مات

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : صلى علي معاوية
الضحك بن قيس الفهري ، وكان يزيد غالباً حين مات معاوية .

وحدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي هذيل ، قال : حدثني عبد الملك
ابن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مسخومة ، قال : لما مات معاوية خرج

(١) هو الحادث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَّاح ، وانظر الكامل ٣ : ٣٠٧ .

(٢) ابن الأثير : ١ : كاله .

الفصحك بن قيس حتى صعيد المنبر وأكفان معاوية على يديه^(١) تلوح ،
فحميد الله وأنتى عليه ، ثم قال : إن معاوية كان عود العرب ، وحد العرب ،
قطع الله عز وجل به القنته ، ومككه على العباد ، وفتح به البلاد . ألا إنه
قد مات ، فهذه أكفانه ، فنحن مدبرجوه فيها ، ومدخلوه قبره ، وسخلين
بينه وبين عمله ، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن
يشهده فليحضر عند الأولى . وبعث البريد^(٢) إلى يزيد بجمع معاوية ،
فقال يزيد في ذلك :

٢٠٣/٧

جاء البريد بقرطاس يحب به
فلنا : لك الويل ماذا في كتابكم ؟
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا
من لا تزول نفسه تولى على شرف
لما انتهينا وباب الدار منصفق
فأوجس القلب من قرطاسه فزعا^(٣)
قالوا : الخليفة أثنى مئبنا وجمعا
كان أغبر من أركانها انقطعا
توشك مقابلة تلك النفس أن تقعا
وصوت رمة ريع القلب فانصدعا
حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، عن إسحاق بن خليد ، عن خليل
ابن حجلان مولى عباد ، قال : مات معاوية ويزيد بحواريين ، وكانوا كتبوا
إليه حين مرض ، فأقبل وقد دفين ، فألقى قبره فعلى عليه ، ودعا له ، ثم أتى
مزلته ، فقال : وجاء البريد بقرطاس ... : الأبيات .

* * *

ذكر الخبر عن نسيه وكنيته

أما نسيه فإنه ابن أبي سفيان ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وأمه هند بنت عتبة
ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وكنيته أبو عبد الرحمن .

٢٠٤/٧

(١) س : ع عليه .

(٢) في المصدر : ع به الظهر .

(٣) الألفاظ : ١٦ : ٣٣ (سلي) ، والمصدر : ١٥٧ .

ذكر نسائه وولده

من نسائه ميسون بنت بحدل بن أنثيف بن وكعة بن قنافة بن عليّ
ابن زهير بن حارثة بن جناب الكلبيّ ، ولدت له يزيد بن معاوية . قال عليّ :
ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة — ربّ المشارق — فأتت صغيرة ، ولم يذكرها
هشام في أولاد معاوية .

ومنهنّ فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . ولدت
له عبد الرحمن وعبد الله بن معاوية ، وكان عبد الله محمقاً ضعيفاً ، وكان
يُكسّى أبا الخير . حدثني أحمد ، عن عليّ بن محمد ، قال : مرّ عبد الله بن معاوية يوماً
بطلحان قد شدّ بقلبه في الرّحا للطحن ، وجعل في عنقه جلاجل ، فقال له :
لم جعلت في عنق بفلك هذه الجلاجل ؟ فقال الطحان : جعلتها في عنقه
لأعلم إن قد قام فلم تدّر الرّحا ، فقال له : أرايت إن هو قام وحرك رأسه
كيف تعلم أنه لا يدبر الرّحا ؟ فقال له الطحان : إنّ بغي هذا — أصلح الله
الأمير — ليس له عقل مثل عقل الأمير ! وأما عبد الرحمن فإنه مات صغيراً .

ومنهنّ نائلة بنت عمار الكلبيّة ، تزوّجها ، فحدثني أحمد ، عن عليّ
قال : لما تزوّج معاوية نائلة قال لميسون : انطلقى فانظري إلى ابنة عمك ،
فانظرت إليها ، فقال : كيف رأيتها ؟ فقالت : جميلة كاملة ، ولكن رأيت
تحت سرّتها خالاً ليوضنّ رأس زوجها في حجّرها ، فطلقها معاوية ،
فتزوّجها حبيب بن مسلمة القهريّ ، ثمّ خطف عليها بعد حبيب النعمان بن
بشير الأنصاريّ ، فقتل ، ووضع رأسه في حجّرها .

ومنهنّ كَثُوف بنت قرظة أخت فاختة ، فزّوا قُبْرُسَ وهي معه ، فأتت
هناك .

• • •

ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

حدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ ، قال : لما بويع لمعاوية بالخلافة صيّر

على شرطته قيس بن حمزة الميماني ، ثم حزنه ، واستعمل زميل^(١) بن عمرو العذريّ - ويقال السكسكيّ . وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرقيّ ، وعلى حترسه رجل من الموالى يقال له المختار ، وقيل : رجل يقال له مالك ، ويكنى أبا المخارق ، مولى لحمير . وكان أول من اتخذ الحرس . وكان على حجابته سعد مولاة ، وعلى القضاء فضالة بن عبيد الأنصاريّ ، فمات فاستنقى أبا لإدريس عائد الله بن عبد الله الخولانيّ . إلى هاهنا حديث أحمد ، عن عليّ .

٢٠٦/٢

وقال غير عليّ : وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميريّ ، وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم . قال : وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعمر بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم ، وكتب بذلك إلى زياد بن سمية وهو على العراق ، ففرض عمرو الكتاب وصير للمائة مائتين ، فلما رفع^(٢) زياد حسابه أنكرها معاوية ، فأخذ عمرأ بردّها وحسبه ، فأدّاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير ، فأحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وعزّم الكتب ، ولم تكن تُعزّم .

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبيبويه ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبريّ ، قال : قال عمر بن الخطاب : تذكرين كسرى ويصبر ودهاءهما وعندكم معاوية !

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن فليح ، قال : أنصيرت أن عمرو ابن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر ، فقال لم عمرو : انظروا ، إذا دخلتم على ابن هند فلا تأسلموا عليه بالخلافة ، فإنه أعظم لكم في عينه ، وصبروه ما استطعتم . فلما قدموا عليه قال معاوية لحجابه : إني كأتى أعرف ابن النابغة وقد صغر أمرى عند القوم ، فانظروا إذا دخل الوفد فتعصموا^(٣) أشدّ تعتمة

(٢) س : يبلغ .

(١) ابن الأثير : نذل .

(٣) تعصم : لم أنصم .

تقدرون عليها ، فلا يلبغي رجل منهم إلا وقد همت نفسه بالتلف . فكان أول ٢٠٧/٢
مَنْ دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الحياط ، فدخل وقد تُعجِب ،
فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا قال لم
عمرو : لعنكم الله ! نهيتكم أن تسلموا عليه بالإمارة ، فسلمتم عليه بالنبوة !

قال : وليس معاوية يوماً حمامته الحركانية واكتحل ، وكان من
أجمل الناس إذا فعل ذلك . شكَّ عبد الله فيه سمعه أو لم يسمعه .

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : حدثنا أبو محمد
الأموي ، قال : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ، فرأى معاوية في موكب يتلقاه ،
وراح إليه في موكب ، فقال له عمر : يا معاوية ، تروح في موكب وتغدو
في مثله ، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات يبابك ! قال :
يا أمير المؤمنين ، إن العدو بها قريب منا ، ولم عين رجوايس ، فأردت
يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً ، فقال له عمر : إن هذا لكيد رجل
لييب ، أو خدعة رجل أريب ، فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ، مررتُ
بما شئت أصير إليه ، قال : ويحك ! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه
إلا تركتني ما أدري أمرك أم أنهاك !

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ،
قال : حدثني عبد الله ، عن معمر ، عن جعفر بن بُرقان ، أن المغيرة
كتب إلى معاوية : أما بعد ، فإنني قد كبرت سنِّي ، ودقَّ عظمي ،
وشَيْفَت لي (١) قريش ، فإن رأيت أن تمررتي فاعزلني .

٢٠٨/٢ فكتب إليه معاوية : جاعني كتابك تذكر فيه أنه كبرت سنك ، فلعمرى
ما أكل عمرَكَ غيرك ، وتذكر أن قريشاً شفتك لك ، ولعمرى ما أصبت خيراً
إلا منهم . وتسالني أن أعزلك ، فقد فعلت ، فإن تك صادقاً فقد شفتك ،
وإن تك مخادعاً فقد خدعتك .

(١) شفت لي : أي ابتغى .

حدثني أحمد ، عن علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد ، قال : قال معاوية : إذا لم يكن الأموي مصلحاً لآلِه ، حليماً ، لم يشبه من هو منه ، وإذا لم يكن الماشي سخياً جواداً لم يشبه من هو منه ، ولا يقدمك من الماشي اللسان والسقاء والشجاعة .

حدثني أحمد ، عن علي ، عن عروة وطلاد بن عتبة ، قال : تغدي معاوية يوماً وعنده عبيد الله بن أبي بكر ، وضع ابنه بشير — ويقال : غير بشير — فأكثر من الأكل ، فلحظه معاوية ، وفطن عبيد الله بن أبي بكر ، فأراد أن يغمز ابنه ، فلم يمكنه ، ولم يرفع رأسه حتى فرغ ، فلما خرج لأمه علي ما صنع ، ثم عاد إليه وليس معه ابنه ، فقال معاوية : ما فعل ابنك التلقاة ؟ قال : اشتكتني ، فقال : قد علمت أن أكله سيورته داء .

حدثني أحمد ، عن علي ، عن جويرية بن أسماء ، قال : قدم أبو موسى علي معاوية ، فدخل عليه في برنس أسود ، فقال : السلام عليك يا أمين الله ، قال : وعليك السلام ، فلما خرج قال معاوية : قدم الشيخ لأوكيته ، ولا وافه لا أوكيه .

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبو صالح سليمان بن صالح قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بردة ، قال : دخلت على معاوية حيث أصابته قرحته ، فقال : هلم يا بن أخي ، نحوى فانظر ، فنظرت فإذا هي قد سيرت ، فقلت : ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين ، فدخل يزيد فقال معاوية : إن وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهلنا ، فإن أباه كان لي خيلاً أو نحر ذلك من القول غير أني رأيت في القتال ما لم يره .

حدثني أحمد ، عن علي ، عن شهاب بن عبيد الله ، عن يزيد بن سويد ، قال : أذن معاوية للأحنف وكان يبدأ بإذنه ، ثم دخل محمد بن الأشعث فجلس بين معاوية والأحنف ، فقال معاوية : إنا لم نأذن له قبلك فتكون دونه ، وقد فعلت فقال من أحسن من نفسه دلاً ، إنا كنا نملك أموركم

ملكك إذنكم ، فأريدوا منا ما نريد منكم ، فإنه أتى لكم .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن سحيم بن حفص ، قال : خطب ربيعة بن حنبل اليربوعي إلى معاوية ، فقال معاوية : اسقوه سويقاً ، وقال له معاوية : يا ربيعة ، كيف الناس عندكم ؟ قال : غنظون على كلنا وكلنا فرقة ، قال : فمن أيّهم أنت ؟ قال : ما أنا على شيء من أمرهم ، فقال معاوية : أراهم أكثر مما قلت ، قال : يا أمير المؤمنين ، أحنى في بناء دارى بالنى عشر ألف جندع ، قال معاوية : أين دارك ؟ قال بالبصرة ، وهى أكثر من فرسخين فى فرسخين ، قال : فدارك فى البصرة ، أو البصرة فى دارك ! فدخل رجل من ولده على ابن هبيرة فقال : أصلح الله الأمير ! أنا ابن سيّد قومه ، خطب أبى إلى معاوية ، فقال ابن هبيرة لسلم بن قتيبة : ما يقول هذا ؟ قال : هذا ابن أحق قومه ، قال ابن هبيرة : هل زوج أباك معاوية ؟ قال : لا ، قال : فلا أرى أباك صنع شيئاً .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن أبى عماد بن ذكوان القرشى ، قال : تنازع عتبة وعنسة ابنا أبى سفيان - وأمّ عتبة هند وأمّ عنسة ابنة أبى أزيهر الدؤبى - فأغلظ معاوية لعنسة ، وقال عنسة : وأنت أيضاً يا أمير المؤمنين ! فقال : يا عنسة ، إن عتبة ابن هند ، فقال عنسة :

كنّا بخير صالحاً ذات بيننا قديماً فأُمسّت ففرقت بيننا هند^(١)
فلإنّ نكّ هند لم تلدنى فلأننى لبيضاء ينسبها غطارفة نجس^(٢)
أبوها أبوالأضياف فى كل شتوة ومأوى ضعاف لا تنوّه من الجهد
جفّيناته ما إنّ نزال مقيمة لمن خاف من غوزى تهامة أوجد

فقال معاوية : لا أحبها عليك أبداً .

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبى ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن حرملة بن عمران ، قال : أتى معاوية فى ليلة أن

(١) كُتبت الأبيات فى ط محرقة على هيئة قصيدة . (٢) ط : « عهد » .

قيصر قصد له في الناس ، وأن ناثيل بن قيس الجهمي غلب فلسطين وأخذ بيت مالها ، وأن المصريين الذين كان سجنهم هربوا ، وأن علي بن أبي طالب قصد له في الناس ، فقال لمؤذنه : أذن هذه الساعة - وذلك نصف الليل - فجامه عمرو بن العاص ، فقال : لم أرسلت إلى ؟ قال : أنا ما أرسلت إليك ، قال : ما أذن المؤذن هذه الساعة إلا من أجلي ، قال : رُميت بالقيسي الأربع ، قال عمرو : أما هؤلاء الذين خرجوا من سجنك ، فإنهم إن خرجوا من سجنك فهم في سجن الله عز وجل ، وهم قوم شرارة لا رحلة بهم ، فاجعل لمن أذاك برجل منهم أو برأسه دية ، فإنك ستؤتى بهم ، وانظر قيصر فوادعه ، وأعطه مالا وحكلا من حلك مصر ، فإنه سيرضى منك بذلك ، وانظر ناثيل ابن قيس ، فلتعمرى ما أغضبه الدين ، ولا أراد إلا ما أصاب ، فاكذب إليه ، وهب له ذلك ، وحنثه إياه ، فإن كانت لك قدرة عليه ، وإن لم تكن لك فلا تأمن عليه ، واجعل حدك وحديدك لهذا الذي عنده دم ابن عمك . قال : وكان القوم كلهم خرجوا من سجنه غير أبرهة بن الصباح ، قال معاوية : ما منعك من أن تخرج مع أصحابك ؟ قال : ما منعني منه بغض لعل ، ولا حب لك ، ولكني لم أقدر عليه ، فخلني سبيله . حدثني عبد الله ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك^(١) ، عن جرير بن حازم ، قال : سمعت محمد بن الزبير يحدث ، قال : حدثني عبد الله بن مسعدة بن حكمة الفزاري من بني آل بدر ، قال : انتقل معاوية من بعض كور الشام إلى بعض عمله ، فترك منزلا بالشام ، فبسط له على ظهر إجمار^(٢) مشرف على الطريق ، فأذن لي ، فقلعت معه ، فررت القطرات والرحائل والحواري والحيول ، فقال : يا بن مسعدة ، رحم الله أبا بكر ! لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا ، وأما عمر - أو قال : ابن حنمة - فأرادته الدنيا ولم يردّها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصاب منه ، وأما نحن ففترعنا فيها ، ثم كأنه ندم فقال : والله إنه ليملك آتاه الله إياه .

٢١١/٢

٢١٢/٢

(١) ط : مسعدة ، وانظر القهري .

(٢) الإجمار : السطح بلفظ الشام .

حدثني أحمد ، عن علي بن محمد ، عن علي بن عبيد الله ، قال :
كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يسأله لابنه عبد الله بن عمرو ما كان أعطاه
أباه من مصر ، فقال معاوية : أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدر ، أشهدكم
أني إن بقيت بعده فقد خلعتُ عهده . قال : وقال عمرو بن العاص :
ما رأيت معاوية متكئاً قطّ واضعاً إحدى رجله على الأخرى كاسراً عينه
يقول لرجل : تكلم ، إلا رحمته

قال أحمد : قال علي بن محمد : قال عمرو بن العاص لمعاوية :
يا أمير المؤمنين ، ألسْتُ أنصح الناس لك ؟ قال : بلك نلت ما نلت .

قال أحمد : قال علي : عن جويرية بن أسماء ، أن بسر بن
أبي أرطاة قال من علي عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلاه
بعضاً فشبهه ، فقال معاوية لزيد : عدت إلى شيخ من قريش سيد أهل الشام
فصبرته ! وأقبل علي بسر فقال : تشتم علياً وهو جدّه وابن الفاروق علي
رموس الناس ، أو كنت ترى أنه يصبر على ذلك ! ثم أرضاهما جميعاً .
قال : وقال معاوية : إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوى ،
وجعل أكثر من حلمي ، أو عورة لا أوارئها بسترى ، أو إساءة أكثر من
إحسانى . قال : وقال معاوية : زين الشريف العفاف ؛ قال : وقال معاوية :
ما من شيء أحبّ إليّ من عين خمرارة ، في أرض خمرارة ، فقال عمرو بن

العاص : ما من شيء أحبّ إليّ من أن أبيت عروساً بقيلة من عقائل
العرب ؛ فقال وردان مولى عمرو بن العاص : ما من شيء أحبّ إليّ من
الإفصال على الإخوان ، فقال معاوية : أنا أحقّ بهذا منك ؛ قال : ما تحب فافعل .

حدثني أحمد ، عن علي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال :
كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يُبرد بريداً إلى معاوية أمر مُناديه
فنادى : من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين ؛ فكتب زبّ بن حبيش - أو
أيمن بن خريم - كتاباً لطيفاً ورمى به في الكُتُب ، وفيه :

إذا الرجال وكَدَتْ أولادها واضطربت من كبر أعضادها
وجعلت أسقامها تنمّادها فهي زُرُوع قد دنا حصادها

فلمّا وردت الكتب عليه قرأ هذا الكتاب ، قال : نعى إلى نفسى .

قال : وقال معاوية : ما من شيء ألدّ عندى من غيظ أنجرّحه .

قال : وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص : يا بن أخى ، إنك قد لمجت بالشعر ، فإنيك والتشييب بالنساء فتعمر الشريفة ، والمهجع فتعمر كريمى ، وتستثير لثيى ، والملاح ، فإنه طحمة الوكاح ، ولكن افخر بمخاخر قومك ، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك ، وتؤدّب به غيرك . ٢١٤/٢

حدثنى أحمد ، عن على ، قال : قال الحسن بن حماد : نظر معاوية إلى الثما فى عبادة ، فازدراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن العبادة لا تكلمك ، وإنما يكلمك من فيها .

حدثنى أحمد ، عن على ، عن سليمان ، قال : قال معاوية : رجلان إن ماتا لم يموتا ، ورجل إن مات مات ، أنا إن مت خلتنى ابنى ، وسعيد إن مات خلفه عمرو ، وعبد الله بن عامر إن مات مات ، فبلغ مروان ، فقال : أما ذكر ابنى عبد الملك ؟ قالوا : لا ، قال : ما أحب أن لى بابنى ابنيهما .

حدثنى أحمد ، عن على ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : قال رجل لمعاوية : أى الناس أحب إليك ؟ قال : أشدّهم لى تحبيبا إلى الناس . قال : وقال معاوية : العقل والحلم أفضل ما أعطى العبد ، فإذا ذكر ذكر ، وإذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غفب كظم ، وإذا قدر خسر ، وإذا أساء استغفر ، وإذا وعد أنجز .

حدثنى أحمد ، عن على ، عن عبد الله ، وهشام بن سعد ، عن عبد الملك ابن عُمر ، قال : أغلظ رجل لمعاوية فأكثر ، قيل له : أتظلم من هذا ؟ قال : لى لا أحول بين الناس وألستهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا .

حدثنى أحمد ، عن على ، عن محمد بن عامر ، قال : لأم معاوية عبد الله بن جعفر على التناء ، فدخل يوما على معاوية ومعه بُدِيح ، ومعاوية واضح رجلا على رجل ، فقال عبد الله لبُدِيح : ليهى يا بدىح ! فغضى ،

فحرك معاوية رجلاه ، فقال عبد الله : مه يا أمير المؤمنين ! فقال معاوية : إن الكريم طروب .

قال : وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر - وكان مولى لبني لثيث ، وكان فاجراً - فقال له : ارفع حوائجك ، ففعل ، ورفع فيها حاجة سائب خاثر ، فقال معاوية : من هذا ؟ فخبّره ، فقال : أدخله ، فلما قام على باب المجلس غنى :

لَمَن الدِّيارُ رُؤُوسُها فَفَسَّرُ لَمِيتَ بها الأرواحُ والقطرُ !
وخَلَّ لها من بعد ساكِينها حِجَجٌ خَلَوْنَ ثَمَانُ أو عَشْرُ
والزَّعفرانُ على تَرائِيبِها شَرِقاً به اللَّبَّاتُ والنَّعْرُ

فقال أحسنت ، وقضى حوائجه .

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : ما رأيت أحداً أخلق للملك من معاوية ، إن كان يريد الناس منه على أرجاء وادٍ رحب ، ولم يكن كالضيق الخضمض ، الحصر - يعني ابن الزبير .

حدثني عبد الله ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن سفيان بن عيينة ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن قبيصة بن جابر الأسدي قال : ألا أخبركم من صحبت ؟ صحبت عمر بن الخطاب لما رأيت رجلاً أفقه فبقها ، ولا أحسن مدراسة منه ، ثم صحبت طلحة بن عبيد الله ، لما رأيت رجلاً أعطى للجزيل من غير مسألة منه ، ثم صحبت معاوية لما رأيت رجلاً أحب رفيقاً ، ولا أشبه سريرة بعلاية منه ، ولو أن الغيرة جعل في مدينة لا يخرج من أبوابها كلها إلا بالضر نخرج منها .

خلافة يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة بوجع ليزيد بن معاوية بالخلعة بعد وفاة أبيه ، لتتصرف من رجب في قول بعضهم ، وفي قول بعض : لثمان بقيت منه — على ما ذكرنا قبل من وفاة والده معاوية — فأقرَّ عبيد الله بن زياد على البصرة ، والنعمان بن بشير على الكوفة .

وقال هشام بن محمد ، عن أبي غنم ، ولى يزيد في هلال رجب سنة ستين ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأمير الكوفة النعمان ابن بشير الأنصاري ، وأمير البصرة عبيد الله بن زياد ، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يكن ليزيد حمة حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته ، وأنه ولى عهده بعده ، والفرار من أمرهم ، فكتب إلى الوليد :

بسم الله الرحمن الرحيم . من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد ، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه ، ونحوه ، ومكن له ، فعاش بقدر ، ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ، ومات براً نقياً ، والسلام .

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فارة :

أما بعد ، فخذ حُسْبًا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أنا بعد ، فخذ حُسْبًا ليست فيه رخصة حتى يابىوا ، والسلام .

٢١٧/٢

فلما أتاه نعي معاوية قطع به ، وكبر عليه ، فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه — وكان الوليد يوم قدم المدينة قد مها مروان متكاثراً — فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلوسه ، فبلغ ذلك مروان ، فجلس عنه وصرمه ، فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد ، فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة ، فرح عند ذلك إلى مروان ، ودعاه ، فلما قرأ عليه كتاب يزيد ، استرجع وترحم عليه ، واستشاره

الوليدُ في الأمر وقال : كيف ترى أن تصنع ؟ قال : فإني أرى أن تبعث الساعةَ إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة ، فإن فعلوا قَبِلْت منهم ، وكَتَفْت عنهم ، وإن أَبَوْا قَدَمْتهم فضرِبْتَ أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فإنهم إن علموا بموت معاوية وشَبَّ كل امرئ منهم في جانب ، وأظهر الخلاف والمنازعة ، ودعا إلى نفسه لا أدرى ، أما ابنُ عمرَ فإني لا أراه يرى القتال ، ولا يحبُّ أنه يُوكَلَّى على الناس ، إلا أن يُدْفَع إليه هذا الأمر عَقْوَاً . فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو إذ ذاك غلامٌ حَدَّثَ^(١) - إليهما يدعوهما^(٢) ، فوجدهما في المسجد وهما جالسان ، فأتاها في ساعة لم يكن الوليد^(٣) يجلس فيها للناس ، ولا يأتيانه في مثلها ، فقال : أجيأ ، الأميرُ يدعوكما ، فقال له : انصرف الآن تأتيه . ثم أقبل أحدهما على الآخر ، فقال عبد الله بن الزبير للحسين : ظُنَّ فيها تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها ! فقال حسين : قد ظننتُ ، أرى طامعيتهم قد هلك ، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يَتَشَوُّوا في الناس الخبر ، فقال : وأنا ما أظنَّ غيره . قال : فما تريد أن تصنع ؟ قال : أجمع فتيتاني الساعة ، ثم أمشي إليه ، فإذا بلغتُ البابَ احبستهم عليه ، ثم دخلت عليه . قال : فإني أخافه عليك إذا دخلت ، قال : لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر . فقام فجمع إليه موالِيَهُ وأهل بيته ، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه : إني داخلٌ ، فإن دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فافتحموا عليّ بأجمعكم ، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم ، فدخل فسلم عليه بالإمرأة ومروانُ جالسٌ عنده ، فقال حسين ، كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية : الصلّة خيرٌ من القطيعة ، أصلح الله ذاتَ بينكما ! فلم يبيحاه في هذا بشيء ، وجاء حتى جلس ، فأقرأه الوليد الكتاب ، ونَحَى له معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فقال حسين : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ورحم الله معاوية ، وعظّم لك الأجر ! أمّا ما سألتني من البيعة فإنّ مثلي لا يُعطى بيعة سراً ،

(١) - (٢) - (٣) - كذا في ط ، وفي ابن الأثير : ذلك الحسين وإله ابن الزبير يدعوها ، وهو أوضح .

(٢) - هو الوليد بن حبة بن أبي سفيان أمير المدينة .

ولا أراك تجزئ بها مني سرّاً دون أن تُظهِرَها على رموس الناس علانية؛ قال : أجلّ ، قال : فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً ، فقال له الوليد - وكان يحبّ العافية : فانصرف على اسم الله حتى تأيبتنا مع جماعة الناس ، فقال له مروان : والله لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تُكثّر القتل بينكم وبينه ، احبس الرجل ، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه ، فوثب عند ذلك الحسين ، فقال : يا بن الزرقاء ، أنت تقتلني أم هو ! كذبت والله وأثمت ، ثم خرج فرّاً بأصحابه ، فخرجوا معه حتى أتى منزله . فقال مروان للوليد : عصيتني ، لا والله لا يُمكنك من مثلها من نفسه أبداً ، قال الوليد : وبئح غيرك يا مروان ، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا ومثلها ، وأني قتلتُ حسينه سبحانه الله ! أقتل حسيناً أن قال : لا أبايع ! والله إنني لأظنّ أمراً يُحاسبُ بدم حسين الخفيف الميزان عند الله يوم القيامة . فقال له مروان : فإذا كان هذا رأيك فقد أصبتَ فيها صنعت ، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه .

٢١٩/٧

وأما ابنُ الزبير ، فقال : الآن آتيكم ، ثم أتى داره فكنس فيها ، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرّراً ، فألح عليه بكثرة الرسل والرجال في إثر الرجال ، فأما حسين فقال : كفّ حتى تنظر ونظر ، وترى وترى ، وأما ابنُ الزبير فقال : لا تعجلوني فلاني آتيكم ، أمهلوني ، فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأوّل ليلهما ، وكانوا على حسين أشدّ إبقاءً ، وبعث الوليد إلى ابن الزبير مولى له فشتموه وصاحوا به : يا بن الكاهلية ، والله لتأتين الأمير أو ليقطنك ، فلبث بذلك نهاره كلّهُ وأوّل ليلة يقول : الآن أجيء ، فإذا استحثّوه قال : والله لقد استربت بكثرة الإرسال ، وتتابع هذه الرجال ، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتي برأيه وأمره ، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال : رحمك الله ! كفّ عن عبد الله فإنك قد أفرغته وذعرته بكثرة رُسلك ، وهو آتيك غداً إن شاء الله ، فرّر رُسلك فلينصرفوا عنا . فبعث إليهم فانصرفوا ، وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأتى طريق

الفرع هو وأخوه جعفر ، ليس معهما ثالث ، وتجنب الطريق الأعظم خافة ٢٢٠/٢
الطلب ، وتوجه نحو مكة ، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج ،
فقال مروان : والله إن أخطأ مكة فسرّح في أثره الرجال ، فبعث راجياً من
موالي بني أمية في ثمانين راجياً ، فطلبوه فلم يقدروا عليه ، فرجموا ، فتشاغلوا
عن حسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسوا ، ثم بعث الرجال إلى حسين
عند المساء فقال : أصبحوا ثم ترون ونرى ، فكفوا عنه تلك الليلة ، ولم يلحقوا
عليه ، فخرج حسين من تحت ليلته ، وهي ليلة الأحد ليومين بقياً من رجب
سنة ستين .

وكان مخرج ابن الزبير قبله ليلة السبت فأخذ طريق
الفرع ، فبينما عبد الله بن الزبير يسير أخاه جعفراً إذ تمثل جعفر بقول صبرة
الحنظلي :

وكل بني أمّ سيئسون ليلة ولم يبق من أعتابهم غير واحد

فقال عبد الله ! سبحان الله ، ما أردت إلى ما أسمع يا أخى ! قال : والله
يا أخى ما أردتُ به شيئاً مما تكره ، فقال : فذاك والله أكره إلى أن يكون جاء
على لسانك من غير تعمد - قال : وكأنه تطير منه - وأما الحسين فإنه خرج
بينه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته ، إلا محمد بن الحنفية فإنه قال
له : يا أخى ، أنت أحب الناس إلى ، وأحزهم على ، ولست أدخر النصيحة لأحد
من الخلق أحقّ بها منك ، تتخّ بقبعتك^(١) عن يزيد بن معاوية وعن
الأمصار ما استطعت ، ثم ابعت رسلتك إلى الناس فادعهم إلى نفسك ٢٢١/٢
فإنّ يايعوا لك حملتُ الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيورك لم يتنص
الله بملك دينك ولا عقلك ، ولا يلعب به مروءتك ولا فضلك ، إني
أخاف أن تدخل ميصراً من هذه الأمصار وثأقي جماعة من الناس ، فيختلفون
بينهم ، فتهم طائفة ملك ، وأخرى عليك ، فيقتلون فتكون لأول الأُسنة ،
فلذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً ، وأماً أضيعها دمًا وأذلها أهلاً ، قال

(١) ابن الأثير : « يبعثك » .

له الحسين : فإني ذاهب يا أخى ، قال : فأنزل مكة فإن اطمأنت بك الدارُ فسيل^(١) ذلك ، وإن نبتت بك لجفت بالرمال ، وشعث الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأى ، فإني أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالا ، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستديرها استدباراً ، قال : يا أخى ، قد نصحت فأشفت ، فأرجو أن يكون ربك سديداً موقفاً .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن أبي سعد المقبري ، قال : نظرت إلى الحسين داخلًا مسجد المدينة وإنه ليمشي وهو معتمد على رجلين ، يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة ، وهو يتمثل بقول ابن مفرغ :

لا دَعَرْتُ السَّوَامَ في فَلَقِ الْعَبَةِ حِجْ مُفِيرًا وَلَا دُعِيْتُ بِزَيْدَا^(٢)
يَوْمَ أُغْطِيَ مِنَ الْمَهَابَةِ ضِمَامًا وَالْمَنَابِيَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيدَا

قال : قللت في نفسي : والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريد ، قال : فاما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة . ٢٢٢/٢

ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمر فقال : بايع لي زيد ، فقال : إذا بايع الناسُ بايعت ، فقال رجل : ما يمنعك أن تبايع ؟ إنما تريد أن يختلف الناسُ فيقتلوا ويتفانوا ، فإذا جهنم ذلك قالوا : عليكم بعد الله بن عمر ، لم يبقَ غيره ، بايعوه ! قال عبد الله : ما أحب أن يقتلوا ولا يختلفوا ولا يفتانوا ، ولكن إذا بايع الناس ولم يبقَ غيري بايعت ، قال : فتركوه وكانوا لا يتخوفونه .

(١) ابن الأثير : « فسيل » . (٢) من أصول الألفاظ ١٧ : ٤٩ (سلي) ، جليلها :

حَتَّى ذَا الزُّورِ وَإِنَّهُ أَنْ يَعُودَا إِنَّ بِالْبَابِ جَارِيَيْنِ قُعُودَا

قال : وصلى ابن الزبير حتى أتى مكة وطبها حمرو بن سعيد ، فلما دخل مكة قال : إنما أنا عائد ، ولم يكن يصلي بصلاتهم ، ولا يقبض بإلماضهم ، كان يقبض هو وأصحابه ناحية ، ثم يقبض بهم وحده ، ويصلي بهم وحده ، قال : فلما سار الحسين نحو مكة ، قال : ﴿ قَرَّحَ مِنْهَا غَائِفًا يُتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) . فلما دخل مكة قال : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ يَلْقَاءَ مَلَأَيْنِ قَالَ عَبْسِي رُبِّي أَنْ يَكْبِتَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٢) .

[ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد]

وفي هذه السنة عزل يزيدُ الوليد بن عتبة عن المدينة ، عزله في شهر رمضان ، فأقر عليها حمرو بن سعيد الأشدق .

وطبها قديم حمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان ، فزم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية ويعة يزيد على الوليد ، وأن ابن الزبير والحسين لما دُحيا إلى البيعة ليزيد أبيهما وخرجاً من ليلتهما إلى مكة ، فلقيهما ابن عباس وابن عمر جاليتين من مكة ، فسألهما ، ما وراءكما ؟ قالوا : موت معاوية والبيعة ليزيد ، فقال لهما ابن عمر : اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين ، وأما ابن عمر قديم فأقام أياماً ، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان ، فقدم إلى الوليد بن عتبة فبايعه ، وبايعه ابن عباس .

وفي هذه السنة وجه حمرو بن سعيد حمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله بن الزبير الحريمي .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أن حمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قديم المدينة في رمضان سنة ستين فدخل عليه أهل المدينة ، فدخلوا على رجل عظيم الكبر مفعرة .

قال محمد بن عمر : حدثنا هشام بن سعيد ، عن شيبه بن نصاح ، قال : كانت الرسل تجرى بين يزيد بن معاوية وابن الزبير في الشيعة ، فحلف يزيد ألا يقبل منه حتى يأتني به في جامعة ، وكان الحارث بن خالد الهجري على الصلاة ، ففتح ابن الزبير ، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد أن ابث جيشاً إلى ابن الزبير ، وكان عمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولّى شرطته عمرو بن الزبير ، لما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغضاء ، فأرسل إلى قمر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً .

قال محمد بن عمر : حدثني شرحبيل بن أبي حنن ، عن أبيه ، قال : نظر إلى كل من كان يهوى هوى ابن الزبير فضربه ، وكان ممن ضرب المنلر ابن الزبير ، وابنه محمد بن المنلر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخبيب بن عبد الله بن الزبير ، ومحمد ابن عمار بن ياسر ، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين ، وفرّ منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة ، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير : من رجل نوجه إلى أخيك ؟ قال : لا توجه إليه رجلاً أبداً أنكأ له منى ، فأخرج لأهل الديوان عشرات ، وأخرج من موالى أهل المدينة ناساً كثير ، ووجه معه أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة ، فوجهه في مقدمته ، فمسكر بالحر ، فجاء مروان بن الحکم إلى عمرو بن سعيد فقال : لا تغز مكة ، واتق الله ، ولا تحل حرمة البيت ، وخطب ابن الزبير فقد كبير ، هنا له بضع وستون سنة ، وهو رجل لجوج ، والله لئن لم تقتلوه ليموتن ، فقال عمرو بن الزبير : والله لغاتله ولغزوته في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم ، فقال مروان : والله إن ذلك ليسوفى ، فسار أنيس بن عمرو الأسلمي حتى نزل بلى طوى ، وصار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح ، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه : برّ يمين الخليفة ، واجعل في حقلك جامعة من فضة لا ترى ، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً ، واتق الله فإنك في بلد حرام .

قال ابن الزبير : موعظك المسجد ، فأرسل ابن الزبير عبد الله بن صفوان

الجمحي إلى أنيس بن عمرو من قبل ذي طوى، وكان قد ضوى إلى عبد الله ابن صفوان يوم من نزل حول مكة، فقاتلوا أنيس بن عمرو، فهزم أنيس ابن عمرو أقيح هزيمة، وفترق^(١) عن عمرو جماعة أصحابه، فدخل دار علقمة، فأثاه عبيدة بن الزبير فأجاره، ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال: ٢٢٥/٢
إني قد أجرتك، فقال: أتجير من حقوق الناس! هنا ما لا يصلح.

قال محمد بن عمر: فحدثت هذا الحديث محمد بن عبيد بن عمر فقال: أخبرني عمرو بن دينار، قال: كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو ابن سعيد: أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش، وابعثه إلى ابن الزبير، وابعث معه أنيس بن عمرو، قال: فسار عمرو بن الزبير حتى نزل في داره عند الصفا، ونزل أنيس بن عمرو بذي طوى، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس، ويصلي خلفه عبد الله بن الزبير، فإذا انصرف شبك أصحابه في أصحابه، ولم يبق أحد من قريش إلا آتى عمرو بن الزبير، وقعد عبد الله بن صفوان فقال: مالي لا أرى عبد الله بن صفوان! أما والله لن سرت إليه ليعلمن أن بني جُمَح ومن ضوى إليه من غيرهم قليل، فبلغ عبد الله بن صفوان كلمته هذه، فحرسته، فقال لعبد الله بن الزبير: إني أراك كأنك تريد البقي على أخيك، فقال عبد الله: أنا أبقي عليه يا أبا صفوان! والله لو قدرت على عون الدر عليه لاستعنت بها عليه، فقال ابن صفوان: فأنا أكفيك أنيس بن عمرو، فأكفي أخاك، قال ابن الزبير: نعم؛ فسار عبد الله ابن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذي طوى، فلاقاه في جمع كثير من أهل مكة وغيرهم من الأحرار، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه، وقتلوا مديبرهم، وأجهزوا^(٢) على جرهمهم، وسار معصب بن عبد الرحمن إلى عمرو، وفترق عنه أصحابه حتى تخلص إلى عمرو بن الزبير، فقال عبيدة بن الزبير لعمرو: تعال أنا أجيرك. فجاء عبد الله بن الزبير، فقال: قد أجرت عمراً، فأجره لي، فأبى أن يجيره، وضربه بكل من كان ضرب بالمدينة، وجسه بسجن عارم.

٢٢٦/٢

(١) ط: «ويفرق».

(٢) ط: «وأجهزوا».

قال الواقدي: قد احتفظوا علينا في حديث عمرو بن الزبير، وكنت كل ذلك.
حدثني خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم، قال:
قدم عمرو بن سعيد المدينة ولياً، فلم في ذي القعدة سنة ستين، فولى عمرو
ابن الزبير شرطته، وقال: قد أقم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير
إلا أن يلقى به في جامعة، فليسير بين أمير المؤمنين، فإني أجل جامعة
خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها برؤساً، ولا ترمى إلا أن يسمع
صوتها، وقال:

خَلَّاهَا فَلَيْسَتْ لِلزَّبِيرِ بِخُطَّةٍ وَبِهَا مَقَالٌ لَامِرٍ مُتَذَلِّلٍ
أَعَايِرُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامِكٌ خُطَّةٌ وَمَالِكٌ فِي الْجِهَانِ حُلٌّ مُتَذَلِّلٍ

قال محمد: وحدثني رباح بن مسلم، عن أبيه، قال: بعثت إلى
عبد الله بن الزبير عمرو بن سعيد، فقال له أبو شريح: لا تغزو مكة فإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وإنما أذن الله لي في القتال بمكة
ساعة من نهار، ثم حدثت كحرمته، فإني سمع قوله، وقال:
نحن أعلم بحرمته منك أيها الشيخ، فبعث عمرو جيشاً مع عمرو أنيس
ابن عمرو الأسلمي، وولد غلام محمد بن عبد الله بن الحارث بن هشام،
— وكانوا نحر القين — فقاتلهم أهل مكة، فقتل أنيس بن عمرو وللهاجر مهمل
الشمسي في نفس كثير، ومزم جيش عمرو، فجاه عبيدة بن الزبير،
قال لأبيه عمرو: أنت في نفسي، وأنا لك جبار، فالتفتي به إلى عبد الله،
فدخل على ابن الزبير فقال: ما هذا الدم الذي في وجهك يا عبيث! فقال
عمرو:

لَسْنَا عَلَى الْأَحْقَابِ نَدَى كَلْبُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا نَقَعُ الدِّمَاءُ (١)
فجبهه وأخضر عبيدة، وقال: أمرتك أن تجير هذا الناسق السجمل
لخولت الله، ثم أقاد حمراً من كل من ضربه إلا النذر وإنه، فلهما أيها

(١) هو عمرو بن الزبير.

(٢) الحسين بن أسلم المرق من أبيات له في ديوان الجلبة ١١٩٢ و١١٩١ و١١٩٠ و١١٨٩ و١١٨٨ و١١٨٧ و١١٨٦ و١١٨٥ و١١٨٤ و١١٨٣ و١١٨٢ و١١٨١ و١١٨٠ و١١٧٩ و١١٧٨ و١١٧٧ و١١٧٦ و١١٧٥ و١١٧٤ و١١٧٣ و١١٧٢ و١١٧١ و١١٧٠ و١١٦٩ و١١٦٨ و١١٦٧ و١١٦٦ و١١٦٥ و١١٦٤ و١١٦٣ و١١٦٢ و١١٦١ و١١٦٠ و١١٥٩ و١١٥٨ و١١٥٧ و١١٥٦ و١١٥٥ و١١٥٤ و١١٥٣ و١١٥٢ و١١٥١ و١١٥٠ و١١٤٩ و١١٤٨ و١١٤٧ و١١٤٦ و١١٤٥ و١١٤٤ و١١٤٣ و١١٤٢ و١١٤١ و١١٤٠ و١١٣٩ و١١٣٨ و١١٣٧ و١١٣٦ و١١٣٥ و١١٣٤ و١١٣٣ و١١٣٢ و١١٣١ و١١٣٠ و١١٢٩ و١١٢٨ و١١٢٧ و١١٢٦ و١١٢٥ و١١٢٤ و١١٢٣ و١١٢٢ و١١٢١ و١١٢٠ و١١١٩ و١١١٨ و١١١٧ و١١١٦ و١١١٥ و١١١٤ و١١١٣ و١١١٢ و١١١١ و١١١٠ و١١٠٩ و١١٠٨ و١١٠٧ و١١٠٦ و١١٠٥ و١١٠٤ و١١٠٣ و١١٠٢ و١١٠١ و١١٠٠ و١٠٩٩ و١٠٩٨ و١٠٩٧ و١٠٩٦ و١٠٩٥ و١٠٩٤ و١٠٩٣ و١٠٩٢ و١٠٩١ و١٠٩٠ و١٠٨٩ و١٠٨٨ و١٠٨٧ و١٠٨٦ و١٠٨٥ و١٠٨٤ و١٠٨٣ و١٠٨٢ و١٠٨١ و١٠٨٠ و١٠٧٩ و١٠٧٨ و١٠٧٧ و١٠٧٦ و١٠٧٥ و١٠٧٤ و١٠٧٣ و١٠٧٢ و١٠٧١ و١٠٧٠ و١٠٦٩ و١٠٦٨ و١٠٦٧ و١٠٦٦ و١٠٦٥ و١٠٦٤ و١٠٦٣ و١٠٦٢ و١٠٦١ و١٠٦٠ و١٠٥٩ و١٠٥٨ و١٠٥٧ و١٠٥٦ و١٠٥٥ و١٠٥٤ و١٠٥٣ و١٠٥٢ و١٠٥١ و١٠٥٠ و١٠٤٩ و١٠٤٨ و١٠٤٧ و١٠٤٦ و١٠٤٥ و١٠٤٤ و١٠٤٣ و١٠٤٢ و١٠٤١ و١٠٤٠ و١٠٣٩ و١٠٣٨ و١٠٣٧ و١٠٣٦ و١٠٣٥ و١٠٣٤ و١٠٣٣ و١٠٣٢ و١٠٣١ و١٠٣٠ و١٠٢٩ و١٠٢٨ و١٠٢٧ و١٠٢٦ و١٠٢٥ و١٠٢٤ و١٠٢٣ و١٠٢٢ و١٠٢١ و١٠٢٠ و١٠١٩ و١٠١٨ و١٠١٧ و١٠١٦ و١٠١٥ و١٠١٤ و١٠١٣ و١٠١٢ و١٠١١ و١٠١٠ و١٠٠٩ و١٠٠٨ و١٠٠٧ و١٠٠٦ و١٠٠٥ و١٠٠٤ و١٠٠٣ و١٠٠٢ و١٠٠١ و١٠٠٠ و٩٩٩ و٩٩٨ و٩٩٧ و٩٩٦ و٩٩٥ و٩٩٤ و٩٩٣ و٩٩٢ و٩٩١ و٩٩٠ و٩٨٩ و٩٨٨ و٩٨٧ و٩٨٦ و٩٨٥ و٩٨٤ و٩٨٣ و٩٨٢ و٩٨١ و٩٨٠ و٩٧٩ و٩٧٨ و٩٧٧ و٩٧٦ و٩٧٥ و٩٧٤ و٩٧٣ و٩٧٢ و٩٧١ و٩٧٠ و٩٦٩ و٩٦٨ و٩٦٧ و٩٦٦ و٩٦٥ و٩٦٤ و٩٦٣ و٩٦٢ و٩٦١ و٩٦٠ و٩٥٩ و٩٥٨ و٩٥٧ و٩٥٦ و٩٥٥ و٩٥٤ و٩٥٣ و٩٥٢ و٩٥١ و٩٥٠ و٩٤٩ و٩٤٨ و٩٤٧ و٩٤٦ و٩٤٥ و٩٤٤ و٩٤٣ و٩٤٢ و٩٤١ و٩٤٠ و٩٣٩ و٩٣٨ و٩٣٧ و٩٣٦ و٩٣٥ و٩٣٤ و٩٣٣ و٩٣٢ و٩٣١ و٩٣٠ و٩٢٩ و٩٢٨ و٩٢٧ و٩٢٦ و٩٢٥ و٩٢٤ و٩٢٣ و٩٢٢ و٩٢١ و٩٢٠ و٩١٩ و٩١٨ و٩١٧ و٩١٦ و٩١٥ و٩١٤ و٩١٣ و٩١٢ و٩١١ و٩١٠ و٩٠٩ و٩٠٨ و٩٠٧ و٩٠٦ و٩٠٥ و٩٠٤ و٩٠٣ و٩٠٢ و٩٠١ و٩٠٠ و٨٩٩ و٨٩٨ و٨٩٧ و٨٩٦ و٨٩٥ و٨٩٤ و٨٩٣ و٨٩٢ و٨٩١ و٨٩٠ و٨٨٩ و٨٨٨ و٨٨٧ و٨٨٦ و٨٨٥ و٨٨٤ و٨٨٣ و٨٨٢ و٨٨١ و٨٨٠ و٨٧٩ و٨٧٨ و٨٧٧ و٨٧٦ و٨٧٥ و٨٧٤ و٨٧٣ و٨٧٢ و٨٧١ و٨٧٠ و٨٦٩ و٨٦٨ و٨٦٧ و٨٦٦ و٨٦٥ و٨٦٤ و٨٦٣ و٨٦٢ و٨٦١ و٨٦٠ و٨٥٩ و٨٥٨ و٨٥٧ و٨٥٦ و٨٥٥ و٨٥٤ و٨٥٣ و٨٥٢ و٨٥١ و٨٥٠ و٨٤٩ و٨٤٨ و٨٤٧ و٨٤٦ و٨٤٥ و٨٤٤ و٨٤٣ و٨٤٢ و٨٤١ و٨٤٠ و٨٣٩ و٨٣٨ و٨٣٧ و٨٣٦ و٨٣٥ و٨٣٤ و٨٣٣ و٨٣٢ و٨٣١ و٨٣٠ و٨٢٩ و٨٢٨ و٨٢٧ و٨٢٦ و٨٢٥ و٨٢٤ و٨٢٣ و٨٢٢ و٨٢١ و٨٢٠ و٨١٩ و٨١٨ و٨١٧ و٨١٦ و٨١٥ و٨١٤ و٨١٣ و٨١٢ و٨١١ و٨١٠ و٨٠٩ و٨٠٨ و٨٠٧ و٨٠٦ و٨٠٥ و٨٠٤ و٨٠٣ و٨٠٢ و٨٠١ و٨٠٠ و٧٩٩ و٧٩٨ و٧٩٧ و٧٩٦ و٧٩٥ و٧٩٤ و٧٩٣ و٧٩٢ و٧٩١ و٧٩٠ و٧٨٩ و٧٨٨ و٧٨٧ و٧٨٦ و٧٨٥ و٧٨٤ و٧٨٣ و٧٨٢ و٧٨١ و٧٨٠ و٧٧٩ و٧٧٨ و٧٧٧ و٧٧٦ و٧٧٥ و٧٧٤ و٧٧٣ و٧٧٢ و٧٧١ و٧٧٠ و٧٦٩ و٧٦٨ و٧٦٧ و٧٦٦ و٧٦٥ و٧٦٤ و٧٦٣ و٧٦٢ و٧٦١ و٧٦٠ و٧٥٩ و٧٥٨ و٧٥٧ و٧٥٦ و٧٥٥ و٧٥٤ و٧٥٣ و٧٥٢ و٧٥١ و٧٥٠ و٧٤٩ و٧٤٨ و٧٤٧ و٧٤٦ و٧٤٥ و٧٤٤ و٧٤٣ و٧٤٢ و٧٤١ و٧٤٠ و٧٣٩ و٧٣٨ و٧٣٧ و٧٣٦ و٧٣٥ و٧٣٤ و٧٣٣ و٧٣٢ و٧٣١ و٧٣٠ و٧٢٩ و٧٢٨ و٧٢٧ و٧٢٦ و٧٢٥ و٧٢٤ و٧٢٣ و٧٢٢ و٧٢١ و٧٢٠ و٧١٩ و٧١٨ و٧١٧ و٧١٦ و٧١٥ و٧١٤ و٧١٣ و٧١٢ و٧١١ و٧١٠ و٧٠٩ و٧٠٨ و٧٠٧ و٧٠٦ و٧٠٥ و٧٠٤ و٧٠٣ و٧٠٢ و٧٠١ و٧٠٠ و٦٩٩ و٦٩٨ و٦٩٧ و٦٩٦ و٦٩٥ و٦٩٤ و٦٩٣ و٦٩٢ و٦٩١ و٦٩٠ و٦٨٩ و٦٨٨ و٦٨٧ و٦٨٦ و٦٨٥ و٦٨٤ و٦٨٣ و٦٨٢ و٦٨١ و٦٨٠ و٦٧٩ و٦٧٨ و٦٧٧ و٦٧٦ و٦٧٥ و٦٧٤ و٦٧٣ و٦٧٢ و٦٧١ و٦٧٠ و٦٦٩ و٦٦٨ و٦٦٧ و٦٦٦ و٦٦٥ و٦٦٤ و٦٦٣ و٦٦٢ و٦٦١ و٦٦٠ و٦٥٩ و٦٥٨ و٦٥٧ و٦٥٦ و٦٥٥ و٦٥٤ و٦٥٣ و٦٥٢ و٦٥١ و٦٥٠ و٦٤٩ و٦٤٨ و٦٤٧ و٦٤٦ و٦٤٥ و٦٤٤ و٦٤٣ و٦٤٢ و٦٤١ و٦٤٠ و٦٣٩ و٦٣٨ و٦٣٧ و٦٣٦ و٦٣٥ و٦٣٤ و٦٣٣ و٦٣٢ و٦٣١ و٦٣٠ و٦٢٩ و٦٢٨ و٦٢٧ و٦٢٦ و٦٢٥ و٦٢٤ و٦٢٣ و٦٢٢ و٦٢١ و٦٢٠ و٦١٩ و٦١٨ و٦١٧ و٦١٦ و٦١٥ و٦١٤ و٦١٣ و٦١٢ و٦١١ و٦١٠ و٦٠٩ و٦٠٨ و٦٠٧ و٦٠٦ و٦٠٥ و٦٠٤ و٦٠٣ و٦٠٢ و٦٠١ و٦٠٠ و٥٩٩ و٥٩٨ و٥٩٧ و٥٩٦ و٥٩٥ و٥٩٤ و٥٩٣ و٥٩٢ و٥٩١ و٥٩٠ و٥٨٩ و٥٨٨ و٥٨٧ و٥٨٦ و٥٨٥ و٥٨٤ و٥٨٣ و٥٨٢ و٥٨١ و٥٨٠ و٥٧٩ و٥٧٨ و٥٧٧ و٥٧٦ و٥٧٥ و٥٧٤ و٥٧٣ و٥٧٢ و٥٧١ و٥٧٠ و٥٦٩ و٥٦٨ و٥٦٧ و٥٦٦ و٥٦٥ و٥٦٤ و٥٦٣ و٥٦٢ و٥٦١ و٥٦٠ و٥٥٩ و٥٥٨ و٥٥٧ و٥٥٦ و٥٥٥ و٥٥٤ و٥٥٣ و٥٥٢ و٥٥١ و٥٥٠ و٥٤٩ و٥٤٨ و٥٤٧ و٥٤٦ و٥٤٥ و٥٤٤ و٥٤٣ و٥٤٢ و٥٤١ و٥٤٠ و٥٣٩ و٥٣٨ و٥٣٧ و٥٣٦ و٥٣٥ و٥٣٤ و٥٣٣ و٥٣٢ و٥٣١ و٥٣٠ و٥٢٩ و٥٢٨ و٥٢٧ و٥٢٦ و٥٢٥ و٥٢٤ و٥٢٣ و٥٢٢ و٥٢١ و٥٢٠ و٥١٩ و٥١٨ و٥١٧ و٥١٦ و٥١٥ و٥١٤ و٥١٣ و٥١٢ و٥١١ و٥١٠ و٥٠٩ و٥٠٨ و٥٠٧ و٥٠٦ و٥٠٥ و٥٠٤ و٥٠٣ و٥٠٢ و٥٠١ و٥٠٠ و٤٩٩ و٤٩٨ و٤٩٧ و٤٩٦ و٤٩٥ و٤٩٤ و٤٩٣ و٤٩٢ و٤٩١ و٤٩٠ و٤٨٩ و٤٨٨ و٤٨٧ و٤٨٦ و٤٨٥ و٤٨٤ و٤٨٣ و٤٨٢ و٤٨١ و٤٨٠ و٤٧٩ و٤٧٨ و٤٧٧ و٤٧٦ و٤٧٥ و٤٧٤ و٤٧٣ و٤٧٢ و٤٧١ و٤٧٠ و٤٦٩ و٤٦٨ و٤٦٧ و٤٦٦ و٤٦٥ و٤٦٤ و٤٦٣ و٤٦٢ و٤٦١ و٤٦٠ و٤٥٩ و٤٥٨ و٤٥٧ و٤٥٦ و٤٥٥ و٤٥٤ و٤٥٣ و٤٥٢ و٤٥١ و٤٥٠ و٤٤٩ و٤٤٨ و٤٤٧ و٤٤٦ و٤٤٥ و٤٤٤ و٤٤٣ و٤٤٢ و٤٤١ و٤٤٠ و٤٣٩ و٤٣٨ و٤٣٧ و٤٣٦ و٤٣٥ و٤٣٤ و٤٣٣ و٤٣٢ و٤٣١ و٤٣٠ و٤٢٩ و٤٢٨ و٤٢٧ و٤٢٦ و٤٢٥ و٤٢٤ و٤٢٣ و٤٢٢ و٤٢١ و٤٢٠ و٤١٩ و٤١٨ و٤١٧ و٤١٦ و٤١٥ و٤١٤ و٤١٣ و٤١٢ و٤١١ و٤١٠ و٤٠٩ و٤٠٨ و٤٠٧ و٤٠٦ و٤٠٥ و٤٠٤ و٤٠٣ و٤٠٢ و٤٠١ و٤٠٠ و٣٩٩ و٣٩٨ و٣٩٧ و٣٩٦ و٣٩٥ و٣٩٤ و٣٩٣ و٣٩٢ و٣٩١ و٣٩٠ و٣٨٩ و٣٨٨ و٣٨٧ و٣٨٦ و٣٨٥ و٣٨٤ و٣٨٣ و٣٨٢ و٣٨١ و٣٨٠ و٣٧٩ و٣٧٨ و٣٧٧ و٣٧٦ و٣٧٥ و٣٧٤ و٣٧٣ و٣٧٢ و٣٧١ و٣٧٠ و٣٦٩ و٣٦٨ و٣٦٧ و٣٦٦ و٣٦٥ و٣٦٤ و٣٦٣ و٣٦٢ و٣٦١ و٣٦٠ و٣٥٩ و٣٥٨ و٣٥٧ و٣٥٦ و٣٥٥ و٣٥٤ و٣٥٣ و٣٥٢ و٣٥١ و٣٥٠ و٣٤٩ و٣٤٨ و٣٤٧ و٣٤٦ و٣٤٥ و٣٤٤ و٣٤٣ و٣٤٢ و٣٤١ و٣٤٠ و٣٣٩ و٣٣٨ و٣٣٧ و٣٣٦ و٣٣٥ و٣٣٤ و٣٣٣ و٣٣٢ و٣٣١ و٣٣٠ و٣٢٩ و٣٢٨ و٣٢٧ و٣٢٦ و٣٢٥ و٣٢٤ و٣٢٣ و٣٢٢ و٣٢١ و٣٢٠ و٣١٩ و٣١٨ و٣١٧ و٣١٦ و٣١٥ و٣١٤ و٣١٣ و٣١٢ و٣١١ و٣١٠ و٣٠٩ و٣٠٨ و٣٠٧ و٣٠٦ و٣٠٥ و٣٠٤ و٣٠٣ و٣٠٢ و٣٠١ و٣٠٠ و٢٩٩ و٢٩٨ و٢٩٧ و٢٩٦ و٢٩٥ و٢٩٤ و٢٩٣ و٢٩٢ و٢٩١ و٢٩٠ و٢٨٩ و٢٨٨ و٢٨٧ و٢٨٦ و٢٨٥ و٢٨٤ و٢٨٣ و٢٨٢ و٢٨١ و٢٨٠ و٢٧٩ و٢٧٨ و٢٧٧ و٢٧٦ و٢٧٥ و٢٧٤ و٢٧٣ و٢٧٢ و٢٧١ و٢٧٠ و٢٦٩ و٢٦٨ و٢٦٧ و٢٦٦ و٢٦٥ و٢٦٤ و٢٦٣ و٢٦٢ و٢٦١ و٢٦٠ و٢٥٩ و٢٥٨ و٢٥٧ و٢٥٦ و٢٥٥ و٢٥٤ و٢٥٣ و٢٥٢ و٢٥١ و٢٥٠ و٢٤٩ و٢٤٨ و٢٤٧ و٢٤٦ و٢٤٥ و٢٤٤ و٢٤٣ و٢٤٢ و٢٤١ و٢٤٠ و٢٣٩ و٢٣٨ و٢٣٧ و٢٣٦ و٢٣٥ و٢٣٤ و٢٣٣ و٢٣٢ و٢٣١ و٢٣٠ و٢٢٩ و٢٢٨ و٢٢٧ و٢٢٦ و٢٢٥ و٢٢٤ و٢٢٣ و٢٢٢ و٢٢١ و٢٢٠ و٢١٩ و٢١٨ و٢١٧ و٢١٦ و٢١٥ و٢١٤ و٢١٣ و٢١٢ و٢١١ و٢١٠ و٢٠٩ و٢٠٨ و٢٠٧ و٢٠٦ و٢٠٥ و٢٠٤ و٢٠٣ و٢٠٢ و٢٠١ و٢٠٠ و١٩٩ و١٩٨ و١٩٧ و١٩٦ و١٩٥ و١٩٤ و١٩٣ و١٩٢ و١٩١ و١٩٠ و١٨٩ و١٨٨ و١٨٧ و١٨٦ و١٨٥ و١٨٤ و١٨٣ و١٨٢ و١٨١ و١٨٠ و١٧٩ و١٧٨ و١٧٧ و١٧٦ و١٧٥ و١٧٤ و١٧٣ و١٧٢ و١٧١ و١٧٠ و١٦٩ و١٦٨ و١٦٧ و١٦٦ و١٦٥ و١٦٤ و١٦٣ و١٦٢ و١٦١ و١٦٠ و١٥٩ و١٥٨ و١٥٧ و١٥٦ و١٥٥ و١٥٤ و١٥٣ و١٥٢ و١٥١ و١٥٠ و١٤٩ و١٤٨ و١٤٧ و١٤٦ و١٤٥ و١٤٤ و١٤٣ و١٤٢ و١٤١ و١٤٠ و١٣٩ و١٣٨ و١٣٧ و١٣٦ و١٣٥ و١٣٤ و١٣٣ و١٣٢ و١٣١ و١٣٠ و١٢٩ و١٢٨ و١٢٧ و١٢٦ و١٢٥ و١٢٤ و١٢٣ و١٢٢ و١٢١ و١٢٠ و١١٩ و١١٨ و١١٧ و١١٦ و١١٥ و١١٤ و١١٣ و١١٢ و١١١ و١١٠ و١٠٩ و١٠٨ و١٠٧ و١٠٦ و١٠٥ و١٠٤ و١٠٣ و١٠٢ و١٠١ و١٠٠ و٩٩ و٩٨ و٩٧ و٩٦ و٩٥ و٩٤ و٩٣ و٩٢ و٩١ و٩٠ و٨٩ و٨٨ و٨٧ و٨٦ و٨٥ و٨٤ و٨٣ و٨٢ و٨١ و٨٠ و٧٩ و٧٨ و٧٧ و٧٦ و٧٥ و٧٤ و٧٣ و٧٢ و٧١ و٧٠ و٦٩ و٦٨ و٦٧ و٦٦ و٦٥ و٦٤ و٦٣ و٦٢ و٦١ و٦٠ و٥٩ و٥٨ و٥٧ و٥٦ و٥٥ و٥٤ و٥٣ و٥٢ و٥١ و٥٠ و٤٩ و٤٨ و٤٧ و٤٦ و٤٥ و٤٤ و٤٣ و٤٢ و٤١ و٤٠ و٣٩ و٣٨ و٣٧ و٣٦ و٣٥ و٣٤ و٣٣ و٣٢ و٣١ و٣٠ و٢٩ و٢٨ و٢٧ و٢٦ و٢٥ و٢٤ و٢٣ و٢٢ و٢١ و٢٠ و١٩ و١٨ و١٧ و١٦ و١٥ و١٤ و١٣ و١٢ و١١ و١٠ و٩ و٨ و٧ و٦ و٥ و٤ و٣ و٢ و١ و٠

أن يستعيدا ، ووات تحت السَّباط . قال : وإنما يمتي مسجن عارِم لمجد كان
يقال له : زيد عارِم ، فسمي السَّجْنُ به ، وحبس ابنُ الزبير أخاه عمراً فيه .
قال الوليد : حدثنا عبد الله بن أبي يحيى ، عن أبيه ، قال : كان مع
أنيس بن عمرو ألقان .

• • •

وفي هذه السنة وجّه أهلُ الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو
بمكة يدعوهم إلى القُدوم عليهم ، فوجه إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن
أبي طالب رضي الله عنه .

• • •

ذكر الخبر عن مرأسة الكوفيين الحسين عليه السلام للصير إلى ما قبلهم
وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا أحمد بن حنبل
المصيصي - ويكنى أبا الوليد - قال : حدثنا خالد بن يزيد بن أسد بن
عبد الله القسري ، قال : حدثنا عمار الدهني ، قال : قلت لأبي جعفر :
حدثني بمقتل الحسين حتى كأنني حضرته ، قال : مات معاوية والوليد بن
هبة بن أبي سفيان على المدينة ، فأرسل إلى الحسين بن علي ليأخذ بيعته ،
فقال له : أخرجني وأرقتي ، فأنكره ، فخرج إلى مكة ، فأتاه أهل الكوفة ورأسهم :
إنا قد جئنا أنفسنا إليك ، ولنا نحضر الجُثمة مع الولي ، فاقدم علينا -
وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة ، قال : فبعث الحسين إلى
مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه فقال له : سير إلى الكوفة فانظر ما كتبوا
به إلي ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم . فخرج مسلم حتى أتى المدينة ، فأنشد
مهما طيلين ، فقرأ به في البرية ، فلما بهم عطش ، فأت أحد الدليلين ،
وكتب مسلم إلى الحسين يستغيثه ، فكتب إليه الحسين : أن امض إلى الكوفة .
فخرج حتى قدمها ، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن حوسجة ،
قال : فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمته دبوا إليه فبايعوه ، فبايعه منهم

اتناحشَر ألقا . قال : قام رجل من يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير ، فقال له : إنك ضعيف أو متضعف ، قد فسد البلاد ! فقال له النعمان : أن أكون ضعيفا وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قويا في معصية الله ، وما كنت لأهتك سرا ستره الله .

فكتب يقول النعمان إلى يزيد ، فدعا مولى له يقال له : سرجون ، - وكان يستثيره - فلخبره الخبر ، فقال له : أكنت قابلا من معاوية لو كان حيا ؟ قال : نعم ، قال : فأقبل مني ، فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله ابن زياد ، فولها إياه - وكان يزيد عليه سخطا ، وكان هم بزله عن البصرة - فكتب إليه برضائه ، وأنه قد ولأه الكوفة مع البصرة ، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده .

قال : فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلصفا ، ولا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا : عليك السلام يا ابن بنت رسول الله - وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليه السلام - حتى نزل القصر ، فدعا مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف ، وقال له : انهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبيع له أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر ، وهذا مال تدفعه إليه ليتقوى . فلم يزل يتلطف ويرفق به حتى دك على شيخ من أهل الكوفة على البيعة ، فلقبته فلخبره ، فقال له الشيخ : لقد سرتي لقاءك إني ، وقد ساعى ، فلما ما سرتي من ذلك فما هلاك الله له ، وأما ما ساعى فلأن أمرنا لم يستحكم بعد . فادخلته إليه ، فأخذ منه المال وباعه ، ورجع إلى عبيد الله فلخبره .

فحسب مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان فيها إلى منزل هاني بن عروة المُرادي ، وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن علي عليه السلام يخبره ببيعة أبي حشر ألقا من أهل الكوفة ، ويأمره بالقبول . وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة : مالي أرى هاني بن عروة لم يأتي فيمن أكتفى ! قال : فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب

قلوب ، فقالوا : إن الأمير قد ذكرَكَ واستبغاك ، فانطلق إليه ، فلم يزالوا به حتى ركب معهم وسار حتى دخل على عبيد الله وعنده شريح القاضي ، فلما نظر إليه قال لشريح : أنتك بجان رجلاه^(١) ، فلما سلم عليه قال : يا هاني ، أين مسلم ؟ قال : ما أدري ، فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدوام فخرج إليه ، فلما رآه قطع به ، فقال : أصلح الله الأمير ! والله ما دعوتك إلى متول ولكنك جله فطرح نفسه علي ، قال : اتنى به ، قال : والله لو كان تحت قنمى ما رفضتهما عنه ، قال : أدنوه لى ، فأدنى فصر به على حاجبه فشجه ، قال : وأمرى هاني إلى سيف شرتلى ليس له ، فدفع عن ذلك ، وقال : قد أحل الله دمك ، فأمر به فحبس في جانب القصر .

• • •

وقال غير أبي جعفر : الذى جاء بهاني بن حُررة إلى عبيد الله بن زياد حمرو بن الحجاج الزبيدي :

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا حمرو بن علي ، قال : حدثنا أبو قتبية ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن العيص بن حرث ، قال : حدثنا محمارة بن حنيفة ابن أبي معيط ، فجلس في مجلس ابن زياد فحدث ، قال : طردت اليوم حمراً فأصبت منها حمراً فقرته ، فقال له حمرو بن الحجاج الزبيدي : إن حمراً تعقره أنت لحيماً حائن ، فقال : ألا أخبرك بأحين من هذا كله ! رجل جاء بأبيه كافراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به أن يضرب عنقه ، فقال : يا محمد فن العنبة ؟ قال : النار ، فأت من العنبة ، وأنت في النار ، قال : فضحك ابن زياد .

• • •

رجع الحديث إلى حديث عمارة الدهني ، عن أبي جعفر . قال : فيينا هو

(١) أنتك بجان رجلاه ، مثل ، وأول من قاله فيه بن الأبرص ، وانظر القامع ٢٥١ .

كلّك إذ خرج النّبر إلى مذبح ، فلما حل باب القصر جكّبه سمها
عبد الله ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : مذبح ، فقال لشرّيح : انخرج إليهم
فأعلمهم أنّي إنما حبسته لأمانته ، ويث عينا طيعن مولاه يسع ما يقول ،
فرّ بهائي بن عروة ، فقال له هائي : اتق الله يا شرّيح ، فإنه قاتل ،
فخرج شرّيح حتى قام على باب القصر ، فقال : لا بأس عليه ، إنما حبسه
الأمير ليسانته ، فقالوا : صدق ، ليس على صاحبكم بأس ، ففرّكوا ، فلق
٢٢١/٢ مسلماً النّبر ، فنادى بشعاره ، فلجّج إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ،
قدّم مقدّمته ، وهبّ ميمته وميسرته ، وافر في القلب إلى عبد الله ،
ويث عبد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر ، فلما سار إليه
مسلم فأنهى إلى باب القصر أشركوا على عشارهم فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم ،
فجعل أصحاب مسلم يتسلّون حتى أسمى في خميساته ، فلما اختلط الظلام
ذهب أولئك أيضاً .

فلما رأى مسلم أنه قد بقى وحده يتردّد في الطريق أتى باباً
فزل عليه ، فخرجت إليه امرأة ، فقال لها : اسقيني ، فسقته ، ثم دخلت
فككت ما شاء الله ، ثم خرجت فلما هو على الباب ، قالت : يا عبد الله ،
إنّ جليتك مجلس رية ، قم ، قال : إني أنا مسلم بن عقيل ، فهل عندك
مأوى ؟ قالت : نعم ، ادخل ، وكان ابنها مؤثى لمحمد بن الأشعث ، فلما
علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره ، فانطلق محمد إلى عبد الله فأخبره ، فبعث
عبد الله عمرو بن حريث الخزوي - وكان صاحب شرطه - إليه ، وبعث عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث ، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار ، فلما رأى ذلك
مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأخطاه عبد الرحمن الأمان ، فلم يكن
من يده ، فجاء به إلى عبد الله ، فلمر به فأبعد إلى أهل القصر فضربت عنقه ،
وألقى جسّته إلى الناس ، وأمر بهائي فمُحِب إلى الكُنتانة ، فصُلب هناك ،
وقال شاعرهم في ذلك :

٢٢٢/٢ فإن كنت لا تلومين ما ملوت فأنظري إلى هائي في السوق وابن عقيل

أصابهما أمرُ الإمام فأصبحا أحاديثَ من ينسئ بكلِّ سبيل
أيركبُ أسماءَ الهَمَلِيجِ آمِنًا وقد طلبتهُ مَلَحُجٌ بِمَحُولٍ !
وأما أبو مِخْنَفٍ فإنه ذكر من قصّة مسلم بن عَقِيلٍ وشُغُوبِهِ إِلَى
الْكُوفَةِ ومَقْتَلِهِ قِصَّةً هِيَ أَشْبَحُ وَأَتَمُّ مِنْ خَبَرِ عَمَّارِ الدَّهْقَنِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، مَا حَدَّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْهُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَعْدَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ سَمْعَانَ مَوْلَى الرَّيَّابِ ابْنَةَ
امْرِئِ الْقَيْسِ الْكَلْبِيَّةِ امْرَأَةً حَسَنَةً وَكَانَتْ مَعَ سَكِينَةَ ابْنَةِ حُسَيْنٍ ، وَهُوَ حَوَّلَنِي
لِأَيُّهَا ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ صَغِيرَةٌ - قَالَ : خَرَجْنَا فَلَزِمْنَا الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ ، فَقَالَ
لِلْحُسَيْنِ أَهْلُ بَيْتِهِ : لَوْ تَنَكَّبْتَ الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ كَمَا فَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَا يُلْحَقُكَ
الطَّلَبُ ، قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُهُ حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ مَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ، قَالَ :
فَاسْتَقْبَلَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطْعِمٍ فَقَالَ لِلْحُسَيْنِ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ :
أَمَا الْآنَ فَلَنِي أُرِيدُ مَكَّةَ ، وَأَمَا بَعْدَهَا فَلَنِي أَسْتَعِيرُ اللَّهَ ، قَالَ : خَلَا اللَّهُ لَكَ ،
وَجَعَلْنَا فِدَاكَ ، فَلِذَا أَنْتِ أَنْتِ مَكَّةُ فَبِذَاكَ أَنْ تَقْرُبَ الْكُوفَةَ ، فَلَهَا بِلَدَةٌ
مَشْهُودَةٌ ، بِهَا قُعِيلُ أَبُوكَ ، وَخُذِلُ أُمِّكَ ، وَغَنِيْلُ بَطْنَةِ كَلَدَتْ تَقَى عَلَى
نَفْسِهِ ، الزَّمَّ الْحَرَمَ ، فَإِنَّكَ سَيِّدُ الْعَرَبِ ، لَا يَتَدَلَّى بِكَ وَاللَّهُ أَهْلُ الْحِجَازِ أَحَدًا ،
وَيَتَلَحَّصِي إِلَيْكَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، لَا تَفَارِقِ الْحَرَمَ فِدَاكَ عَنِّي وَخَلِي ،
فَوَلَّاهُ لَنْ هَلَكْتَ لِنَسْرَتَيْنِ بِعَدِكَ .

٢٣٣/٢

فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ مَكَّةَ ، فَأَقْبَلَ أَهْلُهَا يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ وَيَأْتُوهُ وَمَنْ كَانَ بِهَا
مِنَ الْمُعْتَمِرِينَ وَأَهْلِ الْأَفَاقِ ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ بِهَا قَدْ لَزِمَ الْكُتُبَةَ ، لَهُوَ قَامَ بِصَلَاتِهِ
عِنْدَهَا عَامَّةُ النَّهَارِ وَطُوفٌ ، وَيَقَى حُسَيْنًا فِيمَنْ يَأْتِيهِ ، فَبِأَنَّهُ الْيَوْمَيْنِ
لِلتَّوَالِيَيْنِ ، وَيَأْتِيهِ بَيْنَ كُلِّ يَوْمَيْنِ مَرَّةً ، وَلَا يَزَالُ يَشِيرُ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ وَهُوَ
أَقْبَلَ خَلْفَ اللَّهِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَدْ حُفِرَ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ لَا يَبْأَعُونَهُ
وَلَا يَتَابَعُونَهُ أَبَدًا مَا دَامَ حُسَيْنٌ بِالْبَلَدِ ، وَلَنْ حَسِبْنَا أَعْظَمَ فِي أَمْنِهِمْ وَلَقَسَمَهُمْ مِنْهُ ،
وَلَطُفُوا فِي النَّاسِ مِنْهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ أَهْلُ الْكُوفَةِ هَلَاكَهُ مُعَاوِيَةُ لَزِمَتْ أَهْلُ الْعِرَاقِ
بِزَيْدٍ ، وَقَالُوا : قَدْ امْتَنَعَ حُسَيْنٌ وَابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَلَحَقًا بِمَكَّةَ ، فَكُتِبَ أَهْلُ

الكوفة إلى حسين ، وعليهم النعمان بن بشير .

قال أبو مخنف : فحدثني المجتاج بن علي ، عن محمد بن بشر المصنف ، قال : اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد ، فذكرنا هلاك معاوية ، فحمدنا الله عليه ، فقال لنا سليمان بن صرد : إن معاوية قد هلك ، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعتهم ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعة وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومحاولو عدوه فاكتبوا إليه ، وإن ختم الوكيل والتشكك فلا تغروا الرجل من نفسه ، قالوا : لا ، بل نقاتل عدوه وقتل أنفسنا دونه ، قال : فاكتبوا إليه ، فكتبوا إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حسين بن علي من سليمان بن صرد والمسبيب ابن نجبة ورفاعة بن شداد وجيب بن مظاهر وشيعة من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة . سلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فالحمد لله الذي قسم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها ، وفصصها فتيئها ، وأمر عكبتها بغير رضا منها ، ثم قتل خيارها ، واستبقى شراؤها ، وحصل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها ، فبعداً له كما بعدت نعوذ بالله ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق . والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة لسا نجتمع معه في الجمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله ، والسلام ورحمة الله عليك .

٢٣٤/٢

قال : ثم سرحنا بالكتاب مع عبد الله بن سبيع المصنف وحيد الله بن وال ، وأمرأهما بالتجاه ، فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر ماضين من شهر رمضان بمكة ، ثم لبثنا يومين ، ثم سرحنا إليه قيس ابن مسهر الصيالي وحيد الرحمن بن عبد الله بن الكند الأرجسي ومبارة بن حيد السكلي ، فقبلوا معهم نحرأ من ثلاثة وخمسين صحيفة ، [الصحيفة] من الرجل والاثنين والأربعة .

قال : ثم لبثنا يومين آخرين ، ثم سرّحنا إليه هلفي بن هلفي السبيعي
وصعيد بن عبد الله الحنفي ، وكتبنا معهما :

بسم الله الرحمن الرحيم . لحسين بن علي من شيعة من المؤمنين والمسلمين ،
أما بعد ، فحيّهما ، فإنّ الناس يتظفرونك ، ولا رأي لهم في غيرك ، فالعجل
العجل ، والسلام عليك .

٢٣٥/٢ وكتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن
رؤم وعزرة بن قيس وكهرو بن الحجاج الزبلي وعبد بن مخبر التميمي :
أما بعد ، فقد اخضرّ الجناب ، وأينعت الثمار ، وطمست الجحام ، فإذا
شئت فاقدم على جندك مجند ، والسلام عليك .

وتلاقت الرسل كلها عنده ، قرأ الكتب ، وسأل الرسل عن أمر الناس ،
ثم كتب مع هلفي بن هلفي السبيعي وصعيد بن عبد الله الحنفي ، وكانا آخر
الرسول :

بسم الله الرحمن الرحيم . من حسين بن علي إلى الملاي من المؤمنين والمسلمين ،
أما بعد ، فإن هاتئنا وصعيداً قدما على بكبكم ، وكانا آخر من قدم على
من صلحكم ، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلّكم : إنه
ليس علينا إمام ، فأقبل لعلّ الله أن يحمّتنا بك على الهدى والحق . وقد بعثت
إليكم أنبي وأبن عمي وقفي من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إلى بحالكم وأمرهم
ورأيكم ، فإن كتب إلى أنه قد أجمع رأي ملككم وذوى الفضل والجلّى
منكم على مثل ما قلتم على به رسلكم ، وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم
وتشيكاً إن شاء الله ، فلحسرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب ، والآخذ
بالقسط ، والدائن بالحق ، ولحابس نفسه على ذات الله . والسلام .

قال أبو مخنف : وذكر أبو الخارق الراسبي ، قال : اجتمع ناس من الشيعة
بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد — أو مقعد —
أياماً ، وكانت تشيع ، وكان منزلها لم مائلاً يتحدثون فيه ، وقد بلغ
ابن زياد إقبال الحسين ، فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ
بالطريق .

قال : فأجمع يزيد بن ثُبَيْط الخروج - وهو من عبد القيس - إلى الحسين ، وكان له بنتون عشرة ، قال : أيكم يخرج معي ؟ فاندب معه ابنان له : عبد الله وحديد الله ، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة : إني قد أوتيتُ على الخروج ، وأنا خارج ، فقالوا له : إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد ، قال : إني والله لو قد استوت أنفاهما بالحدِّد لكان عليّ طلب من طلبني .

قال : ثم خرج فتقدّس^(١) في الطريق حتى انتهى إلى حسين عليه السلام ، فدخل في رحله بالأبطح ، وبلغ الحسين بجيشه ، فجعل يطلبه ، وجاء الرجل إلى رحل الحسين ، فقبل له : قد خرج إلى منزلك ، فأقبل في أثره ، ولما لم يجد الحسين جالس في رحله ينتظره ، وجاء البصري فوجدته في رحله جالسا ، فقال : ﴿ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قَبْلُكَ فُكِّبَرُحُوا ﴾ قال : فسلم عليه ، وجلس إليه ، فخبّره بالذي جاء له ، فدعا له بخير ، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه ، فقتل معه هو وإبناه . ثم دعا مسلم بن عتيق فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وهارث بن عبيد السلوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدّان الأرجسي ، فأمره بقوى الله وكنان أمره ، واللطف ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوحشين جعل إليه بذلك .

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وودع من أحب من أهله ، ثم استلجّر دليلين من قيس ، فأقبلا به ، فضلا الطريق وحارا ، وأصابهم عطش شديد ، وقال الدكيلان : هذا الطريق حتى تنتهي إلى الماء ، وقد كادوا أن يموتوا عطشا . فكتب مسلم بن عتيق مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى حسين ، وذلك بالتضييق من بطن الخبيث :

أما بعد ، فإني أقبلتُ من المدينة معي دليلان لي ، فجاءا عن الطريق وضلا ، واشتدّ علينا العطش ، فلم يلبثا أن ماتا ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء ، فلم ننج إلا بمحاشاة أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يُسمى للتضييق من بطن الخبيث ، وقد تطيّرت من وجهي هذا ، فإن رأيتُ أحضيتني منه ، وبشتَ غيري ، والسلام .

فكتب إليه حسين :

أماً بعد ، فقد خشيت ألا يكون حَمَك على الكتاب إلى في الاستفتاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجهن ، فامض لوجهك الذي وجهتك له ، والسلام عليك .

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب : هذا ما لست أتمخوته على نفسي ، فأقبل كما هو حتى مرَّ بماء لطيف ، فزَل بهم ، ثم ارتحل منه ، فإذا رجل يري الصبيد ، فنظر إليه قد رمى ظبيًا حين أشرف له ، فصرعه ، فقال مُسلم : يقتل عدونا إن شاء الله ، ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة ، فزَل دارَ المختار ابن أبي عبيد - وهي التي تنهى اليوم دار مسلم بن الحسيب - وأقبلت الشيعة تختلف إليه ، فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين ، فأغلوا بيبكون .

فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني لا أعيرك عن الناس ، ولا أعلم ما في أنفسهم ، وما أعرفك منهم ، والله لأحدتُك عما أنا موطنٌ نفسي عليه ، والله لأجيبنكم إذا دعوت ، ولأقاتلن معكم عدوكم ، ولأصبرن بسبى دونكم حتى ألقى الله ، لا أريد بذلك إلا ما عند الله .

فقام حبيب بن مظاهر الفهمي ، فقال : رحمك الله ! قد قضيت ما في نفسك ، بواجز من قولك ، ثم قال : وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه .

ثم قال الحسن بن علي : فقال الحجاج بن علي : فقلت لحمد بن بشير : فهل كان منك أنت قول ؟ فقال : إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر ، وما كنت لأحب أن أقتل ، وكرهت أن أكذب .

واختلفت الشيعة إليه حتى حلَّ مكانه ، فبلغ ذلك النعمان بن بشير . قال أبو مخنف : حدثني نعيم بن ولة ، عن أبي الوداك ، قال : خرج إلينا النعمان بن بشير فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فأتقوا الله عباد الله ولا تُسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيهما بهلك

الرجال ، وتُسفك الدماء ، وتُغصب الأموال — وكان حليماً ناسكاً يحب العافية — قال : لئن لم أقاتل من لم يقاتلني ، ولا أثب على من لا يثب علي ، ولا أشاعكم ، ولا أحرش بكم ، ولا أخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة ، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي ، ونكثتم بيسعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولو لم يكن لي منكم ناصر . أما لئن أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل .

٢٢٩/٢

قال : قام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية قال : إنه لا يصلح ما ترى إلا الفتنم^(١) ، إن هذا الذي أنت عليه فيها بينك وبين عدوك رأى المستضعفين ، فقال : أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأحرار في معصية الله ، ثم نزل .

وخرج عبد الله بن مسلم ، وكتب إلى يزيد بن معاوية : أما بعد ، فإن مسلم بن حقييل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علي ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف ، أو هو ينضعف . فكان أول من كتب إليه .

ثم كتب إليه عمار بن حنيفة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بن سعد ابن أبي وقاص بمثل ذلك .

قال هشام : قال حواتة : فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان ، دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال : ما رأيك ؟ فإن حسناً قد توجه نحو الكوفة ، وسلم بن حقييل بالكوفة يبايع للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ — وأقرأه كتبهم — فما ترى من أستعمل على الكوفة ؟ وكان يزيد عاتياً على عبيد الله بن زياد ، فقال سرجون : أرايت معاوية لو نشر لك ، أكنت أخذاً برأيه ؟ قال : نعم ، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال : هذا رأي معاوية ، ومات وقد أمر بهذا الكتاب . فأخذ برأيه وضم المصرين إلى عبيد الله ، وبعث إليه بهمه على الكوفة .

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي - وكان عنده - فبعثه إلى عبيد الله بعهد إلى البصرة ، وكتب إليه معه : أما بعد ، فإنه كتب إلى شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أن ابن حنبل بالكوفة يجمع الجموع لشيء عصا المسلمين ؛ فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن حنبل كطلب الحرزة حتى تشقه (١) فتوثقه أو تقتله أو تنفيه ، والسلام .

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيد الله بالبصرة ، فأمر عبيد الله بالجهاز والتجهيز والمسير إلى الكوفة من الفد .

وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً ، قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير ، عن أبي حبان النهدي ، قال : كتب حسين مع مولتي لم يقال له : سليمان ، وكتب بنسخة إلى رموس الأعماس بالبصرة وإلى الأشراف ، فكتب إلى مالك بن مسمع البكري ، وإلى الأحنف بن قيس * وإلى المنذر بن الحارود ، وإلى مسعود بن عمرو ، وإلى قيس ابن الهيثم ، وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر ، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها : أما بعد ، فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه ، وأكرمته بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده ، وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم ، وكنا أهلته وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قوماً بذلك ، فرخصنا وكرهنا الفرقة ، وأحببنا العاقبة ، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا من تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحروا الحق ، فرحمهم الله ، وغفر لنا ولم . وقد بعثت رسول إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله سنة نبية صلى الله عليه وسلم ، فإن السنة قد أميت ، وإن البدعة قد أحييت ، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتّمه ، غير المنذر بن الحارود ، فإنه عشي بزمه أن يكون حميساً من قبل عبيد الله ، فجاءه بالرسول من العشي

(١) تشقه : تنقير به .

التي يريد صيحتها أن يسبق إلى الكوفة ، وأقرأه كتابه ، فقدم الرسول فضرب عنقه . وصعد عبيد الله منير البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فوالله ما تفرقن في الصعبة ، ولا يفتقن بالشتان ، وإنني لتكنل^(١) لمن عاداني ، ومن^(٢) لمن حاربني ، أنصف القارة من راماها . يا أهل البصرة ، إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة ، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان ، وإناكم والخلاف والإرجاف ، فوالله لا إله غيره لن بلغني عن رجل منكم خلافت لأختته وهرقه ووليته ، ولأخذن الأذى بالأهص حتى تستمعو لي ، ولا يكون فيكم غالف ولا مشاق ، أنا ابن زياد ، أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم يتزعنى شبهة خال ولا ابن عم .

ثم خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان بن زياد ، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي ، وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته ، حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء ، وهو متلثم ولناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم ، فهم ينتظرون قدومه ، فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين ، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه ، وقالوا : مرحباً بك يا بن رسول الله ! قلعت غير مقدّم ، فرأى من تبشيرهم بالحسين عليه السلام مسامحة ، فقال مسلم بن عمرو لا أكثروا : تأخروا ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد ، فأخذ حين أقبل على الظهر ، وإنما معه بضعة عشر رجلاً ، فلما دخل القصر وعلم الناس أنه عبيد الله بن زياد دخلتهم من ذلك كآبة وحزن شديد ، وضاقت عبيد الله ما سمع منهم ، وقال : ألا أرى هؤلاء كما أرى .

قال هشام : قال أبو عنف : فحدثني الملقى بن كليب ، عن أبي ذؤلك ، قال : لما نزل القصر فودي : الصلاة جامعة ، قال : فاجتمع الناس ، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولاني مصركم وشركم^(٣) ، وأمرني بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم وطبيعكم ، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم ، وأنا

(١) يقال : إنه لتكنل شر ، بكسر التين وسكون الكاف ، أي يتكل بأعدائه .

(٢) القصر : موضع الخافة من فروج البلدان .

متبع فيكم أمره ، وسنجد فيكم عهدته ، فأنا لخصمكم وطبيكم كالوالد البرّ ،
وصولي وصي على من ترك أمرى ، وخالف عهدي ، فليبتئ امرؤ على نفسه .
للاصلق ينبت عندك لا الوحيد ، ثم نزل .

فأخذ العرفاء والناس أخطأ شليداً ، فقال : اكتبوا إلى الغرياء ، ومن
فيكم من طلبة أمير المؤمنين ، ومن فيكم من الحرورية وأهل الرّيب الذين
رأيتهم الخلف والشقاق ، فن كتبتهم لنا فبرئ ، ومن لم يكتب لنا أخطأ ،
فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يئى علينا منهم باغ ،
فن لم يفعل برئت منه الذمة ، وحلال لنا ماله وسفك دمه ، وأيضاً حريف وحيد
في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره ، وألقيت^(١)
تلك العرافة من العطاء ، وسير إلى موضع بضمّان الزلوة .

وأما عيسى بن يزيد الكتاني فإنه قال — فيا ذكر عمر بن شبة ، عن ٢٤٣/٢
هارون بن مسلم ، عن عليّ بن صالح ، عنه — قال : لما جاء كتب يزيد إلى
عيد الله بن زياد ، انتخب من أهل البصرة خمسمائة ، فيهم عبد الله بن
الحارث بن نوفل ، وشريك بن الأعور — وكان شيعة لعلّ ، فكان أول من
سقط بالناس شريك ، فيقال : إنه تساقط غمرةً معه ناس — ثم سقط عبد الله
ابن الحارث وسقط معه ناس ، ورحلوا أن يلوى عليهم عيد الله ويسبقه
الحسين إلى الكوفة ، فجعل لا يلتفت إلى من سقط ، ويمضي حتى ورد
القادسية ، وسقط مهران مولا ، فقال : أيا مهران ، على هذه الحال ، إن
أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف ، قال : لا ، والله
ما أستطيع . فترسل عيد الله فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمّ ، ثم
اعتجر بمحجرة يمانية ، فركب بغلته ، ثم انحدر راجلاً وحده ، فجعل يمرّ
بالخاوس فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الحسين ، فيقولون : مرجأ بك يابن
رسول الله ! وجعل لا يكلمهم ، وخرج إليه الناس من دورهم ويؤمّهم ،
ومع بهم النعمان بن بشير فعلق عليه وعلى خاصته ، وانتهى إليه عيد الله وهو
لا يشك أنه الحسين ، ومعه الخلق يضجون ، فكلّمه النعمان ، فقال : أنشدك

اللهَ إِلَّا تَتَّحَيَّتَ عَنِّي ! مَا أَنَا بِمُسْلِمٍ إِلَيْكَ أَسَافِي ، وَمَا لِي فِي قَتْلِكَ مِنْ أَرْبٍ ؛ فَجَعَلَ لَا يَكْلِمُهُ . ثُمَّ إِنَّهُ دَنَا وَقَتَلَنِي الْآخَرَيْنِ شُرَفَيْنِ ، فَجَعَلَ يَكْلِمُهُ فَقَالَ : افْتَحْ لَا فَتَحْتَ ، قَدْ طَالَ لَيْلُكَ ، فَسَمِعَهَا إِنْسَانٌ خَلْفَهُ ، فَتَكَفَّتِي إِلَى الْقَوْمِ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ، ابْنِ مَرْجَانَةَ ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ! فَقَالُوا : وَتَحَكَّ ! إِنَّمَا هُوَ الْحُسَيْنُ ، فَفَتَحَ لَهُ النِّعْمَانُ ، فَدَخَلَ ، وَضَرَبُوا الْبَابَ فِي وَجْهِ النَّاسِ ، فَانْفَضُّوا ، وَأَصْبَحَ فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ سَارَ مَعِيَ ، وَأَظْهَرَ الْعِلَاقَةَ لِي مِنْ هُوَ عَلِمَ لِلْحُسَيْنِ حِينَ ظَنُّوا أَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ دَخَلَ الْبَلَدَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُ مِنْكُمْ أَحَدًا ؛ ثُمَّ نَزَلَ .

وَأَنْصَحِيرَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنِ عَقِيلٍ قَدِمَ قَبْلَهُ بِبَيْلَةٍ ، وَأَنَّهُ بَنَاحِيَةُ الْكُفَّةِ ، فَدَعَا مُوسَى بْنَ نَيْمٍ فَأَعْطَاهُ مَالًا ، وَقَالَ : اتَّحِلْ هَذَا الْأَمْرَ ، وَأَعِزَّهُمْ بِمَالِكَ ، وَاقْصِدْ لِهَافِيٍّ وَسَلِّمْ وَانْزِلْ عَلَيْهِ ؛ فَجَاءَ هَانِئًا فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ شَيْعَةٌ ، وَأَنَّ مَعَهُ مَالًا . وَقَدِمَ شَرِيكُ بْنُ الْأَعْوَرِ شَاكِيًا ، فَقَالَ لِهَافِيٍّ : مَرُّ مُسْلِمًا يَكُنْ عِنْدِي ، فَإِنَّ عِيْدَ اللَّهِ يَعُودُنِي ؛ وَقَالَ شَرِيكُ لِمُسْلِمٍ : أَرَأَيْتَكَ إِنْ أَمَكْتُكَ مِنْ عِيْدِ اللَّهِ أَضَارِيهِ أَنْتَ بِالسَّيْفِ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ . وَجَاءَ عِيْدُ اللَّهِ شَرِيكًا يَعُودُهُ فِي مَتَرٍ لِهَافِيٍّ — وَقَدْ قَالَ شَرِيكُ لِمُسْلِمٍ : إِذَا مِمَّحَتْنِي أَقُولُ : اسْقُونِي مَاءً فَاعْرِجْ عَلَيْهِ فَاضْرِبْهُ — وَجَلَسَ عِيْدُ اللَّهِ عَلَى فِرَاشِ شَرِيكٍ ، وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ مِهْرَانٌ ، فَقَالَ : اسْقُونِي مَاءً ، فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ بِقَدَحٍ ، فَرَأَتْ مُسْلِمًا ، فَزَالَتْ ، فَقَالَ شَرِيكُ : اسْقُونِي مَاءً ؛ ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثَةَ : وَيَلَّكُمْ تَحْمِيقُ الْمَاءِ ! اسْقُونِيهِ وَلَوْ كَانَتْ فِيهِ نَفْسِي ؛ فَخَطَّنَ مِهْرَانٌ فَغَضِبَ عِيْدُ اللَّهِ ، فَوَثِبَ ، فَقَالَ شَرِيكُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُصِيبَ إِلَيْكَ ؛ قَالَ : أَعُوذُ إِلَيْكَ ، فَجَعَلَ مِهْرَانٌ يَطْرُدُ بِهِ ، وَقَالَ : أَرَادَ وَاللَّهِ قَتْلَكَ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ مَعَ إِكْرَامِي شَرِيكًا فِي بَيْتِ هَافِيٍّ وَيدُ أَبِي عِنْدَهُ يَدُ ! فَرَجَعَ فَأَوَّلَسَ إِلَى أَسَاءَةٍ بِنِ خَارِجَةٍ وَحَسَدَ بِنِ الْأَشْمَثِ فَقَالَ : اتَّبِعْنِي بِهِائِي ، فَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ لَا بَاقِيَ إِلَّا بِالْأَمَانِ ؛ قَالَ : وَمَا لَهُ وَالْأَمَانُ ! وَهَلْ أَسَدْتُ حَدَّثًا ! اتَّطَلَعَا فَلَمَّا لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِأَمَانٍ فَأَمْسَهُ ، فَأَتَاهُ فَغَضِبَهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ إِنْ أَخْلَقَنِي قَتَلْتَنِي ، ظَنَّمُ يَزَالَا بِهِ حَقِّي جَاءَا بِهِ وَعِيْدُ اللَّهِ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ رَجُلٌ هَانِئٌ

عَنْدِ يَرْبَتَيْهِ ، فَلَمَّا صَلَّى عِيدَ اللَّهِ ، قَالَ : يَا هَانِئُ ، فَتَبِعَهُ ، وَدَخَلَ فُصْلًا ،
فَقَالَ عِيدُ اللَّهِ : يَا هَانِئُ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ أَبِي قَدِمَ هَذَا الْبَلَدَ فَلَمْ يَبْرُكْ أَحَدًا مِنْ
هَذِهِ الشَّيْئَةِ إِلَّا قَتَلَهُ غَيْرُ أَيْلِكَ وَغَيْرِ حُجْرٍ ، وَكَانَ مِنْ حُجْرٍ مَا قَدْ عَلِمْتَ ،
ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُحَسِّنُ صُحْبَتَكَ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْكُوفَةِ : إِنْ حَاجَبَنِي قَبْلَكَ
هَانِئُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَانَ جِزَائِي أَنْ خِيَاتَ فِي بَيْتِكَ رَجُلًا لِيَقْتُلَنِي !
قَالَ : مَا فَعَلْتَ ، فَأَخْرَجَ التَّمِيمِيَّ الَّذِي كَانَ عَيْنًا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَاهُ هَانِئُ
عَلِمَ أَنَّ قَدْ أَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَقَالَ : أَبَتَا الْأَمِيرَ ، قَدْ كَانَ الَّذِي بَلَغَكَ ، وَلَنْ
أَصْبِيحَ بِإِلَاحِ عَشِيٍّ ، فَأَنْتَ آمِنٌ وَأَهْلِكَ ، فَسَرَّحْتُ شَتَّ .

فَكَتَبَا عِيدُ اللَّهِ عَتَلَهَا ، وَمِهْرَانُ قَامَ عَلَى رَأْسِهِ فِي يَدِهِ مَعَكْرَةٌ ، قَالَ :
وَأَذَلَّاهُ ! هَذَا الْعَبْدُ الْخَائِلُ يُؤْمِنُكَ فِي سُلْطَانِكَ ! فَقَالَ : خَلَاهُ ، فَطَرَحَ
لِلْمَعَكْرَةِ ، وَأَخَذَ بِضَفِيرَيْ هَانِئٍ ، ثُمَّ أَقْنَعَ بِرُجْهِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ عِيدُ اللَّهِ الْمَعَكْرَةَ
فَضْرَبَ بِهَا وَجْهَ هَانِئٍ ، وَنَدَرَ الزُّجَّ ، فَارْتَوَى^(١) فِي الْجِلْصَارِ ، ثُمَّ ضَرَبَ وَجْهَهُ
حَتَّى كَسَرَ أَنْفَهُ وَجَبِينَتَهُ ، وَجَمَعَ النَّاسُ الْغَيْمَةَ ، وَبَلَغَ الْخَبْرَ مَكْدَحَجَ ، فَأَقْبَلُوا ،
فَأَطَافُوا بِاللَّسَرِ ، وَأَمَرَ عِيدُ اللَّهِ بِهَانِئٍ فَأَلْقَى فِي بَيْتٍ ، وَصَيَّحَ لِلْمَحْجِبِينَ ،
وَأَمَرَ عِيدُ اللَّهِ مِهْرَانًا أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ شَرِينَحًا ، فَخَرَجَ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ ،
وَدَخَلَتِ الشَّرِيطُ مَعَهُ ، فَقَالَ : يَا شَرِيحَ ، قَدْ تَرَى مَا يَصْنَعُ بِي ! قَالَ : أَرَأَيْكَ
حَيًّا ، قَالَ : وَحَيٌّ أَنَا مَعَ مَا تَرَى ! أَخْبَرَ قَوِي أَنَّهُمْ إِنْ انْصَرَفُوا قَتَلُوا ؛ فَخَرَجَ
إِلَى عِيدِ اللَّهِ فَقَالَ : قَدْ رَأَيْتُهُ حَيًّا ، وَرَأَيْتُ أَثَرًا سَيِّئًا ، قَالَ : وَتُنْكِرُ أَنْ يَغْلِبَ
الْوَلِيُّ رِجَّتَهُ ! أَخْرَجَ إِلَى هَؤُلَاءِ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَخَرَجَ ، وَأَمَرَ عِيدُ اللَّهِ الرَّجُلَ
فَخَرَجَ مَعَهُ ، فَقَالَ لَمْ شَرِيحَ : مَا هَذِهِ الرَّعَاةُ السَّيِّئَةُ^(٢) ! الرَّجُلُ حَيٌّ ، وَقَدْ
عَاتَبَهُ سُلْطَانُهُ بِضَرْبٍ لَمْ يَبْلُغْ نَفْسَهُ ، فَانْصَرَفُوا وَلَا تُحْلِلُوا بَأَنفُسِكُمْ وَلَا بِصَاحِبِكُمْ .
فَانْصَرَفُوا .

وَذَكَرَ هِشَامُ ، عَنْ أَبِي خَنْفٍ ، عَنْ الْمُطَّلِيِّ بْنِ كَلِيبَ ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ ،
قَالَ : نَزَلَ شَرِيحُ بْنُ الْأَحْوَرِ عَلَى هَانِئِ بْنِ صُرَّةَ الْمُرَادِيِّ ، وَكَانَ شَرِيحُ
شَيْعِيًّا ، وَقَدْ شَهِدَ صِفِّينَ مَعَ عَمَّارٍ .

وجمع مسلم بن عقيل بمجيء عيد الله ومقالته الى قلنا ، وما أخذ به
العرقاء والناس ، فخرج من دار الخطر - وقد حكم به - حتى انتهى الى
دار هاني بن عروة المراءى ، فدخل بابه ، وأوصل إليه أن اخرج ، فخرج
إليه هاني ، ففكر هاني مكانه حين رآه ، فقال له مسلم : أتيتك لتجبرني
وتضيقني ، فقال : رحمك الله ! لقد كلفتنني شططا ، ولولا دخولك
لارى وثقتك لأحييت ولأسأتك أن تخرج عني ، غير أنه يأخذني من
ذلك ندام ، وليس مردود مثلي على مثلك من جهل ، ادخل .

فأواه ، وأخذت الشيعة تختطف إليه في دار هاني بن عروة ، ودعا ابن
زيد مولى له يقال له معقل ، فقال له : خذ ثلاثة آلاف درهم ، ثم اطلب مسلم
ابن عقيل ، واطلب لنا أصحابه ، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف ، قل لهم :
استعينوا بها على حرب عدوكم ، وأعلمهم أنك منهم ، فإني لو قد أصليتها
لإمام اطمانوا إليك ، ووثقوا بك ، ولم يكتسوك شيئا من أخبارهم ، ثم اغد
عليهم وروح . ففعل ذلك ، فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عروة سجة الأسرى
من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الأعظم وهو يصلي ، وجمع الناس يقولون :
إن هذا يبيع للحسين ، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال : يا جده الله ،
إني امرؤ من أهل الشام ، مولى للملأ الكلاع ، أنعم الله على بحب أهل
هذا البيت وحب من أحبهم ، فهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء
رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبيع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكنت أريد لقاءه فلم أجد أحدا يلتقي عليه ولا يعرف مكانه ، فإني
بالحلس آتفا في المسجد إذ سمعت تقرأ من المسلمين يقولون : هذا رجل له
علم بأهل هذا البيت ، وإني أتيتك لتقبض هذا المال وتخطي على صاحبك
فأبايه ، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقاءه ، فقال : أحمد الله على
لقاءك إياي ، قد سررتك ذلك لتنال ما تحب ، ولنصر الله بك أهل بيت
نبيه ، وقد سادني معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينشئ عفاة هذا الطاغية
وسلطوته .

فلقد بيته قبل أن يبرح ، وأخذ عليه الموائيق المظلمة ليتأصحن

وليكنسن، فأعطاه من ذلك ما رعى به ، ثم قال له : انخلف إلى أيمامنا
في منزلي ، فأنا طالب لك الإذن على صاحبك . فأخذ يختلف مع الناس ،
فطلب له الإذن : فرض هاني بن عروة ، فجاء عبيد الله عائداً له ، فقال
له عمارة بن عبيد السلولي : إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية ، فقد
أمكنك الله منه فاقطله ؛ قال هاني : ما أحب أن يقتل في دارى ، فخرج
٢٤٨/٢ فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأصور - وكان كرمياً على
ابن زياد وعلى غيره من الأمراء ، وكان شديد التشيع - فأرسل إليه عبيد الله :
إني رافع إليك المشية ؛ فقال لمسلم : إن هذا الفاجر عائدى المشية ، فإذا
جلس فأخرج إليه فاقطله ، ثم أقعد في القصر ، ليس أحدٌ يحول بينك وبينه ،
فإن برئت من وجهي هذا أبأى هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها .
فلما كان من العشي أقبل عبيد الله لعيادة شريك ، فقام مسلم بن عتيق
ليستخل ، وقال له شريك : لا يفوتك إذا جلس ؛ فقام هاني بن عروة إليه
فقال : إني لا أحب أن يقتل في دارى - كأنه استفتح ذلك - فجاء عبيد الله
ابن زياد فدخل فجلس ، فسأل شريكاً عن وجهه ، وقال : ما الذى تجد ؟
ومنى أشكيت^(١) ؟ فلما طال سؤاله إياه ، ورأى أن الآخر لا يخرج ،
خشى أن يفوته ، فأخذ يقول :

• ما تنتظرون بسلى أن تعيوها •

اسقنيها وإن كانت فيها فصى ، فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً ؛ فقال
عبيد الله ولا يظعن ما شأنه : أتروته يهجر^(٢) ؟ قال له هاني : نعم أصلحك
الله ! ما زال هذا يدبته قبل حماية الصبح حتى ساعته هذه . ثم إنه قام
٢٤٩/٢ فاضرب ، فخرج مسلم ، فقال له شريك : ما منعك من قتله ؟ قال :
خصلتان : أما إحداهما فكراهة هاني أن يقتل في داره ، وأما الأخرى
فحديث حدثه الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الإيمان قيد الفتك ،
ولا يفتك مؤمن» ؛ فقال هاني : أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً
غادراً ، ولكن كرهت أن يقتل في دارى . وليث شريك بن الأصور بعد

(١) أشكيت واشكيت : كلاهما بمعنى واحد . (٢) يهجر ، أى يهلى .

ذلك ثلاثاً ثم مات ، فخرج ابن زياد فصلّى عليه ، وبلغ عبّيد الله بعد ما قُتِل مسلماً وهائناً أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يُحرّض مسلماً ، وأمره بالخروج إليك ليقتلك ، فقال عبّيد الله : والله لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبداً ، والله لولا أن قبر زياد فيهم لنسّيتُ شريكاً :

ثم إن معقلاً مولى ابن زياد الذي دسّه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه ، اختلف إلى مسلم بن حوسجة أياماً ليدخله على ابن عقيل ، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور ، فأخبره خبره كله ، فأخذ ابن عقيل بيده ، وأمر أبا ثمامة الصائلي ، قبض ماله الذي جاء به — وهو الذي كان يقبض أموالهم ، وما يعين به بعضهم بعضاً ، يشتري لهم السلاح ، وكان به بصيراً ، وكان من فرمان العرب ووجوه الشيعة — وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم ، فهو أول دخل وأخر خارج ، يسمع أخبارهم ، ويسلم أسرارهم ، ثم ينطلق بها حتى يقرّها في أذن ابن زياد^(١) . قال : وكان هاني يغزو ويروح إلى عبّيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمازى ، فجعل لا يخرج ، فقال ابن زياد بلطائه : ما لي لا أرى هانياً ؟ فقالوا : هو شاك ، فقال : لو علمتُ بمرضه لعدتُه !

٢٠٠/٢

قال أبو مخنف : حدثني الجبالد بن سعيد ، قال : دعا عبّيد الله محمد بن الأشعث وأسماه بن خازجة .

قال أبو مخنف : حدثني الحسن بن عتبة المرادي أنه بعث معهم عمرو بن الحجاج الزبيدي .

قال أبو مخنف : حدثني نعيم^(٢) بن وحلة ، عن أبي الوداك ، قال : كانت روضة أمنت عمرو بن الحجاج تحت هاني بن حرة ، وهي أم يحيى بن هاني . فقال لهم : ما يمنع هاني بن حرة من إتياننا ؟ قالوا : ما ندري أصلحك الله !

(١) ابن الأثير : « ينقلها إلى عبّيد الله » .

(٢) ط : « عمرو » ، وانظر القهيري .

ولأنه لَيْشَكِي ، قال : قد بلغني أنه قد برأ ، وهو يجلس على باب داره ، فأتوه ، فثروه ألا يدع ما عليه في ذلك من الحق ، فأتى لأحب أن يمسد حندي مثله من أشرف العرب . فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه ، فقالوا : ما يمنعك من لقاء الأمير ، فإنه قد ذكرك ، وقد قال : لو أعلم أنه شاك لعُدته ؟ فقال لهم : الشكوى تمنعني ، فقالوا له : يبلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك ، وقد استبطأك ، والإبطاء واللفاء لا يحمله السلطان ، أقسمنا عليك لما ركبنا معنا ! فلما بشابه فلبسها ، ثم دعا بيغلة فركبها حتى إذا دنا من القصر ، كأن نفسه أحست ببعض الذي كان ، فقال لحسان ابن أسماه بن خارجة : يابن أخى ، إئتني والله لهذا الرجل لخائف ، فما ترى ؟ قال : أى حم ، والله ما أخوف عليك شيئاً ، ولستم تجعل على نفسك سيلاً وأنت برىء ؟ وزعموا أن أسماه لم يعلم في أى شيء بعث إليه عبيد الله ، فلما عهد قد حكيم به ، فدخل القوم على ابن زياد ، ودخل معهم ، فلما طلع قال عبيد الله : أنتك بحائن رجلاه ! وقد عرّس عبيد الله إذ ذاك بأُم نافع ابنة عُمارة بن حُقبه ، فلما دنا من ابن زياد وحده شريح القاضي التفت نحوه ، فقال :

أريدُ حياحه ويريد قتلى
عليركم خليلك من مراد^(١)

وقد كان له أول ما قدم مكروماً ملطفاً ، فقال له هاتى : وما ذلك أيها الأمير ؟ قال : إيه يا هاتى بن عروة ! ما هذه الأمور التى ترخص في دورك لأمر المؤمنين وحامة المسلمين ! جئت بمسلم بن حَقِيل فأدخلته دارك ، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك ، وظننت أن ذلك يخفى عليك ! قال : ما فعلت ، وما مسلم عندي ، قال : بلى قد فعلت ، قال : ما فعلت ، قال : بلى ، فلما كثر ذلك بينهما ، وأبى هاتى إلا مجاحدته وناكرته ، دعا ابن زياد محقلاً ذلك العين ، فجاء حتى وقف بين يديه فقال : أعترف هذا ؟ قال : نعم ، وحكيم هاتى عند ذلك أنه كان عيناً عليهم ، وأنه قد أتاه بأخبارهم ،

(١) لعمرو بن مولى يكرِب ، السال ١٢٨ ، وقد ابن الأمير : « أريد حياحه » .

فَسَقَطَ فِي عَيْكَلِهِ (١) سَاعَةً. ثُمَّ إِنَّ نَفْسَهُ رَاجَعَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ : اِصْبَحْ مَتَى ، وَصَدَّقْ مَقَالِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَكَلِمَكَ ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا دَعَوْتُهُ إِلَى مَتْنِي ، وَلَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، حَتَّى رَأَيْتُهُ جَالِسًا عَلَى بَابِي ، فَسَأَلَنِي التَّرْوِلَ عَلَى ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَدِّهِ ، وَدَعَلْتَنِي مِنْ ذَلِكَ ذِمَامٍ ، فَأَدْعَاكَهُ دَارِي وَضَعْتُهُ وَأَوْتِيَهُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي بَلَغَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ أَهْلَيْتُ الْآنَ مَوْثِقًا مَغْلُظًا وَمَا تَعْلَمُونَ (٢) إِلَيْهِ إِلَّا أَبْغَيْكَ سَوَاءً ، وَإِنْ شِئْتَ أَهْلَيْتُكَ رَجِيئًا تَكُونُ فِي يَدِكَ حَتَّى آتِيكَ ، وَأَنْطَلِقُ إِلَيْهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ دَارِي إِلَى حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، فَأَخْرَجَ مِنْ ذِمَامِهِ وَجَوَارِهِ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا تَفَارِقُنِي أَبَدًا حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ ، فَقَالَ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أَجِيْتُكَ أَبَدًا ، أَنَا أَجِيْتُكَ بِضَيْقٍ تَقْتُلُهُ إِيَّاهُ : قَالَ : وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنِي بِهِ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَا آتِيكَ بِهِ .

٢٠٢/٢

فَلَمَّا كَثُرَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا قَامَ مُسْلِمُ بْنُ خَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ - وَلَيْسَ بِالْكُوفَةِ شَائِيٍّ وَلَا بَصَرِيٍّ غَيْرِهِ - فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! خَطْبِي وَإِيَّاهُ حَتَّى أَكَلِمَهُ ، لَمَّا رَأَى بَلَجَتَهُ وَتَأْيِيْبَهُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ أَنْ يُلْغِيَ إِلَيْهِ مُسْلِمًا ، فَقَالَ لَهُائِي : قُمْ إِلَى هَاهُنَا حَتَّى أَكَلِمَكَ ، فَحَمَلَ بِهِ نَاحِيَةً مِنْ ابْنِ زِيَادٍ ، وَهَمَّ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ قَرِيبَ حَيْثُ يَرَاهُمَا ، إِذَا رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا سَمِعَ مَا يَقُولَانِ ، وَإِذَا خَفَقَتَا خَفِي عَلَيْهِ مَا يَقُولَانِ ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ : يَا هَائِي ، إِيَّيْ أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ ، وَتُدْخِلَ الْبِلَاءَ عَلَى قَوْمِكَ وَخَشِيَّتِكَ ! فَوَاللَّهِ إِيَّيْ لَأَقْسَسَ بِكَ عَنْ الْقَتْلِ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ عَشِيرَتَهُ سَتَحْرُكُ فِي شَأْنِهِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ ابْنُ حِمِّ الْقَوْمِ ، وَلَيْسُوا قَاتِلِيهِ وَلَا غَمَاتِيهِ ، فَأَدْفَعُهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بِذَلِكَ مَسْخَرَةٌ وَلَا مَسْقَصَةٌ ، إِنَّمَا تَنْتَقِلُ إِلَى السُّلْطَانِ ، قَالَ : بَلَى ، وَاللَّهِ إِنَّ عَلِيًّا فِي ذَلِكَ لَكَخِزْيٌ وَالْعَارُ ، أَنَا أَدْفَعُ جَارِي وَضَيْقِي وَأَنَا حَتَّى صَحِيحِ أَسْمَعُ وَأَرَى ، شَدِيدِ السَّاعِدِ ، كَثِيرِ الْأَحْوَالِ ! وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَكُنْ إِلَّا وَاحِدًا لَيْسَ لِي نَاصِرٌ لَمْ أَدْفَعُهُ حَتَّى أَمُوتَ دُونَهُ . فَلَمَّا خَذَ يَنْشُدُهُ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَدْفَعُهُ إِلَيْهِ أَبَدًا ، فَسَمِعَ ابْنُ زِيَادٍ ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَهْنُوهُ مَتَى ، فَأَدْنُوهُ مِنْهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنِي بِهِ أَوْ لَاخِرِينَ عَقْلِكَ ،

(١) ابْنُ الْأَمِيرِ : فِي يَدِهِ .

(٢) ابْنُ الْأَمِيرِ : تَعْلَمُونَ .

قال : إذا تكثر الباقية^(١) حولك ، قال : ولما عليك ! أبا البرقة
تخونني ! وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه ، قال ابن زياد : أخذوه مني ،
فأدني ، فاستعرض وجهه بالقضيب ، فلم يزل يضرب أفتة وجهه وخذة
حتى كسر أفتة ، وسيل الدماء على ثيابه ، ونثر لحم خديه وجهه على لحية
حتى كسر القضيب ، وضرب هاتئ يده إلى قائم سيف شرطى من تلك
الرجال ، وجابله^(٢) الرجل ومنع ، قال حبيد الله : أحرورى مائر اليوم !
أحلت بنفسك ، قد حل لنا قتلك ، خلوه فالتقه في بيت من بيوت الدلو ،
وأغلقوا عليه بابه ، وأجعلوا عليه حرساً ، ففعل ذلك به ، فقام إليه أسماء
ابن خازجة قال : أرسل غدر مائر اليوم ! أمرتنا أن نجيثك بالرجل
حتى إذا جثتك به وأدخلناه عليك هشمته وجهه ، وسيلت دمه على لحية ،
وزعمت أنك تقتله ! قال له حبيد الله : وإنك لها هنا ! فأمر به فكله^(٣)
وتعنت^(٤) به ، ثم ترك فحيس .

وأما محمد بن الأشعث قال : قد رضي بنا رأى الأمير ، لنا كان أم علينا ،
إنما الأمير مؤدب . وبلغ عمرو بن الحجاج أن هائلاً قد قتل ، فأقبل في
ملحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ، ثم نادى : أنا عمرو بن الحجاج ،
هذه فرسان مكحج ووجهها ، لم تخلع طاعة ، ولم تفارق جماعة ، وقد
بلغهم أن صاحبهم يقتل ، فأعظموا ذلك ، فقبل لعبيد الله : هذه ملحج
بالباب ، قال لشريح القاضي : ادخل على صاحبهم فانظر إليه ، ثم انخرج
فأعلمهم أنه حتى لم يقتل ، وأنت قد رأيت ، فدخل إليه شريح فنظر إليه .

قال أبو عصف : فحدثني الصنعبي بن زهير ، عن عبد الرحمن بن
شريع ، قال : سمعته يحدث إسماعيل بن طلحة ، قال : دخلت على هاتئ ،
فلما رآني قال : يا أبا القاسم ! أهلكك عشيرتي ؟ فأين أهل الدين !
وأين أهل المصر ! تفاقدوا ! يخلوني ، وعلوهم وابن علوهم ! والدماء

(١) الباقية : السيوف من التشبيه . (٢) ابن الأثير « ويلو » .

(٣) غزه يلهزه غزاً : ضرب به جمعه في هازبه . والمضعة : الحركة الضعيفة .

تسيل على لحيته ، إذ سمع الرجة على باب القصر ، وخرجت واتبختي ، فقال : يا شريح ، إني لأظنها أصواتٌ مذحجٍ وشيعيٍّ من المسلمين ، إن دخل على عشرة نفر أقتلوني ؛ قال : فخرجت إليهم ومعي حميد بن بكير^(١) الأحمري - أرسله معي ابن زياد ، وكان من شرطه ممن يقوم على رأسه - وأيم الله لولا مكانه معي لكنتُ أبليتُ أصحابه ما أمرتُ به ؛ فلما خرجت إليهم قلت : إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقاتلتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه ، فأتيتُه فنظرتُ إليه ، فأمرني أن ألقاكم ، وأن أعلمكم أنه حي ، وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلاً . فقال عمرو وأصحابه : فلما إذ لم يُقتل فالحمد لله ؛ ثم انصرفوا .

قال أبو مخنف : حدثني الحجاج بن علي ، عن محمد بن يشر^(٢) الهمداني ، قال : لما ضرب عبيد الله هائناً وحسبه خشي أن يشب الناس به ، فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فاعتصموا بطلاعة الله وطاعة أئمتكم ، ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتبدلوا وتقتلوا وتُجفوا وتحرموا ، إن أخاك من صدكك ، وقد أعذر من أنذر .

قال : ثم ذهب ليترجل ، فلما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدّون ويقولون : قد جاء ابن عكيل ! قد جاء ابن عكيل ! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً ، وأغلق أبوابه .

٢٠٠/٢٠

قال أبو مخنف : حدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن خازم ، قال : أنا والله رسول ابن عكيل إلى القصر لآتظر إلى ما صار أمر هاني ؛ قال : فلما ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عكيل بالخبر ، وإذا نساء لمراد مجتمعات يتادين : يا عشتراه ! يا ثكله ! فدخلت على مسلم بن عكيل بالخبر ، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأهم الدور وحله ، وقد بايحه ثمانية عشر ألفاً ، وفي الدور أربعة آلاف رجل ، فقال لي : ناد : يا منصور أمت ؛ فناديت : يا منصور أمت ؛ وتنادى أهل الكوفة

(٢) ط : « بشير » واظفر القهري .

(١) ط : « بكر » ، واظفر القهري .

فاجتمعوا إليه ، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكنتى على رُبُع كندة وريصة ، وقال : سرّ أمانى فى الخيل ، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدى على رُبُع مدحج وأسد ، وقال : انزل فى الرجال فانت عليهم ، وعقد لأبى حمزة^(١) الصائلى على رُبُع تميم وهمدان ، وعقد لعباس بن جعدة الجندى على رُبُع المدينة ، ثم أقبل نحو القصر ، فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرّز فى القصر ، وغلّق الأبواب .

قال أبو مخنف : وحدثنى يونس بن أبى إسحاق ، عن عباس الجندى قال : خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف ، فابلقنا القصر إلا ونحن ثلثائة . قال : وأقبل مسلم يسير فى الناس من مراد حتى أحاط بالقصر ، ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا ، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق ، وما زالوا يشوبون حتى المساء ، فضاق بعبيد الله ذرعه ، وكان كبير أمره أن يتمسك بباب القصر ، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه ، وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبيل الباب الذى إلى دار الروميين ، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم ، فينظرون إليهم فيثقون أن يرؤهم بالحجارة ، وأن يشتموهم وهم لا يفتنون على عبيد الله وعلى أبيه . ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثى فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من ملحج ، فيسير بالكوفة ، ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخونهم الحرب ، ويحذّرم عقوبة السلطان ، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضر موت ، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس ، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شؤر الذهل وشيخ بن ربيعة التميمي وحجّار بن أثير المجلى وشمر بن ذى الجوشن العامري ، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس ، وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جتّاب الكلبي أن كثيراً ألقى رجلاً من

(١) حمزة : ابن حمزة ، وانظر ص ٣٦٤ س ١٠ من هذا الجزء .

كَلْبَ يَقَالُ لَهُ عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ يَزِيدٍ، قَدْ لَيْسَ سِلَاحُهُ يَرِيدُ ابْنَ عَقِيلٍ فِي بَنِي
 قَيْتَانَ ، فَأَخَذَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ ، فَقَالَ لَابْنِ زِيَادٍ :
 إِنَّمَا أُرِيدُكَ ، قَالَ : وَكُنْتُ وَعَدْتُكَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَجَبَسَ ،
 وَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ حَتَّى وَقَفَ عِنْدَ دُورِ بَنِي عِمَارَةَ ، وَجَاءَهُ عِمَارَةُ بْنُ
 صُلَيْخِ الْأَزْدِيِّ وَهُوَ يَرِيدُ ابْنَ عَقِيلٍ ، عَلَيْهِ سِلَاحُهُ ، فَأَخَذَهُ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى ابْنِ
 زِيَادٍ فَجَبَسَهُ ، فَبَعَثَ ابْنَ عَقِيلٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ مِنَ الْمَسْجِدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ٢٥٧/٢
 ابْنَ شُرَيْحِ الشَّيْبَانِيِّ ، فَلَمَّا رَأَى مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ كَثْرَةَ مِنْ أَنَاةٍ ، أَخَذَ يَنْتَحِي
 وَيَتَأَخَّرُ ، وَأَرْسَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ شُورٍ الذَّهَلِيَّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ : قَدْ جَلَسْتُ
 عَلَى ابْنِ عَقِيلٍ مِنَ الْعَرَارِ ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْ مَوْقِفِهِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ
 مِنْ قَبْلِ دَارِ الرُّومِيِّينَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ عِنْدَ عِيْدِ اللَّهِ كَثِيرٌ مِنْ شُهَابٍ وَمُحَمَّدٍ
 وَالْقَعْقَاعِ فِيمَنْ أَطَاعَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، قَالَ لَهُ كَثِيرٌ - وَكَانُوا مَنَاصِحِينَ لِابْنِ
 زِيَادٍ : أَسْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ! مَعَكَ فِي الْقَصْرِ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ
 وَمِنْ شُرَطِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَمَوَالِيكَ ، فَأَخْرَجَ بَنَاءَ إِلَيْهِمْ ، فَأَبَى عِيْدُ اللَّهِ ،
 وَعَقَدَ لَشَبَبَتِ بْنِ رَبِيعٍ لُؤَاءً ، فَأَخْرَجَهُ ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَ ابْنِ عَقِيلٍ يَكْبُرُونَ
 وَيُثْبِتُونَ حَتَّى الْمَسَاءِ ، وَأَمَرَهُمْ شَدِيدٌ ، فَبَعَثَ عِيْدُ اللَّهِ إِلَى الْأَشْرَافِ فَجَمَعَهُمْ
 إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْرَفُوا عَلَى النَّاسِ فَفَتَنُوا أَهْلَ الطَّاعَةِ الزِّيَادَةَ وَالْكَرَامَةَ ، وَخَوَّفُوا
 أَهْلَ الْمُعَصِيَةِ الْحَرَمَانَ وَالْمَقُوبَةَ ، وَأَعْلَمُوهُمْ فُصُولَ^(١) الْخُنُودِ مِنَ الشَّامِ إِلَيْهِمْ .

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ : حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ
 الْكُتَيْبِيِّ^(٢) مِنَ الْأَزْدِ ، مِنْ بَنِي كَثِيرٍ ، قَالَ : أَشْرَفَ عَلَيْنَا الْأَشْرَافُ ، فَتَكَلَّمَ
 كَثِيرٌ بْنُ شُهَابٍ أَوَّلَ النَّاسِ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَجِيبَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا
 النَّاسُ ، اسْتَحَقُّوا بِأَهَالِيكُمْ ، وَلَا تَعْبُدُوا الشَّرَّ ، وَلَا تَعْرِضُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْقَتْلِ ،
 فَإِنَّ هَذِهِ جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ الْأَمِيرَ عَهْدًا :
 لَنْ أَعْتَمَّ عَلَى حَرْبِهِ وَلَمْ تَنْصَرَفُوا مِنْ عَشِيَّتِكُمْ أَنْ يُحْرِمَ ذُرِّيَّتَكُمْ الْعَطَاءَ ، وَيُفَرِّقَ
 مَقَاتِلَكُمْ فِي مَخَازِيِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى غَيْرِ طَمَعٍ ، وَأَنْ يَأْخُذَ الْبَرِيءُ بِالسَّقِيمِ ،
 وَالشَّاهِدُ بِالْغَالِبِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَكُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْمُعَصِيَةِ إِلَّا أَذَاقَهَا وَبَالَ^{٢٥٨/٢}

ما جرت أيديها ، وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا ، فلما سمع مقالتهم الناس أخلوا بقرقون ، وأخلوا بنصرقون .

قال أبو مخنف : فحدثني المجالد بن سعيد ، أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول : انصرف ، الناس يكفونك ، ويحيى الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول : غداً يأتيك أهل الشام ، فما تصنع بالحرب والشر ؟ انصرف . فيذهب به ، فما زالوا بقرقون ويصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد ، حتى صليت المغرب ، فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً . فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة ، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان ، والتفت فإذا هو لا يحس أحداً يذله على الطريق ، ولا يدركه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو ، ففزع على وجهه يظن دفع أرقعة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة ، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعقأمة ولد كانت للأشعث بن قيس ، فأعتقها ، فزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالا ، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره . فسلم عليها ابن عقيل ، فردت عليه ، فقال لها : يا أمة الله ، اسقيني ماء ، فدخلت فسقته ، فجلس وأدخلت الإناء ، ثم خرجت فقالت : يا عبدالله ألم تشرب ؟ قال : بلى ، قالت : فاذهب إلى أهلك ، فسكت ، ثم عادت فقالت مثل ذلك ، فسكت ، ثم قالت له : في الله ^(١) ، سبحان الله يا عبدالله ! فر إلى أهلك عافاك الله ، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بائى ، ولا أحله لك ، فقام فقال : يا أمة الله ، مالى في هذا المصر منزل ولا عشيرة ، فهل لك إلى أجر ومعرّف ، ولعلنى مكافئك به بعد اليوم ! فقالت : يا عبد الله ، وما ذاك ؟ قال : أنا مسلم بن عقيل ، كذبني هؤلاء القوم وشرّوني ، قالت : أنت مسلم ! قال : نعم . قالت : ادخل ، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذى تكون فيه ، وفرضت له ، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرأها تكثر الدخول في البيت والخروج منه ، فقال : والله إنه

٢٠٩/٢

ليَربِّي كثرةُ دخولك هذا البيتَ منذ الليلة وخروجك منه ! إن لك لشأناً ؛
 قالت : يا بُنَيَّ ، اللهُ عن هذا ؛ قال لها : والله لتخبرني : قالت : أقبلْ عليَّ
 شأنك ولا تسألني عن شيء ، فألحَّ عليها ، فقالت : يا بُنَيَّ ، لا تحدثنَّ أحداً
 من الناس بما أخبرك به ؛ وأخذتْ عليه الأيمان ، فحلف لها ، فأخبرته ، فاضطجع
 وسكت — وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس . وقال بعضهم : كان يشرب
 مع أصحاب له — ولما طال على ابن زياد ، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عَقِيل
 صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه : أشرفوا فانظروا هل ترون
 منهم أحداً ! فأشرفوا فلم يروا أحداً ؛ قال : فانظروا لعلهم تحت الظلال
 قد كتمنوا لكم ؛ ففزعوا بجايح^(١) المسجد ، وجعلوا يخفون شعل النار
 في أيديهم ، ثم ينظرون : هل في الظلال أحدٌ ؟ وكانت أحياناً تُضيء لهم ،
 وأحياناً لا تُضيء لهم كما يريلون ، فدلوا القناديل وأنصاف العُتَّان تشدَّ
 بالحبال ، ثم تُجعل فيها النيران ، ثم تُدكَّى ، حتى تنتهي إلى الأرض ، ففعلوا
 ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظُلَّة التي فيها المنبر ،
 فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد ، ففتح باب السُدة التي في المسجد . ثم
 خرج فصعد المنبر ، وخرج أصحابه معه ، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل
 العَتَمَةِ ، وأمر محرو بن فافع فنادى : ألا بَرِئت الذمَّة من رجل من الشرطة
 والعُرَّفاء أو المناكب أو المقاتلة صلَّى العَتَمَةَ إلا في المسجد ؛ فلم يكن له
 إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس ؛ ثم أمر مناديه فأقام الصلاة ، فقال
 المُحصِّين بن نجيم : إن شئتَ صليتَ بالناس ، أو يصلِّي بهم غيرك ، ودخلت أنت
 فصليت في القصر ، فلني لا آمن أن يغتالك بعضُ أعدائك ! فقال : مُرُّ
 حَرَمِي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون ، ودُرَّ فيهم فلني لست بداخل إذا .
 فصلَّى بالناس ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن ابن
 عَقِيل السفية الجاهل ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت
 فَمَنَّا الله من رجل وجدناه في داره ، ومَنَّا جاء به فله ديتُه . اتقوا الله
 عباد الله ، والزَمُوا طاعتكم وبتحتكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سيلاً . يا حُصَيْن

(١) بجايح : جمع بمبوحة ، وهي الساعة أو القناه .

ابن نعيم ، فكلثك أمك إن صاح باب سكة من سلك الكوفة ، أخرج هذا الرجل ولم تأتني به ، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة ، فابعت مرابدة على أفواه السلك ، وأصبح غداً واستبهر الدور وجس خلالها حتى تأتني بهذا الرجل - وكان الحصين على شرطه ، وهو من بني نعيم - ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمر بن حرث راية وأمره على الناس ، فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه ، وأقبل محمد بن الأشعث فقال : مرحباً بمن لا يستغش ولا يتهم ! ثم أقبله إلى جنبه ، وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمه ابن عقيل ، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه ، قال : فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد ، فساره ، فقال له ابن زياد : ما قال لك ؟ قال : : أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا ، فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال : قم فأتني به الساعة .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي ، أن ابن الأشعث حين قام ليأتيه بابتعيل بعث إلى عمرو بن حرث وهو في المسجد خليفته على الناس ، أن ابعت مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس - وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصادق فيهم مثل ابن عقيل - فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس ، حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل ، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى ، فخرج إليهم بسيفه ، واتحموا عليه الدار ، فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ، ثم عادوا إليه ، فشد عليهم كذلك ، فاختطف هو وبكير بن حمران الأحمرى ضربتين ، فضرِب بكيَر فمَ مسلم قطع شفته العليا ، وأشرع السيف في السقل ، ونصبت لها ثيابه ، فضرِب به مسلم ضربة في رأسه منكبة ، وثني بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه . فلما رأوا ذلك أشفوا عليه من فوق ظهر البيت ، فأخطوا يرمونه بالحجارة ، ويكهبون النار في أطنان القصب ، ثم يكذبونها عليه من فوق

اليث ، فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلياً بسيفه في السكة قاتلهم ، فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال : يا فتي ، لك الأمان ، لا تقتل نفسك ، فأقبل يقاتلهم ، وهو يقول :

أَفْسَمْتُ لَا أَقْتُلُ إِلَّا حُرًّا وَإِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ شَيْعًا نَكُرًا

كُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقٍ شَرًّا وَيُخَلِّطُ الْبَارِدُ سُخْنًا مَرًّا^(١)

رَدَّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فَاسْتَقَرَّا أَخَافُ أَنْ أَكْذِبَ أَوْ أَغْرَا

فقال له محمد بن الأشعث : إنك لا تكذب ولا تُخدع ولا تُغرر ، إن القوم بنوعك ، وليسوا بقاتليك ولا ضاربك ، وقد أثنى بالحجارة ، وصجز عن القتال وانبهر ، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار ، فدنا محمد ابن الأشعث فقال : لك الأمان ، فقال : آمن أنا؟ قال : نعم ، وقال القوم : أنت آمن ، غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي فإنه قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، وتحمي .

٢٦٢/٢

وقال ابن عتيق : أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم . وأتى ببغلة فحمل عليها ، واجتمعوا حوله ، وانزعوا سيفه من عنقه ، فكانه عند ذلك آيس من نفسه ، فلمعت عيناه ، ثم قال : هذا أول الغدر ، قال محمد ابن الأشعث : أرجو ألا يكون عليك بأس ، قال : ما هو إلا الرجاء ، أين أمانكم ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! وبكى ، فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس : إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك ، قال : إني والله ما لنفسي أبكى ، ولا لها من القتل أرتى ، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً ، ولكن أبكى لأهل المعتبين إلى ، أبكى لحسين وآل حسين ! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ، إني أراك والله ستعجز عن أمانى ، فهل عندك خير ! تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً ، فلن لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم قبلاً ، أو هو خرج غداً هو وأهل بيته ، وإن ما ترى من جرمي لذلك ،

(١) في ابن الأثير :

أَوْ يَخَلِّطُ الْبَارِدَ سُخْنًا مَرًّا رَدَّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فَاسْتَقَرَّا

فيقول : إن ابن عَقِيلَ يعني إليك ، وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن
تمشي حتى تقتل ، وهو يقول : ترجع بأهل بيتك ، ولا يفرك أهل الكوفة
فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، إن أهل
الكوفة قد كذبوك وكذبوني ، وليس لكذب رأي ، فقال ابن الأشعث : والله
لأفعلن ، ولأعلمن ابن زياد أني قد أمستك .

قال أبو غنم : فحدثني جعفر بن حذيفة الطائي - وقد عرف سعيد
ابن شيبان الحديث - قال : دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائي من بني مالك
ابن عمرو بن ثمامة ، وكان شاعراً ، وكان لمحمد زوراً ، فقال له : اني
حسيناً فأبلغه هذا الكتاب ، وكتب فيه الذي أمره ابن عَقِيلَ ، وقال له : هذا
زادك وجهاً ، ومُنْعَةً لِمِائِكَ ، فقال : من أين لي براحة ، فإن راحلي
قد أنضبْتُها ؟ قال : هذه راحة فاركبها برحلتها . ثم خرج فاستقبله بزُبالَةٍ
لأربع ليال ، فأخبره الخبر ، وبَلَغَهُ الرسالة ، فقال له حسين : كل ما حم
نازل ، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا .

وقد كان مسلم بن عَقِيلَ حيث تحوّل إلى دار هاني بن عروة وبإيمانه
ثمانية عشر ألفاً ، قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري :
أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية
عشر ألفاً ، فجعل الإقبال حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم معك ،
ليس لم في آل معاوية رأي ولا هوى ، والسلام .

وأقبل محمد بن الأشعث بابن عَقِيلَ إلى باب القصر ، فاستأذن فأذن له ،
فأخبر سعيد الله خير ابن عَقِيلَ ضرب بكسر إياه ، فقال : بُعداً له ! فأخبره
محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه ، فقال عبيد الله : ما أنت
والأمان ! كأننا أرسلناك توأمينه ! إنما أرسلناك لتأتي بنا به ، فسكت . وانتهى
ابن عَقِيلَ إلى باب القصر وهو عطشان ، وعلى باب القصر ناسٌ جلوس
يتظرون الإذن ، منهم عمارة بن عَقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ، وعمرو بن حُرَيْث ،
ومسلم بن عمرو ، وكثير بن شهاب .

قال أبو غنم : فحدثني قدامة بن سعد أن مسلم بن عَقِيلَ حين

انتهى إلى باب القصر فإذا قلعة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عقيل : استقوني من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عمرو : أتراها ما أبردها ! لا والله لا تلوق منها قطرة أبداً حتى تلوق الحميم في نار جهنم ! قال له ابن عقيل : ويحك ! من أنت ؟ قال : أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته ، ونصح لإمامه إذ غشسته ، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلي ، فقال ابن عقيل : لأملك الكحل ! ما أجفاك ، وما أفضلك ، وأتقى قلبك وأغلتك ! أنت يابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني ، ثم جلس متسانداً إلى حائط .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامة بن سعد أن عمرو بن حريث بعث غلاماً يُدعى سليمان ، فجاءه بماء في قلعة فسقاه .

قال أبو مخنف : وحدثني سعيد بن مترك بن حمارة ، أن حمارة بن عتبة بعث غلاماً له يُدعى قيساً ، فجاءه بقلعة عليها منديل ومعه قدح فصب فيه ماءً ، ثم سقاه ، فأخذ كلماً شرب امتلأ القدح دماً ، فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرّب فسقطت ثيئته فيه ، فقال : الحمد لله ! لو كان لي من الرزق المقسوم شربته . وأدخل مسلم على ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة ، فقال له احرمني : ألا تسلم على الأمير ! فقال له : إن كان يريد قتل فاسلامي عليه ! وإن كان لا يريد قتل فلعمرى ليكثرن سلامي عليه ، فقال له ابن زياد : لعمرى لتقتلن ، قال : كذلك ؟ قال : نعم ، قال : قد عني أوص إلى بعض قومي ، فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد ، فقال : يا عمر ، إن بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب لي عليك نصح حاجتي ، وهو سر ، فأبى أن يمكنه من ذكرها ، فقال له عبيد الله : لا تتح أن تنظر في حاجة ابن عمك ، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد ، فقال له : إن على بالكوفة ديناً استدته منذ قدمت الكوفة ، سبعمائة درهم ، فاقضها عني ، وانظر جئني فاستوهبها من ابن زياد ، فوارها ، وابتع إلى حصين من يردّه ، فلما قد كتبت إليه أعلمه أن التمس منه ، ولا

أراه إلا مقيلاً ، فقال عمر لابن زياد : أتدري ما قال لي ؟ إنه ذكر كلاً وكلاً ، قال له ابن زياد : إنه لا يخونك الأمين ، ولكن قد يؤمن الخائن ، أما مالك فهو لك ، ولستنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت ، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نردّه ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، وأما جثته فإننا لن نشفعك فيها ، إنه ليس بأهل منّا لذلك ، قد جاهدنا وخالفنا ، وجهد على هلاكنا . وزعموا أنه قال : أما جثته فإننا لا نبالي إذ قتلناه ما صنع بها . ثم إن ابن زياد قال : إيه يابن عقيب ! أتيت الناس وأمرهم جميع ، وكلمتهم واحدة ، لتشتتهم ، وتفرق كلمتهم ، وتحمل بعضهم على بعض ! قال : كلاً ، لست أتيت ، ولكن أهل المضر زعموا أن أبالك قتل خيارهم ، وسفك دماءهم ، وحمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنامر بالعدل ونُدعو إلى حكم الكتاب ، قال : وما أنت وذاك يا فاسق ! أُولم تكن تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ! قال : أنا أشرب الخمر ! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنت قلت بغير علم ، وأنى لست كما ذكرت . وإن أحقّ بشرب الخمر منى وأولى بها من يكتف في دماء المسلمين ولغاً ، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ، ويقتل النفس بغير النفس ، ويسفك الدّم الحرام ، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً . فقال له ابن زياد : يا فاسق ، إن نفسك تمنحك ما حال الله دونه ، ولم يترك أهلك ، قال : فن أهلك يابن زياد ؟ قال : أمير المؤمنين يزيد فقال : الحمد لله على كل حال ، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم ، قال : كأنك نظن أن لكم في الأمر شيئاً ! قال : والله ما هو بالظن ، ولكنه اليقين ، قال : قلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلك أحد في الإسلام ! قال : أما إنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تدع سوء القِتلة ، وبيع المثلة ، وخبث السيرة ، ولؤم الغلبة ، ولا أحد من الناس أحقّ بها منك . وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً ، وأخذ مسلم لا يكلمه . وزعم أهل العلم أن عبيد الله أمر له بلاء فسق بخرقة ، ثم قال له : إنه لم يمننا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرّم بالشرب فيها ،

ثم تقتلك ، ولذلك سقيتك في هذا ، ثم قال : اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ، ثم أتبعوا جسده رأسه ، فقال : يا ابن الأشعث ، أما والله لولا أنك أمتنتي ما استسلمت ، ثم بسيفك دوى قد أخضرت دمتك ، ثم قال : يا ابن زياد ، أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتنى ، ثم قال ابن زياد : أين هذا الذى ضرب ابن عكيل رأسه بالسيف وعاققه ؟ فدعى ، فقال : اصعد فكن أنت الذى تضرب عنقه ، فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلى على ملائكة الله ورسله وهو يقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غررنا وكذبونا وأذكرنا . وأشرف به على موضع الجزارين اليوم ، ففُضِرَت عنقه ، وأُتبع جسده رأسه .

قال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبي جحيفة قال : نزل الأحمرى بكبير بن حمران الذى قتل مسلماً ، فقال له ابن زياد : قتلته ؟ قال : نعم ، قال : فما كان يقول وأنتم تصعلون به ؟ قال : كان يكبر ويسبح ويستغفر ، فلما أدنيته لأقطه قال : اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغررنا وتحملونا وقتلونا ، قتلته : ادن منى ، الحمد لله الذى أقادنى منك ، فضرته ضربة لم تغن شيئاً ، فقال أما ترى فى عجلش تسجد شنيه وفاء من دمك أيها العبد ! فقال ابن زياد : أوفخراً عند الموت ! قال : ثم ضربته الثانية فقتلته .

٢٦٨/٢

قال : وقام محمد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه فى هاتى بن حرة ، وقال : إنك قد عرفت منزلة هاتى بن حرة فى المصر ، ويسته فى العشرة ، وقد علم قومه أنى وصاحبى سقناه إليك ، فأتشدك الله لما وهبته لى ، فلانى أكره عداوة قومه ، هم أعز أهل المصر ، وعدد أهل اليمن ! قال : فوعده أن يفعل ، فلما كان من أمر مسلم بن عكيل ما كان ، بدا له فيه ، وأبى أن يئى له بما قال .

قال : فأمر بهاتى بن حرة حين قُتِل مسلم بن عكيل فقال : أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه ، قال : فأخرج بهاتى حتى انتهى إلى مكان من

السوق كان يُباع فيه الفَنَم وهو مكتوف ، فجعل يقول : وامدّ حجاج ! ولا مكدّحج لي اليوم ! وامدّ حجاج ، وأين مني مكدّحج ! فلما رأى أن أحدًا لا ينصره جذّب يده فترعها من الكتاف ، ثم قال : أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يُجاحش^(١) به رجلٌ عن نفسه !

قال : ووثبوا إليه فشدهوه وثاقًا ، ثم قيل له : امُدّد عنقك ، فقال : ما أنا بها مُجَدِّدٌ سَخِي ، وما أنا بمُجِينِكُمْ على نفسي .

قال : فضربه مولى لعبيد الله بن زياد — تركي يقال له رشيد بالسيف ، فلم يصنع سيفه شيئًا ، فقال هاني : إلى الله المَعَاد ! اللهم إلى رحمتك ٢٦٩/٢ وروضائك ! ثم ضربه أخرى فقتله .

قال : فبصره عبد الرحمن بن الحصين المرادي بخازر ، وهو مع عبّيد الله بن زياد ؛ فقال الناس : هذا قاتلُ هاني بن عروة ، فقال ابن الحصين : قتلتني الله إن لم أقتله أو أقتل دونه ! فحمل عليه بالرمح فطعنه فقتله . ثم إن عبّيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة دعا بعبد الأعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فتيان ، فأتي به ، فقال له : أخبرني بأمرك ، فقال : أصلحك الله ! خرجتُ لأتظرَ ما يصنع الناس ، فأخذني كبير بن شهاب ، فقال له : فعليك وحليك ، من الإيمان للغلظة ، إن كان أخرجك إلا ما زعمتُ ! فأبى أن يخلّف ، فقال عبّيد الله : انطلقوا بهذا إلى جبانة السَّبِيع فاضربوا عنقه بها ، قال : فانطلق به فضربت عنقه ، قال : وأخرج عمارة بن صلح الأزدى — وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره — فأتى به أيضًا عبّيد الله فقال له : بمن أنت ؟ قال : من الأزد . قال : انطلقوا به إلى قومه ، فضربت عنقه فيهم ، فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قِتلة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة المرادي — ويقال : قاله الفرزدق :

إن كنت لاتدرين ما الموتُ فانظري إلى هاني في السوقِ وأبن عقيل

٢٧٠/٢ إلى بطل قد هشم السيف وجهه وأخر يهوى من طمار قتيل
أصابهما أمرُ الأمير فأصباحا أحاديث من يسرى بكل سبيل
ترى جسداً قد غير الموت لونه ونضج دم قد سال كل مسيل
فتى هو أخيا من فتاة حبيبة وأقطع من ذى شغرتين صقيل
أبركب أساء الهماليج آمناً وقد طلبته ملججٌ يلحول!
تطيف حواليه مراد وكلهم على رقة من سائل ومسول
فلان أنتم لم تشاروا بأخيكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل

قال أبو مخنف : عن أبي جتناب يحيى بن أبي حية الكلبي ، قال : ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهاتفاً بعث بروسهما مع هاني بن أبي حية^(١) الوادعي والزيبر بن الأروح التميمي إلى يزيد بن معاوية ، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهاني ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه - وكان أول من أطال في الكتب - فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال : ما هذا التطويل وهذه الفضول ؟ أكتب :

٢٧١/٢ أما بعد ، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه ، وكفاه مؤنة عدوه . أخبر أمير المؤمنين أكرمهم الله أن مسلم بن عتيق لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي ، وأتى جعلت عليهما العيون ، وحسنت إليهما الرجال ، وكيدتهما حتى استخرجتهما ، وأمكن الله منهما ، فقدمتهما فضربت أعناقهما ، وقد بعثت إليك بروسهما مع هاني بن أبي حية الحمداني والزيبر بن الأروح التميمي - وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة - فليسلما أمير المؤمنين عما أحب من أمر ، فإن عندهما علماً وصلحاً ، وفهماً وورعاً ، والسلام .

فكتب إليه يزيد : أما بعد ، فإني لم تمدد أن كنت كما أحب ، عملت عمل الخازم ، وصليت صلاة الشجاع الرابط الحاش ، فقد أغيت وكفيت ، وصددت ظنتي بك ، ورأيت فيك ، وقد دعوت رسوليك فسألتها ، وفاجئتها

(١) ابن الأثير : « هاني بن جبة » .

فوجلتها في رأيهما وفضلهما كما ذكرت ؛ فاستوص بهما خيراً ، وإنه قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق ؛ فضع للنظار والمسالع^(١) ، واحترس على الظن ، وخذ على التهمة ، غير ألا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلى في كل ما يحدث من الخبر ؛ والسلام عليك ورحمة الله .

قال أبو مخنف : حدثني الصقعب بن زهير ، عن عوف بن أبي جحيفة ، قال : كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين - ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم - قال : وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان ، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوالاً^٢ وذا القعدة ، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة ٢٧٢/٢ يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل .

وذكر هارون بن مسلم ، عن علي بن صالح ، عن عيسى بن يزيد ، أن المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم ، خرج المختار براية خضراء ، وخرج عبد الله براية حمراء ، وعليه ثياب حمراء ، وجاء المختار برايته فركبها على باب حمرو بن حرث ، وقال : إنما خرجت لأمنع عمراً ، وإن ابن الأشعث والقعقاع بن شوز وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً ، وأن شبثاً جعل يقول : انتظروا بهم الليل يفرقوا ؛ فقال له القعقاع : إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم ، فافرج لهم ينسربوا ؛ وإن عبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث ، وجعل فيهما جعلاً ، فأتى بهما فحبسهما .

• • •

(١) المناظر : جمع منظره ؛ وهو الموضع يرقب فيه العدو . والمسالع : جمع مسلحة ؛ وهي موضع يكون فيه أنوام يحملون السلاح ، ويريقون العدو ؛ لتلا بطرقتهم على غفلة .

[ذكر سير الحسين إلى الكوفة]

وفي هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة .

• ذكر الخبر عن سيره إليها وما كان من أمره في سيره ذلك :

قال هشام عن أبي غنم : حدثني الصقبة بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزرجي ، قال : لما قُلتُ كُتِبَ أهل العراق إلى الحسين وتجهياً للسير إلى العراق ، أتيتُه فدخلتُ عليه وهو بمكة ، فحمدت الله وأثيتُ عليه ، ثم قلت : أما بعد ، فإني أتيتك يا بن عم الحنيفة أريد ذكرها لك نصيحة ، فإن كنت ترى أنك تستنصحنى وإلا كففت عما أريد أن أقول ، فقال : قل ، « فوالله ما أظنك بسمي الرأي ، ولا هو القبيح من الأمر والفعل » ، قال : قلت له : إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق ، وإني مشفقٌ عليك من سيرك ، إنك تأتئ بلاداً فيه عماله وأمرائوهم معهم يبيتون الأموال ، وإعنا الناس حبيدٌ لهذا الدرهم والدينار ، ولا آمنُ عليك أن يقاتلك من وددك نصرته ، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه ، فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا بن عم ، فقد والله علمتُ أنك مشيت بنصح ، وتكلمت بعقل ، ومهما يقص من أمري كن ، أخلتُ برأيك أو تركته ، فأنت عندي أحمدٌ مشير ، وأنصح فاصح .

قال : فانصرفتُ من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام ، فسألني : هل لقيتُ حسيناً ؟ فقلت له : نعم ، قال : فما قال لك ، وما قلت له ؟ قال : فقلت له : قلتُ كذا وكذا ، وقال كذا وكذا ، فقال : نصحتُه وربُّ المروة الشهباء ، أما وربُّ البنية إن الرأي لَمَّا رأيته ، قبله أو تركه ، ثم قال :

رُبُّ مُسْتَنْصَحٍ يَغْشَى وَيُرْدِي
وِطْنَيْنِ بِالْغَيْبِ يُلْفِي نَعِيمًا

قال أبو غنم: وحدني الحارث بن كعب الوالبي، عن عقبة^(١) بن ميمنان، أن حسيناً لما أجمع السير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا بن عم، إنك قد أرحف الناس أنك سائر إلى العراق، فيسألني ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعت السير في أحد يومين هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فإني أعينك بالله من ذلك، أنخبرني رحمك الله! أنسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونقصوا عدوهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهرهم، وعماله تجبى بلادهم، فلأنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يفرؤك ويكذبوك، ويخالفوك ويخلدوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال له حسين: وإني أستخير الله وأنتظر ما يكون.

٢٧٤/٢

قال: فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة، ثم قال: ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولاء هذا الأمر دونهم! خبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إلى شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله، فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها، قال: ثم إنه خشي أن يتهمه فقال: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر هاهنا ما خولف عليك إن شاء الله، ثم قام فخرج من عنده، فقال الحسين: ها إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر شيء، وأن الناس لم يعدلوه بي، فودت أني خرجت منها لتخلو له.

قال: فلما كان من العشي أو من الغد، أتى الحسين عبد الله بن عباس فقال: يا بن عم إني أتمبتر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الملاك والاستصصال، إن أهل العراق قوم غدُر، فلا تحربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكذب إليهم فلينفروا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أنه تخرج فسر إلى اليمامة

٢٧٥/٢

فإن بها حصوناً وشباباً ، وهي أرضٌ عريضة طوية ، ولأبيك بها شيعه ، وأنت عن الناس في حرّة ، فتكتب إلى الناس وترسل ، وتبثّ دعائك ، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية ؛ فقال له الحسين : يابن عمّ ، إني والله لأعلم أنك فاصعٌ مشفقٌ ، ولكنّي قد أنعمتُ وأجمعتُ على المسير ؛ فقال له ابن عباس : فإن كنتَ سائراً فلا تسرّ بنسائك وصبيّتك ، فوالله إني لخائف أن تُقتلَ كما قُتِلَ حيّان ونسائه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : لقد أقررتَ عينَ ابنِ الزبير بتخليّتك إياه والحجاز والخروج منها ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك ، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك حتى يمتنع عليّ عليك الناسُ أطعنتي لفعلتُ ذلك . قال : ثم خرج ابن عباس من عنده ، فرّبّ بعبد الله بن الزبير ، فقال : قرّرتَ حينك يابن الزبير ! ثم قال :

يالك من قبرة بمعمر خلا لكَ الجو فبقي وأصغري^(١)

• وَفَرَى مَا شِئْتُمْ أَنْ تُنْقَرَى •

هذا حسينُ يخرج إلى العراق ، عليك بالحجاز .

قال أبو مخنف : قال أبو جناب يحيى بن أبي حبة ، عن عليّ بن حرمة الأسديّ ، عن عبد الله بن مسلمٍ وللمرّ بن المشعل الأسديّين . قالوا : خرجنا حاجتين من الكوفة حتى قلنا مكة ، فلعلنا يوم الروية ، فإذا نحن بالحسين وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيها بين الحُجر والباب . قالوا : ففقرنا منهما ، فسمعا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئتَ أن نقيم أقمّت فوليتَ هذا الأمر ، فأزناك واعدناك ، ونصحنّا لك وباعدناك ؛ فقال له الحسين : إنّ أبي حدثني أن بها كيشاً يستحلّ حرمتها ، فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكيش ؛ فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئتَ وتولّني أنا الأمر فتطاع ولا تُعصى ؛ فقال : وما أريد هذا أيضاً ؛ قالوا : ثم إنهما انخفيا

٢٧٦/٢

كلاهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس راجعين متوجهين إلى منى عند الظهر ، قالوا : فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة ، وقص من شعره ، وحل من عمرته ، ثم توجه نحو الكوفة ، وتوجهنا نحو الناس إلى منى .

قال أبو مخنف : عن أبي سعيد عقيصى ، عن بعض أصحابه ، قال : سمعت الحسين بن على وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير ، فقال له ابن الزبير إلى يابن فاطمة ، فأصغى إليه ، فسأله ، قال : ثم التفت إلينا الحسين فقال : أتدرون ما يقول ابن الزبير ؟ قلنا : لا ندري ، جعلنا الله فداك ! فقال : قال : أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس ، ثم قال الحسين : والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إلى من أن أقتل داخلًا منها بشير ، وإم الله لو كنت في جحر هامئة من هذه المواقم لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم ، ووالله ليعتدن على كما اعتدت اليهود في السبت .

قال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب الوالى ، عن عتبة بن سميان قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل حمرو بن سعيد بن العاص ، عليهم يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرف ؛ أين تذهب ! فأبى عليهم ومضى ، وتدفأ الفريقان ، فاضطربوا بالسياف . ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً ، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه ، فنادوه : يا حسين ، ألا تتن الله ! تخرج من الجماعة ، وتفرق بين هذه الأمة ! فتأول حسين قول الله عز وجل : ﴿إِلَى عَمَلِكُمْ وَعَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُوا وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١) .

قال : ثم إن الحسين أقبل حتى مر بالثنيم ، فلقى بها عبيراً قد أقبل بها من اليمن ، بعث بها ببحير بن ريسان الحميرى إلى يزيد بن معاوية ، وكان حامله على اليمن — وطى العير الوترى والحكل يسطلنى بها إلى يزيد

فأخذها الحسين ، فانطلق بها ، ثم قال لأصحاب الإبل : لا أكرهكم ، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كيراءه وأحسننا صحبته ، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطينا من الكيراء على قدر ما قطع من الأرض ، قال : فن فارقهم حوب فألقى حقّه ، ومن مضى منهم معه أعطاه كيراءه وكساه .

قال أبو مخنف ، عن أبي جتّاب ، عن عليّ بن حنّمة ، عن عبد الله ابن سليم والمدرى قالا : أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفّاح ، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر ، فواقف حينئذ قال له : أعطاك الله سؤلك وأملكك فيها تحبّ : فقال له الحسين : بيّن لنا بأنا الناس خلقك ، فقال له الفرزدق : من الخبير سألت ، قلوب الناس معك ، وسيروهم مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء ، فقال له الحسين : صدقت ، قد الأمر ، والله يفعل ما يشاء ، وكلّ يوم رأينا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه ، وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء ، فلم يستعذ من كان الحقّ نيته ، والتصوى سريره ، ثم حرك الحسين راحلته فقال : السلام عليك ، ثم افترقا .

٢٧٨

قال هشام ، عن عوانة بن الحكم ، عن لبّطة بن الفرزدق بن غالب ، عن أبيه ، قال : حجبتُ بأمي ، فأنا أسوق بغيرها حين دخلت الحرم في أيام الحجّ ، وذلك في سنة ستين ، إذ لقيت الحسين بن عليّ خارجاً من مكة معه أسيفه وطرأسه ، فقلت : لمن هذا القطار ؟ فقلت : للحسين بن عليّ ، فأنيته فقلت : بأبي وأمي يا بن رسول الله ! ما أصعبك عن الحجّ ؟ فقال : لو لم أصبل لأخجلت ، قال : ثم سألني : ممن أنت ؟ فقلت له : امرؤ من العراق ، قال : فلو أنه ما فتشني عن أكثر من ذلك ، واكنى بها مني ، قال : أخبرني عن الناس خلقك ؟ قال : فقلت له : القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية ، والقضاء بيد الله ، قال : فقال لي : صدقت ، قال : فسأله عن أشياء ، فأخبرني بها من تلور وتنايك ، قال : وإذا هو تقبل اللسان من

بِإِسْمٍ^(١) أَصَابَهُ بِالْعِرَاقِ ؛ قَالَ : ثُمَّ مَضَيْتُ فَلَمَّا بَقُسْتُ طَائِفَ مَضْرُوبٍ فِي الْكُرْمِ ، وَهَيْتُهُ حَسَنَةٌ ، فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا هُوَ لَعِبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، فَسَأَلَنِي ، فَأَخْبَرْتُهُ بِلِقَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ لِي : وَبِكَ ! فَهَلَّا اتَّبَعْتَهُ ، فَوَاللَّهِ لَيْمَلِكُنَّ ، وَلَا يَجُوزُ السَّلَاحُ فِيهِ وَلَا فِي أَصْحَابِهِ ، قَالَ : فَهَمِمْتُ وَاللَّهِ أَنْ أَلْحِقَ بِهِ ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَقَالَتُهُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الْأَنْبِيَاءَ وَقَتْلَهُمْ ، فَصَدَّقَنِي ذَلِكَ عَنْ الْأَحَاقِ بِهِمْ ، فَقَدِمْتُ عَلَى أَهْلِ بَمُسْتَفَانَ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمَنْعُكُمْ إِذَا أَقْبَلْتُ حَيْرٌ قَدْ امْتَارَتْ مِنَ الْكُفَّةِ ، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِهِمْ خَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى إِذَا أَسْمَعْتُهُمُ الصَّوْتَ وَصَجِلْتُ عَنْ إِيْتَانِهِمْ صَرَخْتُ بِهِمْ : أَلَا مَا فَعَلَ الْحُسَيْنُ ابْنُ عَلِيٍّ ؟ قَالَ : فَرَدُّوا عَلَيَّ : أَلَا قَدْ قُتِلَ ؛ قَالَ : فَانصَرَفْتُ وَأَنَا الْغَنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ؛ قَالَ : وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقُولُونَ ذَلِكَ الْأَمْرَ ، وَيَسْتَنْظِرُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . قَالَ : وَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يَقُولُ : لَا تَبْلُغِ الشَّجَرَةَ وَلَا النَّخْلَةَ وَلَا الصَّخِيرَ حَتَّى يَظْهَرَ هَذَا الْأَمْرُ ؛ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : فَأَيْعِينُكَ أَنْ تَبِيعَ الْوَهْطَ ؟ قَالَ : فَقَالَ لِي : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى فُلَانٍ — يَعْنِي مَعْلُوبَةً — وَحَلِيكَ ؛ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، بَلْ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ؛ قَالَ : فَرَأَدَنِي مِنَ اللَّعْنِ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ حَشْمِهِ أَحَدٌ فَأَلْقَى مِنْهُمْ شَرًّا ؛ قَالَ : فَخَرَجْتُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُنِي — وَالْوَهْطُ حَائِطٌ لَعِبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِالطَّائِفِ ؛ قَالَ : وَكَانَ مَعَاوِيَةُ قَدْ سَاوَمَ بِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، وَأَعْطَاهُ بِهِ مَالًا كَثِيرًا ، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهُ بِشَيْءٍ — قَالَ : وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ مُغِيدًا لَا يَتْلُوهُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَزُولَ ذَاتُ عِرْقٍ .

قَالَ أَبُو غَنْفٍ : حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ الْوَلَبِيُّ ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ مَكَّةَ كَتَبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مَعَ ابْنَيْهِ: حَزَنَ وَحَمْدَ : أَمَا بَعْدَ ، فَلَقْنِي أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ لَمَّا انصَرَفْتَ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي ، فَلَقْنِي مُشْفِقٌ عَلَيْكَ مِنَ الرَّجَاءِ الَّتِي تَوَجَّهَ لَهَا أَنْ يَكُونَ فِيهِ هَلَاكُكَ وَاسْتِصْغَالُ أَهْلِ بَيْتِكَ ، إِنْ هَلَكْتَ الْيَوْمَ طَمَحَ نَوْرُ الْأَرْضِ ، فَذَلِكَ حَكْمٌ لِلْمُهْتَدِينَ ؛ وَرَجَاءٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَا تَحْجَلْ بِالسَّيْرِ

فلقي في أثر الكتاب ، والسلام .

٢٨٠/٧

قال : وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه .
وقال : اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان ، وتغنيه فيه البر والصلة ،
وتوثق له في كتابك ، وسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع ؛ فقال عمرو
ابن سعيد : اكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه ، فكتب عبد الله بن جعفر
الكتاب ، ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له : اختمه ، وابتث به مع أخيك
يحيى بن سعيد ، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ، ويعلم أنه الجيد ملك ،
فقبل ؛ وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة ؛ قال : فلاحقه
يحيى وحدثه عبد الله بن جعفر ، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب ، فقالا : أقرأناه
الكتاب ، وجهدنا به ، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال : إني رأيت رؤيا
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأميرت فيها بأمر أنا ماض له ، على كان
أولي ، فقال له : فما تلك الرؤيا ؟ قال : ما حدثت أحداً بها ، وما أنا محدث
بها حتى ألقى ربّي .

قال : وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ : بسم الله الرحمن
الرحيم ، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ ، أما بعد ، فلقي أسأل الله
أن يعصرك عما يوقك ، وأن يهديك لما يرشدك ، بلغني أنك قد توجهت
إلى العراق ، وإني أعيذك بالله من الشقاق ، فلقي أخاف عليك فيه بهلاك ،
وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد ، فأقبل إلىّ مهتما ،
فإن لك عندى الأمان والصلة والبر وحسن الجوار لك ، الله على بذلك شهيد
وكفيل ، وسراع ووكيل ، والسلام عليك .

٢٨١/٧

قال : وكتب إليه الحسين : أما بعد ، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا
إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، وقد دعوت إلى
الأمان والبر والصلة ، فخير الأمان أمان الله ، ولن يؤمن الله يوم القيامة
من لم يخف في الدنيا ، فنسأل الله عفاة في الدنيا تُرجب لنا أمانه يوم

القيامة ، فلن كنت نويت بالكتاب صلى ويرى ، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة ؛ والسلام .

• • •

رجع الحديث إلى حديث عمار الدُهني عن أبي جعفر ^(١) . فحدثني زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا أحمد بن جناب المصيصي قال : حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري قال : حدثنا عمار الدُهني قال : قلت لأبي جعفر : حدثني عن مقتل الحسين حتى كلني حضرته ؛ قال : فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال ، لقيه الحر بن يزيد التميمي ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد هذا المصر ؛ قال له : ارجع فلني لم أدع لك خلقاً خيراً أرجوه ، فهم أن يرجع ، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب بثأراً أو نقتل ، فقال : لا خير في الحياة بعدكم ! فسار فلكيته إوائلاً خيل عبيد الله ، فلما رأى ذلك عدك إلى كربلاء فأسند ظهره إلى قصباء وختلاً كيلاً يقاتل إلا من وجه واحد ، فترل وضرب أبينته ، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل ، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولّاه عبيد الله بن زياد الرّيّ وعهد إليه عهده فقال : اكفني هذا الرجل ؛ قال : أعطيني ، فأبى أن يعفيه ؛ قال : فأنظرتي الليلة ، فلنخره ، فنظرتي أمره فلما أصبح غداً عليه راضياً بما أمر به ، فتوجه إليه عمر بن سعد ، فلما أتاه قال له الحسين : اختر واحدة من ثلاث : إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت ، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تدعوني فأتني بالخنور ؛ قبل ذلك عمر ، فكذب إليه عبيد الله : لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي ! فقال له الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً ، فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم ، وضمهم بضعة عشرين شاباً من أهل بيته ، وجاء سهم فأصاب ابنًا له معه في حجره ، فجعل يمسح الدم عنه ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لننصرفوا فقتلونا ؛ ثم أمر بحجرة فشقها ، ثم

(١) انظر أول الحديث ص ٣٤٧ ، ثم انظر ص ٣٤٩ من هذا الجزء .

لبسها وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قُتِلَ صلوات الله عليه ؛ قتله رجلٌ من
مَدَحِجٍ وَحَرَ رأسه ، وانطلقَ به إلى عبيد الله وقال :

أَوْفِرْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا فَقَدْ قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحْجَبِيَّ
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا

وأُؤْتِدَ إلى يزيدَ بن معاوية ومعه الرأس ، فوضع رأسه بين يديه وحده
أبو برة الأسلمي ، فجعل يَنْكُتُ بالقَضِيبِ على فيه ويقول :

يُفْلَقَنَّ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَزُّ وَأَظْلَمًا^(١)

فقال له أبو برة : ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيتَ فَارَسَ لِي اللهُ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم على فيه يَلِكِيهِ ! وصرَّحَ عمر بن سعد بحرمته وحياله إلى عبيد الله ،
ولم يكن بقيَ من أهل بيت الحسين بن علي عليه السلام إلا غلام كان مريضًا
مع النساء ، فأمر به عبيد الله لِيُقْتَلَ ، فطرحَتْ زَيْنَبُ نَفْسَهَا عليه وقالت :
والله لا يُقْتَلُ حتى تقتلوني ! فرقَّ لها ، فترَّكه وكفَّ عنه .

٢٨٢/٢

قال : فجَهَزَهم وحملهم إلى يزيد ، فلما قلموا عليه جمعَ مَنْ كان بحضرته
من أهل الشام ، ثم أدخلوهم ، فهَنَّتُوهُ بالفتح ، قال رجل منهم أَرْزُقْ أحمَر
ونظر إلى وصيفةٍ من بناتهم فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه ، فقالت
زَيْنَبُ : لا والله ولا كلمةَ لك ولا له إلا أن يَخْرُجَ من دين الله ، قُتِلَ :
فأعادها الأَرْزُقُ ، فقال له يزيد : كُفَّ عن هذا ، ثم أدخلهم على حياله ،
فجَهَزَهم وحملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأةٌ من بني عبد المطلب
ناشرةً شعرها ، واضعةً كَتَمًا على رأسها تلقاهم وهي تَبْكِي ويقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخِرُ الْأُمَمِ !
بعثني وبأهلي بعد مُقْتَلِي منهم أسارى وقَتْلُ ضَرْجُوا بِدَمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تُخَلِّقُونِي بِسَهْوٍ ذُو رَحِيٍّ !

حدثني الحسين بن نصر قال : حدثنا أبو ربيعة ، قال : حدثنا أبو عوانة ،
عن حصين بن عبد الرحمن قال : بكثنا أن الحسين عليه السلام . . .
وحدثنا محمد بن عمار الرازي ، قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا
عباد بن العوام قال : حدثنا حصين ، أن الحسين بن علي عليه السلام كتب
إليه أهل الكوفة : إنه معك مائة ألف ، فبعث إليهم مسلم بن عقيل ، فقدم
الكوفة ، فقتل دار هاني بن عروة ، فاجتمع إليه الناس ، فأخبر ابن زياد
بذلك . زاد الحسين بن نصر في حديثه : فأرسل إلى هاني فأثاه ، فقال : ألم
أؤقرئك ! ألم أكرمك ! ألم أفعل بك ! قال : بلى ، قال : فما جزاء ذلك ؟
قال : جزاؤه أن أمنعك ، قال : تمتنني ! قال : فأخذ قضيباً مكانه فضربه
به ، وأمر فكثف ثم ضرب عنقه ، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل ، فخرج
ومعه ناس كثير ، فبلغ ابن زياد ذلك ، فأمر بباب القصر فأغلق ، وأمر
منادياً فنادى : يا غيل الله اركبي ، فلا أحديبيه ، فظن أنه في ملج من الناس .
قال حصين : فحدثني هلال بن يساف قال : لقيتهم تلك الليلة في
الطريق عند مسجد الأنصار ، فلم يكونوا يمرّون في طريق بيتنا ولا شمالاً إلا
وذهبت منهم طائفة ، الثلاثون والأربعون ، ونحو ذلك . قال : فلما بلغ
السوق ، وهي ليلة مظلمة ، ودخلوا المسجد ، قيل لابن زياد : والله ما نرى
كثيراً أحد ، ولا نسمع أصوات كثير أحد ، فأمر بسقف المسجد فقلع ،
ثم أمر بمرادى^(١) فيها النيران ، فجعلوا ينظرون ، فإذا قريب حسين رجلاً .
قال : فقتل فصعد المنبر وقال للناس : تميزوا أرباعاً أرباعاً ، فانطلق كل
قوم إلى رأس ربهم ، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم ، فجرّح مسلم جراحة^{٢٨٥/٢}
ثقيلة ، فقتل ناس من أصحابه ، وانهزموا ، فخرج مسلم فدخل داراً من دور
يكنىة ، فجاها رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد ، فساره ،
فقال له : إن مسلماً في دار فلان ، فقال ابن زياد : ما قال لك ؟ قال :
إن مسلماً في دار فلان ، قال ابن زياد لرجلين : انطلقا فأتياي به ،
فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار ، فهو يغسل عنه الدماء ، فقالا

(١) في اللسان من ابن الأعرابي : « يقال لحشب السقف الروافد ، ولا يلق عليها من
أطنان القصب حراى » .

له : انطلقى ، الأمير يدعوك ، فقال : اعقدوا لى عقداً ، فقالوا : ما نملك ذلك ، فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكُتِفَ ثم قال : هيه هيه : يابن خلية - قال الحسين فى حديثه : يابن كذا - جئت لتتزع سلطانى ! ثم أمر به فضربت عنقه . قال حصين : فحدثنى هلال بن يساف أن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة ، فلا يدعون أحداً يليج ولا أحداً يخرج ، فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب ، فسألهم ، فقالوا : لا والله ما ندرى ، غير أننا لا نستطيع أن نليج ولا نخرج ، قال : فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد ، فلقيته الخيول بكرتلاء ، فقتل يناشدهم الله والإسلام ، قال : وكان بعث إليه عمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وحصين ابن نمير ، فناشدتهم الحسين الله والإسلام أن يسيروه إلى أمير المؤمنين ، فيضع يده فى يده ، فقالوا : لا ، إلا على حكم ابن زياد ، وكان فيمن بعث إليه أنكر بن يزيد استنظلي ثم انتهت على خيل ، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم : ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم ! والله لو سألكم هذا الترك والد يعلم ما حل لكم أن تردوه ! فأبوا إلا على حكم ابن زياد ، فصرف الحر وجه فرسه ، وانطلق إلى الحسين وأصحابه ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم ، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ، ثم كثر على أصحاب ابن زياد فقاتلهم ، فقتل منهم رجلين ، ثم قتل رحمة الله عليه .

٢٨٦/٢

وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجباً ، فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي بحريّة المرادى ورجلان آخران وعمر بن الحجاج ومن السلمى ، قال الحصين : وقد رأيتهما . قال الحصين : وحدثنى سعد بن عبيدة ، قال : إن أشياخاً من أهل الكوفة لتخوف على التل ييكون ويقولون : اللهم أنزل نصرك ، قال : قلت : يا أعداء الله ، ألا تتلون فتصرونه ! قال : فأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد ، قال : وإنى لأنظر إليه وعليه جبة من برود ، فلما كلمهم انصرف ، فرمى رجل من بنى تميم يقال له : عمر الطهوى بهم ، فإنى لأنظر إلى السهم بين كفيه متعلقاً فى جيبته ، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافقه ، وإنى لأنظر إليهم ،

(١) ط : « نمر » ، وانظر القهري .

وإنهم لقريب من مائة رجل، فيهم^(١) لصلب علي بن أبي طالب عليه السلام خمسة ، ومن بني هاشم ستة عشر ، ورجل من بني سليم حليف لهم ، ورجل من بني كنانة حليف لهم ، وابن عمر بن زياد .

قال : وحدثني سعد بن عبيدة ، قال : إنا لمستنعون في الماء مع عمر بن سعد ، إذ أتاه رجل فساره وقال له : قد بعث إليك ابن زياد جُويرية بن بدر التميمي ، وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك ، قال : فوثب إلى فرسه فركبه ، ثم دعا سلاحه فلبسه ، وإنه على فرسه ، فنهض بالناس إليهم فقاتلهم ، فجاء برأس الحسين إلى ابن زياد ، فوضع بين يديه ، فجعل ينكت^(٢) بقضيبه ، ويقول : إن أبا عبد الله قد كان شيط ، قال : وجىء بنسائه وبناته وأهله ، وكان أحسن شيء صنعته أن أمر لن بمثل في مكان معتزل ، وأجرى عليهم رزقا ، وأمر لن بنفقة وكسوة . قال : فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر - أو ابن ابن جعفر - فأتيا رجلا من طيئ فلقا إليه ، فضرب أحاقهما ، وجاء برؤوسهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد ، قال : فهم بضرب عنقه ، وأمر بداره فهدمت .

قال : وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال : لما أتني يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه ، قال : رأيته يبكي ، وقال : لو كان بينه وبينه رحيم ما فعل هنا .

قال حصين : فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة ، كأنما تلتطخ الحوايط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع .

قال : وحدثني العلاء بن أبي عاتة قال : حدثني رأس الجالوت ، عن أبيه قال : ما مررت بكر بلاء إلا وأنا أركض دأبي حتى أعطف المكان ، قال : قلت : لم ؟ قال : كنا نتحدث أن وكند نبي مقتول في ذلك المكان ، قال : وكنت أخاف أن أكون أنا ، فلما قتل الحسين قلنا : هذا الذي كنا نتحدث . قال : وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض . حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني علي بن محمد ،

(١) ط : « فهم » . (٢) كذا في البازنري ، وفي ط : « ينط » .

عن جعفر بن سليمان الضَّبِّي قال : قال الحسين : والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العنكة من جوتي ، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قُرم الأمة ^(١) ؛ فقدم للعراق فقتل ببينوى يوم عاشوراء سنة إحدى وستين .

قال الحارث : قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : قتل الحسين بن علي عليه السلام في صفر سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين . ٢٨٨/٢

حدثني بذلك أفلح بن سعيد ، عن ابن كعب القرظي ، قال الحارث : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، عن أبي معشر ، قال : قتل الحسين لعشر خلون من المحرم . قال الواقدي : هذا أثبت .

قال الحارث : قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا عطاء ابن مسلم ، عن أنس بن مالك ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبیش ، قال : أول رأس رفع على خشبة ، رأس الحسين رضي الله عنه وصلى الله على رُوحه .

قال أبو مخنف : عن هشام بن الوليد ، عن شهد ذلك ، قال : أقبل الحسين ابن علي بأهله من مكة ومحمد بن الحنفية بالمدينة ؛ قال : قبله خبره وهو يتوضأ في طست ، قال : فبكي حتى سمعت دموعه في الطست .

قال أبو مخنف : حدثني يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، قال : ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة ، بعث الحصين بن تميم صاحب شرطه حتى نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان ، وما بين القادسية إلى القسطنطانة وإلى تلحج ، وقال الناس : هذا الحسين يريد العراق .

قال أبو مخنف : وحدثني محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيدلاني إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فلاني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن كتاب مسلم بن حنبل جامع يخرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع مكثكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ، وأن ييسركم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية ، فإذا قدم عليكم رسول فاكشوا أمركم وحذروا ، فلاني قادم عليكم في أباي هذه إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكان مسلم ابن حنبل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة : أما بعد ، فإن الرائد لا يكذب أهله ، إن جمع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابي ، والسلام عليك .

قال : فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يكلو على شيء ، وأقبل فبس من مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين ، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نعم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له عبيد الله : اصعد إلى القصر فسب الكذاب ابن الكذاب ؛ فصعد ثم قال : أيها الناس ، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ؛ ابن فاطمة بنت رسول الله ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقه بالحاجر ، فأجيبوه ؛ ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعل بن أبي طالب . قال : فأمر به عبيد الله ابن زياد أن يرمى به من فوق القصر ، فرمى به ، فضطع فوات . ثم أقبل الحسين سيرا إلى الكوفة ، فأنتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي ، وهو نازل ها هنا ، فلما رأى الحسين قام إليه ، فقال : بأبي أنت وأمتي يا ابن رسول الله ! ما أقدمك ! واحتمله فأنزله ، فقال له الحسين : كان من موت معاوية ما قد بلغك ؛ فكتب إلى أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم ، فقال له عبد الله بن مطيع : أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تشك ! أنشدك الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! أنشدك الله في حرمة العرب ! فواجه لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ، ولئن تناولت لا يهابون بعنك أحدا أبدا . والله إنها لحرمة الإسلام تشك ، وحرمة قریش

وحُرْمَةُ الْعَرَبِ ، فَلَا تَقْعَلْ ، وَلَا تَأْتِ الْكُوفَةَ ، وَلَا تَعْرِضْ لِبَنِي أُمَيَّةَ ،
 قَالَ : فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَمْضَى ، قَالَ : فَأَقْبَلَ الْحُسَيْنَ حَتَّى كَانَ بِإِلَافٍ فَوْقَ
 زُرُودِ .

قَالَ أَبُو عَنَفٍ : فَحَدَّثَنِي السَّيِّدِيُّ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي فَرْزَةَ قَالَ : لَمَّا
 كَانَ زَيْنُ الْحُجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ كَتَا فِي دَارِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ الَّتِي فِي التَّمَّارِينَ ،
 إِلَى أَقْطَعْتَ بَعْدُ زُهَيْرَ بْنِ الْقَيْسِ ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ يَشْكُرَ مِنْ بَسْجِلَةَ ،
 وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ لَا يَدْخُلُونَهَا ، فَكُنَّا مُخْتَبِثِينَ فِيهَا ، قَالَ : فَقُلْتُ لِلْفَرَّارِيِّ :
 حَدَّثَنِي عَنْكُمْ حِينَ أَقْبَلْتُمْ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْسِ
 الْبَسْجَلِيِّ حِينَ أَقْبَلْنَا مِنْ مَكَّةَ نَسَائِرَ الْحُسَيْنِ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا مِنْ
 أَنْ نَسَائِرَهُ فِي مَنْزِلٍ ، فَإِذَا سَارَ الْحُسَيْنُ تَخَلَّفَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْسِ ، وَإِذَا نَزَلَ
 الْحُسَيْنُ قَدَّمَ زُهَيْرٌ ، حَتَّى نَزَلْنَا يَوْمَئِذٍ فِي مَنْزِلٍ لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ نَنَازِلَهُ فِيهِ ،
 فَتَزَلَ الْحُسَيْنُ فِي جَانِبٍ ، وَنَزَلْنَا فِي جَانِبٍ ، فَبَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ نَتَغَدَّى مِنْ طَعَامِ
 لَنَا ، إِذْ أَقْبَلَ رَسُولُ الْحُسَيْنِ حَتَّى سَلَّمَ ، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ : يَا زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْسِ ،
 إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يَعْنِي إِلَيْكَ لَتَأْتِيَهُ ، قَالَ : فَطَرَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ
 مَا فِي يَدِهِ حَتَّى كَانُوا عَلَى رُءُوسِ الطَّيْرِ .

٢٩١/٢

قَالَ أَبُو عَنَفٍ : فَحَدَّثَنِي كَلْبُ بْنُ عُتَيْرٍ عَنْ امْرَأَةٍ زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْسِ ،
 قَالَتْ : فَقُلْتُ لَهُ : أَيَبْعَثُ إِلَيْكَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ثُمَّ لَا تَأْتِيهِ ! سُبْحَانَ اللَّهِ ! لَوْ
 أَتَيْتُهُ فَسَمِعْتُهُ مِنْ كَلَامِهِ ! ثُمَّ انْصَرَفَتْ ، قَالَتْ : فَأَتَانِي زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْسِ ، فَمَا
 لَبِثَ أَنْ جَاءَ مُسْتَبْشِرًا قَدْ أَصْفَرَ وَجْهُهُ ، قَالَتْ : فَأَمَرُ بِفُسْطَاطِهِ وَتَقَفْلَهُ وَتَتَابَعَهُ
 قَدَّمَ ، وَحُمِّلَ إِلَى الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ لِامْرَأَتِهِ : أَنْتِ طَائِقٌ ، الْكُفَى يَا هَلْكَ ،
 لَأَنْفِي لَا أَحِبُّ أَنْ يَصِيلَكَ مِنْ سَبِيٍّ إِلَّا خَيْرٌ ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَنْ أَحَبَّ
 مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي وَإِلَّا فَلَانَهُ آخِرُ الْعَهْدِ ، إِنِّي سَأَحْدِثُكُمْ حَدِيثًا ، خَرَّوْنَا
 بِلَتَجَرٍّ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَأَصْبَحْنَا غَنَامًا ، فَقَالَ لَنَا سَلَامَانَ الْبَاهِلِيَّ : أَفَرَحْتُمْ
 بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْغَنَامِ ! قُلْنَا : نَعَمْ ، فَقَالَ لَنَا : إِذَا أَدْرَكْتُمْ
 شِبَابَ آلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِقِتَالِكُمْ مَعَهُمْ مِنْكُمْ ، مَا أَصْبَحْتُمْ مِنَ الْغَنَامِ ، فَأَمَّا

أنا فلان استودعكم الله؛ قال : ثم والله ما زال في أول القوم حتى قُتل .
قال أبو مخنف : حدثني أبو جنتاب الكلبي ، عن علي بن حرملة
الأسدي ، عن عبد الله بن سلم والمزني بن المشعل الأسديين قالا : لما
قضينا حجتنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين في الطريق لنتظر ما يكون من
أمره وشأنه ، فأقبلنا نترقب بنا ناقتنا مسرعين حتى لحقناه بزرد ، فلما دنونا
منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين ،
قالا : فوقف الحسين كأنه يريدنا ، ثم تركه ، ومضى ومضينا نحوه ، فقال
أحدنا لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا فلنساله ، فإن كان عنده خبر الكوفة
علمناه ، فضينا حتى انتهينا إليه ، قلنا : السلام عليك ، قال : وعليكم السلام
ورحمة الله ، ثم قلنا : فمن الرجل ؟ قال : أسدي . قلنا : فنحن أسديان
فمن أنت ؟ قال : أنا بكير بن المصبة ، فانتسبنا له ، ثم قلنا : أخبرنا عن
الناس ورايك ، قال : نعم ، لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل
وهاني بن عروة ، فرأيتهما يُجسَّران بأرجلهما في السوق ، قالا : فأقبلنا حتى
لحقنا بالحسين ، فسايرنا حتى نزل الثعلبية مسياً ، فجنبناه حين نزل ، فسلمنا
عليه فردَّ علينا ، قلنا له : يرحمك الله ، إنَّ عندنا خبراً ، فإن شئت حدثنا
حلايةً ، وإن شئت سرّاً ، قال : فنظر إلى أصحابه وقال : ما دون هؤلاء
سرّاً ، قلنا له : أرايت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس ؟ قال : نعم ،
وقد أردتُ مسأله ، قلنا : قد استبرأنا لك خبره ، وكضيناك مسأله ، وهو
امرؤ من أسد منا ، ذو رأي وصدق ، وفضل وعقل ، وإنه حدثنا أنه لم
يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ، وحتى رأهما
يُجسَّران في السوق بأرجلهما ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! رحمة الله عليهما ،
فردَّ ذلك مراراً ، قلنا : نَشْدُكَ اللهَ في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من
مكانك هذا ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعه ، بل تخوف أن تكون
عليك ! قال : فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب .
قال أبو مخنف : حدثني عمر بن خالد ، عن زيد بن علي بن حسين ،
وعن داود بن علي بن عبد الله بن عباس ، أن بني عقيل قالوا : لا والله لا نبرح
حتى ندرك ثأركا ، أو نلقى ما ذاق أخونا .

قال أبو مخنف : عن أبي جنتاب الكلبي ، عن حذيفة بن حرملة ، عن عبد الله بن سلم والمدرى بن المشعل الأسديين ، قال : فَنظر إلينا الحسين فقال : لا خير في العيش بعد هؤلاء ، قالوا : فعلنا أنه قد عزم له رأيهُ على المسير ، قالوا : قلنا : خَارَ الله لك ! قالوا : فقال : رحمكما الله ! قالوا : فقال له بعض أصحابه : إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ، ولو قدمت الكوفة لكان الناسُ إليك أسرع ، قال الأسديان : ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانهِ وغلماهُ : أكثروا من الماء فاستقُوا وأكثروا ، ثم ارتحلوا وصاروا حتى انتهوا إلى زُبالة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو علي الأنصاري ، عن بكر بن مصعب المزني ، قال : كان الحسين لا يمرُّ بأهل ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى زُبالة سقط إليه مقتلُ أخيه من الرضاعة ، مقتلُ عبد الله بن يقطين ، وكان سرَّجه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب ، فتلقاهم نيلُ الحسين بن نعيم بالقادسية ، فسرح به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال : اصعد فوق القصر فالتن الكذاب ابن الكذاب ، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي ! قال : فصعد ، فلما أشرف على الناس قال : أيها الناس ، إني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنصروهُ وتؤازروه على ابن مَرْجانة ابن سمية الدعي . فأمر به عبيد الله فألقى من فوق القصر إلى الأرض ، فكسرت عظامهُ ، وبقى به رمق ، فأناه رجل يقال له عبد الملك بن حمير اللخمي فلبسه ، فلما عيب ذلك عليه قال : إنما أردت أن أريعه .

قال هشام : حدثنا أبو بكر بن عياش عن أخيه ، قال : والله ما هو عبد الملك بن حمير الذي قام إليه فلبسه ، ولكنه قام إليه رجل جعد طوأل يشبه عبد الملك بن حمير . قال : فأق ذلك الخبرُ حينئذٍ وهو بزُبالة ، فأخرج الناس كتاباً ، فقرأ عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مُسلم ابن عقيل وهاني بن حروة وعبد الله بن يقطين ، وقد خلطنا شيعتنا ، فن

أحبّ منكم الانصراف فليصرف ، ليس عليه من ذمام .

قال : ففرّق الناس عنه تفرّقاً ، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ، وإنما فعل ذلك لأنه ظنّ أنّما اتبعه الأعراب ، لأنهم ظنّوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله ، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون عكّام يقدمون ، وقد علم أنّهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه . قال : فلما كان من السحر أمر فتيانته فاستقوا الماء وأكثروا ، ثم سار حتى مرّ ببطن العقبة ، فنزّل بها .

قال أبو مخنف : فحدثني لؤذان أحد بني عكرمة أنّ أحد عمومه سأل الحسين عليه السلام أين تريد ؟ فحدثه ، فقال له : إني أتشدك الله لئلا تنصرف ، فوالله لا أقدم إلا على الأسنّة وحده السيوف ، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفّوك مؤنة القتال ، ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً ، فأما على هذه الحال التي تذكرها فإني لا أرى لك أن تفعل . قال : فقال له : يا عبد الله ، إنه ليس يعني عليّ ، الرأى ما رأيت ، ولكن الله لا يطلب على أمره ، ثم ارتحل منها .

• • •

وفزع يزيد بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عتبة عن مكة ، وولّاه ٢٩٥/٢ حمرو بن سعيد بن العاص ، وذلك في شهر رمضان منها ، فحج بالناس حمرو ابن سعيد في هذه السنة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عتبة حمرو بن سعيد ، وعلى الكوفة والبصرة وأعمالها عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مقتل الحسين رضوان الله عليه ، قتل فيها في المحرم لعشر خلون منه ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، قال : حدثني محمد بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وهشام بن الكلبي ، وقد ذكرنا ابتداء أمر الحسين في مسيره نحو العراق وما كان منه في سنة ستين ، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وستين وكيف كان مقتله .

حدثني عن هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو جناب ، عن عدي بن حرملة ، عن عبد الله بن سليم والمري بن المشعل الأسديين قالا : أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شراف ، فلما كان في السحر أمر فتيانته فاستقوا من الماء فأكثروا ، ثم ساروا منها ، فرموا صدر يومهم حتى انتصف النهار . ثم إن رجلاً قال : الله أكبر ! فقال الحسين : الله أكبر ما كبرت (١) ؟ قال : رأيت النخل ، فقال له الأسديان : إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط ، قالا : فقال لنا الحسين : فما ترىانه رأى ؟ قلنا : نراه رأى هوادي الخليل ، فقال : وأنا والله أرى ذلك ، فقال الحسين : أما لنا ملجأ نلجأ إليه ، نجعله في ظهورنا ، ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ قلنا له : بلى ، هذا ذو حسم إلى جنبك ، تحيل إليه عن يسارك ، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد ، قالا : فأخذ إليه ذات اليسار ، قالا : وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخليل ، فتيناها ، وعلنا ، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا فكان أسنتهم اليعاسيب ، وكان رأيتهم أجنحة الطير ، قال : فاستبقنا إلى ذي حسم ، فسبقناهم إليه ، فترك الحسين ، فأمر بأبنيته فغصرت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدوا أسياهم ، فقال

٢٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « م كبرت » .

الحسين لفتيانہ : اسقوا القوم وأروهم من الماء ورشعوا الخيل ترشيفاً ،
 فقام فتياته فرشعوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أروهم ،
 وأقبلوا بمكثون القصاع والأثوار^(١) والعطاس من الماء ثم يندفونها من القفرس ،
 فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه ، وسقوا آخره حتى سقوا
 الخيل كلها .

قال هشام : حدثني لقيط ، عن عليّ بن العثمان المهاربيّ : كنت مع
 الحرّ بن يزيد ، فبحث في آخر من جاء من أصحابه ، فلما رأى الحسين ما بي
 وبفرسي من العطش قال : أنسخ الراوية - والراوية عندي السقاء - ثم قال :
 يابن آخر ، أنسخ الحمل ، فأنسخته ، فقال : اشرب ، فجعلت كلما شربت
 سال الماء من السقاء ، فقال الحسين : اخنث السقاء - أي اعطفه - قال :
 فجعلت لا أدرى كيف أفعل ! قال : فقام الحسين فخنثته ، فشربت
 وسقيت فرسي . قال : وكان عجيء الحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من
 القادسية ، وذلك أن عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبال الحسين بعث الحصين
 ابن قيس الجهني - وكان على شرطه - فأمره أن يترك القادسية ، وأن يضع
 المسالح فينظم ما بين القطرعة إلى خفّان ، وقدّم الحرّ بن يزيد بين يديه في
 هذه الألف من القادسية ، فيستقبل حسياً . قال : فلم يزل موافقاً حسياً حتى
 حضرت الصلاة صلاة الظهر ، فأمر الحسين الحجّاج بن مسروق الجهنيّ أن
 يؤذن ، فأذن ، فلما حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء وذهلين ،
 فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال : أيّها الناس ، إنها معذرة إلى الله عزّ وجلّ
 وإليكم ، إنّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم ، وقدمت على رُسُلكم : أن أقدم
 علينا ، فإنّه ليس لنا إمام ، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى ، فإن كنتم على
 ذلك فقد جئتمكم ، فإن تطؤون ما أطمئنّ إليه من عهدكم ومواثيقكم أقدم
 مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان
 الذي أقبلت منه إليكم . قال : فسكثوا عنه وقالوا للمؤذن : أقم ، فأقام الصلاة ،
 فقال الحسين عليه السلام للحرّ : أتريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال : لا ، بل

(١) الأثوار : جمع ثور ؛ وهو إناث من صفر أو حجارة .

تصلّى أنت وتصلّى بصلاتك ، قال : فصلّى بهم الحسين ، ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه ، وانصرف الخمر إلى مكانه الذي كان به ، فدخل خيصةً قد ضربت له ، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه ، وعاد أصحابه إلى صفّهم الذي كانوا فيه ، فأعادوه ، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلها ، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيأوا للرّحيل . ثم إنه خرج فأمر مناديه فتنادى بالعصر ، وأقام فاستقدم الحسين فصلّى بالقوم ثم سلم ، وانصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإنكم إن تقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى الله ، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائر فيكم بالجوهر والعلو ؛ وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا ، وكان رأيكم غير ما أنتهى كتبكم ، وقد حثّ به على رُسلكم ، انصرفت عنكم ، فقال له الخمر بن يزيد : إننا والله ما ندرى ما هذه الكتّاب التي تذكر ! فقال الحسين : يا عقبة بن سفيان ، أخرج الخرجتين اللّتين فيهما كتبهم إلى ، فأخرج خرجين مملوئين صحفًا ، ففترها بين أيديهم ، فقال الخمر : فإننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد ، فقال له الحسين : الموت أدنى إليك من ذلك ، ثم قال لأصحابه : فاركبوا ، فاركبوا وانتظروا حتى ركبنا نسائهم ، فقال لأصحابه : انصرفوا بنا ، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف ، فقال الحسين للحمر : تكلمتكم أمك ! ما تريد ؟ قال : أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركتُ ذكر أمه بالشكل أن أقوله كائنًا من كان ، ولكنّ والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلاّ بأحسن ما يقدر عليه ، فقال له الحسين : فما تريد ؟ قال الخمر : أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد ، قال له الحسين : إذن والله لا أتبعك ، فقال له الخمر : إذن والله لا أدعك ، فردّا القول ثلاث مرّات ، ولما كثر الكلام بينهما قال له الخمر : إني لم أوسر بقتالك ، وإنما أمرتُ ألاّ أفارقك حتى أقدمك الكوفة ، فإذا أبيتَ فنخذ طريقًا لا تُدخلك الكوفة ، ولا تردك إلى ههنا ،

تَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ نَصْفًا حَتَّى أَكْتُبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَتَكْتُبَ أَنْتَ إِلَى يَزِيدَ
ابْنِ صُهَيْبٍ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ ، أَوْ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِنْ شِئْتَ ،
فَلَعَلَّ اللَّهَ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَ بِأَمْرِ يَرْزُقُنِي فِيهِ الْعَافِيَةَ مِنْ أَنْ أَبْطَى بِشَيْءٍ مِنْ ٢٠٠/٧
أَمْرِكَ ، قَالَ : فَخَذَ هَاهُنَا فَتَيَاسِرَ عَنْ طَرِيقِ الْمَذْيَبِ وَالْقَادِسِيَّةِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْمَذْيَبِ ثَمَانِيَةٌ وَثَلَاثُونَ مِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ سَارَ فِي أَصْحَابِهِ وَالْحُرَّ يَسِيرُهُ .

قال أبو مخنف : عن عقبة بن أبي العيزار ، إن الحسين خطب أصحابه
وأصحاب الحر بالبيضة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم
الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله
بالإثم والمعصية ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن
يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ . » ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة
الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالياء ، وأحطوا حرام
الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا أحقّ من غيري ، قد أثنى كتبكم ، وقسمت على
رُسُلِكُمْ ببيعكم ، أنكم لا تُسلموني ولا تتخذوني ، فإنّ تمتم على بيعكم
تصيبوا رشدكم ، فأنا الحسين بن عليّ ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، فلكم في أسوة ، وإن
لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ، وخلفتم بيعتي من أعناقكم ، فلتعسروا ما هي لكم
بنكر^(١) ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، والمغرور من اغتر بكم ،
فحفظكم أخطأكم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ،
ويستغنى الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقال عقبة بن أبي العيزار : قام حسين عليه السلام بندي حُسم ، فحمد
الله وأثنى عليه ثم قال : إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد
تغيرت وتذكرت ، وأدبر معروفها واستمرت جداً ، فلم يبقَ منها إلا صُباية

(١) ابن الأثير : « بنكر » .

كصُباة الإثاء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يتناهى عنه ! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً ، فلا يرى الموت إلا شهادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً .

قال : فقام زهير بن القيس البجلي فقال لأصحابه : تسلكمون أم أتكلم ؟ قالوا : لا ، بل تكلم ، فحمد الله فأثنى عليه ثم قال : قد سمعنا هذلك الله يا ابن رسول الله مقالتك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها غلادين ، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك ، لأتربنا الخروج معك على الإقامة فيها .

قال : فدعا له الحسين ثم قال له خيراً ، وأقبل الحرة يسايره وهو يقول له : يا حسين ، إني أذكرك الله في نفسك ، فإني أشهد لن قاتلت لتقتلن ، ولأن قوتلت لتهلكن فيها أرى ، فقال له الحسين : أفيالموت تخوفني ! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ! ما أدري ما أقول لك ! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ، ولقيته وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أين تذهب ؟ فإني أذكركم مقتول ، فقال :

سأضيى وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وأسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً يفتش ويرغما^(١)

قال : فلما سمع ذلك منه الحرة تنحى عنه ، وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى ، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات ، وكان بها هجانان الثعنان ترعى هنالك ، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ، يمينون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ، ومعهم دليلهم الطرماح بن عدى على فرسه ، وهو يقول :

(١) كذا في ط ، وقيل البيت في ابن الأثير :

وأسى رجالاً صالحين بأنفسهم وخالف مثبوراً وفارق مجرماً
فذكر به :

فلان عشت لم أنتم وإن ميت لم أنتم كفى بك ذلاً أن يعيش ورغماً :

يَانَا قَيْتِي لَا تُذْعِرِي مِنْ زَجْرِي وَشَمْرِي قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
بَخِيرِ رُكْبَانِي وَخَيْرِ سَفَرِي حَتَّى تَحِلِّي بِكُرَيْمِ النَّجْرِ
الْمَاجِدِ الْحَرِّ رَحِيبِ الصَّلَا أَتَى بِهِ اللَّهُ لَخِيرِ أَمْرِ

• ثُمَّتَ أَبْقَاهُ بَقَاءَ الدَّهْرِ •

قال : فلما انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات ، فقال : أما والله
إني لأرجو أن يكون خيرا ما أراد الله بنا ، قُتِلْنَا أَمْ ظَلَمْنَا ، قال : وأقبل إليهم
الحر بن يزيد فقال : إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا بمن أقبل
مَعَك ، وأنا حاسبهم أو رادهم ، فقال له الحسين : لأنتمهم بما أَمَنَ مِنْهُ
نَفْسِي ، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني ، وقد كنت أعطيتني ألا تعرض لي
بشيء حتى يأتيتك كتاب من ابن زياد ، فقال : أجل ، لكن لم يأتوا معك ،
قال : نعم أصحابي ، وهم بمنزلة من جاء معي ، فإن ثمت على ما كان بيني
وبينك وإلا فاجزئك ، قال : فكف عنهم الحر ، قال : ثم قال لهم الحسين :
أخبروني خبر الناس وراءكم ، فقال له مجمع بن عبد الله العائذي ، وهو أحد
النفر الأربعة الذين جاءوه : أما أشراف الناس فقد أعطيتم رشوتهم ،
وسلكت غرائرهم ، يستأجلكم ، ويستخلص به نصيحتهم ، فهم ألب
واحد عليك ، وأما سائر الناس بعد ، فإن أقتلتهم تهوى إليك ، وسيوفهم
غدا مشهورة عليك ، قال : أخبروني ، فهل لكم برسولي إليكم ؟ قالوا : من
هو ؟ قال : قيس بن مشهر الصيداوي ، فقالوا : نعم ، أخذه الحصين
ابن تميم فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك ،
فصلى عليك وعلى أبيك ، ولعن ابن زياد وأباه ، ودعا إلى نصرتك ، وأخبرهم
بقدمك ، فأمر به ابن زياد فألقي من طمار القصر ، فتروقت عينا حسين
عليه السلام ولم يملك دمعته ، ثم قال : ﴿ وَهُمْ مِنْ قَصَى نَجْهٍ فَهُمْ مَنْ
يَنْتَظِرُونَ بِدَلْوَاتِهِمْ ﴾ . اللهم اجعل لنا ولم الجنة نزلنا ، واجمع بيننا وبينهم
في مستقر من رحمتك ، ورغائب منخور ثوابك !

قال أبو مخنف : حدثني جميل بن مَرْقَدٍ بن مَرْقَدٍ من بني مَخْنَفٍ ، عن الطَّوْصَاحِ ابنِ عَدِيِّ ، أنه دفا من الحسين فقال له : والله إني لأنظر لما أرى معك أحداً ، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم ، وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك يوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناى فى صعيد واحد جَمَعاً أكثر منه ، فسألت عنهم ، ف قيل : اجتمعوا ليُعرَضُوا ، ثم يسرّحون إلى الحسين ، فأنشِدُكَ اللهَ إن قدرتَ على ألا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت ! فإن أردتَ أن تنزل بِلداً يَمْنَعُكَ الله به حتى ترى من رأيك ، ويستين لك ما أنت صانع ، فسرّحني أنزلك مَنَاحَ جبلنا الذي يُدعى أجبا ، امتنعنا والله به من ملوك غسانَ وحَمِيرَ ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر^(١) ، والله إن دخل علينا ذلّ قط ، فأسير معك حتى أنزلك القُربى ، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجبا وسكمتى من طيىء ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيىء رجالاً وركباناً ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هَيْجٌ فأنأ زعيم لك بعشرين ألف طائي يَضْرِبُونَ بين يديك بأسيا فهم ، والله لا يُوصَلُ إليك أبداً ومنهم حين تطرف ، فقال له : جزاك الله وقومك خيراً ! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسانا نقرر معه على الانصراف ، ولا ندرى علامَ تنصرف بنا وبهم الأمورُ فى عاقبه !

قال أبو مخنف : فحدثني جميل بن مَرْقَدٍ ، قال : حدثني الطَّوْصَاحِ ابنِ عَدِيِّ ، قال : فودعته وقلتُ له : دفع الله عنك شرَّ الجن والإنس ، إني قد امرتُ لأهل من الكوفة ميرةً ، ومعى نفقة لم ، فأتيهم فأضع ذلك فيهم ، ثم أقبل إليك إن شاء الله ، فإن الحلقك فوالله لأكوننَّ من أنصارك ، قال : فإن كنتَ فاعلاً فعجل رحمتك الله ، قال : فعلتُ أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التسجيل ، قال : فلما بلغتُ أهل وضعتُ عندهم ما يصلحهم ، وأوصيت ، فلأخذ أهل يقولون : إنك لتصنع مَرْقَدَكَ هذه شيئاً ما كنتَ

(١) ابن الأثير : « الأحمر والأبيض » .

تصنعه قبل اليوم ، فأخبرتهم بما أريد ، وأقبلتُ في طريق بني ثعلل حتى إذا دفوتُ من عذيب المجانات ، استقبلني سماعة بن بدر ، فنهأ إليّ ، فرجعت ، قال : ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل ، فنزل به ، فإذا هو بفسطاط مضروب .

قال أبو مخنف : حدثني المجالد بن سعيد ، عن عامر الشعبي ، أن الحسين بن عليّ رضي الله عنه قال : لَمَنْ هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله ابن الحرّ الجعفيّ ، قال : ادعوه لي ، وبعثَ إليه ، فلما أتاه الرسول ، قال : هذا الحسين بن عليّ يدعوك ، فقال عبيد الله بن الحرّ : إنا لله وإنا إليه راجعون ! والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهة أن يخلطها الحسين وأنا بها ، والله ما أريد أن أراه ولا يراني ، فأتاه الرسولُ فأخبره ، فأخذ الحسين نعليه فانتعل ، ثم قام فجاءه حتى دخل عليه ، فسَلَّمَ وجلس ، ثمّ دعاه إلى الخروج معه ، فأعاد إليه ابن الحرّ تلك المقالة ، فقال : فإلا تنصرتنا فاتق الله أن تكون ممّن يقاتلنا ، فوالله لا يسمع واعيئنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك ، قال : أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله . ثمّ قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحلته .

٢٠٦/٢

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب ، عن حقة بن شمعان قال : لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ، ثمّ أمرنا بالرجل ، ففعلنا ، قال : فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساحة خفق الحسين برأسه خفقة ، ثمّ اتبّه وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولحمد لله ربّ العالمين ، قال : ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً ، قال : فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين على فرس له فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولحمد لله ربّ العالمين ، يا أبت ، جعلتُ فداك ! مِمّ حمّلتَ الله واسترجعت ؟ قال : يا بني ، إني خففتُ برأسي خفقةً فمنّ لي فارس على فرس فقال : القوم يسرون ولنايا تسري^(١) إليهم ، فعلمتُ أنها أقسنا نحيّت إلينا ، قال له : يا أبت ،

لا أراك الله سوياً ، ألسنا على الحق ! قال : بلى والذي إليه مرجع العباد ؛ قال : يا أبت ، إذا لانبأى ؛ نموت محقين ؛ فقال له : جزاك الله من وكّد خير ما جزى وكلاً عن والده ؛ قال : فلما أصبح نزل فصلى الغداة ، ثم عجل الركوب ، فالتفت يتيأس بأصحابه يريد أن يفرقهم ، فيأتيه الحر بن يزيد فيردهم فيرده ، فجعل إذا ردهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا ، فلم يزالوا يتسابرون حتى انتهوا إلى نينوى ؛ المكان الذى نزل به الحسين ؛ قال : فإذا راكبٌ على نجيب له وعليه السلاح متّكّب قوساً مقبلاً من الكوفة ، فوقفوا جميعاً ينتظرونه ، فلما انتهى إليهم سالم على الحر بن يزيد وأصحابه ، ولم يسلم على الحسين عليه السلام وأصحابه ، فلدغ إلى الحر كتاباً من حديد الله ابن زياد فإذا فيه : أما بعد ، فجتمع^(١) بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويتقدم عليك رسول ، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسول أن يلتزمك ولا يفارقك حتى يأتيك بإفناذك أمرى ؛ والسلام .

٣٠٧/٢

قال : فلما قرأ الكتاب قال لم الحر : هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمر فيه أن أجمع بكم في المكان الذى يأتيني فيه كتابه ، وهذا رسوله ، وقد أمره ألا يفارقه حتى أنفذ رأيته وأمره ، فنظر إلى رسول عبيد الله يزيد ابن زياد بن المهاجر أبو الشعثاء الكندى ثم البهلى فنن له ، فقال : أمالك بن النسيب البدي ؟ قال : نعم - وكان أحد كندة - فقال له يزيد ابن زياد : ثكلتك أمك ! ماذا جئت فيه ؟ قال : وما جئت فيه ! أطلعت إمامي ، ووفيت ببينتي ، فقال له أبو الشعثاء : عصبت ربك ، وأطعت إمامك في هلاك نفسك ، كسبت النار والنار ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْخُلُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾^(١) ، فهو إمامك . قال : وأخذ الحر بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية ، فقالوا : دعنا نترل في هذه القرية ، يعين نينوى -

(١) أورد الخبر في اللسان وقال في شرحه : رأى أئمة وأخرجه ، وقال الأصمى : يعنى أحبه .

(٢) سورة القصص : ٣٢ .

أو هذه القرية - يعنون الغاضرية - أو هذه الأخرى - يعنون شُصَيْتَ .
 فقال : لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بُعثَ إلى عَيْنَا ، فقال له
 زهيرُ بنُ القَيْنِ : يا بن رسول الله ، إن قتال هؤلاء أهونُ من قتال من يأتيك
 من بعدهم ، فلحسرى لياثينا من بعد من ترى ما لا قبلك لنا به ، فقال
 له الحسين : ما كنت لأبدأهم بالقتال ، فقال له زهير بن القين : سر بنا إلى
 هذه القرية حتى تنزلها فإنها حصينة ، وهي على شاطئ الفرات ، فإن منعونا
 قاتلناهم ، فقاتلهم أهونُ علينا من قتال من يجيء من بعدهم ، فقال له
 الحسين : وأية قرية هي ؟ قال : هي العقر ، فقال الحسين : اللهم إني
 أعوذ بك من العقر ، ثم نزل ، وذلك يوم الخميس ، وهو اليوم الثاني من
 المحرم سنة إحدى وستين . فلما كان من الغد قدم عليهم عمرُ بن سعد بن
 أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف . قال : وكان سبب خروج ابن سعد
 إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعث على أربعة آلاف من أهل
 الكوفة يسير بهم إلى كُتَيْبَى ، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها ،
 فكتب إليه ابن زياد عهداً على الرّى ، وأمره بالخروج .

فخرج معسكراً بالناس بمحسّم أعين ، فلما كان من أمر الحسين ما كان
 وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد ، فقال : سر إلى الحسين ، فإذا فرغنا
 مما بيننا وبينه سرت إلى عملك ، فقال له عمر بن سعد : إن رأيتَ رحمك الله
 أن تُضيّفتي فاضل ، فقال له عبيد الله : نعم ، على أن ترد لنا عهدنا ، قال :
 فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد : أمهلني اليوم حتى أنظر ، قال : فانصرف
 عمر يستشير نصحاه ، فلم يكن يستشير أحداً إلا نهاه ، قال : وجاء حمزة
 ابن المغيرة بن شعبة - وهو ابن أخته - فقال : أنشدك الله يا خال أن تسير إلى
 الحسين فتأم بربك ، وتقطع رحيمك ! فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك
 وسلطان الأرض كلها لو كان لك ، خير لك من أن تكلف الله بدم الحسين !
 فقال له عمر بن سعد : فإني أفضل إن شاء الله .

٣٠٩/٢

قال هشام : حدثني عروة بن الحكم ، عن عمار بن عبد الله بن يسار

بالمسير ، عن أبيه ، قال : دخلتُ على عمر بن سعد ، وقد أمر بالمسير إلى الحسين ، فقال لي : إن الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين ، فأبيت ذلك عليه ، فقلت له : أصاب الله بك ، أشدك الله ، أحل فلا تفعل ولا تسير إليه . قال : فخرجتُ من عنده ، فأتاني آت وقال : هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين ، قال : فأتيته فإذا هو جالس ، فلما رآني أعرض بوجهه فمرتُ أنه قد حزم على المسير إليه ، فخرجتُ من عنده ، قال : فأقبل عمر ابن سعد إلى ابن زياد فقال : أصلحك الله ! إنك وليتني هذا العمل ، وكتب لي العهد ، وسمع به الناس ، فإن رأيت أن تنفذي ذلك فافعل وابتعد إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة من لست بأغني ولا أجراً عنك في الحرب منه ، فسمي له أناساً ، فقال له ابن زياد : لا تلعبني بأشرف أهل الكوفة ، ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبت . إن سرت بمنننا ، وإلا فاهب إلينا بهننا ، فلما رآه قد لجج قال : فإني سائر ، قال : فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى .

قال : فبعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام حذرة بن قيس الأحمسي ، فقال : اتته فسكنه ما الذي جاء به ؟ وماذا يريد ؟ وكان حذرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيه . قال : فمرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه ، فكلهم أبى وكرهه . قال : وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي - وكان فارساً شجاعاً ليس يرُد وجهه شيء - قال : أنا أذهب إليه ، والله لئن شئت لأفعلن به ، فقال له عمر بن سعد : ما أريد أن يفنتك به ، ولكن اتته فسكنه ما الذي جاء به ؟ قال : فأقبل إليه ، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين : أصلحك الله أبا عبد الله ! قد جاءك شر أهل الأرض ويجرؤ على دم وأنتك ، فقام إليه ، فقال : ضع سيفك ، قال : لا والله ولا كرامة ، إنما أنا رسول ، فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أوصلتُ به إليكم ، وإن أبيتم انصرفت عنكم ، فقال له : فإني أتحذركم بقائم سيفك ، ثم تكلم بمحاجتك ، قال : لا والله ، لا تمسه فقال له : أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ، ولا أصدك تدفومته ، ففنتك فاجر ، قال : فاستبأ ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، قال :

فلما عمر قرّة بن قيس الحنظليّ قال له : وَيَحْكُ يا قرّة ! أَلَيْسَ حَسِينًا فَسَكَنَ
 ما جله به ؟ وماذا يريد ؟ قال : فَأَتَاهُ قرّة بن قيس ، فلما رآه الحسين مقبلا
 قال : أَنْعَرِفِينَ هَذَا ؟ قال حبيب بن مظاهر : نعم ، هذا رجل من حنظلة
 تميمي ، وهو ابن أختنا ، ولقد كنتُ أعرفه بِحَسْنِ الرَّأْيِ ، وما كنتُ أراه يشهد
 هذا للشهد ، قال : فجاءَ حتى سلّمَ على الحسين ، وأبلغه رسالةَ عمر بن سعد
 إليه له ، فقال الحسين : كتبَ إلى أَهْلِ مِصْرَكم هذا أَنْ أَقْدَمَ ، فأما إذ
 كرهني فَأَنَا أَنْصَرِفَ عَنْهُمْ ؛ قال : ثُمَّ قَالَ له حبيب بن مظاهر : وَيَحْكُ يا قرّة
 ابن قيس ! أَنَّنِي تَرْجِعُ إِلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ! انصِرْ هذا الرجلُ إِلَى بَابَائِهِ أَبْنَدَكَ
 الله بِالْكَرَامَةِ وَإِنَّا نَمُكُّ ، فقال له قرّة : أَرْجِعْ إِلَى صَاحِبِي بِبُحَابِ رِصَالَتِهِ ، ٢١١/٢
 وَأَرَى رَأْيِي ، قال : فأنصرفَ إلى عمر بن سعد فَأخْبَرَهُ الخبرَ ، فقال له عمر بن
 سعد : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَعْفِيَنِي اللهُ مِنْ حَرْبِهِ وَقِتَالِهِ .

قال هشام ، عن أبي عَنَفٍ ، قال : حَدَّثَنِي النُّضَرِ بن صالح بن حبيب
 ابن زهير العبسيّ ، عن حسان بن قائد بن بكير العبسيّ^(١) ، قال : أَشْهَدُ أَنَّ
 كِتَابَ عُمَرَ بن سعد جَاءَ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بن زياد وَأَنَا عنده فإِذَا فِيهِ :
 بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أما بعد ، فإِنِّي حَيْثُ نَزَلْتُ بِالْحُسَيْنِ يَحْتُ إِلَى
 رَسُولِي ، فَسَأَلْتُهُ عَمَّا أَقْدَمَ ، وَمَاذَا يَطْلُبُ وَيَسْأَلُ ، فَقَالَ : كَتَبَ إِلَى أَهْلِ
 هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ ، فَسَأَلْنِي الْقُدُومَ ففعلتُ ؛ فَأَمَّا إِذْ كَرِهْنِي فَبَدَأَ لَمْ
 يَخِرْ مَا أَتَتْهُ بِرُسُلِهِمْ فَأَنَا مَنْصَرِفٌ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا قُرِئَ الْكِتَابُ عَلَى
 ابْنِ زِيَادٍ قَالَ :

الآنَ إِذْ عَلِقْتُ مَخَالِئُنَا بِهِ يَرْجُوا النِّجَاةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِرِ !

قال : وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بن سعد :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، وطمعتُ ما
 ذكرتُ ، فأعرضُ على الحسين أَنْ يَلِيزِيدَ بن معاوية هو وجميعُ أصحابه ،
 فَلِذَا فَعَلَ ذَلِكَ رَأَيْنَا رَأَيْنَا ، وَالسَّلَامُ .

قال : فلما أتى عمر بن سعد الكتاب ، قال : قد حسبتُ ألا يقبل ابن زياد العافية .

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم الأزدي ، قال : جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد : أما بعد ، فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صنع

٢١٢/٢

بالتقى الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان . قال : فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس ، فقتلوا على الشريعة ، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث . قال : ونازله عبد الله بن أبي حصين الأزدي - وعيداده في سجيلة - فقال : يا حسين ، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء ! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً ، فقال حسين : اللهم اقتله عطشاً ، ولا تخفف له أبداً .

قال حميد بن مسلم : والله لعُدته بعد ذلك في مرضه ، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتُه يشرب حتى يَغفر^(١) ، ثم يقيء ، ثم يعود فيشرب حتى ييغر فا يروى ، فما زال ذلك دأبه حتى لَمَطَ عصبه^(٢) . يعني نفسه - قال : ولما

اشتد على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه ، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين رجلاً ، وبعث معهم بعشرين قربة ، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجمل ، فقال

٢١٢/٢

عمرو بن الحجاج الزبيدي : من الرجل ؟ فجاء فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذي حَلَّغُونَا^(٣) عنه ، قال : فاشربْ هنيئاً ، قال : لا والله ، لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه ، فطكّموا عليه ،

فقال : لا سبيلَ إلى سقي هؤلاء ، إنما وُضِعنا بهذا المكان لننعمهم الماء ، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله : املئوا قربكم ، فشَدَّ الرَّجَالَةُ فملئوا قربهم ، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه ، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفَّهم ، ثم انصرفوا إلى رحلم ، فقالوا : امضوا ، ووقّعوا دونهم ، فطف

(١) البئر : الشرب بلا رى .

(٢) في القبان : لفظ صبه ، أي ريقه . . .

(٣) يقال : سلاه ، عن الماء : طرده ومنعه منه .

عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه وأطردوا قليلاً . ثم إن رجلاً من صلحاء طعن من أصحاب عمرو بن الحجاج ، طعنه نافع بن هلال ، فظن أنها ليست بشيء ، ثم إنها انتقضت بعد ذلك ، فأتت منها ، وجاء أصحاب حسين بالقرب فأدخلوها عليه .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جَنَاب ، عن هاني بن ثُبَيْت الحضرمي - وكان قد شهد قتل الحسين ، قال : بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد وعمرو بن قرة بن كعب الأنصاري : أن التقى الليل بين عسكري وعسكره . قال : فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً ، وأقبل حسين في مثل ذلك ، فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه ، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك ، قال : فأنكشفتا عنهما بحيث لا تسمع أصواتهما ولا كلامهما ، فتكلمنا فأطالنا حتى ذهب من الليل هزيع ، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه ، وتحدث الناس فيما بينهما ؛ ظناً بظنونهم أن شيئاً قال لعمر بن سعد : اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين ، قال عمر : إذن تهدم داري ، قال : أنا أبنيها لك ، قال : إذن تؤخذ ضياعي ، قال : إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز . قال : فتكره ذلك عمر ، قال : فتحدث الناس بذلك ، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه .

٣١٤/٢

قال أبو مخنف : وأما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصفع بن زهير الأزدي وغيرهما من المحدثين ، فهو ما عليه جماعة المحدثين ، قالوا : إنه قال : اختاروا مني خصالاً ثلاثاً : إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه ، وإما أن أضرب يدَي يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيته ، وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئت ، فأكون رجلاً من أهله ، لي ما لهم وعلى ما عليهم .

قال أبو مخنف : فأما عبد الرحمن بن جندب فحدثني عن عتبة بن سميان قال : صحبتُ حسيناً فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى

العراق ، ولم أفارقه حتى قتل ، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها . ألا والله ما أطعام ما يتفاكر الناس وما يزعمون ؛ من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ، ولأن يسبّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دهوني فلأذْهَبَ في هذه الأرض المريضة حتى ننظرَ ما يصير أمرُ الناس .

قال أبو مخنف : حدثني الحبالد بن سعيد الحميداني والصنّعب بن زهير ، أنهما كانا التقيّا مراراً ثلاثاً أو أربعاً ، حسين وعمر بن سعد ، قال : فكتب عمر ابن سعد إلى عبيد الله بن زياد : أما بعد ، فإن الله قد أطلقنا النار ، وجَمَعَ الكلمة ، وأصلح أمر الأمة ، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى ، أو أن نسبّره إلى أى ثغر من ثغور المسلمين شتاً ، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده ، فيرى فيها بينه وبينه رأيه ، وفي هذا لكم رضا ، وللأمة صلاح . قال : فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأمره ، مشفق على قومه ، نعم قد قبلتُ . قال : فقام إليه شمر بن ذى الجوشن ، فقال : أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك ! والله لئن رحل من بلدك ، ولم يضع يده في بلدك ، ليكون أول بالقوة والعزة ولتكون أول بالضعف والعجز ، فلا تُعطيه هذه المثلثة فإنها من الوهن ، ولكن ليتزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت فانت ولي العقوبة ، وإن غفرت كان ذلك لك ، والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين السكرين فيتحدثان عامة الليل ، فقال له ابن زياد : نعم ما رأيت ! الرأي رأيك .

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حنيد بن مسلم ، قال : ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذى الجوشن فقال له : اخرج بهذا الكتاب إلى حمير بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه التزول على حكمي ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلمة ، وإن هم أبوا فليقاتلهم ، فإن فعل فاصبر له وأطع ، وإن هو أبى فقاتلهم ، فانت أمير الناس ، وثيب عليه فاضرب عنقه ، وأبعث إلى برأسه .

٢١٥/٢

٢١٦/٢

قال أبو مخنف: حدثني أبو جنتاب الكلبي، قال: ثم كتب عبيد الله ابن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإني لم أبطك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله، ولا لتضيئه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعاً. . . انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابست بهم إلى مسلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق مشاق، قاطع ظلوم، وليس دهرى في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً، ولكن على قول لو قد قتلته فعلت هذا به. إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عسكرنا وجندنا، وعمل بين شمر بين ذي الجوشن وبين العسكر، فلنا قد أمرنا بأمرنا، والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، قال: لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبي المثل - وكانت عمة أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان - فقال عبد الله بن أبي المثل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلى الله الأمير إن بني أختنا مع الحسين، فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت، قال: نعم ونعمة حين. فأمر كاتبه، فكتب لهم أماناً، فبعث به عبد الله بن أبي المثل مع موالي له يقال له: كزمان، فلما قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمان بعث به خالكم، فقال له القتيبة: أقرئ خالتنا السلام، وقل له: أن لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سمية. قال: فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر ابن سعد، فلما قدم به عليه فقرأه قال له عمر: مالك ويملك! لا قرب الله دارك، وقبح الله ما قدمت به علياً والله إني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسلت علينا أمراً كنا رجوا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفساً أبيته لبين جنبيه، فقال له شمر: أخبرتني ما أنت صانع؟ أتغضي لأمر أميرك وتقتل علوه، وإلا فعلت بيني وبين الجند

والمسكر؛ قال : لا ولا كرامة لك ، وأنا أتولى ذلك ، قال : فدونك ، وكن أنت على الرجال ؛ قال : فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من الحرم ؛ قال : وجاء شمير حتى وقف على أصحاب الحسين ، فقال : أين بنو أختنا ؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي ، فقالوا له : مالك وما تريد ؟ قال : أنتم يا بني أئمتي آمنون ؛ قال له الفتية : لعنك الله ولعن أمانك ! لأن كنت خالنا أتومتنا وابن رسول الله لا أمان له ! قال : ثم إن عمر بن سعد نادى : يا خيل الله اركبي وأبشري . فركب في الناس ، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر ، وحسين جالس أمام بيته محتياً بسيفه ، إذ خفق برأسه على ركبتيه ، وجمعت أخته زينب الصيحة فدنّت من أخيها ، فقالت : يا أختي ، أما تسمع الأصوات قد اقتربت ! قال : فرفع الحسين رأسه فقال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : إنك تروح إلينا ، قال : فطلعت أخته وجهتها وقالت : يا ويلتنا ! فقال : ليس لك الويل يا أختي ، اسكني رحمتك الرحمن ! وقال العباس بن علي : يا أختي ، أذاك القوم ؛ قال : فنهض ؛ ثم قال : يا عباس ، اركب بنفسي أنت يا أختي حتى تلقاهم فتقول لهم : ما لكم ؟ وما بدا لكم ؟ وتسلم عما جاء بهم ؟ فأتاهم العباس ، فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر ، فقال لهم العباس : ما بدا لكم ؟ وما تريدون ؟ قالوا : جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم ؛ قال : فلا تمجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم ؛ قال : فوقفوا ثم قالوا : الله فاعلمه ذلك ، ثم اتفنا بما يقول ؛ قال : فانصرف العباس واجماً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر ، ووقف أصحابه يخاطبون القوم ، فقال حبيب ابن مظاهر لزهير بن القين : كلم القوم إن شئت ، وإن شئت كلمتهم ، فقال له زهير : أنت بدأت بهذا ، فكن أنت تكلمهم ، فقال له حبيب بن مظاهر : أما والله لبس القوم عند الله غداً قوم يقدّمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وحيرته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار ، ولذا كبرين الله كثيراً ؛ فقال له عزرة بن قيس : إنك لتزكّي .

٣١٨/٢

٣١٩/٢

ففسك ما لم تطلعت؟ فقال له زهير : يا حُرَّة ، إنَّ الله قد زكَّاهما وهما ، فاتَّقِ الله يا حُرَّة فإني لك من الناصحين ، أنشدك الله يا حُرَّة أن تكوني من يعين الضلال على قتل النفوس الزكية ! قال : يا زهير ، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت ، إنما كنتَ عيانياً ، فقال : أفكستَ تستدلَّ بموقفي هذا أتى منهم ! أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قط ، ولا أرسلتُ إليهم رسولا قط ، ولا وعدته نصرتي قط ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلما رأيته ذكرتُ به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ، وعرفت ما يقدم عليه من علوه وحزبكم ، فرأيت أن أنصره ، وأن أكون في حزبه ، وأن أجعل نفسي دونَ نفسه ، حِفْظاً لما ضيَّعتم من حقِّ الله وحقِّ رسوله عليه السلام . قال : وأقبل العباس بن علي يركض حتى انتهى إليهم ، فقال : يا هؤلاء ، إنَّ أبا عبد الله يسألُكم أن تنصرفوا^(١) هذه العشيَّة حتى ينظر في هذا الأمر ، فإنَّ هذا أمرٌ لم يخرينكم وبينه فيه منطلقٌ ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فلما رضىناه ، فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه ، أو كرهنا فرددناه ، وإنما أراد بذلك أن يردَّهم عنه تلك العشيَّة حتى يأمر بأمره ، ويوصي أهلَه ، فلما أتاهم العباس بن علي بذلك قال عمر بن سعد : ما ترى يا شمير ؟ قال : ما ترى أنت ، أنت الأمير والرأي رأيك ، قال : قد أردت ألا أكون ، ثم أقبل على الناس فقال : ٢٢٠/٢ ماذا ترون ؟ فقال تخمروا بن الحجاج بن سلمة الزبيدي : سبحان الله ! والله لو كانوا من الدِّين لم ثم سألوكم هذه المتزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها ، وقال قيس بن الأشعث : أجيبهم إلى ما سألوكم ، فليعمرى ليعبُحُحك بالقتال غدوة ؛ فقال : والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجهم العشيَّة ، قال : وكان العباس بن علي حين أتى حسيباً بما عرض عليه عمر بن سعد قال : ارجع إليهم ، فإن استطعت أن تنقرهم إلى غدوة وتدفعتهم عند العشيَّة لعنا نصلي لرَبنا الليلة وتدعوهم ونستقره ، فهو يعلم أتى قد كنت أحب الصلاة له وثلاثة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار !

قال أبو مخنف : خدعتني الحارث بن حصيرة ، عن عبد الله بن شريك

(١) ابن الأثير : « أن تنصرفوا عنا » .

العامري ، عن علي بن الحسين قال : أتانا رسولٌ من قبيك عمر بن سعد فقام مثل حيث يسمع الصوت فقال : إنا قد أجبناكم إلى غد ، فإن استسلمت سرحتا بكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد ، وإن أبيتم فلتنا تلويكيكم .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الله بن عاصم القاشي ، عن الفضاك بن عبد الله المشرق . — يظن من همدان — أن الحسين بن علي عليه السلام جمع أصحابه .

قال أبو مخنف : حدثني أيضاً الحارث بن حصيرة ، عن عبد الله بن

شريك العامري ، عن علي بن الحسين ، قال : جمع الحسين أصحابه بعد

ما رجع عمر بن سعد ، وذلك عند قرب المساء ، قال علي بن الحسين : فلدنوت

منه لأسمع وأنا مريض ، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه : أنفي على الله تبارك

ويعال أحسن الثناء ، وأحمد على السراء والضراء ، اللهم إني أحملك على

أن أكرمتنا بالنبوة ، وعلمتنا القرآن ، وقهنتنا في الدين ، وجعلت لنا أمعاء

وأبصاراً وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين ، أما بعد ، فإني لا أعلم أصحاباً

أولى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أومل من أهل بيتي ، فجزاكم

الله عني جميعاً خيراً ، ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ، ألا وإني

قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ، ليس عليكم مني ذمام ، هذا ليل

قد خشيتكم ، فاتخذوا حيلة .

قال أبو مخنف : حدثنا عبد الله بن عاصم القاشي — يظن من همدان —

عن الفضاك بن عبد الله المشرق ، قال : قلت ومالك بن النضر الأرحبي عن

الحسين ، فسلمنا عليه ، ثم جلسنا إليه ، فرد علينا ، ورحب بنا ، وألنا عما

جئنا له ، فقلنا : جئنا لنسلم عليك ، ودعوا الله لك بالعافية ، فحدثنا بذلك

عهداً ، ونخبرك خبر الناس ، وإنا نحدثك أنهم قد جمعوا على حربك فرد

رأيتك . فقال الحسين عليه السلام : حسبي الله وضم الوكيل ! قال : فقلنا

وصلنا عليه ، ودعونا الله له ، قال : فما بمنكما من نُسركي ؟ فقال مالك

ابن النضر : علي دين ، ولي عيال ، فقلت له : إن علي ديناً ، وإن لي

لبيالاً ، ولكلك إن جعلني في حل من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت

عنك ما كان لك نافعاً ، وعليك دافعاً ! قال : قال : فأنت في حلٍّ ، فأنت معه ، فلما كان الليل قال : هذا الليل قد غشيتكم ، فأتخذوه جَمْعاً ، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، فتركوا في سوادكم ومدايتكم حتى يفرج الله ، فلان القوم إنما يطلبوني ، ولو قد أصابوني لمواً عن طيب غيري ، فقال له إخوانه وأبناءؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر : لِمَ تفعل لنبي بعدك ، لا أرانا الله ذلك أبداً ، بدأهم بهذا القول العباس بن علي . ثم إنهم تكلموا بهذا ضحوه ، فقال الحسين عليه السلام : يا بني حبيب ، حسبكم من القتل بمسلم ، اذهبوا قد أذنت لكم ، قالوا : فما يقول الناس ^(١) ! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرم معهم بهم ، ولم نطمع معهم برمح ، ولم نصرب معهم بسيف ، ولا ندرى ما صنعوا ! لا والله لا قتل ، ولكن تكديرك ^(٢) أنفسنا وأموالنا وأهلنا ، وتقاتل معك حتى نرود مسودك ، فقيح الله العيش بعدك !

قال أبو مخنف : حدثني عبد الله بن عاصم ، عن الضحاك بن عبد الله البصري ، قال : قام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال : أنحن نطلي عنك ولما نعلم إلى الله في أداء حقل ! أما والله حتى أكرم في صدورهم رُمحي ، وأضربهم بسبي ما ثبت قائمه في يدي ، ولا أطارك ، ولو لم يكن مني سلاح أقاتلهم به لقلعتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك . قال : وقال سعيد ^(٣) بن عبد الله الحنفي : والله لا نطليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك ، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيى ثم أحرق جياً ثم أذرق ، يتعكل ذلك في سبعين مرة ما فارقك حتى أقتي حياي دونك ، فكيف لا أقتل ذلك ! وإنما هي فتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا اقتضاء لها أبداً .

قال : وقال زهير بن كَثَيْن : والله لو ددت أني قُتِلت ثم نشيت ثم قُتِلت حتى أقتل كلنا ألف فتلة ، وأن الله يبلغ بك القتل عن نفسك وعن أنفس

(١) ابن الأثير : « فما يقول الناس » .

(٢) ابن الأثير : « وتكديرك » .

(٣) ط : « وسعد » تحريف .

هؤلاء القتيه من أهل بيتك . قال : وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، قالوا: والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نسقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا ، فإذا نحن قُتِلنا كُنّا وقَيْنَا ، وقَصَيْنَا ما علينا .

قال أبو مخنف : حدثني الحارث بن كعب وأبو الفتحاك ، عن عليّ ابن الحسين بن عليّ قال : إني جالس في تلك العشيّة إلى قَتِيل أبي صبيحها ، وحمي زينب عندى تمرضني ، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خيابه له ، وحنده حوئي ، مولى أبي ذَرَّ الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول :

يا دهرُ أَفْ لك من خليلٍ كم لك بالإشراقِ والأصيلِ
من صاحبٍ أو طالبٍ قَتِيلٍ والدَّهرُ لا يقنعُ بالْبَيْلِ
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ وكلُّ حيٍّ سالكُ السَّبِيلِ

قال : فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها ، فعرفتُ ما أُرَاد ، فخففتُ عيني ، فرددتُ دمي وازمتُ السكون ، فطمتُ أن البلاء قد نزل ، فأما عني فإنها سمعتُ ما سمعتُ ، وهي امرأة ، وفي النسله الرقة والحزج ، فلم تملك نفسها أن وثبتت تجر ثوبها ، وإنها تحاسرة حتى انتهت إليه ، فقالت : والكلالة ! ليت الموتُ أعدمتني الحياة ! اليوم ماتت فاطمة أمي وعلىّ أبي وحسن أنسي ، يا خليفة الماضي ، وشمال الباقي ، قال : فنظر^(١) إليها الحسين عليه السلام فقال : يا أُنْعِيّة ، لا يُلْهَيْنَ حيلُك الشيطان ، قالت : بأبي أنت وأُمي يا أبا عبد الله ! استقلت نفسي فإدراك ، فردّ غصته ، وترقرقت عيناه ، وقال : لو ترك القتلَ لَبِلّا لنام ، قالت : يا ويلي ، أفتنصب نفسك اختصاباً ، فذلك أفرح قلبي ، وأشدّ على نفسي ! ولطمت وجهها ، وأهوت إلى جيبها وشفتها ، وخرت مغشياً عليها ، فقام إليها الحسين فصب على وجهها الماء ، وقال لها : يا أُنْعِيّة ، اتقي الله وتمزيّ بجزاء الله ، وإعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يموتون ، وأن كل شيء هالك

٢٢٤/٧

إلا وجه الله الذى خلق الأرض بقدرته ، ويبيت الخلق فيعودون ، وهو فرد وحده ، أبى خير منى ، وأبى خير منى ، وأبى خير منى ، أبى ولم ولكل مسلم برسول الله أسوة ، قال : فترأوا بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أنيسة ، إني أقسم عليك فأبرئ قسسى ، لا تشقى على جيباً ، ولا تخمشى على وجهها ، ولا تدعى على بالويل والثبور إذا أنا هلكت ، قال : ثم جاء بها حتى أجلسها عندى ، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعض بيوتهم من بعض ، وأن يدخلوا الأطناب بعضها فى بعض ، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذى يأتيهم منه علومهم .

قال أبو مخنف : عن عبد الله بن عاصم ، عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي ، قال : فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلّون ويستغفرون ، ويدعون ويتضرعون ، قال : فحمر بنا خيل لم نحرسنا ، وإنّ حسيناً ليقرأ : ﴿ وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُضِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُضِلُّ لَهُمْ لِيُزَكِّدُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۖ ﴾ (١) . فسمعتها رجل من تلك الخيل التى كانت نحرنا ، قال : نحن ورب الكعبة الطيبين ، مبرّنا منكم . قال : فعرفته فقلت لبُرَيْر بن حصير : تدري من هذا ؟ قال : لا ، قلت هذا أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر - وكان مضحاكاً بطلاً ، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً ، وكان سعيد بن قيس ربما حبه فى جناية - فقال له بُرَيْر بن حصير : يا فاسق ، أنت يبعثك الله فى الطيبين ! فقال له : من أنت ؟ قال : أنا بُرَيْر بن حصير ، قال : إنا لله ! عزّ على ! هلكك والله ، هلكك والله يا بُرَيْر ! قال : يا أبا حرب ، هل لك أن تنوب إلى الله من ذنوبك العظام ! فوالله إنا لنحن الطيبين ، ولكنكم لأنتم الخبيثين ، قال : وأنا على ذلك من الشاهدين ، قلت : ويحك ! أفلا ينفعك معرفتك ! قال : جعلت فداك ! فن ينادم يزيد بن عمرو المنزلي من عترة بن وائل ! قال : ها هو ذا معي ، قال : قبح الله رأيك على كل حال ! أنت سفيه . قال : ثم انصرف

٢٢٥/٢

عن غلام لعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري ، قال : كنت مع مولاي ،
 ٢٢٧/٢ فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين ، أمر الحسينُ بفسطاط فضرب ، ثم أمر
 بمسك فيث في جفنة عظيمة أو صحنفة ، قال : ثم دخل الحسين ذلك
 التفسطاط فتطلى بالنورة. قال : ومولاي عبد الرحمن بن عبد ربه وبُريير
 ابن حنيفة الممداني على باب التفسطاط تحتك منا كبهما ، فإزدحما
 أيهما يطلى على أثره ، فجعل بُريير يهازل عبد الرحمن ، فقال له عبد الرحمن :
 دعنا ، فوالله ما هذه بساعة باطل ، فقال له بُريير : والله لقد علم قبي أني
 ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكن والله إنني لمستبشر بما نحن لأكفون ،
 والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم ، ولتوددت
 أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم. قال : فلما فرغ الحسين دخلنا فاطمينا ، قال :
 ثم إن الحسين ركب دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه ، قال : فاقتل
 أصحابه بين يديه قتالا شديداً ، فلما رأيت القوم قد صرعوا أفلت وتركتهم.

قال أبو مخنف ، عن بعض أصحابه ، عن أبي خالد الكاهل ، قال :
 لما صبحت الخليل الحسين رفع الحسين يديه ، فقال : اللهم أنت تقبي في كل
 كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي في كل أمر فزك في ثقة وحدّة ،
 كم من هم يضمّع في القواد ، ونقل في الحيلة ، ويغذل في الصديق ،
 ويشمت في العدو ، أنزلته بك ، وشكوته إليك ، رغبة مني إليك عمن
 سواك ، ففرجته وكشفته ، فأنت ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ،
 وستتهدى كل رغبة .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الله بن حاصم ، قال : حدثني الضحّاك
 ٢٢٨/٢ الميشتري ، قال : لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب
 الذي كنا ألبنّا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا من خلفنا ، إذ أقبل إلينا منهم
 رجل يتركض على فرس كامل الأداة ، فلم يكلمنا حتى مر على أبياتنا ، فنظر
 إلى أبياتنا فلما هو لا يرى إلّا حطباً تلتهب النار فيه ، فرجع راجعاً ، فنادى
 بأعلى صوته : يا حسين ، استجلبت النار في الدنيا قبل يوم القيامة ! فقال

الحسين : من هذا ؟ كأنه شتم بن ذى الجوشن ! فقالوا : نعم ، أصلحك الله ! هو هو ، فقال : يابن راحية المعزّي ، أنت أولى بها صلياً ، فقال له مسلم بن عوسجة : يابن رسول الله ، جعلتُ فداك ! ألا أرميه بسهم ! فإنه قد أمكنني ، وليس يسقط [منّي] سهم ، فالقاسق من أعظم الجبارين ، فقال له الحسين : لا ترميه ، فلما أكره أن أبدأهم ، وكان مع الحسين فرس له يدعى لاحقاً حمل عليه ابنته على بن الحسين ، قال : فلما دنا منه القوم حاد بإحاطته فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته دُعاءً يُسمع جمل الناس : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، ولا تجعلوني حتى أعطيكم بما لحق لكم على ، وحق أهلنا إليكم من مقدسي عليكم ، فإن قبلتم عندي ، وصدقم قولي ، وأعطيتوني النصف ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم على سبيل ، وإن لم تقبلوا منّي العذر ، ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عنايتكم فمعة ثم أقصوا لي ولا تنظروني ^(١) ، (إنك لحي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ^(٢) . قال : فلما سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين ، وبكى بناته فارفعت أصواتهن ، فأرسل إليهن أخاه العباس ابن عليّ وعلياً ابنة ، وقال لهما : أسكتاهن ، فليكن ليهن بكاهن ، قال : فلما ذهبا ليُسكتاهن قال : لا يتبع ابن عباس ، قال : فظننا أنه إنما قال حين سُمع بكاهن ، لأنه قد كان نهاه أن يخرج بهن ، فلما سكن حميد الله وأخيه عليه ، وذكر الله بما هو أهله ، وصلى على محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتبعه ، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره . قال : فوالله ما سمعت متكلماً قط قبلته ولا بعده أبغ في منطلق منه ، ثم قال : أما بعد ، فانسبوني فانظروا من أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعائيتوها ، فانظروا هل يحل لكم قتل وانتهاك حرمة ؟ ألسن ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وسلم وابن وصيه وابن عمه ، وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه ! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ! أو ليس جعفر الشهيد الطيار

(١) سورة يونس : ٨١ .

(٢) سورة الأعراف : ١٩٦ .

فوالجناحين عُمى! أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولأخي: وهذان سيدا شباب أهل الجنة! فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق - فوالله ما تعمّدت كتباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضرب بمن اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إنسأتموه عن ذلك أخيركم؛ سَكُّوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك؛ يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ولأخي. أفتمأني هذا حاجز لكم عن سَفْكَ دمي! فقال له شَمِير بن ذى الجوشن: ٢٣٠/٧ هو يعبد الله على حَرْفٍ إن كان يدري ما يقول! فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنى لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول؛ قد طبع الله على قلبك؛ ثم قال لهم الحسين: فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أئماً ما أنى ابن بنت نبيكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة. أخبروني، أطلبوني يقتل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكه، أو يقبضوا من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه؛ قال: ضاى: يا شَبَث بن ربِيع، وياحِجَار بن أيمر، وياقيس بن الأشعث، ويازيد بن الحارث، ألم تكتبوا لى أن قد أئتمت النار، واخضر الحنّاب، وطمت الحمام^(١)، وإنما تقدّم على جندك مُجَنَّد، فأقبل! قالوا له: لم نفعل؛ فقال: سبحان الله! بل والله، لقد فعلتم؛ ثم قال: أيها الناس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مامسى من الأرض؛ قال: فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بنى عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عَقِيل، لا والله لا أعطهم بيدي إعطاء اللئيل، ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله، إنى عدتُ برَبِّي وربكم أن ترجموني

(١) لم الماء: ملاضف. والحنّاب: جمع حنة؛ وهو المكان يجمع فيه الماء.

٢٣١/٢ أهدى يربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، قال : ثم إنه أناخ راحلته ، وأمر حبة بن سيمان فمقلها ، وأقبلوا يزحفون نحوه .

قال أبو مخنف : فحدثني علي بن حنظلة بن أسعد الشامي ، عن رجل من قومه شهد مقتل الحسين حين قيل يقال له كثير بن عبد الله الشعبي ؛ قال : لما زحفنا قبيل الحسين خرج إلينا زهير بن قيس على فرس له ذنوب^(١) ، شاك في السلاح ، فقال : يا أهل الكوفة ، نكاد لكم من عذاب الله نكاد ! إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وكل دين واحد وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت المصحة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بمرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندهوكم إلى نصرهم ويخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تتركين منهما إلا بسوء عمر سلطانها كله ، ليسلاناً أعيانكم ، ويقطعاناً أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أمثالكم وقرآءكم ، أمثال حنجر بن عدى وأصحابه ، وهاني بن حروة وأشباهه ، قال : فسبوه ، وأثسوا على عبيد الله بن زياد ، ودهسوا له ، وقالوا : والله لا نبرح حتى تقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سليماً ، فقال لهم : عباد الله ، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود ولنصر من ابن سميته ، فإن لم تنصروهم فأعبدكم باقه أن تقتلوه ، فخلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فلم يصرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدين قتل الحسين ، قال : فرماه شسير بن ذى الجوشن بسهم وقال : اسكت أسكت الله نامتك ، أبهرقنا بكثرة كلامك فقال له زهير : يا ابن البسوال على عقيبته ، ما إياك أناط ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكيم من كتاب الله آيتين ، فأجش بالفرزى يوم القيامة والعذاب الأليم ، فقال له شسير : إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة ، قال : أبا الموت تخونيني !

(١) فرس ذنوب : وفرس شعر القلب .

فوالله الموت معه أحب إلي من الخلد معهم ، قال : ثم أقبل على الناس وأصغى صوته ، فقال : حباد الله ، لا يفررتكم من دينكم هذا الجليث الجاني وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم قوماً هراقوا دماء ذريته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم ونذب من حريمهم ، قال : فناداه رجل فقال له : إن أبا عبد الله يقول لك : أقبل ، فلتحمري لأن كان مؤمن آل فرعون نصيح لقومه وأبلغ في الدعاء ، لقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصيح والإبلاغ ! قال أبو عصف : عن أبي جستان الكنتبي ، عن حماد بن حرملة ، قال : ثم إن الحر بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له : أصلحك الله مقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إني والله قتالاً أيسره أن تسقط الرموس وتطيح الأيدي ، قال : أفأنا لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا ؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان الأمر إلي لفعلت ، ولكن أميرك قد أبقى ذلك ، قال : فأقبل حتى وقف من الناس موقفاً ، وبعه رجل من قومه يقال له قرّة بن قيس ، فقال : يا قرّة ، هل سقيت فرسك اليوم ؟ قال : لا ، قال : إنما تريد أن تسقيه ؟ قال : فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال ، وكره أن أراهم يصنع ذلك ، فيخاف أن أرفعه عليه ، ففعلت له : لم أسقه ، وأنا منطلق فساقيه ، قال : فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه ، قال : فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحصين ، قال : فأخذ يذنو من حسين قليلاً قليلاً ، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر ابن أوس : ما تريد يا بن يزيد ؟ أتريد أن تحمل ؟ فسكت وأغله مثل العرواء ^(١) ، فقال له يابن يزيد ، والله إن أملك لمريب ، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن ، ولو قيل لي : من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك ، فما هذا الذي أرى منك ! قال : إني والله أخير تقمى بين الجنة والنار ، والله لا اختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت ، ثم ضرب فرسه فلحق بحسين عليه السلام ، فقال له : جعلني الله فداك يا بن رسول الله ! أنا صاحبك للذي حبستك عن الرجوع ، وسايرتك في الطريق ،

(١) العرواء كظواء : الرجعة تكون من الحسى .

وجتمعت بك في هذا المكان ، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم
يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة . فقلت في
نفسى : لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ، ولا يرون أنى خرجت من
طاعتهم ، وأما هم فيقبلون من حسين هذه الخصال التى يعرض عليهم ، والله
لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ماركتها منك ، وإنى قد جئتك تائباً مما كان
منى إلى ربى ، وسأبى لك بنفسى حتى أموت بين يديك ، أفرى ذلك لى توبة ؟
قال : نعم ، يتوب الله عليك ، ويغفر لك ، ما أسألك ؟ قال : أنا الحر بن
يزيد ، قال : أنت الحر كما سمعت أمك ، أنت الحر إن شاء الله فى الدنيا
والآخرة ، انزل ، قال : أنا لك فارساً غير منى رجلاً ، أقاتلهم على فرسى
ساعة ، وإلى النزول ما يصير آخر أمرى . قال الحسين : فاصنع برحمتك
الله ما بدا لك . فاستقدم أمام أصحابه ثم قال : أيها القوم ، ألا تقبلون من
حسين خصلة من هذه الخصال التى عرض عليكم فيها فىكم الله من حربه
وقتاله ؟ قالوا : هذا الأمير عمر بن سعد فكلمته ، فكلمته بمثل ما كلمه به
قبل ، وبمثل ما كلم به أصحابه ، قال عمر : قد حرصت ، لو وجدت إلى
ذلك سبيلاً فعلت ، فقال : يا أهل الكوفة ، لأمكم الهيبى والعُبَيْر^(١) إذ
دعوتهم حتى إذا أتاكم أسلمتكموه ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ، ثم
عدوتم عليه لتقتلوه ، أسكنتم بنفسه ، وأخذتم بكفظمه ، وأحطتم به من كل
جانب ، فنتعتموه التوجه فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته ،
وأصبح فى أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نقماً ، ولا يسلع ضرراً ، وحلأتموه^(٢)
ونساءه وأصببتموه من ماء القرات البخارى الذى يشربه اليهودى
والنصرانى ، وتغرغ^(٣) فيه خنازير السواد وكلابهم وهامهم أولاً قد صرعهم
العلش ، بشما خلكم محمدًا فى ذريته لا سقاكم الله يوم الظلم إن لم تتوبوا
وتنزيروا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه . فحملت عليه رجالة

٢٢٤/٢

٢٢٥/٢

(١) العبر : منعة العين .

(٢) حلأتموه من الماء : صدقتموه عنه ومنتعتموه لياه . وفى ابن الأثير : « منتعتموه » .

(٣) ابن الأثير : « وتغرغ » .

لهم ترميه بالنَّجْلِ ، فأقبل حتى وقف أمام الحسين .

قال أبو مخنف ، عن الصَّغْب بن زهير و سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : وزحف عمر بن سعد نحوهم ، ثم نادى : يا فؤيد ، أدن رايحك ، قال : فأدناها ثم وضع سهمه في كعب قوسه ، ثم رى فقال : اشهدوا أني أول مَنْ رى .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جناب ، قال : كان منّا رجل يُدعى عبد الله بن عمير ، من بني عليم ، كان قد نزل الكوفة ، واتخذ عند بئر الجحْد من هَمْدَان داراً ، وكانت معه امرأة له من النُّسْر بن قاسط يقال لها أمّ وهب بنت عبد ، فرأى القوم بالنَّخيلة يُعرَّضون لِيُسْرَحُوا إلى الحسين ، قال : فسأل عنهم ، فقيل له : يسرّحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والله لقد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصاً ، ولاني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسرّ قوابلاً عند الله من ثوابه إيتائى في جهاد المشركين ، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع ، وأعلمها بما يريد ، فقالت : أصبت أصاب الله بك أوشدّ أمورك ، افعل وأخرجنى معك ، قال : فخرج بها ليلاً حتى أتى حنيناً ، فأقام معه ، فلما دنا منه عمر بن سعد ورى بهم ارتقى الناس ، فلما ارتقوا خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان وسالم مولى عبّيد الله بن زياد ، فقالا : مَنْ يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم ، قال : فوثب حبيب بن مظاهر وبُريْر بن حفصير ، فقال لهما حسين : اجلسا ، فقام عبد الله بن عمير الكلبي فقال : أبا عبد الله ، رحمك الله ! ائذن لى فلا أخرج إليهما ، فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً شديداً الساعدين بعيداً ما بين المنكبين ، فقال حسين : إني لأحبه للأقران قتالاً ، أخرج إن شئت ، قال : فخرج إليهما ، فقالا له : مَنْ أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك ، ليخرج إلينا زهير بن القيسن أو حبيب بن مظاهر أو بُريْر بن حفصير ، ويسار مستتيل^(١) أمام سالم ، فقال له الكلبي : يابن الزانية ، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ، وما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو

٣٣٦/٢

(١) استتيل للأمر : استعد له .

غير منك ، ثم شدّ عليه فضربه بسيفه حتى يرد ، فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه
إذ شدّ عليه سالم ، فصاح به : قد رهقك العبد ، قال : فلم يأبه له حتى
خشيته فهدّره الضربة ، فاتّقاء الكلبى بيده اليسرى ، فأطار أصابع كتفه
اليسرى ، ثم مال عليه الكلبى فضربه حتى قتله ، وأقبل الكلبى مرتجيزاً وهو يقول ،
وقد قتلها جميعاً :

إِنْ تُنْكِرُونِي فَأَنَا ابْنُ كَلْبِي حَسْبِي بَيْتِي فِي عُلَمِ حَسْبِي
إِلَى امْرُؤٍ ذُو مِرَّةٍ وَعَصَبٍ وَلَسْتُ بِالْخَوَارِ عِنْدَ النَّكْبِ
لَأَنْتَ زَعِيمٌ لِّلْكَوْءِ أَمْ وَهَبَ بِالطَّلْعِ فِيهِمْ مُّقْلِعًا وَالضَّرْبِ
• ضَرْبٍ غُلَامٍ مُّؤْمِنٍ بِالرَّبِّ •

فأخذت أمّ وهب امرأته عموداً ، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداك
أبي وأمي ! قاتل دين الطيبين ذرية محمد ، فأقبل إليها يردّها نحو النساء
فأخذت تجاذب ثوبه ، ثم قالت : إني لن أدحك دون أن أموت معك ،
فتأداها^(١) حسين ، فقال : جزيم من أهل بيت خير ، أرجى رحمتك الله
إلى النساء فاجلسي معهن ، فإنه ليس على النساء قتال ، فانصرفت إليهن .
قال : وحمل عمرو بن الحجاج وهو على ميمنة الناس في الميمنة ، فلما أن
دنا من حسين جثوا له على الركب ، وأشرعوا الرماح نحوهم ، فلم تقدم
خيولهم على الرماح ، فذهبت الخيل لترجع ، فرتشقوهم بالنبل ، فصرعوا
منهم رجالاً ، وجرحوا منهم آخرين .

٢٢٧/٢

قال أبو مخنف : فحدثني حسين أبو جعفر ، قال : ثم إن رجلاً من بني
تميم - يقال له عبد الله بن حنوة - جاء حتى وقف أمام الحسين ، فقال :
يا حسين ، يا حسين ! فقال حسين : ما تشاء ؟ قال : أبشر بالنار ، قال :
كلّا ، إني أقدم على ربّ رحيم ، وشفيع مطاع ، من هذا ؟ قال له أصحابه :
هذا ابن حنوة ، قال : ربّ حرّه إلى النار ، قال : فاضطرب به فرسه في

جدوكل فوقع فيه ، وعلقت رجله بالركاب ، ووقع رأسه في الأرض ،
ونقش القوس ، فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى
مات .

قال أبو مخنف : وأما سويد بن حبيبة ، فرمى أن عبد الله بن حنوفة
حين وقع فرسه بقيت رجله اليسرى في الركاب ، وارتفعت اليمنى فطارت ،
وهذا به فرسه يضرب رأسه كل حجر وأصل شجرة حتى مات .

قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب ، عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي ،
عن أخيه مسروق بن وائل ، قال : كنت في أوائل الخليل بمن سار إلى الحسين ،
فقلت : أكون في أوائلها لعلني أصيب رأس الحسين ، فأصيب به منزلة عند
عبيد الله بن زياد ، قال : فلما انتهينا إلى حسين تقدم رجل من القوم يقال
له ابن حنوفة ، فقال : أفيكم حسين ؟ قال : فسكت حسين ، فقالا ثانية ،
فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال : قولوا له : نعم ، هذا حسين ، فما حاجتك ؟
قال : يا حسين ، أبشر بالنار ، قال : كلبت ، بل أقدم على رب غفور
وشفيح مطاع ، فمن أنت ؟ قال : ابن حنوفة ، قال : فرجع الحسين يدهم حتى
رأينا يياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال : اللهم حره إلى النار ، قال :
فغضب ابن حنوفة ، فذهب ليقيم إليه القوس ويديه وبينه نهر ، قال : فعلقت
قدمه بالركاب ، وحالت به القوس فسقط عنها ، قال : فانقطعت قدمه
وصاقه وضخذه ، ووقع بجانبه الآخر متعلقاً بالركاب . قال : فرجع مسروق
وترك الخيل من ورائه ، قال : فسأله ، فقال : لقد رأيت من أهل هذا البيت
شيئاً لا أقاتلهم أبداً ، قال : ونشب القتال .

قال أبو مخنف : وحديثي يوسف بن يزيد ، عن حكيم بن زهير بن
أبي الأخصس - وكان قد شهد مقتل الحسين - قال : وخرج يزيد بن مغل
من بني عتبة بن ربيعة وهو حليف لبني سبيعة من بني النضير ، فقال : يا يزيد
ابن حنيفة ، كيف ترى الله صنع بك ؟ قال : صنع الله والله بي خيراً ،

وصنع الله بك شراً ، قال : كذبت ، وقيل اليوم ما كنت كذاً أبداً ، هل تذكر وأنا أماشيك في بني لوزان وأنت تقول : إن عَمانَ بنَ عفان كان على نفسه مسرفاً ، وإن معاوية بن أبي سفيان ضالٌّ مُضِلٌّ ، وإن إمام الهدى والحق علي بن أبي طالب ؟ فقال له برير : أشهد أن هذا رأيي وقولي ، فقال له يزيد بن محمل : فلأني أشهد أنك من الضالين ؛ فقال له برير بن حصير : هل لك فلانٌ باهلك^(١) ، ولندعُ الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل ، ثم اخرج فلاناً بركك ، قال : فخرجا فرقا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب ، وأن يقتل المحق المبطل ؛ ثم برز كل واحد منهما لصاحبه ، فاختلفا ضربتين ، فضرب يزيد بن محمل برير بن حصير ضربة خفيفة لم تضربه شيئاً ، وضربه برير بن حصير ضربة قتلت المخفر ، وبلغت الدماخ ، فخرجا كما هوى من حلق ، وإن سيف ابن حصير لثابت في رأسه ، فكأن أنظر إليه ينفضضه^(٢) من رأسه ، وحمل عليه رضى بن منقذ العبدي فاعتق بريراً ، فاعتراكا ساعة . ثم إن بريراً قعد على صدره فقال رضى : أين أهل المصاع^(٣) والدفاع ؟ قال : فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه ، فقلت : إن هذا برير بن حصير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد ، فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره ، فلماً وجد من الرمح برك عليه فعض بوجهه ، وقطع طرف أنفه ، فطعن كعب ابن جابر حتى ألغاه عنه ، وقد غيب السنان في ظهره ، ثم أقبل عليه بضربه بسيفه حتى قتله ، قال حفيظ : كأنني أنظر إلى العبدي السريع قام ينفض الثراب عن قبائه ، ويقول : أنمت على يا أخا الأزنةمة لن أنساها أبداً ، قال : فقلت : أنت رأيت هذا ؟ قال : نعم ، رأي عيني وسمع أذني .

٣٣٩/٢

٣٤٠/٧

فلماً رجع كعب بن جابر قالت له امرأته ، أو أخته النول بنت جابر :

(١) ياحل القوم بعضهم بعضاً ويأبوا ويأبوا : تلاصقوا ، والمبايلة : الملازمة ؛ وبنى المبايلة أن يصح القوم إذا اعطوا في شيء فبقروا ؛ لغة الله جل الظلم منه .

(٢) ينفضضه : أي يحركه .

(٣) المصاع : المبايلة .

أَحَنَّتْ عَلِيَّ ابْنَ فَاطِمَةَ ، وَقَتَلَتْ سَيِّدَ الْقُرَاءِ ؛ لَقَدْ أَتَيْتَ عَظِيمًا مِنَ الْأَمْرِ ،
وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ مِنْ رَأْسِي كَلِمَةً أَبَدًا .

وقال كعب بن جابر :

سَلِي تَخْبَرِي عَنِّي وَأَنْتِ ذَمِيمَةٌ غَدَاةَ حُسَيْنٍ وَالرَّمَاحُ شَوَارِعُ
أَلَمْ آتِ أَقْصَى مَا كَرِهَتْ وَلَمْ يُجِزْ عَلِيٌّ غَدَاةَ الرُّوْعِ مَا أَنَا صَانِعُ
مَعِيَ يَزُوئِي لَمْ تَخْنَهْ كَعُوْنُهُ وَأَبْيَضُ مَخْشُوبُ الْفِرَارَيْنِ قَاطِعُ^(١)
فَجَرَّئْتُهُ فِي عُصْبَةٍ لَيْسَ دِينُهُمْ بَلَدِي وَلَأَنِّي بَلَدِي حَرْبٍ لِقَانِعُ
وَلَمْ تَقْرِ عَيْنِي مِثْلَهُمْ فِي زَمَانِهِمْ وَلَا قَبْلَهُمْ فِي النَّاسِ إِذْ أَنَا يَافِعُ
أَشَدُّ قِرَاعًا بِالسَّيْفِ لَدَى الْوَحْيِ أَلَا كُلُّ مَنْ يَحْيِي الذَّمَّارَ مُقَارِعُ
وَقَدْ صَبَرُوا لِلْعَمَلِ وَالضَّرِبِ حُسْرًا وَقَدْ نَازَلُوا لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُ
فَأَبْلَغُ عَبِيدِ اللَّهِ إِمَّا لَقِيْنَهُ بَاتِي مُطْعِمٌ لِلْخَلِيفَةِ سَامِعُ
قَتَلْتُ بُرَيْرًا ثُمَّ حَمَلْتُ زَيْمَةً أَبَا مُنْقَلِدٍ لَمَّا دَعَا مَنْ يُصَاصِعُ؟

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب ، قال : سمعته في إمارة
مُصَنَّبِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وهو يقول : ياربِّ إِنَّا قَدْ وَفَّيْنَا ، فَلَا تَجْعَلْنَا يَارِبُّ كَمَنْ
قَدْ غَلَرُ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي : صَدَقَ ، وَلَقَدْ وَفَّيْ وَكَتَمْتُ ، وَكَسَبْتُ لِنَفْسِكَ
شَرًّا ، قَالَ : كَلَّا ، إِنِّي لَمْ أَكْسِبْ لِنَفْسِي شَرًّا ، وَلَكِنِّي كَسَبْتُ لَهَا غَيْرًا .
قال : وَزَعَمُوا أَنَّ رَضِيَ بْنَ مُنْقَلِدٍ الْعَبْدِيَّ رَدَّ بَعْدُ عَلَى كَعْبِ بْنِ جَابِرٍ
جَوَابَ قَوْلِهِ ، فَقَالَ :

لَوْ شَاءَ رَبِّي مَا شَهِدْتُ قِتَالَهُمْ وَلَا جَسَلَ التَّعَمُّاتِ حَنْدِي ابْنُ جَابِرٍ
لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَارًا وَسُبَّةً يُعِيرُهُ الْأَبْنَاءُ بَعْدَ الْمَعَاشِرِ
فَبَالَيْتَ أَلَى كُنْتُ مِنْ قَبْلِي قَتْلِي وَيَوْمَ حُسَيْنٍ كُنْتُ فِي رَثَسِ قَاهِرٍ

(١) البَيْضُ : الرَّيحُ ؛ وَبِمِثْلِ الرِّيحِ يَزْنِيَةُ ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ حَمَلَتْ لَهُ فَوَازِنَ . وَبِالسَّيْفِ : بِالسَّيْفِ ،
أَيْ سَمَاءِ . وَفِرَارَا السَّيْفِ : حِدَاةُ .

قال : وخرج عمرو بن قَرْطَةَ الأنصاريُّ يُقاتلُ دُونَ حُسَيْنٍ وهو يقول (١) :

قَدْ حَلَمْتُ كَيْبِيَّةُ الْأَنْصَارِ أَنِّي سَأُخَيِّمُ حَوْزَةَ الدَّمَارِ
ضَرْبَ غُلَامٍ غَيْرِ نَكِيسٍ شَارِي دُونَ حُسَيْنٍ مُهْجَتِي وَدَارِي (٢)

قال أبو مخنف : عن ثابت بن هبيرة ، قُتِلَ عمرو بن قَرْطَةَ بن كعب ، وكان مع الحسين ، وكان على أخوه مع عمر بن سعد ، فنادى على بن قَرْطَةَ : يا حسين ، يا كَذَّابَ ابْنِ الْكَذَّابِ ، أَضَلَّتْ أُنْخَى وَغُرَّتْ حَتَّى قَتَلْتَهُ . قال : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُضِلَّ أَخَاكَ ، وَلَكِنَّهُ هَدَى أَخَاكَ وَأَضَلَّكَ ، قال : قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ أَوْ أَمُوتْ دُونَكَ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَأَعْرَضَهُ نَافِعُ بْنُ هِلَالٍ الْمُرَادِيُّ ، فَطَمَنَهُ فَصْرَعَهُ ، فَحَمَلَهُ أَصْحَابُهُ فَاسْتَقْبَلُوهُ ، فَدُويَ بَعْدُ قَبْرًا .

قال أبو مخنف : حَدَّثَنِي النَّصْرُ بْنُ صَالِحٍ أَبُو زَيْمٍ الْعَبْسِيُّ أَنَّ الْحَرَّ بْنَ يَزِيدَ لَمَّا لَحِقَ بِحُسَيْنٍ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ بَنِي شَقْرَةَ وَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمٍ ، يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ سَفْيَانَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ الْحَرَّ بْنَ يَزِيدَ حِينَ خَرَجَ لِاجْتِمَاعِ السَّنَانِ ، قَالَ : فَبَيْنَا النَّاسُ يَتَجَاوِلُونَ وَيَقْتُلُونَ وَالْحَرَّ بْنَ يَزِيدَ يَحْمِلُ عَلَى الْقَوْمِ مَقْلَعًا وَيَتَمَثَّلُ قَوْلَ عَتَّةَ :

مَا زِلْتُ أَرْزِيهِمْ بِشُقْرَةَ نَحْرِهِمْ وَكِبَانِيهِ حَتَّى تَسْرِيَلَ بِاللِّمِّ (٣)

قال : وَإِنَّ فَرَسَهُ لَخُضِرٌ عَلَى أُذُنَيْهِ وَحَاجِبُهُ ، وَإِنْ دَمَاعُهُ لَتَسِيلُ ، فَقَالَ الْحَصِينُ بْنُ تَمِيمٍ - وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ حَيْدِ اللَّهِ ، فَبَعَثَ إِلَى الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ مَعَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَوَلَّاهُ عُمَرَ مَعَ الشُّرْطَةِ الْخَفِيفَةِ (٤) - لِيَزِيدَ بْنِ سَفْيَانَ : هَذَا الْحَرَّ بْنَ يَزِيدَ الَّذِي كُنْتَ تَتَمَنَّى ، قَالَ : نَعَمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ يَا حَرَّ بْنَ يَزِيدَ فِي الْمُبَارَاةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَدْ شَتُّتُ ، فَبَرَزَ لَهُ ، قَالَ : فَأَنَا صَمَعْتُ الْحَصِينُ بْنُ تَمِيمٍ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا بَرَزَ لَهُ ، فَكُنَّا نَمَّا كَانَتْ نَفْسُهُ فِي يَدِهِ ،

(١) ف : « يَرْجُز » . (٢) ف : « جَتِي وَدَارِي » .

(٣) من المعلقة ٢٠٤ - بشرح البرقي . والبيان : السمر .

(٤) المعلقة : الكلمة الخفيفة ، بكسر التاء ، اسم آلة للحرب يلعب القوس والإنسان يلعبه .

في الحرب .

فألبسته الجمر حين خرج إليه أن قتله .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني يحيى بن هاني بن عروة ، أن فافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول : « أنا الجملكي ، أنا على دين علي » .

قال : فخرج إليه رجل يقال له مزامم بن حرث ، فقال : أنا على دين عثمان ، فقال له : أنت على دين شيطان ، ثم حمل عليه فقتله ، فصاح عمرو ابن الحجاج بالناس : يا حنفي ، أتلدن من قاتلون ! فرسان الميصر ، قوما مستميتين ، لا يبرزن لم منكم أحد ، فإنهم قليل ، ولما يقيون ، والله لو لم تروهم إلا بالحجارة تقتلهم ، فقال عمر بن سعد : صدقت ، الرأي ما رأيته ، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجل منكم رجلاً منهم .

قال أبو مخنف : حدثني الحسين بن عتبة المرادي ، قال : الزيدني : إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول : يا أهل الكوفة ، الزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا ترواوا في قتل من مرق من الدين ، وخالف الإمام ، فقال له الحسين : يا عمرو بن الحجاج ، أعل تخرص الناس ؟ نحن مرقنا وأنتم تبثم عليه ؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ، وبثتم على أعمالكم ، أيننا مرق من الدين ، ومن هو أولى بصلي النار ! قال : ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في مينة عمر بن سعد من نحو القنرات ، فاضطربوا ساعة ، فصريح مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين ، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه ، وارتفعت الغبرة ، فلذا هم به صريح ، فشى إليه الحسين فلذا به رمق ، فقال : رحمتك ربك يا مسلم بن عوسجة ، ﴿ فَيَنْتَظِرُهُمْ مَنْ قَفَى نَحْبَهُ وَنَحْبُهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَكْلُوا تَبْيِيلاً ﴾ (١) . ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال : عز على مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنة ، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشرك الله بخير ! فقال له حبيب : لولا أني

٢١٢/٢

أعلم أتى في أثرك لاحقاً بك من ساعى هذه لأحييت أن توصيني بكل ما أمرك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين ، قال : بل أنا أوصيك بهللمرحمك الله - وأهوى يده إلى الحسين - أن تموت دونه ، قال : أفعل ورب الكعبة ، قال : فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم ، وصاحت جارية له فقالت : يا بن عوصجة ! يا سيده ! فتنادى أصحاب عمرو بن الحمقاج : قتلنا مسلم بن عوصجة الأسدى ، فقال شَبَّث لبض من حوله من أصحابه : ثكلتكم أمهاتكم ! إنما تقتلوا أنفسكم بأيديكم ، وتتلون أنفسكم لغيركم ، فترحون أن يقتل مثل مسلم بن عوصجة ! أما والذي أسلمت له لرُبَّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم ! لقد رأيته يوم سكت آذيينجان قتل سنة من المشركين قبل تمام خيول المسلمين ، أفيقتل منكم مثله وترحون !

قال : وكان الذي قتل مسلم بن عوصجة مسلم بن عبد الله الغنصاني وعبد الرحمن بن أبي غصنكارة البجلي . قال : وحمل شمر بن ذى الجوشن في المصرة على أهل المصرة فقتلوا له ، فطاعنوه وأصحابه ، وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب ، فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأوكتين ، وقاتل قتالا شديداً ، فحمل عليه هاني بن بُبَيْت الحضرمي وبُكَيْر ابن حنّ التيمي ، من تم الله بن ثعلبة ، فقتلوا ، وكان القتل الثاني من أصحاب الحسين ، وقاتلهم أصحاب الحسين قتالا شديداً ، وأخذت خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً ، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفت ، فلما رأى ذلك عترة بن قيس - وهو على خيل أهل الكوفة - أن خيله تنكشف من كل جانب ، بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن ابن حصن ، فقال : أما ترى ما تلقى خيلى من هذه العدة اليسيرة ! ابعث إليهم الرجال والرماة ، فقال لشبث بن ربعي : ألا تقدم إليهم ! فقال : سبحان الله ! أنعمد إلى شيخ مفسر وأهل مصر عامة تبعه في الرماة ! لم تجد من تنذب لهذا ويجزئ عنك غيرى ! قال : وما زالوا يرون من شبث الكرامة فقتلوه . قال : وقال أبو زهير المصبى : فأنا مسمته في إمارة مصعب

يقول : لا يعطى الله أهلَ هذا المصرِ غيراً أبداً ، ولا يسدّ دهم لرُشد ، ألا
تَعَجِّبُونِ أَنَا قَاتِلُنَا مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ آلِ أَبِي سَعْيَانَ
خَمْسَ سِنِينَ ، ثُمَّ عَدَوْنَا عَلَى ابْنِهِ وَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاتَلْتُهُ مَعَ آلِ مُعَاوِيَةَ
وَابْنِ مِمْبَةَ الزَّانِيَةِ ! ضَلَالٌ يَا لَكَ مِنْ ضَلَالٍ !

قال : ودعا عمر بن سعد الحَصِينَ بْنَ تَمِيمٍ فَبِعَثَ مَعَهُ الْخَيْفَةَ وَخَمْسَةَ مِائَةِ
الْمِزَابَةِ ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْحَصِينِ وَأَصْحَابِهِ رَشَقُوهُمْ بِالنَّبِيلِ ، ظَمَ
يَكْبَتُوا أَنْ عَقَرُوا خَيْبِلَهُمْ ، وَصَارُوا رَجَالَةً كُلَّهُمْ .

قال أبو مخنف : حَدَّثَنِي ثُمَيْرُ بْنُ وَهْلَةَ أَنَّ أَيُّوبَ بْنَ مِشْرَحَ الْخَيْفَوَانِيَّ
كَانَ يَقُولُ : أَنَا وَاللَّهِ عَقَرْتُ بِالْحَرَرِ بْنَ يَزِيدَ فَرْسَهُ ، حَشَاثَةُ (١) سَهْمًا ، فَمَا
لَيْتَ أَنْ أَرَعِدَ الْفَرَسَ وَاضْطَرَبَ وَكَبَا ، فَوَكَّبَ عَنْهُ الْحَرَّ كَأَنَّهُ لَيْثٌ وَالسَّيْفُ فِي
يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنْ تَعَقَّرُوا بِي فَأَنَا ابْنُ الْحَرِّ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لَيْلٍ هَزْبَرِ

قال : فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطَّ يَفْرِي فَرْيَهُ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخُ مِنَ الْحِمِيِّ :
أَنْتَ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا قَتَلْتُهُ ، وَلَكِنْ قَتَلَهُ غَيْرِي ، وَمَا أَحَبُّ أُنَى
قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْوَدَّاءِ : وَلِمَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ كَانَ زَعَمُوا مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَوَاقَهُ
لَنْ كَانَ ذَلِكَ إِثْمًا لِأَنَّ الْقَتْلَ إِلَهِي بِالْجَرَاخَةِ وَالْمَوْقِفَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أَقْتُلَهُ بِإِثْمٍ قَتَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْوَدَّاءِ : مَا أَرَاكَ إِلَّا سَلَقْتَهُ إِلَهِي بِإِثْمٍ
قَتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّكَ رَمَيْتَ ذَا فَعَقَرْتَ ذَا ، وَرَمَيْتَ آخَرَ ، وَوَقِفْتَ مَوْقِفًا ،
وَكُرَرْتَ عَلَيْهِمْ ، وَحَرَضْتَ أَصْحَابَكَ ، وَكَثُرَتْ أَصْحَابُكَ ، وَحُمِلَ عَلَيْكَ
فَكَرِهْتَ أَنْ تَقْرَ ، وَفَعَلَ آخَرُ مِنْ أَصْحَابِكَ كَضَعُكَ ، وَآخَرُ وَآخَرُ ، كَانَ
هَذَا وَأَصْحَابُهُ يَقْتُلُونَ ! أَنْتُمْ شُرَكَاءُ كُلِّكُمْ فِي دِمَائِهِمْ ، قَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْوَدَّاءِ ،
إِنَّكَ لَتَنْقُضُنَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتَ وَلِيَّ حَسَابِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا غَفَرَ اللَّهُ
لَكَ إِنْ غَفَرْتَ لَنَا ! قَالَ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ ، قَالَ : وَقَاتَلْتُمُ حَتَّى انْتَصَفَ

النهار أشدّ فقال خلقه الله ، وأخذوا لا يقدرّون على أن يأتوهم إلا من وجه واحد لاجتماع أبيّتهم وتقارب بعضها من بعض .

قال : فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاته يقولون لها عن أيمانهم وعن شمالكهم ليحيطوا بهم ، قال : فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض ويتهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويحرقونه ، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال : أحرقوها بالنار ، ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوضوه ، فجاؤا بالنار ، فأخذوا يحرقون ، فقال حسين : دعوهم فليحرقوها ، فإنهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها ، وكان ذلك كذلك ، وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد . قال : وخرجت امرأة الكلبى تمشى إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول : هنيئاً لك الجنة ! فقال شمر بن ذى الجوشن لفلان يسمّى رستم : اضرب رأسها بالعمود ، فضرب رأسها فشده ، فأتت مكانها ، قال : وحمل شمر بن ذى الجوشن حتى طعن ^(١) فسطاط الحسين برمح ، ونادى : على بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله ، قال : فصاح النساء وخرجن من الفسطاط ، قال : وصاح به الحسين : يابن ذى الجوشن ، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهل ، حرّقك الله بالنار !

٢٤٧/٢

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : قلت لشمر بن ذى الجوشن : سبحان الله ! إن هذا لا يصلح لك ، أترى أن تجمع على نفسك خصلتين . تعذب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء والله إن في تلك الرجال لا ترضى به أميرك ، قال : فقال : من أنت ؟ قال : قلت : لا أخبرك من أنا ، قال : وخشيت والله أن لو عرفني أن يضرتني عند السلطان ، قال : فجاءه رجل كان أطوع له مني ، شبت بن ربعي ، فقال : ما رأيت مثلاً أسوأ من قولك ، ولا موقفاً أفجّ من موقفك ، أمرهياً للنساء صرت ! قال : فأشهد أنه استحيا ، فذهب لينصرف . وحمل عليه زهير ابن القيس في رجال من أصحابه عشرة ، فشده على شمر بن ذى الجوشن .

(١) ابن الأثير = بلغ .

وأصحابه ، فكشّتهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها ، فصرّحوا بأبا عزة
الضّبّاكيّ قتلوه ، فكان من أصحاب شَمِير ، وتختلف الناس عليهم فكثروهم ،
فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل ، فإذا قتل منهم الرجل والرجلان
تبيّن فيهم ، وأولئك كثير لا يتبيّن فيهم ما يقتل منهم ، قال : فلما رأى ذلك
أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائليّ قال للحسين : يا أبا عبد الله ، نفسي لك
الفداء ! إني أرى هؤلاء قد اقربوا منك . ، ولا والله لا تُقتل حتى أقتل دونك
إن شاء الله ، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة إلى دنا وقتها ،
قال : فرجع الحسين رأسه ثم قال : ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين
الذاكرين ! نعم ، هذا أول وقتها ، ثم قال : سلوهم أن يكتبوا عنا حتى نصلي ،
فقال لهم الحسين بن تميم : إنها لا تُقبل ، فقال له حبيب بن مظاهر : لا تُقبل
زعمت ! الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُقبل وتُقبل
منك يا حمار ! قال : فحمل عليهم حصين بن تميم ، وخرج إليه حبيب بن
مظاهر ، فضرب وجهه فرسه بالسيف ، فشبّ ووقع عنه ، وحمله أصحابه
فاستقلوه ، وأخذ حبيب يقول :

٢٤٨/٢

أَقِيمْ لَوْ كُنَّا لَكُمْ أَعْدَادًا أَوْ شَطَرَكُمْ وَلَيْتُمْ أَكْثَادًا^(١)
• يَا فَرَّ قَوْمَ حَسْبًا وَآدَا^(٢) •

قال : وجعل يقول يومئذ :

أَنَا حَبِيبٌ وَأَبِي مُظَاهِرٌ فَارِسٌ هِجَاءٌ وَحَرْبٌ تُسَرُّ
أَنْتُمْ أَعْدَاؤُهُ عُدَّةٌ وَأَكْثَرُ وَنَحْنُ أَوْفَى مِنْكُمْ وَأَضْبَرُ
وَنَحْنُ أَعْلَى حُجَّةً وَأَظْهَرُ حَقًّا وَأَتَقَى مِنْكُمْ وَأَعْلَزُ

وقاتل قتالا شديداً ، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف
على رأسه قتلته - وكان يقال له : بديل بن صرّيم من بني عَصَفَان - وحمل

عليه آخرُ من بني تميم فطمته فوقه ، فلذهب ليقوم ، فضر به الحصين بن تميم على رأسه بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه ، فقال له الحصين : إني لشريكك في قتله ، فقال الآخر : والله ما قتلتَه غيري ؛ فقال الحصين : أعطينيه أطلقه في عتق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أني شركتُ في قتله ؛ ثم خله أنت بعدُ فامض به إلى عييد الله بن زياد ، فلا حاجة لي فيما تعطاء على قتلك إياه . قال : فأبى عليه ، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا ، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر ، فجبال به في المسكر قد علّقه في عتق فرسه ، ثم دفعه بعد ذلك إليه ، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخرُ رأس حبيب فعلقه في لبنان^(١) فرسه ، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر فبصره أبنته القاسم بن حبيب ، وهو يومئذ قد راهق ، فأقبل مع الفارس لا يفارقه ، كلّمَا دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به ، فقال : مالك يا بني تتبعني ! قال : لا شيء ، قال : بلى ، يا بني أخبرني ، قال له : إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي ، أنتعطينه حتى أدفنه ؟ قال : يا بني ، لا يرضى الأميرُ أن يُدفن ، وأنا أريد أن يشيئ الأميرُ على قتله ثوابًا حسنًا ، قال له الغلام : لكن الله لا يشيك على ذلك إلا أسوأ الثواب ؛ أما والله لقد قتلتَ خيرًا منك ، وبكى . فكث الغلامُ حتى إذا أدرك لم يكن له همةٌ إلا اتباعُ أثر قاتل أبيه ليجد منه غيرةً فيقتله بأبيه ، فلما كان زمان مُصعب بن الزبير وغزا مصعب باجمعيًا دخل عسكر مصعب فإذا قاتلُ أبيه في فسطاطه ، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غيرته ، فدخل عليه وهو قاتلُ نصف النهار فضر به بسيفه حتى برد .

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن قيس ، قال : لما قُتل حبيب بن مظاهر هذ ذلك حسيًا وقال عند ذلك : أحسب نفسي وحماة أصحابي ، قال : فأخذ الحرّ يرتجز ويقول :

أليث لا أقتلُ جنى أقتلًا ولن أصابَ اليومَ إلا مُقبلًا

أَضْرِبُهُمْ بِالسَّيْفِ ضَرْبًا مِفْصَلًا لَا نَاكِيلًا عَنْهُمْ وَلَا مَهْكَلًا (١) ٢٥٠/٢
وَأَخَذَ يَقُولُ أَيْضًا :

أَضْرِبُ فِي أَعْرَاضِهِمْ بِالسَّيْفِ عَنْ خَيْرٍ مَنْ حَلَّ رِنَى وَالْخَيْفِ

فَقَاتِلْهُ هُوَ وَزُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَكَانَ إِذَا شَدَّ أَحَدُهُمَا ، فَإِنْ اسْتُلْجِمَ (٢) شَدَّ الْآخَرَ حَتَّى يَخْلُصَهُ ، فَعَمَلًا ذَلِكَ سَاعَةً . ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا شَدَّتْ عَلَى الْحَرِّ بْنِ يَزِيدٍ قَتْلًا ، وَتَقَتَّلَ أَبُو ثَمَامَةَ الصَّائِدِيُّ ابْنَ عَمٍّ لَهُ كَانَ عَدُوًّا لَهُ ، ثُمَّ صَلَّوْا الظُّهْرَ ، صَلَّى بِهِمُ الْحُسَيْنُ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا بَعْدَ الظُّهْرِ فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ ، وَوَصَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ ، فَاسْتَقْدَمَ الْخَنْفَى أَمَامَهُ ، فَاسْتَهْدَفَ لَهُمْ يَرْمُونَهُ بِالنَّبْلِ يَمِينًا وَشِمَالًا قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَمَا زَالَ يُرَى حَتَّى سَقَطَ . وَقَاتَلَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَخَذَ يَقُولُ :

أَنَا زُهَيْرٌ وَأَنَا ابْنُ الْقَيْنِ أَذُوهُمْ بِالسَّيْفِ عَنْ حُسَيْنٍ

قَالَ : وَأَخَذَ يَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبِ حُسَيْنٍ وَيَقُولُ :

أَقْدِمُ هُلَيْتَ هَادِيًا مَهْدِيًا فَالْيَوْمَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ
وَحَسَنًا وَالْمُرْتَضَى عَلِيًّا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الْفَتَى الْكَمِيَّ
• وَأَمَدَ اللَّهُ الشَّهِيدَ الْحَيَّ •

قَالَ : فَشَدَّ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الشَّعْبِيِّ وَمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ فَتَقَتَّلَاهُ ، قَالَ : وَكَانَ نَافِعُ بْنُ هَلَالٍ الْجَمَلِيُّ قَدْ كَتَبَ اسْمَهُ عَلَى أَفْوَاقِ نَيْلِهِ ، فَجَعَلَ يَرِي بِهَا مَسُومَةً وَهُوَ يَقُولُ : «أَنَا الْجَمَلِيُّ ، أَنَا عَلَى دِينِ عَلِيٍّ» .

فَقَتَلَ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ سِوَى مَنْ جَرَحَ ، قَالَ : ٢٥١/٢
فَضْرِبَ حَتَّى كُسِرَتْ عِظْمَاهُ وَأَخَذَ أُسِيرًا ، قَالَ : فَأَخَذَهُ شَمِيرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ

(١) س : « مَفْصَلًا » .

(٢) اسْلُجِمَ : دُخِيَ فِي الْقِتَالِ .

وسمه أصحاب له يسوقون ناضجاً حتى أتى به عمر بن سعد ، فقال له عمر بن سعد : ويحك يا نافع ! ما حملك على ما صنعت بضحك ! قال : إن ربي يعلم ما أردت ، قال : واللعماء تسيل على لحيتي وهو يقول : والله لقد قتلْتُ منكم اثني عشر سوى من نجرحتُ ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيتُ لي عضدٌ واحدٌ ما أمرتُني ، قال له شمير : اكفله أصلحك الله ! قال : أنت جئتَ به ، فإن شئتَ فاقتله ، قال : فانتفضى شمير سيفه ، فقال له نافع : أما والله أن لو كنت من المسلمين لحطمتُ عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه ، فقتله .

قال : ثم أقبل شمير يحمل عليهم وهو يقول :

خَلَوْا عُدَّةَ اللَّهِ خَلَوْا عَنْ شَمِيرٍ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ وَلَا يَمُوتُ

• وهو لكم صابٌ وسمٌ ومقرٌ^(١) •

قال : فلما رأى أصحابُ الحسين أنهم قد كُثِّروا ، وأنهم لا يقدرُون على أن يمنعوا حبيته ولا أنفسهم ، تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه ، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عذرة الغفاريان ، قالَا : يا أبا عبد الله ، عليك السلام ، حازنَا الموتَ إليك ، فأحببْنَا أن نُقتلَ بين يديكَ ، تمنعكَ ونُدفعُ عنكَ ، قال : مرحباً بكما ! ادنؤا مني ، فلفنوا منه ، فجعلوا يقتلان قريباً منه ، وأحدهما يقول :

قَدْ عَلِمْتُ حَقّاً بَنُو غِفَارٍ وَخِنْذِفٌ بَعْدَ بَنِي نِزَارٍ

لَنَقُصِّرَنَّ مَشَرَ الْفَجَّارِ بِكُلِّ عَضْبٍ صَارِمٍ بَنَارٍ

يَاقُومُ قُودُوا عَنْ بَنِي الْأَحْرَارِ بِالْمَشْرِقِ وَالْقَنَا الْخَطَارِ

٢٥٢/٢

قال : وجاء القتيبان الجاهليان : سيف بن الحارث بن سريِّع ، ومالك ابن عبد بن سريِّع ، وهما ابنا حم ، وأعووان لأم ، فأتيا حسينا فدنوا منه وهما

(١) المقر : المر ، قال أبو حنيفة : هو نبات ينبت ورقاً . في غير المكان .

يبيكان ، فقال : أَيْ ابْنَتِيْ أُنْخِي ، مَا يُبْكِيْكَمَا ؟ فَوَاللهِ إِنِّيْ لَأَجُورُ أَنْ تَكُونَا عَنْ سَاعَةِ قَرِيرَى عَيْنٍ ، قَالَا : جَعَلَنَا اللهُ فِدَاكَ ! لَأَوَالَهُ مَا عَلَى أَنْفُسِنَا نَبْكِي ، وَلَكُنَّا نَبْكِي عَلَيْكَ ، فَوَاللهِ قَدْ أَحْبَبْتُ بِكَ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ نَعْنَمَكَ ، قَالَ : جَزَاكَمَا اللهُ يَا بَنَتِيْ أُنْخِي بَوَاحِدٍ كَمَا مِنْ ذَلِكَ وَمَوَاسَاتِكَمَا لِرَأْسِيْ بِأَنْفُسِكَمَا أَحْسَنَ جَزَاءِ الْمُتَّقِينَ ، قَالَ : وَجَاءَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَسْعَدَ الشَّيْبَانِيَّ فَهَامَ بَيْنَ يَدَيْ حُسَيْنٍ ، فَأَخَذَ يَنَادِي : ﴿ يَا قَوْمُ - إِلَى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْرَابِ . مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَاللَّيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ . وَيَا قَوْمُ إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ . يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ لِمَلِيْرٍ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ - وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (١) يَا قَوْمُ تَقْتُلُوا حُسَيْنًا فَيُسْحِتْكُمْ اللهُ بِعَذَابٍ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ (٢) قَالَ لَهُ حُسَيْنٌ : يَا بَنِي أَسْعَدَ ، رَحِمَكَ اللهُ ، إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ حِينَ رَدُّوْا عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ، وَنَهَضُوا إِلَيْكَ لِيَسْتَبِيْحُوْكَ وَأَصْحَابُكَ ، فَكَيْفَ بِهِمُ الْآنَ وَقَدْ قَتَلُوا إِخْوَانَكَ الصَّالِحِينَ ! قَالَ : صَدَقْتَ ، جَعَلْتَ فِدَاكَ ! أَنْتَ أَقْرَبُ مِنِّيْ وَأَحَقُّ بِمَلِكٍ ، أَفَلَا نَرُوحُ (٣) إِلَى الْآخِرَةِ وَنَلْحَقَ بِإِخْوَانِنَا ؟ قَالَ : رُحْ إِلَى خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَإِلَى مَلِكٍ لَا يَبْسُلُ ، قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَبْدِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَعَرَفَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِي جَنَّتِهِ ، قَالَ : آمِينَ آمِينَ ، فَاسْتَقْدَمَ فَحَاتِلَ حَتَّى قُتِلَ .

٣٠٢/٢

قَالَ : ثُمَّ اسْتَقْدَمَ الْقَتِيْبَانِ الْجَاهِلِيَّانِ يَلْتَفَتَانِ إِلَى حُسَيْنٍ وَيَقُولَانِ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنِي رَسُولِ اللهِ ، قَالَ : وَعَلَيْكُمْمَا السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ ، فَحَاتِلَا حَتَّى خُتِلَا ، قَالَ : وَجَاءَ عَابِسُ بْنُ أَبِي شَلَيْبَةَ الشَّامِكِيُّ وَهُوَ شَوْذِبُ مَوْلَى شَاكِرٍ ، فَقَالَ : يَا شَوْذِبُ ، مَا فِي قَسَمِكَ أَنْ تَصْنَعَ ؟ قَالَ : مَا أَصْنَعُ ! أَقَاتِلُ مَعَكَ دُونَ ابْنِ بَنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَقْتُلَ ، قَالَ : ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ ، أَمَا لَا فَتَضْمُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللهِ حَتَّى يَحْتَبِكَ كَمَا احْتَسَبَ غَيْرُكَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَحَتَّى أَحْبَبِكَ أَنَا ، فَوَاللهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ السَّاعَةُ أَحَدٌ أَنَا أَوْكَلِي

(١) سورة غافر: ٣٠ - ٣٣ . (٢) سورة النمل: ٦١ . (٣) ف : « تروح » .

به متى بك لسرتي أن يتقدم بين يدي حتى أحسبه ، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه ، فإنه لا عمل بعد اليوم ، وإنما هو الحساب ؛ قال : فتقدم فسلم على الحسين ، ثم مضى مقاتل حتى قُتل . ثم قال عابس بن أبي شبيب : يا أبا عبد الله ، أما والله ما أمتسى على ظهر الأرض قريباً ولا بعيداً أعزّ على ولا أحبّ إلىّ منك ؛ ولو قدرتُ على أن أدفع عنك الضمير ولتقتل بشيء أعزّ على من نفسي ودَى لفعلتُ ؛ السلام عليك يا أبا عبد الله ، أشهدُ الله أني على هدّيك وهدّي أبليك ؛ ثم مضى بالسيف مصلاً نحوهم وبه ضربة على جيئه .

٣٥٤/٢

قال أبو مخنف : حدثني تميم بن وعلة ، عن رجل من بني عبد من هَمْدَان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم ، قال : لما رأيته مُقبلاً عرفته وقد شاهدته في المتغازي ، وكان أشجع الناس ، فقلت : أيها الناس ، هذا الأسد الأسود ، هذا ابن أبي شبيب ؛ لا يخرجن إليهِ أحد منكم ، فأخذ ينادي : ألا رجل لرجل ! فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة ؛ قال : فرمى بالحجارة من كل جانب ، فلما رأى ذلك ألقي درعه وسيفه ، ثم شدّ على الناس ، فوالله لرأيتُه يكرُدُ (١) أكثرَ من مائتين من الناس ؛ ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب ، فقتل ؛ قال : فرأيتُ رأسه في أيدي رجال ذوى عُدّة ؛ هذا يقول : أنا قتله ، وهذا يقول : أنا قتله ، فأتوا عمر بن سعد فقال : لا تختصموا ، هذا لم يقتله سيّان واحد ، ففرّق بينهم بهذا القول .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الله بن عاصم ، عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي ، قال : لما رأيتُ أصحاب الحسين قد أصيبوا ، وقد خلّص إليهِ وإلى أهل بيته ، ولم يبق معه غيرُ سُويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي وبُشَيْر ابن عمرو الحضرمي ، قلت له : يا ابن رسول الله ، قد علمت ما كان بيني وبينك ؛ قلت لك : أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلاً ، فإذا لم أر مقاتلاً فانا في حيل من الانصراف ؛ فقلت لي : نعم ؛ قال : فقال : صدقت ، وكيف لك

بالتجاء ! إن قدرت حل ذلك فأنت في حل ، قال : فأقبلتُ إلى فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تُحضر ، أقبلتُ بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت ، وأقبلتُ أقاتل معهم واجلاً ، فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين ، وقطعت يد آخر ، وقال لي الحسين يومئذ مراراً : لا تُثقل ، لا يقطع الله يدك ، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك صلى الله عليه وسلم ! فلما أذن لي استخرجتُ الفرس من الفسطاط ، ثم استويتُ على منتهى ، ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنايك وميتُ بها عرضُ القوم ، فأفرجوا لي ، واتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيتُ إلى شُفَّة ، قرية قريبة من شاطئ الفُرات ، فلما لحقوني عطفتُ عليهم ، فمرقتني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مِشْرَح الحِمْيَوِيُّ وقيس بن عبد الله الصائدي ، فقالوا : هذا الضحَّاك بن عبد الله المِشْرَقِي ، هذا ابنُ عمِّنا ، ننتشدكم الله لما كُفِّم عنه ! فقال ثلاثة نفر من بني نجيم كانوا معهم : بل والله لنجيبن إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم ، قال : فلما تابع التمييز أصحابي كف الآخرون ، قال : فنجاني الله .

قال أبو غنم : حدثني فضيل بن خُلبِج الكندي أن يزيد بن زياد ، وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بَهْدَكَة جثًا على ركبته بين يدي الحسين ، فرمى بمائة سهم ماسقط منها خمسة أسهم ، وكان رامياً ، فكان كلما رمى قال : أنا ابن بهدلة ، فُرْسَانِ العَرَجَلِهْ ، ويقول حسين : اللهم صدِّ رميته ، واجعل ثوابه الجنة ، فلما رى بها قام فقال : ما سقط منها إلا خمسة أسهم ، ولقد تبين لي أني قد قتلْتُ خمسة نفر ، وكان في أول من قُتل ، وكان رجزه يومئذ :

أنا يزيدُ وأبي مُهاصِرُ أشجعُ من ليثٍ وبغيلٍ خادِرُ^(١)
ياربِّ لئنِّي للحسينَ ناصِرُ ولا بن سعدٍ تاركُ وهاجرُ
وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممن خرج مع محمد بن سعد إلى الحسين ،

(١) القيل بالكسر : الشجر الكثير اللثغ .

فلما ردت الشُّروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قُتل ، فأما الصيادون
عمر بن خالد ، وجابر بن الحارث السلماني ، وسعد مولى عمر بن خالد ،
ويصمغ بن عبد الله العائلي ، فإِذْهُمْ قَاتَلُوا فِي أَوَّلِ الْقِتَالِ ، فَشَدَّوْا مَقْدَمِينَ
بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا وَغَلُوا عَطَفَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ فَأَخْذُوا بِمُحْزُوفِهِمْ ،
وَقَطَعُوهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ فَاسْتَقْلَمَهُمْ ،
فَجَاءُوا قَدْ جُرِّحُوا ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ عَدُوُّهُمْ شَدَّوْا بِأَسْيَافِهِمْ فَهَاتَكُوا فِي أَوَّلِ
الْأَمْرِ حَتَّى قَتَلُوا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ .

قال أبو مخنف : حدثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمي ، قال :
كان آخر مَنْ بَقِيَ مع الحسين من أصحابه سُويد بن عمرو بن أبي المطاع
الخثعمي ، قال : وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذٍ عليُّ الأكبر بن
الحسين بن عليٍّ ، وأمه ليل ابنة أبي مُرَّة بن عُرْوَة بن مسعود الثقفي ، وذلك
أنه أخذ يشدُّ على الناس وهو يقول :

أَنَا عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ بْنِ عَلِيٍّ نَحْنُ وَرَبُّ الْبَيْتِ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ
• تَالَهُ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ النَّبِيِّ •

قال : ففعل ذلك مراراً ، فبَصَرَهُ مُرَّةُ بْنُ مُنْقِذِ بْنِ النُّعْمَانِ الْعَبْدِيُّ ثُمَّ
الْيَتِيُّ ، فَقَالَ : عَلِيُّ أُنْثَى الْعَرَبِ إِنْ مَرَّ بِي يَفْعَلُ مِثْلَ مَا كَانَ يَفْعَلُ إِنْ
لَمْ تُكَلِّهْ أَبَاهُ ، فَرِيَشَدَ عَلَى النَّاسِ بَسِيفَهُ ، فَأَعْرَضَهُ مُرَّةُ بْنُ مُنْقِذٍ ، فَطَعَنَهُ
فَصَبَّرَعَ ، وَاحْتَوَكَهُ النَّاسُ فَطَعَعُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ .

٢٥٧/٧

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم
الأزدِي ، قال : سَمِعْتُ أَذْنِي يَوْمَئِذٍ مِنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : قَتَلَ اللَّهُ قَوْماً قَتَلُوا يَا بَنِيَّ
مَا أَجْرَاهُمْ عَلَى الرَّحْمَنِ ، وَعَلَى اتِّهَافِكَ حُرْمَةَ الرَّسُولِ ! عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَمَاءُ .
قال : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مَسْرَعَةً كَأَنَّهَا الشَّمْسُ الْعَالِيَةُ تَنَادَى :
يَا أَنْتَبَاهُ ! أَوْ يَا بَنِ أَخِيَّاهُ ! قال : فَسَأَلْتُ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ : هَذِهِ زَيْنَبُ ابْنَةِ
فَاطِمَةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَتْ حَتَّى أَكْبَتَ عَلَيْهِ ، فَجَاءَهَا

الحسين فأخذ بيدهما فردّها إلى القسطنطين ، وأقبل الحسين إلى ابنه ، وأقبل فتياه إليه ، فقال : أحملوا أخاكم ، فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي القسطنطين الذي كانوا يقاتلون أمامه . قال : ثم إن عمرو بن صبيح الصّدائي روى عبد الله بن مسلم بن عقیل بسهم فوضع كفه على جبهته ، فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه ، ثم انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه ، فاعتنّوهم الناس من كل جانب ، فحمل عبد الله بن قطيبة الطائي ثمّ النّبهای على عون بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب فقتله ، وحمل عامر بن نهشل التيمي على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله ، قال : وشدّ عیان بن خالد ابن أسير الجهني ، وبشر بن سوط الممداني ثمّ القابضي على عبد الرحمن ابن عقیل بن أبي طالب فقتله ، وروى عبد الله بن عزرة الخثعمي جعفر ابن عقیل بن أبي طالب فقتله .

٢٥٨/٧

قال أبو غنم : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : خرج إلينا غلام كان وجهه شقة قمر ، في يده السيف ، عليه قميص ولزاز ونعلان قد انقطع شيع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لي عمرو ابن سعد بن ثعلبة الأزدي : والله لأشدنّ عليه ، فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ! يكنيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتلواهم ، قال : فقال : والله لأشدنّ عليه ، فشدّ عليه فاولى حتى ضرب رأسه بالسيف ، فوقع الغلام لوجهه ، فقال : يا عمّاه ! قال : فجلّى الحسين كما يجلى الصقر ، ثم شدّ شدة ليث غضب ، فضرب عمرًا بالسيف ، فاتقاه بالساحد ، فأطنها من لدنّ الميرق ، فصاح ، ثم تنحى عنه ، وحملت خيل لأهل الكوفة ليستقلوا عمرًا من حسين ، فاستقبلت عمرًا بصدورها ، فحركت حوافرها وجات الخيل بقرسانها عليه ، فوطشتته حتى مات ، وانجلت الفبرة ، فإذا أنا بالحسين قائم على رأس الغلام ، والغلام يتمحص برجليه ، وحسين يقول : بعداً ليقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك ! ثم قال : عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا ينفك صوت والله كثر واترّه ، وظلّ ناصبره . ثم أحمله فكانى أنظر إلى رجلى الغلام يخطان في الأرض ،

٢٥٩/٧

وقد وضع حسين صدره على صدره ، قال : قُلتُ في نفسي : ما يصنع به ! فجاء به حتى ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين وقتلني قد قُلتُ حولته من أهل بيته ، فسألتُ عن الغلام ، فقيل : هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب . قال : ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه ، وكره أن يتولى قتله وعظيم إثم عليه ، قال : وإن رجلاً من كِنْدَةَ يقال له مالك بن النسيير من بني بدّاء ، أتاه ففرضه على رأسه بالسيف ، وعليه بُرُتس له ، فقطع البرنس ، وأصاب السيف رأسه ، فادى رأسه ، فامتلاً البرنس دمًا ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربت ، وحشرَك الله مع الظالمين ! قال : فألقى ذلك البرنس ، ثم دعا بقلنسوة فلبسها ، وأعمّ ، وقد أعيأ ويكّد ، وجاء الكندي حتى أخذ البرنس — وكان من خز — فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت حسين بن الحرّ البديّ ، أقبل يتفحّل البرنس من الدم ، فقالت له امرأته : أسلب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخيل بيبي ! أخرجه حتى ، فذكر أصحابه أنه لم يزل فقيراً بشرّ حتى مات . قال : ولما قعد الحسين أتى بصبي له فأجلسته في حجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين .

٣٦٠/٢

قال أبو مخنف : قال حُفَيفَةُ بن بشير الأسديّ : قال لي أبو جعفر محمد ابن عليّ بن الحسين : إنّ لنا فيكم يا بني أسد دمًا ، قال : قلت : فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله يا أبا جعفر ! وما ذلك ؟ قال : أتى الحسين بصبي له ، فهو في حجره ، إذ رماه أحدكم يا بني أسد يسهم فذبحه ، فتلقي الحسين دمه ، فلما ملأ كفيه صبه في الأرض ثم قال : ربّ إنّك حبست عنا النصر من السماء فأجعل ذلك لما هو خير ، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين ، قال : وروى عبد الله بن عتبة الغنويّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ يسهم قتله ، فلذلك يقول الشاعر ، وهو ابن أبي حبيب :

وَجَدَ غَنِيَّ قَطْرَةً مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسْلَافٍ أُخْرَى تَعْدُ وَذَكَرُ

قال : وزعموا أنّ البساس بن عليّ قال لإخوته من أمّه : عبد الله ، وجعفر

وعثمان : يا بني أمي ، تقدّموا حتى أرتكم ، فإنه لا ولد لكم ، فقطلوا ، فقتلوا .
 وشدّ هاني بن ثبّيت الحضرمي على عبد الله بن علي بن أبي طالب فقتله ، ثم
 شدّ على جعفر بن علي فقتله وجاء برأسه ، وري خذولي بن يزيد الأصبحي
 عثمان بن علي بن أبي طالب بسهم ، ثم شدّ عليه رجل من بني أبان بن دارم
 فقتله ، وجاء برأسه ، وري رجل من بني أبان بن دارم محمد بن علي بن
 أبي طالب فقتله وجاء برأسه .

قال هشام : حدثني أبو الهذيل - رجل من السكون - عن هاني بن
 ثبّيت الحضرمي ، قال : رأيته جالساً في مجلس الحضرميين في زمان خالد بن
 عبد الله وهو شيخ كبير ، قال : فسمعه وهو يقول : كنت ممن شهد قتل
 الحسين ، قال : فوالله إني لواقف عاشر عشرة ليس منّا رجل إلا على فرس ،
 وقد جالت الخيل وتصمصمت ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك
 بعنود من تلك الأبنية ، عليه إزار وقميص ، وهو مذعور ، يتلفت يمنةً وشمالاً ،
 فكأنّي أنظر إلى درّتين في أذنيه تذبذبان كلما التفتت ، إذ أقبل رجل
 يركض ، حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف .
 قال هشام : قال السكوني : هاني بن ثبّيت هو صاحب الغلام ، فلما
 عتب عليه كتّى عن نفسه .

قال هشام : حدثني عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي ، قال : عطش
 الحسين حتى اشتدّ عليه العطش ، فلذا يشرب من الماء ، فرماه حصين بن
 نجم بسهم ، فوقع في فمه ، فجعل يتلقى الدم من فمه ، ويرمى به إلى السماء ،
 ثم حمّد الله وأثنى عليه ، ثم جمع يديه فقال : اللهم أحصهم عدداً ،
 واقتلهم بديداً ، ولا تدّر على الأرض منهم أحداً .

قال هشام ، عن أبيه محمد بن السائب ، عن القاسم بن الأصمغين بن ثبّاة ،
 قال : حدثني من شهد الحسين في عسكوه أن حمينا حين غلب على
 عسكروه ركب المسنة يريد القرات ، قال : فقال رجل من بني أبان بن
 دارم : ويلكم ! حولوا بينه وبين الماء لا تنام إليه شيعة ، قال : وضرب

فرسه ، وأتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين القمات ، فقال الحسين : اللهم أظلمه ، قال : ويتترع الأباثى بسهم ، فأثبته في حنك الحسين ، قال : فانتزع الحسين السهم ، ثم بسط كفيه فامتلاّت دماً ، ثم قال الحسين : اللهم إني أشكو إليك ما يفعل باین بنت نبيك ، قال : فوالله إن مكث الرجل إلا يسيراً حتى صب الله عليه الظماً ، فجعل لا يروى .

٣٦٢/٧

قال القاسم بن الأصمغ : لقد رأيتني فيمن يروح عنه والماء يبرد له فيه السكر وعساس فيها اللبن ، وقلال فيها الماء ، وإنه يقول : ويئسكم ! اسقوني قتلى الظماً ، فيعطى القتل أو العس كان مروياً أهل البيت فيشره ، فإذا نزعه من فيه اضطجع المنهية ثم يقول : ويئسكم ! اسقوني قتلى الظماً ، قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى اتقدت بطنه اتقداد بطن البعير .

قال أبو مخنف في حديثه : ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل في فمر نحو من عشرة من رجالة أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله ، فشى نحوه ، فحالوا بينه وبين رحله ، فقال الحسين : ويلكم ! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون يوم المعاد ، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوى أصحاب ، امنعوا رحلي وأهلي من طغاةكم وجهالكهم ، فقال ابن ذى الجوشن : ذلك لك يا ابن فاطمة ، قال : وأقدم عليه بالرجالة ، منهم أبو الجنب - واسمه عبد الرحمن الجعفي - والقشعم^(١) بن عمرو بن يزيد الجعفي ، وصالح بن وهب البرقي ، وسنان بن أنس النخعي ، وختول بن يزيد الأصمعي ، فجعل شمر ابن ذى الجوشن يحرضهم ، فرأى الجنب وهو شاك في السلاح فقال له : أقدم عليه ، قال : وما بمنك أن تقدم عليه أنت ! فقال له شمر : أئبى تقول ذا ! قال : وأنت لى تقول ذا ! فاستبأ ، فقال له أبو الجنب - وكان شجاعاً : والله لعممت أن أخضخص السنان في عينك ، قال : فانصرف عنه شمر وقال : والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرك قال : ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل في الرجالة نحو الحسين ، فأخذ الحسين يشد عليهم فيكشفون عنه . ثم إنهم أحاطوا به إحاطة ، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله ، فأخذته أخته

٣٦٢/٧

زينب ابنة عليّ لثحبته ، فقال لها الحسين : احبسيه ، فأبى الغلام ، وجاء يشتد إلى الحسين ، فقام إلى جنبه ؛ قال : وقد أهوى بحر بن كعب بن حبيد الله من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة إلى الحسين بالسيف ، فقال الغلام : يا بن الخبيثة ، أتقتل عمي ! فصره بالسيف ، فاتقاه الغلام بيده فأطنتها إلا الحلدة ، فإذا يده معلقة ، فنادى الغلام : يا أمّته ! فأخذ الحسين فضمّه إلى صدره ، وقال : يا بن أخي ؛ اصبر على ما نزل بك ، واحتسب في ذلك الخير ، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين ؛ برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب وحزرة وجعفر والحسن بن عليّ ؛ صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : سمعت الحسين يوشذ وهو يقول : اللهم أمسك عنهم قطرة الماء ، وامنعهم بركات الأرض ، اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فیرقا ، واجعلهم طرائق قیداً ، ولا تُرض عنهم الولاة أبداً ، فإنهم دعونا لينصرونا ، فعندنا حلينا فقتلونا . قال : وضارب الرجال حتى انكشفوا عنه ؛ قال : ولما بقي الحسين في ثلاثة رمل أو أربعة ، دعا سراويل محقة^(١) يلعب فيها البصر ، يتيماني محقق ، ففره ونكته^(٢) لكيلا يسأيه ، فقال له بعض أصحابه : لو لبست تحت ثياباً^(٣) ! قال : ذلك ثوب مذلة ؛ ولا ينبغي لي أن ألبسه ؛ قال : فلما قيل أقبل بحر بن كعب فسلمه إياه فتركه مجرّداً .

قال أبو مخنف : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن محمد بن عبد الرحمن أن يدعى بحر بن كعب كان في الشتاء تنفخ حان الماء ، وفي الصيف تيبسان كائهما حود .

قال أبو مخنف : عن الحجاج^(٤) ، عن عبادة بن عمار بن عبد يغوث البارقي ،

(١) ثوب محقق : عكم النج .

(٢) لكته ، أي نقض نجه .

(٣) الثيابان كرميان : سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة .

(٤) ط : الحجاج بن عبد الله ، وهو خطأ ، وانظر التمهيد .

وحُتِبَ على عبد الله بن عمار بعد ذلك مشهده قتل الحسين، فقال عبد الله بن عمار : إن لي عند بني هاشم لبيداً ، قلنا له : وما يدرك عندكم ؟ قال : حملتُ على حسين بالرمح فأنتهيت إليه ، فوالله لو شئت لعلعنته ، ثم انصرفت عنه غير بعيد ، قلت : ما أصنع بأن أتولى قتله! يقتله غيري . قال : فشد عليه رجالة مَن عن يمينه وشماله ، فحمل على مَن عن يمينه حتى ابذعروا ، وعلى مَن عن شماله حتى ابذعروا ، وعليه قميص له من خَزٍّ وهو معتمٌ ، قال : فوالله ما رأيت مكسوراً^(١) قط! قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جاشاً ، ولا أمضى جثثاً ولا أجراً مقدماً منه ، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله ، أن كانت الرجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المِعزى إذا شدَّ فيها اللذب ؛ قال : فوالله إنه لكللك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أختي ، وكأني أنظر إلى قُرطها يحول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول : ليت السماء تطابقت على الأرض ! وقد دنا عمر بن سعد من حسين ؛ فقالت : يا عمر بن سعد ، أيقُتِل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه ! قال : فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خديته ولحيته ؛ قال : وصرف بوجهه عنها .

٣٦٥/٢

قال أبو مخنف : حدثني الصَّعْقَب بن زهير ، عن حُصَيْد بن مسلم ، قال : كانت عليه جُبَّة من خَزٍّ ، وكان معتماً ، وكان مَغضوباً بالوَسِمة ، قال : وسمَّته يقول قبل أن يُقْتَلَ ، وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع يتقى الرمية ، ويفترس^(٢) العورة ، ويشدُّ على الخيل ، وهو يقول : أهلى قتل تَحاثُّون ! أما والله لا تَقْتُلُون بعدى حَبِداً من عباد الله أسخط عليكم لِقَتْلَهُ مني ؛ وإيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله أن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم ، صفك دماءكم ، ثم لا يَرْضَى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعَلوا ، ولكنهم كان يتقى بعضهم بعضاً ، ويحب هؤلاء أن يكفيتهم هؤلاء ؛ قال :

(١) المكسور = الكسير المجزوم . (٢) افترس العورة : انتهبها .

فنادى شمر في الناس : وَيَحْكَمْ ، ماذا تنظرون بالرجل! اقطبوا ثيابكم
أمتهاكم إقال : فحمل عليه من كل جانب ، ففُصِرَتْ كَفُّهُ الْيُسْرَى ضَرْبَةً ،
ضربها زُرْعَةُ بن شريك التميمي ، وضُربَ حلي عاتقه ، ثم انصرفوا وهو يمشي
ويكسبو ، قال : وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو التَّخَمِي
فطَمَنَهُ بِالرَّمْحِ فَوَقَعَ ، ثم قال لَحْوَلَى بن يزيد الأصبحي : احتز رأسه ، فأراد
أن يفعل ، فضعف فأرجد ، فقال له سنان بن أنس : فت الله عضدك^(١) ،
وأبان يَدَيْكَ ! فترل إليه فذبحه واحتز رأسه ، ثم دفع إلى خَوَلَى بن يزيد ،
وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف .

قال أبو مخنف ، عن جعفر بن محمد بن علي ، قال : وُجِدَ بالحسين
عليه السلام حين قُتِلَ ثلاثٌ وثلاثون طعنة وأربعٌ وثلاثون ضربة ، قال :
وجعل سنان بن أنس لا يذنو أحدٌ من الحسين إلا شدَّ عليه مخافة أن يَغْلِبَ
حلي رأسه ، حتى أخذَ رأسَ الحسين فدفعه إلى خَوَلَى ، قال : وسلبَ
الحسين ما كان عليه ، فأخذ سراويله بحرين كعب ، وأخذ قيس بن الأشعث
قطيفته - وكانت من خَزَ ، وكان يسمى بعد قيس قطيفة - وأخذ نعليه رجل
من بني لؤد يقال له الأسود ، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم ،
فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بُدَيْل ، قال : ومال الناس على الورس
والحلل والإبل وانتهبوا ، قال : ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه ،
فإن كانت المرأة لتتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُطَلَّبَ عليه فيذهب به منها .

قال أبو مخنف : حدثني زهير بن عبد الرحمن التميمي ، أن سويد بن
عمرو بن أبي المطاع كان صُريح فائخين ، فوقع بين القتل مُشَخَّصًا ،
فسمعهم يقولون : قُتِلَ الحسين ، فوجد إفاقة ، فإذا معه سكين وقد أخذ
سيفه ، فقاتلهم بسكينه ساعة ، ثم إنه قُتِلَ ، قَتَلَهُ عروة بن بطار التظلي ،
وزيد بن رقاد الجني ، وكان آخر قتيل .

قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ،

قال ، انتهيتُ إلى عليّ بن الحسين بن عليّ الأصغر وهو منبسط على فراش له ، وهو مريض ، وإذا شَمِير بن ذى الجوشن في رَجالة معه يقولون : ألا تقتل هُلَا ؟ قال : قُلتُ : سبحان الله ! أقتل الصبيان ! إنما هذا صبيّ ، قال : فما زال ذلك دأبى أدفع عنه كلَّ مَنْ جاء حتى جاء عمر بن سعد ، فقال : ألا لا يدخلنَ بيتَ هؤلاء النسوة أحد ، ولا يَعرِضنَ هُلَا الغلام المريض ، ومنَّ أحد من متاعهم شيئاً فليرده عليهم . قال : فوالله ما ردَّ أحد شيئاً ، قال : فقال عليّ بن الحسين : جُرّيت من رجل غيراً ! فوالله لقد دفع الله عنى بمقاتلك شراً ، قال : فقال الناس لسان بن أنس : قتلتَ حسين بن عليّ وابن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتلتَ أعظم العرب خطراً ، جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم ، فأنت أمراءك فاطمك ثوابك منهم ، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً ، فأقبل على فرسه ، وكان شجاعاً شاعراً ، وكانت به لُوبة ، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ، ثم نادى بأعلى صوته :

أَوْقِرْ رُكَابِي فُصَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحِبِّينَا

قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبَا

فقال عمر بن سعد : أشهد إنك لجنون ما صحبتَ قطّ ، أدخلوه عليّ ، فلما أدخل حَكَمَهُ بالقضيب ثم قال : يا مجنون ، أتتكلّم بهذا الكلام ! أما والله لو سمعت ابن زياد لضرب عُنُقَكَ ، قال : وأخذ عمر بن سعد عُقْبَةَ بن سَحْمَانَ وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبيّة ، وهي أم سَكِينَةَ بنت الحسين — فقال له : ما أنت ؟ قال : أنا عبدٌ مملوك ، فخطى سبيله ، فلم ينجُ منهم أحد غيره ، إلا أن المرقع بن ثمامة الأسدي كان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه ، فقاتل ، فجاءه قهر من قومه ، فقالوا له : أنت آمين ، أخرجُ إلينا ، فخرج إليهم ، فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبره سيّره إلى الزُورة . قال : ثم إن عمر بن سعد نادى في أصحابه : مَنْ يَشْتَلِبُ للحسين ويوطئه فرسه ؟ فانتدب عشرة : منهم إسحاق بن حيوة الحضرمي ،

وهو الذي سلب قميص الحسين - فبرص بعد - وأحبش بن مرثد بن علقمة ابن سلامة الحضرمي، فأثروا فدايسوا الحسين بخيولهم حتى رخصوا ظهره وصلبته، فبلغني أن أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاها سهم غريب^(١)، وهو واقف في قتال ففككت قلبه، فمات، قال: قُتِلَ من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً، ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قُتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم، قال: وما هو إلا أن قُتِلَ الحسين، فسرح برأسه من يومه ذلك مع خوّلى بن يزيد وحמיד بن مسلم الأزدي إلى صبيد الله بن زياد، فأقبل به خوّلى فأراد القصر، فوجد باب القصر مغلّقاً، فأتى منزله فوضعه تحت إجماعة في منزله، وله امرأتان: امرأة من بني أسد، والأخرى من الحضرميين يقال لها النّوّار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية.

قال هشام: فحدثني أبي، عن النّوّار بنت مالك، قالت: أقبل خوّلى برأس الحسين فوضعه تحت إجماعة في الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتكم بفنئى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار، قالت: فقلت: ويلك - جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً، قالت: فقممت من فراشي، فخرجت إلى الدار، فديها الأسدية فأدخلها إليه، وجلست أنظر، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يستطع مثل العمود من السماء إلى الإجماعة، ورأيت طيراً أيضاً تُعرف حولاً. قال: فلما أصبح غداً بالرأس إلى عبيد الله بن زياد، وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمرى فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وهلى ابن الحسين مريضاً.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو زهير العبسي، عن قرّة بن قيس التميمي،

(١) سهم غريب: لا يدرى رايه.

قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن واطمن وجوههن. قال: فاعترضتهن على فرس، فما رأيت منظرًا من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك [اليوم]، والله لمن أحسن من مهابة يبرين. قال: فما نسبت من الأشياء لأنس قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه! صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسقى عليها الصبا. قال: فأبكت والله كل عدو وصديق؛ قال: وقطف رموس الباقين، فسرح بائنين وسبعين رأساً مع شمير بن ذى الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وهزرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرّخني إلى أهله لأبشّرم بفتح الله عليه وبعايته، فأقبلت حتى أتيت أهله، فأعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه، فأدخلهم، وأذن للناس، فدخلت فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له: اعمل بهذا القضيب عن هاتين التنتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شمس رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضخ الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله حنيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خربت وذهب عقلك لضربت عنقك؛ قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله؛ قال: قلت: ما قال؟ قالوا: مر بنا وهو يقول: ملك جد جدكم، فاتخذكم تكدًا؛ أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة؛ فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراؤكم، فرضيت بالذل، فبعدكم لمن رضى بالذل!

قال : فلما دخل برأس حسين وصبيان وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد ليست زينب ابنة فاطمة أرذل^(١) ثيابها ، وتكثرت ، وحضت بها إمامها ، فلما دخلت جلست ، فقال عبيد الله بن زياد : من هذه الجالسة ؟ فلم تكلمه ؛ فقال ذلك ثلاثا ، كل ذلك لا تكلمه ، فقال بعض إمامها : هذه زينب ابنة فاطمة ؛ قال : فقال لها عبيد الله : الحمد لله الذى فتصحك وقتلكم وأكذب أحد وثكم ! فقالت : الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهرنا تطهيرا ، لا كما تقول أنت ، إنما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، قال : فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ! قالت : كُتِبَ عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحتاجون إليه ، وتخاصمون عنده ؛ قال : فغضب ابن زياد واستشاط ؛ قال : فقال له عمرو ابن حريث : أصلح الله الأمير ! إنما هى امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشئ من منطلقها ! إنما لا تؤاخذ بقول ، ولا تلام على خطئ ، فقال لها ابن زياد : قد أشنى الله نفسى من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك ؛ قال : فبكت ثم قالت : لعمري لقد قتلت كهلى ، وأبرت^(٢) أهلى ، وقطعت فرعى ، واجتشت أصلى ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت ، فقال لها عبيد الله : هذه شجاعة ، قد لعمري كان أبوك شاعرا شجاعا ؛ قالت : ما للمرأة والشجاعة ! إن لى من الشجاعة لشغلا ، ولكن^(٣) نفسى ما أقول .

قال أبو مخنف ، عن الحمالد بن سعيد : إن عبيد الله بن زياد لما نظر إلى على بن الحسين قال لشرطى : انظر هل أدرك ما يدرك الرجال ؟ فكشط لإزاره عنه ، فقال : نعم ، قال انطلقوا به فاضربوا عنقه ، فقال له على : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلا يحافظ عليهن ، فقال له ابن زياد : تعال أنت ، فيعته معهن .

قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبى راشد ، فحدثنى عن حميد بن مسلم

(١) أرذل الثياب : الردى منها .

(٢) ابن الأثير : « وأبرزت » .

(٣) ط : « ولكنى » .

قال : إني لقاتم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين ، قال : أُولم يقتل الله علي بن الحسين ! فسكت ، فقال له ابن زياد : ما لك لا تتكلم ! قال : قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي ، فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، قال : فسكت علي ، فقال له : ما لك لا تتكلم ! قال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ^(١) ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، قال : أنت والله منهم ، ويحك ! انظروا هل أدرك ؟ والله إني لأحسبه رجلاً ، قال : فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري ، قال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتله ، فقال علي بن الحسين : من توكّل هؤلاء النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمة فقالت : يابن زياد ، حبسك منا ، أما رويت من دعائنا ! وهل أبقيت منا أحداً ! قال : فاعتنقته فقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتي معه ! قال : وناداه علي فقال : يابن زياد ، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث مهن رجلاً نقياً يصحبهن بصحبة الإسلام ، قال : فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم فقال : حبباً للرحيم ! والله إني لأظنها ودّت لو أني قتلته أني قتلتها معه ، دعوا الغلام ، انطلق مع نساءك .

٢٧٣/٢

قال حميد بن مسلم : لما دخل عبيد الله القصير ودخل الناس ، فودى : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فصعد المنبر ابن زياد فقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب ، الحسين بن علي وشيعته ، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عتيق الأزدي ثم الغامدي ، ثم أحد بني والبة - وكان من شيعة علي كرم الله وجهه ، وكانت حينه اليسرى ذعبت يوم الجمل مع علي ، فلما كان يوم حنين ضرب علي رأسه ضربة ، وأخرى على حاجبه ، فذهبت عنه الأخرى ، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصل فيه إلى الليل ثم يتصرف - قال : فلما سمع مقالة ابن زياد ، قال :

٢٧٤/٢

(١) سورة الزمر: ٤٢ -

(٢) سورة آل عمران: ٤٥ -

يأين مَرَجَانة ، إِنَّ الْكَذَّابَ ابْنُ الْكَذَّابِ أَنْتَ وَأَبُوكَ وَاللَّيْ وَلَئِكَ وَأَبُوه ،
يأين مَرَجَانة ، أَتَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ النَّبِيِّينَ ، وَتَكَلِّمُونَ بِكَلَامِ الصَّدِّيقِينَ ! فقال ابن
زياد : على به ، قال : فوثبت عليه الجملانة فأعطوه^(١) ، قال : فنادى
بشعار الأزد : يا مبرور - قال : وعبد الرحمن بن غنم الأزدى جالس - فقال :
ويح غيرك ! أهلكك نفسك ، وأهلكك قومك ، قال : وحاصر الكوفة يومئذ
من الأزد سبعمائة مقاتل ، قال : فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوهم فأتوا به
أهله ، فأرسل إليه من أتاه به ، فقتله وأمر بصلبه في السَّبْخَةِ^(٢) ، فصلب
هناك .

قال أبو غنم : ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة ،
فجعل يُدَار به في الكوفة ، ثم دعا زحر بن قيس فصرح معه برأس الحسين
ورموس أصحابه إلى يزيد بن معاوية ، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف
الأزدى وطارق بن أبي ظبيان الأزدى ، فخرجوا حتى قتلوا بها الشام على
يزيد بن معاوية .

قال هشام : فحدثني عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زُبَيْع الجُلْدِي ،
عن أبيه ، عن الغاز بن ربيعة الجُرَشِي ، من حمير ، قال : والله إنا لعند يزيد
ابن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية ،
فقال له يزيد : ويلك ! ما وراءك ؟ وما عندك ؟ فقال : أبشر يا أمير المؤمنين
بفتح الله ونصره ، ورَد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته
وستين من شيعته ، فسرنا إليهم ، فسالناهم أن يستسلموا ويتزلوا على حكم الأمير
عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال على الاستسلام ، فعدونا عليهم
مع شروق الشمس ، فأسطنا بهم من كل ناحية ، حتى إذا أخذت السيوف
مأخذها من هام القوم ، يهربون إلى غير وَرَر ، ويلوذون منا بالأكام والخفر ،
لواذاً كما لا ذل الحماة من صقر ، فوافقه يا أمير المؤمنين ما كان إلا جَزَرَ

٢٧٥/٢

(١) الجملانة : القمل ، وجهه جملانة .

(٢) ابن الأثير : « السجدة » .

جَزَّوْرٍ أَوْ نَوْمَةٍ قَاتِلٍ حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى آخِرِهِمْ ، فَهَاتَيْكَ أَجْسَادُهُمْ مَجْرَدَةً ،
وَشِيَابُهُمْ مَرْمَلَةً ^(١) ، وَخُلُودُهُمْ مَخْفَرَةٌ ، تَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ ، وَتَسْنَى عَلَيْهِمُ
الرِّيحُ ، زُؤَارِهِمُ الْعَبْقَابَانِ وَالرَّحِمُ بَقِيَّ سَبَبٍ ^(٢) . قَالَ : فَدَمَعَتْ عَيْنُ
يَزِيدَ ، وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَرْضَى مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، لِمَنْ أَلَّهِ ابْنُ
سُمَيَّةَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَتَى صَاحِبَهُ لَعَفَوْتُ عَنْهُ ، فَرَحِمَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ ! وَلَمْ يَصْلِهِ
بَشَى .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عَبِيدَ اللَّهِ أَمَرَ بِنِسَاءِ الْحُسَيْنِ وَصَبِيَّانِهِ فَمُجْهَرَتْنِ ، وَأَمَرَ بِعَلَى
ابْنِ الْحُسَيْنِ فَخُلَّ بِقَلِّ إِلَى عَتَقِهِ ، ثُمَّ سَرَحَ بِهِمْ مَعَ مُحَقَّرَ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْعَائِلِيِّ ،
عَائِلَةُ قَرِيشٍ وَمَعَ شُرَاحِ بْنِ ذِي الْحَوْشِ ، فَانْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ ،
فَلَمْ يَكُنْ عَلَى ابْنِ الْحُسَيْنِ يَكْلِمُ أَحَدًا مِنْهُمَا فِي الطَّرِيقِ كَلِمَةً حَتَّى بَلَغُوا ، فَلَمَّا
انْتَهَوْا إِلَى بَابِ يَزِيدَ رَفَعَ مُحَقَّرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ صَوْتَهُ ، فَقَالَ : هَذَا مُحَقَّرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَتَامِ الْفَسَجَرَةِ ، قَالَ : فَأَجَابَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ : مَا وَلَدَتْ أُمُّ
مُحَقَّرٍ شَرًّا وَالْأُمُّ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : حَدَّثَنِي الصَّقْعَبِيُّ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ : لَمَّا وُضِعَتِ الرُّمُوسُ بَيْنَ يَدَيْ يَزِيدَ - رَأْسُ الْحُسَيْنِ
وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ - قَالَ يَزِيدُ :

يُفْلَقَنَّ هَامَأُ مِنْ رِجَالِ أُعْرَةَ عَطَيْنَاوَهُمْ كَانُوا أَعْقًا وَأَعْظَمًا ^(٣)
أَمَا وَاللَّهِ يَا حُسَيْنُ ، لَوْ أَنَا صَاحِبُكَ مَا قَتَلْتُكَ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ : حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الْعَبْسِيُّ ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْعَبْسِيِّ ، قَالَ :
فَقَالَ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ :

لِهَامٍ بِجَنْبِ الطُّغْأَذَى قَرَابَةً مِنْ أَبْنِ زِيَادِ الْعَبْدِ ذِي الْحَسَبِ الْوَهْلِ
سُمَيَّةُ أَمْسَى نَسْلُهَا عَدَدُ الْحَصَى وَنَسْتُ رَسُولَ اللَّهِ كَيْسَ لَهَا نَسْلُ

(١) مرملة : أي ملطخة بالدم .

(٢) ألق ، من القواء ، وهي الأرض القفر الخالية . والسبب : الخفاقة .

(٣) الحسين بن همام ، من المفضلية ١٢ .

قال : فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال : اسكت .

قال : ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله ، ثم دعا يحيى بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلوا عليه والناس ينظرون ، فقال يزيد لمي : يا علي ، أبوك الذي قطع رحمي ، وجهل حتى ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت ! قال : فقال علي : ٢٧٧/٢

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ (١) ، فقال يزيد لابنه خالد : اردد عليه ، قال : فما ردّ خالد

ما يردّ عليه ، فقال له يزيد : قل : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٢) ، ثم فسكت عنه ، قال : ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه ، فرأى هيئة قبيحة ، فقال : فيح الله ابن مَرْجَانة ! لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم ، ولا بعث بكم هكذا .

قال أبو مخنف ، عن الحارث بن كعب ، عن فاطمة بنت علي ، قالت : لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقى لنا ، وأمرنا لنا بشيء ، وألطفنا ؛ قالت : ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه — يعني ، وكنت جارية وضبة — فأرعدت وقرعت ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، وأخذت بشباب أخى زينب ؛ قالت : وكانت أخى زينب أكبر مني وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون ، فقالت : كذبت والله ولؤمت ! ما ذلك لك وله (٣) ، فغضب يزيد ، فقال : كذبت والله ، إن ذلك لي ، ولو شئت أن أفعله لفعلت ؛ قالت : كلا والله ، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا ، وتدين بغير ديننا ؛ قالت : فغضب يزيد واستطار ، ثم قال : إني أرى مستقبلين بهذا ! إنما خرج من الدين أبوك

(١) سورة الحديد: ٢٢ .

(٢) سورة الشورى: ٣٠ .

(٣) ابن الأثير : ولا له .

وأخوك ، قالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك ، قال : كذبت يا عدوة الله ، قالت : أنت أمير مسلط ، تشتم ظالمًا ، وتظهر بسلطانك ، قالت : فوالله لكانه استحميا ، فسكت ، ثم عاد الشاعى فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لى هذه البخارية ، قال : اعزب ، وهب الله لك حثثًا قاضيًا ! قالت : ثم قال يزيد بن معاوية : يا نعمان بن بشير ، جهزهم بما يصلحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أمينًا صالحًا ، وابعث معه غيلاً وأعوانًا فيسير بهم إلى المدينة ، ثم أمر بالنسوة أن ينزلن فى دار علي حيدة ، معهن ما يصلحهن ، وأخوهن معهن علي بن الحسين ، فى الدار التى هن فيها . قال : فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكى وتنوح على الحسين ، فأقاموا عليه المناحة ثلاثًا ، وكان يزيد لا يتعدى ولا يتعشى إلا دعا علي بن الحسين إليه ، قال : فدعاه ذات يوم ، ودعا عمر بن الحسن بن علي^(١) وهو غلام صغير ، فقال لعمر بن الحسن : أتقاتل هذا الفقى ؟ يعنى خالدًا ابنه ، قال : لا ، ولكن أعطني سكينًا وأعطه سكينًا ، ثم أقامه ، فقال له يزيد ، وأخذ فضمه إليه ثم قال : « شيشنة أهرقها من أعزهم » هل تكيد الحية إلا حية ! قال : ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد علي بن الحسين ثم قال : لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو ألقى صاحبه ما سألنى خصلة أبدًا إلا أعطيتها إياه ، ولدفعته التختف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض وكدى ، ولكن الله قفى ما رأيت ، كاتبتى وأنه كل حاجة تكون لك ، قال : وكساهم وأوصى بهم فلك الرسول ، قال : فخرج بهم وكان يساهمهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولتهم كهية الحرس لهم ، ويترل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتمش ، فلم يزل يناديهم فى الطريق هكذا ، ويسألم عن حوائجهم ، ويلطفهم حتى دخلوا المدينة . وقال الحارث بن كمب : فقالت لى فاطمة بنت علي : قلت لأختي زينب : يا أختي ، لقد أحسن هذا الرجل الشاعى إلينا فى صحبتنا ، فهل لك أن نعيله ؟ فقالت : والله ما معنا شىء نصيله به إلا حليتنا ، قالت

٣٧٨/١

٣٧٩/٢

لها : فنعطيه حليتنا ، قالت : فأخذتُ سيواري ودملجتي ^(١) وأخذتُ أختي سيوارها ودملجتها ، فبعثنا بذلك إليه ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : هذا جزاؤك بصحبتك إيتانا بالكسَن من الفحل ، قال : فقال : لو كان الذي صنعتُ إنما هو للدنيا كان في حليكن ما يرضيني ودونته ، ولكن والله ما فعلته إلا لله ، ولقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال هشام : وأما عتانة بن الحكمم الكلبى فإنه قال : لما قُتل الحسين رجمه بالأكفال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله ، فبينما القوم محبسون ^(٢) إذ وقع حجر في السجن ، معه كتاب مربوط ، وفي الكتاب خرج البريد بأمرهم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية ، وهو سائر كذا وكذا يومًا ، وراجع في كذا وكذا ، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل ، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله ، قال : فلما كان قبل قدوم البريد يومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى في السجن ، ومعه كتاب مربوط وموسى ، وفي الكتاب : أوصوا واهتدوا فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا . فجاء البريد ولم يسمع التكبير ، وجاء كتاب بأن سرح الأسارى إلى . قال : فدعا عبيد الله ابن زياد محفّز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجوشن ، فقال : انطلقوا بالفضل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، قال : فخرجوا حتى قدموا على يزيد ، فقام محفّز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته : جثنا برأس أحمرق الناس والأميةم ، فقال يزيد : ما ولدت أم محفّز الأم وأحمرق ، ولكنه قاطع ظالم ، قال : فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين ، قال :

- يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعز وأظلم

ثم قال : أتدرون من أين أتى هذا ؟ قال : أبى على خير من أبيه ، وأمى فاطمة خير من أمه ، وجدت رسول الله خير من جدّه ، وأنا خير منه وأحقّ

(١) التلج : ما يضح على الفخذ من الخلل .

(٢) ابن الأثير : « في الحبس » .

بهذا الأمر منه ؛ فأما قوله : «أبوه خيرٌ من أبي» ، فقد حاجَ أبي أباه ، وعلم الناسُ
 أيُّهما أحكمُ له ؛ وأما قوله : «أمي خيرٌ من أمه» ، فلحمرى فاطمةُ ابنة رسولِ
 الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من أمي ؛ وأما قوله : «جدي خيرٌ من جدته» ،
 فلحمرى ما أُحدِثَ يؤمن بالله واليوم الآخر يترى لرسول الله فينا عيلاً ولا نداءً ،
 ولكنه إنما أتى من قبل فقهِه ، ولم يقرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ
 تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
 مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَلِيلٌ ﴾^(١) . ثم أدخل نساء
 الحسين على يزيد ، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولكن .
 ثم إنهن أدخلن على يزيد ، فقالت فاطمة بنت الحسين — وكانت أكبرَ من
 سَكِينَةَ : «أبنات رسول الله سبايا يا يزيد ! فقال يزيد : يا ابنة أخي ، أنا لهذا
 كنت أكرهه ، قالت : والله ما ترك لنا خُرُوصَ^(٢) ، قال : يا ابنة أخي ما أت
 إليك أعظمَ مما أُخِذَ منك ، ثم أخرجن فأدخلن دارَ يزيد بن معاوية ، فلم
 تبق امرأةٌ من آل يزيد إلا أتتهن ، وأقمن المائتَ ، وأرسل يزيد إلى كل
 امرأة : ماذا أُخِذَ لك ؟ وليس منهن امرأةٌ تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد
 أضفنه لها ، فكانت سَكِينَةُ تقول : ما رأيتُ رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد
 ابن معاوية . ثم أدخل الأسارى إليه وفيهم علي بن الحسين ، فقال له يزيد :
 ليه يا علي ! فقال علي : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ •
 لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
 مُخَالِفٍ فَخَوِرْ ﴾^(٣) فقال يزيد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٤) ، ثم جهزه وأعطاه مالا ، وأورثه إلى المدينة .

٣٨١/٧

٣٨٢/٧

(١) سورة آل عمران: ٣٦٠ .

(٢) الخرص : حلقة القرب .

(٣) سورة الحديد: ٢٢، ٢٣ .

(٤) سورة النور: ٣٠ .

قال هشام، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو حمزة الثُمَالِيُّ، عن عبد الله الثُمَالِيِّ، عن القاسم بن بُخَيْتٍ، قال: لما أقبل وفدُ أهلِ الكوفةِ برأسِ الحسينِ دخلوا مسجدَ دمشق، فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً، فأَتَيْنَا والله على آتِهم، وهذه الرعوس والسبَايا، فوثب مروان فانصرف، وأَتَاهُم أَخُوهُ يَحْيَى بن الحكم، فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حُجِّبْتُمْ عن محمد يومَ القيامة، لن أجامعكم على^(١) أمر أبداً ثم قام فانصرف، ودخلوا على يزيد فوضِعوا الرأسُ بين يديه، وحدثوه الحديث. قال: فسمعتُ دَوْرَ الحديثِ هُند بنت عبد الله ابن عامر بن كُرَيْزٍ — وكانت تحت يزيد بن معاوية — فَتَحَنَّنَتْ بِثَوْبِهَا، وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله! قال: نعم فأعْطَوْنِي عليه، وحدثني علي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرخة قريش؛ عَجَلَ عَلَيْهِ ابن زياد فقتله قَتَلَهُ اللهُ! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيبٌ فهو يَتَكَبَّرُ به في ثَوْبِهِ، ثم قال: إِنَّ هَذَا وَإِنَّا كَمَا قَالَ الْحَصَيْنُ بنُ الْحَكَمِ الْمُرِّي:

يَفْلَقُنْ هَاماً مِنْ رِجَالِ أَحِبَةٍ إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقُ وَأَعْظَمَا

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو برزة الأسلمي: أَتُنْكِتُ بِقَضِيئِكَ فِي ثَوْبِ الْحُسَيْنِ! أما لقد أَخَذَ قَضِيئُكَ مِنْ ثَوْبِهِ مَا خَذَ، لَرَبِّمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْشِفُهُ، أَمَا إِنَّكَ يَا يَزِيدُ تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَابْنُ زِيَادٍ شَفِيعُكَ، وَيَحْيَى هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفِيعُهُ؛ ثُمَّ قَامَ فَوَلَّى.

قال هشام: حدثني عَوَاكَةُ بن الحكم، قال: لما قَتَلَ عبيدُ اللهِ بن زياد الحسينَ بن عليٍّ برأسه إليه، دعا عبد الملك بن أبي الحارث السَّلَمِيُّ فقال: انطلق حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشِّره بقتل الحسين — وكان عمرو بن سعيد بن العاص أميرَ المدينة يومئذ — قال: فذهب

ليُعتلَّ له ، فزجره - وكان عيد الله لا يُصطَلَّى بناؤه - فقال : انطلق حتى تأتَى المدينة ، ولا يسبقك الخبر ، وأعطاه دنانير ، وقال : لا تمُتْ ، وإن قامت بك راحتك فاشترِ راحلة ، قال عبد الملك : فقدمتُ المدينة ، فلقيتُ رجُل من قريش ، فقال : ما الخبر ؟ قلت : الخبر عند الأمير ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قُتِلَ الحسين بن عليٍّ ؛ فدخلتُ على عمرو بن سعيد فقال : ما وراك ؟ قلت : ما سرُّ الأمير ، قُتِلَ الحسين بن عليٍّ ، فقال : نادِ بقتله ، فناديتُ بقتله ، فلم أسمع والله وأعيةً قط^(١) مثل وأعية نساء بني هاشم في دُورهنَّ على الحسين ، فقال عمرو بن سعيد وضحك :

عَجَّتْ نساءُ بني زياد عَجَّةً كَمَجِيجِ نِسْوَتِنَا غَدَاةَ الْأَرْنبِ^(٢) ٣٨٤/٢

والأرنب : وقعةٌ كانت لبني زُيَيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب ، من رَهط عبد المدان ، وهذا البيتُ لعمرو بن معديكرب ، ثم قال عمرو : هذه وأعية بواحية حُثَّان بن حُفَّان ، ثم صعد المنبرَ فأعلمَ الناسَ قتله .

قال هشام ، عن أبي غنم ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبي الكتند ، قال : لما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنه مع الحسين ، دخل عليه بعضُ مواليه والناس يعزونه - قال : ولا أظنَّ مولاه ذلك إلا أبا السَّلاس - فقال : هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين ! قال : فحذَّفه عبدُ الله بن جعفر بنعله ، ثم قال : يابن اللِّخَاء ، أَلْحَسِينَ تقول هذا ! والله لو شهدته لأحييتُ إلا أفاقرته حتى أقتلَ معه ، والله إنه لما يسخى بنفسى عنهما ، ويهون عليَّ المصاب بهما ، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيتين له ، صابرين معه . ثم أقبل على جلسائه فقال : الحمد لله عزَّ وجلَّ على مَصْرَعِ الحسين ، إلا تكن آستَ حسيثاً يدي ، فقد آسَاه وكندى . قال : ولَمَّا آتَى أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَقْتُلَ الْحُسَيْنِ خَرَجَتْ ابْنَةُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَهَا نِسَائُهَا وَهِيَ حَاسِرَةٌ تَلْوِي بِثَوْبِهَا وَهِيَ تَقُولُ :

(١) الرواية : لم تصرخ على الميت .

(٢) الحسن ١ : ٤١٩ ، ونسبه إلى عمرو بن معديكرب ، وروايته : « بن زياد » .

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ الْآثِمُونَ
بِشَرِّهِ وَيَأْهُلِي بَعْدَ مُفْتَقِدِي مِنْهُمْ أَسَأَرَى وَمِنْهُمْ شَرُّ جَوَا بِلَمْ ! ٢٨٥/٢

قال هشام : عن عوانة ، قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين : يا عمر ، أين الكتاب الذي كتبتُ به إليك في قتل الحسين ؟ قال : مضيتُ لأمرِك وضاع الكتاب ؛ قال : لتجيتنَّ به ؛ قال : ضاع ؛ قال : والله لتجيتنني به ؛ قال : ترك والله يُقرأ على عجاتر قريش اعتذاراً إليهنَّ بالمدينة ، أمّا والله لقد نصحتك في حسين نصيحةً لو نصحتها أبي سعد ابن أبي وقاص كنت قد أديت حقّه ، قال عثمان بن زياد أنحو عبيد الله : صدق والله ، . كُتِّبَتْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَنِي زِيَادَ رَجُلٌ إِلَّا وَفَى أَنْفَهُ خِزَامَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنْ حُسَيْنًا لَمْ يُقْتَلَ ؛ قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله .

قال هشام : حدثني بعض أصحابنا ، عن عمرو بن أبي المقدام ، قال : حدثني عمرو بن عكرمة ، قال : أصبحنا صبيحةً قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولتي لنا يحدثنا ، قال : سمعتُ الباردة منادياً ينادي وهو يقول :

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ جَهَنَّمًا حُسَيْنًا أَبْشِرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ
كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَمَلَائِكَةٍ وَقَبِيلٍ^(١)
قَدْ لُعِنْتُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ وَمُوسَى وَحَامِلِ الْإِنْجِيلِ^(٢)

قال هشام : حدثني عمر بن حيزوم الكلبي ، عن أبيه ، قال : سمعتُ هذا الصوت .

• • •

ذَكَرَ أَهْمَاءَ مَنْ قُتِلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَعَدَدَ مَنْ قُتِلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي قَاتَلَتْهُ

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ جِيءَ ٢٨٦/٢

(١) ط : « وملك قبيل » .

(٢) ابن الأثير : « وصاحب الإنجيل » .

برموس مَن قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد ،
فجاءت كِنْدَةَ بثلاثة عشر رأساً ، وصاحبهم قيس بن الأشعث ، وجاءت
هَوازَنُ بمِثْرَيْنِ رأساً وصاحبهم شَمْر بن ذى الجَوْشَن ، وجاءت تميم بسبعة
عشر رأساً ، وجاءت بنو أسد بسة أرويس ، وجاءت مَذْحِج بسبعة أرويس ،
وجاء سائرُ الجليش بسبعة أرويس ، فذلك سبعون رأساً .

قال : وقُتِلَ الحسين - وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم -
قَتَلَهُ سنان بن أنس التَّخَمِيّ ثم الأَصْبَحِيّ وجاء برأسه خَوَلِيّ بن يزيد ،
وقُتِلَ العباس بن عليّ بن أبي طالب - وأمه أمّ البنين ابنة حزام بن خالد بن
ربيعة بن الوحيد، قتله زيد بن رُقَاد الجَنْثِيّ^(١) - وحكيم بن الطفيل السَّنْبِيسِيّ ،
وقتل جعفر بن عليّ بن أبي طالب - وأمه أمّ البنين أيضاً - وقُتِلَ عبد الله بن عليّ
ابن أبي طالب - وأمه أمّ البنين أيضاً - وقُتِلَ عثمان بن عليّ بن أبي طالب - وأمه
أمّ البنين أيضاً - رماه خَوَلِيّ بن يزيد - بهم فقتله ، وقُتِلَ محمد بن عليّ بن
أبي طالب - وأمه أم ولد - قتله رجل من بني أبان بن دارم ، وقُتِلَ أبو بكر بن
عليّ بن أبي طالب - وأمه ليلي ابنة مسروق بن خالد بن مالك بن ربيعة بن
سُلَيْمِيّ بن جندل بن بُهْشَل بن دارم ، وقد شُكِّ في قتله - وقُتِلَ عليّ
ابن الحسين بن عليّ - وأمه ليلي ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب
القفّ ، وأمها ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب - قتله مرة بن مُسْقَد بن
النعمان العبديّ ، وقُتِلَ عبد الله بن الحسين بن عليّ - وأمه الرِّبَاب ابنة امرئ القيس
ابن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلم من كلب - قتله هانيّ
ابن ثُبَيْت الحضرميّ ، واستصغِرَ عليّ بن الحسين بن عليّ فلم يُقْتَل ، وقُتِلَ
أبو بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب - وأمه أم ولد - قتله عبدُ الله بن
عقبة الغنَويّ^(٢) ، وقُتِلَ عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب - وأمه أم
ولد - قتله حرملة بن الكاهن ، رماه بهم ، وقُتِلَ القاسم بن الحسن بن عليّ -
وأمه أم ولد - قتله سعد بن عمرو بن نُفَيل الأزديّ ، وقُتِلَ عون بن عبد الله

٢٨٧/٢

(١) ابن الأثير : « زيد بن داود » .

(٢) في ابن الأثير : « قتله حرملة الكاهن » .

ابن جعفر^(١) بن أبي طالب - وأمه جمانة ابنة المسيب بن نَجَبَة بن ربيعة بن رياح من بني فزارة - قتلته عبد الله بن قُطَيْبَة الطائي ثم النَّبْهَانِي ، وقُتِل محمد ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - وأمه الخوصاء ابنة خَصَمَة بن قَيْف بن ربيعة بن عائد بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل - قُتِله عامر ابن نَهْشَل التيمي ، وقُتِل جعفر بن عقيل بن أبي طالب - وأمه أمّ البنين ابنة الشقر بن المضاب - قتلته بشر بن حَوْط^(٢) الحمداني ، وقُتِل عبدالرحمن ابن عَقِيل - وأمه أمّ ولد - قتلته عَنان بن خالد بن أسير الجُهَنِي ، وقُتِل عبد الله بن عقيل بن أبي طالب - وأمه أمّ ولد - رماه عمرو بن صَبِيح الصّدائِي^(٣) قتلته ؛ وقُتِل مسلم بن عَقِيل بن أبي طالب - وأمه أمّ ولد ، وكُتِل بالكوفة - وقُتِل عبد الله بن مسلم بن عَقِيل بن أبي طالب - وأمه رُقَيْة ابنة عليّ بن أبي طالب وأمها أمّ ولد - قتلته عمرو بن صَبِيح الصّدائِي ؛ وقيل : قتلته أسيد بن مالك الحضرمي ، وقُتِل محمد بن أبي سعيد بن عقيل - وأمه أمّ ولد - قُتِله لقيط بن ياسر الجُهَنِي ، واستَصغَر الحسن بن الحسن بن عليّ ، وأمه خولة ابنة منظور بن زَيْنَان بن سيار القَرَارِي ، واستَصغَر عمر بن الحسن بن عليّ فَرَك فلم يَقُتِل - وأمه أمّ ولد - وقُتِل من الموالى سليمان مولى الحسين بن عليّ ، قتلته سليمان بن عوف الحضرمي ، وقُتِل مُنْجِيع مولى الحسين بن عليّ ، وقُتِل عبد الله بن بَقَطَر رَضِيع الحسين بن عليّ .

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي ، أن عبيد الله ابن زياد بعد قتل الحسين تفقد أشرف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحرّ ، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه ، فقال : أين كنت يا ابن الحرّ ؟ قال : كنت مريضاً ؛ قال : مريض القلب ، أو مريض البدن ! قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد منّ الله عليّ بالعافية ، فقال له ابن زياد : كذبت ؛ ولكنتك كنت مع عدونا ؛ قال : لو كنت مع عدوك لَرُفِي مكاني ، وما كان مثل مكاني يخفى ؛ قال : وغفل عنه ابن زياد غفلةً ، فخرج ابن الحرّ فقعده

(١) ابن الأثير : « قُتِله حَبْش بن أبي جعفر » .

(٢) ويقال « بشر بن حوط » ، وانظر ص ٤٤٧ س ٩ .

(٣) ابن الأثير : « الصّدائِي » .

على فرسه ، فقال ابن زياد : أين ابن الحر ؟ قالوا : خرج الساعة ، قال :
على به ، فأحضرت الشرط فقالوا له : أجب الأمير ، فطع فرسه ثم قال :
أبلغوه أنني لا آتيه والله طائماً أبداً ، ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد
الطائي فاجتمع إليه في منزله أصحابه ، ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر
إلى مصارع القوم ، فاستغفر لهم هو وأصحابه ، ثم مضى حتى نزل المدائن ،
وقال في ذلك :

٣٨٩/٢

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقَّ غادرٍ : ألا كنتَ قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمة !
فيا ندى ألا أكونَ نصرتهُ ألا كلُّ نفسٍ لا تُسدِّدُ ناديةً
ولأنِّي لأنِّي لم أكن من حُمائي لذو حسرةٍ ما إن تفارقني لازمه
سقى الله أرواحَ الذين تآزروا على نصره سقى من الفيتن دأمة
وقفتُ على أجداثهم ومجالهم فكاد الحشا ينفضُ والعينُ ساجمة
لعمري لقد كانوا مصاليبَ في الوغى يبرأ إلى الهيجا حماة خضارمة
تآسوا على نصر ابن بنتِ نبيهم بأسيا فهم آسادٌ غيلٍ ضارِمة
فلأن يُقتلوا فكلُّ نفسٍ تقيَّة على الأرض قد أضحت لذلك واجمة
وما إن رأى الرائيونَ أفضلَ منهم لدى الموتِ ساداتٍ وزُهرًا قماجمة
أنقتلهم ظلماً وترجو ودادنا قدغ خطَّةٌ ليست لنا بعلاممة !
لعمري لقد راغمثمونا بقتلهم فكم ناقيمٍ مِنَّا عليكم بواقمة
أهمَّ يراد أن أسيرَ بجَحْضَلٍ إلى فتيةٍ زاعجتَ عن الحقِّ ظالمة
فكفُّوا وإلا دذنبكم في كتابي أشدَّ عليكم من زُحوفِ الدبالمة

٣٩٠/٢

. . .

[ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حدير]

وفي هذه السنة قتل أبو يلال مرداس بن عمرو بن حدير ، من ربيعة بن

حنظلة .

• ذكر سبب مقتله :

قال أبو جعفر الطبري : قد تقدم ذكر سبب خروجه ، وما كان من توجيه عبيد الله بن زياد إليه أسلم بن زرعة الكلابي في ألقى رجل ، والتقاتلهم بأسك وهزيمة أسلم وجيشه منه ومن أصحابه فيما مضى من كتابنا هذا . ولما هزم مرداس أبو بلال أسلم بن زرعة ، وبلغ عبيد الله بن زياد ، سرح إليه - فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو الخارق الراسبي - ثلاثة آلاف ، عليهم عباد بن الأخضر التميمي ، فأتبعه عباد يطلبه حتى لحقه بتوَّج ، فصفا له ، فحمل عليهم أبو بلال وأصحابه ، فقتلوا . وتعطف الناس عليهم فلم يكونوا شيئاً . وقال أبو بلال لأصحابه : من كان منكم إنما خرج للدنيا فليذهب ، ومن كان منكم إنما أراد الآخرة ولقاء ربه فقد سبق ذلك إليه ، وقرأ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ ^(١) ، فنزل وأمر أصحابه معه لم يفارقه منهم إنسان ، فقتلوا من عند آخرهم ، ورجع عباد بن الأخضر ، وذلك الجيش الذي كان معه إلى البصرة ، وأقبل عبيدة بن هلال معه ثلاثة نفر هو رابعهم ، فرصد عباد بن الأخضر ، فأقبل يريد قصر الإمارة وهو مردف ابناً له غلاماً ، صغيراً ، فقالوا : يا عبد الله ، قف حتى نستفتيك ، فوقف ، فقالوا : نحن إخوة أربعة ، قُتل أخونا ، فما ترى ؟ قال : استعدُّوا الأمير ، قالوا : قد استعدينا ، فلم يُعَدِّنا . قال : فاقطروا ، قتل الله ! فركبوا عليه فحكَّموا ، وألقى ابنه قتلوه .

• • •

[ذكر خبر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان]

وفي هذه السنة وكى يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان .

• ذكر سبب توليته إياه :

٢٩٢/٢

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حدثنا مسلمة بن

مُحَارِبِ بْنِ سَلَمِ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : وَقَدْ سَلِمْتُ مِنْ زِيَادٍ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : يَا أَبَا حَرْبٍ ، أَوْلَيْكَ عَمَلُ أَعْوِيكَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَبَادٌ ؟ فَقَالَ : مَا أَحَبُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَلَّاهُ خُرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ ، فَوَجَّهَهُ سَلِمُ الْحَارِثُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْحَارِثِيُّ جَدُّ عِمْسَى بْنِ شَيْبٍ مِنَ الشَّامِ إِلَى خُرَّاسَانَ ، وَقَدَّمَ سَلِمُ الْبَصْرَةَ ، فَتَجَهَّزَ وَسَارَ إِلَى خُرَّاسَانَ ، فَأَخَذَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْمَيْمِ السَّلْمِيَّ فَحَبَسَهُ ، وَضَرَبَ ابْنَهُ شَيْبًا ، وَأَقَامَهُ فِي سِرَاوِيلَ ، وَوَجَّهَ أَخَاهُ يَزِيدَ بْنَ زِيَادٍ إِلَى سِجِسْتَانَ . فَكُتِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ إِلَى عِبَادِ نَحْيِهِ - وَكَانَ لَهُ صَدِيقٌ - بِخَبْرِهِ بِلَايَةِ سَلِمٍ ، فَقَسَمَ عِبَادٌ مَا فِي بَيْتِ الْمَالِ فِي عِيْدِهِ ، وَفَضَّلَ فَضْلٌ فَتَادَى مُنَادِيَهُ : مَنْ أَرَادَ سَلَفًا فَلْيَأْخُذْ ، فَأَسْلَفَ كُلِّ مَنْ أَتَاهُ ، وَخَرَجَ عِبَادٌ عَنْ سِجِسْتَانَ . فَلَمَّا كَانَ بِمَجِيرَ قَتَ بَلْعَهُ مَكَانُ سَلِمٍ - وَكَانَ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ - فَعَدَلَ عَنْهُ ، فَذَهَبَ لِعِبَادٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ ، أَقْلُ مَا مَعَ أَحَدِهِمْ عَشْرَةُ آلَافٍ . قَالَ : فَأَخَذَ عِبَادٌ عَلَى فَارَسٍ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى يَزِيدٍ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : أَيْنَ الْمَالُ ؟ قَالَ كُنْتُ صَاحِبَ ثَغْرِ ، فَقَسَمْتُ مَا أَصَبْتُ بَيْنَ النَّاسِ . قَالَ : وَلِمَا شَخَّصَ سَلِمُ إِلَى خُرَّاسَانَ شَخْصَ مَعَهُ عَمْرَانُ بْنُ الْقَصَّيْلِ الْبُرْجُمِيَّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ السَّلْمِيِّ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَكْلَفِ الْخُرَّاعِيِّ ، وَالْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ عَرَادَةَ ، وَأَبُو حُزَّابَةَ الْوَلِيدُ بْنُ نَهْيَكٍ أَحَدُ بَنِي رِبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ الْعَدَوِيُّ حَلِيفُ هَذِيلَ ، وَخَلَقَ كَثِيرٌ مِنْ فُرْسَانَ الْبَصْرَةِ وَأَشْرَافِهِمْ ، فَقَدَّمَ سَلِمُ بْنُ زِيَادٍ بِكِتَابِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ إِلَى عِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِنُحْبَةٍ أَلْفَى رَجُلٍ يَنْتَهِبُهُمْ - وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ نُحْبَةُ سِتَّةِ آلَافٍ - قَالَ : فَكَانَ سَلِمُ يَنْتَهِبُ الْوُجُوهُ وَالْفُرْسَانَ . وَرَغِبَ قَوْمٌ فِي الْجِهَادِ فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَخْرَجَهُ سَلِمُ حَنْظَلَةُ بْنُ عَرَادَةَ ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : دَعْنِي ، قَالَ : هُوَ بَنِي وَيْنَكُ ، فَإِنْ اخْتَارَكَ فَهُوَ لَكَ ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَهُوَ لِي ، قَالَ : فَاخْتَارَ سَلِمًا ؛ وَكَانَ النَّاسُ يَكْتُمُونَ سَلِمًا وَيَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَهُمْ مَعَهُ ، وَكَانَ صِلَةً بَيْنَ أَشْيَمِ الْعَدَوِيِّ يَأْتِي الدِّيَّانَ فَيَقُولُ لَهُ الْكَاتِبُ : يَا أَبَا الصَّهْبَاءِ ، أَلَا أَتَيْتُ اسْمَكَ ، فَإِنَّهُ وَجَّهَ فِيهِ جِهَادٌ وَفَضَّلَ ؟ فَيَقُولُ لَهُ : أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَدَافِعُ حَتَّى

فرغ من أمر الناس ، فقالت له امرأته مُعَاذَةُ ابنة عبد الله الصَدَوِيَّة : ألا تكذب نفسك ؟ قال : حتى أنظر ، ثم صلب واستخار الله ، قال : فرأى في منامه آتياً أتاه ، فقال له : اخرج فإنك تَرَبِّح وتُفْلِح وتُشْجِع ، فأتى الكاتب فقال له : أثبتني ، قال : قد فرغنا ولن أدعك ، فأثبتته وابنه ، فخرج سلم فصيَّره سلم مع يزيد بن زياد فسار إلى سجستان .

قال : وخرج سلم وأُخرج معه أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وهي أول امرأة من العرب قُطِع بها النهر .

٢٩٤/٢

قال : وذكر مَسْلَمَةُ بن محارب وأبو حفص الأزدي عن عثمان بن حفص الكرماني أن عُمال خُرَّاسان كانوا يَغْزُونَ ، فإذا دخل الشتاء قفلوا من مغازيهم إلى مَرَو الشاهيجان ، فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خُرَّاسان في مدينة من مدائن خُرَّاسان ممَّا يلي خَارَزَم ، فيتعاقلون ألا يغزو بعضهم بعضاً ، ولا يهيج أحد أحداً ، ويتشاورون في أمورهم ، فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم في غزو تلك المدينة فيأبون عليهم ، فلما قدِم خُرَّاسان غزا فشتا في بعض مغازيه ، قال : فألح عليه المهلب ، وسأله أن يوجهه إلى تلك المدينة ، فوجهه في ستة آلاف - ويقال أربعة آلاف - فحاصروهم ، فسألم أن يُدْعِنُوا له بالطاعة ، فطلبوا إليه أن يصالحهم على أن يقدوا أنفسهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فصالحوه على نيِّف وعشرين ألف ألف ، قال : وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً ، فكان يأخذ الرأس بنصف ثمنه ، والدابة بنصف ثمنها ، والكتِّمُخْتُ بنصف ثمنه ، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظى بها للمهلب عند سلم ، واصطلى سلم من ذلك ما أعجبه ، وبعث به إلى يزيد مع مَرَزْبَان مَرَو ، وأوفد في ذلك وفداً .

قال مسلمة وإسحاق بن أيوب : غزا سلم سمرقند بامرأته أم محمد ابنة عبد الله ، فولدت لسلم ابناً ، فسماه صُغْدَى .

قال علي بن محمد : ذكر الحسن بن رشيد الجُورْجَانِي ، عن شيخ من خُرَّاعة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : غزت مع سلم بن زياد خُورَزَم ،

٢٩٥/٢

فصالحوه على مال كثير ، ثم عبر إلى ممرقند فصالحه أهلها ، وكانت معه امرأته أم محمد ، فولدت له في غزاته تلك ابناً ، وأُرسِلت إلى امرأة صاحب الصغد تستعير منها حلياً ، فبعثت إليها بتاجها ، وقفلكوا ، فذهبت بالتاج .

• • •

وفي هذه السنة عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة ولأها الوليد بن عتبة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : فرع يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد ، للال ذى الحجة ، وأمر الوليد بن عتبة على المدينة ، فحج بالناس حجتين سنة إحدى وستين وستة اثنتين وستين .

وكان عامل يزيد بن معاوية في هذه السنة على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى المدينة في آخرها الوليد بن عتبة ، وعلى خراسان وسجستان سكم بن زياد ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة شريح . وفيها أظهر ابن الزبير الخلاف على يزيد وخطبته . وفيها بويج له .

• • •

ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة

وتوليته عليها الوليد بن عتبة

وكان السبب في ذلك وسبب إظهار عبد الله بن الزبير الدعاء إلى نفسه — فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الملك بن نوفل — قال : حدثني أبي ، قال : لما قُتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله ، وصاب على أهل الكوفة خاصة ، ولأم أهل العراق عامة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم : إن أهل العراق قد رُفِعَ فُجْرٌ إلا قليلاً ، وإن أهل الكوفة شيرار أهل العراق ، وإنهم دعوا حسيناً لينصروه ويؤثروا عليهم ، فلما قدم عليهم ثاروا إليه ^(١) ، فقالوا له : إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية سلماً فيُسفى فيك حكمته ، وإما أن تحارب ، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير ، وإن

٣٩٦/٢

كان الله عز وجل لم يُطلع على الغيب أحداً أنه مقتول ، ولكنه اختار الميتة
الكريمة على الحياة النعمة ، فرحم الله حسيناً ، وأخزى قاتل حسين !
لحسرى لقد كان من خلافهم^(١) إياه وصبيانهم ما كان في مثله واعظ وناه
عنهم ، ولكنه ما حُسم فازل ، وإذا أراد الله أمراً لن يُدْفِع . أفبعد الحسين
نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم وقيل لم عهداً ! لا ، ولا^(٢) نراهم
للك أهلاً ، أما والله لقد قطره طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ،
أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل ، أما والله ما كان يبدل
بالقرآن الغناء ، ولا بالبكاء من خشية الله الهداء ، ولا بالصيام شرب الحرام ،
ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد - يمرض ييزيد .
سوف يلقون غيباً^(٣) .

فثار إليه أصحابه فقالوا له : أيتها الرجل أظهر يعمتك ، فإنه لم يبق
أحد إذ هلك حسين ينازحك هذا الأمر . وقد كان يبايع الناس
سراً ، ويظهر أنه عائد بالبيت ، فقال لهم : لا تعجلوا - وتمروا بن سعيد بن
العاص يومئذ حامل مكة ، وقد كان أشد شيء عليه وعلى أصحابه ، وكان
مع شدته عليهم يدارى ويرفق - فلما استقر عند يزيد بن معاوية ما قد
جمع ابن الزبير من الجُمُوع بمكة ، أعطى الله عهداً ليؤمّننه في سلسلة ،
فبعث بسلسلة من فضة ، فرّبها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة ، فأخبر
خبر ما قدم له وبالسلسلة التي معه ، فقال مروان :

خُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخَطْلَةٍ وَفِيهَا مَقَالٌ لِمَرِيٍّ مُتَضَعِفٍ
ثم مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير ، فألقى ابن الزبير فأخبره
بمعر البريد على مروان ، وتمثل مروان بهذا البيت ، فقال ابن الزبير : لا والله
لا أكون أنا ذلك المتضعف ، وردّ ذلك البريد ردّاً رقيقاً .
وعلا أمر ابن الزبير بمكة ، وكاتبته أهل المدينة ، وقال الناس : أما
إذ هلك الحسين عليه السلام فليس أحد ينازع ابن الزبير .

(١) ف : وفي خلافهم . (٢) ابن الأثير : والله لا نراهم .

(٣) يلقون غيباً ، أي شراً وصراً ، وكل شرحته العرب غي .

حدثنا نوح بن حبيب القومسي ، قال : حدثنا هشام بن يوسف .
 وحدثنا عبيد الله بن عبد الكريم ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر المنيني
 قال : حدثنا هشام بن يوسف - واللفظ لحديث عبيد الله - قال : أخبرني
 عبد الله بن مصعب ، قال : أخبرني موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ،
 قال : أخبرني عبد العزيز بن مروان ، قال : لما بعث يزيد بن معاوية بن عصفاه
 الأشعري وسعداً وأصحابهما إلى عبد الله بن الزبير بمكة ليؤتوا به في
 جامعة لتبصر بين يزيد ، بعث معهم بجامعة من ورق وبرئوس خنز ، فأرسلني
 أبي وأخني معهم وقال : إذا بكفته رسل يزيد الرسالة فترضا له ، ثم ليتمثل
 أحدكما :

٣٩٨/٢

فخذها فليست للعزيز بخطئة وفيها مقال لا مري مثذل^(١)
 أماير إن القوم ساموك خطئة وذلك في الجيران غزل بجعل
 أراك إذا ما كنت للقوم ناصحاً يُقال له بالذل أذبر وأقبل
 قال : فلما بلغته الرسل الرسالة تعرضنا ، فقال لي أخني : اكتبنيها ،
 فسمعتني ، فقال : أي ابن مروان ، قد سمعت ما قلنا ، وعلمت ما ستقولنا ،
 فأخبرنا أباكما :

إنني لجن نبيعة صم مكاييرها إذا تناوحت القصباء والمشر
 فلا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لغيرس الماغيح الحاجر
 قال : فما أدرى أيهما كان أعجب !

زاد عبد الله في حديثه ، عن أبي علي ، قال : فذاكرت بهذا الحديث
 مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، فقال :
 قد سمعته من أبي علي نحو الذي ذكرت له ، ولم أحفظ إسناده .

قال هشام ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد : إن
 عمرو بن سعيد لما رأى الناس قد أشرأبوا إلى ابن الزبير وسدوا إليه أعتاقهم ،
 ظن أن تلك الأمور تامة له ، فبعث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص -

٣٩٩/٢

وكانت له صُعبة ، وكان مع أبيه بمِصر ، وكان قد قرأ كتب دنيا له هناك ، وكانت قريش إذ ذاك تَعُدُّه حاكماً — فقال له عمرو بن سعيد : أخبرتني عن هذا الرجل ، أترى ما يطلبُ تاماً له ؟ وأخبرتني عن صاحبي إلى ما ترى أمره صائراً إليه ؟ فقال : لا أرى صاحبك إلا أحد الملوك الذين تمُّ لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك . فلم يزد عند ذاك إلا شدةً على ابن الزبير وأصحابه ، مع الرفق بهم ، والمداواة لهم .

ثم إن الوليد بن عتبة^(١) وناساً معه من بني أمية قالوا ليزيد بن معاوية : لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك ، فسرَّح الوليد بن عتبة على الحجاز أميراً ، وعزل عمراً .

وكان عزلُ يزيد عمراً عن الحجاز وتأميره عليها الوليد بن عتبة في هذه السنة — أضحى سنة إحدى وستين ، قال أبو جعفر : حدثت عن محمد بن عمر قال : نزع يزيدُ عمرو بن سعيد بن العاص لَهلال ذي الحجة سنة إحدى وستين وولَّى الوليد بن عتبة ، فأقام الحجة سنة إحدى وستين بالناس ، وأعاد ابن ربيعة العامري على قضائه .

وحدثني أحمد بن ثابت ، قال : حدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : حجَّ بالناس في سنة إحدى وستين الوليدُ بن عتبة ، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل السير .

وكان الوالي في هذه السنة على الكوفة والبصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة ، وعلى خراسان سَكَم بن زياد .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك مقدم^(١) وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية .

• ذكر الخبر عن سبب مقتلهم عليه :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر لوط بن يحيى ، عن عبد الملك بن نوفل ابن مساحق ، عن عبد الله بن عروة - أن يزيد بن معاوية لما سرح الوليد ابن عتبة على الحجاز أميراً ، وعزك عمرو بن سعيد ، قلم الوليد المدينة فأخذ غلماناً كثيراً لعمرو وموالي له ، فحبسهم ، فكلّمه فيهم عمرو ، فأبى أن يخلّيهم ، وقال له : لا تجزع يا عمرو ، فقال أخوه أبيان بن سعيد بن العاص : أعمرو يسجزع ! والله لو قبضتم على الجهم وقبض عليه ما تركه حتى تركوه ، وخرج عمرو سائراً حتى نزل من المدينة على ليلتين ، وكتب إلى غلمانه ومواليه وهم نحو من ثلثة رجل : إني باحث إلى كل رجل منكم جملًا وحقية وأداة ، وتشاخ لكم الإبل في السوق^(٢) ، فإذا أتاكم رسول فاكسروا باب السجن ، ثم ليقم كل رجل منكم إلى جملة فليركبه ، ثم أقبلوا على حتى تأتونى ، فجاء رسولهم حتى اشترى الإبل ، ثم جهزها بما ينبغي لها ، ثم أناخها في السوق ، ثم أتاهم حتى أعلمهم ذلك ، فكسروا باب السجن ، ثم خرجوا إلى الإبل فاستووا عليها ، ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قلم على يزيد بن معاوية . فلما دخل عليه رحب به وأدى مجلسه .

ثم إنه عاتبه في قصصه في أشياء^(٣) كان يأمره بها في ابن الزبير ، فلا يتخذ منها^(٤) إلا ما أراد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الشاهد يترى ما لا يرى الغائب ، وإن جلّ أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه وهو وه وأعطوه الرضا ، ودعا بعضهم بعضاً سراً وعلاية ، ولم يكن مئى جند أقوى بهم عليه لو ناهضته ، وقد كان يحذرنى ويتحرز منى ، وكنت أرفق به وأدار به

(١) ف : • فلما كان فيها • . (٢) س : • بالسوق • .

(٣) ف : • وأشياء • . (٤) س : • ولا يملك منها • .

لأستمكر منه فأبى عليه ، مع أنى قد ضيّقتُ عليه ، ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونة ، وجعلتُ على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إلى باسمه واسم أبيه ، ومن أى بلاد الله هو ، وما جاء به وما يريد ، فإن كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريد ردّته صاغراً ، وإن كان ممن لا أنهم ، خطبتُ سبيله . وقد بعثت الوليد ، وسياطيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغى فى أمرك ، ومتاصحى لك إن شاء الله ، والله يصنع لك ، ويكتب علوّك يا أمير المؤمنين .

فقال له يزيد : أنت أصدق ممن رقى هذه الأشياء عنك ، وحسبكى بها عليك ، وأنت ممن أتى به ، وأرجو معونته ، وأدّخره لرأب الصدّغ ، وكضاية المّهم ، وكشف نوازل الأمور العظام ؛ فقال له عمرو : وما أرى يا أمير المؤمنين أن أحداً أوتى بالقيام بتشديد سلطانك ، وتوهين علوّك ، والشدة على من نأبذك منى . وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متعلّداً متنعّفاً ، وثار تجلدة بن عامر الحنفى بالبامة حين قُتل الحسين ، وثار ابن الزبير ، فكان الوليد يُقيض من المعرّف ، ويُقيض معه عامة الناس ، وابن الزبير واقف وأصحابه ، ونجدة واقف فى أصحابه ، ثم يُقيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه ، لا يُقيض واحد منهم بإفاضة صاحبه . وكان نجدة يلتقى ابن الزبير فيكثر حتى ظنّ الناس أنه سيأبىه . ثم إن ابن الزبير عمل بالمكر فى أمر الوليد بن عتبة ، فكتب إلى يزيد بن معاوية : إنك بعثت إلينا رجلاً أنعرق ، لا يتّجه لأمر رشّد ، ولا يبرعوى لعظّة الحكيم ، ولو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق ، لين الكف ، رجوت أن يسهّل من الأمور ما استوعر منها ، وأن يجتمع ما تفرّق ، فانظر فى ذلك ، فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله ، والسلام .

فبعث يزيد بن معاوية إلى الوليد فعزّله وبعث عثمان بن محمد بن أبى سفيان - فيما ذكر أبو مخنف ، عن عبد الملك ابن نوفل بن مساحق ، عن حميد ابن حمزة ، مولى لبنى أمية - قال : فقدِم فتى غرّ حدث غمر لم يجرب

الأمر ، ولم يَحْكَمْه السن ، ولم تُصَرِّه التجارب ، وكان لا يكاد ينظر فى شىء من سلطانه ولا عمله ، وبعث إلى يزيد وفدًا من أهل المدينة فيهم عبدُ الله بنُ حنظلة الغسيل الأنصارى وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة الهزوى ، والمنذر بن الزبير ، ورجالًا كثيرًا من أشرف أهل المدينة ، فلقموا على يزيد بن معاوية ، فأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وأعظم جوائزهم . ثم انصرفوا من عنده ، وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر ابن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة — وكان يزيد قد أجازَه بمائة ألف درهم — فلما قدم أولئك نفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتمَ يزيد وعنته ، وقالوا : إنا قلمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويعزف بالطناير ، ويضرب عنده القيان ، ويكسب بالكلاب ، ويسامر الخرباب والفتيان ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعتناه ، فتابعتهم الناس . قال لوط بن يحيى : فحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أن الناس أتوا عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم .

٤٠٣/٧

قال لوط : وحدثني أيضًا محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف : ورجع المنذر من عند يزيد بن معاوية ، فقدم على عبيد الله بن زياد البصرة ، فأكرمه وأحسن ضيافته ، وكان لزياد صديقًا ، إذ سقط إليه كتابٌ من يزيد بن معاوية حيث بلغه أمرُ أصحابه بالمدينة . أن أوثق المنذر بن الزبير وأحبسه عندك حتى يأتيتك فيه أمرى ، ففكر ذلك عبيد الله ابن زياد لأنه ضيفه ، فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه إياه ، وقال له : إنك كنت لزياد ودًّا وقد أصبحت لى ضيفًا ، وقد آتيت إليك معروفًا ، فأنا أحبُّ أن أسدي ذلك كله لإحسان ، فإذا اجتمع الناس عندى فقم فقل : اللدنى فلأنصرف إلى بلادى ، فلماذا قلت : لا بكل أقيم عندى فإن لك الكرامة والمواساة والأثرة ، فقل : لى ضيعة وشغل ، لا أجد من الانصراف بدًّا فأذن لى ، فلأن آذن لك عند ذلك ، فالحق بأهلك .

فلما اجتمع الناس عند عبيد الله قام إليه فاستأذنه فقال : لا بل أقيم عندى فلأن مكرومك وموأسيك وموثررك ، فقال له : إن لى ضيعة وشغلًا ،

٤٠٤/٧

ولا أجد من الانصراف بداً فأذن لي ، فأذن له . فانطلق حتى لحق بالحجاز ، فأقى أهل المدينة ، فكان فيمن يحرص الناس على يزيد ، وكان من قوله يومئذ : إن يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم ، وإنه لا يمنعي ما صنع إلي أن أخبركم خبره ، وأصدقكم حبه ، والله إنه ليخرب الخمر ، وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة ، وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشد ، فكان سعيد بن عمرو يحدث بالكوفة أن يزيد بن معاوية بلغه قوله فيه فقال : اللهم إني آثرته وأكرمته ، ففعل ما قد رأيت ، فأذكره بالكلب والقطيعة .

قال أبو مخنف : فحدثني سعيد بن زيد أبو المظلم أن يزيد بن معاوية بعث النعمان بن بشير الأنصاري فقال له : اتت الناس وقومك فافتأهم عما يريدون ، فإنهم إن لم ينهضوا في هذا الأمر لم يمتري الناس على خلاف ، وبها من عيمري من لا أحب أن ينهض في هذه الفتنة فيهلك .

فأقبل النعمان بن بشير فأقى قومه ، ودعا الناس إليه عامة ، وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة ، وخوفهم الفتنة ، وقال لهم : إنه لا طاقة لكم بأهل الشام ، فقال عبد الله بن مطيع العدوي : ما يملك يا نعمان على فريق جماعتنا ، وضاد ما أصلح الله من أمرنا ! فقال النعمان : أما والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو إليها ، وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت^(١) على بخلتك تضرب جبينها إلى مكة ، وقد خلقت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يقتلون في سيككهم وساجدهم ، وعلى أبواب دورهم ! فعصاه الناس ، فانصرف . وكان والله كما قال .

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة . وكانت العمال في هذه السنة على العراق وخراسان العمال الذين ذكروا في سنة إحدى وستين . وفي هذه السنة ولد - فيها ذكر - محمد بن عبد الله بن العباس .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة ، وإظهارهم خلع يزيد بن معاوية ، وحصارهم من كان بها من بني أمية ، ذكر هشام بن محمد ، عن أبي عتف ، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حبيب بن كرتة ، أن أهل المدينة لما بايعوا عبد الله بن حنظلة النسيب على خلع يزيد بن معاوية ، وثبوا على عثمان ابن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش ، فكانوا نحواً من ألف رجل ، فخرجوا يمحاهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، فحاصروهم الناس فيها حصاراً ضعيفاً . قال : فحدث بنو أمية حبيب بن كرتة ، وكان الذي بعث إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو ابن عثمان بن عفان ، وكان مروان هو يدبر أمرهم . فأما عثمان بن محمد بن أبي سفيان فإنه لما كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأى . قال عبد الملك بن نوفل : فحدثني حبيب بن كرتة ، قال : كنت مع مروان ، فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتاباً إلى يزيد بن معاوية ، فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معي إلى ثنية الوداع ، فدفع إلى الكتاب وقال : قد أجلتك اثني عشرة ليلة ذاهباً واثني عشرة ليلة مقبلاً ، فوافيت لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجلتي إن شاء الله في هذه الساعة جالساً أنتظر . وكان الكتاب :
بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإنه قد حُصِرنا في دار مروان بن الحكم ، وصنعتا العذب ، ورُميتا بالجيب^(١) ، فيا غوثاه يا غوثاه !
قال : فأخذت الكتاب ووضعت به حتى قدمت على يزيد وهو يجالس على كرسي ، وأضع قدمتي في ماء طست من وجع كان يجده فيهما . ويقال : كان به النقرس - فقرأه ثم قال فيها بلغتنا مثلاً :

(١) الجيب : الأرض الخالية ، نقط : الحربة . تصحيف .

قَدْ بَدَأُوا الْعِلْمَ الَّذِي مِنْ سَجِيَّتِي^(١) قَبْلَتْ قَوِي غِلْظَةً بِلِسَانِي
 ثُمَّ قَالَ : أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمِيَّةَ وَوَالِيَهُمْ أَلْفَ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ ؟ قَالَ^(٢) :
 قَلْتُ : بَلَى ، وَالْقَهْ وَأَكْثَرُ ، قَالَ : فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يِقَاتِلُوا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ !
 قَالَ : قَلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَجْمَعَ النَّاسُ كُلَّهُمْ عَلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَجْمَعْ
 النَّاسُ طَائِفَةً ، قَالَ : فَبِعْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ ، وَأَخْبَرَهُ
 الْخَبِيرَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِمْ فِي النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ كُنْتُ ضَبِطْتُ لَكَ
 الْبِلَادَ ، وَأَحْكَمْتُ لَكَ الْأُمُورَ ، فَأَمَّا الْآنَ إِذْ صَارَتْ إِنَّمَا هِيَ دِيَارُ قَرِيشٍ
 تُهْرَاقُ بِالصَّعِيدِ ، فَلَا أَحَبَّ أَنْ أَكُونَ أَنَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ ، يَتَوَلَّاهَا مِنْهُمْ مَنْ
 هُوَ أَبْعَدُ مِنْهُمْ مِنِّي . قَالَ : فَبَيْعْتُ بِذَلِكَ الْكِتَابَ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدَةَ الْمُرِّي -
 وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ مَرِيضٌ - فَلَدَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَقَرَأَهُ ، وَتَأَلَّى عَنْ
 الْخَبِيرِ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَقَالَةِ يَزِيدَ : أَمَا يَكُونُ بَنُو أُمِيَّةَ وَوَالِيَهُمْ
 وَأَنْصَارُهُمْ بِالْمَدِينَةِ أَلْفَ رَجُلٍ ! قَالَ : قَلْتُ : بَلَى يَكُونُونَ ، قَالَ : فَمَا اسْتَطَاعُوا
 أَنْ يِقَاتِلُوا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ! لَيْسَ هَؤُلَاءُ بِأَهْلٍ أَنْ يُنْصَرُوا حَتَّى يَجْهَلُوا
 أَنْفُسَهُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَحِزِّ سُلْطَانِهِمْ ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَنْصَرُ هَؤُلَاءُ فَإِنَّهُمْ الْأَذْلَاءُ ، أَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ
 يِقَاتِلُوا يَوْمًا وَاحِدًا أَوْ شَطْرَهُ أَوْ سَاعَةً مِنْهُ ! دَعَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى
 يَجْهَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَحِزِّ سُلْطَانِهِمْ ، وَيَسْتَيِّنَ لَكَ مِنْ يِقَاتِلُ
 مِنْهُمْ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا أَوْ يَسْتَلِمَ ، قَالَ : وَتَحْنُكَ ! إِنَّهُ لَا خَيْرَ
 فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ ، فَأَخْرَجَ فَأَنْبِئَنِي نَبَأَكَ ، وَسِرَّ النَّاسِ ، فَخَرَجَ مُنَادِيَهُ
 فَنَادَى : أَنْ سِيرُوا إِلَى الْحِجَازِ عَلَى أَخِي أُطَيْيَاتِكُمْ كَمَلًا وَمَوْعِدَةً مَالَةً
 دِينَارًا تَوْضَعُ فِي يَدِ الرَّجُلِ مِنْ سَاعَةِ ، فَاتَّطَلَبَ لِذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ .

• • •

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَعِينَةَ ، قَالَ : كَتَبَ يَزِيدُ
 إِلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ : أَنْ أَخْزُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : لَا أَجْعَلُهُمَا لِقَاسِقٍ أَبَدًا ،

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « فِي سَجِيَّتِي » .

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « فَقَالَ الرَّجُلُ » .

أَقْبَلَ ابْنُ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَغْزَوْا الْيَتَا !
 قَالَ : وَكَانَتْ مَرْجَاةَ امْرَأَةٍ صَدُقَ ، فَقَالَتْ لِمِيعِدِ اللَّهِ حِينَ تَقِيلُ الْحُسَيْنَ
 عَلَيْهِ السَّلَامَ : وَيْلَكَ ! مَاذَا صَنَعْتَ ! وَمَاذَا رَكِبْتَ !

• • •

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ حَبِيبِ بْنِ كُرَّةَ . قَالَ : فَأَقْبَلْتُ حَتَّى أُوَافِيَ
 عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَوْ بَعِيدَهَا شَيْئًا .
 قَالَ : فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَقْنَعًا تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَتَعَبَّرْتُ بِالَّذِي كَانَ ، فُسِّرَ
 بِهِ ^(١) ، فَأَنْطَلَقْنَا ^(٢) حَتَّى دَخَلْنَا دَارَ مَرْوَانَ عَلَى جَمَاعَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَنَبَأْتَهُمْ ^(٣)
 بِالَّذِي قَدِمْتُ بِهِ ، فَحَمِدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوَيْلٍ : حَدَّثَنِي حَبِيبٌ ، أَنَّهُ بَلَغَهُ فِي عَشْرَةِ . قَالَ : فَلَمْ
 أُبْرَحْ حَتَّى رَأَيْتُ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ خَرَجَ إِلَى الْحَيْلِ يَتَصَفَّحُهَا وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا ،
 لَال : فَسَمِعْتُهُ يَهْوُو بِقَوْلٍ وَهُوَ مُظْلَعٌ سِيفًا ، مُتَكَبِّرًا قَوْمًا عَرِيبَةً :

أَبْلُغْ أَبَا بَكْرٍ إِذَا اللَّيْلُ سَرَى وَحَبَطَ الْقَوْمُ عَلَى وَادِي الْقُرَى

عَشْرُونَ أَلْفًا بَيْنَ كَهْلٍ وَفَى أَجْمَعَ مَسْكَرَانَ مِنَ الْقَوْمِ تَرَى !

أَمْ جَمَعَ يَقْطَانُ نَفْسِي عَنْهُ الْكَرَى ! يَا عَجِبًا مِنْ مُلْجِدٍ يَا عَجِبًا !

• مُخَادَعٌ فِي اللَّيْلِ يَقْفُو بِالْعُرَى • ^(٤)

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ نُوَيْلٍ : وَفَصَّلَ ذَلِكَ الْجَيْشُ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ وَعَلَيْهِمْ
 مُسْلِمُ بْنُ عُمَيْيَةَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ حَدَّثْتُ بِكَ حَدَّثْتُ فَاسْتَخْلَفْ عَلَى الْجَيْشِ
 حُصَيْنَ بْنَ ثُمَيْرِ السَّكُونِيِّ ، وَقَالَ لَهُ : ادْعُ الْقَوْمَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ
 وَإِلَّا فَهَاتِلْهُمْ ، فَإِذَا أَظْهَرْتَ عَلَيْهِمْ فَأَبِحْهَا ثَلَاثًا ، فَمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ
 رِقَّةٍ ^(٥) أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ فَهُوَ لَجَجْتُ ، فَإِذَا مَضَتْ الثَّلَاثُ فَانْكَفُفْ عَنْ
 النَّاسِ ، وَانْظُرْ عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ ، فَانْكَفُفْ عَنْهُ ، وَاسْتَوْصِرْ بِهِ خَيْرًا ،

(١) س : وقرره . (٢) س ، ف : وانطلقنا . (٣) ف : ونبأته .

(٤) ابن الأثير : « ينفو بالعري » .

(٥) الرقة : الدرهم ، وفي ابن الأثير : « أو دابة » .

وَأَذِنَ جَلِسَتْ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِمَّا دَخَلُوا فِيهِ ، وَقَدْ أَخَذَ كِتَابَهُ . وَحَلَّى
لَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِمَّا أَوْصَى بِهِ يَزِيدُ بْنُ مَعْلُوبَةَ مُسْلِمَ بْنَ عُبَيْدَةَ ، وَقَدْ كَانَ عَلَى بَنِي
الْحُسَيْنِ لَمَّا خَرَجَ بَنُو أُمَيَّةَ نَحْوَ الشَّامِ أَمْرٌ إِلَيْهِ تُفَكِّلُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَأَمْرًا لَهُ
عَائِشَةُ بِنْتُ حِفْصَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَهِيَ أُمُّ أَبَانَ بْنِ مَرْوَانَ .

• • •

وَقَدْ حَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو ، قَالَ : لَمَّا أُخْرِجَ أَهْلُ
الْمَدِينَةِ عَمْرَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، كَلَّمَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ابْنَ عَمْرَانَ يَغِيبُ
أَهْلَهُ عَنْهُ ، فَأَبَى ابْنُ عَمْرَانَ أَنْ يَفْعَلَ ، وَكَلَّمَ عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ ، وَقَالَ :
يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنَّ لِي رَحِيمًا ، وَحُرْمَةً تَكُونُ مَعَ حُرْمَتِكَ ، قَالَ ^(١) : أَفْعَلْ ، فَبِعَثَ
بِحُرْمَتِهِ إِلَى عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَخَرَجَ بِحُرْمَتِهِ وَحُرْمَتِ مَرْوَانَ حَتَّى وَضَعَهُمْ بَيْنَهُمْ ،
وَكَانَ مَرْوَانُ شَاكِرًا لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، مَعَ صِدَاقَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا قَدِيمَةً .

١١٠/٧

• • •

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ أَبِي خُفَيْفٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَوْفَلٍ ، قَالَ :
وَأَقْبَلَ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدَةَ بِالْجَيْشِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لِإِقْبَالِهِ وَكَبُوا عَلَى مَنْ
مَعَهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَحَصَرُوهُمْ فِي دَارِ مَرْوَانَ ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَكْفِي عَنْكُمْ
حَتَّى نَسْتَرْزِلَكُمْ وَنَضْرِبَ أَهْنَاكُمْ ، أَوْ تُعْطُوا عَهْدَ اللَّهِ وَبَيْتَاتِهِ لَا تَبْغُونَا
خَائِلَةً ، وَلَا تَدُلُّوْنَا لَنَا عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا تُظَاهِرُوا عَلَيْنَا عَدُوًّا ، فَكَفَّ
عَنْكُمْ وَخَرَجَكُمْ عَنْهَا ، فَأَعْطَوْهُمْ عَهْدَ اللَّهِ وَبَيْتَاتِهِ لَا نَبْغِيكُمْ خَائِلَةً ،
وَلَا نَدُلُّ لَكُمْ عَلَى عَوْرَةٍ ، فَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَخَرَجَتْ بَنُو أُمَيَّةَ بِأَهْلِهِمْ
حَتَّى لَقُوا مُسْلِمَ بْنَ عُبَيْدَةَ بِوَادِي الْقُرَى ، وَخَرَجَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ حِفْصَانَ بِنْتُ عَفَّانَ
إِلَى الطَّائِفِ ، فَتَمَرَّ بِعَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ وَهُوَ بِإِلَهِ إِلَى جَنْبِ الْمَدِينَةِ لَدَى احْتِزَالِهَا
كَرَاهِيَةً أَنْ يَشْهَدَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ ، فَقَالَ لَهَا : أَحِبِّي ابْنِي عَبْدَ اللَّهِ مَعَكَ
إِلَى الطَّائِفِ ، فَحَمَلَتْهُ إِلَى الطَّائِفِ حَتَّى نَقَضَتْ أُمُورُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

وَلَمَّا قَلِمَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدَةَ بِوَادِي الْقُرَى دَعَا بِعَمْرُو بْنِ

يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل، وإني أكره هيراقه حماكم، وإني أوجبكم ثلاثاً ، فمن أوصى وراجع الحق قبلنا منه ، وانصرف عنكم ، وصرت إلى هذا المبعث الذي بمكة ، وإن أبيتم كنا قد أعلننا إليكم — وذلك في ذي الحجة من سنة أربع وستين ، هكذا وجدته في كتابي ، وهو خطأ ، لأن يزيد هلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكانت وقعة الحرّة في ذي الحجة من سنة ثلاث وستين يوم الأربعاء اليثين بقينا منه .

ولما مضت الأيام الثلاثة ، قال : يا أهل المدينة ، قد مضت الأيام الثلاثة ، فما تصنعون^(١) ؟ أنتم ألون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب ، فقال لهم : لا تفعلوا ، بل ادخلوا في الطاعة ، ونجعل حدّاً وشوكتنا على هذا المبعث الذي قد جمع إليه المراق والفُسق من كل أوب . فقالوا لهم : يا أعداء الله ، والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى قاتلكم ، نحن ندمكم أن تأتوا بيت الله الحرام ، وتخيفوا أهله ، وتلدوا فيه ، وتستحلوا حرمة ! والله لا تفعل .

وقد كان أهل المدينة اتحلوا خندقاً في جانب المدينة ، ونزله جمع منهم عظيم ، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن حمّ عبد الرحمن ابن عوف الزهري ، وكان عبد الله بن مطيع على ريع آخر في جانب المدينة ، وكان معقل بن سنان الأشجعي على ريع آخر في جانب المدينة ، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً .

قال هشام : وأما حوالة بن الحكم الكلبي ، فذكر أن عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ، ومعقل بن سنان على المهاجرين .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال عبد الملك بن نوفل : وصمد مسلم ابن عتبة يجمع من معه ، فأقبل من قبل الحرّة حتى ضرب^(٢) فسطاطه على

(١) ابن الأثير : « ما تصنعون » .

(٢) س : « ضرب » .

طريق الكوفة ، ثم وجه الخليل نحو ابن الفضل ، فحمل ابن الفضل على الخليل في الرجال الذين معه حتى كشف الخليل ، حتى انتهوا إلى مسلم بن عقبة ، فنهض في وجعهم بالرجال ، وصاح بهم ، فانصرفوا فقاتلوا قتالاً شديداً . ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله ابن حنظلة الفضل فقاتل في نحو من عشرين فارساً قتالاً شديداً حسناً ، ثم قال لعبد الله : مر من معك فارساً فليأتني فليقتل معي ، فإذا حملته فليحملوا ، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلماً ، فلما أن أقتله ، ولما أن أقتل دونه . فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار : ناد في الخليل فلتتقف مع الفضل بن العباس ، فنادى فيهم^(١) فجمعهم إلى الفضل ، فلما اجتمعت الخليل إليه حمل على أهل الشام فانكشوا ، فقال لأصحابه : ألا ترونهم كُشفاً لثاماً ! احمِلُوا أُخْرَى جُمِعَتْ فداكم ! فوالله لئن عاينت أميرهم ، لأقتله أو لأقتلن دونه ، إن صبر ساعة مُحْيَبٌ سرور أبدي ، إنه ليس بعدُ لصبرنا إلا النصر . ثم حمل وحمل أصحابه معه ، فانفجرت خيل أهل الشام عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جثاة على الركب ، مشرعى الأسنة نحو القوم ، ومضى كما هو نحو رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية ، وإن عليه لميخراً ، فقط الميخر ، وطلق هامته فخر ميتاً ، قال : خطبنا مني وأنا ابن عبد المطلب ! فظن أنه قتل مسلماً ، فقال : قتل طاعة القوم ورب الكعبة ، فقال مسلم : أعطت استك الحفرة وإنما كان ذلك غلاماً له ، يقال له : روى ، وكان شجاعاً . فأخذ مسلم رايته ونادى : يا أهل الشام ، أهذا القتال قتال قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم ، وأن يحزوا به نصر إمامهم ! قبح الله قتالكم منذ اليوم ! ما أوجعه لقلبي ، وأغيظه لنفسي ! أما والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تجرموا العطاء ، وأن تجرموا في أقاصي الثغور . شدوا مع هذه الراية ، ترح الله وجوهكم إن لم تعجبوا ! فشئ برايته ، وشدت تلك الرجال أمام الراية ، فصرع الفضل بن عباس ، قتل وما بينه وبين أظناب مسلم بن عقبة إلا نحو

٤١٤/٧

(١) ط : و نادى فيهم الضحاك ، والصواب حذف كلمة « الضحاك » ، وانظر للمهرس .

من حشر أخرج ، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن حوف ، وقتل معه إبراهيم ابن نجيم العلوي ، في رجال من أهل المدينة كثير .

قال هشام ، عن حوالة : وقد بلغنا في حديث آخر أن مسلم بن عقبة كان مريضاً يوم القتال ، وأنه أمر بسرير وكريمي فوضعا بين الصفتين ، ثم قال : يا أهل الشام ، قاتلوا عن أميركم أو دعوا . ثم زحفوا نحوهم فأدخلوا لا يصيدون لربيع من تلك الأرباع إلا هزموه ، ولا يقاتلون إلا قليلاً حتى تولوا . ثم إنه أقبل إلى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشد القتال ، واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع إلى عبد الله بن حنظلة ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فحمل الفضل ابن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة ، وسلم على سريره مريض ، فقال : احملوني فضعتني في الصف ، فوضعه بعد ما حملوه أمام فسطاطه في الصف ، وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى إلى السرير ، وكان الفضل أحمر ، فلما رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه : إن العبد الأحمر قاتلي ، فأين أنتم يا بني الحارث ! اشجروه^(١) بالرماح ، فوثبوا إليه فطعنوه حتى سقط .

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إن خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله ابن حنظلة الفضيل ورجاله بعده - كما حدثني عبد الله بن منقذ - حتى دنوا منه ، وركب مسلم بن حنظلة فرساً له ، فالتفت يسير في أهل الشام ويحرمهم ويقول : يا أهل الشام ، إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ، ولا أكثرها عدداً ، ولا أوسعها بلداً ، ولم يخصكم الله بالذي خصكم به من النصر على حلوكم ، وحسن الميزة عند أمتكم ، إلا بطاعتكم واستقامتكم ، وإن هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم ، فتمنوا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتمم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والتمتع . ثم جاء حتى انتهى إلى مكانه الذي كان فيه ، وأمر الخيل أن تقدم على ابن الفضيل وأصحابه ، فأعلنت الخيل إذا أقدمت على الرجال قتلوا في وجوهها بالرماح

(١) الشجرة بالرماح ، أي المصنوعة بها ، وقد : « المجرب » ، بالسين ، تريف .

والسيف قمرت وأبلحرت وأحجمت ، فنادى فيهم مسلم بن عقبة : يا أهل الشام ، ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم ، يا حصين بن نمير ، انزل في جنتك ، فزل في أهل حمص ، فشى إليهم ، فلما رأهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن النسيل قام في أصحابه فقال : يا هؤلاء ، إن عدوكم قد أصابوا وجه القتال الذي كان ينبغي أن تقاتلوه به ، وإن قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم . أما إنكم أهل البصرة ودار الهجرة ، والله ما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضي منه حكم ، ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم . إن لكل امرئ منكم ميتة هوميث بها ، والله ما من ميتة بأفضل من ميتة الشهادة ، وقد ساقها الله إليكم فاغتصموا ، فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها . ثم مشى برايته غير بعيد ، ثم وقف ، وجاء ابن نعيم برايته حتى أدناها ، وأمر مسلم بن عقبة عبد الله بن عضاء الأشعري فشى في خسالة مرأى حتى دنوا من ابن النسيل وأصحابه ، فأغلوا ينضجونهم بالنبل ، فقال ابن النسيل : علام تستهفون لهم ! من أراد التمسجل^(١) إلى الجنة فليزلم هذه الراية ، فقام إليه كل مستميت ، فقال^(٢) : الغدو إلى ربكم^(٣) ، فوالله إنى لأرجو أن تكونوا عن ساعة قريبى عيتن ، فنهض القوم بعضهم إلى بعض فاقتلوا أشد قتال رقى في ذلك الزمان ساعة من نهار ، وأخذ يقدم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه ، وابن النسيل يضرب بسيفه ، ويقول :

١١٧/٢

بُعْدًا لِمَنْ رَامَ الصَّادَ وَطَفَى وَجَانِبَ الْحَقِّ وَأَيَاتِ الْهَدَى

• لَا يُبِيدُ الرَّحْمَنُ إِلَّا مَنْ صَوَى •

فقتل ، وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، استسلم فقاتل حتى قتل ، وقال : ما أحب أن الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم ، ثم قاتل حتى قتل وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، فر عليه مروان

(١) بن وابن الأثير : التمسجل .

(٢) س ، ف : وقالوا .

(٣) كلما في س . وهو الصواب ، وفي ط : اتبعوا إلى ربكم .

ابن أبي عمير (١) من قبضة ، قال : رحلك الله ! فرب سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة إلى جنبها .

قال هشام : فحدثني عوادة ، قال : فبلغنا أن مسلم بن عقبة كان يجلس على كرمي ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن النسيب يوم الكوفة وهو يقول :

أخبا أباه هاشمُ بن سُرْمَلَة يوم الهَبَاتَيْنِ ويومَ اليَغْمَلَة
كلُّ المُلُوكِ حِنْفَةٌ مُعَرَّبَلَةٌ ورُمَحُهُ لِلوَالِدَاتِ مَثْكَلَةٌ
لَا يُلْبِثُ الْقَتِيلَ حَتَّى يَجْدِلَهُ يَقْتُلُ ذَا اللَّئِبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

قال هشام ، عن أبي مخنف : وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل ، فلما انهزم الناس مال عليهم بضربهم بسيفه حتى غلبته المزيمة ، فذهب فيمن ذهب من الناس ، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال ، فأفرغ ذلك من كان بها من الصحابة ، فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل في كهف في الجبل ، فبصر به رجل من أهل الشام ، فجاء حتى اقتحم عليه الغار .

قال أبو مخنف : فحدثني الحسن بن عطية الموق ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : دخل إلى الشامي بمشي بسيفه ، قال : فانتضيت سيفي فشبث إليه لأربعين لعله ينصرف حتى ، فأبى إلا الإقدام علي ، فلما رأيت أن قد جدت شمت سيفي ، ثم قلت له : ﴿ لَكِنَّ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ يَفْعَلُكَ مَا أَتَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَعْيُنِكَ ﴾ لَأَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١) ، يقال لي : من أنت لله أبوك ! فقلت : أنا أبو سعيد الخدري ، قال : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم ، فانصرف حتى .

قال هشام : حدثني عوادة ، قال : دعا الناس مسلم بن عقبة بقيه إلى البيعة ، وطلب الأمان لرجلين من قريش : ليزيد بن جندب بن زمعة بن الأسود بن

٤١٩/٢

المطلب بن أسد بن عبد العزى وعبد بن أبى الجهم بن حنيفة العلوى ولحق
ابن سنان الأشجعى ، فأبى بهما بعد الوقعة يوم فقال : يا معا ، فقال القرشيان :
تبايكت على كتاب الله وسنة نبيه ، قال : لا والله لا أقبلكم هذا أبداً ، فقد هما
فضرب أعتاقهما ، فقال له مروان : سبحان الله ! أتقتل رجلين من قریش
أتيا ليؤينا فضربت أعتاقهما ! فنحس بالقضيب فى خاصرته ثم قال :
وأنت والله لو قلت بمقاتلتهما ما رأيت الساء إلا بترقة .

قال هشام : قال أبو مخنف : وجاء مقل بن سنان ، فجلس مع
القوم ، فدحا بشراب ليُسقى ، فقال له مسلم : أى الشراب أحب إليك ؟
قال : الصل ، قال : اسقوه ، فشرب حتى ارتوى ، فقال له : أنضيت
رئيك من شرايك ؟ قال : نعم ، قال : لا والله لا تشرب بعده شراياً أبداً
إلا الحكمى فى نار جهنم ، أذكر مقاتلك لأمير المؤمنين : سرتُ شهراً ،
ورجعتُ شهراً ، وأصبحتُ صيفراً ، اللهم غيّر — نعى يزيد ! فقد مه
فضربت عقه .

قال هشام : وأما عوانة بن الحكم فذكر أن مسلم بن عقبة بعث عمرو بن
مُحَرَّرَ الأشجعى فاتاه بمقل بن سنان فقال له مسلم : مرحباً بأبى عمدا !
أراك عطشاناً ! قال : أجل ، قال : شوبوا له صلا بالثلج الذى حملتموه
منا — وكان له صديقاً قبل ذلك — فشابهوه له ، فلما شرب مقل قال له :
سفاك الله من شراب الجنة ، فقال له مسلم : أما والله لا تشرب بعدها شراياً
أبداً حتى تشرب من شراب الحكمى ، قال : أنشدك الله والرحيم ! فقال له
مسلم : أنت الذى لقيت بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد ، قلت : سرتنا
شهراً ورجعنا من عند يزيد صيفراً ، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا القاسق ،
ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين ! فيم خطفان وأشجع من الخلع^(١) والخلافة !
إنى آليت يمين لا ألقاك فى حرب أقدر فيه على ضرب^(٢) عتقك إلا فعلت ،

٤٢٠/٢

(١) ابن الأثير : « من الخلق » .

(٢) ابن الأثير : « مل قطك » .

ثم أمر به فقتل .

قال هشام : قال حوالة : وأتى يزيد بن وهب بن زمنة ، فقال : يايع ، قال : أبايعك عن سنة عمر ، قال : اأكلوه ، قال : أنا أبايع ، قال : لا والله لا أتبعك عترتك ، فكلتم مروان بن الحكم - لصهر كان بينهما - فأمر بمروان فوجئت حقه ، ثم قال : يايعوا على أنكم خول ليزيد بن معاوية ، ثم أمر به فقتل .

قال هشام : قال حوالة ، عن أبي مخنف . قال : قال عبد الملك بن نوفل ابن مساحق : ثم إن مروان أتى بعل بن الحسين ، وقد كان على بن الحسين حين أخرجت بنو أمية منع فقتل مروان وامرأته وآواها ، ثم خرجت إلى الطائف ، فهي أم أبان ابنة عثمان بن عفان ، فبعث ابنه عبد الله معها ، فشكر ذلك له مروان - وأقبل على بن الحسين بمشى بين مروان وعبد الملك يلتبس بهما عند مسلم الأمان ، فجاء حتى جلس عنده بينهما ، فدعا مروان بشراب ليتحرم بذلك من مسلم ، فأقى له شراب ، فشرب منه مروان شيئاً يسيراً ، ثم ناوله علياً ، فلما وقع في يده قال له مسلم : لا تشرب من شرابنا ، فأرعدت كفه ، ولم يأمنه على نفسه ، وأمسك القدح بكفه لا يشربه ولا يضعه ، فقال : إنك إنما جئت تمشى بين هؤلاء لتأمن عندي ، والله لو كان هذا الأمر إليهما ^(١) لقتلتك ، ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك ، وأخبرني أنك كاتبته ، فذلك نافعك ^(٢) عندي ، فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك ، وإن شئت دعوها بغيره ، فقال : هذه التي في كفي أريد ، قال : اأشربها ، ثم قال : إلى هاهنا ، فأجلسه معه .

٤٧١/٢

قال هشام : وقال حوالة بن الحكم : لما أتى بعل بن الحسين إلى مسلم ، قال : من هذا ؟ قالوا : هذا على بن الحسين ، قال : مرحباً وأهلاً ، ثم أجلسه معه على السرير والعطنفة ، ثم قال : إن أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً ، وهو يقول : إن هؤلاء الخبياء شغلوني عنك وعن وصيكتك ^(٣) ، ثم قال

(٢) س : وثقتك .

(١) س : بينهما .

(٣) س : وصيكتك .

لعلّ؟ لعلّ أهلك فزحوا! قال: إني والله، فأمر بدابته^(١) فأسيرجت، ثمّ حملته فردّه عليها.

قال هشام: وذكر عوادة أنّ عمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بني أمية، وأنه أتى به يومئذ إلى مسلم بن عقبة فقال: يا أهل الشام، تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا الخيث ابن الطيّب، هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين، هيه يا عمرو! إذا ظهر أهل المدينة قلت: أنا رجل منكم، وإن ظهر أهل الشام قلت: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فأمر به فتشفت لحيتي، ثم قال: يا أهل الشام، إنّ أمّ هذا كانت تدخل الجحش في فيها ثم تقول: يا أمير المؤمنين حاجيتك، ما في في؟ وفي فيها^(٢) ما ساء لها ولاءها^(٣)، فخطى سبله، وكانت أمّه من دؤس.

• • •

قال أبو جعفر الطبري: فحدثني أحمد بن ثابت، عن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وحدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: كانت وقعة الجرة يوم الأربعاء ليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين. وقال بعضهم: ثلاث ليالٍ يقين منه. وحيّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير. حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن جعفر، عن ابن عوف، قال: حجّ ابن الزبير بالناس سنة ثلاث وستين، وكان يسمى يومئذ العلاء، ويرون الأمر شورى. قال: فلما كانت ليلة هلال المحرم ونحن في منزلة إذ قدم علينا سعيد مولى المسورين غرمة، فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم، فجلّهم أمر عظيم، فرأيت القوم شهبوا وحدوا وأعدوا وعرفوا أنه نازل بهم.

• • •

(١) ابن الأثير: وفطر بدابته.
(٢) ابن الأثير: وفلما دخلها.

(٣) س: وفيها.

وقد ذكر من أمر وقعة الحرة وقتل ابن الفسيل أمرٌ غيرُ الذي روى عن أبي مخنف ، عن الذين روى ذلك عنهم ، وذلك ما حدثني أحمد بن زهير قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا جويرية بن أسماء ، قال : سمعتُ أشياخَ أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيدَ فقال له : إنَّ لك من أهل المدينة يومًا ، فإنَّ فعلوا فارهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفتُ نصيحته . فلما هلك معاوية وفد إليه وفدٌ من أهل المدينة ، وكان ممن وفد عليه عبدُ الله بنُ حنظلة بن أبي عامر ، وكان شريفًا فاضلاً سيِّداً عابداً ، معه ثمانية بنين له ، فأعطاه مائة ألف درهم ، وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف ^(١) سوى كسوتهم وحملاتهم ، فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا : ما وراك ؟ قال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم ، قالوا : قد بلغنا أنه أجداك ^(٢) وأحطاك وأكرمك ، قال : قد فعل ، وما قبلتُ منه إلا لأتقوى به ، وحضض الناس فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فبعث مسلماً بن عقبة إليهم ، وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام ، فصبوا فيه زُلاً من قنطيران ، وعوَّروا ، فأرسل الله السماء عليهم ، فلم يستقوا بدكروا حتى وردوا المدينة ، فخرج إليهم أهل المدينة بجموع كثيرة ، وهيبة لم ير مثلاً . فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، وسلم شديد الوجع ، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، وأقم عليهم بنو حارثة أهل الشام ، وهم على الجند ^(٣) ، فانهمز الناس ، فكان من أصيب في الخندق أكثر من قتل من الناس ، فدخلوا المدينة ، وهزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند إلى أحد بني يخط نوماً ، فنبهه ابنه ، فلما فتح عينه فرأى ما صنع الناس أمر أكبر به ، فتقدم حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناس لقيمة على أنهم يحولون يزيد بن معاوية ، يحكم في دعائهم وأموالهم وأهلبيهم ما شاء .

(١) س : « حضرته ألقا » .

(٢) ف : « أحطاك » ، وصاحبه .

(٣) الجند هنا : وجه الأرض .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

قال أبو جعفر : فمن ذلك سيرُ أهل الشام إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن كان على مثل رأيه في الامتناع على يزيد بن معاوية .

١٢٤/٧

ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثاً ، شخّص بمن معه من الجند متوجّهاً إلى مكة ، كالذي ذكر هشام ابن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الملك بن نوفل ، أن مسلماً خرج بالناس إلى مكة يريد ابن الزبير ، وخلف على المدينة رَوْح بن زُبَيْع الجُذَامِي .

وأما الواقدي فإنه قال : خلف عليها عمرو بن حمز الأشجعي ، قال : ويقال : خلف عليها رَوْح بن زُبَيْع الجُذَامِي .

• • •

ذكر موت مسلم بن عقبة ورمي الكعبة وإحراقها

رجع الحديث إلى أبي مخنف ^(١) . قال : حتى إذا انتهى إلى المشلل - ويقال : إلى قفا المشلل - نزل به الموت ، وذلك في آخر المحرم من سنة أربع وستين ، فدها حصين بن نمير السكوني فقال له : يا ابن برذعة الحمار ، أما والله لو كان هذا الأمر إلى ما وليتُك هذا الجند ، ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدى ، وليس لأمر أمير المؤمنين مَرَدٌ ، خذني أربعمائة أسير السير ، وجعل الوقاع ، وهم الأنصار ، ولا تمكن قُرَشيّاً من أذنك . ثم إنه مات ، فدفن بقفا المشلل .

قال هشام بن محمد الكلبي : وذكر عوادة أن مسلم بن عقبة شخص يريد ابن الزبير ، حتى إذا بلغ ثنية هَرَشَا نزل به الموت ، فبعث إلى رموس الأجناد ، فقال : إن أمير المؤمنين عهد إلى إن حدث في حدث الموت أن استخلف عليكم حصين بن نمير السكوني ، والله لو كان الأمر إلى ما فعلت ،

١٢٥/٧

(١) انظر ص ٤٩٤ .

ولكن أكره معصية أمر أمير المؤمنين عند الموت ؛ ثم دعا به فقال : انظر يا برذعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به ؛ عم الأخبار ، ولا تُرْعِ صمّك قريباً أبداً ، ولا تردن أهل الشام عن عدوهم ، ولا تقيمن إلا ثلاثاً حتى تنأجر ابن الزبير الفاسق ؛ ثم قال : اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبّ إليّ من قتل أهل المدينة ، ولا أرجى عندي في الآخرة . ثم قال لبي مرة : زراعي ^(١) التي بحوران صدقة على مرة ، وما أغلقت عليه فلاة بابها فهو لها - يعني أمّ ولد - ثم مات . ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس ، فقدم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز .

قال هشام : قال عوانة : قال مسلم قبل الوصية : إنّ ابني يزعم أنّ أمّ ولدي هذه سقتني السم ، وهو كاذب ، هذا داءٌ يُصيّنا في بطوننا أهل البيت . قال : وقدم عليه - يعني ابن الزبير - كلُّ أهل المدينة ، وقد قدم عليه نَجْدَةُ بن عامر الحنفى في أناس من الخوارج بمنعون البيت ، فقال لأخيه المنذر : ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غبرى وغيرك - وأخوه المنذر ممن شهد الحرة ، ثمّ لحق به - فجرد إليهم أخاه في الناس ، فقاتلهم ساعة قتالاً شديداً . ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة - قال : والشأى على بغلة له - فخرج إليه المنذر ، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربةً خرت صاحبه لها ميتاً ، فجثا عبد الله بن الزبير على ركبته وهو يقول : يارب أبرها من أصلها ولا تشدّها ^(٢) ، وهو يدعو على الذي بارز أخاه . ثمّ إنّ أهل الشام شدوا عليهم شدةً منكراً ، وانكشف ^(٣) أصحابه انكشافاً ، وعثرت بغلته فقال : تمسّا ^(٤) ! ثم نزل وصاح بأصحابه : إلى ؛ فأقبل إليه الميسور بن مسخرمة بن نوفل بن أمّية بن عبد مناف بن زهرة ، وصحب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري ، فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً . وصابروهم ابن الزبير بمالهم

(١) الزراعة : موضع للزرج ، مثل المزرجة .

(٢) س : « ولا تشدّها » .

(٣) س : « فانكشف » .

(٤) س : « فقال لها : لما لك » .

حتى الليل ، ثم انصرفوا عنه ، وهنا في الحصار الأول . ثم إنهم أقاموا عليه
يقاتلونهم بقية المحرم وصفر كله ، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع
الأول يوم السبت سنة أربع وستين قعدوا البيت بالمجانيق ، وحرقوه بالنار ،
وأخلوا يرتجزون ويقولون :

خطارةٌ مثلُ الفتيق المزيذ تَرى بها أَعْوَادَ هذا المسجدِ
قال هشام : قال أبو عَوانة : جعل عمرو بنُ حَوَظ السدوسي يقول :
كَيْفَ تَرى صَنِيعَ أُمِّ قُرُوءَ نَلْخُلُفُمُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرُوءِ
يعنى بأم قُرُوءَ المنجنيق .

وقال الواقدي : سار الحصين بن نمير حين دُفِنَ مسلم بن عُبَيْة بالمشلل
لسبع بقين من المحرم ، وقدم مكة لأربع بقين من المحرم ، فحاصر ابن الزبير
أربعاً وستين يوماً حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية لهلاك ربيع الآخر .

٤٧٧/٢

• • •

[ذكر الخبر عن حرق الكعبة]

وفي هذه السنة حُرقت الكعبة .

ذكر السبب في إحراقها :

قال محمد بن عمر : احترقت الكعبة يوم السبت ثلاث ليال خلون من
شهر ربيع الأول سنة أربع وستين قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة
وعشرين يوماً ، وجاء نعيه لهلاك ربيع الآخر ليلة الثلاثاء .

قال محمد بن عمر : حدثنا رباح بن مسلم ، عن أبيه ، قال : كانوا يوقدون
حول الكعبة ، فأقبلت شجرة^(١) هبت بها الريح ، فاحترقت^(٢) ثياب الكعبة ،
واحترق^(٣) عشب البيت يوم السبت ثلاث ليال خلون من ربيع الأول .

قال محمد بن عمر : حدثني عبد الله بن زيد ، قال : حدثني عروة بن

(١) س : « شجرة » . (٢) س : « فحترقت » . (٣) س : « فاحترقت » .

أَذْيَنَتْهُ ، قَالَ : قَدِمْتُ مَكَّةَ مَعَ أُمِّي يَوْمَ احْتَرَقَتِ الْكَعْبَةُ قَدْ خَلَصَتْ إِلَيْهَا النَّارُ ،
وَرَأَيْتُهَا مَجْرَدَةً مِنَ الْحَرِيرِ ، وَرَأَيْتُ الرُّكْنَ قَدْ اسْوَدَّ وَانْصَدَعَ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكَتَةٍ ،
فَقُلْتُ : مَا أَصَابَ الْكَعْبَةَ ؟ فَأَشَارُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ ،
قَالُوا : هَذَا احْتَرَقَتْ بِنِيسِهِ ، أَخَذَ قَيْسًا فِي رَأْسِ رِمَحٍ لَهُ فَطَبِخَتْ الرِّيحُ بِهِ ،
فَضَرَبَتْ أَسْطَارَ الْكَعْبَةِ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْبَاقِي وَالْأَسْوَدَ ^(١) .

• • •

[ذَكَرَ خَبْرَ وَفَاةِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ]

وَفِيهَا هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ بَقْرِيَّةٍ مِنْ قُرَى حِمَصَ
يُقَالُ لَهَا حَوَارِينَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ
سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ .

حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ
الزَّهْرِيِّ ، أَنَّ الزَّهْرِيَّ كَتَبَ بِلُحْدَةٍ أَسْنَانَ الْخُلَفَاءِ ، فَكَانَ فِيهَا كَتَبَ مِنْ
ذَلِكَ : وَمَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ ؛ وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَلَاثَ
سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَيُقَالُ : ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ .

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ حَدَّثَهُ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ
أَبِي مَعْشَرٍ ، أَنَّهُ قَالَ : تَوَفَّى يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ
مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ إِلَّا ثَمَانَ
لَيَالٍ ، وَصَلَّى عَلَى يَزِيدَ ابْنِهِ مَعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ .

وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ فَلَمَّا قَالَ فِي سَنَةِ يَزِيدَ خِلَافَ الَّذِي ذَكَرَهُ
الزَّهْرِيُّ ، وَالَّذِي قَالَ هِشَامُ فِي ذَلِكَ - فِيمَا حَدَّثَنَا عَنْهُ - : اسْتُخْلِفَ أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ
ابْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَشْهُرٍ فِي هِلَالِ رَجَبِ
سَنَةِ سِتِّينَ ، وَوَلَّى سِتِّينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَتَوَفَّى لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ
رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثَ وَسِتِّينَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ ، وَأُمُّهُ مَيْسُونُ بِنْتُ
بَحْدَلِ بْنِ أَبِي نَافِعٍ وَكَلْبَةُ بِنْتُ قُتَيْبَةَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ زُهَيْرٍ بْنِ حَارِثَةَ الْكَلْبِيِّ .

ذكر عدد ولده

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية ، يكتنى أبا ليلي ، وهو الذى يقول
فيه الشاعر :

إلى أرى فتنة قد حان أولها والمُلكُ بعد أبي ليلى لمن غلبا
وخالد بن يزيد - وكان يكتنى أبا هاشم ، وكان يقال : إنه أصاب
عَمَلُ الكيمياء - وأبوسُفَيان ، وأُمُهُما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن
ربيعة بن عبد شمس ، تزوجها بعد يزيد مروان ، وهى التى يقول لها الشاعر :

إنعمى أم خالِدٍ رُبَّ ساعٍ لقاعدٍ
وعبد الله بن يزيد ، قيل : إنه من أرمى العرب فى زمانه ، وأمه أم كلثوم
بنت عبد الله بن عامر ، وهو الأسوار ، وله يقول الشاعر :

زعمَ الناسُ أنَّ خيرَ قريشٍ كلُّهم حينَ يُذكرُ الأسوارُ
وعبد الله الأصغر ، ومُحمرٌ ، وأبو بكر ، وعُتْبَةُ ، وحَرْبٌ ، وعبد الرحمن ،
والربيع ، وعمدٌ ، لأمتهاتِ أولادِ شتى .

خلافة معاوية بن يزيد

وفي هذه السنة بوج لمعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بالشام بالخلافة ، ولبعد الله بن الزبير بالحجاز .

ولما هلك يزيد بن معاوية مكث الحصين بن نمير وأهل الشام يقاتلون ابن الزبير وأصحابه بمكة - فها ذكر هشام عن عوانة - أربعين يوماً ، قد حصروهم حصاراً شديداً ، وضيقوا عليهم . ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ، ولم يبلغ الحصين بن نمير وأصحابه ، فحدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد قال : حدثنا زياد بن جيل ^(١) ، قال : بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير ، إذ جاء موت يزيد ، فصاح بهم ابن الزبير ، فقال : إن طاعيتكم قد هلك ، فمن شاء منكم أن يدخل فها دخل فيه الناس فليل ، فمن كره فليلحق بشامه ، ففقدوا عليه يقاتلونه . قال : فقال ابن الزبير للحصين بن نمير : أذن مني أحدك ، ففدنا منه فحدثه ، فجعل فرس أحدهما يثقل - والحقل : الروث - فجاء حمام الحرم يلتقط من الحقل ، فكف الحصين فرسه عنهن ، فقال له ابن الزبير : ما لك ؟ قال : أخاف أن يقتل فرسي حمام الحرم ، فقال له ابن الزبير : أنت حرج من هذا وتريد أن تقتل المسلمين ! فقال له : لا أقاتلك ، فأذن لنا تطف بالبيت ، ونصرف عنك ، ففعل فانصرفوا .

وأما عوانة بن الحكم فإنه قال - فها ذكر هشام ، عنه - قال : لما بلغ ابن الزبير موت يزيد - وأهل الشام لا يعلمون بذلك ، قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه - أخذ يتاديهم هو وأهل مكة : علام تقاتلون ؟ قد هلك طاعيتكم ، وأغلوا لا يصدقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقع النخعي من أهل الكوفة في رمس أهل العراق ، فر بالحصين بن نمير - وكان له صديقاً ، وكان بينهما صهر ، وكان يراه عند معاوية ، فكان يعرف فضله

وإسلامه وشفقة - فسأل عن الخبر ، فأخبره بهلاك يزيد ، فبعث الحصين ابن تميم إلى عبد الله بن الزبير ، فقال : موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطل ، فالتفتا ، فقال له الحصين : إن بك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر ؛ هلم فلنبايعك ، ثم أخرج معي إلى الشام ، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرضائهم ، فوافقه لا يختلف عليك اثنان ، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك ، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة ؛ فكان سعيد بن عمرو يقول : ما منته أن يبايعهم ويخرج إلى الشام إلا تطير ، لأن مكة التي منه الله بها ، وكان ذلك من جند مروان ، وإن عبد الله وافقه لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان . فزم بعض قريش أنه قال : أنا أهدر ^(١) تلك الدماء ! أما والله لا أرضى ^(٢) أن أقتل بكل رجل منهم عشرة ^(٣) ، وأخذ الحصين يكلّمه سرّاً ، وهو يحمر جهرّاً ، وأخذ يقول : لا وافقه لا أفضل ، فقال له الحصين بن نمير : قبح الله من يعدك بعد هذه ^(٤) ذاهباً قط أو أديباً ^(٥) ! قد كنت أظن أن لك رأياً . ألا أراي أكلمك سرّاً وتكلمني جهرّاً ، وأدعوك إلى الخلاف ، وتعدني القتل والمهلكة !

ثم قام فخرج وصاح في الناس ، فأقبل فيهم نحو المدينة ، وندم ابن الزبير على الذي صنع ، فأوصل إليه : أما أن أسير إلى الشام فلتست فاعلاً ، وأكره الخروج من مكة ، ولكن بايعوا لي هناك فإني مؤمنكم وعاذل فيكم . فقال له الحصين : أرايت إن لم تقدم بنفسك ، ووجدت هناك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يمجّيههم الناس ، فما أنا صانع ؟ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة ، فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومعه قس ^(٦) وشعير ، وهو على راحلة له ، فسلم على الحصين ، فلم يكذب يلتفت

(١) ابن الأثير : لا أهدر . (٢) ابن الأثير : لا أرضى .

(٣) بعضاه ابن الأثير : منكم .

(٤) ف : بعضاه .

(٥) القاسمي : القتل ، وقد ابن الأثير : قبح الله من يعدك بعد ذاهباً وآيباً .

(٦) القس : الرطبة من حلف الدياب .

إليه ، ومع الحصين بن نعيم فرس له حقيق ، وقد فتى قتته وشعبه ، فهو غريص ، وهو يسب غلامه ويقول : من أين نجد هنا لدابتنا عكفاً ! فقال له علي بن الحسين : هذا علف عندنا ، فاعلف منه دابتك ، فأقبل على علي عند ذلك بوجهه ، فأمر له بما كان عنده من عكف ، ولجئاً أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فدلوا حتى كان لا يفردهم رجل إلا أخذ بلجام دابته ثم نكس عنها ، فكانوا يمتعون في معسكرهم فلا يفرقون . وقالت لهم بنو أمية : لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ، ففعلوا ، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام ، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية ابن يزيد ، فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر حتى مات .

وقال عوانة : استخلف يزيد بن معاوية ابنة معاوية بن يزيد ، فلم يمكث إلا أربعين يوماً حتى مات .

وحدثني عمر ، عن علي بن محمد ، قال : لما استخلف معاوية بن يزيد وجمع محال أبيه ، وبويع له بدمشق ، هلك بها بعد أربعين يوماً من ولايته . ويكنى أبا عبد الرحمن ، وهو أبو ليلى ، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة ، وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً .

• • •

وفي هذه السنة بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد ، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطليح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم ، ثم أرسل عبيد الله رسولا إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذي فعل من ذلك أهل البصرة ، فأبوا عليه ، وحصبوا الولي الذي كان عليهم ، ثم خالفه أهل البصرة أيضاً ، فهاجت بالبصرة فتنة ، ولحق عبيد الله بن زياد بالشام .

ذکر انطبوع عما كان من أمر عید الله بن زید

وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد

حدثني عمر بن شبّة، قال: حدثني موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن الحسن، قال: كتب الضحاک ابن قيس إلى قيس بن الميّم حين مات يزيد بن معاوية: سلامٌ عليك، أما بعد، فإنّ يزيد بن معاوية قد مات، وأنتم إخواننا، فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لأنفسنا.

حدثني عمر، قال: حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا وهب بن حماد، قال: حدثنا محمد بن أبي عبيّنة، قال: حدثني شهرک، قال: شهدت عبيد الله بن زياد حين مات يزيد بن معاوية قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أهل البصرة، اتسبوني^(١)، فوالله لتجدنّ مهاجر والدي^(٢) ومولدي فيكم، وداري، ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً، وما أحصى ديوان عمّالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً، وما تركت لكم ذا ظنة^(٣) أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم هذا. وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفى، وقد اختلف أهل الشام، وأنتم اليوم^(٤) أكثر الناس عدداً، وأعرضه فناءً، وأغناه عن الناس، وأوسعهُ بلاداً^(٥)، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم، فأنا أول راضٍ من رضيتموه وتابع، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترتضونه، دحطتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم على جدّ ياتكم حتى تحطوا حاجتكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجةً، وما يستغني الناس عنكم.

٢٤١/٧

(١) ف: «أتسبون». (٢) ابن الأثير: «إن مهاجرنا اليكم».

(٣) ابن الأثير: «قاطبة».

(٤-٥) ابن الأثير: «أكثر الناس عدداً، وأعرضهم فناءً، وأغنى عن الناس وأوسعهم بلاداً».

قامت خطباءُ أهل البصرة فقالوا : قد سمعنا مقاتلتك أيها الأمير ، وإنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك ، فهم فلنبايعك ؛ فقال : لا حاجة لي في ذلك ، فاختاروا لأنفسكم ؛ فأبوا عليه ، وأبى عليهم ، حتى كرّروا ذلك عليه ثلاث مرّات ، فلما أبوا بسط يده فبايعوه ، ثم انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون : لا يظن^(١) ابن مرجانة أننا نستقاد^(٢) له في الجماعة والفرقة ، كتب والله ! ثم وثبوا عليه^(٣) .

حدثني عمر ، قال زهير : قال : حدثنا وهب ، قال . وحدّثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سمير ، أن شقيق بن ثور ومالك بن مسيعة وحضين^(٤) ابن المنذر أتوا عبيد الله ليلاً وهو في دار الإمارة ، فبلغ ذلك رجلاً من الحنّ من بني سُدُوس ؛ قال : فانطلقتُ فلزمتُ دار الإمارة ، فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ، ثم خرجوا معهم بخلٍ موقرٍ مالا ؛ قال : فأتيت حضيناً فقلت : مرّ لي من هذا المال بشيء ، فقال : عليك ببني عمك ، فأتيت شقيقاً فقلت : مرّ لي من هذا المال بشيء . — قال : وهل المال مولّى له يقال له : أيّوب . فقال : يا أيّوب ، أعطه مائة درهم ؛ قلت^(٥) : أما مائة درهم والله لا أقبلها ، فسكت حتى ساعة ، وسارَ هنيهةً ، فأقبلتُ عليه فقلت : مرّ لي من هذا المال بشيء ، فقال : يا أيّوب ، أعطه مائتي درهم ، قلت : لا أقبل والله مائتين ، ثم أمر بثلاثة ثم أربع مائة ، فلما انتهينا إلى الطفاوة قلت : مرّ لي بشيء ؛ قال : أرايتَ إن لم أفعل ما أنت صانع ؟ قلت : أنطلق والله حتى إذا توسّطتُ دورَ الحنّ وضعتُ إصبعي في أذني ، ثم صرختُ بأعلى صوتي : يا معشر بكر بن وائل ، هذا شقيق بن ثور وحضين بن المنذر ومالك بن المسعم ، قد انطلقوا إلى ابن زياد ، فاختطفوا في دماكم ؛ قال : ما له فعل الله به وفعل ! وبلغ أعطه خمسمائة درهم ؛ قال : فأخذتها ثم صبّحتُ غادياً على مالك — قال وهب : فلم أحفظ ما أمر له به مالك — قال :

(١) ف : لا يظن ، ابن الأثير : لا يظن . (٢) ابن الأثير : نقاد .

(٣) ف : هـ هـ هـ . (٤) ط : حسين ، تحريف .

(٥) ف : فقلت .

ثم رأيت حفيظاً فدخلت عليه ، فقال : ما صنع ابن عمك ؟ فأخبرته وقلت : أعطى من هذا المال ، فقال : إننا قد أخذنا هذا المال ونجونا به ، فلن نخشى من الناس شيئاً ، فلم يعطيني شيئاً .

قال أبو جعفر : وحدّثني أبو عبيدة معمر بن المثنى أن يونس بن حبيب الجعفي حدثه ، قال : لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي عليه السلام وبني أبيه ، بعث بروسهم إلى يزيد بن معاوية ، فسرّ بقتلهم أولاً ، وحسنت بذلك منزلة عبيد الله عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم على قتل الحسين ، فكان يقول : وما كان عليّ لو احملت الأذى وأنزلته معي في دارى ، وحكمته فيما يريد ، وإن كان عليّ في ذلك وكفّ ووهن في سلطاني ، حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقة وقرايته ! لمن الله ابن مرجانة ، فإنه أخرجه واضطره ، وقد كان سأله أن يخلّي سبيله ويرجع ^(١) فلم يفعل ، أو يضع يده في يدي ، أو يلحق بشعر من شعور المسلمين حتى يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل ، فأبى ذلك وردّه عليه وقتله ، فبغضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فبغضني البر والفاجر ، بما استعظم الناس من قتل حسينا ، مالى ولا ابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ! ثم إن عبيد الله بعث مولى يقال له أيوب بن حمران إلى الشام ليأتيه بخبر يزيد ، فركب عبيد الله ذات يوم حتى إذا كان في رحبة القصبين ، إذا هو بأيوب بن حمران قد قدّم ، فلحقه فأمر إليه موت يزيد بن معاوية ، فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأبى منزله ، وأمر عبد الله بن حصين أحد بني ثعلبة بن يربوع فنادى : الصلاة جامعة .

قال أبو عبيدة : وأما عمر بن معن الكاتب ، فحدّثني قال : الذي بعثه عبيد الله حمران مولاه ، فعاد عبيد الله عبد الله بن نافع أخى زياد لأمه ، ثم خرج عبيد الله ماشياً من خوذة كانت في دار نافع إلى المسجد ، فلما كان في صحته إذا هو بمولاه حمران أدنى ظلمة عند المساء — وكان حمران رسول عبيد الله بن زياد إلى معاوية حياته وإلى يزيد — فلما رآه ولم يكن [آل] ^(٢)

٤٣٦/٢

٤٣٧/٢

له أن يقدم - قال : منهم ! قال : خير ، قال : وما واصل ؟ قال : أدق منك ؟ قال : نعم - وأسر إليه موت يزيد واختلاف أمر الناس بالشام ، وكان يزيد مات يوم الخميس للتصيف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين - فأقبل عبيد الله من قنوره ، فأمر متادياً فتأدى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فتنعى يزيد ، وعرض بثلبه ليقصد يزيد إياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله ، فقال الأحنف لعبيد الله : إنه قد كانت ليزيد في أعناقنا بئمة ، وكان يقال : أهرض من ذئ فتنن ، فأعرض عنه ، ثم قام عبيد الله بذكر اختلاف أهل الشام ، وقال : إني قد وليتكم ... ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبة ، عن زهير بن حرب إلى : فابعوه عن رضا منهم ومشورة . ثم قال : فلما خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكفهم بباب الدار وحيطان ، ويقولون : ظن ابن مرجانة أنا نوليه أمرنا في الفرقة ! قال : فأقام عبيد الله أميراً غير كثير حتى جعل سلطانه بضعف ، ويأمرنا بالأمر فلا يقضى ، ويرى الرأي فيرد عليه ، ويأمر بحبس الخطي فيحال بين أعوانه وبينه .

قال أبو عبيدة : فسمعتُ غيلان بن عجمد يحدث عن عثمان البتي ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جوشن^(١) ، قال : تبت جنازة فلما كان في سوق الإبل إذا رجل على فرس شهيد متنع سلاح^(٢) وفي يده لواء ، وهو يقول : أيها الناس ، هلموا إلى أدعكم إلى ما لم يدعكم إليه أحد ، أدعوكم إلى العائد بالكرم يعني عبد الله بن الزبير . قال : فتجمع إليه ثوبس^(٣) ، فجعلوا يصفقون على يديه ، ومضينا حتى صلينا على الجنازة ، فلما رجعنا إذا هو قد انضم إليه أكثر من الأوثين ، ثم أخذ بين دار قيس بن الميثم بن أسماء بن الصلت السلمي ودار الحارثيين قيسل بنى تميم في الطريق الذي يأخذ عليهم ، فقال : ألا من أرادني فأنا سكة بن ذؤيب - وهو سكة بن ذؤيب بن عبد الله بن عجم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة - قال : فلقيت عبد الرحمن بن بكر عند الرجة ،

١٢٨/٢

(١) ط : حطب ، وصوابه من ميزان الاتصال .

(٢) في النسخة : مطع سلاح ، أي طيلان .

(٣) ابن الأثير : فاجتمع إليه ثوبس .

فأخبرته بخبر سلمة بعد رجوعه ، فألقى عبد الرحمن عبيد الله فحدثه بالحديث حتى ، فبعث إلى ، فأتته ، فقال : ما هذا الذي خبر به عنك أبو بكر ؟ قال : فاقصصت عليه القصة حتى أتيت على آخرها ، فأمر فزودي على المكان : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فأنشأ عبيد الله يقص أمرو وأمرهم ، وما قد كان دعاهم إلى من يرتضونه ، فيأبىهم معهم ، وإنكم أيتم غيري ، وإنه بلغني أنكم مسختم أكفكم بالحيطان وباب الدار ، وقلم ما قلم ، وإني أمر بالامر فلا يُنفذ ، ويرد على رأبي ، وتحول القاتل بين أعواني وطلبي^(١) ، ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعو إلى الخلاف عليكم ، إرادة أن يفرق جماعتكم ، ويضرب بعضكم بجبه^(٢) . فقال الأحنف صخر بن قيس ابن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولتأس جميعاً : نحن نأتيك بسلمة ، فأثروا سلمة ، فإذا جمعه قد كثف ، وإذا الفتى قد اتسع على الرأتى ، وامتنع عليهم ، فلما رأوا ذلك قعدوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه . قال أبو عبيدة : فحدثني غير واحد ، عن سبرة بن الجارود المثلث ، عن أبيه الجارود ، قال : وقال عبيد الله في خطبته : يا أهل البصرة ، والله لقد لبسنا الخنز واليمنة^(٣) واللين من الثياب حتى لقد أجمنا^(٤) ذلك وأجمته جلودنا ، فما بنا إلى أن نعتقها الحديد ! يا أهل البصرة ، والله لو اجتمع على ذنوب غير ليتكسرو ما كسرتهم . قال الجارود : فواقما روى يمشح^(٥) حتى هرب ، فتولوا روى عند مسعود فلما قتل مسعود لحق بالشام . قال يونس : وكان في بيت مال عبيد الله يوم خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقل^(٦) . وقال علي بن محمد : تسعة عشر ألف

٤٣٩/٧

(١) ابن الأثير : « وبين طلبي » .

(٢) ابن الأثير : « وقاب بعض » . (٣) الإجنة : ضرب من برود اليمن .

(٤) أجمه : أراحه ؛ وأصله من أجم القريس ؛ إذا تركه فلم يركبه . وبالجمام بالفتح : الراححة .

(٥) الجمح : سهم صغير بلا نصل مدور يتصل به الحصيان الرى .

قال عبيد الله : نِعِمَّ ما رأيت ، فأقام حتى إذا قيل : أخوك أم اللئب ؛ حملته خكفته ، وقد نَقَلَ تلك الأموال فأحرزها ، ثم انطلق به يمر به على الناس ، وكانوا يتحاربون غداة الحورورية فيسأل عبيد الله أين نحن ؟ فيخبره ؛ فلما كانوا في بني سليم قال عبيد الله : أين نحن ؟ قال : في بني سليم ؛ قال : سلِمنا إن شاء الله ، فلما أتى بني ناجية قال : أين نحن ؟ قال : في بني ناجية ؛ قال : نجونا إن شاء الله ؛ فقال بنو ناجية : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : الحارث بن قيس ؛ قالوا : ابن أخيكيم ؛ وعرف رجل منهم عبيد الله فقال : ابن مرجانة ! فأرسل سهماً فوقع في عمامته ، ووضى به الحارث حتى ينزله دار قسه في الجهاضم ، ثم مضى إلى مسعود بن عمرو بن عدى بن عمار بن ضميم بن مكيح بن شمرطان بن مَعْن بن مالك بن فهم ، فقالت الأزد^(١) وعمد بن أبي عينة ، فلما رآه مسعود قال : يا حارِ ، قد كان يُتَوَدَّ من سوء طوارق الليل ، فنحوذ بالله من شر ما طرقتنا به ؛ قال الحارث : لم أطرقتك إلا بخير ، وقد علمت أن قولك قد أنجوا زيارداً فوقوا له ، فصارت لهم مكرمة في العرب يفتخرون بها عليهم ، وقد بايعتم عبيد الله ببيعة الرضا ؛ رِضاً عن^(٢) مشورة ؛ وبيعة أخرى قد كانت في أمانكم قبل البيعة - يعني بيعة الجماعة - فقال له مسعود : يا حارِ ، أترى لنا أن نمدى أهل مِصْرَنا في عبيد الله ، وقد أبلينا في أبيه ما أبلينا ، ثم لم نكافأ عليه ، ولم نُشكّرْ إِمَّا كُنْتُ أَحْسَبُ أن هذا من رأيك ؛ قال الحارث : إنه لا يُعَادِيكَ أَحَدٌ عَلَى الْوَفَاءِ بِيَعْتِكَ حَتَّى تَبْلُغَهُ مَأْمَنُهُ .

قال أبو جعفر : وأما عمر فحدثني قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، عن الزبير بن الخريت ، عن أبي ليلى الجهني ، عن الحارث بن قيس ، قال : عرض قسه - يعني عبيد الله بن زياد - علي ، فقال : أما والله إنى لأعرف صدق رأيي كان في قولك ؛ قال : فوقت له ، فأردفته على بطني - وذلك ليلاً - فأخلفت على بني سليم ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قلت : بنو سليم ؛ قال : سلِمنا إن شاء الله ، ثم مررتنا ببني ناجية وهم جُلُوسٌ ومهم السلاح - وكان الناس

(١) في النسخات : لِمِ دولة الأزد (أبو سفيان) . (٢) ط : من .

بِعَجْزِ سَوْنٍ إِذْ ذَاكَ فِي مَجَالِسِهِمْ - فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ ، قَالُوا : امْضِ رَاشِدًا ، فَلَمَّا مَضَيْنَا قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : هَذَا وَلِلَّهِ ابْنُ مَرْجَانَةَ خَلْفَهُ ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ ، فَوَضَعَهُ فِي كُورِ عِمَامَتِهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : الَّذِينَ كُنْتُ تَزْعُمُ أَنَّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ ، هَؤُلَاءِ بَنُو نَاجِيَةٍ ، قَالَ : نَسَجُونَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا حَارِثُ ، إِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَجَمَلْتَ ، فَهَلْ أَنْتَ صَانِعٌ مَا أَشِيرُ عَلَيْكَ ؟ قَدْ عَلِمْتَ مَنَزَلَةَ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قُوَيْهٍ وَشَرَفَهُ وَسَنَّهُ وَطَاعَةَ قَوْمِيهِ لَهُ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَذْهَبَ بِي إِلَيْهِ فَأَكُونَ فِي دَارِهِ ، فَهِيَ وَسْطُ الْأَزْدِ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ صَدَحَ^(١) عَلَيْكَ أَمْرُ قَوْمِكَ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ ، فَمَا شَعَرَ مَسْعُودٌ بِشَيْءٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ لَيْلَتُهُ يُوقِدُ بِقَضِيبٍ عَلَى لَبَنَةٍ ، وَهُوَ يَعَالِجُ خُفْيَهُ قَدْ خَلَعَ أَحَدَهُمَا وَبَقِيَ الْآخَرُ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِي وَجْهِهِ عَرَفْتَنَا وَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ يُتَعَوَّذُ مِنْ طَوَارِقِ السَّوَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَفْتُخْرِجُهُ بَعْدَ مَا دَخَلَ عَلَيْكَ بَيْتُكَ ؟ قَالَ : فَأَمْرُهُ فَدَخَلَ بَيْتَ عَبْدِ الْغَافِرِ بْنِ مَسْعُودٍ وَامْرَأَتَهُ عَبْدِ الْغَافِرِ يَوْمَئِذٍ خَبِيرَةٌ بَنَتْ خُفَافَ بْنَ عَمْرِو - قَالَ : ثُمَّ رَكِبَ مَسْعُودٌ مِنْ لَيْلَتِهِ وَمَعَهُ الْحَارِثُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَطَافُوا فِي الْأَزْدِ وَمَجَالِسِهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَدْ فُتِدَ ، وَإِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ تَلْطَخُوا^(٢) بِهِ ، فَأَصْبَحُوا فِي السَّلَاحِ ، وَفَقَدَ النَّاسُ ابْنَ زِيَادٍ فَقَالُوا : أَيْنَ تَوَجَّهَ ؟ فَقَالُوا : مَا هُوَ إِلَّا فِي الْأَزْدِ .

قَالَ وَهَبٌ : فَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا يَقُولُونَ : أَيْنَ تَرُونَهُ تَوَجَّهَ ؟ فَقَالَتْ حُجْرُ بْنُ عَقِيلٍ : أَيْنَ تَرُونَهُ تَوَجَّهَ !

أَنْدَحَسَ وَاللَّهِ فِي أَجَمَةِ آيِهِ .

وَكَانَتْ وَفَاةُ يَزِيدَ حِينَ جَاءَتْ ابْنَ زِيَادٍ فِي بَيْتِ مَالِ الْبَصْرَةِ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَفَرَّقَ ابْنَ زِيَادٍ مِلَّةً مِنْهَا فِي بَنِي آيِهِ ، وَحَمَلَ الْبَاقِيَ مَعَهُ ، وَقَدْ كَانَ دَعَا الْبَخَارِيَّةَ إِلَى الْقِتَالِ مَعَهُ ، وَدَعَا بَنِي زِيَادٍ إِلَى ذَلِكَ فَأَبَوْا عَلَيْهِ .

حَدَّثَنِي عُمَرُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ الْمَازَنِيِّ ، قَالَ : بَعَثَ إِلَى شَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ مَنْجُوفٍ هَذَا وَابْنَ مَسْمَعٍ يُدْبِلَانِ بِاللَّيْلِ إِلَى دَارِ

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « فَرَق » . (٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « تَلَطَّخُوا » .

مسعود ليردّ ابن زياد إلى الدار ليصلوا بين هذين الغارين، فيهرقوا دماءكم، ويُخرجوا أنفسهم، ولقد هممتُ أن أبعث إلى ابن منجوف فأشده وثاقاً، وأُخرجته عني، فأذهب إلى مسعود فأقرأ عليه السلام مني، وقل له: إن ابن منجوف وابن مسعم يفلان كذا وكذا، فأخرج هذين الرجلين عنك. قال: وكان معه عبيد الله وعبد الله ابن زياد. قال: فلنخطف على مسعود وابنا زياد عنده: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فقلت: السلام عليك أبا قيس، قال: وعليك السلام، قلت: بعثني إليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنه بلغني، فردّ الكلام بعينه إلى «فأخرجهما عنك»، قال مسعود: والله فعلت^(١) ذاك؛ فقال عبيد الله: كيف أبا ثور — ونسي كُنيتَه، إنما كان يكتني أبا الفضل — فقال أخوه عبد الله: إنا والله لا نخرج عنكم، قد أجرتُمونا، وعقدتم لنا ذِمَّتكم، فلا نخرج حتى نُقتلَ بين أظهركم، فيكون عاراً عليكم إلى يوم القيامة.

٤٤١/٢

قال وهب: حدثنا الزبير بن الخريت، عن أبي ليلى، أن أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرم النعمان بن صُهَيْبان الراسي ورجلاً من مضر ليختاروا لهم رجلاً فيؤلّوه عليهم، وقالوا: مَنْ رَضِينَا لَنَا فَقَدْ رَضِينَاهُ. وقال غير أبي ليلى: الرجل المضرى قيس بن الهيثم السُلَيمي. قال أبو ليلى: ورأى المضرى في بني أمية، ورأى النعمان في بني هاشم، فقال النعمان: ما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر من فلان — لرجل من بني أمية — قال: وذلك رأيك؟ قال: نعم، قال: قد قلدتك أمري، ورضيتُ مَنْ رَضِيتَ. ثم خرجا إلى الناس، فقال المضرى: قد رَضِيتُ مَنْ رَضِيتُ النعمان، فمن سَمَى لكم فأنا به راضٍ، فقالوا للنعمان: ما تقول! فقال: ما أرى أحداً غيرَ عبد الله ابن الحارث — وهو بَيَّة — فقال المضرى: ما هذا الذي سميتَ لي؟ قال: لي، لعمري إنه لهو، فرضى الناس بعبد الله وبأبيوه.

قال أصحابنا: دعت مضر إلى العباس بن الأسود بن عوف الزهري، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، ودعت اليَمن إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل، فراضى الناس أن يحكموا قيس بن الهيثم والنعمان بن صُهَيْبان الراسي لينظرا في أمر الرجلين، فاتفق

(١) كذا في ب، وخط: وقلت.

رَأَيْتُهَا عَلَى أَنَّ يُولِيَا الْمَضْرَى الْهَاشِمِيَّ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ أَمْرُ النَّاسِ عَلَى إِمَامٍ ، ٤٤٥/٢
فَقِيلَ فِي ذَلِكَ :

نَزَعْنَا وَوَكَّلْنَا وَيَكْثُرُ بَيْنُ وَاللَّهِ تَجَرُّ خُصَامَهَا تَبْتَغِي مِنْ تَحَالِفٍ

فَلَمَّا أَمَرُوا يَتَّعِلُّ عَلَى الْبَصْرَةِ وَلَّى شَرْطَتَهُ هِمَّيَانُ بْنُ عَبْدِ السُّدُوسِ .

قال أبو جعفر : وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَإِنَّهُ - فِيهَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ

أَبِي سَعْدَانَ ، عَنْهُ - قَصٌّ مِنْ خَبَرِ مُسْعُودٍ وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَأَخِيهِ غَيْرِ الْقَتَنِ

الَّتِي قَصَّهَا وَهَبُ بْنُ جَرِيرٍ ، عَنْ مَنْ رَوَى عَنْهُمْ خَيْرُهُمْ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُسْلِمٌ

ابْنُ حَارِبٍ بْنُ سَلَمٍ بْنِ زِيَادٍ وَغَيْرِهِ مِنْ آلِ زِيَادٍ ، عَنْ مَنْ أَرْكَبَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَمِنْ

مَوَالِيهِمْ وَالْقَوْمِ أَعْلَمُ بِحَدِيثِهِمْ ، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ قَيْسٍ لَمْ يَكَلِّمْ مُسْعُودًا ، وَلَكِنَّهُ

آمَنَ عِبِيدَ اللَّهِ ، فَحَمَلَ مَعَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى أُمِّ بَطْشَمِ امْرَأَةِ

مُسْعُودٍ ، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّهِ ، وَمَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا زِيَادٍ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا ،

فَأَذْنَتْ لَهُ ، فَقَالَ لَهَا الْحَارِثُ : قَدْ أَتَيْتُكَ بِأَمْرِ تَسُودِينَ بِهِ نِسَاءُكَ (١)

وَتَتَمَّيْنُ بِهِ شَرَفَ قَوْمِكَ ، وَتَحْجَلِينَ (٢) غَتَّى وَدُنْيَا لَكَ خَاصَّةً ، هَذِهِ مِائَةُ

أَلْفِ دِرْهَمٍ فَاقْبِضِيهَا ، فَهِيَ لَكَ ، وَضُمْتُ عِبِيدَ اللَّهِ . قَالَتْ ، إِنِّي أَخَافُ إِلَّا

يَرْضَى مُسْعُودٌ بِذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُهُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : أَلَسِيهِ ثَوْبًا مِنْ أَوْبَانِي ، وَأَدْخِلِيهِ

بَيْتَكَ ، وَخَلِِّي بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُسْعُودٍ ، فَقَبِضْتُ الْمَالَ ، وَفَعَلْتُ ، فَلَمَّا جَاءَ مُسْعُودٌ

أَخْبَرْتُهُ ، فَأَخَذَ بِرَأْسِهَا ، فَخَرَجَ عِبِيدُ اللَّهِ وَالْحَارِثُ مِنْ حَجَلَتِهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ

عِبِيدُ اللَّهِ : قَدْ أَجَارْتَنِي ابْنَةُ عَمِّكَ عَلِيٍّ ، وَهَذَا ثَوْبُكَ عَلِيٍّ ، وَطَعَامُكَ فِي

بَطْنِي ، وَقَدْ التَفَّ عَلَى بَيْتِكَ ، وَشَهِدَ لِي عَلَى ذَلِكَ الْحَارِثُ ، وَتَلَطَّعًا لِي حَتَّى رَضِيَ . ٤٤٦/٢

قال أبو عبيدة : وَأَعْلَى عِبِيدِ اللَّهِ الْحَارِثُ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّ

يَزَلُ عِبِيدَ اللَّهِ فِي بَيْتِ مُسْعُودٍ حَتَّى قُتِلَ مُسْعُودٌ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَحَدَّثَنِي

يَزِيدُ بْنُ سُمَيْرٍ الْجَرْمِيُّ ، عَنْ سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الْجَرْمِيِّ ، قَالَ : فَلَمَّا

هَرَبَ عِبِيدُ اللَّهِ غَبَرَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِغَيْرِ أَمِيرٍ ، فَاخْتَفَلُوا فِيمَنْ يُؤْمَرُونَ عَلَيْهِمْ ،

ثُمَّ تَرَاخَوْا بِرَجُلَيْنِ يَخْتَارَانِ لَمْ خَيْرَةَ ، فَيَرْضَوْنَ بِهَا إِذَا اجْتَمَعَا عَلَيْهَا ، فَرَاضُوا

بِقَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ السُّكْمِيِّ ، وَبِنَعْمَانَ بْنِ سَعْيَانَ الرَّاسِيَّ - رَاسِبُ بْنُ جَرْمٍ

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « نِسَاءُ الْعَرَبِ » . (٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَتَتَمَّيْنُ » .

ابن رِبَّانٍ بن حُلْوَانٍ بن عِمْرَانَ بن الحَافِ بن قُضَاعَةَ — أن يختاراً مَنْ يَرْضِيَانِ
لَهُم ، فَذَكَرَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ الْحَارِثِ بنَ نَوْفَلِ بنَ الْحَارِثِ بنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ — وَأُمُّهُ
هَنْدُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ — وَكَانَ يَلْقَبُ بِبَنَّةَ ، وَهُوَ جَدُّ سُلَيْمَانَ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْحَارِثِ ، وَذَكَرَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ الْأَسَدِ الزَّهْرِيَّ . فَلَمَّا أَطْلَقَا
عَلَيْهِمَا اتَّعَدَا الْمِرْيَدَ ، وَوَاعَدَا النَّاسَ أَنْ يَجْتَمِعَ آوَاؤُهُمْ عَلَى أَحَدِ هَذَيْنِ .
قَالَ : فَحَضَرَ النَّاسُ ، وَحَضَرَتْ مَعَهُمْ قَارِعَةُ الْمِرْيَدِ ؛ أَيُّ أَعْلَاهُ ، فَجَاءَ قَيْسُ
ابْنُ الْمُهَيْمِ ، ثُمَّ جَاءَ النُّعْمَانُ بَعْدَ ، فَتَجَاوَلَ قَيْسُ وَالنُّعْمَانُ ، فَأَرَى النُّعْمَانُ
قَيْسًا أَنْ هَوَاهُ فِي ابْنِ الْأَسَدِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ مَعًا ، وَأُرَادَهُ
أَنْ يَحْمِلَ الْكَلَامَ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ قَيْسٌ وَقَدْ احْتَفَدَ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ ، فَأَخَذَ
النُّعْمَانُ عَلَى النَّاسِ عَهْدًا لَيَرْضَوْنَ بِمَا يَخْتَارُ . قَالَ : ثُمَّ أَقَى النُّعْمَانُ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ الْأَسَدِ فَأَخَذَ يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ يَشْتَرِطُ عَلَيْهِ شَرَايِطَ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ مَبَايِعُهُ ،
ثُمَّ تَرَكَهُ ، وَأَخَذَ يَدَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْحَارِثِ ، فَاشْتَرِطَ عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ
حَمِيدُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَتَتْهُ عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَقَّ أَهْلُ بَيْتِهِ
وَقَوْلِيَّتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا تَقْبِلُونَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَمِّ نَبِيِّكُمْ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُمُّهُ هَنْدُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ إِنْ كَانَ فِيهِمْ ^(١) فَهَوَاهُ أَنْ تَحْتَكِمَ ،
ثُمَّ صَفَّقَ عَلَى يَدَيْهِ وَقَالَ : أَلَا إِنِّي قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ بِهِ ، فَتَادَوْا : قَدْ رَضِينَا ،
فَأَقْبَلُوا بَعْدَ اللَّهِ بنِ الْحَارِثِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ حَتَّى نَزَلُوا ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ جُمَادَى
الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى شَرْطَتِهِ هَمِيَانَ بنَ عَبْدِ السَّلَامِ ،
وَنَادَى فِي النَّاسِ : أَنْ أَحْضَرُوا الْبَيْعَةَ ، فَحَضَرُوا فَبَايَعُوهُ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ حِينَ بَايَعَهُ :

٤٤٧/٢

وَبَايَعْتُ أَقْوَامًا وَقَبِيتُ بِعَهْدِهِمْ
وَبَيَّةٌ قَدْ بَايَعَتْهُ غَيْرَ نَادِمٍ

قَالَ أَبُو عِيْلَةَ : فَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بنُ هُنَيْدٍ ^(٢) ، عَنْ عَمْرِو بنِ عِيسَى ،
قَالَ : كَانَ مَثَرُ مَالِكِ بنِ مَسْمَعٍ الْجَحْدَرِيِّ فِي الْبَاطِنَةِ عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ
الْإِسْهَاقِيِّ فِي خُطِّ بَنِي جَحْطَرٍ ، الَّذِي عِنْدَ مَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَكَانَ مَالِكٌ
يَحْضُرُ الْمَسْجِدَ ، فَبَيْنَا هُوَ قَاعِدٌ فِيهِ — وَذَلِكَ بَعْدَ يَسِيرٍ مِنْ أَمْرِ بَيْتَةِ — وَاقِفٌ بِالْخُطَّةِ

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « قَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِمْ ،

(٢) ط : « هَنْدَةُ » ، وَأَنْظَرَ الْقَهْرَبِس .

رجل من ولد عبد الله عامر بن كُرَيْز القرشي يريد بية ، ومعه رسالة من عبدالله ابن خازم ، وبيعه بَهْرَة ، فتازعوا ، فأغلظ القرشي مالكا ، فظلم رجل من بكر بن لطل القرشي ، فتهايج من ثم من مضر وربيعة ، وكثرتهم ربيعة الدين في الحلقة ، فنادى رجل : يال تميم ! فسمعت الدعوة عصبية من ضبة ابن أد - كانوا عند القاضي - فأخلوا رماح حراس من المسجد وتبرستهم ، ثم شدوا على الربيعين فهزموهم ، وبلغ ذلك شقيق بن ثور السلمي - وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل - فأقبل إلى المسجد فقال : لا تجدن مضربا إلا تقتلوه ، فبلغ ذلك مالك بن مسمع ، فأقبل متفضلا يسكن الناس ، فكف بعضهم عن بعض ، فكث الناس شهرا أو أقل ، وكان رجل من بني بشكر يمالس رجلا من بني ضبة في المسجد ، فلما كثر لطمه البكرى القرشي ، ففخر اليشكري . قال : ثم قال : ذهبت ظكفك^(١) . فأحفظ الضبي بذلك ، فوجأ عتقه ، فوفقه الناس في الجمعة ، فحُمل إلى أهله ميتا - أعنى اليشكري - فتارت بكر إلى رأسهم أشيم بن شقيق ، فقالوا : سير بنا ، فقال : بل أبعث إليهم رسولا ، فإن سيبروا^(٢) لنا حقنا وإلا سرنا إليهم ، فأبى ذلك بكر ، فأتوا مالكا بن مسمع - وقد كان قبل ذلك مملكا عليهم قبل أشيم ، فغلب أشيم على الرياسة حين شخص أشيم إلى يزيد بن معاوية ، فكتب له إلى عبيد الله بن زياد أن ردوا الرياسة إلى أشيم ، فأبى اللهازم ، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفائهم عترة وشيخ اللات وحلفاؤها حجل حتى توافواهم وآل دهل بن شيان وحلفاؤها بشكر ، ودهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، أربع قبائل وأربع قبائل ، وكان هذا الحلف في أهل الويرة في الجاهلية ، فكانت حليفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف ، لأنهم أهل مدر ، فدخلوا في الإسلام مع أخيهام حجل ، فصاروا ليهزمة ، ثم تراضوا بحكم عمران بن عيصام العنزي أحد بني هُثَيْم ، وردا إلى أشيم ، فلما كانت هذه الفتنة استخفت بكر مالكا بن مسمع ، فغضب وجمع وأعد ،

(١) ذهبت ظكفك ، أي من غير فائدة ، وفي ط : « ظكفك » ، تحريف .

(٢) سيبروا ، أي تركوا .

فطلب إلى الأزدي أن يجدوا الحلف الذي كان بينهم قبل ذلك في الجماعة على يزيد بن معاوية ، فقال حطيرة بن بدر في ذلك :

نزعنا وأمرنا وبكرُ بن وائل نجرُ خصاها تبتغي من تحالفٍ
وما باتَ بكريُّ من الدهرِ ليلةً فبُصِّحَ إلّا وهو لِلذَّلِّ عارفٌ

قال : فبلغ عبيد الله الخبر - وهو في رجل مسعود - من تباعد ما بين بكر ونعيم ، فقال لمسعود : التي مالكا فتجدد الحلف الأول ، فلقية ، فراداً ذلك ، وتابى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك ، فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود ، فأعطاه جزيلاً من المال ، حتى أفاق في ذلك أكثر من مائتي ألف درهم على أن ييايعهما ، وقال عبيد الله لأخيه : استوثق من القوم لأهل اليمن ، فجددوا الحلف ، وكتبوا بينهم كتاباً سوى الكتابين اللذين كانا كتباً بينهما في الجماعة ، فوضعوا كتاباً عند مسعود بن عمرو .

قال أبو عبيدة : فحدثني بعض ولد مسعود ، أن أول تسمية من فيه ، الصلت بن حريث بن جابر الحنفي ، ووضعوا كتاباً عند الصلت بن حريث أول تسميته ابن رجاء العوذى ، من عوذ بن سؤد ، وقد كان بينهم قبل هذا حلف .

قال أبو عبيدة : وزعم محمد بن حفص ويونس بن حبيب وهيرة بن حدير وزهير بن هنيد ، أن مضر كانت تسكن ربيعة بالبصرة ، وكانت جماعة الأزدي آخر من نزل بالبصرة ، كانوا حيث مضرت البصرة ، فحوّل عمر بن الخطاب رحمه الله من تنوخ^(١) من المسلمين إلى البصرة ، وأقامت جماعة الأزدي لم يتحولوا ، ثم لحقوا بالبصرة بعد ذلك في آخر خلافة معاوية ، وأول خلافة يزيد بن معاوية ، فلما قدموا قالت بنو نعيم للأحنف : بادروا إلى هؤلاء قبل أن تسبقنا إليهم ربيعة ، وقال الأحنف : إن أتوكم فاقبلوهم ، وإلا لا تأتوهم فإنكم إن أتيتهم صرتم لم أتباعاً . فأتاهم مالك بن مسطح ورئيس الأزدي يومئذ مسعود بن عمرو المعنى ، فقال مالك : جدّدوا حلفنا وحلف كتبة في الجاهلية ، وحلف بني ذهل بن ثعلبة في طيء بن أدّ من ثعل ،

٤٠٠/٢

فقال الأحنف : أما إذ أتوهم فلن يزالوا لهم أتباعاً أذناناً .

قال أبو عبيدة : فحدثني هيرة بن حدير ، عن إسحاق بن صويد ، قال : فلما أن جرت بكر إلى نصر الأزد على مضر ، وجدّوا الحلف الأول ، وأرادوا أن يسيروا ، قالت الأزد : لا نسير معكم إلا أن يكون الرئيس منا ، فرأسوا مسعوداً عليهم .

قال أبو عبيدة : فحدثني مسلمة بن عمار ، قال : قال مسعود لعبيد الله : سرّ معنا حتى نعيدك في الدار ، فقال : ما أقدر على ذلك ، امض أنت ، وأمر برواحله فشدّوا عليها أدواتها وسودها ، وتزمل في أهبة السفر ، وألقوا له كرمياً على باب مسعود ، فقعده عليه ، وسار مسعود ، وبعث عبيد الله غلماناً له على الخيل مع مسعود ، وقال لهم : إني لا أدري ما يحدث فأقول : إذا كان كذا ، فليأتني بعضكم بالخبر ، ولكن لا يحدثنّ غير ولا شرّاً إلا أناي بعضكم به ، فجعل مسعود لا يأتي على سكة ، ولا يتجاوز قبيلة إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك ، وقدم مسعود ربيعة ، وعليهم مالك بن مسمع ، فأخلوا جميعاً سكة المريد ، فجاء مسعود حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، وعبد الله بن الحارث في دار الإمارة ، قليل له : إن مسعوداً وأهل اليمن وريبعة قد ساروا ، ويهيج بين الناس شرّاً ، فلو أصلحت بينهم أو ركبت في بني تميم عليهم ! فقال : أبعدهم الله ! لا والله لا أضلت نفسي في إصلاحهم ، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول :

لَأُنْكِحَنَّ بَيْتَهُ جَارِيَةً فِي قَبْئِهِ
تَمُشُّطُ رَأْسَ لَعْنَةٍ .

فهذا قول الأزد وريبعة ، فأما مضر فيقولون : إن أمه هند بنت أبي سفيان كانت ترقصه وتقول هذا ، فلما لم يحلّ أحد بين مسعود وبين صعود المنبر ، خرج مالك بن مسمع في كتيبه حتى علا الجبلان من سكة المريد ، ثم جعل يمرّ بعيداد دور بني تميم حتى دخل سكة بني المدوينة من قبل الجبلان ، فجعل يحرق دورهم للشحناء التي في صدورهم ، لقتل الضبي الشكرى ، ولاستراض ابن خازم ربيعة بهرة ، قال : فينا هو في ذلك إذ أتوه فقالوا : قتلوا

مسعوداً ، وقالوا : سارت بنو تميم إلى مسعود ، فأقبل حتى إذا كان عند مسجد بنى قيس فى سكة المريد ، وبلغه قتل مسعود ، وقف .

قال أبو عبيدة : فحدثنى زهير بن هنيذ ، قال : حدثنا الضحاك — أو الوضاح بن خيثمة أحد بنى عبد الله بن دارم — قال : حدثنى مالك بن دينار ، قال : ذهبت فى الشباب الذين ذهبوا إلى الأحنف ينظرون ، قال : فأتيته وأتته بنو تميم ، فقالوا : إن مسعوداً قد دخل الدار وأنت سيدنا ، فقال : لست بسيدكم ، إنما سيدكم الشيطان .

وأما هيرة بن حدير ، فحدثنى عن إسحاق بن سويد العلوى ، قال : أتيت منزل الأحنف فى النظارة ، فأتوا الأحنف فقالوا : يا أبا بحر ، إن ربيعة والأزد قد دخلوا الرحبة ، فقال : لستم بأحق بالمسجد منهم ، ثم أتوه فقالوا : قد دخلوا الدار ، فقال : لستم بأحق بالدار منهم ، فتسرّع سلمة بن ذؤيب الرياحى ، فقال : إلى يا معشر القتيان ، فلما هذا جئيس لا خير لكم عنده ، فلبست ذؤيبان بنى تميم فانتدب معه خمسمائة ، وهم مع ماه أفريلون^(١) ، فقال لهم سلمة : أين تريلون ؟ قالوا : إيتاكم أردنا ، قال : فقتلوا .

قال أبو عبيدة : فحدثنى زهير بن هنيذ ، عن أبى نعام ، عن ناشب ابن الحساس وحديد بن هلال ، قالوا : أتينا منزل الأحنف بحضرة المسجد ، قالوا : فكنا فمين ينظر ، فأتته امرأة بمجمر فقالت : ما لك ولرياسة ! تجمر فلما أنت امرأة ، فقال : است المرأة أحق بالمجمر ، فأتوه فقالوا : إن عليّة بنت ناجية الرياحى — وهى أخت مطر ، وقال آخرون : عزة بنت الحر الرياحية — قد سليت نخلانها من ساقيتها ، وكان منزلها شارعاً فى رجة بنى تميم على الميضاة ، وقالوا : قتلوا الصباغ الذى على طريقك ، وقتلوا المقعد الذى كان على باب المسجد ، وقالوا : إن مالك بن سمع قد دخل سكة بنى العلوية من قبل البنان ، فحرق دوراً ، فقال الأحنف : أقيموا البيعة على هذا ، فى دين هذا ما يحيل قتالهم ، فشهدوا عنده على ذلك ،

٥١٢/٧

فقال الأحنف : أجهاء عبّاد ؟ وهو عبّاد بن حصين بن يزيد بن عمرو بن
أوس بن سيف بن عزم بن حِلْزَة بن ييكان بن سعد بن الحارث الحبيطة بن عمرو
ابن تميم ، قالوا : لا ، ثم مكث غير طويل ، فقال : أجهاء عبّاد ؟ قالوا : لا ،
قال : فهل ها هنا عبّس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحَكَم
ابن ظالم بن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ؟ فقالوا : نعم ،
فدعاه ، فانتزع مِجْرًا في رأسه ، ثم جثا على ركبتيه ، ففداه في رُحْم ثم
دفعه إليه ، فقال : سر . قال : فلما ولي قال : اللهم لا تُخزها اليوم ،
فإنك لم تخزها فيما مضى . وصاح الناس بهاجت زبراموزير^(١) أمه للأحنف ، وإنما
كتبوا بها عنه - قالوا : فلما سار عبّس جاء عبّاد في ستين فارسًا فقال ،
٤٥١/٢ ما صنع الناس ؟ فقالوا : ساروا ، قال : ومن عليهم ؟ قالوا : حبس بن طلق
الصرمي ، فقال عبّاد : أنا^(٢) أسير تحت لواء عبس ! فرجع والفرسان إلى أهله .

فحدثني زهير ، قال : حدثنا أبو ريمانة العُمَريّ ، قال : كنت يوم قتل
مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدي أعدو حتى بلغنا شريعة
القديم .

قال إسحاق بن سويد : فأقبلوا ، فلما بلغوا أفواه السكك وقفوا ، فقال لهم
ماه أفريدين^(٣) بالفارسية : ما لكم يا معشر القتيان ؟ قالوا : تلقّونا بأسنة
الرماح ، فقال لهم بالفارسية : صكّوهم بالفنجان - أي بخمس نَشَابَات في
رَسَبَة ، بالفارسية - والأساور أربعة ، فصكّوهم بالثي نَشَابَة في دفعة ،
فأجلوا عن أبواب السكك ، وقاموا على باب المسجد ، ودلّقت التميمية إليهم ،
فلما بلغوا الأبواب وقفوا ، فسلم ماه أفريدين : ما لكم ؟ قالوا : أئسندوا إلينا
أطراف رماحيهم ، قال : ارموهم أيضًا ، فرمّوهم بالثي نَشَابَة ، فأجلوهم عن
الأبواب ، فدخلوا المسجد ، فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويخصّص ،
فجعل غطّمان بن أنيف بن يزيد بن فهلة ، أحد بني كعب بن عمرو بن

(١) ط : « زبراء » تصحيف ، صوابه من القاموس .

(٢) ابن الأثير : « لا » . (٣) في النشائط : « فريدين » .

تميم ، وكان يزيد بن فهلة فارساً في الجاهلية يقاتل ويحضر قومه ويرتجز :

يال تميم إنَّها مذكورة إنَّ قات مسعود بها مشهورة

١٠٠/٢

• فاستميسكوا بجانيب المقصورة •

أى لا يهرب فيفوت .

قال إسحاق بن يزيد . فأتوا مسعوداً وهو على المنبر يحضر ، فاستنزلوه فقتلوه ، وذلك في أول شوال سنة أربع وستين ، فلم يكن القوم شيئاً ، فانهزموا . وبادر أشيم بن شقيق القوم بباب المقصورة هارباً ، فطعنه أحدُهم ، فنجى بها ، ففى ذلك يقول الفرزدق :

لو أن أشيم لم يسبق أسنننا وأخطأ الباب إذ نيرائنا نَقِدَ^(١)

إذا لصاحب مسعوداً وصاحبه وقد تهافت الأعفاج والكيد^(٢)

قال أبو عبيدة : فحدثني سلام بن أبى خبيرة ، سمعته أيضاً من أبى الحسناء كسيب العبدي يحدث في حكمة يونس ، قال : سمعنا الحسن ابن أبى الحسن يقول في مجلسه في مسجد الأمير : فأقبل مسعود من ها هنا — وأشار بيده إلى منازل الأزدي أمثال الطير — معلماً بقاء ديباج أصفر مغير^(٣) بسواد ، يأمر الناس بالسنة ، وينهى عن الفتنة : ألا إن من السنة أن تأخذ فوق يدك ، وهم يقولون : القمر القمصر ، فوالله ما لبثوا إلا ساعة حتى صار قمرهم قميراً ، فأنوه فاستنزلوه عن المنبر وهو عليه — قد علم الله — فقتلوه .

قال سلام في حديثه : قال الحسن : وجاء الناس من ها هنا — وأشار بيده إلى دور بني تميم •

(١) ديوانه ١٩٣ ، والباب ما هو باب الفتنة .

(٢) روضة الديوان .

• كَلَامُهُمَا خَارِجُ الْأَعْفَاجِ وَالْكِيدِ •

حل الإيلاء ، والأعفاج : الأسماء .

(٣) في النجاشي : « مغير » .

قال أبو عبيدة : فحدثني مسَلَمَةُ بن محارب ، قال : فأتوا عبيد الله فقالوا : قد صدع مسعود المنبر ، ولم يُرمَ دُونُ الدارِ بِكُتَّابٍ ^(١) ، فبيناه في ذلك يتنهياً ليجيء إلى الدار ، إذ جاءوا فقالوا : قد قتل مسعود ، فاغترز في ركابه فطحق بالشام ، وذلك في شوال سنة أربع وستين .

٤٥٦/٢

قال أبو عبيدة : فحدثني رَوَّادُ الكعبي ، قال : فأتى مالك بن مسمع أناسٌ من مضر ، فحصره في داره ، وحرَّقوا ، في ذلك يقول غَطَفَانُ بن أنيف الكعبي في أرحوزة :

وَأَصْبَحَ ابْنُ مِسْمَعٍ مَحْصُورًا يَبْنِي قُصُورًا دُونَهُ وَدُورًا
حَتَّى شَبَبْنَا حَوْلَهُ السَّجِيرَا •

ولما هرب عبيد الله بن زياد اتَّبعوه ، فأعجز الطلبة ، فانتهبوا ما وجدوا له ، في ذلك يقول واهد بن خليفة بن أسماء ، أحد بني صخر بن مِثْرَمَ بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد :

يَا رَبُّ جَبَّارٌ شَلِيدٌ كَلِيلٌ قَدْ صَارَ فِينَا نَاجَهُ وَسَلَبٌ
مِنْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ حِينَ نَسَلَبُهُ جِيَادُهُ وَبَزُهُ وَنَهَبُهُ
يَوْمَ التَّقَى يَقْنَبُنَا وَيَقْنَبُهُ لَوْ لَمْ يُنَجِّ ابْنَ زِيَادٍ هَرَبُهُ
وَقَالَ جَرَمٌ ^(٢) بَنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ، أحد بني العلوية في قتل مسعود في كلمة طويلة :

وَمُسْعُودٌ بَنَ عَمْرٍو إِذْ أَنَا صَبَحْنَا حَدَّ مَطْرُورٍ سَنِينَا ^(٣)
رَجَا التَّأْمِيرَ مَسْعُودٌ فَأَضْحَى صَرِينَعًا قَدْ أَرْزَنَاهُ الْمَنُونَا
قال أبو جعفر محمد بن جرير : وأما عمر ، فإنه حدثني في أمر خروج عبيد الله إلى الشام ، قال : حدثني زهير ، قال : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : حدثنا الزبير بن الخريت ، قال : بعث مسعود مع ابن زياد

(١) قال في اللسان : الكتاب : السهم عامة ، وما رماه بكتاب ، أي بهم ، وفي ط : « بكتاب » تصريف . (٢) في اللسان ٩ : ١٧٩ « عيم » .
(٣) سنينا ، يفتح السين أي سنوفاً ، قيل بمعنى مغلوط .

مائة من الأزد ، عليهم قرّة بن عمرو بن قيس ، حتى قطعوا به الشام .

وحدثني عمر ، قال : حدثنا أبو حاصم النبيل ، عن عمرو بن الزبير ٥٧/٢ ، وخالد بن يزيد الباهلي والوليد بن هشام ، عن عمه ، عن أبيه ، عن عمرو بن هبيرة ^(١) ، عن يسكاف ^(٢) بن شريح اليشكري ، قال ، وحدثني علي بن محمد ، قال - قد اخطفوا فزاد بعضهم على بعض - إن ابن زياد خرج من البصرة ، فقال ذات ليلة : إنه قد ثقل على ركوب الإبل ، فوطئوا لي على ذى حافر ، قال : فالتقيت له قطيفة على حمار ، فركبه وإن رجليه لتكادان تخدان في الأرض . قال اليشكري : فإنه ليسير أمامي إذ سكنت سكنته فأطاما ، فقلت في نفسي : هذا حبيب الله أمير العراق أمس ناظم الساعة حل حمار ، لو قد سقط منه أحنثه ، ثم قلت : والله لئن كان ناظما لأنفصن عليه نومة ، فذئبت منه ، فقلت : أناثم أنت ؟ قال : لا ، قلت : فما أسكتك ؟ قال : كنت أحدث نفسي ، قلت : أفلا أحدثك ما ^(٣) كنت تحدث به نفسك ؟ قال : هات ، فوالله ما أراك تكيس ولا نصيب ، قال : قلت : كنت تقول : ليتني لم أقتل الحسين ، قال : وماذا ؟ قلت : تقول : ليتني لم أكن قتل من قتل ، قال : وماذا ؟ قلت : كنت تقول : ليتني لم أكن بنيت البيضاء ، قال : وماذا ؟ قلت : تقول : ليتني لم أكن استعملت الدهاقين ، قال : وماذا ؟ قلت : تقول : ليتني كنت أسخى مما كنت ، قال : فقال : والله ما نطق بصواب ، ولا سكنت من خطي ، أما الحسين فإنه سار إلى يريد قتل ، فاخترت قتله على أن يقتلني ، وأما البيضاء فإني اشتريتها من عبد الله بن عثمان التقي ، وأرسل ^(٤) يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها ، فإن بقيت فلاهلي ، وإن هليكت لم آس عليها بما لم أحنف فيه ، وأما استعمال الدهاقين فإن عبد الرحمن بن أبي بكره وزاذان فروخ وقمبا في عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز ، فلبثا بخراج العراق مائة ألف ألف ، فخيرني معاوية بين الضمان والعزل ، ففكرت العزل ،

(١) في المصنوعات : ولله : و عمرو بن هبيرة . (٢) ابن الأثير : و يسكاف .

(٣) ابن الأثير : و ما . (٤) ابن الأثير : و أرسل إلى .

فكنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج ، فقدمت إليه أو أغرمت صدور قومه ، أو أغرمت عشيرته أضرت بهم ، وإن تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه ، فوجدت الدّهاقين أبصر بالحياية ، وأوفى بالأمانة ، وأهون في المطالبة^(١) منكم ، مع أني قد جعلتكم أمناه عليهم^(٢) فلا يظلموا أحداً . وأما قولك في السخاء ، فوالله ما كان لي مال فأجود به عليكم ، ولو شئت لأخذت بعض ما ليكم فخصصت به بعضكم دون بعض ، فيقولون : ما أسخاه ! ولكني عمتكم ، وكان عندي أنفع لكم . وأما قولك : ليتني لم أكن قتل من قتل ، فما علمت بعد كلمة الإخلاص عملا هو أقرب إلى الله عندي من قتل^(٣) من قتل من الخوارج ، ولكني سأخبرك بما حدثت به نفسي ، قلت : ليتني كنت قاتل أهل البصرة ، فإنهم يابغون طائفتين غير مكرمين ، وإيم الله لقد حرصت على ذلك ، ولكن بني زياد أتوني فقالوا : إنك إذا قاتلتهم فظفروا عليك لم يبقوا منا أحداً ، وإن تركتهم تغيب^(٤) الرجل منا عند أخواله وأصهاره ، فرقت لم فلم أقاتل . وكنت أقول : ليتني كنت أخرجت أهل السجن فضربت أعناقهم ، فأما إذ فاتت هاتان فليتني كنت أقدم الشام ولم يبرموا أمراً .

قال بعضهم : فقدم الشام ولم يبرموا أمراً ، فكأنما كانوا معه صبياناً ، وقال بعضهم : قدم الشام وقد أبرموا ، فتقض ما أبرموا إلى وأيه .

١٥٩/٢

* * *

وفي هذه السنة طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وعزّكوه عنهم ، واجتمعوا على عامر بن مسعود .

ذكر الخبر عن عزل عمرو بن حريث وتأميم عامراً

قال أبو جعفر : ذكر المهيم بن عدي ، قال : حدثنا ابن عيَّاش ، قال :

(١) ابن الأثير : « بالمطالبة » .

(٢) ابن الأثير : « حله » .

(٣) ابن الأثير : « من قتل من قتل » .

(٤) ط : « يغيب » .

كان أول من جُمع له المِصران : الكوفة والبصرة زياداً وابنه ، قتل من الخوارج ثلاثة عشر ألفاً ، وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف ، فلما هلك يزيد قام خطيباً ، قال : إنَّ الذي كنا نقاتل عن طاعته قد مات ، فإنَّ أمرَكموني جَبِيْتُ فَيَسْكُم ، وقَاتَلْتُ عدوكم . وبعث بذلك إلى أهل الكوفة مقاتِلَ ابنِ مِسْمَعٍ وسعيد بن قرحا ، أحد بني مازن ، وخطبته على الكوفة تحمرو بن حريث ، فقاما بذلك ، فقام يزيد بن الحارث بن رُويم الشيباني فقال : الحمد لله الذي أراحنا من ابنِ سُمَيَّة ، لا ولا كرامة ! فأمر به عمرو فلبَّ ومضى به إلى السجن ، فصالت بكرُ بينهم وبينه ، فانطلق يزيد إلى أهله خائفاً ، فأرسل إليه محمد بن الأشعث : إنَّك على رأيك ، وتتابعت عليه الرُّسلُ بذلك ، وصعد عمرو المنبر فحصبوه ، فدخل داره ، واجتمع الناسُ في المسجد فقالوا : نؤمِّر رجلاً إلى أن يجتمعَ الناسُ على خليفة ، فأجمعوا على عمر^(١) بن سعد ، فجمعت نساء هَمْدان يَكِين حُسَيْنًا ، ورجالهم متخلو السيف ، فأطافوا بالمنبر ، فقال محمد بن الأشعث : جاء أمرٌ غير ما كنا فيه ، وكانت كِنْدَةَ تقوم بأمرِ عمر بن سعد لأنهم أخواله ، فاجتمعوا على عامر ابن مسعود ، وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير ، فأقره .

وأما عَوَانَةُ بن الحَكَم ، فإنه قال فيها ذكر هشام بن محمد عنه : لما بايع أهلُ البصرة عبيد الله بن زياد بعث وافدين من قبيله إلى الكوفة : عمرو بن مِسْمَعٍ ، وسعد بن القرحا التميمي ، ليعلم أهل الكوفة ما صنع^(٢) أهل البصرة ، ويسألونهم البيعة لعبيد الله بن زياد ، حتى يصطلع الناس ، فجمع الناسَ عمرو بن حريث ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ هذين الرجلين قد أتياكم من قبيل أميركم يدعوانكم إلى أمر يجمع الله به كلمتكم ، ويصلح به ذات بينكم ، فاسمعوا منهما ، وأقبلوا عنهما ، فإنهما يرشدان ما أتياكم .

فقام عمرو بن مسمع ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر أهل البصرة واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد حتى يرى الناس رأيهم فيمن يولون عليهم ،

وقد جئناكم لتجتمع أمرنا وأمركم فيكون أميرنا وأميركم واحداً ، فإنما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة ، وقام ابن القرقا فتكلم نوحاً من كلام صاحبه . قال : فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيباني - وهو ابن رويم - فحصبهما أول الناس ، ثم حصبهما الناس بعد ، ثم قال : أنحن نبيع لابن مَرْجَانَةَ لا ولا كرامة ، فشرفت تلك الفتلة يزيد في المِصْر ورفعته ، ورجع الوفد إلى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا : أهل الكوفة يخلعون ، وأنتم تولونه وتبايعونه ! فوثب به الناس ، وقال : ما كان في ابن زياد وصمة إلا استجارته بالأزد .

قال : فلما نابذه الناس استجار بمسعود بن عمرو الأزدي ، فأجاره ومنعه ، ١٦١/٢ فكث تسعين يوماً بعد موت يزيد ، ثم خرج إلى الشام ، وبشت الأزد وبكر ابن وائل رجالاً منهم معه حتى أوردوه الشام ، فاستخلف حين توجه إلى الشام مسعود بن عمرو على البصرة ، فقالت بنو تميم وقيس : لا نرضى ولا نجيز ولا نولي إلا رجلاً نرضاه جماعتنا ، فقال مسعود : فقد استخلفني فلا أدع ذلك أبداً ، فخرج في قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله ، واجتمعت تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له : إن الأزد قد دخلوا المسجد ، قال : ودخل المسجد فنه ! إنما هو لكم وليم ، وأنتم تدخلونه ، قالوا : فإنه قد دخل القصر ، فصعد المنبر . وكانت خوارج قد خرجوا ، فزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبید الله بن زياد إلى الشام ، فزعم الناس أن الأحنف بعث إليهم أن هنا الرجل الذي قد دخل القصر لنا ولكم علو ، فامتنعكم من أن تبدوا به ! فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ، ومسعود بن عمرو على المنبر يبيع من أتاه ، فبريه حليج يقال له : مسلم من أهل فارس ، دخل البصرة فأسلم ثم دخل في الخوارج ، فأصاب قلبه فقتله وخرج ، وجال الناس بعضهم في بعض فقالوا : قتل مسعود بن عمرو ، قتلته الخوارج ، فخرجت الأزد إلى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا ، وطردوهم عن البصرة ، ودفوا مسعوداً ، فجاءهم الناس فقالوا لهم : تعلمون أن بني تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو ، فبشت الأزد تسأل عن ذلك ، فإذا أناس منهم يقولونه ، فاجتمعت الأزد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو العتكي ، ثم ازدكفوا إلى بني تميم

١٦٢/٢ وخرجت مع بني نعيم قيس ، وخرج مع الأزد مالك بن مسمع وبكر بن وائل فأقبلوا نحو بني نعيم . وأقبلت نعيم إلى الأحنف يقولون : قد جاء القوم ، اخرج . وهو متمكث ، إذ جاءته امرأة من قومه بمجمر فقالت : يا أحنف اجلس على هذا ، أي إنما أنت امرأة ، فقال : استك أحق بها ، فما أصبح منه بعد كلمة كانت أرفث منها ، وكان يعرف بالحلم . ثم إنه دعا بوابته فقال : اللهم انصرها ولا تدللها ، وإن نصرتها ألا يظهر بها ولا يظهر عليها ، اللهم احقن دماءنا ، وأصلح ذات بيننا . ثم سار وصار ابن أخيه لإياس بن معاوية بين يديه ، فالتقى القوم فاقتلوا أشد القتال ، فقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، فقالت لم بنو نعيم : الله الله يا معشر الأزد في دمائكم ودمائكم ! بيننا وبينكم القرآن ومن شتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا يئنة أنا قتلنا صاحبكم ، فاخاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم ، وإن لم تكن لكم يئنة فإننا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ، ولا نعلم لصاحبكم قاتلا ، وإن لم تربدوا ذلك فنحن ندي صاحبكم بمائة ألف درهم . فاصطلحوا ، فأتاهم الأحنف بن قيس في وجوه مضر إلى زياد بن عمرو العنكي ، فقال : يا معشر الأزد ، أنتم جبرتنا في الدار ، وإخواننا عند القتال ، وقد أتيناكم في رحالكم لإطفاء حشيتكم ، وصل سخيمتكم ، ولكم الحكم مرسل ، فقولوا على أعلامنا وأموالنا ، فإنه لا يتعاضدنا ذهاب شيء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا ، فقالوا : أئدؤن صاحبنا عشر ديات ؟ قال : هي لكم ، فانصرف الناس واصطلحوا ، فقال المهيم بن الأسود :

١٦٢/٢ أغلَى بمسعود الناعي فقلت له نِعَمَ اليائي تجرؤا على الناعي
أوفى ثمانين ما يسطيعه أحد فتى دعاه لرأس العدة الداعي
آوى ابن حرب وقلمدت ملأه فلوسع السرب منه أى لإساع
حتى توارت به أرض وعامرها وكان ذا ناصر فيها وأشاعر

وقال عبيد الله بن الحرّ :

ما زِلْتُ أَرْجُو الْأَزْدَ حَتَّى رَأَيْتُهَا تَقْصُرُ عَنْ بَنَانِهَا الْمُتَطَوِّلِ
أَيَقْتُلُ مَسْعُودٌ وَلَمْ يَشَأْزُوا بِهِ وَصَارَتْ سَيْوْفُ الْأَزْدِ مِثْلَ الْمَنَاجِلِ
وَمَا خَيْرُ حَقْلِ أَوْزَتْ الْأَزْدَ ذِلَّةً تَسْبُ بِهِ أَحْيَاؤُهُمْ فِي الْمَحَافِلِ
عَلَى أَنَّهُمْ شَمَطَتْ كَأَنَّ لِحَامَهُمْ ثَعَالِبُ فِي أَعْنَاقِهَا كَالْجَلَّاجِلِ

واجتمع أهل البصرة على أن يمحطوا عليهم منهم أميراً يصل بهم حتى
يجمع الناس على إمام ، فمحطوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهراً ، ثم جعلوا
بيته - وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب - فصلى بهم شهرين ، ثم
قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر من قبل ابن الزبير ، فكث شهرة ١٦١/٢
ثم قدم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعزله ، فولىها الحارث
وهو التسباع .

قال أبو جعفر : وأما عمر بن شبة ، فإنه حدثني في أمر عبد الملك بن
عبد الله بن عامر بن كرز بن أمريّة ومسعود وقله ، وأمر عمر بن عبيد الله
غير ما قال هشام بن عوانة . والذي حدثني عمر بن شبة في ذلك أنه قال :
حدثني علي بن محمد ، عن أبي مضر عبيد الله الدهني ، قال : لما بايع الناس
بيته ولّى بيته شرطته هميّان بن عدى ، وقدم على بيته بعض أهل المدينة ،
وأمر هميّان بن عدى بإنزاله قريباً منه ، فأقى هميّان داراً لليل مولى زياد التي
في بني سليم وهم بتغريغها لئلا يزلها إرساءه ، وقد كان هرب وأقل أبوابة ، فتمت
بنو سليم هميّان حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن
كرز ، فأرسل بخاريته ومواليه في السلاح حتى طردوا هميّان ومنعوه الدار ،
وغدا عبد الملك من الغد إلى دار الإمارة ليسلم على بيته ، فلقية على الباب رجل
من بني قيس بن ثعلبة ، فقال : أنت المعين علينا بالأمس ! فرغ يده فطمه ،
فضرب قوم من البخاريّة يد القيس فاطارها ، ويقال : بل سليم القيس ،
وغضب ابن عامر فرجع ، وغضب له مضر فاجتمعت وأتت بكر بن

والل أشيم بن شقيق بن ثور فاستصرخوه ، فأقبل معه مالك بن مسمع حتى
 صعد المنبر فقال : أي مضرى وجدتموه فاسلبوه . وزعم بنو مسمع أن مالكاً
 جاء يومئذ متغصلاً في غير سلاح ليرد أشيم عن رأيه . ثم انصرفت بكر وقد
 ٤٦٥/٢ تحاجزوا هم والمضرية وما غتصمت الأزد ذلك ، فحاقوا بكرًا ، وأقبلوا مع مسعود
 إلى المسجد الجامع ، وفزعته تميم إلى الأحف ، ففقد عمامته على قناة ،
 ودفعها إلى سلمة بن ذؤيب الرياحي ، فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل
 المسجد ومسعود يخطب ، فاستتركوه فقتلوه ، وزعمت الأزد أن الأزارقة
 قتلوه ، فكانت الفتنة ، وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن
 ابن الحارث بن هشام حتى رضىت الأزد من مسعود بعشر دينات ، ولزم
 عبد الله بن الحارث بيته ، وكان يتدين ، وقال : ما كنت لأصلح الناس
 بفساد نفسى .

قال عمر : قال أبو الحسن : فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير ، فكتب
 إلى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس ، فصلّى بهم أربعين يوماً .

حدثني عمر ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : كتب ابن الزبير إلى عمر
 ابن عبيد الله بن معمر التيمي بهداه على البصرة ، ووجه به إليه ، فوافقه
 وهو متوجه يريد السمرّة ، فكتب إلى عبيد الله يأمره أن يصلّى بالناس ، فصلّى
 بهم حتى قدم عمر .

حدثني عمر ، قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ،
 قال : حدثني أبي ، قال : سمعت محمد بن الزبير ، قال : كان الناس اصطلاحوا
 على عبد الله بن الحارث الهاشمي ، فولى أمرهم أربعة أشهر ، وخرج نافع بن
 الأزرق إلى الأهواز ، فقال الناس لعبد الله : إن الناس قد أكل بعضهم بعضاً ،
 تؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تفضح ، قال : فتريدون ماذا ؟
 قالوا : تضع سيفك ، وتشد على الناس ، قال : ما كنت لأصلحهم
 ٣١/٢ بفساد نفسى ، يا غلام ، ناولني نعل ، فانتحل ثم لحق بأهله ، وأمر الناس
 عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، قال أبي ، عن الصعبي بن زيد :

إنَّ الجحارِفَ وقعَ وحيدُ الله على البصرة ، فأتت أمُّه في الجحارِفَ ، فما وجدوا لها من يَحْمِلُها حتى استأجروا لها أربعةَ أحْلاجٍ فحملوها إلى حَفْرَتِها ، وهو الأميرُ يُمَثِّدُ .

حدَّثني عمر ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمدٍ ، قال : كان بيتُ قد تناولَ في عمله على البصرةَ أربعين ألفاً من بيت المال ، فاستودعها رجلاً ، فلما قدم عمر بن حبيد الله أميراً أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه ، وعذَّب مولى له في ذلك المال حتى أغرمه إياه .

حدَّثني عمر قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمدٍ ، عن القافلانِي ، عن يزيد ابن عبد الله بن الشَّخِير ، قال : قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل : رأيتك زمان استعملت علينا أصبغت من المال ، واتَّقيتَ الدم ، فقال : إنَّ تَبِيعَةَ المالِ أهونُ من تَبِيعَةِ الدم .

• • •

[ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة]

وفي هذه السنة ولَّى أهلُ الكوفةَ عامرَ بنَ مسعودٍ أمرَهم ، فذكر هشام ابن محمد الكلبي ، عن عوانة بن الحكم ، أنهم لما ردُّوا وفدَى أهل البصرة اجتمع أشرافُ أهل الكوفة ، فاصطلحوا على أن يصلِّيَ بهم عامر بن مسعود — وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشي ، وهو دُحْرُوجَةُ الجُحَلِ الذي يقول فيه عبد الله بن هَمَّام السُّلَوِي :

أشدُُّ بدينِكَ بزيْدُ إن ظَفِرتَ بهِ واشفِ الأرايِلَ من دُحْرُوجَةِ الجُحَلِ

وكان قصيراً — حتى يرى الناس رأبهم ، فكث ثلاثة أشهر من مَهْلِك ٤٦٧/٢ يزيد بن معاوية ، ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخَطَمِيُّ على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة^(١) بن عبيد الله على الخراج ، فاجتمع

(١) ابن الأثير : « طليحة » .

لابن الزبير أهل الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الشام ،
وأهل الجزيرة إلا أهل الأردن .

• • •

[خلافة مروان بن الحكم]

وفي هذه السنة بُويع لمروان بن الحكم بالخلافة بالشام .
• ذكر السبب في البيعة له :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال :
لما بُويع عبدُ الله بنُ الزبير ولَّى المدينةَ عبيدةَ بنَ الزبير ، وعبد الرحمن بن
جسَّحَدَمَ القِهْرِيَّ مَصْرَ ، وأُخْرِجَ بَنِي أُمَيَّةَ ومروان بن الحكم إلى الشام —
وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين — فلما قدم حصين بن نمير ومن معه إلى
الشام أخبر مروانَ بما خُطِفَ عليه ابنُ الزبير ، وأنه دعاه إلى البيعة ، فأبى
فقال له ولبني أُمَيَّةَ : نراكم في اختلاط شديد ، فأقيموا أمركم ^(١) قبل أن
يدخل عليكم شامكم ، فتكون فتنة عيالة صماء ، فكان من رأي مروان أن
يرحل فينتقل إلى ابن الزبير فيبايعه ، فقدم عبيد الله بن زياد واجتمعت عنده
بنو أُمَيَّةَ ، وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان ، فقال له : استحيتُ لك
عما تريد ! أنت كبيرُ قريش وسيدها ، تصنع ما تصنع ! فقال : ما فات
شيءٌ بعدُ ، فقام معه بنو أُمَيَّةَ ومواليهم ، وتجمع إليهم أهلُ اليمن ، فسار وهو
يقول : ما فات شيءٌ بعدُ ، فقدم دمشق ومن معه ، والفتاحك بن قيس القهري ^{٦٨/٢}
قد بايعه أهلُ دمشق على أن يصلِّيَ بهم ، ويقمَ لهم أمرهم حتى يجمع أمرُ
أُمَيَّةَ محمد .

وأما عوادة فإنه قال — فيها ذكر هشام عنه — إن يزيد بن معاوية لما مات وابنته
معاوية من بعده ، وكان معاوية بن يزيد بن معاوية — فيما بلغني — أمرَ بعد ولايته
فتردى بالشام : الصلاة جامعة ! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ،
فإنني قد نظرت في أمركم فضجعتُ عنه ، فابتغيت لكم رجلاً مثلَ عمرَ بن

(١) ابن الأثير : « أمركم » .

الخطاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت لكم سنة في الشورى مثل سنة عمر ؛ فلم أجدها ، فأنتم أولى بأمركم ، فاختاروا له من أحببهم . ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس ، وتغيّب حتى مات . فقال بعض الناس : دُسّ إليه فسُي سمّاً ، وقال بعضهم : طعن .

• • •

رجع الحديث إلى حديث حوالة . ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحّاك ابن قيس الفهري ، فثار زُفَر بن الحارث الكلّابي بقينسرين يبايع لعبد الله بن الزبير ، وبايع النعمان بن بشير الأنصاري بمحمصّ لابن الزبير ، وكان حسان ابن مالك بن محمد الكلّبي فلسطين عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم ليّزید ابن معاوية بعده ، وكان يهوى هوى بني أمية ، وكان سيّد أهل فلسطين ، فدعا حسان بن مالك بن محمد الكلّبي رَوْحَ بن زُبَاع الجُدّاعي ، فقال : إني مستخلفك على فلسطين ، وأدخل هذا الحيّ من لَحْمٍ وجُدّام ، ولست بدون رجل إذ كنت عينهم . فالتفت بمن معك من قومك . وخرج حسان بن مالك إلى الأردنّ ١٦٩/٢ واستخلف رَوْحَ بن زُبَاع على فلسطين ، فثار فاطل بن قيس بروج بن زُبَاع فأخرجه ، فاستولى على فلسطين ، وبايع لابن الزبير ، وقد كان عبد الله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن ينقِ بني أمية من المدينة ، فتغوّا بعيالاتهم ونساءهم إلى الشام ، فقد متّ بنو أمية دمشق وفيها مروان بن الحكم ، فكان الناس فريقين : حسان بن مالك بالأردنّ يهوى هوى بني أمية ، ويدعو إليهم ، والضحّاك ابن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزبير ، ويدعو إليه . قال : فقام حسان بن مالك بالأردنّ ، فقال : يا أهل الأردنّ ، ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلتى أهل الحرّة ؟ قالوا : نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتلتى أهل الحرّة في النار ، قال : فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلكم بالحرّة ؟ قالوا : نشهد أن يزيد على الحقّ ، وأن قتلتا في الجنة ، قال : وأنا أشهد لئن كان دينُ يزيد بن معاوية وهو حيّ حقّاً يومتدّ لأنه اليوم وشيعته على حقّ ، وإن كان ابن الزبير يومتدّ وشيعته على باطل لأنه اليوم على باطل وشيعته ، قالوا له : قد صدقت ، نحن نبايعك على أن تقاتل من

خاطفك من الناس ، وأطاع ابن الزبير ، على أن تجنّبنا هذين الغلامين ، فلما نكره ذلك - يَحْتَوِن ابْنِي يزيد بن معاوية عبد الله ونخلد - فلأنهما حديثاً أسنانهما ، ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ وأتيتهم بصبي . وقد كان الضحاك ابن قيس بدمشق يَهْوَى هَوَى ابن الزبير ، وكان يمنعه من إظهار ذلك أن بنى أمية كانوا بحضرته ، وكان يعمل في ذلك سرّاً ، فبلغ ذلك حسان بن مالك ابن بحدل ، فكتب إلى الضحاك كتاباً يعظم فيه حق بنى أمية ، ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاه بنى أمية عنده وصنيعهم إليه ، ويدعوه إلى طاعتهم ، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ، ويذكر أنه منافق ، قد خلع خليفتين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس . ودعا رجلاً من كتّاب يدعى ناغضة فسرّح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس ، وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ، ودفعه إلى ناغضة ، وقال : إن قرأ الضحاك كتابي على الناس وإلا فتم فاقراً هذا الكتاب على الناس ، وكتب حسان إلى بنى أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك ، فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه ودفع كتاب بنى أمية إليهم ، فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام إليه ناغضة ، فقال : أصلح الله الأمير ! ادع بكتّاب فاقراه على الناس ، فقال له الضحاك : اجلس ، فجلس ، ثم قام إليه الثانية فقال له : اجلس ، ثم قام إليه الثالثة فقال له : اجلس ، فلما رآه ناغضة لا يفعل أخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس ، فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدّق حساناً وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبي النمس^(١) الضنّاني ، فصدّق مقالة حسان وكتابه ، وشتم ابن الزبير ، وقام سفيان الأبرد الكلبى فصدّق مقالة حسان وكتابه ، وشتم ابن الزبير .

وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسان وأنتى على ابن الزبير ، واضطرب الناس تبعاً لهم ، ثم أمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان

(١) ابن الأثير : وأبو النمس ، قال : « بالسّين المهملة ، وقيل بالشين المعجمة ، وكان قد ارتد عن الإسلام ودخل الروم مع جبلة بن الأيهم ، ثم حارب الإسلام ، وشهد صفين مع معاوية وحاض إلى أيام حبه الملك بن مروان » .

ابن الأبرد الذين كانوا صدقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا ، وجال الناس بعضهم في بعض ، ووثبت ككُلب على عمرو بن يزيد السكمي فضر به وحرقوه بالنار ، وخرقوا ثيابه .

وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرتقتين من المنبر ^(١) وهو يومئذ غلام ، والضحّاك بن قيس على المنبر ، فتكلم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يسمع مثله ، وسكن الناس ونزل الضحّاك فصلّى بالناس الجمعة ، ثم دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيان بن الأبرد ، وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس ، فقال الوليد بن عتبة : لو كنت من كلب أو غسان أخرجت .

قال : فجاء ابن يزيد بن معاوية : خالد وعبد الله ؛ معهما أخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن ، فكان ذلك اليوم يسميه أهل الشام يوم جيترون الأول . وأقام الناس بدمشق ، وخرج الضحّاك إلى مسجد دمشق ، فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية ، فوقع فيه ، فقام إليه شاب من كلب بعضاً معه فضر به بها ، والناس جلوس في الخلق متقلدى السيوف ، فقام بعضهم إلى بعض في المسجد ، فاقتتلوا ؛ قيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحّاك ، وكُلب تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد ، ويتمصبون ليزيد ، ودخل الضحّاك دار الإمارة ، وأصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر ، وكان من الأجناد ناس يهوون هوى بني أمية ، وناس يهوون هوى ابن الزبير ، فبعث الضحّاك ٤٧٢/٢ إلى بني أمية فدخلوا عليه من الغد ، فاعتلوا إليهم ، وذكر حسن بلائهم ^(٢) عند مواليه وعنده ، وأنه ليس يريد شيئاً يكرهونه .

قال : فتكبون إلى حسان ونكتب ، فيسير من الأردن حتى ينزل الجابية ، ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها ، فنباع لرجل منكم ، فرضيت بذلك بنو أمية ، وكتبوا إلى حسان ، وكتب إليه الضحّاك ، وخرج الناس وخرجت بنو أمية واستقبلت الرايات ، وتوجهوا يريدون الجابية ، فجاء ثور بن معن بن يزيد ابن الأخت السكمي إلى الضحّاك ، فقال : دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعتناك

(١) في ابن الأثير : « فصعد مرتقتين من المنبر وسكن الناس » .

(٢) ف : « بلائهم » .

على ذلك ، وأنت تسير إلى هذا الأعراي من كُتَيْب تستخلف ابن أخيه خالد ابن يزيد ! فقال له الضحّاك : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تُظهر ما كنا نسرّ ونُدعو إلى طاعة ابن الزبير ، وتقاتل عليها ، فالضحّاك بمن معه من الناس فعطفهم ، ثم أقبل يسير حتى نزل بمَرْجَ راهط .

واختلف في الوقعة التي كانت بمَرْجَ راهط بين الضحّاك بن قيس ومروان ابن الحَكَم ، فقال محمد بن عمر الواقدي : بُويع مروانُ بنُ الحَكَم في المهرَم سنة خمس وستين ، وكان مروانُ بالشَّام لا يُحدث نفسه بهذا الأمر حتى أطمعته فيه عبيد الله بن زياد حين قدّم عليه من العراق ، فقال له : أنت كبيرُ قريش ورئيسها ، يلي عليك الضحّاك بن قيس ! فذلك حين كان ما كان ، فخرج إلى الضحّاك في جيش ، فقتلهم مروان والضحّاك يومئذ في طاعة ابن الزبير ، وقتل قيس بمَرْجَ راهط مقتلةً لَمْ يُقتل مثُلها في موطن قط . ١٧٣/٢

قال محمد بن عمر : حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، قال : قُتِل الضحّاك يومَ مَرْجَ راهط على أنه يدعوا إلى عبد الله بن الزبير ، وكُتِبَ به إلى عبد الله لما ذُكِر عنه من طاعته وحسن رأيه ^(١) . وقال غير واحد : كانت الوقعة بمَرْجَ راهط بين الضحّاك ومروان في سنة أربع وستين .

وقد حدثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى ابن يعقوب ، عن أبي ^(٢) الحَوَيْث ، قال : قال أهل الأردن وغيرهم لمروان : أنت شيخٌ كبير ، وابن يزيد غلام وابن الزبير كهول ، وإنما يقرع الحديدُ بعضه ببعض ، فلا تبارِه بهذا الغلام ، وارمِ بنحرك في نحره ، ونحن نباعك ، أبسط يدك ، فبسطها ، فبايعوه بالجابية يومَ الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين .

قال محمد بن عمر : وحدثني مصعب بن ثابت ، عن عامر بن عبد الله أن الضحّاك لما بلغه أن مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة ، بايع من معه

(١) ط : « لنا يذكر من طاعه لنا » . (٢) ط : « بنى » ، وانظر الفهرس .

لابن الزبير ، ثم سار كل واحد منهما إلى صاحبه ، فاقبلوا قتالاً شديداً ، فقتل الضحاك وأصحابه .

قال محمد بن عمر : حدثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان فتى شاباً ، فقال : إن الضحاك ابن قيس قد كان دها قيساً وغيرها إلى البيعة لنفسه ، فبايعهم يومئذ على الخلافة ، فقال له زُفر بن عقيل القهري : هذا الذي كنا نعرف ونسمع ، وإن بنى الزبير يقولون : إنما كان بايع لعبد الله بن الزبير ، وخرج في طاعته حتى ١٧٤/٧ قتل ، الباطل والله يقولون ، كان أول ذاك أن قريشاً دعته إليها ، فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً .

• • •

ذكر انظر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتعام الغبر عن السكان من جليل الأخبار والأحداث في سنة أربع وستين قال أبو جعفر : حدثنا نوح بن حبيب ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحكم الكلبي ، قال : مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد البجاية لقاء حسّان بن مالك ، فمطّقتهم ، ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط ، وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بنو أمية ، وبايعه على ذلك جلّ أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم .

قال : وصارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافقوا حسّاناً بالبجاية ، فصلّى بهم حسّان أربعين يوماً ، والناس يتشاورون ، وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حمص ، وإلى زُفر بن الحارث وهو على قنسرين ، وإلى ناقل ابن قيس وهو على فلسطين يستمدّهم ، وكانوا على طاعة ابن الزبير ، فأمدّه النعمان بشرحبيل بن ذى الكلاع ، وأمدّه زُفر بأهل قنسرين ، وأمدّه ناقل بأهل فلسطين ، فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرج .

وكان الناس بالبجاية لهم أهواء مختلفة ، فأما مالك بن هيرة السكوني فكان يهوى هوى بنو يزيد بن معاوية ، ويجب أن تكون الخلافة فيهم ، وأما الحميم بن غدير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم ،

قال مالك بن هيرة لحصين بن نمير : هلم فلنبايع^(١) لهذا الغلام الذي نحن
ولدتنا أباه ، وهو ابن أختنا ، فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه ، فإنه يحملنا
على وقاب العرب غداً - يعنى خالد بن يزيد - فقال الحصين : لا ، لعمري
الله ، لا تأتينا العرب بشيخ وفأنيهم بصبي ؛ فقال مالك : هذا ولم تردى^(٢) تهامة
ولما يبلغ الحزام الطيبين ؛ فقالوا : مهلاً يا أبا سليمان ! فقال له مالك :
والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك
وظل شجرة تستظل بها ؛ إن مروان أبو عشيرة ، وأخو عشيرة ، وعم عشيرة ،
فلن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ، ولكن عليكم باين أختكم خالد ، فقال حصين :
إنني رأيت في المنام قنديلاً معلقاً من السماء ، وإن من بعد عتقه إلى الخلافة
تناولته فلم ينله ، وتناوله مروان فتناوله ، والله لنستخلفه ؛ فقال له مالك :
ويحك يا حصين ! أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من
قيس ! فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان بن الحكم قام روح بن زنياع الجذاعي ،
فحميد الله وأنتى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم تذكرون عبد الله بن عمر
ابن الخطاب وصحبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلده في الإسلام ،
وهو كما تذكرون ؛ ولكن ابن عمر رجل ضعيف ، وليس بصاحب أمة محمد
الضعيف ، وأمّا ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدعون إليه من أمره
فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابن أسماء ابنة أبي بكر الصديق ذات النطاقين ، وهو بعد كما تذكرون في
قدومه وفضله ؛ ولكن ابن الزبير منافق ، قد خلع خليفتين : يزيد وابنه معاوية
ابن يزيد ، وسفك الدماء ، وشق عصا المسلمين ، وليس صاحب أمر أمة
محمد صلى الله عليه وسلم المنافق ؛ وأمّا مروان بن الحكم ، فوالله ما كان في
الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع ، وهو الذي
قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار ، والذي قاتل علي بن
أبي طالب يوم الجمل ، ولأنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشعروا^(٣) الصغير -

(١) ف وابن الأثير : « نبايع هذا الغلام » .

(٢) ف : « ترد » .

(٣) ابن الأثير : « ويستشعروا » .

يعني بالكبير مروان بن الحكم ، وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية . قال :
فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان ، ثم لخالد بن يزيد من بعده ، ثم لعمر
ابن سعيد بن العاص من بعد خالد ، على أن إمارة دمشق لعمر بن سعيد
ابن العاص ، وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية . قال : فدعا حسان
ابن مالك بن جندل خالد بن يزيد فقال : أبني أختي ، إن الناس قد أبوك
لحدائث سنك ، وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك ، وما أبايع
مروان إلا نظراً لكم ؛ فقال له خالد بن يزيد : بل صُجِّرْتُ هنا ، قال : لا
والله ما صُجِّرْتُ عنك ، ولكن الرأي لك ما رأيت . ثم دعا حسان بمروان فقال :
يا مروان ، إن الناس والله ما كلُّهم يرضى بك ، فقال له مروان : إن يُردَّ الله
٧٧/٢ أن يعطينيها لا يمنعني إياها أحد من خلقه ، وإن يُردَّ أن يمنَّعنيها لا يمنَّعنيها
أحد من خلقه . قال : فقال له حسان : صدقت ، وصعد حسان المنبر يوم
الاثنين ، فقال : يا أيُّها الناس ، إنا نستخلف يوم الخميس إن شاء الله ؛ فلما
كان يوم الخميس بايع لمروان ، وبايع الناس له ، وسار مروان إلى البجاية في
الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الأردن من كتب ، وأتته
السكاسك والسكون وضان ، وبيع حسان بن مالك بن جندل إلى الأردن .
قال : وعلى ميمنته - أعني مروان - عمرو بن سعيد بن العاص ، وعلى ميسرته
عبيد الله بن زياد ، وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العنيلي
وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه ، وكان يزيد بن أبي النمس الغساني لم
يشهد البجاية ؛ وكان غنصاً بدمشق ، فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد
ابن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها ، فغلب عليها ، وأخرج عامل الضحاك
منها ، وغلب على الخزائن وبيت المال ، وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال
والسلاح ، فكان أول فتح فتح على بني أمية . قال : وقاتل مروان الضحاك
عشرين ليلة كان ، ثم هُزم أهل المرج ، وقُتِلوا وقُتِل الضحاك ، وقُتِل يومئذ
من أشرف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان
٧٨/٢ يأخذ القطيفة ، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في المطامير ، وقُتِل أهل
الشام يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها ، وقُتِل مع الضحاك

يومئذ رجل من كلب من بني حُلَيْم يقال له مالك بن يزيد بن مالك بن كعب،
وقتل يومئذ صاحب لواء قضاة حيث دخلت قضاة الشام، وهو جد مُدَلِّج
ابن القدام بن زَمَل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجُرَشِي، وقُتِل ثور بن
معن بن يزيد السُلَمِي، وهو الذي كان ردّ الضحّاك عن رأيه. قال: وجاء
برأس الضحّاك رجل من كلب، وذكروا أنّ مروان حين أتى برأسه ساء ذلك
وقال: الآن حين كبرت سنّي ودقّ عظمي وصرت في مثل ظيم الحمار^(١)،
أقبلت بالكاتب أضرب بعضها ببعض!

قال: وذكروا أنه مرّ يومئذ برجل قاتل فقال:

وَمَا ضَرُّهُمْ غَيْرَ حَيْنِ النُّفُوِّ مِنْ أَيْ أَمِيرِي قَرِيضَ غَلَبٍ

وقال مروان حين يُوَيْع له ودعا إلى نفسه:

لَا رَأَيْتُ الْأَمَرَ أَمْرًا نَهَبًا سِيرَتُ^(٢) غَسَّانَ لَهُمْ وَكَلَبًا

وَالسُّكْسُكِيِّينَ رَجَالًا غُلَبًا وَطَيْشًا تَلَبَّاهُ إِلَّا ضَرْبَنَا

وَالْقَيْنَ تَمَشَّى فِي الْحَلِيدِ نُكْبًا وَبَيْنَ تَنُوخٍ مَشْخَرًا صُغْبًا

لَا سَأْلُوكَ الْمُلْكَ إِلَّا غَضَبًا وَإِنْ دَنَتْ قَيْسُ فَقُلْ لَا قَرِيبًا

قال هشام بن محمد: حدثني أبو مخنف لوط بن يحيى، قال: حدثني

رجل من بني عبد ودّ من أهل الشام، قال: حدثني من شهد مقتل الضحّاك

ابن قيس، قال: مرّ بنا رجل من كلب يقال له زُحْنَة بن عبد الله، كأنما يري

بالرجال الجنداء، ما يظن رجلاً إلا صرعه، ولا يضرب رجلاً إلا قتله،

فجعلت أنظر إليه أتسبب من فعله ومن قتله الرجال، إذ حمل عليه رجل

فصرعه زُحْنَة وتركه، فأتيتُه فنظرت إلى المقتول فإذا هو الضحّاك بن قيس،

فأخذت رأسه فأتيت به إلى مروان، فقال: أنت قتله؟ قلت: لا، ولكن

قتله زُحْنَة بن عبد الله الكلبي، فأعجبه صدقي لسانه، وتركى ادعائه، فأمر

لي بمحروقه، وأحسن إلى زُحْنَة.

(١) الظم: ما بين الشريطين، وفي اللسان: وقولهم: ما بينه إلا قدر ظم الحمار، أي لم يبق
من حموله إلا اليسير، يقال: إنه ليس شيء من القلوب أقصر غشاً من الحمار.

(٢) ط: سيرت، والأجود ما أتت به من ابن أبي الحديد.

قال أبو غنief : وحدني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حبيب بن كزة ، قال : والله إن راية مروان يومئذ لمحي ، وإنه ليدفع بمنل سيفه في ظهري ، وقال : اذنُ برايتك لا أبالك ! إن هؤلاء لو قد وجدوا لم حدّ السيف انفرجوا انقراج الرأس ، وانقراج الغنم عن راعيها . قال : وكان مروان في ستة آلاف ، وكان على خيله حبيد الله بن زياد ، وكان على الرجال مالك ابن هيرة ، قال عبد الملك بن نوفل : وذكروا أن يشر بن مروان كانت معه يومئذ راية يقاتل بها وهو يقول :

إِنْ عَلَى الرَّئِيسِ حَقًّا حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصُّدَّةَ أَوْ تَنْتَلِفَا

قال : وصُرح يومئذ عبد العزيز بن مروان ، قال : ومر مروان يومئذ برجل ١٨٠/٧ من محارب وهو في نفر يسير تحت راية يقاتل عن مروان ، فقال مروان : برحمتك الله ! لو أنك انضمت بأصحابك ، فإني أراك في قلة ! فقال : إن معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مدداً أضعاف من تأمرنا ننضم إليه ، قال : فسر بذلك مروان وضحك ، وضم أناساً إليه ممن كان حوله ، قال : وخرج الناس منهزمين من المرج إلى أجنادهم ، فأتته أهل حمص إلى حمص ولانعمان بن بشير عليها ، فلما بلغ النعمان الخبر خرج هارباً ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت حمارة الكلبية ، ومعه ثقبه وولده ، فتحير ليلته كلها ، وأصبح أهل حمص يطلبوه ، وكان الذي طلبه رجل من الكلاعيين يقال له عمرو بن الحليسي فثقبه ، وأقبل برأس النعمان بن بشير ونائلة امرأته وولدها ، فألقى الرأس في حجير أم أيان ابنة النعمان التي كانت تحت الحجاج بن يوسف بعد . قال : فقالت نائلة : ألقوا الرأس إلى فانا أحق به منها ، فألقى الرأس في حجيرها ، ثم أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهوا بهم إلى حمص ، فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها ، قال : وخرج زفر بن الحارث من قنسرين هارباً فلحق بقرقيسياً ، فلما انتهى إليها وطلبها عياض الجرشى^(١) وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لفر بن أسود بن كعب بن

حلمس بن أسلم - وكان يزيد بن معاوية ولّاه قرقيسيا ، فحال عياض بين زُفر وبين دخول قرقيسيا ، فقال له زفر: أوثق لك بالطلاق والميثاق إذا أنا دخلت حمّامها أن أخرج منها ؛ فلما انتهى إليها ودخلها لم يدخل حمّامها ٤٨١/٧ وأقام بها ، وأخرج عياضاً منها ، وتحصّن زُفر بها وثابت إلى قيس . قال : وخرج فأتى ابن قيس الجُذامي صاحب فلسطين هارباً ، فلاحق بآب الزبير بمكة ، وأطبق أهل الشام على مروان ، واستوثقوا له ، واستعمل عليها عماله .

قال أبو مخنف : حدثني رجل من بني عبد ودّ من أهل الشام - يعني الشرق - قال : وخرج مروان حتى أتى مصر بعد ما اجتمع له أمر الشام ، فقدم مصر وعليها عبد الرحمن بن جندب القرشي يدعو إلى ابن الزبير ، فخرج إليه فيمن معه من بني فهر ، وبعث مروان عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر ، وقام على منبرها يخاطب الناس ، وقيل لم : قد دخل عمرو مصر ، فرجعوا ، وأمر الناس مروان وبايعوه ، ثم أقبل راجعاً نحو دمشق ، حتى إذا دنا منها بلغه أن ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين ، فسرّح إليه مروان عمرو بن سعيد بن العاص في جيش ، واستقبله قبل أن يدخل الشام ، فقاتله فهزم أصحاب مصعب ، وكان معه رجل من بني عذرة يقال له محمد بن حريث بن سليم ، وهو خال بني الأشدق ، فقال : والله ما رأيت مثلاً لمصعب بن الزبير رجلاً قط أشدّ قتالاً فارساً وراجلاً ، ولقد رأيتني في الطريق يترجّل فيطرد بأصحابه ، ويشدّ على رجله ، حتى رأيتهما قد دميّتا . قال : وانصرف مروان حتى استقرت به دمشق ، ورجع إليه عمرو بن سعيد .

قال : ويقال : إنه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق ، فترّل الشام ٤٨٢/٧ أصاب بني أمية بتلمع ، قد فاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ، ومن الحجاز كله ، فترّلوا بتدّمر ، وأصابوا الضحّاك بن قيس أميراً على الشام لعبد الله بن الزبير ، فقدم ابن زياد حين قدم مروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة ، فبأخذ منه الأمان لبني أمية ، فقال له ابن زياد : أنشدك الله ألا

فعل، ليس هذا برأى أن تتطلىق وأنت شيخ قريش إلى أبي حُبَيْب بالخلافة ، ولكن ادع أهلَ تلمر فبايعهم ، ثم سر بهم وبمن معك من بني أمية إلى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشام ، قال عمرو بن سعيد بن العاص : صدق والله عبيد الله بن زياد ، ثم أنت سيد قريش وفرعها ، وأنت أحق الناس بالقيام بهذا الأمر ، إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام - يعني خالد بن يزيد بن معاوية - فتزوج أمه فيكون في حِجْرِكَ ، قال : فعل مروان ذلك ، فتزوج أم خالد بن يزيد ، وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن حُثَيْب بن ربيعة بن عبد شمس . ثم جمع بني أمية فبايعوه بالإمارة عليهم ، وبايعه أهل تلمر ثم سار في جمع عظيم إلى الضحاك بن قيس ، وهو يومئذ بدمشق ، فلما بلغ الضحاك ما صنع بنو أمية وسيرتهم إليه ، خرج بمن تبعه من أهل دمشق وغيرهم ، فيهم زفر بن الحارث ، فالتقوا بمِزَج راحط ، فاقتلوا قتالاً شديداً فقتل الضحاك بن قيس الفهري وعامة أصحابه ، وانهزم بقيتهم ، ففزعوا ، وأخذ زفر بن الحارث وجهاً من تلك الوجوه ، هو وشابان من بني سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم ، فلما خاف السلميَّان أن تلحقهم خيل مروان قالاً لزفر : يا هذا ، انج بنفسك ، فأما نحن فقتلونا^(١) ، ففنى زفر وتركهما ٨٢/٢ حتى أتى قترقيسيا ، فاجتمعت إليه قيس ، فرأسوه عليهم ، فذلك^(٢) حيث يقول زُفَر بن الحارث :

أَرَيْنِي سِلَاحِي لَا أَبَا لَكَ إِنِّي أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا^(٣)
أَتَانِي عَنْ مَرْوَانَ بِالْفَيْبِ أَنَّهُ مَقِيدٌ ذِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لَسَانِيَا
فَفِي الْعَيْسِ مَنَاجَاةٌ فِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ^(٤) إِذَا نَحْنُ رَقَعْنَا لَهُنَّ الْمَثَانِيَا
فَلَا تَحْسِبُنِي إِنْ تَغَيَّبْتُ غَائِلًا وَلَا تَفْرَحُوا إِنْ جَشْتُمْ بِلِقَائِيَا

(١) ف : « فأما نحن فقتلونا » .

(٢) ف : « فذلك » .

(٣) انظر شرح ديوان المهدي لغيري ١ : ١٥٣ ، والأغاني ١٧ : ١١٢ (سلي) .

(٤) ابن الأثير : « في العيش منجاة » .

فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْحَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى
أَنْذَهَبُ كُلُّهُ لَمْ تَنْلَهَا رِمَاحُنَا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَتُ وَفِيقَهُ رَاهِطُ
٨٤/٢ أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو وَابْنَ مَمْنٍ تَتَابِعَا
فَلَمْ تَرَ مِنِّي نَبْوَةَ قَبْلَ هَذِهِ
عَشِيَّةَ أَغْلُو بِالْقِرَانِ فَلَا أَرَى
أَبْلَهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتُهُ
فَلَا صُلَحَ حَتَّى تَنْحِطَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُصَيِّبُ غَارِي
فَأَجَابَهُ جُوَاسُ بْنُ قَتْمَنْطَلُ (١) :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَتُ وَفِيقَهُ رَاهِطُ
٨٥/٢ مَقِيمًا قَوًى بَيْنَ الصُّلُوعِ مَحَلُّهُ
تُبَكِّي عَلَى قَتْلِ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ
دَعَا بِسِلَاحٍ ثُمَّ أَحْجَمَ إِذْ رَأَى

وَبَقِيَ حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ (١)
وَتَشْرَكَ قَتْلَى رَاهِطُ هِيَ مَا هِيَ !
لِحَسَانٍ صَدْعًا بَيْنَنَا مَتْنَالِيَا
وَمَقْتَلِي هَمَامٍ أَمْنَى الْأَمَانِيَا (٢)
فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَالِيَا (٣)
مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَلَى وَلَا لِيَا (٤)
بِصَالِحِ أَيْتِي وَشَمْنِ بَلَاغِيَا !
وَتَشَارَ مِنْ يَسْوَانِ كُلِّ نِسَائِيَا
تَنْوَحُوا وَحَيِّ طَيْحُرٍ مِنْ شِفَايَا
عَلَى زُقَيْرٍ دَاةٍ مِنَ الدَّاءِ بَاقِيَا (٥)
وَيَبِينُ الْحَسَا أَعْيَا الطَّبِيبِ الْمُتَلَوِيَا
وَدُفْبَيَانَ مَعْلُورًا وَتُبَكِّي الْبَوَاكِ يَا
سُيُوفَ جَنَابٍ وَالطُّوَالَ الْمَدَاكِ يَا (٦)

(١) رواية ابن الأثير :

فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْحَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى
وَغَضِي وَلَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ دَمَنَةٌ

(٢) الأعرابي : « أبعد ابن سقر وابن عمرو » .

(٣) فخر التبريزي : « يعني ابنه كعباً وولاه سكان » .

(٤) التبريزي : « عشيّة أجري بالصيد ولا أرى » ، ابن الأثير : « عشيّة أدمسوي » .

القرآن » .

(٥) في اللسان : « النحط والنحيط : صوت الخيل من الختل والإحطة » ، وقد ابن الأثير
« حتى تشحط الخيل » .

(٦) في الأعرابي : « فقال ابن الحنابلة للكلبي رحمه » ، وذكر البيهقي : الأولى والثالث ..

(٧) ابن الأثير : « مرا من الهذء » .

(٨) ابن الأثير : « دعا بالسلاح » .

عليها كَأَسَدِ الْغَابِ فَيَنَانُ نَجَلِي
إِذَا شَرَعُوا نَحْوَ الطَّمَانِ الْعَوَالِيَا
فَأُجَابَهُ عَمْرُ بْنُ الْمِخْلَةَ الْكَلْبِيَّ مِنْ تِمِ اللَّاتِ بْنِ رُفَيْدَةَ، قَالَ :

بَكَى زُفَرُ الْقَيْسِيُّ مِنْ هَلَكِ قَوْمِهِ
بَعِيرُهُ عَيْنِي مَا يَجِفُّ سُجُومُهَا
يُبْكِي عَلَى قَتْلِ أُصَيْبَتِ بَرَاهِطِ
تَجَاوَبُهُ هَامُ الْقِفَارِ وَيَوْمُهَا
أَبْحَنَّا جَمِيٍّ لِلْحَى قَيْنِسِ بَرَاهِطِ
وَوَلَّتْ سِلَالًا وَاسْتَبِيحَ حَرِيْمُهَا
يُبْكِيهِمْ حَرَانُ تَجْرِي دُمُوعُهُ
يُرْجَى زِلْزَالًا أَنْ تَتَوَّبَ حُلُومُهَا ١٨٦/٢
فَمَتَّ كَمَدًا أَوْ عَشَ ذَلِيلًا مَهْضُمًا
بِحَسْرَةِ نَفْسٍ لَا تَنَامُ هُمُومُهَا
إِذَا عَطَّرَتْ حَوْلِي قُضَاعَةً بِالْقِنَا
تَحْبُطُ فِعْلَ الْمُصْبَاتِ قُرُومُهَا
خَبِطْتُ بِهِمْ مِنْ كَادَقِي مِنْ قَبِيلَةٍ
فَمَنْ ذَا إِذَا عَزَّ الْخَطُوبُ يَرُومُهَا
وَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَيْضًا :

أَيُّ اللَّهِ أَمَّا بَعْدُ وَلَبِنٌ بِخَلْدِ
فِيحَا وَأَمَّا ابْنُ الزَّيْبِرِ فَيَقْتُلُ^(١)
كَذَبْتُمْ وَبَيَّسَ اللَّهُ لَا تَقْتُلُونَهُ
وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغْرُ مُحَجَّلُ
وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرِقَةِ فَوْقَكُمْ
شُعَاعُ كَهْرَمِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجُلُ^(٢)

(١) ديوان الحماصة - بشرح التبريزي : ٢ : ١٩٩ ؛ قال في شرحه : « كان معاوية بن أبي سفيان لما جعل يزيد ابنه ولي عهد بآيئه الناس إلا الحى من قيس فأنهم قالوا : واه لا تبايع ابن الكلبية » وذلك أن أم يزيد حين بنت مالك بن جمل الكلبى وفسار في نفس يزيد شغل ؛ وأبتدأ الشر بينهم وبين بني أمية ؛ فلما هلك يزيد استسلف له معاوية بن يزيد ، وأمه أيضاً كلبية ؛ وصار حسان بن مالك بن جمل أخو عيسى كالمالك نذر ؛ وكانت خلافة معاوية بن يزيد أياماً قليلة ، وتحررت فتنة ابن الزبير ، فاضطرب حسان بن مالك في الأمر اضطراباً شديداً ، وصار يدعو الناس إلى نفسه تارة ، وإلى من يختارونه من بني أمية أخرى ؛ حتى قال الشاعر :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا بِحَدِّ عَلَى الْهُدَى
وَالْأَزْبِرَى عَصَى فَتَزْبِرَا

إلى أن وقع الاختيار على مروان بن الحكم ، فلما قام بالبيعة صارت البهذلية معه ، فسموا مروانية فيقول زفر : « أي الله » يزيد : أي ذات الله ويرضى حكمه أن تطلب حياة ابن جمل والمتنصبة لبني أمية ومطلب قتل عبد الله بن الزبير مع فضله وشره . . . وهذا الكلام تقرع الناس .

(٢) قرن الشمس : أول ما يظهر منها . والترجل : هو أن تنبسط الشمس ولا يشتد حرها بعد .

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم ، أخو مروان بن الحكم ، فقال :
 أتذهب كلب قد حمّتها رماحها وترك قتلى راحط ما أجنّت^(١) !
 لحا الله قيساً قيس عيلان إنها أصاعت ثغور المسلمين وولّت
 فباؤ بقيس في الرخاء ولا تكن أخاها إذا ما المشرفة سلّت^(٢)

٤٨٧/٢ قال أبو جعفر : ولا بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن
 هيرة فيما أشار به عليه من بيعه خالد بن يزيد بن معاوية ، واستقرّ لمروان بن
 الحكم الملك ، وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن يُتزل بالكفّاء
 من كان بالشام من كتلة ، وأن يجعلها لهم مأكلة ، فأعطاه ذلك ، وإن
 بنى الحكم لما استوثق الأمر لمروان ، وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية
 شروطاً ، قال مروان ذات يوم وهو جالس في مجلسه ومالك بن هيرة جالس
 عنده : إن قوماً يدعون شروطاً منهم عطارة مكحلة — يعني مالك بن هيرة
 وكان رجلاً يطيب ويكحل — فقال مالك بن هيرة : هذا ولما تردى تهامة ،
 ولما يبلغ الخزام الطيبين ، فقال مروان : مهلاً يا أبا سليمان ، إنما دأبتك ،
 فقال مالك : هو ذاك . وقال عويج الطائي يمتدح كتباً وحُميد بن بحدك :
 لقد عليم الأقدامُ وقع ابن بحدك وأخرى عليهم إن بقى سيّعيدها
 يقودون أولاد الوجيه ولاحق من الريف شهراً ما يبنى من يقودها
 فهذا لهذا ثم إني لنافق على الناس أقواماً كثيراً حدودها
 فلولا أمير المؤمنين لأصبحت قضاة أرباباً وقيس عبيدها

• • •

وفي هذه السنة بايع جند خراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن
 معاوية ، على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة .

• • •

(١) الحاق وثائق في ديوان الحماسة — بشرح المازوقي ١٤٩٩ ، ١٥٠٠

(٢) الحماسة : « فشاو قيس » : أي خاطر .

[ذكر الخبر عن فتنة عبد الله بن خازم وبيعة سلم بن زياد]

وفيها كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان .

• ذكر الخبر عن ذلك :

حدثني عمر بن شبة، قال : حدثنا علي بن محمد، قال : أخبرنا مسلمة ابن محارب، قال : بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخوارزم إلى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم ، وأقام سلم والياً على خراسان حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، فبلغ سلم موته ، وأتاه مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسر أبي عبيدة بن زياد ، وكنم الخبر سلم ، فقال ابن عرادة :

يأيها الملك المطلق بابه	حدثت أمور شائهن عظيم
قتل بجنزة والدين بكابل ^(١)	وزيد أعلن شائنه المكوم
أبته أمية إن آخر ملككم	جسد يحاورين ثم مقيم
طرفت مبيته وعند وصادوه	كوب وزي راعف مرثوم ^(٢)
ومرنة تبكي على نشوانه	بالصنج تقعد تارة وقوم ^(٣)

قال مسلمة : فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، ودعا الناس إلى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس ١٨٩/٢ على خليفة ، فبايعوه ، ثم مكثوا بذلك شهرين ، ثم نكثوا به .

قال علي بن محمد : وحدثنا شيخ من أهل خراسان ، قال : لم يحب أهل خراسان أميراً قط حبهم سلم بن زياد ، فسُمي في تلك السنين التي كان بها سلم أكثر من عشرين ألف مولود يسلم ، من حبهم سلماً .

(١) ابن الأثير : « قتل بجرة » .

(٢) يقال : دُم الله ، أي كسر حتى تقطر منه الدم .

(٣) ابن الأثير : « بالصنج تقعد مرة وقوم » .

قال: وأخبرنا أبو حفص الأزدي، عن عمه قال: لما اختطف الناس بخراسان وكنوا بيعة سكم، خرج سكم عن خراسان وخطف عليها المهلب بن أبي صفرة، فلما كان بسرّ خسر لقيه سليمان بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة، فقال له: من خطفت على خراسان؟ قال: المهلب؛ فقال: ضاقت عليك نزار حتى وليت رجلا من أهل اليمس؟ فولاته مرو الروذ والقارياب والطالقاتان والحوزجان، وولي أوس بن ثعلبة بن زفر - وهو صاحب قصر أوس بالبصرة - هراة، ومتقى فلما صار بنيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال: من وليت خراسان؟ فأخبره، فقال: أما وجدت في مضر رجلا تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن والٍ ومزّون عمار^(١)؟ وقال له: اكتب لي عهدا على خراسان، قال: أوالي خراسان أنا^(٢)! قال: اكتب لي عهدا وعلاك ذم. قال: فكتب له عهدا على خراسان، قال: فأعنى الآن بمائة ألف درهم فأمر له بها، وأقبل إلى مرو، وبلغ الخبر المهلب بن أبي صفرة، فأقبل واستخلف رجلا^(٣) من بني جشم بن سعد بن زيد مائة بن تميم.

قال: وأخبرنا المفضل بن محمد النضبي، عن أبيه، قال: لما صار عبد الله بن خازم إلى مرو بعهد سكم بن زياد، منه الجشمي، فكانت بينهما مناشئة، فأصاب الجشمي رمية بحجر في جبهته، فحاجزوا وتحكى الجشمي بين مرو الروذ وبينه، فلخطها ابن خازم، ومات الجشمي بعد ذلك بيومين.

قال علي بن محمد المدائني: حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني، عن أبيه، قال: لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بمعاظم فأخرجهم، وغلب كل قوم على ناحية، ووقعت الفتنة، وغلب ابن خازم على خراسان، ووقعت الحرب.

قال أبو جعفر: وأخبرنا أبو الديال زهير بن هنيذ، عن أبي نعام، قال: أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرو، ثم سار إلى سليمان بن مرثد فلقية

(١) ابن الأثير: «والميم» . (٢) سابقة بن ف .

(٣) هو عرقبة بن الرود .

بمرو الروذ ، فقاتلته أياماً ، فقتل سليمان بن مرثد ، ثم سار عبد الله بن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطاقان في سبعمائة ، وبلغ عمراً إقبال عبد الله إليه وقتله أخاه سليمان ، فأقبل إليه ، فالتصوا على نهر قبل أن يتواقى إلى ابن خازم أصحابه ، فأمر عبد الله من كان معه فترلوا ، فترل وسأل عن زهير بن ذؤيب العلوي ، فقالوا : لم يبق حتى أقبل وهو على حاله ، فلما أقبل قيل له : هذا زهير قد جاء ، فقال له عبد الله : تقدم ، فالتصوا فاقتتلوا طويلاً ، فقتل عمرو بن مرثد ، وانهمز أصحابه ، فلاحقوا بهراً بأوس بن ثعلبة ، ورجع عبد الله ابن خازم إلى مرو .

قال : وكان الذي ولي قتل عمرو بن مرثد زهير بن حيان العلوي فها يروون فقال الشاعر :

ألذهب أيام الحروب ولم تبق زهير بن حيان بعمرو بن مرثداً ٩١/٢
قال : وجدنا أبو السري الخراساني - وكان من أهل هرة - قال : قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمراً ابني مرثد المرتدين من بني قيس بن ثعلبة ثم رجع إلى مرو ، وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل إلى هرة ، وانضم إليها من كان بكنوز خراسان من بكر بن وائل ، فكان لهم بها جمع كثير عليهم أوس بن ثعلبة ، قال : فقالوا له : نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم ، وتخرج مقرر من خراسان كلها ، فقال لهم : هذا بتخي ، وأهل البغي غلولون ، أقيموا مكانكم هذا ، فإن ترككم ابن خازم - وما أراه يفعل - فارضوا بهذه الناحية ، وخلوه وما هو فيه ، فقال بنو صهيب - وهم موالى بني جعد - لا والله لا نرضى أن نكون نحن ومقرر في بلد ، وقد قتلوا لبني مرثد ، فإن أجبنا إلى هذا وإلا أمرنا علينا غيرك ، قال : إنما أنا رجل منكم ، فاصنعوا ما بدا لكم ، فبايعوه ، وسار إليهم ابن خازم ، واستخلف ابنه موسى ، وأقبل حتى نزل على واد بين عسكره وبين هرة ، قال : فقال البكريون لأوس : اخرج فخذق خندقاً دون المدينة فقاتلهم فيه ، وتكون المدينة من ورائنا ، فقال لهم أوس : الزموا المدينة فإنها حصينة ، وخلوا ابن خازم ويتركة الذي هو فيه ، فإنه إن طال مقامه ضجير فأعطاكم ما ترضون

به ، فإن اضطروهم إلى القتال قاتلتهم ، فأبَوْا وخرجوا من المدينة فخذلوا خندقاً دونها ، فقاتلهم ابن خازم نحرًا من سنة .

٩٢/٢ قال وزم الأحنف بن الأشهب الضبي ، وأخبرنا أبو الليال زهير بن المنيد ،

سار ابن خازم إلى هراة وفيها جمع كثير ليكر بن وائل قد خندقوا عليهم ، وتعاقدا على إخراج مضر إن ظفروا بخراسان ، فترك بهم ابن خازم ، فقال له هلال الضبي أحد بني دُهل ، ثم أحد بني أوس : إنما تقاتل إخوتك من بني أيلك ، والله إن نلت منهم فأتريد ما في العيش بعدهم من خير ، وقد قتلت بمرور الروض منهم من قتلت ، فلو أعطيتهم شيئاً يرضون به ، أو أصلحت هذا الأمر ! قال : والله لو خرجت^(١) لم عن خراسان ما رضوا به ، ولو استطاعوا أن يخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم ، قال : لا ، والله لا أرى معك بسهم ، ولا رجل يطيعني من خندق حتى تُعذر^(٢) إليهم ، قال : فأنت رسول إليهم فأرضهم ، فأتى هلال إلى أوس بن ثعلبة فأنشده الله والقرابة ، وقال : أذكرك الله في نزار أن تسفك دماها ، وتضرب بعضها ببعض^(٣) ! قال : لقيت بني صهيب ؟ قال : لا والله ، قال : فالتهم ، فخرج فلقى أرقم بن مطرف الحنفي ، وضمتهم بن يزيد - أو عبد الله بن ضمضم بن يزيد - وعاصم بن الصلت بن الحرث الحنفيين ، وجماعة من بكر بن وائل وكلمهم بمثل ما كلم به أوساً ، فقالوا : هل لقيت بني صهيب ؟ فقال : لقد عظم الله أمر بني صهيب عندكم ، لا لم ألقهم ، قالوا : التهم ، فأتى بني صهيب فكلهم ، فقالوا : لولا أنك رسول لقتلناك ، قال : أفأرضيكم شيء ؟ قالوا : واحدة من اثنين ، إما أن تخرجوا عن خراسان ولا يدعوا فيها لمُضر داع ، وإما أن تقيموا وتتركوا لنا عن كل كُراع سلاح وذبح وفضة ، قال : أما شيء غير هاتين ؟ قالوا : لا ، قال : حسبتا الله ونعم الوكيل ! فرجع إلى ابن خازم ، فقال : ما عندك ؟ قال : وجدت إخوتنا قطعاً للرَّحِم ، قال : قد أخبرتك أن ربيعة لم تزل غضاباً على ربها منذ بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم من مضر .

(١) ابن الأثير : وجرناه . (٢) ابن الأثير : وخطره . (٣) ف : وتضرب أمثلهاء .

قال أبو جعفر : وأخبرنا سليمان بن مجالد الضبي ، قال : أغارت الترك على قصر إسفاد^(١) ، وابن خازم بتهرة ، فحصبوا أهله ، وفيه ناس من الأزد هم أكثر من فيه ، فهزمتهم ، فبعثوا إلى من حولهم من الأزد فجاءوا لينصروهم^(٢) فهزمتهم الترك^(٣) ، فأرسلوا إلى ابن خازم ، فوجه إليهم زهير بن حيان في بني تميم وقال له : إياك ومشاوكة الترك^(٤) ، إذا رأيتموهم فاحملوا عليهم ، فأقبل فوافاهم في يوم بارد ، قال : فلما التقوا شددوا عليهم فلم يشتتوا لهم ، وانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامة الليل حتى انتهوا إلى قصر في المقازة ، فأقامت الجماعة ومضى زهير في فوارس يتبعهم ، وكان عالماً بالطريق ، ثم رجع في نصف من الليل ، وقد بيست يده على رعيه من البرد ، فدعا غلامه كعباً ، فخرج إليه ، فآذنه ، وجعل يسخن له الشحم فيضعه على يده ، ودهنوه وأوقدوا له ناراً حتى لآن ودفي ، ثم رجع إلى هرة ، فقال في ذلك كعب بن معدان الأشقرى :

أتاك ألتاك الغوث في برقي عارض
أبوا أن يضموا حشو ماتجمع القرى
ورزقهم من راحات تزيئها
وقال ثابت قطنة :

فدنت نفسي فوارس من تميم
بقا الباهلي وقد أراي
به حد كسر الرمح فيهم
أكثر عليهم اليعموم كرا
فلولا الله ليس له شريك
على ما كان من صنك المقام
أحاي حين قل به السحاي
أذوهم بذي شطبو حسام
ككر الشرب آتية المدام
وضربى قونس الملك الهمام

(١) ابن الأثير : « إسفاد » .

(٢-٣) ف : « فلم تكن شيئاً » .

(٣) في اللسان من أبي زيد : « تشاغل القوم تشاولاً ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال

بالملاح ، وظله المشاولة » ، وفي ابن الأثير : « ومشاولة » .

إِذَا غَاضَتْ نِسَاءُ بَنِي دِثَارٍ أَمَامَ التُّرْكِ بِأَيِّهِ الْخِدَامُ

• • •

قال أبو جعفر : وحدّثني أبو الحسن الخُراساني ، عن أبي حمّاد السُّلَاسِيّ قال : أقام ابن خازم بهرّةً يُقاتل أوسَ بنَ ثعلبة أكثرَ من سنة ، فقال يوماً لأصحابه : قد طال مقامنا على هؤلاء ، فنادوهم : يا معشرَ ربيعة ، إنكم قد اعتصمتم بخندقكم ، أفرضيتُم من خُراسانَ بهذا الخندق ! فأحفظَهم ذلك ، فننادى الناسُ ^(١) للقتال ، فقال لهم أوسُ بنُ ثعلبة : الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ، ولا تخرجوا إليهم يجماعتكم ، قال : فعمّره وخرجوا إليهم ، فالتقى الناسُ ، فقال ابن خازم لأصحابه : اجعلوه يومكم فيكونَ المُلْكُ لِمَن غلب ، فإن قُتِلَ فأميركم شماسُ بنُ دِثَارٍ العُطارِدِيّ ، فإن قُتِلَ فأميركم بكيرُ بنُ وشاح التَّقِيّ .

قال عليّ : وحدّثنا أبو الليثُال زهيرُ بنُ هُنَيْدٍ ، عن أبي نَعَامَةَ العَدَوِيّ عن عبيد بن نقيد ، عن إياس بن زهير بن حِثَّان : لما كان اليوم الذي هرب فيه أوسُ بنُ ثعلبة وظفرُ ابن خازم بيكرُ بن وائل ، قال ابن خازم لأصحابه حين التقوا : إني قُلِعُ ^(٢) ، فشدّوني على السرج ، واعلموا أن عليّ من السلاح ما لا أقتل قدرَ جَزَرٍ جَزَوْرَيْنِ ، فإن قيل لكم : إني قد قُتِلْتُ فلا تصدّقوا . قال : وكانت رايةُ بني عدِيٍّ مع أبي وأنا على فرسٍ مُحَزَّمٍ ^(٣) ، وقد قال لنا ابن خازم : إذا لقيتمُ الحيلَ فاطعنوها في مناخيرها ، فإنه لن يطن فرسٌ في نخوته إلا أدبر أو رمى بصاحبه ، فلما سمع فرسي قَحَظَمَةَ السلاح وثب بي وادباً كان بيني وبينهم ، قال : فتلقياني رجل من بكر بن وائل فطعنت فرسي في نُخْرَتِهِ ^(٤) ، فصرعه ، وحمل أبي بني عدِيٍّ ، واتبعته بنو تميم من كلِّ وجه ، فاقبلوا ساعةً ، فانهزمتُ بيكرُ بن وائل حتى انتهوا إلى خندقهم

(١) ابن الأثير : « فنادوا » .

(٢) قُلِعَ : القى لا يثبت على الحيل .

(٣) مُحَزَّمٌ : مهمّاً لركوب .

(٤) النخرة : رأس الأنف .

وأخلوا بمينا وشالا ، وسقط ناسٌ في الخندق فقتلوا قتلاً ذريعاً ، وهرب أوسُ ابن ثعلبة وبه جراحات ، وحلف ابن خازم لا يؤتى بأسيرٍ إلا قَتَلَه حتى تغيب الشمس ، فكان آخرَ مَنْ أتى به رجلٌ من بني حنيفة يقال له عَمِيصَة فقالوا لابن خازم : قد غابت الشمس ، قال : وفؤابه القتلَى ، فقتل . قال : فأخبرتني شيخٌ من بني سعد بن زيد مناة أن أوس بن ثعلبة هرب وبه جراحاتٌ إلى سجستان ، فلما صار بها أو قريباً منها مات . وفي مقتل ابن مرثد وأمر أوس بن ثعلبة يقول المغيرة بن حنشاء ، أحد بني ربيعة بن حنظلة :

وفي الحرب كنتم في خراسانَ كلُّها قتيلاً ومسجوناً بها ومسيراً
ويومَ احتواكم في الحفيرِ ابنُ خازمٍ فلم تجلوا إلا الخنادقَ مقبراً
ويومَ تركتم في الفجارِ ابنَ مرثدٍ وأوساً تركتم حيث سار وعسكرأ
قال : وأخبرتني أبو الديال زهير بن هنيد ، عن جده أبي أمه ، قال : قُتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانية آلاف .

قال : وحدَّثنا الثميمي ، رجل من أهل خراسان ، عن مولى لابن خازم ، قال : قاتل ابن خازم أوس بن ثعلبة وبكر بن وائل ، فظفر بهراً ، وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هرة ، واستعمل عليها ابنه محمداً ، وضم إليه شماس بن دثار المطاردى ، وجعل بكبير بن وشاح على شرطته ، وقال لهما : وبشاه فإنه ابن أختكما ، فكانت أمه من بني سعد يقال لها صفية ، وقال له : لا تخالفهما ، ورجع ابن خازم إلى مرو .

• • •

[ذكر الخبر عن تحرك الشيعة للطلب بدم الحسين]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة ، واتعلوا الاجتماع ٩٧/٢ بالنخيلة في سنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي ، وتكاتبوا في ذلك .

• ذكر الخبير عن ميلا أمرهم في ذلك :

قال هشام بن محمد: حدثنا أبو غنم، قال: حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى، قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من محسكره بالشحيلة، فدخل الكوفة، تلاحق الشيعة بالتلاوم والتندم^(١)، وراى أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم لإجابه، ومقتله إلى جانبهم ينصروه، وراوا أنه لا يضل عارهم والإثم عنهم^(٢) في مقتله إلا بقتل من قتلته، أو القتل فيه، ففرعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رموس الشيعة إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صُحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى المسيب بن نجبة القزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن قنيل الأزدى، وإلى عبد الله بن وال التيمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي.

ثم إن هؤلاء نفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد، وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم وجوهرهم.

٤٩٨/٢ قال: فلما اجتمعوا إلى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام، فتكلم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال:

أما بعد، فإننا قد ابتلينا بطول العمر، والتمرض لأنواع الفتن فرغب إلى ربنا ألا يجعلنا من يقول له غدا: ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّالِيُّرُ﴾^(٣)، فإن أمير المؤمنين قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مفرمين بتركيب أنفسنا، وتقرير شيعتنا، حتى يلا الله أخيارنا فرجداً كاذبين في موطنين^(٤) من مواطن ابن ابنة نبيتنا^(٥) صلى الله عليه وسلم، وقد بلغتنا قبل ذلك كتبته، وقدمت علينا رسله، وأعزوا إلينا بآلنا^(٦) نصره عوداً

(١) ابن الأثير: «الناحمة».

(٢) ابن الأثير: «عليهم».

(٣) سورة فاطر: ٣٧.

(٤) ابن الأثير: «في كل موطن».

(٥) ابن الأثير: «نبيه».

(٦) ابن الأثير: «فألنا».

وبدها ، وعلاية وسرا ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتِل إلى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا ، ولا جادلنا عنه بالسنة ، ولا قوّيناه بأموالنا ، ولا طلبنا له الثمرة إلى عشارنا ، فما حُدِرنا إلى ربنا وعند لقاء نبيّنا صلى الله عليه وسلم وقد قُتِل فينا ولده وحبيبه ، وذريته ونسله ! لا والله ، لا عُدِرَ دين أن تقتلوا قاتله والمُوالين عليه ، أو تقتلوا في طلب ذلك ، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك ، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمين . أيها القوم ، ولّوا عليكم رجلا منكم فإنه لا بدّ لكم من أمير تفرّعون إليه ، وراية تحفّون بها ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

٤٩٩/٢

قال : فبدر القوم رفاعة بن شدّاد بعد المسيّب الكلام ، فحمّد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أما بعد ، فإن الله قد هدّاك لأصوب القول ، ودعوت إلى أرشد الأمور ^(١) ، بدأت بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على نبيّه صلى الله عليه وسلم ، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فسموع منك ، مستجاب لك ، مقبول قولك ، قلت : ولّوا أمركم رجلا منكم تفرّعون إليه ، وتحفّون برايته ، وذلك رأى قد رأينا مثل الذي رأيتم ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا ، وفينا متصحا ، وفي جماعتنا عجا ^(٢) ، وإن رأيتم رأي أصحابنا ذلك ولّينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذا السابقة والقُدّم سليمان ابن صرّد الحمودي بأسه ودينه ، والموثوق بحزمه . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال : ثم تكلم عبد الله بن وال وعبد الله بن سعد ، فحمّداهما وبهما وأثنيا عليه ، وتكلما ينحو من كلام رفاعة بن شدّاد ، فذكرا المسيّب بن نجبة بفضل ، وذكرا سليمان بن صرّد بسابقته ، ورضاهما بتوليّته ، فقال المسيّب ابن نجبة : أصبم ووقفم ، وأنا أرى مثل الذي رأيتم ، فولّوا أمركم سليمان ابن صرّد .

(١) ف وابن الأثير : وبدأت بأرشد الأمور .

(٢) ابن الأثير : «عجوا» .

قال أبو مخنف : فحدثت سليمان بن أبي راشد بهذا الحديث ، فقال : حدثني حميد بن مسلم ، قال : والله إنني لشاهدٌ بهذا اليوم ، يوم ولّوا سليمان ابن صرد ، وإننا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة وجوههم في داره .

٥٥٠/٢ قال : فتكلم سليمان بن صرد فشدّ ، وما زال يردّد ذلك القول في كل جمعة حتى حفظته ، بدأ فقال : أتني على الله خيراً ، وأحمد آلاؤه وبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسوله ، أمّا بعد ، فإني والله لخائف ألا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المبيعة ، وعظمت فيه الرزية وشمل في الجور أهل الفضل من هذه الشيعة لما هو خير ، إنا كنا نعدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا ، ونعتيهم النصّر ، ونحتهم على القلوم ، فلما قدموا ونبيّنا وعجزنا ، وادّهنّا ^(١) ، وتربصنا ، وانتظرنا ما يكون حتى قُتل فينا وكُدّ نبيّنا وسلالته وعصائره وبضعة من لحمه ودمه ، إذ جعل يستصرخ فلا يصرخ ، ويسأل النصف فلا يطأه ، اتخذاه الفاسقون غرضاً للنبل ، ودرية للرماح حتى أقصدوه ، وعدّوا عليه فسلبوه . ألا انهضوا قد سخط ربكم ، ولا ترجعوا إلى الحلال والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قله ، أو تسيروا . ألا لا نهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قطّ إلا ذلّ ، كنوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم : ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْخَاذِكُمْ الْجِجَلِ فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ ﴾ ^(٢) لما فعل القوم ؟ جثّوا على الركب والله ، ومدّوا الأعناق ورغبوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيت إلى مثل ما دُعِيَ القوم إليه ! اشعلوا ^(٣) السيوف ، وركبوا الأسنة ، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمَا اسْتَطْعَمُوا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ ^(٤) ، حتى تدعوا حين تدعون وتستغفرون .

(١) ابن الأثير : « ولذعنّا » . (٢) سورة البقرة : ٥٥ .

(٣) ابن الأثير : « أشعلوا » . (٤) سورة الأنفال : ٦٠ .

قال : فقام خالد بن سعد بن نضيل ، فقال : أما أنا فواقه لو أعلم أن قتل^(١) نفسي يُخرجني من ذنبي ويَرْضَى ربي لقتلتُها ، ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونُهيّا عنه ، فأشهد الله وسنّ حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أقاتل به علوى صدقة على المسلمين ، أقوىهم به على قتال القاسطين .

وقام أبو المحرر حنّش بن ربيعة الكِنَافى فقال : وأنا أشهدكم على مثل ذلك .

فقال سليمان بن صرد : حَسْبُكُمْ ، مَنْ أراد من هذا شيئاً فليأت بماله عِدَّة الله بن وال التيمى تيم بكر بن وائل ، فلما اجتمع عنده كل ما تريدون إخراجَه من أموالكم جهزنا به ذوى الحِلَّة والمسكنة من أشياءكم .

قال أبو عَنف لوط بن يحيى ، عن سليمان بن أبى راشد ، قال : فحدثنا حُمَيد بن مسلم الأزدى أن سليمان بن صرد قال لخالد بن سعد بن نضيل حين قال له : والله لو علمت أن قتل نفسي يُخرجني من ذنبي ويَرْضَى عني ربي لقتلتُها ، ولكن هذا أمر به قوم غيرنا كانوا من قبلنا ونُهيّا عنه ، قال : أخوكم هذا غداً فريس أول الأمتة ، قال : فلما تصدق بماله على المسلمين قال له : أبشر بجزيل ثواب الله للذين لأنفسهم يجهلون .

قال أبو عَنف : حدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نضيل ٥٥٢/٢ قال : أخذت كتاباً كان سليمان بن صرد كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمداين ، فقرأته زماناً ولّى سليمان ، قال : فلما قرأته أعجبت ، فتلّمتها فأنسيته ، كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة وسن قبلك من المؤمنين . سلام عليكم ، أما بعد ، فإن الدنيا دارٌ قد أدبر منها ما كان معروفاً ، وأقبل منها ما كان منكراً ، وأصبحت قد تشأت إلى ذوى الأبواب ، وأزمت بالترحال منها عبادُ الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا

لا يَبْقَى بِجَزِيلٍ مَثُوبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ لَا تَنفَى . إِنَّ أَوْلِيَاءَ مَنْ إِخْوَانَكُمْ ، وَشِيعَةَ
 آلِ نَبِيِّكُمْ نَظَرُوا لِنَفْسِهِمْ فِيمَا ابْتَلَوْا بِهِ مِنْ أَمْرِ ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّهِمْ الَّذِي دُعِيَ
 فَأَجَابَ ، وَدَعَا فَلَمْ يَحْبَبْ ، وَأَرَادَ الرَّجْعَةَ فَحَبِيسَ ، وَصَالَ الْأَمَانَ فَنُفِعَ ، وَتَرَكَ
 النَّاسَ فَلَمْ يَتْرَكُوهُ ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ قَتْلَهُ ، ثُمَّ سَلَبُوهُ وَجَرَّدُوهُ ظُلْمًا وَعُدُوَانًا
 وَغِيْرَةً بِاللَّهِ وَجَهْلًا ، وَبَعَيْنِ اللَّهِ مَا يَعْمَلُونَ ، وَإِلَى اللَّهِ مَا يَرْجِعُونَ ، ﴿وَسَيَعْلَمُ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْصَلِبُونَ﴾ ، ^(١) فَلَمَّا نَظَرُوا إِخْوَانَكُمْ وَتَدَبَّرُوا عَوَاقِبَ
 مَا اسْتَقْبَلُوا رَأَوْا أَنَّ قَدَحَهُمْ بِخَذْلَانِ الزَّكِيِّ الطَّيِّبِ وَإِسْلَامِهِ وَتَرْكِ مَوَاسَاتِهِ ، وَالنَّصْرِ
 لَهُ خَطَأٌ كَبِيرٌ أَيْ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ مَخْرَجٌ وَلَا تَوْبَةٌ ، دُونَ قَتْلِ قَاتِلِهِ أَوْ قَتْلِهِمْ حَتَّى تَنفَى
 عَلَى ذَلِكَ أَرْوَاحَهُمْ ، فَقَدْ جَدَّ إِخْوَانَكُمْ فَجَدُّوا ، وَأَعْدُوا وَاسْتَعْدُّوا ، وَقَدْ
 ضَرَبْنَا لِإِخْوَانِنَا أَجَلًا يَوَافُونَنَا إِلَيْهِ ، وَمَوْطِنًا يَلْقَوْنَنَا فِيهِ ، فَأَمَّا الْأَجَلُ فَغُرَّةُ
 ٥٠٣/٢ شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين ، وَأَمَّا الْمَوْطِنُ الَّذِي يَلْقَوْنَنَا فِيهِ فَالْخَيْلَةُ .
 أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَزَلُوا لَنَا شِيعَةً وَإِخْوَانًا ، وَإِلَّا وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَدْعُوَكُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ
 الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ إِخْوَانَكُمْ فِيمَا يَزْعُمُونَ ، وَيُظْهِرُونَ لَنَا أَنَّهُمْ يَتَوَبُّونَ ، وَإِنَّكُمْ
 جَدُّ رَأَوْا بِتَطَلُّابِ الْفَضْلِ ، وَالتَّهَامِ الْأَجْرَ ، وَالتَّوْبَةِ إِلَى رَبِّكُمْ مِنَ الذَّنْبِ ،
 وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ حَزُّ الرِّقَابِ ، وَقَتْلُ الْأَوْلَادِ ، وَاسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ ، وَهَلَكَ
 الْعَشَائِرُ ، مَا ضَرَّ أَهْلَ عَدُوِّهِ الَّذِينَ قُتِلُوا إِلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 يَرْزُقُونَ ، شُهَدَاءَ قَدْ لَقُوا اللَّهَ صَابِرِينَ مُحْسِنِينَ ، فَأَثَابَهُمْ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ
 — يَعْنِي حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ — وَمَا ضَرَّ إِخْوَانَكُمْ الْمُقْتَلِينَ صَبْرًا ، الْمُصَلِّينَ
 ظُلْمًا ، وَالْمُثَلَّ بِهَمْ ، الْمُعْتَدَى عَلَيْهِمْ ، إِلَّا يَكُونُوا أَحْيَاءَ مُبْتَلِينَ بِخَطَايَاكُمْ ،
 قَدْ خَيْرَ لَمْ فَلَقُوا رَبَّهُمْ ، وَقَتَاهُمْ اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَجْرَهُمْ ، فَاصْبِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ
 عَلَى الْبَأْسِ وَالضَّرِّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ ؛ فَوَاللَّهِ إِنْكُمْ
 لِأَحْرِيَاءَ إِلَّا يَكُونُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ صَبَرَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ لِإِرَادَةِ ثَوَابِهِ
 إِلَّا صَبَرْتُمْ التَّهَامَ الْأَجْرَ فِيهِ عَلَى مِثْلِهِ ، وَلَا يَطْلُبُ رِضَاءَ اللَّهِ طَالِبٌ بِشَيْءٍ
 مِنَ الْأَشْيَاءِ وَلَوْ أَنَّهُ الْقَتْلُ إِلَّا طَلَبْتُمْ رِضَاءَ اللَّهِ بِهِ . إِنَّ التَّقْوَى أَفْضَلُ الزَّادِ
 فِي الدُّنْيَا ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ يَبُورُ وَيَفْنَى ، فَلَتَعْرِفْ عَنْهَا أَنْفُسَكُمْ ، وَلَتَكُنْ
 رَغْبَتُكُمْ فِي دَارِ حَافِيَتِكُمْ ، وَجِهَادِ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ ، وَعَدُوِّ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ

حتى تقدموا على الله تائبين راغبين ، أحيانا الله وإياكم حياة طيبة ، وأجارنا ٥٥٤/٢
 وإياكم من النار، وجعل مئابانا قتلاً في سبيله على يدي أنقض خلقه إليه وأشدّهم
 عداوة له ، إنه القدير على ما يشاء ، والصانع لأوليائه في الأشياء ، والسلام عليكم .

قال : وكتب ابن صرّد الكتاب وبعث به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان
 مع عبد الله بن مالك الطائي ، فبعث به سعد حين قرأ كتابه إلى من كان
 بالمداين من الشيعة ، وكان بها أقوام من أهل الكوفة قد أعجبهم فأوطنوها
 وهم يقدمون الكوفة في كل حين عطاء ورزق ، فيأخذون حقوقهم ، وينصرفون
 إلى أوطانهم ، فقرأ عليهم سعد كتاب سليمان بن صرد . ثم إنه حمد الله وأثنى
 عليه ثم قال : أما بعد ، فإنكم قد كنتم مجتمعين مزمعين على نصر الحسين
 وقتال عدوه ، فلم يتجأكم أول من قتله ، والله مثيبكم على حسن النية وما
 أجمعتم عليه من النصر أحسن المثوبة ، وقد بعث إليكم إخوانكم يستجدونكم
 ويستمدونكم ، ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجون لكم به عدا الله أفضل الأجر
 والحظ ، فإذا ترون ؟ وماذا تقولون ؟ فقال القوم بأجمعهم : نجيبهم ونقاتل
 معهم ، ورأيتنا في ذلك مثل رأيهم .

فقام عبد الله بن الحنظل الطائي ثم الحز ميري ، فحمد الله وأثنى عليه ثم
 قال : أما بعد ، فلما قد أجبنا إخواننا إلى ما دعونا إليه ، وقد رأينا مثل
 الذي قد رأوا ، فسرحتني إليهم في الخيل ، فقال له : رويداً ، لا تعجل ،
 استعدوا للعدو ، وأعدوا له الحرب ، ثم نسروا وتسيرون .

وكتب سعد بن حذيفة بن اليمان إلى سليمان بن صرّد مع عبد الله بن
 مالك الطائي :

بسم الله الرحمن الرحيم . إلى سليمان بن صرد ، من سعد بن حذيفة ٥٥٥/٢
 ومن قبله من المؤمنين ، سلام عليكم ، أما بعد ، فقد قرأنا كتابك ، وفهمنا
 الذي دعوتنا إليه من الأمر الذي عليه رأى الملا من إخوانك ، فقد
 هديت لحظك ، ويُسرت لرؤسك ، ونحن جادون مجدون ، معدون مُسرجون
 مُلجِمون ننظر الأمر ، ونستمع الداعي ، فإذا جاء الصريح أقبلنا ولم نُعرج
 إن شاء الله ، والسلام .

فلما قرأ كتابه سليمان بن صرد قرأه على أصحابه ، فسرّوا بذلك .
قالوا : وكتب إلى المثنى بن عروة العبدى نسخة الكتاب الذى كان كتب
به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان ويحث به مع ظبيان بن ثعلبة التميمى من بنى
سعد ، فكتب إليه المثنى : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وأقرأته إخوانك ،
فحملوا رأيك ، واستجابوا لك ، فنحن موافقون إن شاء الله للأجل الذى ضربت
وفى للموطن الذى ذكرت ، والسلام عليك . وكتب فى أسفل كتابه :

تَبَسَّرْتُ كَأَنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مُقْلِمًا عَلَى أَتْلَعِ الْهَادَى أَجَشُّ هَزِيمٍ
طَوِيلِ الْقِرَآنِ هَذَا الشَّوْاقِمُ قَلْبِي مَلِجٌ عَلَى فُلْسِ اللَّجَامِ أَزُومُ
بِكُلِّ لَفْتٍ لَا يَمْلَأُ الرُّوْعَ نَحْرَهُ مُحِجْسٌ لِحُضْرِ الْحَرْبِ غَيْرِ سُومِ
أَعْنَى ثَقَرٍ يَنْبُو الْإِلَهَ بِسُغْيِهِ ضَرْوِبٌ يَنْصِلُ السِّيفِ غَيْرِ أَثِمِ

٥٥٦/٧

قال أبو غنف لوط بن يحيى ، عن الحارث بن حصيرة ، عن عبد الله بن
سعد بن نفيل ، قال : كان أول ما ابتدأوا به من أمرهم سنة إحدى وستين ، وهى
السنة التى قُتِلَ فيها الحسين رضى الله عنه ، فلم يزل القوم فى جمع آلة
الحرب والاستعداد للقتال ، ودعاء الناس فى السر من الشيعة وغيرها إلى الطلب
بدم الحسين ، فكان يبيعهم القوم بعد القوم ، والنفر بعد النفر .

فلم يزالوا كذلك وفى ذلك حتى مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع
عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكان بين قتل
الحسين وهلاك يزيد بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام ، وملك يزيد
وأُمير العراق عبيد الله بن زياد ، وهو بالبصرة ، وخليفته بالكوفة عمرو بن
حرث الهزوى ، فجاء إلى سليمان أصحابه من الشيعة ، فقالوا : قد مات
هذا الطاغية ، والأمر الآن ضعيف ، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حرث
فأغرجناه من القصر ، ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين ، وتببنا قتلكته ، ودعونا
الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم ، المدفوعين عن حقهم ، فقالوا فى
ذلك فأكبروا . فقال لهم سليمان بن صرد : رؤيداء ، لا تصجلوا ، إني قد نظرت
فيا تذكرون ، فرأيت أن تقتلكم الحسين هم أشرف أهل الكوفة ، وقرمان العرب
وهم المطالبون بدمه ، حتى علموا ما تريدون ، وعلموا أنهم المظلومون ، فكانوا

أشدّ عليكم . ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يَكُوا ثأرهم ، ولم يَشْفُوا أنفسهم ، ولم يَنكُوا في عدوهم ، وكانوا لم جَزَرًا ، ولكن بُشُوا ٥٥٧/٢ دُعَاتِكُمْ فِي الْمَصْرَ ، فادعوا إلى أمركم هذا ، شيعتكم وغير شيعتكم ، فإني أرجو أن يكون الناس اليوم . حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابةً منهم قبل هلاكه . ففعلوا ؛ وخرجت طائفة منهم دُعاةٌ يدعون الناس ، فاستجاب لهم ناسٌ كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعافُ مَنْ كان استجاب لهم قبل ذلك .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدّثنا الحصين بن يزيد ، عن رجل من مُزَيْنَةَ قال : ما رأيتُ من هذه الأمة أحدًا كان أبلغَ من عبيد الله بن عبد الله المُرِّي في منطِق ولا عظة ، وكان من دُعاةِ أهل المَصْرَ زمانَ سُلَيْيَانِ بْنِ صُرَدَ ، وكان إذا اجتمعت إليه جماعةٌ من الناس فوعظهم بدأ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى حَمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَلْقِهِ بِنُبُوَّتِهِ ، وَخَصَّهُ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ ، وَأَعْزَمَ بِاتِّبَاعِهِ وَأَكْرَمَكُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ ، فَحَقَّقَنَ بِهِ دِمَاءَكُمْ الْمُسْفُوكَةَ ، وَأَمَّنَ بِهِ سُبُلَكُمْ الْمَخْشُوقَةَ ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُمْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١) . فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقًا على هذه الأمة من نبيها ؟ وهل ذريةُ أحمدَ بنِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَوْ غَيْرِهِمْ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ ذُرِّيَةِ رَسُولٍ ؟ لَا وَاللَّهِ ، مَا كَانَ وَلَا يَكُونُ . لَهْ أَنْتُمْ ! أَلَمْ تَرَوْا وَيُلْعَمُ مَا اجْتَرَمَ إِلَى ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّكُمْ ! أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى اتِّهَامِكُمُ الْقَوْمَ حُرْمَتَهُ ، وَاسْتِضْعَافِهِمْ وَحَدَثَهُ ، وَتَرْكِ مِيلِهِمْ لِإِسَاءَةِ الْإِسْلَامِ ، وَتَجَارِهِمُوهُ عَلَى الْأَرْضِ ! ٥٥٨/٢ لَمْ يَرْقُبُوا فِيهِ رَبَّهُمْ وَلَا قَرَابَتَهُ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اتَّخَذُوهُ لِلْبُلْ غُرَضًا ، وَغَادَرُوهُ لِلضَّبَاعِ جَزَرًا ، فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ ! وَلِلَّهِ حَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ ، مَاذَا غَادَرُوا بِهِ ذَا صِدْقٍ وَصَبْرٍ ، وَذَا أَمَانَةٍ وَنَجَلَةٍ وَحِزْمٍ ! ابْنُ أَوَّلِ الْمُسْلِمِينَ إِسْلَامًا ، وَابْنُ بَنْتِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَلَّتْ حِمَامَتُهُ ، وَكَثُرَتْ عُدَاتُهُ حَوْلَهُ ، فَتَنَكَّهُ عَدُوُّهُ ، وَخَذَلَهُ وَلِيُّهُ . فَوَيْلٌ لِلْقَاتِلِ ، وَنَلَامَةُ

للمخاذل ! إن الله لم يجعل لقاتله حُجَّةً ، ولا لخالذه مَعْدِرَةً ، إلا أن يتأصيح
 لله في التوبة ، فيجاهد القاتلين ، وينابذ القاسطين ، فعسى الله عند ذلك أن
 يقبل التوبة ، ويَقْبِلَ العِثْرَةَ ؛ إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيِّه ، والطلب
 بدماء أهل بيته ، وإلى جهاد المُحَلِّين والمُارِقِينَ ، فإن قُتِلْنَا فإِنا عند الله خيرٌ
 للأبرار ، وإن ظَهَرْنَا رَدُّنَا هذا الأمر إلى أهل بيت نبيِّنا .

قال : وكان يعيد هذا الكلامَ علينا في كلِّ يوم حتى حَفَظْته عامتنا .
 قال : وثب الناس على عمرو بن حُرَيْث عند هلاك يزيد بن معاوية ، فأخرجوه
 من القصر ، وأصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجُمُحَى .
 وهو دُخْرُوجَةُ الجُمُحَلِ الذي قال له ابنُ هِشَام السُّلُوكِي :

اشدَّ يديك يزيد إن ظفِرتَ بِهِ واشفِ الأراِمِلَ من دُخْرُوجَةِ الجُمُحَلِ^(١)
 وكان كأنه إِبْهَامٌ قِصْرًا ، وزيد مولاه وخازنُهُ ، فكان يصلّي بالناس .

وباع لابن الزبير ، ولم يزل أصحاب سليمان بن صُرْد يدعون شعيتهم وغيرهم
 ٥٥٩/٢ من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم ، وكان الناس إلى اتباعهم بعد هلاك يزيد
 ابن معاوية أسرعَ منهم قبل ذلك ، فلما مضت ستة أشهر من هلاك يزيد
 ابن معاوية ، قدم المختارُ بن أبي حُبَيْد الكوفة ، فقدم في النصف من شهر
 رمضان يوم الجمعة . قال : وقَدِمَ عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي
 من قبَلِ عبد الله بن الزبير أميرًا على الكوفة على حربها وثغرها ، وقدم
 معه من قبَلِ ابن الزبير إبراهيمُ بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأهرج
 أميرًا على خِراج الكوفة ، وكان قنوم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي
 يوم الجمعة ثمانينَ بَقِينٍ من شهر رمضان سنة أربع وستين .

قال : وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بثمانية أيام ،
 ودخل المختار الكوفة ، وقد اجتمعت رموس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صُرْد
 فليس يَمُدُّ لونه به ، فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه^(٢) وإلى الطلب بدم الحسين
 قالت له الشيعة : هذا سليمان بن صُرْد شيخ الشيعة ، قد اتقادوا له واجتمعوا

(١) في المتن : « التخرجة : ما يدسره الجمل من البنادق » .

(٢) ف : « نفسه » .

عليه ، فأخذ يقول للشيعة : إني قد جتكم^١ من قبل المهديّ محمد بن عليّ ابن الحسين^٢ مؤمناً مأموناً ، متجنباً ووزيراً ، فوالله ما زال بالشيعة حتى انتشبت إليه طائفة تُعظمه وتجييه ، وتنتظر أمره ، وعظم الشيعة مع سليمان ابن صُرَد ، فسلطان أقبل خلق الله على المختار .

وكان المختار يقول لأصحابه : أتدرون ما يريد هذا ؟ يعني سليمان بن صُرَد - إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ، ليس له بصّر بالحروب ، ولا له ١٠/٢ علم بها .

قال : وأتى يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُويم الشيبانيّ عبد الله بن يزيد الأنصاريّ فقال : إن الناس يتحدّثون أن هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صُرَد ، ومنهم طائفة أخرى مع المختار ، وهي أقلّ الطائفتين عدداً ، والمختار فيما يذكر الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمر سليمان بن صُرَد ، وقد اجتمع له أمره ، وهو خارج من أيامه هذه ، فإن رأيت أن تجمع الشرط والمقاتلة ووجوه الناس ، ثم تنهض إليهم ، وتنهض معك ، فإذا دفعت إلى منزله دعوتّه ، فإن أجابك فحسبته ، وإن قاتلك قاتلتّه ، وقد جمعت له وصيَّات وهو مغرّر ، فإني أخاف عليك إن هو بذلك وأقررتّه حتى يخرج عليك أن تشتدّ شوكتّه ، وأن يتفاجم أمره .

فقال عبد الله بن يزيد : الله يبتنا وبينهم ، إن هم قاتلونا قتلناهم ، وإن تركونا لم نطلبهم ، حدّثني ما يريد الناس ؟ قال : يذكر الناس أنهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ ، قال : فأنا قتلت الحسين ! لعن الله قاتل الحسين ! قال : وكان سليمان بن صُرَد وأصحابه يريدون أن يشبوا بالكوفة ، فخرج عبد الله بن يزيد حتى صعد المنبر ، ثم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فقد بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو ؟ فقبل لي : زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد ١١/٢ والله دُلّيت على أماكنتهم ، وأميرت بأخطهم ، وقيل : ابتدأهم قبل

أن يدموك ، فأبيت ذلك ، قلت : إن قاتلوني قاتلتهم ، وإن تركوني لم أطلبهم ، وعلام يقاتلونني ! فوآته ما أنا فلتُ حبيبا ، ولا أنا من قاتلكه ، ولقد أصيبت بمقتله رحمة الله عليه ! فإن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا وليستشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين ، فقد أقبل إليهم ، وأنا لهم على قاتله ظهير ، هذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقاتل خياركم وأمائلكم ، قد توجه إليكم ، عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج ، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضكم بعضا ، ويسفك بعضكم دما ، فيلقاكم ذلك العدو غدا وقد رقتهم ، وتلك والله أمنيّة عدوكم ، وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلق الله لكم ، من ولى عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يقلعان عن قتل أهل العقاف والدين ، هو الذي قتلكم ، ومن قبلكه أتيتم ، والذي قتل من تثارون بدمه ، قد جاءكم فاستقبلوه بعدكم وشوكتكم ، واجعلوها به ، ولا تجعلوها بأنفسكم ، إني لم آلكم نصحا ، جمع الله لنا كلمتنا ، وأصلح لنا أمتنا !

قال : فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : أيها الناس ، لا يفرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المذاهن المودع ، والله لنخرج علينا خارج لقتلته ، ولئن استقين أن قوما يريسون الخروج علينا لتأخذن الوالد بولده ، والمولود بوالده ، ولتأخذن الحميم بالحميم ، والعريف بما في عرافته حتى يدبوا^(١) للحق ، ويدلوا^(٢) للطلاعة . فوثب إليه المسيّب بن نجبة فقطع عليه منطلقه ثم قال : يابن التاكين^(٣) ، أنت تهددنا بسيفك وغشمك ! أنت والله أذل من ذلك ، إنا لا نلومك على بغضنا ، وقد قتلنا أباك وجدك ، والله إني لأرجو ألا يخرجك الله من بين ظهرائي أهل هذا المصر حتى يشلوا بك جدك وأباك ، وأما أنت أيها الأمير فقد قلت قولا سديدا ، وإني والله لأظن من يريد هذا الأمر مستصيحبا لك ، وقابلا قولك .

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : إني والله ، ليقطن وقد أدهن ثم أظن .

(١) ف : : حتى تدبوا . (٢) ابن الأثير : : يدبوا .

(٣) ف : : أباين التاكين .

فقام إليه عبد الله بن وال التيمي، فقال: ما اعتراضك يا أخا بني تيم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا! فوالله ما أنت علينا بأمر، ولا لك علينا سلطان، إنما أنت أمير الجيزية، فأقبل على خراجك، فلعمرك الله لئن كنت مفسداً ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدك الناكثان، فكانت بهما اليدان، وكانت عليهما دائرة السوء.

قال: ثم أقبل مسيب بن نجبة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا: أما رأيك أيها الأمير فوالله إنا نرجو أن تكون به عند العامة محموداً وأن تكون عند الذي عنتيت واعتريت مقبولا. فغضب أناس من عمال إبراهيم بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه، فشتائموا دونه، فشتمهم ٥١٣/٢ الناس وخصمهم.

فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل، وانطلق إبراهيم بن محمد وهو يقول: قد داهن عبد الله بن يزيد أهل الكوفة، والله لأكتبن بذلك إلى عبد الله بن الزبير، فأثى شبت بن ربيعة التيمي عبد الله بن يزيد فأخبره بذلك، فركب به وبيزيد بن الحارث بن رويم حتى دخل على إبراهيم بن محمد بن طلحة، فحلف له بالله ما أردت بالقول الذي سمعت إلا العافية وصلاح ذات البين، إنما أثنى يزيد بن الحارث بكنا وكندا، فرأيت أن أقوم فيهم بما سمعت لإرادة ألا تختلف الكلمة، ولا تفرق الألفة، وألا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم. فعذره وقبيل منه.

قال: ثم إن أصحاب سليمان بن صرد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين، ويتجهزون يماهرون بجهازهم وما يصلحهم.

• • •

[ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير]

وفي هذه السنة فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قدّموا عليه مكة، فقاتلوا معه حصين بن نمير السكوني، فصاروا إلى البصرة، ثم افرقت كلمتهم فصاروا أحزاباً.

ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذي من أجله فارقه والذي من أجله افرقت كلمتهم :

٥١٤/٢ حدثت عن هشام بن محمد الكلبي ، عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال : حدثني أبو الهارث الراسي ، قال : لما ركب ابن زياد من الحوارج بعد قتل أبي بلال ما ركب ، وقد كان قبل ذلك لا يكف عنهم ولا يستقيهم غير أنه بعد قتل أبي بلال تجرد لاستصالحهم وملاكيهم ، واجتمعت الحوارج حينئذ ابن الزبير بمكة ، وسار إليه أهل الشام ، فتذاكروا ما أتى إليهم ، فقال لهم نافع بن الأزرق : إن الله قد أنزل عليكم الكتاب ، وفرض عليكم فيه الجهاد ، واحتج عليكم بالبيان ، وقد جرد فيكم السيوف أهل الظلم وأولو العدا والغش ، وهذا من قد ثار بمكة ، فاخرجوا بنا ثأت البيت ونكث هذا الرجل ، فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا. فخرجوا حتى قدموا على عبد الله ابن الزبير ، فسروا بمقدّمهم ، ونبأهم أنه على رأيهم ، وأعطاهم الرضامن. غير توقف ولا تفتيش ، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية ، وانصرف أهل الشام عن مكة . ثم إن القوم لى بعضهم بعضاً ، فقالوا : إن هذا الذي صنعتم أمس بغير^(١) رأى ولا صواب من الأمر ، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم ، إنما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ينادى : يال ثارات عثان ! فأتوه وسكّوه عن عثان ، فإن برئ منه كان وليكم ، وإن أبى كان عدوكم . فمشوا نحوه فقالوا له : أيها الإنسان ، إنا قد قاتلنا ملك ، ولم نُقتلْكَ عن رأيك حتى نعلم أمتنا أنت أم من عدونا ! خبرنا ما مقاتلتك في عثان ؟ فنظر فإذا من حوله من أصحابه قليل ، فقال لهم : إنكم أنتموني فصادقتموني حين أردت القيام ، ولكن رُوحوا إلى العشيّة حتى أعلمكم من ذلك الذي تريدون . فانصرفوا ، وبعث إلى أصحابه فقال : البسوا السلاح ، واحضروني بأجمعكم العشيّة ، فقبلوا ، وجاءت الحوارج ، وقد أقام أصحابه حوله سيماطين عليهم

(١) ابن الأثير : « لغير رأى » .

السلح، وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الأعمدة^(١)، فقال ابن الأزرق لأصحابه: خشي الرجل غائلتكم، وقد أزعج بخلافكم^(٢) واستعد لكم؛ ما ترون؟

فلما منه ابن الأزرق، فقال له: يا بن الزبير، اتق الله ربك، وأبغض الخائن المستأثر، وعاد أول من سنّ الضلالة، وأحدث الأحداث، وخالف حكم الكتاب، فإنك إن فعل ذلك تُرض ربك، وتنج من العذاب الأليم نفسك، وإن تركت ذلك فانت من الذين استمتعوا بخلافهم، وأذهبوا في الحياة الدنيا طيباتهم.

يا عبيدة بن هلال، صيف لهذا الإنسان ومن معه أمرنا الذي نحن عليه، والذي ندعو الناس إليه، فتقدم عبيدة بن هلال.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدثني أبو حلقمة الخثعمي، عن قبيصة^(٣) بن عبد الرحمن التميمي، قال: أنا والله شاهد عبيدة بن هلال، إذ تقدم فتكلم، فما سمعت ناطقاً قط ينطق كان أبلغ ولا أصوب قولاً منه، وكان يرى رأي الخوارج.

قال: وإن كان ليجمع القول الكثير، في المعنى الخطير، في اللفظ اليسير.

قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عبادة الله، وإخلاص الدين، فدعا إلى ذلك، ٥١٦/٢ فأجاباه المسلمون، فعمل فيهم بكتاب الله وأمره، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه، واستخلف الناس أبا بكر، واستخلف أبو بكر عمر، فكلهما عمل بالكتاب سنة رسول الله، فالحمد لله رب العالمين. ثم إن الناس استخلفوا عثمان بن عفان، فحصى الأحماء، وأثر القرى، واستعمل القتي^(٤) ورفض الدرّة، ووضع السوط، ومزق الكتاب، وحقر المسلم

(١) ابن الأثير: «العمد».

(٢) ابن الأثير: «خلافكم».

(٣) ط: «عن أبي قبيصة»، والصواب ما أثبت.

(٤) ابن الأثير: «القتي».

وضرب مُنكيرى^(١) الجوز، وآوى طريد الرسول صلى الله عليه، وضرب السابقين بالفضل، وسيرهم وحرمهم، ثم أخذ فيء الله الذى أفاض عليهم قسمته بين فساق قريش، ومجان العرب، فسارت إليه طائفة من المسلمين أخذوا ميثاقهم على طاعته، لا يبالون في الله لومة لائم، فقتلوه، فنحن لم أولياء، ومن ابن عفان وأوليائه برآء، فما تقول أنت يا بن الزبير؟ قال: فحميد الله ابن الزبير وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فقد فهمت الذى ذكرتم، وذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم، فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر، وقد وقفت وأصبت، وقد فهمت الذى ذكرت به عثمان بن عفان رحمة الله عليه، وإنى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بآبن عفان وأمره منى، كنت معه حيث تقم القوم عليه، واستعقبوه فلم يدع شيئاً استعقبه القوم فيه إلا اعتبهم منه. ثم إنهم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه فيهم، يأمر فيه بقتلهم فقال لهم: ما كتبته، فإن شتم فهاؤا بيتكم؛ فإن لم تكن حلفت لكم؛ فوافاه ما جاءه بيئته، ولا استخلفوه. ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عبته به، فليس كذلك، بل هو لكل خير أهل، وأنا أشهدكم ومن حضر^(٢) أنى وطئ لابن عفان في الدنيا والآخرة، وطئ أوليائه، وعدوا أعدائه، قالوا: فبرئ الله منك يا عدو الله؛ قال: فبرئ الله منكم يا أعداء الله.

وتفرق القوم، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلي، وعبد الله بن صفار السعدي من بنى صريم بن مقاس، وعبد الله بن إباح أيضاً من بنى صريم، وحظلة بن بيهس، وبنو الماحوز: عبد الله، وعبيد الله، والزبير، من بنى سكيط ابن يربوع، حتى أتوا البصرة، وانطلق أبو طالوت من بنى زيمان بن مالك بن صعب بن علي بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو قديك من بنى قيس بن ثعلبة وعطية بن الأسود يشكرى إلى البصرة، فوثبوا بالجماعة مع أبي طالوت، ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفي، فأما البصريون

(١) ابن الأثير: «منكر الجود».

(٢) ابن الأثير: «حضر».

منهم فلأنهم قدّموا البصرة وهم مُجمعون على رأى أبى بلال .

قال هشام : قال أبو مخنف لوط بن يحيى : فحدثني أبو المنثري ، عن رجل من إخوانه من أهل البصرة ، أنهم اجتمعوا فقالت العامة منهم : لو خرج منا خارجون في سبيل الله ، فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا ، فيقوم علماءنا في الأرض فيكونون مصاييح الناس يدعونهم إلى الدين ، ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب ، فيكونون شهداء مرزوقين عند الله أحياء . فانتدب لها نافع بن الأزرق ، فاعتقد على ثلاثة رجل ، فخرج ، وذلك

عند وثوب الناس بعيد الله بن زياد ، وكسر الخوارج أبواب السجون وخرجهم ٥١٨/٢ منها ، واشتغل الناس بقتال الأزد وبيعة وبنى تميم وقيس في دم مسعود بن عمرو ، فاختتمت الخوارج اشتغال الناس بعضهم ببعض ، فتهايتوا واجتمعوا ، فلما خرج نافع بن الأزرق تبعوه ، واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلّى بهم ، وخرج ابن زياد إلى الشام ، واصطلحت الأزد وبنو تميم ، فتجرد الناس للخوارج ، فاتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقي منهم بالبصرة ، فلتحق بابن الأزرق ، إلا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك ، منهم عبد الله بن صفار ، وعبد الله ابن إياض ، ورجالٌ معهما على رأيهما . ونظر نافع بن الأزرق ورأى أن ولاية من تخلف عنه لا تنبئ ، وأن من تخلف عنه لا نجاة له ، فقال لأصحابه : إن الله قد أكرمكم بمخرجكم ، وبصركم ما تحبى عنه غيركم ، ألسن تعلمون أنكم إنما خرجتم تطلبون شريعته وأمره ! فأمره لكم قائد ، والكتاب لكم إمام ، وإنما تبعون سننّه وأثره ، فقالوا : بلى ، فقال : أليس حكمكم في وليكم حكم النبي صلى الله عليه وسلم في وليّه ، وحكمكم في عدوكم حكم النبي صلى الله عليه وسلم في عدوه ، وحكمكم اليوم عدو الله وعدو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما أن عدو النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم ! فقالوا : نعم ، قال : فقد أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿بَرَاءةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ ^(١) ، فقد حرم الله ولايتهم ، والمقام بين أظهرهم ، وإجازة شهادتهم ، وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ، ومناكحتهم ، وموارثهم ، وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا ، وحق علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم ، ولا نكح ما أنزل الله ، والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّامِئُونَ ﴾ ^(٢) ، فاستجاب له إلى هذا الرأي جميع أصحابه .

فكتب : من عبيد الله نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن صفار وجد الله ابن إياض ومن قبلتهما من الناس . سلام على أهل طاعة الله من عباد الله ، فإن من الأمر كيت وكيت ؛ فقص هذه القصة ، ووصف هذه الصفة ، ثم بعث بالكتاب إليهما . فأتياه ، فقرأه عبد الله بن صفار ، فأخذه فوضعه خلفه ، فلم يقرأه على الناس خشية أن يفرقوا ويختلفوا ، فقال له عبد الله بن إياض : ما لك لا أبوك ! أى شيء أصبت ! أن قد أصيب إخواننا ، أو أمير بعضهم ! فلفح الكتاب إليه ، فقرأه ، فقال : قاتله الله ! ، أى رأى رأى ! صدق نافع ابن الأزرق ، لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وحكماً فيما يشير به ، وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين ، ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول ، إن القوم كفار بالنعم والأحكام ، وهم برءاء من الشرك ، ولا تحل لنا إلا دماؤهم ، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام ؛ فقال ابن صفار : برئ الله منك ، فقد قصرت ، وبرئ الله من ابن الأزرق قد خلا ، برئ الله منكما جميعاً ؛ وقال الآخر :

٥٢٠/٢ . فبرئ الله منك ومنه .

ويفرق القوم ، واشتدت شوكة ابن الأزرق ، وكثرت جشوعه ^(٣) ، وأقبل

(١) سورة البقرة : ٢٢١ .

(٢) سورة البقرة : ١٥٩ .

(٣) بمعاني ابن الأثير : « وأقام بالأموال يجي الخراج ويفرقى به » .

نحو البصرة حتى دنا من الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عيسى^(١) بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل البصرة .

* * *

[ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة]

قال أبو جعفر : وفي النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مقدّم المختار بن أبي عبيد الكوفة .

• ذكر الخبر عن سبب مقدمه إليها :

قال هشام بن محمد الكلبي : قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : كانت الشيعة تشتم المختار وتعتبه^(٢) لما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طعن في مظلم ساباط ، فحمل إلى أبيص الملائن ، حتى إذا كان زمن الحسين ، وبعث الحسين مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، نزل دار المختار ، وهي اليوم دار مسلم بن المسيّب ، فبايعه المختار بن أبي عبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة ، وناصحته ودعا إليه من أطاعه ، حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له بخطربة تدعى لقفا ، فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر أنه قد ظهر بالكوفة ، فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه ، إنما خرج حين قيل له : إن هاني بن عروة المرادي قد ضرب وحبيس ، فأقبل المختار في موال له^(٣) حتى انتهى إلى باب القيل بعد الغروب ، وقد عقد ٢١/٢ • عبيد الله بن زياد لعمر بن حريث راية على جميع الناس ، وأمره أن يقدم لهم في المسجد ، فلما كان المختار وقف على باب القيل مرّ به هاني بن أبي حية^(٤) الوادعي ، فقال للمختار : ما وقفك ها هنا إلا أنت مع الناس ، ولا

(١) ضبطه ابن الأثير بالعين المهملة المضمومة والياء الموحدة والهاء المثناة من تحت وبالسين

المهملة .

(٢) ابن الأثير : « وتعبه » .

(٣) ابن الأثير : « حوالبه » .

(٤) ابن الأثير : « هاني بن حبة » .

أنت في رحلك ، قال : أصبح رأبي مرتجاً لعظم خطيتكم ، فقال له : أظنك والله قاتلاً نفسك ، ثم دخل على عمرو بن حريث فأخبره بما قال للمختار وما رد عليه المختار .

قال أبو مخنف : فأخبرني النضر بن صالح ، عن عبد الرحمن بن أبي عمير الشقي ، قال : كنت جالساً عند عمرو بن حريث حين بلغه هاني بن أبي حبة عن المختار هذه المقالة ، فقال لي : قم إلى ابن عمك فأخبره أن صاحبه لا يدري أين هو ! فلا يعمل على نفسه سيلاً ، فقامت لآتيه ، ووثب إليه زائدة بن قدامة بن مسعود ، فقال له : يأتيك على أنه آمن ؟ فقال له عمرو بن حريث : أما مني فهو آمن ، وإن رُفّي إلى الأمير عبيد الله بن زياد شيء من أمره أقمته له بمحضرة الشهادة ، وشفت له أحسن الشفاعة ، فقال له زائدة بن قدامة : لا يكونني مع هذا إن شاء الله إلا خيراً .

قال عبد الرحمن : فخرجت ، وخرج معي زائدة إلى المختار ، فأخبرناه ^(١) بمقالة ابن أبي حبة وبمقالة عمرو بن حريث ، واشدناه بالله ألا يعمل على نفسه سيلاً ، فترد إلى ابن حريث ، فسلم عليه ، وجلس تحت رايته حتى أصبح ، وتذاكر الناس أمر المختار وقطعه ، فشى حُمارة بن عقبة بن أبي معيط بذلك إلى عبيد الله بن زياد ، فذكر له ، فلما ارتفع النهار فُتِح باب عبيد الله ابن زياد وأذن للناس ، فدخل المختار فيمن دخل ، فدعاه عبيد الله ، فقال له : أنت المقبل في الجموع لتبصر ابن عتيق ! فقال له : لم أفعل ، ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث ، وبيت معه وأصبحت ، فقال له عمرو : صدق أصلحك الله ! قال : فرغ القضيبي ، فاعترض به وجه المختار فحبط به عينه فشترها ^(٢) وقال : أولى لك ! أما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك ، انطلقوا به إلى السجن فانطلقوا به إلى فحبس فيه فلم يزل في السجن حتى قُتل الحسين . ثم إن المختار بحث إلى زائدة بن قدامة ، فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية ، فيكتب

(١) ف : وأخبرناه .

(٢) الشتر : انقلاب جفن العين من أمل إلى أمل وتشنج .

إلى عبيد الله بن زياد بتخية سبيله ، فركب زائدة إلى عبد الله بن عمر فتقدم عليه ، فبلغه رسالة المختار ، وعلقت صفيّة أخت المختار بمسحيس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر ، فبكت وجزعت ، فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة إلى يزيد بن معاوية : أمّا بعد ، فإنّ عبيد الله بن زياد حبس المختار ، وهو صهرى ، وأنا أحب أن يعافى ويصلح من حاله ، فإن رأيت رحمنا الله وإياك أن تكتب إلى ابن زياد^(١) فتأمره بتخليته فعلت . والسلام عليك .

ففى زائدة على رواحه بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشام ، ٥٧٣/٢ فلما قرأه ضحك ثم قال : يتفع أبو عبد الرحمن ، وأهل ذلك هو . فكتب له إلى ابن زياد : أمّا بعد ، فخل سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنتظر في كتابى ، والسلام عليك .

فأقبل به زائدة حتى دفعه ، فدعا ابن زياد بالمختار ، فأخرجه ، ثم قال له قد أجئتك ثلاثاً ، فإن أدركتك بالكوفة بعدها قد برئت منك الدّمة . فخرج إلى رحله . وقال ابن زياد : والله لقد اجترأ على زائدة حين يرحل إلى أمير المؤمنين حتى يأتي بالكتاب في تخية رجل قد كان من شأى أن أطيل حبسه ، على به . فرّ به عمرو بن نافع أبو عثمان - كاتب لابن زياد - وهو يطلب ، وقال له : النّجاء بنفسك ، واذكرها يدلى عندك .

قال : فخرج زائدة ، فتوارى يومه ذلك . ثمّ إنه خرج في أناس من قومه حتى أتى القمقاع بن شور الدّهلّ ، ومسلم بن عمرو الباهلى ، فأخذاه من ابن زياد الأمان .

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز ، قال : فحدثني الصّعب بن زهير ، عن ابن العريق ، مؤلى لتقيف . قال : أقبلت من الحجاز حتى إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استقبلت المختار بن أبي عبيد خارجاً يريد الحجاز حين خلكى سبيله ابن زياد ، فلما استقبلته رحبت به ، وعطفت إليه ، فلما رأيت شتره عنه استرجعت له ، وقلت له بعد ما توجهت له : ما بال عينيك ، صرف الله عنك السوء !

.. (١) ف : « وحك الله أن تكتب إلى ابن زياد » .

٥٧٤/٧

فقال : خَبَطَ عَنِّي ابْنُ الزَّانِيَةِ بِالتَّقْصِيبِ خَبْطَةً صَارَتْ لِي مَا تَرَى . قُلْتُ لَهُ : مَا لَكَ شَكَلْتَ أَنْأَمَلُهُ ! فقال المختار : قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْطَعْ أَنْأَمَلُهُ وَأُجَالَتُهُ وَأَعْضَاهُ إِيَّائِي إِيَّائِي ، قَالَ : فَجَبْتُ لِقَاتِهِ ، قُلْتُ لَهُ : مَا عَلِمَكَ بِذَلِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ ؟ فقال لي : مَا أَقُولُ لَكَ فَاحْضَنِي عَنِّي حَتَّى تَرَى مُصَدِّقَتَهُ . قَالَ : ثُمَّ طَمَعْتُ يَسْأَلُنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، قُلْتُ لَهُ : لِمَا لِي بِالْبَيْتِ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا عَائِدٌ بِرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ، وَلِلنَّاسِ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّهُ يَبِيعُ سِرًّا ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا لَوْ قَدْ^(١) اشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ وَاسْتَكْتَفَى مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا سَيُظْهِرُ الْخِلَافَ ، قَالَ : أَجَلٌ ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ^(٢) ، أَمَّا إِنَّهُ رَجُلٌ الْعَرَبُ الْيَوْمَ ، أَمَّا إِنَّهُ إِنْ يَخْطُطُ فِي أَثَرِي ، وَيَسْمَعُ قَوْلِي أَكْفَهُ أَمْرَ النَّاسِ ، وَإِلَّا يَفْعَلُ فَوَاقِهِ مَا أَنَا بِبَدُونِ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ ، يَا بْنَ الْعَرِيقِ ، إِنْ الْفِتْنَةُ قَدْ أُرْعِدَتْ وَأُبْرِقَتْ ، وَكَأَنَّ قَدْ انْبَعَثَ^(٣) فَوُطِئْتُ فِي خَطَامِهَا ، فَلِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ وَجَمَعْتَ بِهِ بِمَكَانٍ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ قُتْلُ : إِنْ الْمَخْتَارُ فِي عَصَائِبِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَطْلُبُ يَدَ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ الْمَقْتُولِ بِالطَّفِّ ، سَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ ، وَابْنَ سَيِّدِهَا ، الْحُسَيْنَ ابْنَ عَلِيٍّ ، فَوَرَبِّكَ لَا تُقْتَلَنَّ بِقَتْلِهِ حِدَّةَ الْقَتْلِ الَّتِي قَتَلْتَ عَلَى دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَهَذِهِ أُعْجِبُوهَ مَعَ الْأَحَدِيَّةِ الْأُولَى ، فَقَالَ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ فَاحْضَنِي عَنِّي حَتَّى تَرَى مُصَدِّقَتَهُ . ثُمَّ حَرَّكَ رَاكِبَهُ ، فَفَعَنِي وَمَضَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً أَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ ، وَحُسْنِ الصَّحَابَةِ . قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ وَقَفَ فَأَقْسَمَ عَلَيَّ لَمَّا انْصَرَفْتُ ، فَأَعْذَتُ بِيَدِهِ ! فَوَدَّعْتَهُ ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَانْصَرَفْتُ عَنْهُ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الَّذِي يُلَكِّرُ لِي هَذَا الْإِنْسَانَ ، — يَعْنِي الْمَخْتَارَ — مِمَّا يَزْعُمُ أَنَّهُ كَاثِنٌ ، أَشْيَاءٌ حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ ! فَوَاقِهِ مَا أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَى الْغَيْبِ أَحَدًا ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَتَمَنَّاهُ فَيَرَى أَنَّهُ كَاثِنٌ ، فَهُوَ يَجِبُ^(٤) رَأْيَهُ ، فَهَذَا وَاقِعُ الرَّأْيِ الشَّعَاعِ ، فَوَاقِهِ مَا كُلُّ مَا يَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّهُ كَاثِنٌ يَكُونُ ؛ قَالَ : فَوَاقِهِ مَا مَتَّ حَتَّى رَأَيْتُ كُلَّ مَا قَالَهُ . قَالَ : فَوَاقِهِ

٥٧٥/٧

(١) ف : وَكَيْفَهُ .

(٢) ف : نَبِيٌّ .

(٣) ابن الأثير : أَيْمَنَتْ .

(٤) ف : هُوَ : فَجِبِيبٌ .

لئن كان ذلك من علم النبي صلى الله عليه وآله فقد أثبت له ، ولئن كان ذلك رأياً رآه ، وشيئاً
تمناه ، لقد كان .

قال أبو مخنف : فحدثني الصقعب بن زهير ، عن ابن العريق ، قال :
أفحدثت بهذا الحديث الحجاج بن يوسف ، فضحك ثم قال لي : إنه كان
يقول أيضاً :

ورافعة ذيلها • وداعية وتلها

• يدجلة أو حوكتها •

فقلت له : أترى هذا شيئاً كان يخبره ، وتخبره بتخبره ، أم هو
من علم كان أوقيه ؟ فقال : والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه ، ولكن
قد دره ! أي رجل ديناً ، ويسعّر حرب ، ومقارع أعداء كان !

قال أبو مخنف : فحدثني أبو سيف الأنصاري من بني الخزرج ، عن
عباس بن سهل بن سعد ، قال : قدم المختار علينا مكة ، فجاأ إلى عبد الله
ابن الزبير وأنا جالس عنده ، فسلم عليه ، فردّ عليه ابن الزبير ، ورحّب به ،
وأوسع له ، ثم قال : حدثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا إسحاق ، قال :
هم لسلطانهم في العلانية أولياء ، وفي السرّ أعداء ، فقال له ابن الزبير : هذه
صفة عبّيد السوء ، إذا رأوا أربابهم خلعوم وأطاعوم ، فإذا غابوا عنهم
شتّموم ولعنوم ، قال : فجلس معنا ساعة ، ثم إنه مال إلى ابن الزبير
كأنه يساره ، فقال له : ما تنتظر ! أبسط يديك لأبيك ، وأعطنا ما يرضينا ، ٥٢٦/٢

وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك . وقام المختار فخرج ، فلم
يُرحّل ، ثم إنني بينا أنا جالس مع ابن الزبير إذ قال لي ابن الزبير : متى
عهدك بالمختار بن أبي عبيد ؟ فقلت له : ما لي به عهد منذ رأيته عندك حاماً
أول ، فقال : أين تراه ذهب ! لو كان بمكة ، لقد رثي بها بعد ، فقلت له :
إني انصرفت إلى المدينة بعد إذ رأيته عندك بشهر أو شهرين ، فلبثت بالمدينة
أشهرًا ، ثم إنني قدمت عليك ، فسمعت نقرًا من أهل الطائف جاءوا معتمرين

يزعمون أنه قدم عليهم الطائف ، وهو يزعم أنه صاحب الغضب ، وسير^(١) الجبارين ، قال : قاله الله^(٢) ! لقد أتيت كذا أباً متكهناً ، إن الله إن يهلك الجبارين يكن المختار أحدهم^(٣) . فوالله ما كان إلا ريث فراغنا من متعلقتنا حتى عن لنا في جانب المسجد ، فقال ابن الزبير : اذكر غائباً تراه ، أين تظنه يهوى ؟ قلت : أظنه يريد البيت ، فأنى البيت فاستقبل الحجر ، ثم طاف بالبيت أسبوعاً ، ثم صلى ركعتين عند الحجر ، ثم جلس ، فلما لبث أن مر به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز ، فجلسوا إليه ، واستبطأ ابن الزبير قيامته إليه ، فقال : ما ترى شأنه لا يأتينا ! قلت : لا أدري ، وأعلم لك علمه ، فقال : ما شئت ، وكان ذلك أعجبه .

قال : ففقتُ فررتُ به كَأَنِّي أريد الخروجَ من المسجد ، ثم التفتُ إليه ، ٢٧/٢ فأقبلت نحوه ثم سلمت عليه ، ثم جلست إليه ، وأخذت بيده ، فقلتُ له : أين كنت ؟ وأين بلغت بعدى ؟ أيا لطائف كنت ؟ فقال لي : كنتُ بالطائف وغير الطائف ، وحمس^(٤) أهل أمره ، فقلتُ إليه ، فتأجيت ، قلتُ له : مِثْلُكَ يغيب عن مِثْلٍ ما قد اجتمع عليه أهلُ الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وقيف لم يبق أهل بيت ولا قبيلة إلا وقد جاء زعيمهم وعيدهم فبايع هذا الرجل ، فعجباً لك ولرأيك ألا تكون أتيته فبايعته ، وأخذت بحظك من هذا الأمر ! فقال لي : وما رأيته ؟ أتيته العام الماضي ، فأشرت عليه بالرأى ، فطوى أمره دوني^(٥) ، وإلى لما رأيته استغنى عني أحببت أن أريته أتى مستغن عنه ، إنه والله هو أحوجُ إليّ مني إليه ، قلتُ له : إنك كلمته بالذي كلمته وهو ظاهر في المسجد ، وهذا الكلام لا ينبغي أن يكون إلا والستور دونه مُرَخَّاة والأبواب دونه مُخْلَقة ، القصة الليلة إن شئت وأنا معك ، فقال لي : فإني فاضل

(١) ابن الأثير : وسير .

(٢) ابن الأثير : وقال ابن الزبير : ما قاله الله ! .

(٣) ابن الأثير : أعلم .

(٤) حس عليه الأمر : غلب عليه ولم يهتبه .

(٥) ابن الأثير : فكتم عن غيره .

إذا صليتنا^(١) المَعمَة أئيناه ، واتَّعدنا الحِجر .

قال : فنهضتُ من عنده ، فخرجتُ ثم رجعتُ إلى ابن الزبير ، فأخبرته بما كان من قولي وقوله ، فسرّ بذلك ، فلما صليتنا المَعمَة ، التقيتنا بالحِجر ، ثم خرجنا حتى أتينا منزلَ ابن الزبير ، فاستأذنا عليه ، فأذن لنا ، فقلت : أخطيكما ؟ فقالا^(٢) جميعاً : لا ميرّ دونك ، فجلستُ ، فلذا ابن الزبير قد أخذ بيده ، فصافحه ورحّب به ، فسأله عن حاله وأهل بيته ، وسكتّا جميعاً غيرَ طويل .

فقال له المختار وأنا أجمع بعد أن تبدّأ في أوّل منطقه ، فحميد الله وأئو عليه ثم قال : إنه لا خيرَ في الإكثار من المتلق ، ولا في التقصير عن الحاجة ، ٥٢٨/٢ إلى قد جئتكَ لأبايعك على ألا تقصّي الأنورَ دوى ، وعلى أن أكونَ في أوّل مَنْ تَأْذَن له ، وإذا ظهرت استنعتَ بي على أفضلِ عمالك . فقال له ابن الزبير : أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال : وشراً غلما في أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما لي في هذا الأمر من الخطأ ما ليس لأقصي الخلق منك ، لا والله لا أبايعك أبداً إلا على هذه الحصال .

قال حَبَّاس بن سهل : فالتصمتُ أذنَ ابن الزبير ، فقلت له : اشتر منه دينته حتى ترى من رأيك ، فقال له ابن الزبير : فلنّ لك ما سألته ، فبسط يده فبايعه ، وسكتَ معه حتى شاهد الحصارَ الأوّل حين قدم الحصين بن نمير السكونيّ مكة ، فقاتل في ذلك اليوم ، فكان من أحسن الناس يومئذٍ بلاءً ، وأعظمهم غنائاً . فلما قُتل المنذر بن الزبير والمنصور بن مَخْرَمَة مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى ، نادى المختار : يا أهل الإسلام ، إلىّ إلىّ أنا ابن أبى حُبَيْد ابن مسعود ، وأنا ابن الكُثر لا القُثرار ، أنا ابن المُقدّمين غير المُهجمين^(٣) ، إلىّ يا أهلَ الحفاظ وحُماة الأوتار . فحمي الناسُ يومئذٍ ، وأبلى وقاتل قتالاً حسناً .

(١) ف : ه صليت .

(٢) ف : ه قالوا .

(٣) ف : ه لا المهجمين .

ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحصار حتى كان يوم أحرق البيت فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضيئين من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس ، إن كان ليقاتل حتى يتبلد ، ثم يجلس ويحيط به أصحابه ، فإذا استراح نهض فقاتل ، فما كان يتوجه نجيوا طائفة من أهل الشام إلا ضاربهم حتى يكشفهم .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف محمد بن ثابت ، عن عباس بن سهل بن سعد ، قال : تولى قتال أهل الشام يوم تحريق الكعبة عبد الله بن مطيع وأنا والمختار ، قال : فما كان فينا يومئذ رجل أحسن بلاء من المختار . قال : وقاتل قبل أن يطلع أهل الشام على موت يزيد بن معاوية بيوم قتالاً شديداً ، وذلك يوم الأحد لخمس عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر سنة أربع وستين ، وكان أهل الشام قد رجوا أن يتفكروا بنا ، وأخلوا علينا سيكك مكة .

قال : وخرج ابن الزبير ، فبايعة رجال كثير على الموت ، قال : فخرجت في عصابة معي أقاتل في جانب ، والمختار في عصابة أخرى يقاتل في جميعة من أهل البامة في جانب ، وهم خوارج ، وإنما قاتلوا ليدفعوا عن البيت ، فهم في جانب ، وعبد الله بن المطيع في جانب .

قال : فشد أهل الشام على ، فحازرني في أصحابي حتى اجتمعت أنا والمختار وأصحابه في مكان واحد ، فلم أكن أصنع شيئاً إلا صنع مثله ، ولا يصنع شيئاً إلا تكلفت أن أصنع مثله ، فما رأيت أشد منه قط ، قال : فإذا لئنا لاذ شدت علينا رجال خيل من خيل أهل الشام ، فاضطروني وإياه في نحو من سبعين رجلاً من أهل الصير إلى جانب دار من دور أهل مكة ، فقاتلهم المختار يومئذ ، وأخذ يقول رجل لرجل :

• لا وألت نفس امرئ يفر •

قال : فخرج المختار ، وخرجت معه ، فقلت : ليخرج منكم إلى رجل

فخرج إلى رجل وإليه رجل آخر، فشيت إلى صاحبي فأقتله، ومشي المختار ٢/٣٠٠ إلى صاحبه فقتله، ثم صبحنا بأصحابنا، وشدّ دنا عليهم، فوالله لضربناهم حتى أخرجناهم من السكك كلها. ثم رجعنا إلى صاحبي اللذين قتلنا. قال: فإذا الذي قتل رجل أحمر شديدُ الحمرة كأنه روى، وإذا الذي قتل المختار رجل أسود شديدُ السواد، فقال لي المختار: تعلمُ والله إنني لأظنّ قتلينا هذين عبدَيْن؛ ولو أنّ هذين قتلّا لفُجع بنا عشائرا ومن يرجونا. وما هذان وكلّبان من الكلاب عندى إلا سواء، ولا أخرج بعد يومى هذا لرجل أبداً إلا لرجل أعرفه، فقلت له: وأنا والله لا أخرج إلا لرجل أعرفه.

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيد بن معاوية. وانقضى الحصار. ورجع أهل الشام إلى الشام. واصطَلَح أهل الكوفة على عامر بن مسعود، بعد ما هلك يزيد يصلّ بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرصّونه. فلم يلبث عامر إلا شهراً حتى بعث ببيعتة وبيعة أهل الكوفة إلى ابن الزبير، وأقام المختار مع ابن الزبير خمسة أشهر بعد مهلك يزيد وأياماً.

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: والله إنى لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله ابن صفوان بن أمية بن خلف، ونحن نطوف بالبيت. إذ نظر ابن الزبير فإذا هو بالمختار. فقال لابن صفوان: انظر إليه؛ فوالله لتهو أحذر من ذئب قد أطافت به السباع. قال: فضى ومضينا معه. فلما قضينا طوافنا وصلينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار، فقال لابن صفوان: ما الذى ذكرنى به ابن الزبير؟ قال: فكتمته، وقال: لم يتذكرك إلا بخير. قال: بلى وربّ ٢/٣٠١ هذه البنية إن كنت لمن شأنكما، أما والله ليخطنّ في أثري أولاً قد تها عليه سحرّاً. فأقام معه خمسة أشهر، فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من الكوفة إلا سأله عن حال الناس وهيتهم.

قال أبو مخنف: فحدثني عطية بن الحارث أبو روق الحمداوى، أن هاني ابن أبي حبة الوادعى قدم مكة يريد عمرة رمضان. فسأله المختار عن حاله

وحال الناس بالكوفة وهيتهم : فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير . إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما ؛ فقال له المختار : أنا أبو إسحاق أنا والله لهم ! أنا أجمعهم على مَرِّ الحق ، وأنتي ^(١) بهم ركيان الباطل ، وأقتل بهم كل جبار عنيد ؛ فقال له هاني بن أبي حية : ويحك يابن أبي عبيد ! إن استطعت ألا تُوضع في الضلال ليكون صاحبهم غيرك ، فإن صاحب الفتنة أقربُ شيء أجلا ، وأسوأ الناس عملا ؛ فقال له المختار : إني لا أدعو إلى الفتنة إنما أدعو إلى الهدى والجماعة ، ثم وثب فخرج وركب رَواحله . فأقبل نحو الكوفة حتى إذا كان بالقرعاء لقيه سلمة بن مرثد أخو بنت مرثد القابضي من همدان . وكان من أشجع العرب ، وكان ناسكاً ظمأً تقياً تصافحاً وتساءلاً ، فخبّره المختار ؛ ثم قال لسلمة بن مرثد : حدثني عن الناس بالكوفة ؛ قال : هم كفنهم ضلّ راعيها ؛ فقال المختار بن أبي عبيد : أنا الذي أحسين رعايتها . وأبلغ نهايتها ؛ فقال له سلمة : اتق الله واعلم أنك ميت ومبعوث ، ومحاسب وعجزى بعملك إن خيراً فخير وإن شراً فشر . ثم افترقا . وأقبل المختار حتى انتهى إلى بحر الحيرة يوم الجمعة . فنزل فاغتسل فيه . وادّهن دهنًا يسيراً ، ولبس ثيابه وأعمّ ، وتقلّد سيفه ؛ ثم ركب راحلته فرم بمسجد السكون وجبّانة كيندة ؛ لا يمر بمجلس إلا سلّم على أهله . وقال : أبشروا بالنصر والفلاح . أناكم ما تحبون . وأقبل حتى رم بمسجد بني ذهل وبني حُجر . فلم يجد ثمّ أحداً ، ووجد الناس قد راحوا إلى الجمعة . فأقبل حتى مرّ ببني بداء ، فوجد عبيدة بن عمرو البدّدي من كيندة . فسلم عليه ، ثم قال : أبشروا بالنصر واليسر والفلاح . إنك أبا عمرو على رأي حسن ، لن يتدع الله لك منه مأثمًا إلا غفره ، ولا ذنبًا إلا ستره — قال : وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم ، وأشدّهم حبًّا لعلّ رضى الله عنه ، وكان لا يصبر عن الشراب — فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة : بشرك الله بخير

إنك قد بشرتنا ، فهل أنت مفسرٌ لنا ؟ قال : نعم ، فالتقني في الرّحل الليلة ثم مضى .

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج ، عن عبيدة بن عمرو قال : قال لي المختار هذه المقالة ، ثم قال لي : التقى في الرّحل ، وبلغ أهل مسجدكم هذا عنى أنهم قوم أخذ الله ميثاقهم على طاعته ، يقتلون المُحِلين ، ويطلقون بدماء أولاد النّبيّين ، ويهديهم للنور المبين : ثم مضى فقال لي : كيف الطريق إلى بني هند ؟ فقلت له : أنظرنى أدلك ، فدعوتُ بفرسى وقد أسرج لي فركبته ، قال : ومضيت معه إلى بني هند ، فقال : دلّني على منزل لإسماعيل بن كثير . قال : فضيتُ به إلى منزله ، فاستخرجته ، فحيّاه ورحّب به ، وصافحه وبشّره ، وقال له : القسني أنت وأذكّك الليلة وأبو عمرو فإني قد أتيتكم بكل ما تحبون ؛ قال : ثم مضى ومضينا به حتى مرّ بمسجد جهنّة الباطنة ، ثم مضى إلى باب القيل ، فأناخ راحلته ، ثم دخل المسجد واستشرف له الناس ، وقالوا : هنا المختار قد قدّم ، فقام المختار إلى جنب سارية من سوارى المسجد ، فصلّى عندها حتى أقيمت الصلاة ، فصلّى مع الناس ثم ركذ إلى سارية أخرى فصلّى ما بين الجمعة والعصر ، فلما صلى العصر مع الناس انصرف .

قال أبو مخنف : فحدثني المجالد بن سعيد ، عن عامر الشعبي ، أن المختار مرّ على حلقة همدان وعليه ثياب السّمّ ، فقال : أبشّروا ، فإني قد قدمت عليكم بما يسركم ، ومضى حتى نزل داره ، وهي الدار التي تدعى دار سلم ابن المسيّب ، وكانت الشيعة تختطف إليها ولإليه فيها .

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج ، عن عبيد بن عمرو ، وإسماعيل بن كثير من بني هند ، قالوا : أتينا من الليل كما وعدنا ، فلما دخلنا عليه وجلسنا ساء لنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة ، فقلنا له : إن الشيعة ٢٤٤/٢ قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي ، وإنه لن يلبث إلا يسيراً حتى يخرج ، قال : فحمّد الله وأثنى عليه وصلى على النّبيّ صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أما بعد ، فإن المهديّ ابن الوصيّ ، محمد بن عليّ ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً
ومتخبّاً وأميراً ، وأمرني بقتال الملحدين ، والطلب بدماء أهل بيته والبلغ
عن الضعفاء .

قال أبو مخنف : قال فضيل بن خديج : فحدثني عبيدة بن عمرو
ولإسماعيل بن كثير ، أنهما كانا أول خلق الله إجابةً وضرباً على يده ، وبإيماءه .
قال : وأقبل المختاريبعت إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد ، فيقول
لهم : إني قد جئتكم من قبل وليّ الأمر ، وسعيد الفضل ، ووصيّ الوصيّ
والإمام المهديّ ، بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام
النعماء ، إن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه إنما هو عظمة من العظم^(١)
وحفش بال ، ليس بلدى تجربة للأمور ، ولا له علم بالحروب ، إنما يريد
أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم . إني إنما أعمل على مثال قد مثّل لي ، وأمّر
قد بيّن لي ، فيه عزّ وليكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني
قول ، وأطيعوا أمري ، ثمّ أبشروا وتباشروا ، فإني لكم بكل ما تأملون خير زعيم .
قال : فوافقه ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة ، وكانوا
يخطفون إليه ويعظمونه ، وينظرون أمره ، وعظم^(٢) الشيعة يومئذ ورؤسائهم
مع سليمان بن صرد ، وهو شيخ الشيعة وأسئتهم ، فليس يعدّون به أحداً ،
إلاّ أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير ، فسليمان بن صرد أقبل
خلق الله على المختار ، وقد اجتمع لابن صرد يومئذ أمره ، وهو يريد الخروج
والمختار لا يريد أن يتحرك ، ولا أن يهتج أمراً حتّى^(٣) ينظر إلى ما يصير إليه
أمر سليمان ، رجاء أن يستجمع له أمر الشيعة ، فيكون أقوى له على ذلك .
ما يطلب^(٤) ، فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن
سعد بن أبي وقاص وشيبث بن ربعي ويزيد^(٥) بن الحارث بن رويّم لعبد الله
ابن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله : إن المختار أشدّ

(١) رجل عشة : يابس من الغزال . (٢) ابن الأثير : « وعظم » .

(٣) كلفا قس ، وقط : « رجاء أن » . (٤) ف : « ما يريد » .

(٥) ابن الأثير : « وقيد » .

عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوكم، ويذلهم لكم، وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يثب عليكم في مصركم، فسروا إليه فأوثقوه في الحديد، وخلطوه^(١) في السجن حتى يستقيم أمر الناس، فخرجوا إليه في الناس، فما شعر بشيء حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه، فلما رأى جماعتهم قال: ما بالكم! فوالله بعد ما ظفرت أكفكم! قال: فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة بن حبيد الله لعبد الله بن يزيد: شدة كتاباً، وشدة حافياً، فقال له عبد الله بن يزيد: سبحان الله! ما كنت لأمشيه ولا لأخفيه^(٢) ٥٣٦/٢ ولا كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً، وإنما أخذناه على الظن. فقال له إبراهيم بن محمد: ليس بعشك فادرجي^(٣)، ما أنت وما يبلغنا عنك يابن أبي عبيد! فقال له: ما الذي بلغك عنى إلا باطل، وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك!

قال: قال فضيل: فوالله إنى لأنظر إليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له، غير أنى لا أدرى أسمعه منه إبراهيم أم لم يسمعه، فسكت حين تكلم به، قال: وأتى المختار ببغلة دهماء يركبها، فقال إبراهيم لعبد الله بن يزيد: ألا تشد عليه القيود؟ فقال: كفى له بالسجن قيداً.

قال أبو مخنف: وأما يحيى بن أبى عيسى فحدثنى أنه قال: دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدى نزوره وتناهد، فرأيت مقيداً، قال: فسمعتُه يقول: أما ورب البحار، والنخيل والأشجار، والمتاهمة والفقار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلن كل جبار، بكل لدن خطار، ومهند يتار، في جموع^(٤) من الأنصار، ليسوا بيميل^(٥) أغمار^(٦)، ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، ورأيت شعب صدع المسلمين، وشفيت

(١) ف: «وخلطوه»، ابن الأثير: «واسجنوه».

(٢) ف: «أمشيه حافياً».

(٣) ابن الأثير: «هذا يشك فادرجي».

(٤) ف: «وجموع»، ابن الأثير: «بجموع».

(٥) ميل: جمع أميل؛ وهو الذى لا يريح منه.

(٦) الأغار: جمع غمر، بضم فسكون؛ وهو الذى لا تجربة له بالأمور.

غليلَ صلور المؤمنين ، وأدركتُ بثأر النبيين ، ولم يكبرُ على زوال الدنيا
ولم أحفل بالموت إذا أتى .

٥٣٧/٢ قال : فكان إذا أتياه وهو في السجن ردّد علينا هذا القول حتى خرج
منه ؛ قال : وكان يتشجّع لأصحابه بعد ما خرج ابن صرّد .

° ° °

[ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة ، وكانت قد مال
حيطانها مما رُميت به من حجارة المجانيق ، فذكر محمد بن عمر الواقدي أن
إبراهيم بن موسى حدثه عن عكرمة بن خالد ، قال : هدم ابن الزبير البيت حتى
سوّاه بالأرض ، وحفر أساسه ، وأدخل الحِجْر فيه ، وكان الناس يطوفون من
وراء الأساس ، ويصلّون إلى موضعه ، وجعل الركن الأسود عنده في تابوت
في سرقة^(١) من حرير ، وجعل ما كان من حُلّ البيت وما وجد فيه من ثياب
أو طيب عند الحِجْبة في خزانة البيت ، حتى أعادها لمّا أعاد بناءه .

قال محمد بن عمر : وحدّثني معقل بن عبد الله ، عن عطاء ، قال : رأيت
ابن الزبير هدم البيت كله حتى وضعه بالأرض .

° ° °

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عامله على المدينة^(٢) فيها أخوه عبيدة بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله
ابن يزيد الخطمي ، وعلى قضائهما سعيد^(٣) بن نِمران .
وأبى شُريح أن يقضى فيها ، وقال فيأذكر عنه : أنا لا أقضى في الفتنة .
وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وعلى قضائهما هشام بن هُبيرة ،
وعلى خراسان عبد الله ابن خازم .

(١) السرق : شقائق الحرير ، واحدة سرقة . (٢) ط : « مدينة » .

(٣) ط : « سعد » وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة خمس وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من أمر التوآيين وشيوخهم للطلب بدم الحسين بن علي إلى حبيد الله بن زياد .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني أبو يوسف ، عن عبد الله بن عوف الأحمرى ، قال : بعث سليمان بن صرد إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخصوس وذلك في سنة خمس وستين ، فأتوه ، فلما استهلّ الملل هلال شهر ربيع الآخر ، خرج في وجوه أصحابه ، وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة فخرج حتى أتى عسكره ، فدار في الناس ووجوه أصحابه ، فلم يعجبه عدة الناس ، فبعث حكيم بن مسعود الكندي في خيل ، وبعث الوليد بن غصين الكنانى في خيل ، وقال : اذهبا حتى تدخلوا الكوفة فناديا : يا لثارات الحسين ! وابلغا المسجد الأعظم فناديا بذلك ، فخرجا ، وكانا أول خلق الله دعوا : يا لثارات الحسين ! قال : فأقبل^(١) حكيم بن مسعود الكندي في خيل^(٢) والوليد بن غصين في خيل ، حتى مرّا ببني كثير ، وإن رجلاً من بني كثير من الأزد . يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهيلة بنت سبرة بن عمرو من بني كثير ، وكانت من أجمل الناس وأحبهم إليه ، سمع الصوت : يا لثارات الحسين ! وما هو عن كان يأتيهم ، ولا استجاب لهم . فوثب إلى ثيابه فلبسها ، ودعا بسلحه ، وأمر بإسراج فرسه ، فقالت له امرأته : ويحك ! أجنبت ! قال : لا والله ، ولكنى سمعت داعي الله ، فأنا مجيبه ، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى^(٣) أموت ، أو يقضى الله من أمرى ما هو أحب إليه ، فقالت له : إلى من تدع بُنيك هذا ؟ قال : إلى الله وحده لا شريك له ، اللهم إني أستودعك أهلى وولدى ،

(٢) ف : « الخيل » .

(١) ف : « وأقبل » .

(٣) ف : « أو » .

اللهم احفظني فيهم ؛ وكان ابنه ذلك يُدعى عَزْرَة ، فبقي حتى قتل بعد
 مع مصعب بن الزبير ، ونخرج حتى لحق بهم ، فقعدت ^(١) امرأته تيكية
 واجتمع إليها نساؤها ، ومضى مع القوم ، وطافت تلك الليلة الخليل بالكوفة ،
 حتى جاءوا المسجد بعد العتمة ، وفيه ناس كثير يصلُّون ، فنادوا : يا لثارات
 الحسين ! وفيهم أبو عَزْرَة القابض ^(٢) وكرب بن نمران يصلِّي ، فقال :
 يا لثارات الحسين ! أين جماعة القوم ؟ قيل : بالنَّخيلة ، فخرج حتى أتى
 أهله ، فأخذ سلاحه ، ودعا بفرسه ليركبه ، فجاءته ابنته الرُّواح - وكانت
 تحت ثُبَيْت بن مرثد القابض . فقالت : يا أبت ، مالى أراك قد تقلدت
 سيفك ، ولبست سلاحك ! فقال لها : يا بنية ، إن أباك يفر من ذنبه إلى
 ربِّه ، فأخذت تستحِب وتيكى ، وجاءه أصحابه وبنوعه ، فودعهم ،
 ثم خرج ^(٣) فلحق بالقوم ، قال : فلم يصبح سليمان بن صرد حتى أتاه نحو
 ٤٠/٢ مئتين ^(٤) كان في عسكره حين دخله ، قال : ثم دعا بديوانه لينظر فيه إلى عدة
 من بايعه ^(٥) حين أصبح ، فوجدهم ستة عشر ألفاً ، فقال : سبحان الله !
 ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألفاً .

قال أبو مخنف : عن عطية بن الحارث ، عن حميد بن مسلم ، قال : قلت
 لسليمان بن صرد : إن المختار والله يثبِّط الناس عنك ، إني كنت عنده أوَّل
 ثلاث ، فسمعتُ نفرًا من أصحابه يقولون : قد كلنا ألفي ^(٦) رجل ، فقال :
 وهب أن ذلك كان ، فأقام عنّا عشرة آلاف ، أمّا هؤلاء بمؤمنين ! أمّا
 يخافون الله ! أمّا يذكرون الله ، وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق
 ليُجاهدُنْ وليُنصِرُنْ ! فأقام بالنَّخيلة ثلاثاً يبعث ثقاته من أصحابه إلى
 مَنْ تخلّف عنه يذكّرهم الله وما أعطوه من أنفسهم ، فخرج إليه نحو من
 ألف رجل ، فقام المسيّب بن نجبة إلى سليمان بن صرد ، فقال : رحلك

(١) ف : « التامى » .

(٢) ابن الأثير : « ما » .

(٣) ف : « ألفين » .

(١) ف : « وقعدت » .

(٢) ف : « وخرج » .

(٣) ابن الأثير : « تابعه » .

الله ، إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا مَنْ أخرجتهُ النية ، فلا تنتظرن^(١) أحدًا ، واكشش^(٢) في أمرك . قال : فإنك والله لنعمًا رأيت ! فقام سليمان بن صرد في الناس متوكئًا على قوس له عريضة . فقال : أيها الناس ، مَنْ كان إنما أخرجته لإرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، فرحمة الله عليه حيًّا وميتًا ، وَمَنْ كان إنما يريد الدنيا وحرثتها فوالله ما نأى فينا نسيئته ، ولا غنمة نغنمها ، ما خلا رضوان الله رب العالمين ، وما معنا من ذهب ولا فضة ، ولا خنز ولا حرير^(٣) ، وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا ، ورماحنا في أكفنا ، وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا ، فمن كان غير هذا ينوى فلا يصحبنا .

فقام صُخَيْر بن حذيفة بن هلال بن مالك المُرِّي ، فقال : آتاك الله رشدك ، ولقأك حُجَّتْكَ ؛ والله الذي لا إله غيره ما لنا خير في صحبة مَنْ الدنيا ١١/٢ • همته^(٤) ونيته . أيها الناس ، إنما أخرجتنا التوبة من ذنبنا ، والطلب بدم من نبينا ، صلى الله عليه وسلم ليس معنا دينار ولا درهم ، إنما نقدّم على حدّ السيف وأطراف الرماح ؛ فتنادى الناس من كل جانب : إننا لا نطلب الدنيا ، وليس لها خرجنا .

قال أبو مخنف : عن إسماعيل بن يزيد الأزدي ، عن السري بن كعب الأزدي ، قال : أتينا صاحبنا عبد الله بن سعد بن نفيّل نودّعه ، قال : فقام فقمنا معه ، فدخل على سليمان ودخلنا معه ، وقد أجمع سليمان بالمسير ، فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نفيّل أن يسير إلى عبيد الله بن زياد ، فقال هو ورموس أصحابه : الرأى ما أشار به عبد الله بن سعد بن نفيّل أن يسير إلى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا ، ومن قبلكه أتينا ، فقال له عبد الله بن سعد وعنده رموس أصحابه جلوس حوله : إني قد رأيت رأيًا إن يكن صوابًا فافه

(١) ابن الأثير : « فلا تنتظر » .

(٢) كش الرجل في أمره : مضى وأسرع . وفي ابن الأثير : « جد » .

(٣) ابن الأثير : « ولا متاع » . (٤) ابن الأثير : « همه » .

وَقَتْلِهِ، وَإِنْ يَكُنْ لَيْسَ بِصَوَابٍ^(١) فَمِنْ قَبِيلٍ، فَلْيُفِي مَا آتَاكُمْ وَفَقِصْ نَصِيحًا؛
 خَطَا كَانَ أَمْ صَوَابًا، إِنَّمَا خَرَجْنَا نَطْلُبُ بِلَهْمِ الْحُسَيْنِ، وَنَشْكُو الْحُسَيْنِ كُلَّهُمْ
 بِالْكُوفَةِ، مِنْهُمْ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَرُمُوسُ الْأَرْبَاعِ وَأَشْرَافُ
 الْقَبَائِلِ، فَأَتَيْنَا نَذْهَبُ هَاهُنَا وَنُدْعُ الْأَكْثَالَ وَالْأَوْتَارَ! فَقَالَ سَلْيَانُ بْنُ صُرْدٍ:
 فَاذَا تَرَوْنِ؟ فَقَالُوا: وَآلَهُ لَقَدْ جَاءَ بِرَأْيٍ، وَإِنْ مَآذَرَ لَكُمْ ذَكَرَ، وَآلَهُ مَا
 نَلَقَى مِنْ قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ إِنْ نَحْنُ مُضِينَ نَحْوَ الشَّامِ غَيْرَ ابْنِ زِيَادٍ^(٢)، وَمَا
 طَلَبْتُنَا إِلَّا هَاهُنَا بِالْمِصْرَ، فَقَالَ سَلْيَانُ بْنُ صُرْدٍ: لَكِنْ أَنَا مَا أَرَى ذَلِكَ
 لَكُمْ، إِنْ الَّذِي قَتَلَ صَاحِبَكُمْ، وَغَيَّبَ الْجُنُودَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَمَانَ لَهُ عِنْدِي
 دُونَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ فَأَمْضِي فِيهِ حُكْمِي هَذَا الْفَاسِقُ ابْنُ الْفَاسِقِ ابْنُ مَرْجَانَةَ،
 عِبِيدَ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَسَبُّوا إِلَى عُلُوكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ^(٣)، فَإِنْ يُظْهِرْكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ
 رَجُوتَنَا أَنْ يَكُونَ مَنَ بَعْدَهُ أَهْلٌ شَوْكَةٌ مِنْهُ، وَرَجُوتَنَا أَنْ يَدِينَ لَكُمْ مَنَ وَرَاءَكُمْ
 مِنْ أَهْلِ مِصْرَكُمْ فِي عَافِيَةٍ، فَتَنْظُرُونَ^(٤) إِلَى كُلِّ مَنَ شَرِكٌ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ
 فَتَقَاتِلُونَهُ وَلَا تَنْشَمُوا^(٥)، وَإِنْ^(٦) تُسْتَشْهِدُوا فَلِنَا قَاتَلْتُمُ الْمُحَلِّينَ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
 خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ وَالصَّادِقِينَ، إِنْ لَأَحَبُّ أَنْ تَجْعَلُوا حُدُوكُمْ^(٧) وَشَوْكَتَكُمْ بِأَوَّلِ
 الْمُحَلِّينَ الْقَاسِطِينَ. وَآلَهُ لَوْ قَاتَلْتُمْ غَدًا أَهْلَ مِصْرَكُمْ مَا عَدِمَ رَجُلٌ أَنْ يَرَى رَجُلًا
 قَدْ قَتَلَ أَخَاهُ وَأَبَاهُ وَحَمِيمَهُ، أَوْ رَجُلًا لَمْ يَكُنْ يَرِيدُ قَتْلَهُ، فَاسْتَخِيرُوا اللَّهَ
 وَسِيرُوا. فَتَهَيَّأَ النَّاسُ لِلشَّخْصِ. قَالَ: وَبَلَغَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ
 مُحَمَّدٍ بِنَ طَلْحَةَ خُرُوجَ ابْنِ صُرْدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَتَنَظَرُوا فِي أَمْرِهِمَا، فَرَأَوْا أَنَّ يَأْتِيَاهُمَا
 فَيَعْرِضَا عَلَيْهِمُ الْإِقَامَةَ، وَأَنْ تَكُونَ أَيْدِيَهُمْ وَاحِدَةً، فَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّخْصَ
 سَأَلُوهُمُ التَّنْظِيرَةَ حَتَّى يَجْعَلُوا مَعَهُمْ جَيْشًا فَيَقَاتِلُوا عَدُوَّهُمْ بِكَتْفٍ وَاحِدٍ، فَبَعَثَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَ طَلْحَةَ سُودَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى سَلْيَانَ
 ابْنِ صُرْدٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ عَبْدُ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمُ يَقُولَانِ: إِنَّا نَرِيدُ أَنْ نَجِيتَكَ

(٢) ف: «إلا ابن زياد».

(١) ابن الأثير: «صواب».

(٤) ابن الأثير: «فتنظرون».

(٣) ابن الأثير: «بركة الله».

(٦) ابن الأثير: «فلن».

(٥) ابن الأثير: «ولا يفسح».

(٧) ابن الأثير: «جذكم».

الآن لأمر عسى الله أن يجعل لنا ولك فيه صلاحاً ، فقال : قل لهما غلبتانا ، وقال سليمان لرفاعة بن شداد البجلي : قم أنت فأحسن تعبته الناس ، فإن هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت ، فلما رمس أصحابه فجلسوا حولته فلم يمشوا إلا ساعة حتى جاء عبد الله بن يزيد في أشرف أهل الكوفة والشُّرط وكثير من مقاتلة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة في جماعة من أصحابه ، فقال عبد الله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم أنه قد شَرَك في دم الحسين : لا تصحبني إليهم مخافة أن ينظروا إليه فيمُدُّوا عليه ، وكان عمر بن سعد تلك الأيام التي كان سليمان معسكراً فيها بالشُّخيلة لا يبيت إلا في قصر الإمارة مع عبد الله بن يزيد مخافة أن يأتيه القوم في داره ، وينمروا عليه في بيته وهو فاعل لا يعلم فيقتل . وقال عبد الله بن يزيد : يا عمرو بن حريث ، إن أنا أبطلتُ عنك فصلٌ بالناس الظاهر .

فلما انتهى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد إلى سليمان بن صُرد دخلوا عليه ، فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ثم قال : إن المسلم أخو المسلم لا يخنه ، ولا يشبهه ، وأنتم إنساننا ، وأهل بلدنا ، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ، ولا تستبدوا علينا برأيكم ، ولا تقصوا عدونا بخروجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى نتيسر ونهتياً ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم . وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام . قال : فحمد الله سليمان بن صُرد وأثنى عليه ثم قال لهما : إني قد علمت أنكما قد تحفَّضتما في النصيحة ، واجتهدتما في المشورة ، فنحن بالله وله ، وقد خرجنا لأمر ، ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسليد لأصوبه ، ولا نرانا إلا شاخصين ^(١) إن شاء الله ذلك . فقال عبد الله بن يزيد : فأقيموا حتى نعبئ معكم جيشاً كثيفاً ، فلقوا عدوكم بكثف وجمع واحد . فقال سليمان : تنصرفون ، ونرى فيما بيننا ، وسبأتيكم إن شاء الله رأي .

قال أبو مخنف: عن عبد الجبار - يعني ابن عباس المحدث - عن عوف بن أبي جحيفة السوائي، قال: ثم إن عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد ابن طلحة عرسا على سليمان أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشام على أن يخصصاه وأصحابه بخراج جوحى خاصة لم دون الناس، فقال لمسا سليمان: إننا ليس للدنيا خرجنا، وإنما ضلنا ذلك لما قد كان بلغهما من إقبال عبید الله بن زياد نحو العراق. وانصرف إبراهيم بن محمد وعبد الله بن يزيد إلى الكوفة، وأجمع القوم على الشخص واستقبال ابن زياد، ونظروا فإذا شيعتهم من أهل البصرة لم يوافوهم لمعادهم ولا أهل المدائن، فأقبل ناس من أصحابه يلزمونهم، فقال سليمان: لا تلموهم فإني لا أراهم إلا سيئرون إليكم، لو قد انتهى إليهم خبركم حين سيركم، ولا أراهم خلفهم ولا أقدمهم إلا قلة النفقة وسوء العدة، فأقيموا ليتيسروا ويتجهزوا ويلحقوا بكم وبهم قوة، وما أسرع القوم في آثاركم. قال: ثم إن سليمان بن صرد قام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد أيها الناس، فإن الله قد علم ما تنوون، وما خرجتم تطلبون، وإن للدنيا تجارتاً، وللآخرة تجارتاً، فأما تاجر الآخرة فصاع إليها، منتصب بتطلباها، لا يشتري بها ثمناً، لا يرى إلا قائماً وقاعداً، وراكماً وساجداً، لا يطلب ذهباً ولا فضة، ولا دنيا ولا لذة، وأما تاجر الدنيا فكسب عليها، راتع فيها، لا يبتغي بها بدلاً، فليكنم يرحمكم الله في وجهكم هذا بطول الصلاة في جوف الليل، وبذكر الله كثيراً على كل حال، وتقربوا إلى الله جل ذكره بكل خير قدرتم عليه، حتى تلقوا هذا العلو والمحل القاسط فتجاهدوه، فإن تتوصلوا إلى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثواباً من الجهاد والصلاة، فإن الجهاد ستام العمل. جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين، المحبدين الصابرين على الكأواء! وإنا مدللجون الليلة من منزلنا هذا إن شاء الله فادخلوا.

فادخل عتبة الجمعة لحمس مضيئين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين للهجرة.

أصحابه ، حتى صلّوا الغداة من الغدّ عند قبره ، وزادهم ذلك حسنة . ثمّ ركبوا ، فأمر سليمانُ الناسَ بالمسير ، فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه ، فيترحم عليه ، ويستغفر له ، قال : فوالله لآريهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود .

قال : ووقف سليمان عند قبره ، فكلّمنا دعا له قوم وترحموا عليه قال لهم المسيّب بن نجبة سليمان بن صرد : الحقوا بإخوانكم رحمكم الله ! فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه ، فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه ، فقال سليمان : الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين ، اللهم ! إذ حرمتناها معه فلا تحرمتناها فيه بعده .

وقال عبد الله بن وال : أما والله إنّي لأظنّ حسينا وأباه وأخاه أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسيلة عند الله يوم القيامة ، أفا عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم ! إنهم قتلوا اثنين ، وأشفوا بالثالث على القتل ، قال : يقول المسيّب بن نجبة : فأنّا من قتلّهم وسن كان على رأيهم برئ ، إياهم أعادى وأقاتل . قال : فأحسن الروموس كلّهم المنطق ، وكان المنثى بن غربة صاحب أحد الروموس والأشراف ، فسامنى حيث لم أسمعه تكلّم مع القوم بنحو ما تكلموا به ، قال : فوالله ما لبث أن تكلّم بكلمات ما كنّ بدون كلام أحد من القوم ، فقال : إن الله جعل هؤلاء الذين ذكرتم بمكانهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم أفضل ممن هودن نبيهم ، وقد قتلهم قوم نحن لم أعداء ، ومنهم براء ، وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال إرادة استئصال من قتلهم ، فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمقطع التراب يحقّ علينا طلبه حتى نثاله ، فإنّ ذلك هو الغنم ، وهى الشهادة^(١) التى ثوابها الجنة ، فقلنا له : صدقت وأصبت ووقفت .

قال : ثمّ إن سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين وسرنا معه ، فأخذنا على الخصاصة ، ثمّ على الأبار ، ثمّ على الصدود ، ثمّ على القيّارة . قال أبو مخنف : عن الحارث بن حصيرة وغيره : إن سليمان بعث على

(١) ف : « والشهادة » .

مقدمته كُريْبَ بن يزيد الحميري .

قال أبو مخنف : حدثني الحصين بن يزيد ، عن السري بن كعب ، قال : خرجنا مع رجال الحى نسيهم ، فلما انتهينا إلى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صرد وأصحابه عن القبر ، ولزموا الطريق ، استقدمهم عبد الله ابن عوف بن الأحمر على فرس له مهلوب كُميْت مربوع ، يتاكل تأكلاً^(١) ، وهو يرتجز ويقول :

خَرَجْنَا يَلْمَعْنَ بِنَا أَرْسَالَا عَوَيْسَا يَحْمِلُنَا أَبْطَالَا
نُرِيدُ أَنْ نَلْقَى بِهِ الْأَقْتَالَا الْقَاسِطِينَ الْفُتْرَ الضَّلَالَا
وَقَدْ رَفَضْنَا الْأَهْلَ وَالْأَمْوَالَا وَالْخَضِرَاتِ الْبَيْضَ وَالْحِجَالَا
* نُرْضَى بِهِ ذَا النِّعَمِ الْإِفْخَالَا *

قال أبو مخنف : عن سعد بن مجاهد الطائي ، عن المُحلّ بن خليفة الطائي ، أن عبد الله بن يزيد كتب إلى سليمان بن صرد ، أحسبه قال : بعثني^{٥٩٢/٢} به ، فلهفته بالقيارة ، واستقدم أصحابه حتى ظن أن قد سبقهم ، قال : فوقف وأشار إلى الناس ، فوقفوا عليه ، ثم أقرأهم^(٢) كتابه ، فإذا فيه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين . سلام عليكم ، أما بعد فإن كتابي هذا إليكم كتابُ ناصح ذي إراء ، وكم من ناصح مستغش ، وكم من غاش مستنصَح مُحَبَّب ، إنه بلغني أنكم تريدون المسير بالعتد اليسير إلى الجمع الكثير ، وإنه من يرد أن ينقل الحبال عن مراتبها تكلّ متعاوله ، وينزع وهو منموم العقل والفعل . يا قومنا لا تطمعوا^(٣) عدوكم في أهل بلادكم ، فإنكم خيار كلكم ، ومنى ما يُصيبكم عدوكم يعلموا أنكم أعلام مصركم ، فيطمعهم ذلك فيمن وراكم

(١) فرس مهلوب : متناهل شعر اللذب . والكفة في الخيل : لون بين السواد والحمرة . والمرايح من الخيل : المجتمعة الخلق . والتاكل : الهائج .

(٢) ف : « وأقرأهم » .

(٣) ف وابن الأثير : « لا تطمعو » .

يا قومنا ، ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُجِلُّوكُمْ فِي مَلَأَتْهُمْ تَقْلُحُوا إِذَا أَبْدَأَ ﴾ ^(١) ، يا قوم ، إن أبلينا وأبديكم اليوم واحدة ، وإن عدونا وعدوكم واحد ، متى تجتمع كلمتنا نظهركم على عدونا ، ومتى تختلف نهض شوكتنا على من خالفنا ؛ يا قومنا لا تستغشوا نصحي ، ولا تخالفوا أمري ، وأقبلوا حين يقرأ عليكم كتابي ، أقبل الله بكم إلى طاعته ، وأدبر بكم عن معصيته ، والسلام .

قال : فلما قرئ الكتاب على ابن سرد وأصحابه قال للناس : ماترون ؟ قالوا : ماذا ترى ؟ قد آيينا هذا عليكم وعليهم ، ونحن في مصرنا وأهلنا ، ٥٥٠/٢ فالآن خرجنا ووطننا ^(٢) أنفستنا على الجهاد ، ودنونا من أرض عدونا ما هدا برأى . ثم نادوه أن أخبرنا برأيك ، قال : رأيي والله أنكم لم تكونوا قط أقرب من إحدى الحسينيين منكم يومكم هذا ، الشهادة والفتح ، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعتكم الله عليه من الحق ، وأردتم به من الفضل ؛ إنا وهؤلاء مختلفون ؛ إن هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير ، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالا ، وإنا إن نحن ظهرنا ردنا هذا الأمر إلى أهله ، وإن أصبنا فعلنا نيتنا ، تالين من ذنوبنا ، إن لنا شكلا ، وإن لابن الزبير شكلا ؛ إنا وليناهم كما قال أخو بني كنانة :

أرى لك شكلا غير شكلي فأقصري عني اللوم إذ بدلت وأخاف الشكل
قال : فانصرف الناس معه حتى نزل هيت ، فكتب سليمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمير عبد الله بن يزيد ، من سليمان بن سرد ومن معه من المؤمنين ، سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأنا كتابك ، وفهمنا ما نويت ، فنعم والله الوالي ، ونعم الأمير ، ونعم أخو العشيرة ، أنت والله من تأمنه بالغيب ، وتستصحه في المشورة ، ونحمده على كل حال ؛ إنا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ - إلى قوله : ﴿ وَيَسْعَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) . إن القوم قد استبشروا ببيعهم

(١) سورة الكهف : ٢٠٠ .

(٢) ابن الأثير : « ووطننا » .

(٣) سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢ .

التي بايعوا ، لأنهم قد تابوا من عظيم جرّهم ، وقد توجهوا إلى الله ، وتوكلوا عليه ٥٥١/٢
ورضوا بما قضى الله ، ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) ،
والسلام عليك .

فلما أتاه هذا الكتاب قال : استمات القوم ، أول خبر يأتيكم عنهم
قتلهم ، وإيم الله ليقتلن كراماً مسلمين ، ولا والذي هوربهم لا يقتلهم عدوهم
حتى تشدد شوكتهم ، وتكثر القتل فيما بينهم .

قال أبو مخنف : فحدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن
الأحمر ، وعبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الرحمن بن غزوة ، قال : خرجنا
من هيت حتى انتهينا إلى قرقيسيا ، فلما دونا منها وقف سليمان بن صرد فعبأنا
تعبية حسنة حتى مرونا بجانب قرقيسيا ، فنزلنا قريباً منها ، وبها زفر بن
الحارث الكلبي قد تحصن بها من القوم ، ولم يخرج إليهم ، فبعث سليمان
المسيب بن نجبة ، فقال : أئت ابن عمك هذا فقل له : فليخرج إلينا سوفاً ،
فلما لسا إياه فريده ، إنما صمدنا هؤلاء المحلين . فخرج المسيب بن نجبة حتى
انتهى إلى باب قرقيسيا ، فقال : افتحوا ، ممن تحصن ؟ فقالوا : من أنت ؟
قال : أنا المسيب بن نجبة ، فأني الهليل بن زفر أباه فقال : هذا رجل حسن
الهيئة ، يستأذن عليك ، وسألناه من هو ؟ فقال : المسيب بن نجبة - قال :
وأنا إذ ذاك لا أعلم لي بالناس ، ولا أعلم أي الناس هو - فقال لي أبي : أما
تدري أي بني من هذا ؟ هذا فارس مفضل الحمراء كلها ، وإذا عدت من
أشرافها عشرة كان أحدهم ، وهو بعد رجل ناسك له دين ، ائذن له . ٥٥٢/٢
فأذنت له ، فأجلسه أبي إلى جانبه ، وسأله وألطفه في المسألة ، فقال المسيب
ابن نجبة : ممن تحصن ؟ إنا والله ما إياكم فريده ، وما اعترينا إلى شيء إلا أن
تعيبتنا على هؤلاء القوم الظلمة المحلين ، فانخرج لنا سوفاً ، فلما لا نقيم
بسا حاكم إلا يوماً أو بعض يوم . فقال له زفر بن الحارث : إنا لم نطلق
أبواب هذه المدينة إلا لتعلم إنا ما اعتريم أم غيرنا ! إنا والله ما بنا عجز عن
الناس ما لم تدهمنا حيلة ، وما نحب أنا بليتنا بقتالكم ، وقد بلغنا عنكم

صلاح ، وصيرة حسنة جميلة .

ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوقاً ، وأمر للمسيب بألف درهم وفرنس ، فقال له المسيب : أما المال فلا حاجة لي فيه ، والله ما له خرجنا ، ولا إياه طلبنا ، وأما الفرس فلاني أقبله لعل أحتاج إليه إن ظلكم فرسي ، أو غمّرت تحتي . فخرج به حتى أتى أصحابه وأخرجت لهم السوق ، فتسوقوا ، وبعث زفر بن الحارث إلى المسيب بن نجبة بعد إخراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جتروراً ، وبعث إلى سليمان بن صرد مثل ذلك ، وقد كان زفر أمر ابنه أن يسأل عن وجوه أهل الصكر ، فسمي له عبد الله بن سعد بن ثعلب وعبد الله بن والٍ ورفاعة بن شدّاد ، وسمي له أمراء الأربع . فبعث إلى هؤلاء الرموس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر ، وعلف كثير وطعام ، وأخرج للصكر عيراً عظيمةً وشعيراً كثيراً ، فقال غلمان زفر : هذه عير فاجتروا منها ما أحببتم ، وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم ، وهذا دقيق فتزودوا منه ما أطقمتم ، فظلّ القوم يومهم ذلك مُخَصِّين لم يحتاجوا إلى شراء شيء من هذه الأسواق التي وضعت ، وقد كُفوا اللحم والدقيق والشعير إلا أن يشتري الرجل ثوباً أو سوطاً . ثم ارتحلوا من الغد ، وبعث إليهم زفر : لاني خارج إليكم فشيعمكم ، فأتاهم وقد خرجوا على تعية حسنة ، فبايرتهم ، فقال زفر لسليمان : إنه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرقة فيهم الحصين بن نمير السكوني ، وشريحبيل بن ذى كلاع ، وأدم بن محرز الباهلي وأبو مالك بن أدم . وريعة بن الحارث الفستوي ، وجبلة بن عبد الله الخثعمي ، وقد جاءوكم في مثل الشوك والشجر ، أناكم عدد كثير ، وحدّ حديد ، وإيم الله لقلّ ما رأيت رجالاً هم أحسن هيئة ولا عدة ، ولا أنطق لكل خير من رجال أراهم معك ، ولكنه قد بلغني أنه قد أقبلت إليكم عدة لا تحصى ، فقال ابن صرد : على الله توكلنا ، وعليه فليتوكل المتوكلون ، ثم قال زفر : فهل لكم في أمر أعرضه عليكم ، لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيراً ؟ إن شئتم فتحنا لكم مدينتا فخطمتوها فكان أمرنا واحداً وأيدينا واحدة ، وإن شئتم نزلتم على باب مدينتا ، وخرجنا فمسكرنا إلى جانبكم ، فإذا جاءنا هذا العدو

قَاتَلْتَنَاهُمْ جَسِيماً . فقال سليمان لَزَقَر : قد أَرَادْنَا أَهْلُ مَعْرَبَا عَلَى مِثْلِ مَا ٥٥٤/٢
أَرَدْنَا عَلَيْهِ ، وَذَكَرُوا مِثْلَ الَّذِي ذَكَرْتَ ، وَكُتِبُوا إِلَيْنَا بِهِ بَعْدَ مَا فَصَلْنَا ، فَلَمْ يَوَاقِفْنَا
ذَلِكَ ، فَلَسْنَا فَاعِلِينَ ؛ فَقَالَ زَقَر : فَانْظُرُوا مَا أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكُمْ فَأَقْبَلُوهُ ، وَخَلُّوا
بِهِ ، فَإِنِّي لَلْقَوْمِ عَلِيٌّ ، وَأَحِبُّ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَةَ ، وَأَنَا لَكُمْ وَادٌّ ،
أَحِبُّ أَنْ يَحْطُوكُمُ اللَّهُ بِالْعَافِيَةِ ؛ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ فَصَلُوا مِنَ الرَّقَّةِ ، فَبَادِرُوهُمْ إِلَى
عَيْنِ الْوَرْدَةِ ، فَاجْعَلُوا ^(١) الْمَدِينَةَ فِي ظَهْرِكُمْ ، وَيَكُونُ الرَّسَاقُ وَالْمَاءُ وَالْمَادَّةُ
فِي أَيْدِيكُمْ ، وَمَا بَيْنَ مَدِينَتِنَا وَمَدِينَتِكُمْ فَأَنْتُمْ لَهُ آمِنُونَ ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ خِيُولِي
كَرَّجَالِي لَأَمَدَدْتُكُمْ ، اطَّوُّوا الْمَنَازِلَ السَّاحَةَ إِلَى عَيْنِ الْوَرْدَةِ ؛ فَإِنَّ الْقَوْمَ يَسِيرُونَ
سِيرَ الْعَسَاكِرِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى خِيُولٍ ، وَاللَّهُ لَقَلَّ مَا رَأَيْتُ جَمَاعَةً خَيْلٌ قَطُّ أَكْرَمَ
مِنْهَا ، تَأْتِبُوهَا مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فَإِنِّي أُرْسُو أَنْ تَسْبِقُوهُمْ إِلَيْهَا ، وَإِنْ بَلَغْتُمُوهُمْ إِلَى
عَيْنِ الْوَرْدَةِ فَلَا تَقْبَلُوهُمْ فِي فِصَاءِ تَرَامُونِهِمْ وَتَطَاعُنُونَهُمْ ، فَلَانِهِمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ
فَلَا آمَنْ أَنْ يَحْطِلُوا بِكُمْ ، فَلَا تَقْفُوا لَهُمْ تَرَامُونَهُمْ وَتَطَاعُنُونَهُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ
مِثْلُ عِدَدِهِمْ ، فَإِنْ اسْتَهْدَفْتُمْ لَهُمْ لَمْ يَلْبِسُوكُمْ أَنْ يَصْرَعُوكُمْ ، وَلَا تَصِفُوا لَهُمْ حِينَ
تَلْقُونَهُمْ ، فَإِنِّي لَا أَرَى مَعَكُمْ رِجَالاً ، وَلَا أَرَاكُمْ كَلِكُمْ إِلَّا فَرَسَانًا ، وَالْقَوْمُ
لَا قُوَّةَ بِالرِّجَالِ وَالْفَرَسَانِ ، فَالْفَرَسَانِ تَحْمِي رِجَالَهَا ، وَالرِّجَالُ تَحْمِي فَرَسَانَهَا ،
وَأَنْتُمْ لَيْسَ لَكُمْ رِجَالٌ تَحْمِي فَرَسَانَكُمْ ، فَالْقَوْمُ فِي الْكَتَابِ وَالْمَقَابِ ، ثُمَّ
بَشَّوْهَا مَا بَيْنَ ^(٢) مِمَّتِهِمْ وَمِيسَرَتِهِمْ ، وَاجْعَلُوا مَعَ كُلِّ كِتَابَةٍ كِتَابَةً إِلَى جَانِبِهَا
فَإِنْ حُمِلَ عَلَى إِحْدَى الْكِتَابَتَيْنِ تَرَجَّلَتِ الْآخَرَى فَنَفَسَتْ عَنْهَا الْخَيْلُ ٥٥٥/٢
وَالرِّجَالُ ، وَمَنْى مَا شَامَتْ كِتَابَةً ارْتَفَعَتْ ، وَمَنْى مَا شَامَتْ كِتَابَةً انْهَضَتْ ،
وَلَوْ كُنْتُمْ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ ^(٣) فَرَحَفَتْ إِلَيْكُمْ الرِّجَالُ فَدَفَعْتُمْ عَنْ الصَّفِّ انْتَقَضَ
وَكَانَتْ الْمَرْجِمَةُ ، ثُمَّ وَقَفَ فَوَدَّعَهُمْ ، وَسَلَّأَ اللَّهُ أَنْ يَصْحَبَهُمْ وَيَنْصَرِّمَهُمْ . فَأَتَيْتُ
النَّاسَ عَلَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ : نَعَمْ الْمَنْتَرُولُ بِهِ أَنْتَ !
أَكْرَمْتَ النَّزُولَ ، وَأَحْسَنْتَ الضِّيَافَةَ ، وَنَصَحْتَ فِي الْمَشُورَةِ . ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ
جَدُّوا فِي الْمَسِيرِ ، فَجَعَلُوا يَحْمِلُونَ كُلَّ مَرَحَلَتَيْنِ مَرَحَلَةً ، قَالَ : فَرَرْنَا بِالْمَدَنِ حَتَّى

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « فَيَا بَنِي » .

(١) ف : « وَاجْعَلُوا » .

(٣) ف وَابْنُ الْأَثِيرِ : « صَفًّا وَاحِدًا » .

بلغنا ساعا . ثم إن سليمان بن صرد عبي الكتاب كما أمره زفر ، ثم أقبل حتى انتهى إلى عين الوردة فزل في غريبها ، وسبق القوم إليها ، فمسكروا ، وأقام بها خمسا لا يريح ، واستراحوا واطمأنوا ، وأراحوا خيلهم .

قال هشام : قال أبو مخنف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد الله بن غزيرة ، قال : أقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، قال عبد الله بن غزيرة : فقام فينا سليمان فحمد الله فأطال ، وأثنى عليه فأطنب ، ثم ذكر السماء والأرض ، والجبال والبحار وما فيها من الآيات ، وذكر آلاء الله ونعمته ، وذكر الدنيا فزهد فيها ، وذكر الآخرة فرغب فيها ، فذكر من هذا ما لم أحصه ، ولم أقدر على حفظه ، ثم قال : أما بعد ، فقد أتاكم الله بعلوكم الذي دأبتم في السير إليه ^(١) آتاء الليل والنهار ، تربلون فيها تظهرون التوبة النصوح ، ولقاء الله معلدين ، فقد جاءكم بل جشمهم أنتم في دارهم وحيزهم ، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يوليئهم امرؤ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة . لا تقاتلوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم ، إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه ^(٢) ، أو يكون من قتلة إخواننا بالطف رحمة الله عليهم ، فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة . ثم قال سليمان : إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فلن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفل ، فإن قتل عبد الله ابن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال ، فإن قتل عبد الله بن وال فأمير الناس ربيعة بن شداد ، رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه ! ثم بعث المسيب ابن نجبة في أربعمائة فارس ، ثم قال : سر حتى تلق أول عسكر من عساكرهم فشن فيهم الغارة ، فلذا رأيت ما تحبه وإلا انصرفت إلى أصحابك ، وإياك أن تتزل أو تدع أحدا من أصحابك أن يتزل ، أو يستقبل آخر ذلك ، حتى لا تجدد منه بدأ .

(١) ف وابن الأثير : « إليه في السير » .

(٢) ف : « تأسروهم » .

قال أبو مخنف : فحدثني أبي عن حميد بن مسلم أنه قال : أشهد أني في خيل المسيب بن نجبة تلك ، إذ أقبلنا نسير آخر يومنا كله وليتنا ، حتى إذا كان في آخر السحر نزلنا فعلقنا على دوابنا مسخاليها ، ثم هومتا تهومة بمقدار تكون مقدار قضيها ثم ركبناها ، حتى إذا انبلج لنا الصبح نزلنا فصلينا ، ثم ركب فركتنا . فبعث أبا الجؤنرية العبدى بن الأحمر في مائة ٥٥٧/٢ من أصحابه ، وعبد الله بن عوف بن الأحمر في مائة وعشرين ، وحش بن ربيعة أبا المعتز الكتاني في مثلها ، وبقى هو في مائة ، ثم قال : انظروا أول من تلقون فأتوني به ، فكان أول من لقينا أعرابي يطرد أحمرة وهو يقول :
يا مال لا تعجل إلى صحرى وأسرح فإنيك آرين السرب

قال : يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر : يا حميد بن مسلم ، أبشر بشري ورب الكعبة ، فقال له ابن عوف بن الأحمر : ممن ^(١) أنت يا أعرابي ؟ قال : أنا من بني تغلب ، قال : غلبم ورب الكعبة إن شاء الله . فأنتهى إلينا المسيب بن نجبة ، فأخبرناه بالذي سمعنا من الأعرابي وأتينا به ، فقال المسيب ابن نجبة . أما لقد سررت بقولك : أبشر ، وبقولك : يا حميد بن مسلم ، وإنى لأرجو ^(٢) أن تبشروا بما يسركم ، وإنما سرکم أن تحملوا أمرکم ، وأن تسلموا من عدوكم ، وإن هذا القول هو القول الحسن ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبهُ القول . ثم قال المسيب بن نجبة للأعرابي : كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا ؟ قال : أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر ابن ذى الكلاع ، وكان بينه وبين الحصين اختلاف ، ادعى الحصين أنه على جماعة الناس ، وقال ابن ذى الكلاع : ما كنت لتولي على ، وقد تكاتبنا إلى عبيد الله بن زياد ، فهما يتظران أمره ، فهذا عسكر ابن ذى الكلاع منكم على رأس ميل ، قال : فتركنا الرجل ، فخرجنا نحوهم مسرعين ، فوفاه ٥٥٨/٢ ما شعروا حتى أشرفنا عليهم وهم غارون ، فحملنا في جانب عسكرهم ^(٣) فوفاه ما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا ، فأصبنا منهم رجالاً ، وجرحنا فيهم

(٢) ف : « أرجو » .

(١) ف : « لمن » .

(٣) ف : « صكره » .

فأكثرنا الجراح ، وأصبنا لم دواب ، وخرجوا عن عسكرهم ونطووا لنا ، فأخذنا منه ماخف علينا ، فصباح المسبب فينا : الرجعة ، إنكم قد نصيرتم ، وغنيمت وسليمت ، فانصرفوا ، فانصرفنا حتى أتينا سليمان .

قال : فأق الخبر عبيد الله بن زياد ، فسرّح إلينا الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل في اثني عشر ألفاً ، فخرجنا إليهم يوم الأربعاء لثاني بقين من جمادى الأولى ، فجعل سليمان بن صرد عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمته ، وعلى مسرته المسبب بن نجبة ، ووقف هو في القلب ، وجاء حصين بن نمير وقد حباً لنا جنداً ، فجعل على ميمته جبلة بن عبد الله ، وعلى مسرته ربيعة بن الحارث الغنوي ، ثم زحفوا إلينا ، فلما دنوا دعونا إلى الجماعة حل عبد الملك بن مروان وإلى المخول في طاعته ، ودعوناهم إلى أن يدفعوا إلينا عبيد الله بن زياد فقتلته ببعض من قتل من إخواننا ، وأن يخلعوا عبد الملك بن مروان ، وإلى أن يخرج من بلادنا من آل ابن الزبير ، ثم نرد هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلكم بالنعمة والكرامة ، فأبى القوم وأبينا .

٥٥٩/٢

قال حميد بن مسلم : فحملت ميمتنا على مسرتهم وهزمتهم ، وحملت مسرتنا على ميمتهم ، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم ، فهزمتناهم حتى اضطرواهم إلى عسكرهم ، فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم ، ثم انصرفنا عنهم وقد حجزناهم في عسكرهم ، فلما كان الغد صبحهم ابن ذى الكلاع في ثمانية آلاف ، أمدتهم بهم عبيد الله ابن زياد ، وبعث إليه يشتمه ، ويقع فيه ، ويقول : إنما عملت تحمل الأغمار ، تضيع عسكرك وسالحك ! سر إلى الحصين بن نمير حتى توافيه وهو على الناس ، فجاءه ، ففدوا علينا وغاديتهم ، فقاتلناهم قتالاً لم يتر الشيب والمرد مثله قط يومئذ كله ، لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسينا فتحاجزنا ، وقد والله أكثرنا فينا الجراح ، وأفشيناهم فيهم ؛ قال : وكان فينا قصاص ثلاثة : رفاعه بن شداد البجلي ، وصحبر بن حليفة بن هلال بن مالك السري ، وأبو الجويرية العبدى ، فكان رفاعه يقص ويحفظ من الناس في الميمنة ، لا يبرحها ، وجرح أبو الجويرية اليوم الثاني في أول النهار ، فلزم الرجال ، وكان صحبر ليلته كلها يلور

فينا ويقول : أبشروا عبادَ الله بكرامة الله ورضوانه ، فحقّ والله لمنّ ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة وراحة من إبرام الدنيا وأذاها إلا فراق هذه النفس الأمّارة بالسوء أن يكون بفرّاقها سَخِيًّا ، وبلقاء ربه مسروراً . فكُنّا كذلك حتى أصبحنا ، وأصبح ابن نعيم وأدم بن محرز الباهلّ في نحو من عشرة آلاف ، فخرجوا إلينا ، فاقتلنا اليومَ الثالثَ يومَ الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى . ثمّ إنّ أهل الشام كُتِرُوا وتعطّفوا علينا ٥٩٠/٢ من كلّ جانب ، ورأى سليمانُ بنُ صُرْدٍ ما لى أصحابه ، فنزل فنادى : عبادَ الله ، من أراد اليكُورَ إلى ربه ، والتوبة من ذنبه ، والوفاء بعهدِهِ ، فإلى ؛ ثمّ كسر جفنَ سيفِهِ ، ونزل معه ناسٌ كثيرٌ ، فكسروا جفونَ سيوفِهِمْ ، ومشّوا معه ، وانزوت خيلُهُمْ حتى اختلطت مع الرجال ، فقاتلُوهم حتى نزلت الرجال تشدّت مُصلّاةً بالسيوف ، وقد كسروا الجفونَ ، فحمل الفرسانُ على الخيل ولا يثبتون ، فقاتلُوهم وقتلوا من أهل الشام مقتلةً عظيمةً ، وجرّحوا فيهم فأكثروا الجراح . فلما رأى الحصين بن نعيم صَبَرَ القوم وبأسَهُمْ ، بعث الرجالَ ترميهم بالنبل ، واكتفتَهُم الخيل والرجال ، فقتلَ سليمانُ بنُ صُرْدٍ رحمه الله ، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقه ، ثمّ وثب ثم وقع ؛ قال : فلما قتل سليمان بن صُرْدٍ أخذ الراية المسيّب بن نجبة ، وقال لسليمان بن صُرْدٍ : رحمتك الله يا أخى ! فقد صدقت ووفيت بما عليك ، وبقي ما علينا ، ثمّ أخذ الراية فشدّها بها ، فقاتل ساعةً ثمّ رجع ، ثمّ شدّها بها فقاتل ثمّ رجع ، ففعل ذلك مراراً يشدّها ثمّ يرجع ، ثمّ قُتِلَ رحمه الله .

قال أبو مخنف : وحدّثنا فروة بن لقيط ، عن مؤلّى للمسيّب بن نجبة الفزاريّ ، قال : لقيته بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجيّ ، فعجى الحديثُ حتى ذكرنا أهلَ عين الوردة .

قال هشام عن أبي مخنف ؛ قال : حدّثنا هذا الشيخ ، عن المسيّب بن نجبة ، قال : والله ما رأيت أشجعَ منه إنساناً قطّ ، ولا من العصاة التي كان فيهم ، ولقد رأيتُهُ يومَ عين الوردة يقاتل قتالاً شديداً ، ما ظننتُ أنّ ٥٩١/٢

رجلاً واحداً يقتل أن يُبلى مثل ما أبلى ، ولا ينكأ في عدوه ^(١) مثل ما نكأ ، لقد قتل رجلاً ، قال : ومعنه يقول قبل أن يقتل وهو يقاتلهم ^(٢) :

قد علمت مِثَالَةَ الذَّوَابِ وَأُضْحَةَ اللَّبَابِ وَالتَّرَابِ

أَنْتَى غَدَاةَ الرُّوعِ وَالتَّغَالِبِ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لَيْدٍ مُوَابِ

• قَطَاعُ أَقْرَانٍ مَخُوفُ الْجَانِبِ •

قال أبو مخنف : حدثني أبي وخال ، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزوة . قال أبو مخنف : حدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف ، قال : لما قتل المسيب بن نجبة أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفييل ، ثم قال رحمه الله : أخوى منهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدّلوها تبديلاً . وأقبل بمن كان معه من الأزد ، فحشّوا برايته ، فوالله إنا لكلناك إذ جاءنا فرسان ثلاثة : عبد الله بن الحضيض الطائي ، وكثير بن عمرو المزني ، وسمر بن أبي سمر الحنسي ، كانوا خرجوا مع سعد بن حذيفة بن اليمان في سبعين ومائة من أهل المدائن ، فسرّحهم يوم خرج في آثارنا على خيول متلّمة مقدّحة ، فقال لهم : أطووا المنازل حتى تلتحقوا بإخواننا فتبشّروهم ^(٣) بخروجنا إليهم لتشتدّ بذلك ظهورهم ، وتخبروهم بمجيء أهل البصرة أيضاً ، كان المثنى بن عزة العبدى أقبل في ثلاثمائة من أهل البصرة ، فجاء حتى نزل مدينة بهرسير بعد خروج سعد بن حذيفة من المدائن لخمس ليل ، وكان خروجه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعد بن حذيفة قبل أن يخرج من المدائن ، فلما انتهوا إلينا قالوا : أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة ، فقال عبد الله بن سعد بن نفييل : ذلك لو جاءونا ونحن أحياء ، قال : فنظروا إلينا ، فلما رأوا مصارع إخوانهم وما بنا من الجراح ، بكى القوم وقالوا : وقد بلغ منكم ما نرى ! إننا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فنظروا والله

(٢) ف : • يقاتل • .

(١) ف : • وعد • .

(٣) ف : • تبشّروهم • .

إلى ما ساء أعينهم ؛ فقال لم عبد الله بن نُمَيْل : إنا لهذا خرجنا ، ثم اقتلتنا
فما اضطربنا إلا ساعة حتى قتل المزنّي ، وطعن الحنفي فوقع بين القتلى ، ثم
ارتُث بعد ذلك فتجا ، وطعن الطائي فجزم أنفه ، فقاتل قتالا شديداً ، وكان
فارساً شاعراً ، فأخذ يقول :

قد علمت ذات القوام الروي أن لمت بالوأي ولا الرعييد
• يوماً ولا بالفرق الحييود •

قال : فحمل علينا ربيعة بن المخارق حملةً منكراً ، فاقتلنا قتالاً شديداً .
ثم إنه اختلف هو وعبد الله بن سعد بن نُمَيْل ضربتين ، فلم يصنع سيفهما
شيئاً ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، فوقعا إلى الأرض ، ثم قاما فاضطربا ،
ويحمل ابن أخي ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد ، فطعنه في ثَمرة نحره ،
فقتله ، ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق ، فطعنه
فصرعه . فلم يُصَبْ مقتلاً ؛ فقام فكرّ عليه الثانية ، فطعنه أصحاب ربيعة
فصرعوه ، ثم إن أصحابه استنقلوه . وقال خالد بن سعد بن نُمَيْل : أرؤف
قَاتِلَ أَخِي ، فَأَرَبَانَاهُ ابْنُ أَخِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ ، فحمل عليه فقتلته بالسيف
واعتنقه الآخر فخرّ إلى الأرض ، فحمل أصحابه وحملنا ، وكانوا أكثر منا
فاستنقلوا صاحبهم ، وقتلوا صاحبنا ، وبقيت الرأية ليس عندها أحد .
قال : فناديناه عبد الله بن والٍ بعد قتلهم فرساننا ، فإذا هو قد استلحم في
عصابة معه إلى جانبنا ، فحمل عليه رفاعه بن شدّاد ، فكشفهم عنه ، ثم
أقبل إلى رايته وقد أمسكها عند الله بن خازم الكثيري ، فقال لابن وال :
أمسك عني رايته ؛ قال : أمسكها عني رحمك الله ، فلنني في مثل حالك
فقال له : أمسك عني رايته ، فلنني أريد أن أجاهد ؛ قال : فإن هذا الذي أنت
فيه جهاد وأجر ؛ قال : فصحبنا : يا أبا عزة ، أطع أميرك يرحمك الله !
قال : فأمسكها قليلاً ، ثم إن ابن والٍ أخذها منه .

قال أبو مخنف : قال أبو الصلت التيمي الأعور : حدثني شيخ للحق

كان معه يومئذ ، قال : قال لنا ابن وال : مَنْ أراد الحياة التي ليس بعدها موتٌ ، والراحة التي ليس بعدها نَصَبٌ ، والسُرور الذي ليس بعلمه حزنٌ ، فليقترب إلى ربِّه بجهاد هؤلاء المخلّين ، والروح إلى الجنة رحمكم الله ! وذلك عند العصر ، فشَدَّ عليهم ، وشَدَدْنَا معه ، فأصبنا والله منهم رجالاً ، وكشفناهم طويلاً ، ثمَّ لأنهم بعد ذلك تعطّوا علينا من كلِّ جانب ، فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذي كنا فيه ، وكنا بمكان لا يقلرون أن يأتونا فيه إلّا من وجه واحد ، وولّى قاتلنا عند المساء أدهم بن مُحَرِّز الباهلي ، فشَدَّ علينا في خيله ورجاله ، فقتل عبد الله بن وال التيمي .

٥٦٤/٢

قال أبو مخنف ، عن فروة بن لقيط ، قال : سمعت أدهم بن مُحَرِّز الباهلي في إمارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث ناساً من أهل الشام ، قال : دفعت إلى أحد أمراء العراق رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول : **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرَجِحِينَ ... (١))** ، الآيات الثلاث ، قال : فغاضني ، فقلت في نفسي : هؤلاء يعدّوننا بمنزلة أهل الشرك ، يرون أن من قتلنا منهم كان شهيداً . فحملت عليه أضرب يده اليسرى فأطنتها ، وتنحيت قريباً ، فقلت له : أما إنني أراك وعدت أنك في أهلك ، فقال : بشما رأيت ! أما والله ما أحب أنها يدك الآن إلّا أن يكون لي فيها من الأجر مثل ما في يدي ؛ قال : فقلت له : لم ؟ قال : لكما يجعل الله عليك وزراً ، ويعظم لي أجراً ؛ قال : فغاضني فجمعت خيلي ورجالي ؛ ثمَّ حملنا عليه وعلى أصحابه ، فدفعته إليه فطعته فقتلته ، ولأنه لمقبل إلى ما يزول ؛ فزعموا بعد أنه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يكثرون الصوم والصلاة ويصُتُّون الناس .

قال أبو مخنف : وحدّثني الثقة ، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزيرة

قال : لما هلك عبد الله بن والٍ فظفنا ، فإذا جبد الله بن خازم قتيلا إلى جنبه ،
ولحن نرى أنه رفاعه بن شداد البجلي ، فقال له رجل من بني كنانة يقال له
الوليد بن غصين : أمسك رايك ؛ قال : لا أريدها ، فقلت له : إنا لله ! ٥٦٥/٢
ما لك ! فقال : ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شر لم ، فوثب عبد الله بن
عوف بن الأحمر إليه ، فقال : أهلكتنا ، والله لئن انصرفت ليركبن أكتافنا
فلا نبلغ فرسنا حتى نهلك من عند آخرنا ، فلن نجا منا ناج أخذله الأعراب
وأهل القرى ، فقتلوا إليهم به فيقتل صبورا ، أنشك الله أن تفعل ، هذه
الشمس قد طلعت للمغيب ، وهذا الليل قد غشيتنا ، فنقاتلهم على خيلنا هذه
فلما الآن ممتعون ، فإذا غسق الليل ركبتنا خيولنا أول الليل فرمينا بها ، فكان
ذلك الشأن حتى نصبح ونسير ونحن على مهل ، فيحمل الرجل منا جريحه
ويستظر صاحبه . وتسير العشرة والعشرون معاً ، ويعرف الناس الوجه الذي
يأخذون ، فينتج فيه بعضهم بعضاً ، ولو كان الذي ذكرت لم تقف أم على
ولدها . ولم يعرف رجل وجهه ، ولا أين يسقط ، ولا أين يتذهب ! ولم
نصبح إلا ونحن بين مقتول ومأسور . فقال له رفاعه بن شداد : فلذلك نعم
ما رأيت ؛ قال : ثم أقبل رفاعه على الكنانة فقال له : أمسكها أم أخذها
منك ؟ فقال له الكنانة : إني لا أريد ما تريد . إني أريد لقاء ربي . والأحقاق
بإخواني . والخروج من الدنيا إلى الآخرة . وأنت تريد ورق الدنيا ، وتهوى
البقاء . وتكره فراق الدنيا ؛ أما والله إني لأحب لك أن ترشد ، ثم دفع إليه
الراية . وذهب ليستقدم . فقال له ابن الأحمر : قاتل معنا ساعة رحمك الله ٥٦٦/٢
ولا تلتق بيدك إلى التهلكة . فما زال به يناشده حتى احتبس عليه ، وأخذ
أهل السلم يتنادون : إن الله قد أهلكهم ؛ فأقدموا عليهم فافزعوا منهم قبل
الليل . فأخذوا يقدمون عليهم ، فيقدمون على شوكة شديدة ؛ ويقاثلون فرساناً
شجعاناً ليس فيهم سقط رجل ، وليسوا لم بنصجرين فيتمكنوا منهم ، فقاتلهم
حتى المشاء قتالاً شديداً ، وقيل الكنانة قبل المشاء ، وخرج عبد الله بن عزيز
الكندي ومعه ابنه حميد غلام صغير ، فقال : يا أهل الشام ، هل فيكم
أجد من كنبه ؟ فخرج إليه منهم رجال . فقالوا : نعم ، نحن هؤلاء .

فقال لهم : دونكم أخوكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة ، فأبانا عبد الله بن عازر الكندي ، فقالوا له : أنت ابن عمنا ، فإليك آمن ؛ فقال لهم : والله لا أُرغب عن مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً ، ولالأرض أوتاداً ، وبمثلهم كان الله يُذكر ؛ قال : فأخذ ابنه ييكي في أثر أبيه ، فقال : بابني ، لو أن شيئاً كان آثرَ عندي من طاعة ربّي إذا لكتبَ أنتَ ، وناشدَ قومه الشاميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه في أثره ، ولأروا الشاميون له ولابنه رقةً شديدة حتى جزعوا وبكوا ، ثم اعتزل الجانب الذي خرج إليه منه قومه ، فشدّ على صفتهم عند المساء ، فقاتل حتى قُتل .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : حدثني مسلم بن زحر الحموّاني ، أن كريب بن زيد الحميري مشى إليهم عند المساء ومعه راية بلساق في جماعة ، قلما تنقص من مائة رجل إن نقصت ، وقد كانوا يتحدثون بما يريد رفاة أن يصنع إذا أُمسي ، فقام لهم الحميري وجمع إليه رجالاً من حمير وهمدان ، فقال : عباد الله ! رُحوا إلى ربكم ، والله ما في شيء من الدنيا خلت من رضا الله والتوبة إليه ، إنه قد بلغني أن طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم ، وإن هم ركنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم ، فأما أنا فوالله لا أولي هذا العدو ظهري حتى أريد موارِد إخواني ، فأجابوه وقالوا : رأينا مثل رأيك . ومضى برأيه حتى دنا من القوم ، فقال ابن ذي الكلاع : والله إنني لأرى هذه الراية حَمِيرِيَّة أو هَمْدَانِيَّة ؛ فدنا منهم فسألم ، فأخبروه ، فقال لهم : إنكم آمنون . فقال له صاحبهم : إنا قد كنا آمنين في الدنيا ، وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة ؛ فقاتلوا القوم حتى قُتلوا ، ومضى صُخور بن حليفة بن هلال بن مالك المُرَني في ثلاثين من مزيته ، فقال لهم : لا تعابوا الموت في الله ، فإنه لا فيكم ، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي تخرجكم منها إلى الله فإنها لا تبقى لكم ، ولا تزهدوا فيها رغبتكم فيه من ثواب الله فإن ما عند الله خير لكم ، ثم مضوا فقاتلوا حتى قُتلوا ، فلما أُمسي الناس ورجع أهل الشام إلى معسكرهم ، نظر رفاة إلى كل رجل قد صُفر به ، وإلى

كل جريح لا يُعِينُ على نفسه ؛ فدَقَّعَه إلى قومه ، ثم سار بالناس ليلته كلها .
 حتى أصبح بالتَّيْسَنِيرِ فَعَبَّرَ الخابُورَ ، وقطع المعابر ، ثم مضى لا يمرَّ بمعبر ٥٦٨/٢
 إلا قطعهُ ، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذَهَبُوا ، فلم يبعث في
 آثارهم أحدًا ، وسار بالناس فَأَسْرَعَ ، وخَلَّفَ رِفاةً وراهم أبا الجَوَيْزِيَّةَ
 العبدى في سبعين فارسًا يَسْتَرُونَ الناس ؛ فإذا مرَّوا برجل قد سقط حمله ، أو
 بمَتاعٍ ^(١) قد سقط قَبَضَهُ حتى يعرفه ، فإن طُلِبَ أو ابْتُغِيَ بعث إليه فأعلمه ،
 فلم يزلوا كذلك حتى مرَّوا بقرْقِيسِيَّا من جانب البرِّ ، فبعث إليهم زُفَرٌ من
 الطعام والعلف مثل ما كان بعث إليهم في المرة الأولى ، وأرسل إليهم الأطباء
 وقال : أقيموا عندنا ما أحببتم ، فإنَّ لكم الكرامة والمواساة ؛ فأقاموا ثلاثًا ، ثم
 زوَّد كلَّ امرئٍ منهم ما أحبَّ من الطعام والعلف ؛ قال : وجاء سعد بن
 حذَافَةَ بن اليان حتى انتهى إلى هَيْتَ ، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقيَ
 الناس ، فأنصرف ، فالتقى المثنى بن عَزْبَةَ العبدى بصنوداه ، فأخبره ، فأقاموا
 حتى جاءهم الخبر : إنَّ رِفاةً قد أظلكم ، فخرجوا حين ذَا من القرية ، فاستقبلوه
 فلم الناس بعضهم على بعض ، وبكى بعضهم إلى بعض ، وتناحوا إخوانتهم
 فأقاموا بها يومًا وليلة ؛ فأنصرف أهل المدائن إلى المدائن ، وأهل البصرة إلى
 البصرة ، وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة ، فإذا المختار محبوس .

قال هشام : قال أبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن
 آدم بن مُحَرِّز الباهلي ، أنه أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح ، قال :
 فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن الله قد أهلك
 من رموس أهل العراق مَلَقَحَ فتنة ، ورأس ضلالة ، سليمان بن صُرَد ، ألا وإنَّ
 السيف تركت رأس المسيب بن نجبة خذَّ أريف ، ألا وقد قتل الله من رموسهم
 رأسين عظيمين ضالَّين مضلَّين : عبد الله بن سعد أخا الأزْد ، وعبد الله بن
 وال أخا بكر بن وائل ، فلم يَبْقَ بعد هؤلاء أحدٌ عندَه دفاع ولا امتناع .
 قال هشام ، عن أبي مخنف : وحُدِّثت أن المختار مكث نحوًا من خمس

عشرة ليلة ، ثم قال لأصحابه : عدوا لغازيكم هذا أكثر من عشر ، ودين الشهر ، ثم يبيتكم بأهتر ، من طعن نتر ، وضرب هير ، وقتل جم ، وأمر رجم . فمن لها ؟ أنا لها ، لا تكذبين ، أنا لها .

قال أبو مخنف : حدثنا الحصين بن يزيد ، عن أبان بن الوليد ، قال : كتب المختار بن عبيد الله بن زياد إلى رفاعه بن شداد حين قدّم من عين الوردة : أما بعد ، فخرجنا بالمصعب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ، ورضى انصرافهم حين قتلوا . أما ورب البنية التي بنى ماخطا خاط منكم خطوة ، ولارتنا رثوة^(١) ، إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا . إن سليمان قد قضى ما عليه ، وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون ، إني أنا الأمير المأمور ، والأمين المأمون ، وأمير الجيش ، وقاتل الجبارين ، والمتقم من أعداء الدين ، ولقيد من الأوثار ، فأعدوا واستعدوا ، وأبشروا واستبشروا ، أذعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الطلب بدماء أهل البيت وللدفع عن الضعفاء ، وجهاد المحلّين ، والسلام .

٥٧٠/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبو زهير العبيسي ، أن الناس تحدّثوا بهذا من أمر المختار ، فبلغ ذلك عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد ، فخرجوا في الناس حتى أتيا المختار ، فأخذه .

قال أبو مخنف : فحدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم قال : لما تهيأنا للانصراف قام عبد الله بن غزوة ووقف على القتلى فقال : يرحمكم الله ، فقد صلّتم وصبرتم ، وكذبنا وفرّرتنا ، قال : فلما سرنا وأصبحنا إذا عبد الله بن غزوة في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع إلى العلوة والاستقلال ، فجاء رفاعه وجبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا لهم : ننشدكم الله ألا تزيدونا قلوبا وقصانا ، فإننا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من قوى النيات ، فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردّوهم غير

(١) ابن الأثير : « ولا ربا ربة » .

رجل من مزينة يقال له عُبَيْدَة بن سُفْيَان ، رحل مع الناس ، حتى إذا غُفِلَ عنه انصرف حتى لقي أهل الشام ، فشدّ بسيفه يضاربهم حتى قُتِل .

قال أبو مخنف : فحدثني الحصين بن يزيد الأزدي ، عن حميد بن مسلم الأزدي ، قال : كان ذلك المزيّ صدّيقاً لي ، فلما ذهب ليتصرف فاشدته الله ، فقال : أما إنك لم تكن لتسألني شيئاً من الدنيا إلا رأيتُ لك من الحقّ على إيتاء كته ، وهذا الذي تسألني أريد الله به ، قال : ففارقني حتى لقي القوم فقتل ، قال : فوالله ما كان شيء بأحبّ إليّ من أن ألقى إنساناً يحدثني عنه كيف صنع حين لقي القوم ! قال : فلقيتُ عبد الملك بن جزء بن الحذر رجلاً الأزدي بمكة ، فجرى حديثٌ بيننا ، جرى ذكرُ ذلك اليوم ، فقال : أعجب ما رأيتُ يومَ عَينِ الوردة بعد هلاك القوم أن رجلاً أقبلَ حتى شدّ على سيفه ، فخرجنا نحوه ، قال : فانتهى إليه وقد عقربه وهو يقول :

إِنِّي مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَفِرُّ رِضْوَانَكَ اللَّهُمَّ أَبْنِي وَأَيْسِرْ

قال : فقلنا له : ممن أنت ؟ قال : من بني آدم ، قال : فقلنا : ممن ؟ قال : لا أحبّ أن أعرفكم ولا أن تعرفوني يا مُخْرِجِي البيوتِ الحرام ، قال : فنزل إليه سليمانُ بن عمرو بن حصن الأزدي من بني الخيلار ، قال : وهو يومئذ من أشدّ الناس ، قال : فكلاهما أثخنَ صاحبه ، قال : وشدّ الناسُ عليه من كلِّ جانب ، فقتلوه ، قال : فوالله ما رأيتُ واحداً قطّ هو أشدّ منه ، قال : فلما ذكر لي ، وكنتُ أحبّ أن أعلم علمه ، دعتُ عيناى ، فقال : أبيتُك وبينه قرابة ؟ فقلتُ له : لا ، ذلك رجل من مضر كان لي ودّاً وأخاً ، فقال لي : لا أرقأ الله دمعك ، أتبكي على رجل من مضر قُتِل على ضلالة ! قال : قلتُ : لا ، والله ما قُتِل على ضلالة ، ولكنه قتل على بيّنة من ربه وهُدًى ، فقال لي : أدخلك الله مدخلكه ، قلتُ : آمين ، وأدخلك الله مدخلك حصين بن نمير ، ثم لا أرقأ الله لك عليه دمعاً ، ثم قمت وقام .

وكان مما قيل من الشعر في ذلك قولُ أعشى هَمْلانَ ، وهي إحدى المكتّمات ، كنّ يكتمن في ذلك الزمان :

٥٧٢/٢

أَلَمْ خَيَّالٌ مِنْكَ يَا أُمَّ غَالِبٍ
وما زلتِ على شَجْوَا وما زلتُ مُقَصِّدًا^(١)
فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ أَنْفِتَا لَكَ فِي الضُّحَى
تَرَأَتْ لَنَا هَيْفَاءَ مَهْضُومَةِ الْحَشَا
مُبْتَلَّةً غَرَاءَ، رُوْدُ شَبَابُهَا
فَلَمَّا تَغَشَّاهَا السَّحَابُ وَحُلَّةُ
فَتَلَكِ الْهَوَى وَهَى الْجَوَى لِي وَالْمُنَى
وَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ وَذِكْرُهُ
ويزدادُ مَا أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِتَابِنَا
فَلِنَى^(٢) وَإِنْ لَمْ أَنَسْهُنَّ لَذَاكِرُ
تَوَسَّلَ بِالتَّقْوَى إِلَى اللَّهِ صَادِقًا
وَحَلَّى عَنِ الدُّنْيَا فَلَمْ يَلْتَبِسْ بِهَا
تَحَلَّى عَنِ الدُّنْيَا وَقَالَ أَطْرَحْتُهَا^(٣)
وَمَا أَنَا فِيمَا يُكْبَرُ النَّاسُ فَقَدَهُ^(٤)
فَوَجَّهُهُ نَحْوَ الثَّوْبَةِ سَائِرًا
بِقَوْمٍ هُمْ أَهْلُ التَّقِيَّةِ وَالنُّهَى
مَقَّصُوا تَارِكِي رَأَى ابْنُ طَلْحَةَ حَسْبُهُ
فَسَارُوا وَهَمَّ مِنْ بَيْنِ مُتَلَمِّسِ التَّقَى

٥٧٣/٢

فَحَيِّتْ عَنَّا مِنْ حَبِيبٍ مُجَانِبٍ^(١)
لَهُمْ عَرَائِي مِنْ فِرَاقِكَ نَاصِبٍ
لِلنَّامِغِ الْبَيْضِ الْوَسَامِ الْخَرَّابِ^(٢)
لَطِيفَةُ طَى الْكَشْحِ رَبِّا الْحَقَائِبِ
كَشْمِسِ الضُّحَى تَنْكُلُ بَيْنَ السَّحَابِ
بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ
فَأَحْبِبْ بِهَا مِنْ خَلَّةٍ لَمْ تُصَاقِبِ
وَحُبُّ تَصَافِي الْمَغْصِرَاتِ الْكَوَاعِبِ
لُعَابًا وَسُقْيَا لِلخَلْدَيْنِ الْمُقَارِبِ
رَزِيئَةً مِخْبَاتٍ كَرِيمِ الْمَنَاصِبِ^(٣)
وَتَقْوَى إِلَهِ خَيْرُ تَكْسَابٍ كَاسِبِ
وَتَابَ إِلَى اللَّهِ الرَّفِيعِ الْمَرَاتِبِ
فَلَسْتُ إِلَيْهَا مَا حَيِّتُ بِأَيْبِ
وَيَسْمِي لَهُ السَّاعُونَ فِيهَا بِرَاغِبِ
إِلَى ابْنِ زِيَادٍ الْجُمُوعِ الْكَبَاكِبِ^(٤)
مَصَالِيْتُ أَنْجَادٍ سُرَّاءُ مَنَاجِبِ
وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلْأَمِيرِ الْمُحَاطِبِ
وَأَخَّرَ مَا جَرَّ بِالْأَمِيرِ تَائِبِ

(٢) ابن الأثير : « وما زلت في شجو » .

(١) ديوان الأحمين ٣١٥ - ٣١٧

(٣) ابن الأثير : « من البيض الحسن » . (٤) ابن الأثير : « غير أني » .

(٥) س : « المصارب » . (٦) ابن الأثير : « اطرحها » .

(٧) ابن الأثير : « يكره الناس » . (٨) ابن الأثير : « الكنايب » .

- فلاقوا بعين الوردَةِ الجَيْشَ فاصِلًا^(١) لَيْهَمَ فَحَسُّوهُم بِبَيْضِ قَوَاضِبِ^(٢) ٥٧٤/٢
 بِخَيْلِ عِتَاقٍ مُقَرَّبَاتٍ سَلَاهِبِ
 جُمُوعُ كَمُوجِ الْبَحْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ ثَمَّ غَيْرُ عَصَائِبِ
 تُعَاوِرُهُمْ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
 كَأَنَّ لَمْ يِقَاتِلْ مَرَّةً وَيُحَارِبِ
 شَنْوَةَ وَالتَّيْمِيَّ هَادِي الْكَتَائِبِ^(٣)
 وَزَيْدُ بْنُ بَكْرٍ وَالْحُلَيْسُ بْنُ غَالِبِ^(٤)
 إِذَا شَدَّ لَمْ يَنْكُلْ كَرِيمُ الْكَاسِبِ ٥٧٥/٢
 وَذُو حَسْبٍ فِي زُرُوقِ الْمَجْدَانِ قَبِ
 وَطَعْنٍ بِأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ صَائِبِ
 لَا شَجَعَ مِنْ لَيْثٍ يَلْدُنِي مُوَائِبِ
 سُقِيمَ رَوَايَا كُلِّ أَسْحَمٍ سَاكِبِ
 إِذَا الْبَيْضُ أَبْلَدَتْ عَنْ خِدَامِ الْكَوَاعِبِ
 وَكُلُّ فَتَى يَوْمًا لِإِحْدَى الشَّوَاعِبِ
 مُجْلَيْنِ ثَوْرًا كَاللُّبُوثِ الصَّوَارِبِ
 وَقُتِلَ سَلْيَانُ بْنُ صُرْدٍ وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ بَعَيْنُ الْوَرْدَةِ مِنَ التَّوَّابِينَ فِي شَهْرِ ٥٧٦/٢
 ربيع الآخر .

(١) ابن الأثير : « فاصلا » .

(٢) حسيوم : « قتلهم » .

(٣) ابن الأثير : « وأصمى » ، وفيه أن الخزامى التي في الشعر هو سليمان بن صرد الخزامي .

(٤) ابن الأثير : « رأس بني شمع » هو المسيب بن نجبة الفزاري ، وفارس شنوة هو

عبد الله بن سعد بن قنيل الأزدی ، والتيمی هو عبد الله بن وال التيمی من تيم اللات بن ثعلبة بن عكاية

ابن صعب بن حل بن بكر بن وائل .

(٥) ابن الأثير : « الوليد هو ابن عسير الكتاني ، ونخاله هو ابن سعد بن قنيل ، أخو عبد الله .

[ذكر الخبر عنبيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان]

وفي هذه السنة أمر مروان بن الحَكَمَ أهل الشام بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ، وجعلتهما ولي العهد .

• ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لها :

قال هشام ، عن عوانة قال : لما هَـزَمَ عمرو بن سعيد بن العاصي الأشدق مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله إلى فلسطين وانصرف راجعاً إلى مروان ، ومروان يومئذ بدمشق ، قد غلب على الشام كلها ومصر ، وبلغ مروان أن عمرأ يقول : إن هذا الأمر لي من بعد مروان ، ويدعى أنه قد كان وعده وعداً ، فدعا مروان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبيع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده ، وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد ، فقال : أنا أكفيلك عمرأ ، فلما اجتمع الناس عند مروان عشياً قام ابن بحدل فقال : إنه قد بلغنا أن رجلاً يتمنون أماناً ، قُومُوا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده ، فقام الناس ، فبايعوا من عند آخرهم .

• • •

[ذكر الخبر عن موت مروان بن الحَكَم]

وفي هذه السنة مات مروان بن الحَكَمَ بدمشق مستهل شهر رمضان .

• ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو قال : حدثني موسى بن يعقوب ، عن أبي الحويرث ، قال : لما حضرت معاوية ابن يزيد أبا ليل الوفاة ، أبي أن يستخلف أحداً ، وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية بن يزيد لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان صغيراً ، وهو خال أبيه يزيد بن معاوية ، فبايع لمروان ، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد ، فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشام قيل لمروان : تزوج أم خالد — وأمه أم خالد ابنة أبي هشام بن عتبة حتى تص

شأنه ، فلا يطلب الخلافة ، فتزوجها ، فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة ، وهو يمشي بين الصفتين ، فقال : إنه والله ما علمت لأحق ، تعال يا بن الرطبة الاست - يقصر به ليُسقطه من أعين أهل الشام - فرجع إلى أمه فأخبرها ، فقالت له أمه : لا يُعرفن ذلك منك ، واسكت فإني أكفيك ، فدخل عليها مروان ، فقال لها : هل قال لك خالد في شيء ؟ فقالت : وخالد يقول فيك شيئاً ! خالد أشد لك إعظاماً من أن يقول فيك شيئاً ، فصدفها ، ثم مكثت أياماً ، ثم إن مروان نَامَ عندها ، فغطته بالوسادة حتى قتلته .

قال أبو جعفر : وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق ، وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي ، وأما هشام بن محمد الكلبي فإنه قال : كان يوم هلك ابن إحدى وستين سنة ، وقيل : توفي وهو ابن إحدى وسبعين سنة ، وقيل : ابن إحدى وعشرين سنة ، وكان يكنى أبا عبد الملك ، وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وأمّه أمة بنت علقمة ابن صقوان بن أمية الكنانى ، وعاش بعد أن بويع له بالخلافة تسعة أشهر ، وقيل : عاش بعد أن بويع له بالخلافة عشرة أشهر إلا ثلاث ليال ، وكان قبل هلاكه قد بعث بعثتين : أحدهما إلى المدينة ، عليهم حبيش بن دُلجة القسبي ، والآخر منهما إلى العراق ، عليهم عبید الله بن زياد ، فأما عبید الله ابن زياد فسار حتى نزل الجزيرة ، فأثاه الخبر بها بموت مروان ، وخرج إليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين ، فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره ، وسنذكر إن شاء الله باقى خبره إلى أن قُتل .

• • •

[ذكر خبر مقتل حبيش بن دلجة]

وفي هذه السنة قتل حبيش بن دلجة . وأما حبيش بن دلجة فإنه سار حتى انتهى سفياً ذكراً عن هشام ، عن عوانة بن الحكم - إلى المدينة ، وعليهم جابر ابن الأسود بن عوف ، ابن أخى عبد الرحمن بن عوف ، من قبيل عبد الله بن

الزبير ، فهرب جابر من حُبَيْش . ثُمَّ إِنَّ الحَارِثَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ - وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة - وَجَّهَ جيشًا من البصرة ، وكان عبد الله بن الزبير قد ولَّاه البصرة ، عليهم الحُخَيْفُ بْنُ السَّجْفِ التَّمِيمِيُّ لحرب حُبَيْش ابن دُلْجَةَ ، فلما سمع حُبَيْشُ بْنُ دُلْجَةَ سار إليهم من المدينة ، وصرَّحَ عبد الله ابن الزبير عَبَّاسٌ^(١) بن سهل بن سعد الأنصاري على المدينة ، وأمره أن يسير في طلب حُبَيْشِ بْنِ دُلْجَةَ حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين جاعوا يتصرفون ابن الزبير ، عليهم الحُخَيْفُ ، وأقبل عَبَّاسٌ في آثارهم مُسْرِعًا حتى لحقهم بالرَبَذَةِ ، وقد قال أصحاب ابن دلجة له : دَعَهُمْ ، لا تعجلوا إلى قتالهم ؛ فقال : لا أنزل حتى آكل من مُقَنَّذِهِمْ ، - يعني السَّوَيْقِ الذي فيه القَنَّذُ - فجاءهم سَهْمٌ غَرَبَ فَمَقَّتْهُ ، وقتل معه المنذر بن قيس الجُدائي ، وأبو عتاب مولى أبي سُفْيَانَ ، وكان معه يومئذ يوسفُ بْنُ الحَكَمِ ، والحجاج بن يوسف ، وما نَجَّوْا يومئذ إلا على جمل واحد ، وتحرَّزَ منهم نحو من خمسمائة في عمود المدينة ، فقال لهم عَبَّاسٌ : انزلوا على حُكْمِي ، فتركوا على حُكْمِهِ فضرب أعناقهم ، ورجع فل حُبَيْشُ إلى الشام .

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد أنه قال : الذي قتل حُبَيْشُ ابن دُلْجَةَ يوم الرَبَذَةِ يزيد بن سِيَّاهُ الأسواري ، رماه بنُ شَابَةِ فقتله ، فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على بَرْدَوْنَ أَشْهَبَ وعليه ثيابٌ بياض ، فابته أن اسودت ثيابه ، ورأيتُه مماسح الناسُ به وما صبوا عليه من الطَّيِّبِ .

* * *

[ذكر خبر حدوث الطاعون الجارف]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعون الذي يقال له الطاعون الجارف ، فهلك به خلقٌ كثير من أهل البصرة .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثني أبي ، عن المصعب بن زيد أن الجارف وقع وعبيد الله بن

٥٨٠/٢

عبيد الله بن معمر على البصرة ، فانت أمه في الجحاف ، فاجدوها من يحملها حتى استأجرها وأربعة عُلُوج فحملوها إلى حُفْرَتِها وهو الأمير يومئذ .

[مقتل نافع بن الأزرق واشتداد أمر الخوارج]

وفي هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة ، وقتل فيها نافع بن الأزرق .
• ذكر الخبر عن مقتله :

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، عن محمد بن الزبير ، أن عبيد الله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله إلى نافع بن الأزرق في جيش ، فلقبهم بدولاب ، فقتل عثمان وهُزِمَ جيشه .

قال عمر : قال زهير : قال وهب : وحدثنا محمد بن أبي عيينة ، عن سبرة بن نخف ، أن ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان إلى ابن الأزرق ، فهُزِمَ جنده وقتل ، قال وهب : فحدثنا أبي أن أهل البصرة بعثوا جيشاً عليهم حارثة بن بدر ، فلقبهم ، فقال لأصحابه :

كَرْنُبُوا وَدَوِّلُوا وَحَيْثُ شَقَمَ فَأَذْهَبُوا

حدثنا عمر ، قال : حدثنا زهير ، قال : حدثنا وهب ، قال : حدثنا أبي

ومحمد بن أبي عيينة ، قال : حدثنا معاوية بن قرّة ، قال : خرجنا مع ابن عيسى فلقيناهم ، فقتل ابن الأزرق وابنان أو ثلاثة للماحوز ، وقتل ابن عيسى .

قال أبو جعفر : وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي نخف ، عن أبي الخارق الراسبي من قصة ابن الأزرق ، وبنى الماحوز قصة هي غير ما ذكره عمر ، عن زهير بن حرب ، عن وهب بن جرير ، والذي ذكر من خبرهم أن نافع بن الأزرق اشتدت شوكة باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الأزرق وربيعة وتيمم بسبب مسعود بن عمرو ، وكثرت جموعه ، فأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم ابن عيسى بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل

البصرة ، فخرج إليه ، فأخذ يحوزه عن البصرة ، ويلغفه عن أرضها ، حتى بلغ مكاناً من أرض الأهواز يقال له : دُولَاب ، فتهباً الناس بعضهم لبعض وتزاحوا ، فجعل مسلم بن عبيس على ميمته الحجاج بن باب الحميرى ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمى ، ثم الغداً ، وجعل ابن الأزرقي على ميمته عبيدة بن هلال اليشكري ، وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمى ، ثم التقوا فاضطربوا ، فاقتتل الناس قتالاً لم ير قتال قط أشد منه ، فقتل مسلم ابن عبيس أمير أهل البصرة ، وقتل نافع بن الأزرقي رأس الخوارج ، وأمراً أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميرى ، وأمراً الأزارقة عليهم عبد الله ابن الماحوز ، ثم عادوا فاقتتلوا أشد قتال ، فقتل الحجاج بن باب الحميرى أمير أهل البصرة ، وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة . ثم إن أهل البصرة أمروا عليهم ربيعة الأجلم التميمى ، وأمّرت الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز ، ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا ، وقد كثره بعضهم بعضاً ، وملأوا القتال ، فإنهم لم يتوقفوا^(١) متحاجزون حتى جاءت الخوارج سرية لم جامعة لم تكن شهدت القتال ، فحملت على الناس من قبل عبد القيس ، فانهزم الناس ، وقاتل أمير البصرة ربيعة الأجلم^(٢) ، فقتل ، وأخذ راية أهل البصرة حارثة بن بدر ، فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه ، فقاتل من وراء الناس في حماهم ، وأهل الصبر منهم ، ثم أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلاً بالأهواز ففى ذلك يقول الشاعر من الخوارج :

٥٨٢/٢

يا كَيْدًا من غير جُوعٍ ولا ظَمَلٍ ويا كَيْدِي من حُبٍّ أم حَكِيمٍ^(٣)
ولو شَهِدْتَنِي يوم دُولَابٍ أبصرت طَعَانِ أُمْرِي في الحرب غير لثيمٍ^(٤)

(١) ف : « لكلك متوقفون » . (٢) الكامل : « الربيع بن عمرو الأجلم القدافي » .

(٣) الكامل ٦١٨ ، ٦١٩ طبع أوروبا ؛ بزيادة في الأبيات : ونسباً إلى قطري بن الفجاءة . وأم حكيم : امرأة من الخوارج كانت معه ؛ وكانت تحمل على الناس وترتجز :

أَحْبِلُ رَأْسًا قد سَمِمْتُ حَمَلَةً وَقَدْ مَلَلْتُ دَهَنَهُ وَغَسَلَهُ
أَلَا فَتَى يحْمِلُ عَنِّي ثِقَلَهُ .

(٤) الكامل : « فتى في الحرب غير ذميم » .

غَدَاةً طَلَعَتْ فِي الْمَاءِ بِكَرٍ بِنُ وَائِلٍ وَصَجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ^(١)
وَكَانَ لَعْبِدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ حَدَّنَا وَظَلَّتْ شَيْوُخُ الْأَزْدِ وَهِيَ تَعُومُ^(٢)

وبلغ ذلك أهل البصرة ، فهاجمهم وأفرعهم ، وبعث ابن الزبير الحارث
ابن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي على تلك الحرة ، فقتلهم ، وعزل عبد الله
ابن الحارث ، فأقبلت الخوارج نحو البصرة ، وقدم المهلب بن أبي صفرة على
تلك^(٣) من حال الناس^(٤) من قبل عبد الله بن الزبير ، معه عهده على خراسان ،
فقال الأحنف للحارث بن أبي ربيعة وللناس عامة : لا والله ، ما لهذا الأمر إلا
المهلب [بن أبي صفرة]^(٥) ، فخرج أشرافُ الناس ، فكلّموه أن يتولّى قتال
الخوارج ، فقال : لا أفعل ، هذا عهدُ أمير المؤمنين معي على خراسان ، فلم
أكن لأدعَ عهده وأمره ، فدعاه ابن أبي ربيعة فكلّمه في ذلك ، فقال له
مثل ذلك ، فاتفق رأى ابن أبي ربيعة ورأى أهل البصرة على أن كتبوا على لسان
ابن الزبير :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي
صفرة ، سلامٌ عليك ، فإنّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما
بعد ، فإن الحارث بن عبد الله كتب إلى أن الأزارقة المارقة أصابوا جنوداً

(١) رواية للكامل : « مَلَأَ » .

(٢) رواية للكامل :

غَدَاةً طَلَعَتْ عَلَمَاءُ بَكْرٍ بِنُ وَائِلٍ
وَكَانَ لَعْبِدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ جَدَّهَا
وَظَلَّتْ شَيْوُخُ الْأَزْدِ حَوْمَةُ الْوَعْيِ
فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مُقْعَصًا
وَضَارِبَةً خَدًا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
أَصِيبَ بَدُولَابٍ وَلَمْ تَكْ مَوْطِنًا
فَلَوْ شَهِدْتُنَا يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
رَأَتْ فَتِيَةً بَاعُوا إِلَيْهِ نَفْسَهُمْ
(٣) ف : « ذَكَ » . (٤) ف : « الْمَلِيح » . (٥) من ف .

وَصَجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ
وَأَحْلَافُهَا مِنْ يَخْصُبِ وَسَلِيمٍ
تَعُومُ وَظَلْنَا فِي الْجَلَادِ نَعُومٍ
مَجَّ دَمًا مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمٍ
أَغْرَ نَجِيبِ الْأَمْهَاتِ كَرِيمٍ
لَهُ أَرْضُ دُولَابٍ وَدِيرِ حِمِيمٍ
تَبِيحُ مِنَ الْكِفَارِ كُلِّ حَرِيمٍ
بِجَنَاتٍ عَدْنٍ عَنْدهُ وَنَعِيمٍ

للمسلمين كان عددهم كثيراً ، وأشرفهم كثيراً ، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البصرة ، وقد كنت وجهتك إلى خراسان ، وكتب لك عليها عهداً ، وقد رأيت حيث ذكر هذه الخوارج أن تكون أنت تلي قتالهم ، فقد رجوت أن يكون ميموناً طائرك ، مباركاً على أهل مصرك ، والأجر في ذلك أفضل من المسير إلى خراسان ، فسر إليهم راشداً ، فقاتل علو الله وعدوك ، ودافع عن حقلك وحقوق أهل مصرك ، فإنه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير خراسان إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله . ٥٨٤/٢

فأني^(١) بذلك الكتاب ، فلما قرأه قال : فإني والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبت عليه ، وتعطوني من بيت المال ما أقوى به من معي ، وأنتخب من فرسان الناس وجوههم وذوي الشرف من أحببت ، فقال جميع أهل البصرة : ذلك لك ؛ قال : فاكتبوا لي على الأخماس بذلك كتاباً ففعلوا ، إلا ما كان من مالك بن مسيخ وطائفة من بكر بن وائل ، فاضطغنوا عليهم المهلب ، وقال الأحنف وعبيد الله بن زياد بن ظبيان وأشرف أهل البصرة للمهلب : وما عليك ألا يكتب لك مالك بن مسيخ ولا من تابعه من أصحابه ، إذا أعطاك الذي أردت من ذلك جميع أهل البصرة ! ويستطيع مالك خلافة جماعة الناس أوله ذلك ! انكمش أيها الرجل ، واعزم على أمرك ، وسر إلى علوك ؛ ففعل ذلك المهلب ، وأمر على الأخماس ، فأمر عبيد الله بن زياد بن ظبيان على خمس بكر بن وائل ، وأمر الحريش ابن هلال السعدي على خمس بني تميم ، وجاءت الخوارج حتى انتهت إلى الجسر الأصغر ، عليهم عبيد الله بن الماحوز ، فخرج إليهم في أشرف الناس وفرسانهم وجوههم ، فحازمهم^(٢) عن الجسر ، ودفعهم عنه ، فكان أول شيء دفعهم عنه أهل البصرة ، ولم يكن بقي لهم إلا أن يخطوا ؛ فارتفعوا إلى الجسر الأكبر . ثم إنه عبأ لهم ، فسار إليهم في الخيل والرجال ، فلما أن رأوا أن قد أطل عليهم ، وانتهى إليهم ، ارتفعوا فوق ذلك مرحلة أخرى ، فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مرحلة بعد مرحلة ، ومرحلة بعد مرحلة ، حتى انتهوا إلى منزل ٥٨٥/٢

من منازل الأهواز يقال له سَكَّى وسَكْبَرَى ، فأقاموا به ؛ ولما بلغ حارثة بن بدر الغد أُنِيَ أن المهلب قد أُمِّرَ على قتال الأزارقة ، قال لمن معه من الناس :

كَرَّيْبُوا وَذَوَّلُوا وَحَيْثُ شِئْتُمْ فَادْهَبُوا
• قد أُمِّرَ المهلبُ •

فأقبل من كان معه نحو البصرة ، فصرّفهم الحارثُ بن عبد الله بن أبي ربيعة إلى المهلب ؛ ولما نزل المهلب بالقوم خَتَدَقَ عليه ، ووضع المسالِحَ ، وأذكى العين ، وأقامَ الأكراس ، ولم يزل الجندُ على مصافّهم ، والناس على راياتهم وأحماسهم ، وأبواب الخنادق عليها رجال موكّلون بها ، فكانت الخوارج إذا أرادوا إتيانَ المهلب وجعلوا أمراً مُحْكَمًا ، فرجعوا ، فلم يقاتلهم إنسان قطّ كان أشدّ عليهم ولا أغيظَ لقلوبهم منه .

قال أبو مخنف : فحدثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، أن رجلاً كان في تلك الخوارج حدثه أن الخوارج بعثت عبدة ابن هلال والزيبر بن الماحوز في خيلين عظيمين ليلاً إلى عسكر المهلب ، فجاء الزبير من جانبه الأيمن ، وجاء عبدة من جانبه الأيسر ، ثم كبروا وصاحوا بالناس ، فوجّدهم على تعيبتهم ومصافّهم حذرين مُغْذَّين ، فلم يصيبوا للقوم غيرةً ، ولم يظفّروا منهم بشيء ، فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيد الله ابن زياد بن ظبيان فقال :

وَجَدْتُمُونَا وَقُرَّا أَنْجَادًا لَا كُشْفًا خُورًا وَلَا أَوْغَادًا^(١)
هيهات ! إِنَّا إِذَا صَبَحَ بَنَّا أَتَيْنَا ، يَا أَهْلَ النَّارِ ، أَلَا ابْكُوا إِلَيْهَا غَدًا ،
فَإِنَّهَا مَاوَاكُمْ وَمَثَاكُمْ ؛ قَالُوا : يَا فَاسِقُ ، وَهَلْ تُدْخِرُ النَّالَ إِلَّا لَكَ وَلِشِبَاهِكَ !
لَإِنَّهَا أَعْدَتُ لِلْكَافِرِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ؛ قَالَ : أَتَسْمَعُونَ ! كُلُّ مُمْلُوكٍ لِي حَرٌّ

(١) الكامل ٦٦٩ (طبع أوروبا) ؛ ونسبه إلى الحرّيش بن هلال ؛ وذكره معه بيتاً آخر بهذه

الرواية :

لَقَدْ وَجَدْتُمْ وَقُرَّا أَنْجَادًا لَا كُشْفًا مَيْلًا وَلَا أَوْغَادًا
هيهات ! تُلْفُونَنَا رُقَادًا لَا بَلْ إِذَا صَبَحَ بَنَّا آسَادًا

إِنْ دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ الْجَنَّةَ إِنْ بَقِيَ فَيَا بَيْنَ سَقَوَانِ إِلَى أَقْصَى حَجَرٍ مِنْ أَرْضِ خُرَّاسَانَ
مَجُوسِيٌّ يَنْكَحُ أُمَّهُ وَابْنَتَهُ إِلَّا دَخَلَهَا ؛ قَالَ لَهُ عَبِيدَةُ : اسْكُتْ يَا فَاسِقُ
فَإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ لِلْجَبَّارِ الْعَنِيدِ ، وَوَزِيرٌ لِلظَّالِمِ الْكَفُورِ ؛ قَالَ : يَا فَاسِقُ ، وَأَنْتَ
عَدُوٌّ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ ، وَوَزِيرُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؛ فَقَالَ النَّاسُ لِابْنِ ظَلْيَانَ : وَقَفْتُكَ
اللَّهُ يَا بَنَ ظَلْيَانَ ؛ فَقَدْ وَاللَّهِ أَجَبْتَ الْفَاسِقَ بِمِجَوابِهِ ، وَصَدَقْتَهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ
أَخْرَجَهُمُ الْمُهَلَّبُ عَلَى تَعْيِيَتِهِمْ وَأَخْمَاسِهِمْ ، وَمَوَاقِفِهِمُ الْأَزْدُ ، وَتَمِيمِ مِيمَنَةِ النَّاسِ ،
وَبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ مِيسِرَةَ النَّاسِ ، وَأَهْلَ الْعَالِيَةِ فِي الْقَلْبِ وَسُطَّةِ
النَّاسِ .

وَخَرَجَتْ الْخَوَارِجُ عَلَى مِيمَتِهِمْ عَبِيدَةُ بْنُ هَلَالِ الْيَشْكُرِيِّ ، وَعَلَى مِيسِرَتِهِمْ
الزُّبَيْرِ بْنِ الْمَاحُوزِ ، وَجَاعُوا وَهُمْ أَحْسَنُ عُدَّةٍ ، وَأَكْرَمُ خِيُولَا ، وَأَكْثَرُ سِلَاحًا
مَنْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ خَنَرُوا الْأَرْضَ وَجَرَدُوهَا ، وَأَكَلُوا مَا بَيْنَ كَرْمَانِ ٨٧/٢
إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَجَاعُوا عَلَيْهِمْ مَتَغَافِرُ تُضْرِبُ إِلَى صَلُورِهِمْ ، وَطَلِيهِمْ دُرُوعُ
يَسْمَحِيْنَهَا ، وَسُوقُ مَنْ زَرَدٍ يَشْدُوْنَهَا بِكَلَالِيْبِ الْحَدِيدِ إِلَى مَنَاطِقِهِمْ ، فَالْتَمَسَ
النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا كَأَشَدِّ الْقِتَالِ ، فَصَبِرَ بَعْضُهُمْ عَامَّةَ النَّهَارِ . ثُمَّ إِنَّ الْخَوَارِجَ
شَدَّتْ عَلَى النَّاسِ بِأَجْمَعِهَا شِدَّةً مُنْكَرَةً ، فَأَجْطَلُ النَّاسُ وَأَنْصَاعُوا مِنْهُمْ مِيزِينَ
لَا تَلَوِي أُمَّ عَلَى وَلَدٍ (١) حَتَّى بَلَغَ الْبَصْرَةَ هَزِيمَةُ النَّاسِ ، وَخَافُوا السَّبَاءَ ، وَأَسْرَعَ
الْمُهَلَّبُ حَتَّى سَبَقَهُمْ إِلَى مَكَانٍ يَفْخُاعُ فِي جَانِبِ عَنِ سَنَنِ الْمُنْهَزِمِينَ .

ثُمَّ إِنَّهُ نَادَى النَّاسَ : إِلَى إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ، فَثَابَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ ،
وَثَابَتْ إِلَيْهِ سَرِّيَّةٌ عُمُكَانَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فَلَمَّا
نَظَرَ إِلَى مَنْ قَدْ اجْتَمَعَ رَضِيَ جَمَاعَتَهُمْ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّنَا يَسْكُلُ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَهْزِمُونِ ، وَيُنْزِلُ
النَّصْرَ عَلَى الْجَمْعِ الْبَسِيرِ فَيُظْهِرُونَ ، وَلَعَسَى مَا بِكُمْ الْآنَ مِنْ قَلَّةٍ ، إِنْ
لِجَمَاعَتِكُمْ لِرَأْسٍ ؛ وَإِنَّكُمْ لِأَنْتُمْ أَهْلُ الصَّبْرِ ، وَفُرْسَانُ أَهْلِ الْمِصْرِ ، وَمَا أَحَبُّ
أَنْ أَحْدَا مِنْ أَنْهَزَمَ مَعَكُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خِيَالًا . عَزَمْتُ
عَلَى كُلِّ امْرِئٍ مِنْكُمْ لَمَّا أَخَذَ عَشْرَةَ أَحْجَارٍ مَعَهُ ، ثُمَّ امْشَوْا بِنَا نَحُو

عسكرهم ، فإنهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانكم ، فوالله
 لئن لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم حتى تستيقظوا عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم .
 ففعلوا ، ثم أقبل بهم راجعا ، فلا والله ما شعرت الخوارج إلا بالمهلب يضاربهم
 بالمسلمين في جانب عسكرهم . ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه ،
 وعليهم الذروع والسلاح كاملا ، فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل
 الرجل منهم ، فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يُشخّنه ، ثم يطلعه بعد
 ذلك برعه ، أو يضربه بسيفه ، فلم ^(١) يقاتلهم إلا ساعة حتى قُتل عبيد الله
 ابن الماحوز ، وضرب الله وجوه أصحابه ؛ وأخذ المهلب عسكر القوم وما فيه ،
 وقتل الأزارقة قتلا ذريعا ، وأقبل من كان في طلب أهل البصرة منهم راجعا ؛
 وقد وضع لهم المهلب ^(٢) خيلا ورجالا في الطريق تختطفهم وقتلهم ، فأنكفئوا
 راجعين مغلولين ، مقتولين محرويين ^(٣) ، مغلولين ؛ فارتفعوا إلى كرمان
 وجانب أصفهان ، وأقام المهلب بالأهواز ، ففي ذلك اليوم يقول الصلتان
 العبدى :

بِيسْلَى وَيَلْبَرْزَى مَصَارُعُ فَتِيَةٍ كَرَامٍ وَقَتْلَى لَمْ تُوسَّدْ خَدَوُهَا ^(٤)
 وانصرفت الخوارج حين انصرفت ؛ وإن أصحاب النيران الخمس والست
 لسيجتمعون على النار الواحدة من القلول وقلة العدد ، حتى جاءتهم مادة لهم من
 قبيل البحرين ، فخرجوا نحو كرمان وأصفهان ؛ فأقام المهلب بالأهواز
 فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مُصعب البصرة ، وعزل الحارث بن عبد الله ؛
 أبى ربيعة عنها .

ولما ظهر المهلب على الأزارقة كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمر الحارث بن عبد الله ، من المهلب بن
 أبى صُفْرَةَ . سلام عليك ؛ فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد
 فالحمد لله الذى نصر أمير المؤمنين ، وهزم الفاسقين ، وأنزل بهم نقمته ، وقطعهم
 كل قطة ، وشردهم كل مشرد . أخبر الأمير أصلحه الله أننا لقينا الأزارقة

(١) ف : « ولم » . (٢) ف : « المهلب لم » . (٣) ف : « عزوتين » .

(٤) الكامل ٦٣٨ ، وروايته : « كرام وجرى » .

بأرض من أرض الأهواز يقال لها سِلْيَ وسِلْبَرِي؛ فزحفنا إليهم ثم ناهضناهم، فاقتلنا كأشد القتال ملياً من النهار. ثم إن كتاب الأزارقة اجتمع بعضها إلى بعض، ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم؛ وكانت في المسلمين جولة قد كنت أشفق أن تكون هي الأصرى منهم. فلما رأيت ذلك عمدت إلى مكان يتفاح فعلوته، ثم دعوت إلى عشيرتي خاصة والمسلمين عامة، فثاب إلى أقوام شرواً أنفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء، فقصدت بهم إلى عسكر القوم؛ وفيه جماعتهم وخدمهم وأميرهم قد أطاف^(١) به أولو فضلهم فيهم، وذو النيات منهم؛ فاقتلنا ساعة رمياً بالنبل، وطعناً^(٢) بالرماح. ثم خطص الفريقان إلى السيوف؛ فكان الجلاد بها ساعة من النهار مبالطة ومبالدة. ثم إن الله عز وجل أنزل نصره على المؤمنين، وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيهم في رجال كثير من حماتهم وذوى نياتهم، فقتلهم الله في المعركة. ثم اتبعت الخيل شراذمهم^(٣) فقتلوا في الطريق والآخاذ^(٤) والقرى، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما أتى هذا الكتاب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بعث به إلى الزبير فقرأ على الناس بمكة.

٩٠ / ٢

وكتب الحارث بن أبي ربيعة إلى المهلب:

أما بعد؛ فقد بلغني كتابك، تذكر فيه نصر الله إنيك، وظفر المسلمين، فهنيئاً لك يا أبا الأزد بشرف الدنيا وعزها، وثواب الآخرة وفضلها، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال: أما تظنونه يعرفني إلا بأخي الأزد! ما أهل مكة إلا أعراب.

قال أبو غنم: فحدثني أبوالمُخَارِق الراسبي أن أبا علقمة اليمحمدي قاتل يوم سِلْيَ وسِلْبَرِي قتالاً لم يقاتله أحد من الناس؛ وأنه أخذ ينادى في

(٢) ف: «والطعن».

(٤) ف: «والآخاذ».

(١) ف: «الطائف».

(٣) ف: «شراذم».

شباب الأزْد وفتيان اليَسْحَمَد : أعيرونا جَماعِمكم ساعةً من نهار ، فأخذ فتیانُ منهم يكرّون ، فيقاتلون ثم يرجعون إليه ، يضحكون ويقولون : يا أبا علقمة ، القُدورُ تُستعار ! فلما ظهر المهلبُ ورأى من بلائه ما رأى وفّاه مائة ألف .

وقد قيل : إنَّ أهلَ البصرة قد كانوا سألوا الأحنفَ قبْلَ المهلب أن يقاتل الأزارقة ، وأشار عليهم بالمهلب ، وقال : هو أقوى على حربهم مني ، وإن المهلب إذ أجابهم إلى قتالهم شَرَطَ على أهل البصرة أن ما غلب عليه من الأرض فهو له ولمن خفّ معه من قومه وغيرهم ثلاث سنين ، وأنه ليس لمن تخلف عنه منه شيء . فأجابوه إلى ذلك ، وكتب بذلك عليهم كتاباً ، وأوفدوا بذلك وفدًا إلى ابن الزبير .

وإنَّ ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلّها للمهلب وأجازها له ، وإنَّ المهلب لما أُجيب إلى ما سأل وجهه ابنه حبيباً في سِماة فارس إلى عمرو القسّاء ، وهو معسكر خلف الجسر الأصفر في سِماة فارس ، فأمر المهلب بعقد الجسر الأصفر ، فقطع حبيب الجسر إلى عمرو ومنّ معه ، فقاتلهم حتى قفاهم عما بين الجسر ، وانهزموا حتى صاروا من ناحية القُرّات ، وتجهّز المهلب فيمن خفّ من قومه ^(١) معه ، وهم اثنا عشر ألف زجل ، ومن سائر الناس سبعون رجلاً . وسار المهلب حتى نزل الجسر الأكبر ، وعمرو القنا بإزائه في سِماة . فبعث المغيرة بن المهلب في الخيل والرّجال ، فهزمتهم الرّجال بالنبل ، وابتعتهم الخيل ، وأمر المهلب بالجسر فعقد ، فعبر هو وأصحابه ، فلاحق عمرو القنا حينئذ بابن الماحوز وأصحابه ؛ وهو بالمفتّح ، فأخبرهم الخبر ، فساروا فعسكروا دون الأهواز بِنائية فراسخ ، وأقام المهلب بقية سته ، فجبى كُور هـجْلة ، ورزق أصحابه ، وأتاه المدد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك ؛ فأثبتهم في الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفاً .

قال أبو جعفر : فعلى قول هؤلاء كانت الوقعة التي كانت فيها هزيمة الأزارقة وإحاطهم عن نواحي البصرة والأهواز إلى ناحية أصبهان وكرمان في

سنة ست وستين . وقيل : لأنهم ارتحلوا عن الأهواز وهم ثلاثة آلاف ، وإنه قتل منهم في الواقعة التي كانت بينهم وبين المهلب بسلى ولسرى سبعة آلاف .

* * *

٥٩٢/٢ قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجّه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمداً إلى الجزيرة ، وذلك قبل مسيره إلى مصر .

* * *

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة ، وولاهها عبد الله بن مطيع ، وفزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير ، وولاهها أخاه مصعب بن الزبير ، وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها أنه فغا ذكر الواقدي— خَطَبَ الناس فقال لهم : قد رأيتم ما صُنِعَ بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسميَ مقومَ الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا هو التكلّف .

* * *

[ذكر خبر بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام]

وفي هذه السنة بَسَى عبد الله بن الزبير البيت الحرام ، فأدخل الحجر فيه . أخبرنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد ، قال : حدثني زياد بن جيل أنه كان بمكة يوم غلب ابن الزبير ، فسمعه يقول : إن أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : لولا حدثاتُ عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس إبراهيم ، فأزيد في الكعبة من الحجر . فأمر به ابن الزبير فحفر ، فوجسوا قِلاعاً أمثال الإبل ، فحركوا منها صخرة ، فبرقت بارقة فقال : أقرّوها على أساسها ، فبناها ابن الزبير ، وجعل لها بايين : يُسَلَخُ من أحدهما ويُخْرَجُ من الآخر .

* * *

٥٩٣/٢ قال أبو جعفر : وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير ، وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن مطيع ، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الهذلي ، وهو الذي

يقال له القُبَّاع . وعلى قضائها هشام بن هُبَيْرَة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

• • •

[خروج بنى تميم بخراسان على عبد الله بن خازم]

وفى هذه السنة خالف مَنْ كان بخراسان من بنى تميم عبد الله بن خازم حتى وقعتَ بينهم حروب .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أن مَنْ كان بخراسان من بنى تميم أعانوا عبد الله بن خازم على مَنْ كان بها من ربيعة ، وعلى حَرْبِ أَوْس بن ثعلبة حتى قَتَلَ من قَتَلَ منهم ، وظَفِرَ به ، وصفا له خراسان ، فلما صفا له ولم يَنَازعه به أحد جَعَلَهُمْ . وكان قد ضَمَّ هَرَاةَ إلى ابنه محمد واستعمله عليها ، وجعل بكير بن وِشَّاح على شُرَطَتِهِ ، وضَمَّ إليه شَمَّاسُ بن دِثَارِ العُطَاوَدِى ، وكانت أمُ ابنه محمد امرأةً من تميم تدعى صَفِيَّةً ، فلما جفا ابن خازم بنى تميم أنُوا ابنه مُحَمَّدًا بهَرَاةً ، فكتب ابن خازم إلى بكير وشَّامس يأمرهما بمنع بنى تميم من دخول هَرَاةَ ، فأما شَّامس بن دِثَارِ فأبَى ذلك ، وخرج من هَرَاةَ ، فصار من بنى تميم ، وأما بُكَيْرُ فَنَعِمَ من الدخول .

٥٩٨/٢

فذكر على بن محمد أن زهير بن الهُنَيْدِ حَدَّثَهُ أَنَّ بُكَيْرَ بن وِشَّاحَ لما منع بنى تميم من دخول هَرَاةَ أقاموا بِلَادَ هَرَاةَ ، وخرج إليهم شَمَّاسُ بن دِثَارِ فأرسل بكير إلى شَّامس : إني أعطيك ثلاثين ألفاً ، وأعطى كلَّ رجلٍ من بنى تميم ألفاً على أن ينصرفوا ، فأبَوْا ، فدخلوا المدينة ، وقتلوا محمد بن عبد الله ابن خازم . قال على : فأخبرنا الحسن بن رُشِيدَ ، عن محمد بن عزيز الكندى قال : خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيّد بهَرَاةَ ، وقد منع بنى تميم من دخولها ، فرصدوه ، فأخذوه فشدّوه وثاقاً ، وشربوا ليلتهم ، وجعل كلُّهم أراد رجلٍ منهم البول بال عليه ، فقال لهم شَّامس بن دِثَارِ : أما إذْ بَلَّغُم هذا منه فاقتلوه بصاحبَيْكُمَا اللَّذَيْنِ قتلَهُمَا بالسِّياط . قال : وقد كان أخذ قُبَيْلَ

ذلك رجلين من بني تميم ، فضر بهما بالسياط حتى ماتا . قال : فقتلوه ، قال :
 فزعم لنا عمن شهد قتله من شيوخهم أن جيهان^(١) بن مشجعة الضبيّ نهاهم
 عن قتله ، وألقى نفسه عليه ، فشكر له ابن خازم ذلك ، فلم يقتله فيمن قتل
 يوم فرتنّا^(٢) . قال : فزعم عامر بن أبي عمر أنه سمع أشياءهم من بني تميم
 يزعمون أن الذي وكى قتل محمد بن عبد الله بن خازم رجلان من بني مالك بن
 سعد ، يقال لأحدهما : عَجَلَة ، وللآخر كُسيب . فقال ابن خازم : بشس
 ما اكتسب كُسيب لقومه ، ولقد عجلت عَجَلَة لقومه شرّاً .

٥٩٥/٢

قال عليّ : وحدّثنا أبو الذيال زهير بن هُنيّد العلويّ ، قال : لما قَتَلَ
 بنو تميم محمد بن عبد الله بن خازم انصرفوا إلى مَرَوْ ، فطلبهم بكثير بن وشاح
 فأدرك رجلاً من بني عطارد يقال له شَمَيْخٌ ، فقتله ، وأقبل شناس وأصحابه
 إلى مَرَوْ ، فقالوا لبني سعد : قد أدركنا لكم بتاركهم ، قتلنا محمد بن عبد الله
 ابن خازم بالجشمي الذي أصيب بمَرَوْ ، فأجمعوا على قتال ابن خازم ، وولّوا
 عليهم الحرّيش بن هلال القرينيّ .

قال : فأخبرني أبو الفوارس عن طُفيل بن مرداس ، قال : أجمع أكثر
 بني تميم على قتال عبد الله بن خازم ، قال : وكان مع الحرّيش فرسان لم يدرك
 مثلهم ، إنما الرجل منهم كتيبة ، منهم شناس بن دثار ، وبجير بن ورقاء
 الصرميّ ، وشعبة بن ظهير النهشليّ ، ووَرْد بن الفلق العبّريّ ، والحجاج بن
 ناشب العلويّ — وكان من أرمى الناس — وعاصم بن حبيب العلويّ ، فقاتل
 الحرّيش بن هلال عبد الله بن خازم ستين .

٥٩٦/٢

قال : فلمّا طال الحرب والشرّ بينهم ضَجروا ، قال : فخرج الحرّيش
 فنَادى ابن خازم ، فخرج إليه فقال : قد طالّت الحرب بيننا ، فسلام قتل
 قوِي وقومك ! ابرز لي ، فأبى قتل صاحبه صارت الأرض له ؛ فقال ابن خازم :
 وأبيك لقد أنصفتني ؛ فبرز له ، فتصاولا^(٣) تصاولَ الفتحلين ، لا يقدر أحد

(١) ف : وابن الأثير : « حيان » .

(٢) س : « فرتبا » .

(٣) ف : « فتصاولا وتصاربا » .

منهما على ما يريد. وتغفل ابن خازم غفلة، وضربه^(١) الحريش على رأسه، فرى بقرّة رأسه على وجهه، وانقطع ركاباً الحريش، وانتزع السيف. قال: فلزم ابن خازم عنق فرسه راجعاً إلى أصحابه وبه ضربة قد أخذت من رأسه، ثم غاداهم القتال، فمكثوا بذلك بعد الضربة أياماً، ثم ملّ الفريقان فتفرقوا ثلاث فِرَقٍ: ففضى بحير بن وراق إلى أبرشهر في جماعة، وتوجه شماس بن دثار العطاردي ناحية أخرى، وقيل: أتى سجستان، وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفر إلى فرقتنا، فنزل قصرأ بها، ومضى الحريش إلى ناحية مَرَوَ الرُّوذ، فاتبه ابن خازم، فلحقه بقرية من قرأها يقال لها قرية الملحمة - أو قصر الملحمة - والحريش بن هلال في اثنتي عشر رجلاً، وقد تفرق عنه أصحابه، فهم في خربة، وقد نصب رماحاً كانت معه وترسة.

قال: وانتهى إليه ابن خازم، فخرج إليه في أصحابه، ومع ابن خازم مولى له شديد البأس، فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيئاً، فقال رجل من بني ضبة للحريش: أما ترى ما يصنع^(٢) العبد! فقال له الحريش: عليه سلاح كبير، وسبي لا يعمل في سلاحه، ولكن انظر لي خشبة ثقيلة، فقطع له عوداً ثقيلاً من عناب - ويقال: أصابه في القصر - فأعطاه إياه، فحمل به على مولى ابن خازم، فضربه فسقط وقيداً. ثم أقبل على ابن خازم، فقال: ما تريد إلى وقد خليتك والبلاد! قال: لأنك تعود إليها، قال: فإني لا أعود، فصالحه على أن يخرج له من خراسان ولا يعود إلى قتاله، فوصله ابن خازم بأربعين ألفاً. قال: وفتح له الحريش باب القصر، فلنخل ابن خازم، فوصلته وضمن له قضاء دينه، وتحدثا طويلاً. قال: وطارت ثُطنة كانت على رأس ابن خازم ملصقة على الضربة التي كان الحريش ضربه، فقام الحريش فتناولها، فوضعها على رأسه، فقال له ابن خازم: متسك اليوم يا أبا قدامة أليس من متسك أمس، قال: معذرة إلى الله وإليك، أما والله لولا أن ركاباً انقطعا لخالط السيف أضراسك. فضحك ابن خازم، وانصرف عنه، وتفرق

٥٩٧/٢

(١) ف: «فضربه».

(٢) ف: «ما صنع».

جمع بنى تميم ، فقال بعض شعراء بنى تميم :

فلو كنتم مثل الحريش صبرتم وكنتم بقصر الملح خير فوارس
إذا لسقيتم بالعوالي ابن خازم سجال دم يورثن طول وساويس

قال : وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب العدوي قتل في تلك الحرب ، فقال له أخوه زهير وبه رمق : من قتلك ؟ قال : لا أدرى ؛ طعنني رجل على برذون أصفر ، قال : فكان زهير لا يرى أحداً على برذون أصفر إلا حمل عليه ؛ ففهم من يقتله ، ومنهم من يهرب ؛ فتحاي أهل العسكر البراذين الصفر ؛ فكانت غلابة في العسكر لا يركبها أحد . وقال الحريش في قتاله ابن خازم :

أزال عظم يميني عن مركبي حمل الرديني في الإذلاج والسحر^(١)
حوليني ما اغتمضت عيني بمنزلة إلا وكفى وساد لي على حجري
بزي الحليد وسريالي إذا هجعت عني الميؤ محال القارح الذكمر

تم الجزء الخامس من تاريخ الطبري
ويليه الجزء السادس ، وأوله : ذكر حوادث سنة ست وستين

فهرس الموضوعات

صفحة

السنة السابعة والثلاثون

ذكر ما كان فيها من الأحداث وموادعة الحرب بين عليّ ومعاوية	١٠ - ٥
تكتيب الكتائب وتعبئة الناس للقتال	١٧ - ١٠
الجدّ في الحرب والقتال	٣٨ - ١٧
مقتل عمار بن ياسر	٤٢ - ٣٨
خبر هاشم بن عتبة المرقال وذكر ليلة الحرير	٤٨ - ٤٢
ما روى من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة	٦٣ - ٤٨
بعثة عليّ جعدة بن هبيرة إلى خراسان	٦٤ - ٦٣
اعتزال الخوارج عليّاً وأصحابه ورجوعهم عن ذلك	٦٦ - ٦٤
اجتماع الحكمين بدعوة الجندل	٧١ - ٦٧
ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيه الحكم للحكومة	
وخبر يوم النهر	٩٣ - ٧٢

• • •

السنة الثامنة والثلاثون

ذكر ما كان فيها من الأحداث	١٠٥ - ٩٤
ذكر خبر قتل محمد بن أبي حذيفة	١١٠ - ١٠٥
ذكر الخبر عن أمر ابن الحضرميّ وزيا داعمه وسبب قتل	
من قتل منهم	١١٣ - ١١٠
الحرّيت بن راشد وإظهاره الخلاف على عليّ	١٣٢ - ١١٣

• • •

السنة التاسعة والثلاثون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٣٣ .
 تفريق معاوية جيوشه في أطراف على ١٣٣ - ١٣٦
 ذكر توجيه ابن عباس زياداً إلى فارس وكرمان ١٣٧ - ١٣٨

* * *

السنة الأربعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٣٩ - ١٤٠
 خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة ١٤١ - ١٤٣
 ذكر الخبر عن مقتل على بن أبي طالب ١٤٣ - ١٥٢
 ذكر الخبر عن قتل مدّة خلافته ١٥٢ - ١٥٣
 ذكر الخبر عن صفته ١٥٣
 ذكر نسبه عليه السلام ١٥٣
 ذكر الخبر عن زواجه وأولاده ١٥٣ - ١٥٥
 ذكر ولاته ١٥٥ - ١٥٦
 ذكر بعض سيره عليه السلام ١٥٦ - ١٥٧
 ذكر بيعة الحسن بن علي ١٥٨ - ١٦٠

* * *

السنة الحادية والأربعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٦٢ - ١٦٣
 ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد ١٦٣ - ١٦٥
 دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة ١٦٥
 ذكر خروج الخوارج على معاوية ١٦٥ - ١٦٦
 ذكر ولاية بسر بن أبي أرطاة على البصرة ١٦٧ - ١٧٠
 ولاية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سجستان وخراسان ١٧٠ - ١٧١

* * *

السنة الثانية والأربعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٧٢ .
 ذكر الخبر عن تحرك الخوارج ١٧٦ - ١٧٢ .
 ذكر قلدوم زياد على معاوية ١٨٠ - ١٧٦ .

* * *

السنة الثالثة والأربعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٨١ .
 خبر قتل المستورد بن علفة الخارجي ٢٠٩ - ١٨١ .
 ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان ٢١١ - ٢٠٩ .

* * *

السنة الرابعة والأربعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢١٢ .
 عزل عبد الله بن عامر عن البصرة ٢١٤ - ٢١٢ .
 استلحاق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه ٢١٥ - ٢١٤ .

* * *

السنة الخامسة والأربعون

- ذكر الأحداث المذكورة التي كانت فيها ٢١٦ .
 ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة ٢٢٦ - ٢١٦ .

* * *

السنة السادسة والأربعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٢٢٧ .
 خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وملاكه ٢٢٨ - ٢٢٧ .
 ذكر خروج سهم والخطيم ٢٢٨ .

* * *

السنة السابعة والأربعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٢٢٩
- ذكر غزو القنّور ٢٢٩ - ٢٣٠

* * *

السنة الثامنة والأربعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٢٣١

* * *

السنة التاسعة والأربعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٢٣٢ - ٢٣٣

* * *

السنة الخمسون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٢٣٤
- ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة ٢٣٤ - ٢٣٧
- خروج قريب وزحاف ٢٣٧ - ٢٣٨
- ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة ٢٣٨ - ٢٤٠
- ذكر هرب الفرزدق من زياد ٢٤٠ - ٢٥٠
- ذكر الخبر عن غزو الحكم بن عمرو جبل الأشلّ وسبب هلاكه ٢٥٠ - ٢٥٢

* * *

السنة الحادية والخمسون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٢٥٣
- ذكر مقتل حجر بن عدى وأصحابه ٢٥٣ - ٢٧٠
- تسمية الذين بعث بهم إلى معاوية ٢٧١ - ٢٧٧

- تسمية من قتل من أصحاب حجر رحمه الله . . . ٢٧٧
 تسمية من نجا منهم ٢٧٧ - ٢٧٨
 ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان . . . ٢٨٥ - ٢٨٦

* * *

السنة الثانية والخمسون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٢٨٧

* * *

السنة الثالثة والخمسون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٢٨٨
 ذكر سبب مهلك زياد بن سمية ٢٨٨ - ٢٩٠
 ذكر الخبر عن وفاة الربيع بن زياد الحارثي . . . ٢٩١ - ٢٩٢

* * *

السنة الرابعة والخمسون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٩٣
 ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان . . ٢٩٣ - ٢٩٥
 ذكر تولية معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان . . ٢٩٥ - ٢٩٨

* * *

السنة الخامسة والخمسون

- ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث ٢٩٩
 ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن
 غيلان وتوليته عبيد الله البصرة ٢٩٩ - ٣٠٠

* * *

صفحة

السنة السادسة والخمسون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٠١
- ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد ٣٠١ - ٣٠٧

* * *

السنة السابعة والخمسون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣٠٨

* * *

السنة الثامنة والخمسون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣٠٩
- عزل الضحاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أم الحكم ٣٠٩ - ٣١٢
- ذكر قتل عروة بن أدية وغيره من الخوارج ٣١٢ - ٣١٤

* * *

السنة التاسعة والخمسون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣١٥
- ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان ٣١٥ - ٣١٦
- ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية ٣١٦ - ٣١٧
- ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بنى زياد ٣١٧ - ٣٢١

* * *

السنة الستون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٢٢
 ذكر عهد معاوية لابنه يزيد ٣٢٢ - ٣٢٣
 ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان ٣٢٣ - ٣٢٤
 ذكر الخبر عن مدة ملكه ٣٢٤ - ٣٢٥
 ذكر مدة عمره ٣٢٥
 ذكر العلة التي كانت فيها وفاته ٣٢٦ - ٣٢٧
 ذكر الخبر عن صلي على معاوية حين مات ٣٢٧ - ٣٢٨
 ذكر الخبر عن نسبه وكنيته ٣٢٨
 ذكر نسائه وولده ٣٢٩
 ذكر ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره ٣٢٩ - ٣٣٨
 خلافة يزيد بن معاوية ٣٣٨ - ٣٤٣
 ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير
 إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه ٣٤٧ - ٣٨١
 ذكر مسير الحسين إلى الكوفة ٣٨١ - ٣٩٩

* * *

السنة الحادية والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ، وفيها مقتل الحسين
 عليه السلام ٤٠٠ - ٤٦٧
 ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام
 وعدد من قتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته ٤٦٧ - ٤٧٠
 ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حدير ٤٧٠ - ٤٧١

صفحة

- ذكر خبر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان . . . ٤٧١ - ٤٧٤
 ذكر سبب عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وتوليته
 عليها الوليد بن عقبة ٤٧٤ - ٤٧٧

* * *

السنة الثانية والستون

- ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث . . . ٤٧٨ - ٤٨١

* * *

السنة الثالثة والستون

- ذكر الخبر عن الأحداث التي فيها ٤٨٢ - ٤٩٥

* * *

السنة الرابعة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٩٦ - ٤٩٨
 ذكر الخبر عن إحراق الكعبة ٤٩٨ - ٤٩٩
 ذكر خبر وفاة يزيد بن معاوية ٤٩٩
 ذكر عدد ولده ٥٠٠
 خلافة معاوية بن يزيد ٥٠١ - ٥٠٣
 ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل
 البصرة معه بعد موت يزيد ٥٠٤ - ٥٢٢
 ذكر الخبر عن عزل عمرو بن حريث وتأبيرهم عامراً . . . ٥٢٣ - ٥٢٨
 ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة . . . ٥٢٩ - ٥٣٠
 خلافة مروان بن الحكم ٥٣٠ - ٥٣٥

ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس	صفحة
ومروان بن الحكم وتعام الخبر عن الكائن من جليل	
الأخبار والأحداث في سنة أربع وستين . . .	٥٣٥ - ٥٤٤
ذكر الخبر عن فتنة عبد الله بن خازم وبيعة سلم بن زياد	٥٤٥ - ٥٥١
ذكر الخبر عن تحرك الشيعة للطلب بدم الحسين . . .	٥٥١ - ٥٦٣
ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير . . .	٥٦٣ - ٥٦٩
ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة . . .	٥٦٩ - ٥٨٢
ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة . . .	٥٨٢

* * *

السنة الخامسة والستون

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة . . .	٥٨٣ - ٦٠٩
ذكر الخبر عنبيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان . . .	٦٠٩
ذكر الخبر عن موت مروان بن الحكم . . .	٦١٠ - ٦١١
ذكر خبر مقتل حبيش بن دبلجة . . .	٦١١ - ٦١٢
ذكر خبر حدوث الطاعين الجحافل . . .	٦١٢
مقتل نافع بن الأزرق واشتداد الأمر على الخوارج . . .	٦١٣ - ٦٢٢
ذكر الخبر عن بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام . . .	٦٢٢
خروج بني تميم بخراسان على عبد الله بن خازم . . .	٦٢٣ - ٦٢٦

رقم الإيداع	١٩٧٩/٤٨٨٠
التقييم الدولي	ISBN ٩٧٧ - ٦٤٧ - ٨٤٥ - ٥

١/٧٩/٣٤١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

